

# الموسوعة التاريخية
# للأمة الشركسية "الأديغة"

(من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد)

الأستاذ الدكتور
محمد خير مامسر باتسج

## حروب
## الأمة الشركسية
## وهجراتها منذ فجر التاريخ

المجلد الثالث

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٩/١/٣٦٥)
الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية: الأديغة: من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد/ جمع وإعداد محمد خير مامسر باتسج.
عمان: دار وائل، ٢٠٠٩
(٧٨٤) ص
ر.إ. : (٢٠٠٩/١/٣٦٥)
الواصفات: الشراكسة / القواميس
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

**********

رقم التصنيف العشري / ديوي : ٣٠٥,٩٩٩٦
ISBN 978-9957-11-795-5 (ردمك)

* الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية: الأديغة: من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد
* الأستاذ الدكتور محمد خير مامسر باتسج
* الطبعـــــة الأولى ٢٠٠٩
* جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

عنوان المؤلف:
الأردن – عمان . ص. ب ١٣٢٣٣ الرمز البريدي: ١١٩٤٢
فاكس ٠٠٩٦٢٦٥١٥٣٠٥٥
تلفون ٠٠٩٦٢٦٥١٥١٨٣٨ .E-Mail: mamser@orange.jo




دار وائـــل للنشر والتوزيع
* الأردن – عمان – شارع الجمعية العلمية الملكية – مبنى الجامعة الاردنية الاستثماري رقم (٢) الطابق الثاني
هـــاتف : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣٨٤١٠ – فاكس : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣١٦٦١ – ص. ب (١٦١٥ – الجبيهة)
www.darwael.com E-Mail: Wael@Darwael.Com
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو ترجمته أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف.
All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.



# المجلـد الثالث

## حروب الأمة الشركسية
## وهجراتها منذ فجر التاريخ

# فهرس المقدمة


| | الصفحة |
|---|---|
| * مقدمة المجلد الثالث | ٧-٤٠ |
| * فهرس أجزاء المجلد الثالث | ٤١-٤٢ |
| * فهرس فصول الجزء الأول في المجلد الثالث | ٤٣-٦٠ |
| * فهرس فصول الجزء الثاني في المجلد الثالث | ٦١-٧٠ |
| * فهرس فصول الجزء الثالث في المجلد الثالث | ٧١-٨٦ |
| * فهرس فصول الجزء الرابع في المجلد الثالث | ٨٧-١٠٨ |
| * فهرس فصول الجزء الخامس في المجلد الثالث | ١٠٩-١٢٦ |

# مقدمـــة

# المجلـد الثالث

خُصص هذا المجلد للبحث في وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية منذ فجر التاريخ وحتى القرن العشرين، ويتكون من أربعة أجزاء، وقد **بحثنا في كل واحد منها موضوعاً من الموضوعات الرئيسية التالية:**

**الجزء الأول وموضوعه:** الأمم والشعوب والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية، ابتداءً من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر الميلادي، وخُصصت له ستة فصول.

**الجزء الثاني وموضوعه:** الأعمال الوحشية والبربرية التي ارتكبتها السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية.

**الجزء الثالث وموضوعه:** التكتيكات العسكرية، والسياسية للأمة الشركسية في دفاعها عن الأرض والوطن.

**الجزء الرابع وموضوعه:** أصدقاء وأعداء الأمة الشركسية في حربها ضد سلطات روسيا القيصرية، وخُصصت له خمسة فصول.

**الجزء الخامس وموضوعه:** أنواع الهجرات ومآسي التهجير القسري ومواقف الشراكسة الرافضة للتهجير.

**ففي الفصل الأول من الجزء الأول،** تم التوصل إلى أن أكثر الأمم والشعوب التي اعتدت على الأمة الشركسية منذ القرن السابع ما قبل الميلاد هي الشعوب والقبائل التالية:

**السكيت الهون، القوط، الخزر، الأوار، التورغوت، المغول، التتار، خانات القرم، المدعومين من السلطات العثمانية، وأخيراً الإمبراطورية الروسية في عهد القياصرة المدعومة من شعوب وقوميات مرتزقة مثل: القوزاق، والنغوي، والقالمون، والتتار، بالإضافة إلى قادة عسكريين مرتزقة من أوروبا. حيث تشير الوقائع التاريخية إلى أن أطماع القياصرة الروس قد تفتحت على بلاد القفقاس**

**عامة وبلاد الشراكسة خاصة، ابتداءً من العام الذي طلب فيه بعض أمراء القبرطاي وفي مقدمتهم الأمير "تيمروقة" عقد اتفاقية تعاون مع الإمبراطور "ايفان الرهيب" عام ١٥٥٧م.**

**وفي الفصل الثاني من هذا الجزء،** قمنا بدراسة الوقائع والأحداث والحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة الممتدة من القرن السابع ما قبل الميلاد وحتى القرن السادس ما بعد الميلاد، وتوصلنا في دراستنا في هذا الفصل إلى أن قبائل "السكيت" المتوحشة قد احتلت منطقة القفقاس من جنوبها إلى شمالها في القرن السابع ما قبل الميلاد، وقضت على الحضارات التي بناها أجداد الشراكسة من قوم "نارت"، وأجدادهم "الكاسيين" كما قضت على الامبراطورية "الكميرية" التي كانت متحدة مع شعوب أجداد الشراكسة من مجموعة "ألمه– ؤت" وأجبرت شعب "الكميرين" النزوح من بلاد القفقاس وتشتتهم في آسيا وأوروبا.

**وفي المرحلة الممتدة من القرن الأول الميلادي وحتى القرن السادس ما بعد الميلاد** قامت قبائل "القوط والهون" القادمة من شمال اسكندنافيا وآسيا الوسطى بتدمير قرى ومدن أجداد الشراكسة، والقضاء على الدول والدويلات التي شكلها الأجداد، كما تم القضاء على المستعمرات اليونانية وإمبراطورية البسفور التي كان قد شارك فيها بعض من دويلات أجداد الشراكسة مثل (الزيك والسند)، كما كان من نتائج تلك الحروب الطاحنة تدمير البنية التحتية للأعمال التجارية مع الإغريق والدول المجاورة للشراكسة، وكذلك إتلاف المزروعات، وتدمير الأراضي الزراعية تدميراً كاملاً، حتى أصبح المثل الذي يردده أجداد الشراكسة هو "**الأراضي التي مرت منها جيوش "الهون" ما بطلع فيها زرع لمئة سنة**".

**وفي الفصل الثالث من الجزء الثالث،** تم البحث في وقائع وأحداث وحروب الأمة الشركسية في الفترة الممتدة من القرن السادس الميلادي وحتى القرن الثالث عشر الميلادي، وقام الأمير "لورستان" بقتل رسل قادة "الأوار" نتج عن ذلك قيامهم

باحتلال بلاد القبرطاي، وتخريب الأرض وقتل السكان، وإتلاف الزرع، كما قتل الأمير "لورستان" نفسه وسمي الوادي الذي قتل فيه ومقاتلوه "حد ريخة غوك" ومعناه "طريق للآخرة" أو "الطريق إلى جهنم"، ونظم الشعراء الشراكسة "غبزة" أي أغاني رثاء تمجيداً للأبطال الشراكسة وتجسيداً لشدة وقوة المعارك مع الأوار في تلك المرحلة.

**وفي القرن العاشر الميلادي** وقعت ثلاث معارك مع جيوش دولة الخزر، **ففي الأولى منها**، استطاع الشراكسة تحقيق النصر عليهم، بالرغم من وقوع الأمير الجوقة في الأسر.

**وفي الثانية**، احتل فيها الشراكسة عاصمة دولة الخزر، وأطلقوا سراح الأمير "الجوقة" **وأما في المعركة الثالثة**، والتي حدثت في عهد الأمير "ايدار" حفيد الأمير "إينال الكبير"، الذي غزا مملكة الخزر وحقق عليهم نصراً كبيراً بدعم من العملاق "اردديا" ورجع إلى بلاده ومعه الكثير من الغنائم والأسرى.

**وفي القرن الثالث عشر الميلادي** تعرضت الأمة الشركسية إلى اعتداءات متتالية من جيوش "التورغوت" وهم أجداد شعب القالمون الحاليين، وانتصر الشراكسة في المعارك الأولى التي جرت في موقع "قاج طاو" إلا أنهم خسروا أكثر من معركة مع جيوش المغول بقيادة "جنكيز خان" في عام ١٢٢٢م، وأنشأوا دولة "الجيش الذهبي" المغولية.

**وفي عام ١٣٩٦م تعرض الشراكسة إلى خسائر فادحة على يد قوات التتار بقيادة "تيمور لنك"** في موقعة تسمى "تتروب" وهي المعركة التي خلفت ذكريات أليمة عند الشراكسة إلى أجيال لاحقة، نتيجة تعرضهم لخسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، ونظم الشعراء الشراكسة قصائد رثاء "غبزة" كثيرة، وأصبحت موقعة "تترتوب" ذكرى أليمة للمذابح التي تعرض لها الشراكسة، كما أصبح من أمثالهم الشعبية

شائعة الاستخدام **المثل القائل:** "**من غير الممكن أن لا تسيل الدموع عند المرور من موقع تترتوب**".

**وفي عام ١٣٩٨م تمكن المقاتلون القبرطاي الشراكسة من طرد قوات تيمور لنك التترية** من بلاد الشراكسة بعد أن أسروا عدداً كبيراً من قواتهم من الذين بقوا أحياء كما لجأ عدد آخر إلى بلاد القرم.

**وفي الفصل الرابع من هذا الجزء،** تحدثنا بالتفصيل عن وقائع وأحداث وحروب القرنين السادس عشر والسابع عشر، والتي تمثلت بالوقائع والأحداث التالية:

- بدء الأطماع الروسية في الاستيلاء على بلاد القفقاس بعد عقد اتفاقية التعاون المشترك بين شعب القبرطاي بزعامة الأمير "تيمروقة" والإمبراطور "إيفان الرهيب" عام ١٥٥٧م.
- نقض قياصرة الروس لاتفاقية التعاون مع القبرطاي.
- موت الأميرة "ماريا" بنت تيمروقة والتي سبق أن زُوجت بالإكراه للإمبراطور إيفان الرهيب. كما تمثلت وقائع هذه الفترة حدوث أول تغلغل روسي إلى بلاد القبرطاي والمتمثل بإنشاء أول مدينة روسية عام ١٥٦٥م على ضفاف نهر الترك، بالرغم من معارضة أمراء الشراكسة من القبرطاي، كما أرسل القيصر جيشاً بقيادة "إيوان داتشكوف" إلى بلاد القبرطاي تحت ذريعة حماية الأمير تيموروقة من غزوات خانات القرم، إلا أن هدف السلطات الروسية من هذه الحملة كان نشر المسيحية بين القبرطاي وإنشاء مدينة روسية على ضفاف نهر الترك.

**وفي عام ١٥٧٨م،** أنشأ الروس أول قلعة لهم في القفقاس على ضفاف نهر "سونج" والقلعة الثانية عام ١٥٨٨م على ضفاف نهر الترك.

**وفي عامي ١٦٠٤م-١٦٠٥م،** حاولت السلطات الروسية احتلال بلاد الداغستان والشيشان، كما هاجمت "الأديغة" في منطقة الكوبان، إلا إنها فشلت، وأجبرت على التوقف عند موقع "ستافروبول" حالياً.

**وفي عام ١٦١٤م،** جدد أمراء القبرطاي أداء قسم الولاء للإمبراطور "رومانوف".

**وفي عام ١٦٤٥م،** جدد أمراء القبرطاي أيضاً ولاءهم للقيصر الجديد "ميخا لوفيتش".

**وفي الفصل الخامس والأخير من هذا الجزء،** قدمنا دراسة شاملة حول الوقائع والأحداث والحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي، وتضمنت هذه الدراسة الوقائع التالية:

**وقائع ومعارك العقد الأول من القرن الثامن عشر الميلادي،** وأهمها معارك أعوام ١٧٠٥، ١٧٠٧، ١٧٠٨ وهي المعارك التي وقعت بين المقاتلين الشراكسة وجيوش خانات القرم.

**وفي العقد الثاني منه،** جرت ابتداءً من عام ١٧٢٢م، معارك كبيرة بين المقاتلين الشراكسة من القبرطاي والجيش الروسي، وكانت تلك معارك هي البداية الفعلية لحروب الدمار والإبادة الروسية، كما وقعت في نهاية هذا العصر، وبالتحديد في عام ١٧٢٩م، أشرس المعارك مع قوات خانات القرم.

**وفي العقد الثالث منه، وبالتحديد في عام ١٧٣٩م،** اعترفت كل من روسيا وتركيا باستقلال بلاد القبرطاي الكبرى والصغرى، ومنطقة "مزدوك".

**وفي العقد الرابع منه،** حدث تقارب من جديد بين سلطات روسيا القيصرية وبعض أمراء القبرطاي، وحضر "محمد صادق يوسف" ممثلاً عنهم، احتفالات تنصيب الإمبراطورة "إليزابيث" عام ١٧٤٢م.

**وفي العقدين الخامس والسادس من هذا القرن**، حدثت الوقائع والأحداث والحروب التالية:

- حدوث انقسام بين شعب القبرطاي بعد موت الأمير "اينال الكبير".
- انضمام الأمير "كوغرقة" إلى حكومة بطرس بيرج عام ١٧٦٤م.
- لجوء حوالي (٢٠٠) شخص من القبرطاي عام ١٧٦٤ إلى قلعة مزدوك واعتناقهم المسيحية.
- شنَّ قادة القبرطاي المعارضين لشراكسة "مزدوك المسيحية" عدداً من الهجمات عام ١٧٦٥م، أبادوا فيها الوحدات الروسية المتواجدة هناك.
- ارتكب الجنرال "فون ميدم" المرتزق الألماني مجزرة ضد أطفال القبرطاي والسكان العزل من كبار السن.
- رفض قادة كوكبة الفرسان التابعة لفوج "قباردا" في الجيش الروسي المشاركة في حرب ضد قومهم الشراكسة.

**وفي عام ١٧٦٧م**، فشل الاتحاد بين شعوب شراكسة الكوبان مع أهل القرم، كما تم إخضاع شعب القبرطاي بالقوة وإجبارهم على إعلان الولاء رسمياً لقيصر روسيا في عام ١٦٦٩م.

**وكان العقد السابع من القرن الثامن عشر أكثر العقود سوءاً**، من حيث وقائعها وأحداثها وحروبها، حيث قام الجنرال "أوباش" من قادة القالمون بمهاجمة بلاد القبرطاي بقوة تعدادها (٢٠) ألف مقاتل، كما حدث انقسام جديد بين شعب القبرطاي في نفس السنة، كما قامت السلطات الروسية بإنشاء (١٢) حصناً وقلعة جديدة في بلاد القبرطاي بالرغم من مقاومة قادتهم وزعمائهم، كما قامت السلطات الروسية في هذا العقد بتوطين "٤٠٠٠٠" شخص من قبائل النغوي في غرب القفقاس لاستخدامهم في حربهم ضد شراكسة الكوبان، كما تم بناء عشرات المستعمرات الروسية على مساحة قدرها خمسمائة فرسخ في المناطق الواقعة ما

بين نهر الدون ومنطقة مزدوك، نتج عنها قطع الاتصال بين قادة القبرطاي في الغرب، وقادة شراكسة الكوبان في الشمال الغربي منه.

**وفي عام ١٧٧٢م**، وُقّعت معاهدة بين الروس والأتراك تم بموجبها التنازل عن بلاد القبرطاي (الصغرى والكبرى) لروسيا القيصرية بالرغم من أن الشراكسة لم يكونوا تحت حكم العثمانيين في أية مرحلة من مراحل تاريخ العلاقات الشركسية/ التركية.

وربما كان من أكثر الأحداث إيجابية في هذا العقد هو قيام جيش شركسي قوامه (١٤) ألف مقاتل من فرسان شراكسة الغرب بالهجوم على خط الروس الحربي الواقع على نهر الكوبان عام ١٧٧٩م، وتدمير جزء كبير منه.

وكذلك فإن **العقد الثامن من هذا القرن**، كان حافلاً بالأحداث والوقائع والحروب، كان أبرزها:

- قيام الأتراك بتحريض القوقازيين للهجوم على المحطات و"الخطوط العسكرية" الروسية.
- احتلال الروس دولة القرم عام ١٧٨٢م وضمها لأملاك روسيا القيصرية.
- ثورة شعب النغوي على السلطات الروسية.
- نشوب معارك عنيفة في عام ١٧٨٧م بين الجيوش الروسية والمقاتلين الشراكسة من "الأديغة" في مناطق الكوبان استمرت أربعين يوماً.
- مطاردة الشيخ منصور للقوات الروسية بالقرب من "انابا" عام ١٧٨٧م.

وكان آخر معارك هذا العقد هي المعركة التي نفذها الجنرال الروسي "بيتلوف" ضد شراكسة الغرب عام ١٧٨٩م

ومن أحداث **العقد الأخير من هذا القرن**، قيام الجنرال الروسي "كونت" باحتلال قلعة أنابة في يوم ١٧٩١/٦/٢١م، كما أصدرت الإمبراطورة "كاترينا الثانية" مرسوماً يوم ١٧٩٢/٦/٣٠م، تم بموجبه الإستيلاء على مساحات واسعة من

أراضي الشراكسة في شمال وغرب الكوبان في شبة جزيرة "تامان" لإسكان قوزاق البحر الأسود فيها، وارتفع عددهم عام ١٧٩٢م في بلاد الشراكسة من (٢٥) ألفاً إلى (١٠٠) ألف شخص.

**وخصص الفصل السادس والأخير من هذا الجزء،** لدراسة وتحليل أحداث ووقائع الحروب الدامية التي نفّذتها سلطات روسيا القيصرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وخلال الأعوام الممتدة من ١٨٠٠م إلى عام ١٨٦٤م.

وهي الفترة التي نفّذت فيها سلطات روسيا القيصرية أكثر من (١٤١) معركة كبيرة وعلى النحو التالي:

(١٠) معارك خلال الفترة من عام ١٨٠٠م –١٨١٠م.
(٣) معارك خلال الفترة من عام ١٨١١م –١٨٢٠م.
(٥) معارك خلال الفترة من عام ١٨٢٠م –١٨٣٠م.
(١٥) معركة خلال الفترة من عام ١٨٣١م –١٨٤٠م.
(١٠٠) معركة خلال الفترة من عام ١٨٤١م –١٨٥٠م.
(٨) معارك خلال الفترة من عام ١٨٥٠م –١٨٦٤م.

هذا بالإضافة إلى مئات الغارات والغزوات التي استهدفت أهدافاً مدنية من قرى وبلدات، وحقول، وقطعان المواشي، والمساجد في جميع أنحاء بلاد الشراكسة في شرق القفقاس وفي غربه وفي مناطق ما وراء الكوبان.

ويؤكد الباحثون الذين درسوا وقائع وأحداث السنوات الخمسين الأولى من القرن التاسع عشر، وهي الفترة الممتدة من عام ١٨٠٠م إلى عام ١٨٦٤م على ارتكاب جرائم الحرب والأعمال الوحشية في حق بعض شعوب القفقاس عامة والشعب الشركسي ممثلاً بقبائله الثمانية عشرة خاصة، كما أدرك قادة الإمبراطورية

الروسية السياسيون منهم والعسكريون في هذه المرحلة بأن روسيا العظمى بجيوشها الجرارة، وحصونها وقلاعها ومستعمراتها المحصنة، ومعسكراتها المزدحمة بمئات الألوف من الجنود والميليشيات، ومستودعاتها المليئة بأشد الاسلحة فتكاً وتدميرا، في المعارك الحربية التي دارت في القرن الماضي في الانتصار عسكرياً على المقاتلين الشراكسة الذين لا يتجاوز عددهم بضعة آلاف من المسلحين بأسلحة شخصية متواضعة، مثل السيوف والخناجر (القامة) والبنادق قديمة الصنع... مقاتلين لا يوجد لديهم قلاع أو حصون تحميهم، ولا مدفعية تمهّد لهجوم، ولا آليات ومركبات تنقلهم من وإلى المعارك، وكل ما كان لديهم هو الخيول المدربة، تدريباً جيداً، ومقاتلين مؤمنين بعدالة قضيتهم وبحقهم في الدفاع عن وطنهم، وطن الاجداد منذ آلاف السنوات ما قبل الميلاد، حيث تنبه القادة الروس غلى حقيقة مؤكدة ألا وهي أنّ المواجهات العسكرية في ميادين القتال لن تحقق لهم نصراً نهائياً، ولن تمكنهم من الاستيلاء على "الأرض بدون سكان" كما سبق أن خططوا لها.

وبدأ القادة السياسيون منهم والعسكريون، استكمال السياسات والخطط التي بدأ تطبيقها مع نهاية القرن السابع عشر، وهي السياسات التي ركّزت على استخدام أساليب الحرق والتدمير والإتلاف والتهجير القسري، والخداع وبث الأكاذيب وخلق الدسائس والفتن، وفرض الضرائب الباهظة، وقلع الأشجار المثمرة، واستغلال الدين واستخدام الأسرى في أعمال السخرة والاتجار بالنساء المخطوفات بعد اغتصابهن، واستقطاب بعض الأمراء واستقوائهم على الفلاحين الفقراء، بالإضافة إلى تخريب اقتصاد بلاد الشراكسة وتجارتهم والقضاء على كل مظهر من مظاهر المدنية، وكذلك تجويع عامة الشعب بتدمير مخازنهم وحرق وإتلاف مزروعاتهم، وحصار المدنيين من أطفال وشيوخ ونساء ومنع أبسط وسائل الحياة عنهم، وكذلك منع الأدوية الضرورية، مما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض. وغيرها من الوسائل والأساليب الهمجية والوحشية التي استخدموها جنباً إلى جنب مع تنفيذ حوالي

(١٤١) معركة كبيرة ضد الشراكسة، بالإضافة إلى شن مئات الغارات الليلية والنهارية، حتى استطاعوا إنهاء الحرب والاستيلاء على كامل أراضي قفقاسيا عامة وبلاد الشراكسة خاصة، حيث منيت المقاومة الوطنية الشركسية والقوقازية في يوم ١٨٦٤/٥/١١م بهزيمة قاسية في آخر معركة لها، في إقليم "الاديغي"، وتحديداً في موقع "اخجب"، وأعلن بعدها القيصر الروسي في حفل مهيب في موقع بالقرب من "آدار" على الساحل القفقاسي انتهاء الحرب الروسية القفقاسية.

**وفي يوم ١٨٦٤/٥/٢١م:** قامت قوات الجنرال "كيموف" بتمشيط الجبال من ناحيتي الغرب والجنوب، بمحاذاة شواطئ البحر الأسود، ابتداءً من "ناخاراسيك" حتى "طوابسه"، واحتلت القوات الروسية ناحية "آخشيبسكي" وأعالي نهر "فريمتا" ليتأكدوا من أنه لم يبق أحد من المقاتلين الشراكسة الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق، كما أجبرت مقاتلي "الأوبيخ" على إلقاء السلاح وهم آخر قبيلة شركسية في القفقاس الغربي كانت لا تزال تواصل المقاومة، وهكذا انتهت حرب الإبادة والدمار الروسية.

**وفي يوم ١٨٦٤/٦/٢م،** أرسل شقيق القيصر ونائبه في القفقاس "ميشال" إلى القيصر برقية جاء فيها : "**مولاي، يسعدني أن أتقدم من جلالتكم بتهاني الحارة لما آلت إليه نهائياً مجريات الحرب المظفرة في القفقاس، إذ لم تبق عشيرة واحدة إلا وأخضعت اليوم، وفي حضور القوات الروسية مجتمعة، أقيم قداس شكر مهيب احتفالاً بالقضاء على أمة بأكملها**" وهي الأمة الشركسية قليلة العدد والعدة.

**وفي الفصول الخمسة للجزء الثاني من هذا المجلد،** تناولنا بالبحث والتحليل، الأعمال الوحشية والأفعال البربرية وجرائم الحرب التي ارتكبتها السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية الأم.

**ففي الفصل الأول،** استعرضنا الأساليب والأعمال والممارسات والأفعال غير الأخلاقية وغير القانونية التي تعد من جرائم الحرب التي استخدمتها السلطات

الروسية القيصرية في حرب الإبادة والدمار التي نفّذتها ضد الشعوب القفقاسية عامة والأمة الشركسية خاصة، وتوصلنا بأن أكثر هذه الأساليب استخداماً كانت الأساليب التالية:

- الاستيلاء على الأراضي لاستخدامها في بناء القلاع العسكرية وإنشاء الحصون والمحطات والقرى الاستيطانية القوزاقية.
- قتل الأسرى وكبار السن والأطفال والنساء واللجوء إلى سياسة (الأرض المحروقة) من تدمير للقرى الآمنة وإحراق المنازل بمن فيها من سكان، وإتلاف الممتلكات وهدم المساجد على المصلين العزل الشراكسة.
- الاستيلاء على الأراضي الزراعية والمراعي والغابات بهدف القضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية، لدى الأمة الشركسية.
- تجويع السكان وترويع الأطفال والنساء وكبار السن والعزل من الشراكسة.
- الايقاع بين الشعوب الشركسية وقوميات قوقازية أخرى تجاورهم بهدف الانتقام من بعضهم البعض.
- استغلال حاجة الشراكسة لتسويق محاصيلهم الزراعية وثرواتهم الحيوانية وصناعاتهم اليدوية وإجبارهم على التعاون مع السلطات الروسية بحكم الحاجة.
- اللجوء لسياسة تحريض الفلاحين وعامة الشعب للقيام بالانتفاضة ضد الأمراء والنبلاء وخلق صراع طبقي داخل مجتمعات القبائل الشركسية المختلفة.
- إغراء واجتذاب عناصر من شباب الأمة الشركسية للخدمة في جيش روسيا القيصرية بدفع رواتب عالية لهم.
- محاربة انتشار الدين الإسلامي واللجوء لسياسة التبشير للديانة المسيحية داخل المجتمعات الشركسية.

- نشر الأوبئة والأمراض بين السكان والحيوانات والطيور باللجوء للحصار الطويل للقرى وعدم السماح بحرق الجثث والحيوانات النافقة مما أدى إلى تلوث بيئي وانتشار الأوبئة الخطيرة.
- استغلال كبار الكتاب والشعراء الروس وغيرهم من الكتاب المرتزقة في تزييف الحقائق والوقائع عن حياة القوقاز عامة والشراكسة خاصة ونشر الأكاذيب عنهم.
- استخدام أساليب الخداع وتقديم الوعود الكاذبة للأمراء والحكام، والشعوب القوقازية.
- استغلال قسوة الطبيعة وسوء الأحوال الجوية في بلاد القفقاس عامة، وقيامها بشن المعارك الأكثر شدة خلال أشهر الشتاء البارد جداً.

كما قدمنا اقتباسات عن شهادات وكتابات أكثر من (١٧) مؤرخاً، وكاتباً، وقادة عسكريين وأدباء ورحالة من مختلف الجنسيات، وهي شهادات إنما تدل على مدى استخدام السلطات الروسية وقادتهم العسكريين أكثر الأعمال وحشية وبربرية وأبشع الأفعال اللإنسانية وغير القانونية التي تعتبر من جرائم الحرب، يندر أن تكون دول أخرى قد ارتكبتها في حروبها عبر تاريخ البشرية قديماً وحديثاً.

**وفي الفصل الثاني من الجزء الثاني**، ناقشنا السياسات التي اتبعتها السلطات الروسية في بناء القلاع العسكرية وإقامة القرى والمحطات الاستيطانية القوزاقية والروسية، وبينا سياستها الرامية إلى نزع ملكية الأراضي الزراعية والمراعي والغابات والقضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية، وقدمنا نماذج من سياستها في إتلاف المحاصيل الزراعية والرعوية، وكذلك سياستها في القضاء على الثروة الحيوانية والمخزون الغذائي للأمة الشركسية، كما قدمنا أمثلة لسياسة قلع الأشجار المثمرة وغير المثمرة للقضاء على الثروة الحرجية في بلاد الشراكسة.

**وفي الفصل الثالث،** بحثنا في سياسة السلطات الروسية التي ركّزت على قتل الأسرى المقاتلين الشراكسة، والبطش بكبار السن والأطفال والنساء العزل، كما بحثنا في أساليب تجويع الشراكسة وترويعهم بتدمير قراهم وحرقها، والتنكيل بالأبرياء العزل من الشيوخ والأطفال والنساء لا لشيء وإنما لكونهم من القومية الشركسية.

**وفي الفصل الرابع،** تتبعنا أنواع الامراض والأوبئة التي انتشرت في بلاد الشراكسة، وتوصلنا إلى أنّ السلطات الروسية اتبعت سياسة خلق ظروف بيئية مناسبة لانتشار الأمراض والأوبئة مثل الجدري والطاعون بالإضافة إلى انتشار الأوبئة بين الحيوانات في المزارع الشركسية.

**وفي الفصل الخامس من هذا الجزء،** ناقشنا في شيء من التفصيل سياسة التحريض والإغراء ومحاربة انتشار الدين الإسلامي في بلاد الأمة الشركسية وتوصلنا إلى أن الأهداف الرئيسية لاتباع السلطات الروسية مثل هذه السياسات هي:

- خلق صراع طبقي داخل المجتمعات الشركسية وتحريض الفلاحين وعامة الناس للقيام بثورة ضد أمرائهم ونبلائهم وأغنيائهم.
- اجتذاب وإغراء شباب الأمة الشركسية للالتحاق بالخدمة العسكرية الروسية بدفع رواتب كبيرة لهم.
- الايقاع بين شعوب الأمة الشركسية وشعوب قوميات قوقازية مجاورة لهم.
- تقديم وعود وأكاذيب مضللة للأمراء الشراكسة ونبلائهم في حال تعاونهم معهم.
- محاربة انتشار الدين الإسلامي وفرض قيود كبيرة على إداء مناسك الحج والعمرة.

**وخصصنا الفصل السادس والأخير من هذا الجزء من الموسوعة،** للكشف عن سياسة استخدام، واستغلال الكتاب الروس وغير الروس لنشر الأكاذيب حول حقيقة ما كان يدور في بلاد القفقاس من مذابح وإبادة ودمار، وكذلك للكشف عن العمليات التجسسية التي قام بها بعض الرحالة والسياح الأجانب والروس خلال حروب الإبادة، حيث توصلنا إلى حقيقة بأن السلطات الروسية استطاعت تجنيد كبار الكتاب الروس وشعرائهم ومؤرخيهم من أمثال: المؤرخ بيرجيه والكاتب تولستوي، والشاعر بوشكين، بالإضافة إلى العشرات من الكتاب الذين كان يعج بهم البلاط الروسي من الكتاب المرتزقة من مختلف الجنسيات، كما توصلنا إلى أن الأهداف الرئيسية التي هدفت إليها السلطات الروسية من تجنيد هذا الحشد الكبير من الكتاب هو:

**إظهار الشعوب القوقازية التي كانوا يطلقون عليها لقب (الجبليين) بأنهم متوحشون، وكسولون، وغير حضاريين، يعيشون على السلب والنهب وفي نفس الوقت قيامهم بتمجيد الدور الروسي "المزعوم" في جلب الحضارة للقوقازيين غير الحضاريين.**

وفي نهاية الفصل، قدمنا نماذج مما كتبه بعض الكتاب المأجورين وغيرهم من الكتاب الكبار المخدوعين وعلى رأسهم "تولستوي" الذي كتب في بداية حياته الأدبية أكثر من قصة تسيء للقوقازيين عامة والشراكسة خاصة منها قصة "الأسير" إلا أنه تنبه للشرك الذي وقع فيه وأصبح من أكبر المدافعين عن القوقازيين في مراحل لاحقة حيث قام بنشر العديد من المؤلفات الأدبية ينتقد فيها أعمال الروس ووحشيتهم في حروبهم ضد الشعوب القوقازية، ووصفها بأنها أعمال تصل إلى (جرائم لاإنسانية) وكذلك فإن الكاتب "أبراموف" كان أصدق وأعظم كاتب روسي في دحض أكاذيب وأضاليل السلطات الروسية، **بقوله:** "**إننا يجب أن نعترف بأن الأمة الأقل**

**حضارة والأقل حباً للعلم هي الأمة الروسية بالذات" كما أكد في أحد أحاديثه بأن القفقاسي/ الشركسي، يصنع لنفسه أرضاً على الصخور العارية بجهده وبالعرق وبالدم... ويرتبط بأرضه بلهفة وشوق.. وعندما يضطر لترك أرضه ويرحل عن وطنه ويقبل العيش في تركيا حيث الآلام والعذاب، فإن رحيله لا يكون بسبب كسله كما كان الأدباء والكتاب المأجورون يدعون، وعلى رأسهم المؤرخ بيرجيه الروسي.**

**وفي الجزء الثالث من المجلد الثالث،** قدمنا تحليلاً علمياً دقيقاً للتكتيكات العسكرية والسياسية التي استخدمتها الأمة الشركسية في دفاعها عن الأرض في الوطن الأم.

**ففي الفصل الأول منه،** قدمنا شرحاً شاملاً عن التكتيكات العسكرية الدفاعية وعن الأساليب القتالية وفنون الحرب التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في دفاعهم عن الوطن الأم، حيث توصلنا في بحثنا في هذا الموضوع إلى الحقائق التالية:

- الحرص على التعاون العسكري المشترك بين قادة الأمة الشركسية من مختلف قبائلها وشعوبها.
- الحرص على انتخاب القادة العسكريين من قبل ممثلي القبائل الشركسية الذين كانوا يمثلون قبائلهم في الاجتماعات الخاصة باختيار القائد العام ونوابه من العسكريين قبل كل معركة.
- ظهور قادة شراكسة عظام في الوطن الأم وقادوا معارك عديدة وعلى مدى سنوات الحرب والإبادة والدمار الروسية.
- تفوق المقاتل الشركسي بشجاعته ورجولته التي شهد لهما العشرات من المؤرخين والقادة العسكريين من الأعداء والأصدقاء.
- استخدام المقاتلين الشراكسة أساليب عسكرية وتكتيكات حربية في دفاعهم عن وطنهم لم يكن يعرفها غير القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، وهي

حقيقة توصلنا إليها من أقوال أكثر من جنرال روسي منهم "ميليبا خوف" وكذلك من كتابات أكثر من مؤرخ منهم "ارنولدي" و "بيلياياف" في كتابه "الآلام والأحاسيس"، كما توصلنا إلى أبرز التكتيكات العسكرية التي استخدمها القادة الشراكسة في حربهم ضد جيوش روسيا القيصرية والتي تمثلت بالتكتيكات التالية:

١. سرعة القدرة على التعبئة العسكرية لدى القادة الشراكسة.
٢. ابتكار تكتيكات جديدة في احتلال القلاع العسكرية المحصنة باستخدام الأسلحة الشخصية فقط وتتمثل بالهجوم المفاجئ على القلاع من مناطق مختلفة وعلى مجموعات صغيرة.
٣. ابتكار نوعين من الخطط الهجومية، **الأولى:** تتضمن استدراج العدو ثم مهاجمته بقوات صغيرة متفرقة، **والثانية:** وتتضمن مواجهة العدو مباشرة مهما كان عدده وقوته، وهي خطة لم تكن تطبق إلا في ظروف فوق العادة لخطورتها ولتطلّبها الكثير من التضحية بالرجال والمال والعتاد.
٤. قيام الحرفيين والصناعيين الشراكسة بصناعة أسلحتهم وذخائرهم بأيديهم من سيوف وقامات وسهام وبنادق ودروع وملح البارود، ولم يستوردوا من الخارج إلا الأسلحة الأتوماتيكية.
٥. قيام النساء وكبار السن بأدوار بارزة في دعم ومساندة مقاتلي الأمة الشركسية خلال حروب الإبادة والدمار الروسية، حيث كانوا يقومون بجمع الأمتعة والأغذية وتحميلها على الخيل وقيادة الأولاد والماشية إلى الوديان بسرعة فائقة، كما كان بعض النساء اللواتي يتمتعن بقدرات خاصة يشاركن في المعارك مثل البطلة "لاشينقاي" التي هزمت بطل أبطال جيش خانات القرم في المصارعة.

٦. وأما كبار السن فكان دورهم يتمثل في إيقاد النار في المواقد (الونجاق) وإبقائها مشتعلة بعد خروج المقاتلين والنساء والأطفال، وإذا أحسوا بقرب وصول العدو أشعلوا النار في مخازن الحبوب والتبن والهشيم وفروا إلى أقرب غابة، حتى لا يستفيد العدو المهاجم منها.

٧. قيام الفتيان والشبان الصغار بأكثر من دور في الدفاع عن "الأرض والعرض"، حيث كانوا يتدربون على يد المربي المسمى بالشركسية "اتالق" على مختلف الرياضات البدنية الشاقة، وعلى ركوب الخيل والرمي بالقوس والبندقية والمسدس، حتى يصبحوا مستوعبين لفنون القتال، وحتى يصبحوا قادرين على تقديم المساعدة للمقاتلين الكبار في الحروب والغزوات، **وفيما يلي أهم الأدوار التي كان يقوم بها صغار السن:**

- **أدوار مساندة مثل** الاعتناء بخيول المقاتلين والحراسة في القرى.
- مساعدة الأمهات وكبار السن عند حدوث اعتداء عليهم في جمع المواشي وتحميل الأمتعة على العربات والهروب بها لأقرب غابة أو مخبأ.
- مشاركة بعض الفتيان ذوي المهارات والقدرات الخاصة في القتال جنباً إلى جنب مع المقاتلين الكبار كما حدث مع الأمير الفتى "**بش– قوي**" من قبيلة البجدوغ الذي استطاع إسقاط الجنرال المشهور "زاس" من على ظهر حصانه وأخذ حصانه غنيمة له وهو في سن الخامسة عشرة من عمره.

كما توصلنا في بحثنا عن أساليب التكتيك العسكري عند المقاتلين الشراكسة، إلى أنهم كانوا حريصين على مراعاة المسائل الأخلاقية في حربهم وإتاحة الفرص للمقاتلين لأداء الشعائر الدينية خلال المعارك، وعدم ترك شهدائهم وجرحاهم في ساحات المعارك دون عناية، كما كان القادة حريصون كل الحرص على توفير الغذاء المناسب لكل مقاتل، كما كانوا يولون القضايا الاجتماعية كل عناية مثل رعاية الأرامل والشهداء وأطفالهم الأيتام، وكذلك رعاية زوجات وأمهات المقاتلين

الذين كانوا يقضون الأشهر على جبهات القتال، هذا بالإضافة إلى تخليد وتمجيد وتقدير الأبطال الأحياء منهم والأموات بعمل تماثيل لهم ونظم أشعار عن بطولاتهم.

**وفي الفصل الثاني**، ناقشنا أنواع **(التكتيكات السياسية)** التي استخدمها قادة الأمة الشركسية وشعوبها في الدفاع عن الوطن الأم، وتوصلنا إلى حقائق تفيد بأنهم لم يتركوا وسيلة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية إلا واستخدموها في سبيل الحفاظ على وطنهم حراً مستقلاً..، وأن أكثر الأساليب السياسية التي استخدموها كانت على النحو التالي:

- سياسة التعاون مع قياصرة الروس وسلطاتهم العسكرية لأكثر من (٢٠٠) سنة متواصلة، خاصة أمراء شعب القبرطاي منذ أن وقع الأمير "تيمروقة" معاهدة التعاون مع "إيفان الرهيب" عام ١٥٥٧م وحتى أوائل القرن الثامن عشر، وبالتحديد حتى عام ١٧٢٢ ، وهو العام الذي قام فيه الجيش الروسي بالاعتداء على الامة الشركسية فعلاً.
- سياسة انفتاح القادة الشراكسة على العالم الخارجي بحثاً عن دعم عسكري وسياسي واقتصادي، واستجابت كل من انجلترا وفرنسا وتركيا والبولنديين لمطالب الشراكسة بالتدخل في وقف حروب الدمار والإبادة الروسية إلا أنها كانت استجابات لأهداف ومصالح خاصة بكل دولة فيها، باستثناء البولنديين الذين وقفوا مع الشراكسة في حروبهم دفاعاً عن الأرض والعرض مواقف صدق.

كما أن القادة الشراكسة رفعوا في تلك الفترات شعار "**في الوحدة قوة**" وحاولوا خلال فترات حروبهم ضد القوات الروسية تشكيل اتحاد أو وحدة عشرات المرات، كما أنهم عقدوا عشرات الاجتماعات الشعبية من أجل توحيد صفوف المقاتلين وجمع شملهم للوقوف أمام الروس، أشرس عدو في تاريخ الأمة الشركسية منذ عصر الأجداد، وكان أهم هذه الاجتماعات، هو الاجتماع الذي عقد يوم

١٨٦١/٦/١٣م الذي حضره زعماء (١٢) قبيلة شركسية، قرروا فيه تشكيل "اتحاد شعوب ماوراء الكوبان" وتأسيس "مجلس وطني" وانتخاب ممثلي الحكومة المركزية، واعتماد العلم الوطني الشركسي، وهو العلم الذي يتكون من قماش حرير أخضر اللون وعليه ثلاثة أسهم متقاطعة و(١٢) نجمة، تمثل كل نجمة قبيلة من القبائل الشركسية المشاركة بالاتحاد.

**وفي عام ١٨٦٤م،** عقد القادة الشراكسة الاجتماع الوطني الأخير الذي حضره أكثر من أربعة آلاف مقاتل شركسي يمثلون مختلف الطبقات من منطقة ما وراء الكوبان.

وكان هذا الاجتماع آخر اجتماع شركسي يعقد قبل استيلاء سلطات روسيا القيصرية على القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة وإعلان انتهاء الحرب يوم ١٨٦٤/٥/٢١م.

**وفي الفصل الثالث،** تحدثنا بكل شفافية ومصداقية عن بعض الأخطاء والمواقف السياسية السلبية، وعن بعض مظاهر الفتن والأمراض الاجتماعية، وكذلك بعض مظاهر التفكك الاجتماعي التي عاشتها الأمة الشركسية في الوطن الأم، حيث توصلنا إلى أنّ أكثر الاخطاء والسلبيات التي عانت منها بعض المجتمعات الشركسية في بعض المراحل الزمنية قد تمثلت بالأحداث والوقائع التالية:

- حدوث انشقاقات وخلافات بين بعض أمراء الشراكسة في أكثر من مرحلة زمنية.
- خروج بعض الأمراء الشراكسة على القوانين والعادات والتعمد في إحداث بعض مظاهر الشغب، وبث الفتن في بعض المجتمعات الشركسية.
- تعاون بعض الامراء والأفراد من المجتمعات الشركسية مع الأعداء الروس والخدمة في صفوف الجيش الروسي.
- استغلال الفلاحين وعامة الشعب من قبل بعض الأمراء والنبلاء الشراكسة.

- انتشار ظاهرة بيع الأطفال والأسرى والنساء السبايا من الشعوب القوقازية عامة، وهذه الظاهرة وإن لم تكن منتشرة بشكل كبير في بلاد الشراكسة إلا أنها كانت موجودة في زمن الحروب ضد المغول والتتار الذين كانوا يتعمدون بيع المقاتلين الأسرى والسبايا من النساء والأطفال الشراكسة في أسواق النخاسة في كل من تركيا وبعض البلدان العربية.

**وفي الجزء الرابع من هذا المجلد،** تحدثنا عن أعداء وأصدقاء الأمة الشركسية في حروبها ضد الإمبراطورية الروسية القيصرية.

**ففي الفصل الأول منه،** تحدثنا في شيء من التفصيل عن أحداث ووقائع حروب خانات القرم ضد الأمة الشركسية حيث توصلنا إلى أنّ قادة خانات القرم بدعم من السلطات التركية العثمانية قاموا بشن هجمات واعتداءات متواصلة في الأعوام ١٧٠٥م، ١٧٠٧م، وفي عام ١٧١٧م تمكن قادة خانات القرم من احتلال بلاد القبرطاي لعدة سنوات، إلا أن قادة الشراكسة القبرطاي تمكنوا من القضاء على رجال خانات القرم المحتلين عن بكرة أبيهم ولم يبقّ واحدٌ منهم على قيد الحياة، كما عاود خانات القرم بالهجوم على بلاد القبرطاي عام ١٧٢٠م للانتقام من مقتل رجال خانات القرم في عام ١٧١٧م على أيدي قادة القبرطاي، إلا أن المقاتلين الشراكسة بقيادة الأمير "كورغو قوة" تمكنوا من دحر جيش خانات القرم وقتل قائدهم "غوت باشا" استطاع بذلك قادة الشراكسة من وضع حد لاعتداءات خانات القرم في المعركة التي جرت في عام ١٧٢٩م وانتهت بذلك سلسلة اعتداءات خانات القرم إلى الأبد.

**أما بالنسبة للسلطات التركية،** فإنها بعد أن فشلت في احتلال بلاد الشراكسة من خلال دعمها لخانات القرم، تحولت في سياستها للاستيلاء على بلاد الشراكسة من خلال بث جواسيسها أولاً، وعن طريق نشر الادعاءات، الدعايات الدينية المغرضة ثانياً، كما بدأت عمليات التآمر منذ عام ١٨٣٨م عندما تنازلت عن

بلاد القبرطاي للروس في معاهدة أدرنه، وأما التآمر الثاني فكان في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦م عندما ادعى مندوب الأتراك بأنه لاحق لتركيا في بلاد الشركس، وأن تركيا تنازلت عنها بعد معاهدة أدرنة عام ١٨٣٨م. أما المؤامرة الثالثة فكانت أكبر مؤامرات تركيا على الشراكسة، وتتمثل بالاتفاق السري الذي عقدته السلطات التركية مع السلطات الروسية لتهجير من بقي حياً من الأمة الشركسية إلى الولايات التركية.

هذا بالإضافة إلى عشرات المواقف التآمرية التي أوقفها قادة أتراك سياسيون وعسكريون ضد الأمة الشركسية، منها خيانة "بيطال باشا" وهروبه بثمانين كيساً من الذهب ولجوئه إلى الحكومة الروسية.

**وفي الفصل الثاني من هذا الجزء**، تحدثنا عن دور كل من انجلترا وفرنسا في حروب الشراكسة ضد السلطات الروسية خلال السنوات الثلاثين الأخيرة من حروب الأمة الشركسية، فبالرغم من إدعائهما بصداقتهما للأمة الشركسية وتظاهرهما بأنهما قدمتا إلى بلاد الشراكسة بهدف تقديم المساعدات العسكرية، والسياسية، والاقتصادية للشراكسة، فإن الوقائع والأحداث التاريخية أثبتت بأن كل من هاتين الحكومتين لم تكونا صادقتين في وعودهما للشراكسة وأنها لعبتا أدواراً تآمرية كبيرة أدت في النهاية لترك الأمة الشركسية تواجه جحافل الجيوش الروسية القيصرية وحدها، بل أكثر من ذلك فإن مندوبي كل من انجلترا وفرنسا وقفا موقف المعارض لاستقلال بلاد الشراكسة في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦م، وانجلترا مسألة "تشركسيا" مسألة داخلية، يمكن حلها بين الروس والشراكسة، خلافاً للوعود التي سبق أن قدمتها كل من حكومتي انجلترا وفرنسا للقادة الشراكسة في أكثر من مناسبة وفي أكثر من موقف خلال تظاهرهما بتقديم الدعم والمساندة للأمة الشركسية في حروبها ضد الروس.

**وفي الفصل الثالث من الجزء الرابع،** تحدثنا عن الأدوار الوحشية والأعمال البربرية، والأفعال اللاأخلاقية للقوزاق المرتزقة الحليف الرئيس للسلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الشعوب القوقازية عامة، والأمة الشركسية خاصة، حيث كافآتهم السلطات الروسية بتسكين أكثر من (١٠٠) ألف قوزاقي في أفضل وأكثر الأراضي الشركسية خصوبة، كما أنشأت لهم مئات القرى والبلدات بلغ عددها في نهاية عام ١٨٦٥م حوالي (١٧٦) محطة/ قرية.

**أما الفصل الرابع من هذا الجزء،** فقد تم تخصيصه للتحدث عن الدور الإيجابي للبولنديين في دعم ومساندة الأمة الشركسية خلال حروب الإبادة والدمار الروسية، حيث تشير الوقائع التاريخية بأنه كان لهم أكثر من دور في تقديم المساعدات السياسية والإعلامية وفي تسليح وتدريب المقاتلين الشراكسة في حربهم ضد روسيا القيصرية.

**وتم تخصيص الفصل الخامس من هذا الجزء،** للبحث في أدوار أئمة الحركة المريدية من الداغستان والشيشان والقبرطاي من الشراكسة والأنجوش في حروب الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة ضد جيوش روسيا القيصرية، وتوصلنا في بحثنا بأن أكثر أئمة المريدية الذين كان لهم أدوار عسكرية وسياسية ودينية في حروبهم ضد قوات السلطات الروسية هم:

**أولاً – الشيخ منصور،** واسمه الحقيقي "أشورما" وهو شيشاني الأصل من مواليد بلدة "ألدي" في بلاد الشيشان، وكان أول من أعلن الجهاد ضد القوات الروسية الغازية لبلاد القفقاس في عام ١٧٨٣م من منطلق ديني، أحرز نصراً عسكرياً كبيراً إلا أنه هزم في موقعة "تترتوب"، وتفرق بعدها أتباعه من الشعوب القوقازية، ولجأ إلى بلاد الشراكسة "الأديغة" على ساحل البحر الأسود في الغرب، وقاتل الجيوش الروسية بدعم من شراكسة الغرب، وهزمها في أكثر من معركة، وكان آخر معاركه هي المعركة التي نشبت حول قلعة "أنابه" إلا

أن المقاتلين الشراكسة بقيادة الشيخ "منصور" خسروا المعركة نتيجة تخاذل القوات التركية من تقديم الدعم بقيادة الخائن "بيطال باشا" حاكم ولاية "طرابزون" التركية، واضطر "الشيخ" الالتجاء إلى شراكسة الكوبان الذين جهزوا حملة عسكرية وشنوا هجمات كبيرة على قلعة أنابة للمرة الثانية، إلا أن الحملة فشلت أيضاً بفعل خيانة "بيطال باشا" للمرة الثانية، إذ هرب ومعه ثمانون كيس ذهب والتجأ إلى القوات الروسية التي رحبت به، وآوته لسنوات طويلة، ووقع الشيخ "منصور" أسيراً بأيدي قوات الإمبرطورة "كاترينا الثانية" وسجنته، وفي عام ١٧٩٤م وجد مخنوقاً في سجنه بعد أن اختطف خنجراً من أحد حراسه وطعن به أحدهم، وانتهى بذلك تاريخ أول زعيم إسلامي التفت حوله شعوب شمال القوقاز وبدون استثناء.

**ثانياً – الإمام "غازي مولا"**، كان له دور بارز في حرب الإبادة والدمار الروسية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وهو من مواليد بلدة " غيمري" في الداغستان، ويعتبر أول أئمة الحركة المريدية، وتولاها عام ١٨٢٦م وقاد عدة هجمات عسكرية على الأوار أولاً، ثم على القوات الروسية عام ١٨٣٠م، حيث انتصر فيها وعاد ومع (٢٠٠) أسيراً من الروس، وكان آخر المعارك التي خاضها ضد القوات الروسية هي معركة مسقط رأسه بلدة "غيمري" عام ١٨٣٢، حيث استشهد فيها هو وجميع من معه من المقاتلين المريديين باستثناء الشيخ "شامل" الذي استطاع الهروب قبل سقوط البلدة.

**ثالثا – الإمام "حمزات بيك جانقا"**، بعد استشهاد المولا "غازي محمد" أصبح "حمزات" إماماً للحركة المريدية وقائداً عاماً لجيش الخلاص المريدي، وهو من قبيلة الأوار التترية الأصل في الداغستان، إلا أنه ارتكب فظائع كبيرة في حق الشعب الأواري عامة و الأميرة "باخوبتشة" وأولادها خاصة، وانتقم كل

من القائد حاج مراد وأخوه عثمان، لمقتل الأميرة وأولادها وقتلاه مع بعض المريديين التابعين له عام ١٨٣٤م.

**رابعا – دور الإمام شامل في حروب الشعوب القوقازية ضد قوات روسيا القيصرية**، توصلنا من دراسة وتحليل المرحلة الممتدة من تاريخ إعلان الشيخ شامل إماماً للحركة المريدية في عام ١٨٣٤ وحتى تاريخ استسلامه للجنرال الروسي الامير "بارتنسكي" في يوم ٩/آب/ ١٨٥٩م بأن شامل قاد أكثر من (١٨) معركة ضد القوات الروسية من (٤) معارك مع الإمام غازي محمد و(١٤) معركة في عهد إمامته، وكانت نتائجهاعلى النحو التالي:

- انتصر في أربع معارك.
- هرب من أربع معارك.
- عقد هدنة مع الروس بعد معركة خسرها.
- وقع على تعهد بالخضوع للروس بعد معركة خسرها.
- عقد لقاء مع ممثل القيصر الروسي مرة واحدة.
- انسحب من معركة واحدة بعد محاصرته مع قواته.
- سلم ابنه "جمال الدين" كرهينة للروس و عقد هدنة معهم بعد أن خسر معركة.
- وأخيراً استسلم للروس، وعاش في حمايتهم (٢١) عاماً يتقاضى راتباً سنوياً بقيمة (٣٠) ألف روبل.

وتشير الوقائع والأحداث التاريخية بأن الإمام "شامل" كان الإمام الوحيد بين أئمة الحركة المريدية الذين خالفوا المبادئ الأساسية (الستة) للحركة المريدية، كما كانت علاقاته مع نوابه وقادته العسكريين غير ودّية، وإن لم يكن يسمح بظهور قادة أقوياء من بين قادة الحركة المريدية، و كان يتخلص من كل قائد قوي خوفاً من

منافسته على إمامة الحركة المريدية، وكان آخر ضحاياه نائبه "الحاج مراد" الذي حكم عليه بالإعدام سراً، مما اضطره للهروب والوقوع بأيدي الروس الذين قتلوه عندما حاول الهرب منهم.

وتوصلنا في نهاية بحثنا عن أدوار "الإمام شامل" في حروبه ضد قوات روسيا القيصرية بأنها كانت أدوار سلبية أكثر منها إيجابية، وأن بعض المؤرخين يشككون بمصداقيته في جهاده وجديته في حروبه ضد الروس، وأنه لم يكن قائداً "مريدياً" حقيقياً، وإلا كيف يستسلم للروس ويقبل العيش في قصور القياصرة أكثر من (٢١) عاماً بعد أن كان يعتبر ألد أعداء روسيا في حربها ضد الشعوب القوقازية؟؟

**خامساً – أدوار نواب الإمام شامل في بلاد الشراكسة.**

أرسل الإمام شامل "الحاج محمد" نائباً عنه إلى بلاد "الأديغة" في مناطق ما وراء الكوبان لنشر الحركة المريدية بينهم وتجاوب معه عدد من قادة الأبزاخ والشابسوغ والناتخواج، والأوبيخ وبتأثير مباشر منه، اقتحم (٦٠٠٠) مقاتل من الأوبيخ والشابسوغ عام ١٨٤٤ بعض الحصون الروسية في بلاد "الأديغة"، إلا أن موته المفاجئ أضعف موقف المقاتلين الشراكسة، وفي نفس السنة التي توفي فيها "الحاج أحمد" أرسل الإمام شامل "الحاج سليمان" وحل محله في بلاده كنائب لشامل في بلاد "الأديغة"، وفي عام ١٨٤٦م وبعد فشل حملة الإمام شامل على بلاد القبرطاي قام "الحاج سليمان" ببيع نفسه للروس بإعلان خضوعه للسلطات الروسية رافضاً الصراع المسلح ضد روسيا، واختفى في نهاية عام ١٨٤٦م، وتبين أنه اغتيل سراً فيما بعد.

**وفي عام ١٨٤٦م،** وبعد اختفاء النائب "سليمان" أرسل الإمام شامل نائبه الثالث إلى بلاد الشراكسة في منطقة ما وراء الكوبان واسمه "محمد أمين" وقام بأكثر من دور خلال وجوده في بلاد شراكسة "الأديغة" في مناطق ما وراء الكوبان،

خلال الفترة من عام ١٨٤٦م وحتى هروبه واستسلامه للروس عام ١٨٥٩م، وعرض طاعته للقيادة الروسية في تفليس بجورجيا.

**وفيما يلي أهم الأعمال التي قام بها النائب "محمد أمين" في بلاد الأديغة:**

- إدخال مختلف القبائل الشركسية في مناطق الأديغة عامة وقبائل الأبزاخ، والتانخوج، والشابسوغ، والأوبيخ خاصة، وكان من آخر القبائل التي اعتنقت الدين الإسلامي هي قبائل الشابسوغ الجبليين، وقبائل الأوبيخ الذين كانوا مسيحيين من عامي ١٨٤٩م – ١٨٥٠م.
- حاول محمد أمين القيام بأعمال قتالية ضد السلطات الروسية في القفقاس عامة وفي بلاد الأديغة خاصة أكثر من مرة، إلا أنه لم ينجح في أي هجوم عسكري، خاصة هجومه على قلعتي "نحوسيتا وتينغيسكرية".
- ترأس "محمد أمين" وفداً مكوناً من (٧٠) أميراً شركسياً ودعي من قيادة الحلفاء في حرب القرم للذهاب إلى "فارنا" للتباحث حول الأعمال العسكرية والسياسية المشتركة التي يمكن اتخاذها ضد السلطات الروسية.
- أنشأ "محمد أمين" العديد من المحاكم الإسلامية في بلاد الأديغة عامة وفي منطقة ما وراء الكوبان خاصة، وتكونت كل محكمة من ممثلين اثنين عن كل شعب من القبائل الأربعة، وهي المحاكم التي كلفت للقيام بمهام التقاضي بين الناس أولاً ولجمع الضرائب من الشعب ثانياً، وتنظيم الدفاع عن البلاد ثالثاً.

**وفي عام ١٨٥٩م،** طلبت السلطات العثمانية التركية من "محمد أمين" الذهاب إلى استانبول لتحديد حجم وطبيعة المساعدات العسكرية التي يحتاجها لمواجهة الحشود الروسية في بلاد الشراكسة، وما أن وصل استانبول ألقي القبض عليه بطلب من السفارة الروسية، ونفي إلى دمشق، وخُصّصت له خمسة آلاف ليرة تركية كراتب شهري، إلا أنه استطاع الهروب والعودة إلى مناطق الابزاخ في

القفقاس، إلا أنه وبعد وصوله إلى مقر إقامته في منطقة الأبزاخ من منفاه في دمشق سلم نفسه لأقرب موقع لقيادة الجيش الروسي الكائنة على نهر "صحة – قوشحة" ومعه (٢٤) من أتباعه المريديين وسافر من هناك إلى مدينة "تفليس" في جورجيا، وعرض طاعته للحاكم الروسي العام في جورجيا وبلاد القفقاس مثلما فعل إمامه الشيخ شامل قبله بشهر واحد.

وأما بالنسبة للنائب "الحاج مراد" الذي ينتمي في أصله إلى قبائل "الأوار" في الداغستان، وظل حليفاً للروس حتى عام ١٨٤٠م، ثم هرب من بلاده في الداغستان وانضم إلى قيادة "شامل" بعد أن علم بأن السلطات الروسية تخطط لإلقاء القبض عليه نتيجة وشاية من أمير الداغستان "أحمد خان" وأصبح من أقوى نواب شامل، كما أصبح من أعظم القادة العسكريين في الحركة المريدية.

وقاد "حاج مراد" خلال الفترة من تاريخ انضمامه لقيادة "شامل" في عام ١٨٤٠م وحتى استشهاده عام ١٨٥٢ أكثر من سبع معارك كبيرة ضد القوات الروسية، كان النصر حليفه في ست معارك منها، إلا أن نجاحه في معاركه وبطولاته العسكرية فتحت أعين الحساد عليه فقاموا بالوشاية عنه لدى "الإمام شامل" الذي قرر التخلص منه لأنه أصبح يهدد مركزه الديني في الحركة المريدية، وأصدر حكما يقضي بإعدامه، إلا أن "الحاج مراد" استطاع الهروب والالتجاء لأقرب قيادة روسية بعد أن تحفظ الشيخ شامل على زوجته وأولاده كرهائن، إلا أنه اختلف مع الروس للمرة الثانية وقرر الهروب منهم إلا أنهم تنبهوا لخطته وحاصروه هو ومن معه من أتباعه واستشهد بعد أن قتل من الروس العشرات في يوم ٨/نيسان/ ١٨٥٢م، وهكذا انتهت حياة فارس من أشجع فرسان حروب الشعوب القوقازية ضد السلطات الروسية التي امتدت ولأكثر من مائة وخمسين سنة بشكل متواصل.

**وفي الجزء الخامس من المجلد الثالث من الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية**، قمنا بدراسة وبحث أنواع الهجرات والوضع الديمغرافي (السكاني) للأمة الشركسية، وكذلك دراسة أنواع المآسي وفظائع الجرائم، ووحشية عمليات التهجير عامة والتهجير القسري التي ارتكبت في حق المهجرين، كما بحثنا في المواقف البطولية للأمة الشركسية وقادتها والتي تمثلت في رفضهم الهجرة أو التهجير لسنوات طويلة إلا أن تآمر السلطات العثمانية التركية وتواطؤ بعض قادة الإنجليز والفرنسيين مع السلطات الروسية القيصرية، وتنفيذ المخططات السرية التي سبق أن تم الاتفاق عليها مع القيادات الروسية خلال وبعد مؤتمر باريس عام ١٨٥٦م، نتج عن كل ذلك قيام الروس بطرد ونفي وتشريد وتهجير أكثر من ٢,٥ مليون شركسي واقتلاعهم بالقوة من أرضهم بعد أن تم سلب ممتلكاتهم، وقتل واستشهاد أكثر من مليون ونصف المليون خلال حروبهم ضد الاوار وخانات القرم وروسيا القيصرية المدعومة بالقوزاق التي امتدت من منتصف القرن السادس عشر الميلادي إلى عام ١٨٦٤م وهو العام الذي انتهت فيه حروب الإبادة والدمار الروسية.

وفي بحثنا حول أنواع الهجرات والتهجير القسري للقوقازيين عامة والشراكسة خاصة توصلنا إلى أنهم انتشروا في مختلف أنحاء العالم ابتداءً من عصور ما قبل الميلاد وحتى أوائل القرن العشرين لأكثر من سبب وبأكثر من وسيلة وطريقة، وأن أهم أنواع الهجرات التي توصلنا إليها كانت على النحو التالي:

**أولاً – هجرات ما قبل الميلاد:**

- هجرة الباسك والأتروسك .
- هجرة السومريين إلى بلاد الرافدين (العراق).
- هجرة بعض القبائل الشركسية إلى أعالي نهر النيل في صعيد مصر.

**ثانيا – نقل أسرى الحرب والأطفال المسروقين من الشعوب القوقازية إلى مصر:**

**الفوج الأول**، وبدأ استقدامهم في عهد صلاح الدين الأيوبي في عام ١١٧١م وهم الذين شكلوا "الدولة البحرية" عام ١٢٥٠م، وتناوب على الحكم فيها (٢٨) ملكاً وسلطاناً (٢٤) منهم من أصل شركسي.

**الفوج الثاني**، وبدأ استقدامهم في عهد "الدول البحرية" وهم الذين شكلوا الدولة البرجية الشركسية في عام ١٣٨٢م وامتد حكمهم حتى عام ١٥١٧م وتناوب على الحكم فيها (٢٤) ملكاً وسلطاناً منهم (٢٢) من أصل شركسي.

**الفوج الثالث**، وتم استقدامهم في عهد الدولة البرجية، وهم الذين عُرفوا بالشراكسة الوافدين، وكانوا من أقارب ملوك وسلاطين الدولة البرجية.

**الفوجان الرابع والخامس**، وتم استقدامهما خلال حكم العثمانيين لمصر في القرنين السادس والسابع عشر الميلادي، وعلى شكل أفواج صغيرة أو على شكل أفراد من الأطفال والكبار، وهم الذين شكلوا مع أبناء وأحفاد شراكسة الدولة البرجية والبحرية في مصر "**طبقة الأمراء والبكوات**" والذين أطلق عليهم في عهد الحكم العثماني لقب "**بكوات مصر**" والذين كانوا الحكام الفعليين للديار المصرية خلال فترة حكم العثمانيين التي امتدت ما بين ١٥١٧م إلى عام ١٨١١م.

**وأما الفوج السادس والأخير**، فهم الشراكسة الذي استقدمهم الخديوي اسماعيل صغاراً وفتياناً من الشراكة المهجرين قسراً إلى تركيا عام ١٨٦٤م، وأرسلهم للمدارس الحربية، وأصبحوا من كبار ضباط مصر في عهد حكم العلويين ابتداءً من حكم محمد علي الكبير وانتهاءً بحكم الملك فاروق.

**ثالثا – الهجرات والتهجيرالقسري إلى تركيا والبلاد العربية:**

توصلنا في بحثنا حول وقائع وأحداث الهجرة والتهجير القسري إلى تركيا وبعض البلدان العربية إلى الحقائق التالية:

**الحقيقة الأولى:** بدأت الهجرات الفردية الطوعية إلى تركيا عام ١٥٦٠م واستمرت هجراتهم الطوعية حتى منتصف القرن التاسع عشر، وبالتحديد حتى عام ١٨٥٠م.

**الحقيقة الثانية:** بعد معاهدة باريس في عام ١٨٥٦م بدأت عمليات طرد الشراكسة ونفيهم الجماعي إلى الولايات التركية، واستمرت تلك العمليات حتى عام ١٨٦٤م تم خلالها طرد ونفي مليون ونصف المليون فرد، ومات الباقي خلال وبعد عمليات التهجير.

**الحقيقة الثالثة:** استمرت عمليات التهجير القسري إلى الولايات التركية على شكل مجموعات أصغر حتى أوائل القرن العشرين.

**الحقيقة الرابعة:** أعيد تهجير الشراكسة الذين بقوا أحياءً بعد حرب البلقان (التركية/ الروسية) في عامي(١٨٧٧م – ١٨٧٨م) إلى أقصى جنوب تركيا وإلى البلاد العربية تنفيذاً لمعاهدة "برلين" الموقعة بين الروس والأتراك والتي نصت صراحة على طرد الشراكسة من البلقان إلى مناطق تبعد ألف كيلو متر على الأقل عن حدود روسيا ودول البلقان.

**وفي الفصل الثاني من هذا الجزء،** توصلت لإحصائيات تقديرية لعدد الشراكسة في العالم وفي الوطن الأم وهي التقديرات التي تشير بأن عددهم ما بين (٤٧٨٩٠٧٧ إلى ٥٨٠٠٧٤١) نسمة يعيشون في (٤٥) دولة (جمهورية/ منطقة) موزعة على القارات الخمسة.

**وفي الفصل الثالث منه،** قدمنا دراسة علمية موثقة حول جرائم عمليات التهجير القسري للأمة الشركسية، توصلنا فيها بأن عمليات التهجير قد بدأت منذ عام ١٨٥٧م وانتهت عام ١٩١٢م، كما توصلنا من استعراض شهادات عشرات المؤرخين، والكتاب، والرحالة، والقناصلة الأجانب بأن جرائم لا إنسانية قد ارتكبت بحق المهجرين الشراكسة. (قبل وخلال وبعد تهجيرهم إلى الولايات التركية).

**كما توصلنا إلى أن أكثر الأسباب والعوامل التي أدت إلى موت هذا العدد الكبير منهم هي:**

- انتشار الأوبئة والأمراض السارية بين المهجرين (خلال وبعد التهجير) مع غياب وسائل العلاج.
- حدوث مجاعات بين عشرات الألوف من المهجرين.
- قسوة العوامل المناخية من ثلج، وجليد، وأمطار، ورياح، وعواصف نتج عنها موت آلاف الاطفال، وكبار السن، والضعاف المرضى.
- حدوث نقص في المياه خاصة للمهجرين براً.
- حدوث حالات إغراق/ غرق البواخر التي نقلت المهجرين الشراكسة عبر البحار إلى الولايات التركية.
- حدوث حالات اختناق على ظهر البواخر وغرق البواخر نتيجة تحميل أكثر من خمسة أضعاف حمولتها المقررة أصلاً من الركاب.
- حدوث حالات إرهاق شديد بين الشراكسة المهجرين براً خاصة الأطفال وكبار السن وضعاف البنية منهم، وهي الحالات التي نتجت بعد قطع آلاف الأميال بالعربات والخيول وأحياناً مشياً على الأقدام.
- استشهاد أو قتل الآلاف من الشراكسة المهجرين الذين تم تجنيدهم للقتال مع الجيش الروسي في حرب البلقان خلافاً لقوانين الهجرة التي نصت على عدم تجنيدهم قبل مرور (١٢) سنة.
- استشهاد أو موت آلالاف من الشراكسة المهجرين بعد استيطانهم في مختلف مناطق تركيا، والبلدان العربية، نتيجة حدوث صدامات مسلحة مع المواطنين الأصليين في تلك المناطق.

**وفي الفصل الرابع والأخير من هذا الجزء،** تناولنا بالبحث والتحليل مقاومة الشراكسة لعمليات التهجير القسري ورفضهم ترك بلادهم وقدمنا نماذج عديدة من المواقف الرافضة لعمليات التهجير بشهادة عشرات من الجنرالات والقادة العسكريين، وكذلك بشهادة الكتاب والمؤرخين والرحالة والقناصل الأجانب الذين واكبوا عمليات تهجير الأمة الشركسية.

وهي مواقف تتمثل بمدى تمسك الشراكسة زعماء، وقادة ، وعامة الناس بأرضهم ووطنهم الأم، وكان من أكثر المواقف الرافضة للتهجير هو الموقف الذي ذكره مؤلف كتاب "دوي الرعد" بعد وصفه لمشهد حدث على شاطئ البحر الأسود بقوله: "لاحظت بأن مجموعة كبيرة من الجبليين (الشراكسة) كانوا مستلقين على الأرض ووجوههم إلى الشمس أي إلى الشرق قبل موتهم...، وإن امرأة عجوزاً أعادت المنديل على وجهها قائلة: "**دعونا نموت هنا بسلام**" إشارة إلى تفضيل هذه الجماعة من الشراكسة الموت على الاستسلام للروس أو ترك أرضهم والرحيل عنها".

**والله الموفق**

المؤلف

# فهرس أجزاء
# المجلد الثالث

حروب الأمة الشركسية منذ فجر التاريخ وهجراتها

أجزاء المجلد الثالث

**الجزء الأول:**
**الأمم والشعوب والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر ما بعد الميلادي** ١٢٩-٢٥٦

**الجزء الثاني:**
**الأعمال الوحشية، وبربرية السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية.** ٢٥٧-٢٣٢

**الجزء الثالث:**
**التكتيكات العسكرية والسياسية للأمة الشركسية في دفاعها عن استقلال الوطن.** ٣٣٣-٥٤٢

**الجزء الرابع:**
**أصدقاء وأعداء الأمة الشركسية في حروبها ضد روسيا القيصرية.** ٥٤٣-٦٦٦

**الجزء الخامس:**
**مآسي وجرائم عمليات التهجير القسري للأمة الشركسية والمواقف الشركسية الرافضة لها.** ٦٦٧-٧٨٣

# فهرس

# فصول الجزء الأول

# في

# المجلد الثالث

# فهرس
## فصول الجزء الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| فصول الجزء الاول | **الفصل الأول:** القبائل والشعوب والأمم التي اعتدت على الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال تاريخها الممتد من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر بعد الميلاد | ١٢٩-١٤٢ |
| الشعوب والأمم والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر ما بعد الميلاد | **الفصل الثاني:** التعريف بخلاصة وقائع وأحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال الفترة الممتدة من القرن السابع ما قبل الميلاد وحتى القرن السادس ما بعد الميلاد. | ١٤٣-١٥٢ |
| | **الفصل الثالث:** وقائع وأحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة ما بين القرن السابع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي. | ١٥٣-١٧١ |
| | **الفصل الرابع:** وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي. | ١٧٣-١٨٢ |
| | **الفصل الخامس:** وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي | ١٨٣-٢٠٨ |
| | **الفصل السادس :** وقائع وأحداث حروب الدمار والابادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصرية ضد الامة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي. | ٢٠٩-٢٥٦ |

# فهـــرس

## الموضوعات الرئيسية في

## فصول الجزء الأول من

## المجلد الثالث

## فهرس
## موضوعات الفصل الأول

الجزء الأول

الفصل الأول

الشعوب والأمم والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر الميلادي


| | الصفحة |
|---|---|
| تمهيد | ١٣٠ |
| * الحقيقة الأولى: | ١٣٠ |
| * أسماء القبائل والشعوب والأمم التي اعتدت على الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال تاريخها الممتد من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر ما بعد الميلاد وأهمها: | ١٣١ |
| * الحقيقة الثانية: | ١٣١ |
| (١) قبائل السكيت المتوحشة في القرن السابع قبل الميلاد. | ١٣١ |
| (٢) قبائل القوط والهون التي اعتدت على الأمة الشركسية خلال القرون الممتدة من القرن الأول وحتى القرن الرابع ما بعد الميلاد. | ١٣٢ |
| (٣) شعوب الخزر وقبائل الاوار ومجموعات توغرت التي غزت بلاد الشراكسة في الفترة الممتدة من القرن السادس حتى القرن الحادي عشر الميلادي. | ١٣٢ |
| (٤) المغول والتتار الذين غزوا بلاد الشركس خلال الفترة الممتدة من الثلث الأول من القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن الرابع عشر الميلاد. | ١٣٣ |
| * الحقيقة الثالثة: | ١٣٤ |
| أول احتكاك عسكري للشراكسة مع الروس | ١٣٤ |
| * الحقيقة الرابعة: | ١٣٤ |
| أول صدام بين الشراكسة والروس | ١٣٥ |
| الحقيقة الخامسة: | |
| المرحلة الاولى : | ١٣٥ |
| * مرحلة تفتح اطماع قياصرة روسيا في احتلال بلاد القفقاس. | ١٣٥ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول

الجزء الاول

الفصل الأول

الشعوب والأمم والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر الميلادي


| | الصفحة |
|---|---|
| * اتفاقية تعاون بين الامير تيموروقة والامبراطور ايفان الرهيب عام ١٥٥٧. | ١٣٦ |
| * انشاء اول مدينة روسية على ضفاف نهر الترك في بلاد الشراكسة عام ١٥٦٣. | ١٣٦ |
| * انشاء أول قلعة على ضفاف نهر "تسونج" والقلعة الثانية عام ١٥٨٩ | ١٣٦ |
| المرحلة الثانية: | |
| وهي مرحلة بدء تنفيذ خطة استيلاء الروس على بلاد القفقاس "ارض بلا شعب" وتمثلت بالوقائع والأحداث التالية: | ١٣٧ |
| * قيام بطرس الأكبر بأول حملة عسكرية على بلاد الشراكسة يوم ١٧٢٢/٧/٢٧. | ١٣٧ |
| * كشف النقاب عن التقرير السري الروسي حول الأهداف الحقيقية والذي تضمن الاستيلاء على قفقاسيا. | ١٣٧ |
| * ابرز الاعمال العدوانية التوسعية للسلطات الروسية في هذه المرحلة التي استمرت قرنا كاملا. | ١٣٨ |
| المرحلة الثالثة: | ١٤٠-١٤٢ |
| وهي المرحلة الممتدة من ١٨٠٠م إلى ١٨٦٤م وتم فيها تنفيذ (١٥٣) معركة كبرى إضافة إلى مئات الغزوات والغارات على اهداف مدنية في بلاد الشراكسة. | |

## فهرس
## موضوعات الفصل الثاني


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الأول | تمهيد | ١٤٣ |
| | * وقائع وأحداث اعتداءات قبائل السكيت على أجداد الشراكسة. | ١٤٤-١٥٢ |
| | * اعتداءات قبائل الهون/ الهان. | ١٤٧ |
| الفصل الثاني | – الاسطورة الشركسية "النسر" الذي حمل طفلا ملفوفا "بالخرق". | ١٤٧ |
| | – اعتداءات قبائل "الهون" بقيادة الملك آتيك ملك الهون | |
| | – هزيمة جيوش "الهون" عام ٤٥٤م. | ١٥٠ |
| وقائع وأحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة الممتدة من القرن السابع ما قبل الميلاد وحتى القرن السادس ما بعد الميلاد. | * حروب قبائل القوط / القوت | ١٥٠ |
| | – مقتل ثمانية من اولاد الامير "داو – Dao " | ١٥٠ |
| | – احتلال جيوش "القوط /القوت" لبلاد الشراكسة عام ٤٤٦. | ١٥١ |
| | – قضاء القوط على امبراطورية البسفور اليونانية. | ١٥١ |
| | – مقتل (٨٠) اميرا ونبيلا وقائدا شركسيا. | ١٥١ |

## فهرس
## موضوعات الفصل الثالث


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| | تمهيد | ١٥٤ |
| | * وقائع واحداث حروب القرن السادس الميلادي. | ١٥٤ |
| الجزء الأول | | |
| | – قتل الأمير الشركسي لاورستان " لرسل "الاوار" | ١٥٥ |
| | – احتلال "الاوار" لبلاد القبرطاي وتخريب الأرض، وقتل السكان، واتلاف الزرع والهروب عُزلا إلى الجبال. | ١٥٥ |
| | – تسمية الوادي الذي قتل فيه الامير "لاورستان" ومقاتلوه "حدريخه نموك أي طريق الآخرة أو الطريق إلى "جهنم". | ١٥٥ |
| الفصل الثالث | | |
| | – أغاني رثاء "غبزة" نظمها الشعراء تمجيدا للابطال الشراكسة وتجسيدا لشدة وقوة المعارك مع الأوار. | ١٥٧ |
| | * وقائع واحداث وحروب القرن العاشر الميلادي. | ١٥٩ |
| وقائع واحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة من القرن السادس الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي | | |
| | – اصل الخزر ومنشؤهم. | ١٦٠ |
| | – علاقات دولة الخزر مع شعوب قفقاسية. | ١٦١ |
| | – هزيمة قادة دولة الخزر على يد المقاتلين الشراكسة في المعركة الاولى. | ١٦١ |
| | – وقوع الأمير "الجوقة" اسيرا بيد قوات دولة الخزر. | ١٦١ |
| | – قصيدة الأسير "الجوقة" | ١٦٢ |
| | – وقائع المعركة الثانية مع جيوش دولة الخزر. | ١٦٢ |
| | – وقائع المعركة الثالثة مع جيوش دولة الخزر. | ١٦٣ |
| | – أغنية "رديديا" تمجيدا لبطولة العملاق الشركسي "رديديا" | ١٦٣ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثالث


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الاول | * وقائع واحداث الحروب من القرن الثالث عشر الميلادي | ١٦٣-١٦٩ |
| | – استراتيجية قادة القبرطاي في حربهم مع جيوش "التورغوت" اجداد "القالموق" | ١٦٣ |
| | – نجدة القبائل الشركسية الأخرى للمقاتلين القبرطاي وارسالهم مقاتلين إلى ساحة المعارك للقتال ضد جيوش "التورغوت" | ١٦٧ |
| الفصل الثالث | – انتصار المقاتلين القبرطاي المدعومين من مقاتلي القبائل الشركسية الأخرى على جيوش "التورغوت" في موقع اسمه "قاج طاو" | ١٦٧ |
| | – قصائد شعرية تصف بطولة المقاتلين الشراكسة في معركة "قاج طاو" | ١٦٦ |
| | – تجدد المعارك مع جيش جنكيز خان عام ١٢٢٢م. | ١٦٧ |
| | – اتفاق قادة "القبجاق" سرا مع قادة المغول. | ١٦٧ |
| وقائع واحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة من القرن السادس الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي | – وصول نجدة كبيرة من مقاتلي الشابسوغ والابزاخ بقيادة الأمير "شوه لوخ" وبدء هجوم معاكس على جيوش المغول. | ١٦٨ |
| | – انسحاب جيوش المغول من ساحة المعارك ومغادرة بلاد القفقاس. | ١٦٨ |
| | – انشاء دولة "الجيش الذهبي" المغولية. | ١٦٨ |
| | – تعرض المقاتلين الشراكسة إلى خسائر فادحة على يد قوات تيمورلنك التتري عام ١٣٩٦ في موقعة "تترتوب" | ١٦٨ |
| | – قيام المقاتلين الشراكسة بطرد قوات تيمورلنك خارج بلاد الشراكسة عام ١٣٩٨. | ١٦٩ |
| | – مراجع ومصادر الفصلين الثاني والثالث من الجزء الأول | ١٧٠-١٧١ |

## فهرس
## موضوعات الفصل الرابع

الصفحة

الجزء الأول

الفصل الرابع

وقائع واحداث وحروب القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي


- بداية الاطماع الروسية في بلاد القفقاس. ١٧٤
- اتفاقية التعاون المشترك بين القبرطاي بزعامة الامير تيمروقة والروس بقيادة القيصر "ايفان الرهيب" ١٧٧
- نقض الروس لاتفاقية التعاون مع الأمير تيمروقة. ١٧٨
- موت الاميرة "ماريا" بنت تيمروقة "زوجة القيصر إيفان الرهيب" ١٧٩
- أول تغلغل للروس إلى بلاد القبرطاي عام ١٥٥٧م. ١٧٩
- اقامة اول قلعة للروس على نهر الترك في بلاد القبرطاي عام ١٥٧٨، وثاني قلعة عام ١٥٨٨. ١٧٩
- بدء الاعمال العسكرية الروسية الأولى عام ١٦٠٤، ١٦٠٥ وتوقفها عند نهر الترك. ١٨٠
- اعلان امراء القبرطاي الطاعة والولاء للقيصر الجديد رومانوف ١٨٠

## فهرس
## موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الاول | * وقائع واحداث حرب الابادة والدمار التي شنتها خانات القرم وروسيا القيصرية على الشعوب القفقاسية عامة والامة الشركسية خاصة خلال القرن الثامن عشر وهي على النحو التالي: | ١٨٥ |
| | * وقائع واحداث حروب القرن الثامن عشر الميلادي | ١٨٥ |
| الفصل الخامس | * وقائع واحداث العقد الأول من القرن الثامن عشر الميلادي:<br>– معركة عام ١٧٠٥ ضد جيوش خانات القرم<br>– معركة عام ١٧٠٧ هزيمة قوزاق الترك.<br>– معركة عام ١٧٠٨ وتم فيها رد جيوش خانات القرم. | ١٨٥ |
| وقائع واحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي | * وقائع واحداث حروب العقد الثاني من القرن الثامن عشر<br>– البداية الفعلية لحروب الابادة والدمار الروسية (يوم ١٧٢٢/٧/٢٧)<br>– معاودة خانات القرم بالهجوم على امارة القبرطاي عام ١٧٢٩. | ١٨٦ |
| | * وقائع واحداث العقد الثالث من القرن الثامن عشر<br>– اعتراف روسيا وتركيا باستقلال مناطق القبرطاي الكبرى والصغرى ومنطقة مزدوك في ١٧٣٩/٩/١. | ١٨٨ |
| | * وقائع واحداث العقد الرابع من القرن الثامن عشر<br>– حدوث تقارب من جديد بين السلطات الروسية وامراء القبرطاي ابتداء من عام ١٧٤٠م. | ١٨٨ |
| | – مشاركة "محمد صادق يوسف" ممثلا عن امراء القبرطاي في احتفالات تنصيب الامبراطورة "اليزابيث بيترونا" عام ١٧٤٢م. | ١٨٩ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الأول | * وقائع واحداث العقد الخامس من القرن الثامن عشر | ١٨٩ |
| | – انقسام شعب القبرطاي بعد موت الامير ينال. | |
| الفصل الخامس | * وقائع واحداث العقد السادس من القرن الثامن | ١٩٠ |
| | – انضمام الامير كوغرفة إلى بطرس برغ عام ١٧٦٣. | ١٩٠ |
| | – انضمام ما يقرب (٢٠٠) شخص من القبرطاي إلى قلعة مزدوك واعتناقهم الديانة المسيحية عام ١٧٦٤. | ١٩٠ |
| | – شن الحزب المعارض من القبرطاي للوجود الروسي في مزدوك سلسلة من الهجمات وأوبيدت وحدات روسية حتى آخر رجل فيها عام ١٧٦٥. | ١٩٠ |
| وقائع واحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي | – مجزرة الجنرال "مون ميدم" المرتزق الالماني ضد السكان الشراكسة عامة والاطفال خاصة | ١٩١ |
| | – رفض كوكبة الفرسان التابعة لفوج "قباردى" المشاركة في حرب ضد قومهم الشراكسة. | ١٩٢ |
| | – فشل الاتحاد بين شعوب شراكسة الكوبان مع أهل القرم والتتار عام ١٧٦٧. | ١٩٢ |
| | – اخضاع شعب القبرطاي بالقوة واجبارهم على اعلان الولاء رسميا لقيصر روسيا عام ١٧٦٩. | ١٩٢ |
| | – قيام الجنرال "اوباش" احد قادة "القالموق" بمهاجمة بلاد القبرطاي بقوة تعدادها (٢٠) الف مقاتل عام ١٧٤٢. | ١٩٤ |
| | – انقسام شعب القبرطاي إلى حزبين نتيجة حدوث خلاف بين ابناء الامير ينال. | ١٩٥ |

## تابـــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الأول / الفصل الخامس / وقائع واحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي | – انشاء (١٢) حصنا جديدا على الحدود الجنوبية الفاصلة بين بلاد القوقاز وروسيا القيصرية. | ١٩٥ |
| | – وقائع واحداث العقد السابع من القرن الثامن عشر | ١٩٧ |
| | – مطالبة شعب القبرطاي بهدم قلعة مزدوك عام ١٧٧١. | ١٩٧ |
| | – تجاوب الامبراطورة كاترينا الثانية لمطالب شعب القبرطاي. | ١٩٧ |
| | – توطين (٤٠٠٠٠) شخص من قبائل النغوي غرب القفقاس واستخدامهم في حربهم ضد الشراكسة. | ١٩٩ |
| | – بناء المستعمرات السكانية الروسية، بطول خمسمائة "فرسخ" في المنطقة الواقعة ما بين نهر "الدون ومنطقة مزدوك". | ١٩٩ |
| | – منع شراكسة كباردى الكبرى من الاتصال بشراكسة الكوبان وكباردى الصغرى. | ٢٠٠ |
| | – توقيع معاهدة "أدرنة" بين السلطات الروسية والسلطات العثمانية عام ١٧٧٢. | ٢٠٠ |
| | – تنازل السلطات العثمانية للسلطات الروسية عن بلاد القبرطاي الصغرى والكبرى الشركسيتين . | ٢٠٠ |
| | – قرار امراء القبرطاي القيام بحملة عسكرية للاستيلاء على حصن "باولوفسكايا" عام ١٧٧٨م. | ٢٠٢ |
| | – قيام جيش شركسي بقيادة كل من "ميسوستوقة" وقانشاوقوة يضم (١٤) الف مقاتل من الفرسان الشراكسة الغربيين بالهجوم على خط الروس الحربي الواقع على نهر الكوبان عام ١٧٧٩. | ٢٠٣ |
| | * احداث ووقائع وحروب العقد الثامن من القرن الثامن عشر الميلادي | ٢٠٣ |
| | – قيام الحكومة العثمانية ببناء قلاع على ساحل الاسود عام ١٧٨١ منها قلعة "أنابا" | |

## تابـــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الاول | – قيام باشاوات العثمانيين في قلعة "انابا" بتحريض القوقازيين للهجوم على المحطات والخطوط العسكرية للجيش الروسي. | ٢٠٣ |
| | –قيام الروس باحتلال دولة القرم عام ١٧٨٢، واصبحت جزءا من املاك الامبراطورية الروسية وهروب سكانها إلى تركيا وإلى بلاد القوقاز المجاورة | ٢٠٥ |
| | – ثورة شعب "النغواي" على السلطات الروسية وانهاء تحالفهم معها. | ٢٠٥ |
| الفصل الخامس | – نشوب معارك عنيفة بين القوات الروسية بقيادة الجنرال المرتزق "تيكيلي" والقوات الشركسية "الاديغة" استمرت "اربعين يوما" في منطقة الكوبان ١٧٨٧م. | ٢٠٦ |
| | – مطاردة القائد الشيشاني الشيخ منصور "اوشرما" لقوات القائد "تيكلي" على ساحل البحر بالقرب من "انابا" وانسحابها إلى الجبال عام ١٧٨٧م | ٢٠٦ |
| وقائع واحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي | – مهاجمة الجنرال الروسي "بيبكوف" مقاطعة "الاديغة" بجيش قوامه (٨) الاف عام ١٧٨٩، لم يعد منهم سوى (١٥٠٠) مقاتل. | ٢٠٦ |
| | * وقائع واحداث وحروب العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي | ٢٠٧ |
| | – احتلال الجنرال الروسي "كونت" قائد القوات الروسية في مناطق الكوبان قلعة "انابا" في ١٧٩١/٦/٢١م | ٢٠٧ |
| | – صدور مرسوم من الامبراطورة "كاترينا" الثانية في ١٧٩٢/٦/٣٠ بمنح مساحات واسعة من أراضي شمال غرب الكوبان في شبه جزيرة "تامان" وحتى مصب نهر "لابا" لاسكان قوراق البحر الاسود. | ٢٠٧ |
| | – ارتفاع عدد القوزاق في بلاد الشراكسة من (٢٥) الفاً إلى (١٠٠) الف قوزاقي مع نهاية عام ١٧٩٢. | ٢٠٨ |
| | – مراجع ومصادر الفصلين الرابع والخامس من الجزء الأول | ٢٠٨ |

# فهرس
## موضوعات الفصل السادس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الأول | | |
| الفصل السادس | | |
| وقائع وأحداث حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصيرية ضد الأمة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي | * تمهيد | ٢١٠-٢١٤ |
| | * وقائع واحداث وحروب العقد الأول من القرن التاسع عشر. | ٢١١ |
| | - عام ١٨٠٠ تدمير قرية الأمير بوجو واستشهاد (٢٠٠) مقاتل شركسي وجرح (٣٠٠) آخرين وأسر المئات من اهالي القرية والاستيلاء على (١٠٠٠) رأس من مختلف أنواع المواشي والخيل. | ٢١١ |
| | - عام (١٨٠١) بناء (٤٤٢) محطة (قرية) وربطها بعشرات القلاع والحصون العسكرية الروسية في بلاد الشراكسة في حوض نهري الكوبان والترك بطول ١٥٠٠كم أطلق عليها خط القفقاس العظيم | ٢١٢ |
| | - عام ١٨٠٤ بدء الصراع المسلح الواسع في بلاد القبرطاي بانتفاضة مسلحة واسعة اشتركت فيها شعوب القفقاس المجاورة مثل الاستين، والشيشان والانغوش والبلقار والقراشي وطالبوا بتدمير القلاع الروسية | ٢١٢ |
| | - يوم ٩/ايار من عام ١٨٠٤ كانت بداية وقوع عدة معارك بين المقاتلين القبرطاي والقوات الروسية ادت إلى احراق وتدمير (١٢) قرية شركسية | ٢١٢ |
| | - في يوم ٢٠/ايلول عام ١٨٠٤ وكذلك نشوب معركة كبيرة بقيادة خمسة من اغنياء الشراكسة وعدد كبير من الامراء القبرطاي لرد العدو الروسي عن أراضيهم أدت إلى استشهاد (٤٠٠) مقاتل بالإضافة إلى استشهاد (٤٠) نبيلا و (٢) من الامراء الشراكسة. | ٢١٣ |
| | - عام ١٨٠٥ قيام القوات الروسية إحراق وتدمير العديد من القرى الشركسية، وإحاطة بلاد القبرطاي بحلقة من المخافر ونقاط الحراسة لمنع الدخول والخروج منها. | ٢١٣ |
| | - عام ١٨٠٥ أيضاً حدوث مجاعة لعدم توفر الغذاء عامة والخبز خاصة عند شعب القبرطاي واستسلام القادة ونزوح الفلاحين القبرطاي إلى مناطق شراكسة الكوبان. | ٢١٣ |
| | - عام ١٨٠٦ وقوع الحرب الروسية / التركية وقيام الروس باحتلال قلعة "انابة" عام ١٨٠٧م. | ٢١٤ |
| | - عام ١٨١٠ واصلت القوات الروسية حربها ضد شعب القبرطاي تم فيها تدمير حوالي (٢٠٠) قرية شركسية، واحراق ٩٠٨٥ منزلا و (١١٠) مساجد وحرق (١٠٣٠) رأس بقرة ومصادرة (٥١٥٥٥) بقرة حية والاستيلاء على | ٢١٤ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل السادس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الأول | (٥١٥) حصانا ونهب ما يقارب (١٠٤) أطنان من العسل الأحمر و (٩٥) طناً من العسل العادي، وكذلك الاستيلاء على (١٤٢٠) عربة وعلى عدد كبير من الأسلحة بالإضافة إلى سرقة (٢٩٠٠) روبل فضة من بيوت الشراكسة. | |
| | * وقائع وأحداث حروب العقد الثاني من القرن التاسع عشر | ٢١٥-٢١٨ |
| الفصل السادس | – عام ١٨١١ إرسال عريضة من زعماء الشراكسة إلى الامبراطور الاسكندر الاول. | ٢١٥ |
| | – رد الامبراطور على مطالب زعماء الشراكسة. | ٢١٥ |
| | – عام ١٨١٢ وقوع الحرب الروسية التركية وتوقيع معاهدات بوخرست حيث عادت بموجبها مناطق (الأديغة) في ما وراء الكوبان إلى التبعية التركية دينيا | ٢١٥ |
| وقائع وأحداث حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصيرية ضد الأمة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي | – وفي الفترة ما بين (١٨١٢-١٨١٦) اجتياح العديد من القرى الشركسية المسالمة وغير المسالمة. | ٢١٧ |
| | – في ١٨١٨/١/٢٠ أرسل حكام شعب القبرطاي وفدا كبيرا إلى القيصر اسكندر الثاني. | ٢١٧ |
| | – في عام ١٨١٩ قيام عملاء الأتراك إثارة الشراكسة وإقناعهم بشن هجوم على القوات الروسية. | ٢١٨ |
| | * وقائع واحداث العقد الثالث من القرن التاسع عشر | ٢١٨-٢٢٢ |
| | – عام ١٨٢١ قيام القوات الروسية بالاستيلاء على الثروة الحيوانية لشعب القبرطاي. | |
| | – في ١٨٢٤/٥/٣ قيام القوات الروسية بهجوم مفاجئ على القرى المسالمة في منطقة القبرطاي وامتلاء شوارعها بالجثث ونهب مخازن التموين فيها. | ٢١٨ |
| | – في الأعوام ١٨٢٢-١٨٢٥م قامت القوات الروسية بشن هجوم على قرى شراكسة الكوبان ونكلوا بأهلها من شيوخ ونساء وأطفال وهروب من بقي حيا إلى المناطق المجاورة. | ٢١٨ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل السادس

الصفحة


الجزء الأول

الفصل السادس

وقائع وأحداث حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصيرية ضد الأمة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي

- في عام ١٨٢٦ أعلن عدد كبير من الشراكسة عن رغبتهم في العيش بسلام مع الروس شريطة عدم قيام الروس بأية أعمال عدائية ضدهم. ٢١٩
- في شهر آب عام ١٨٢٦ عقد زعماء الشابسوغ والناتخواج اجتماعا عاما، ورفضوا فيه البيعة للسلطان العثماني ودفع الضرائب له. ٢٢٠
- في شهر أيار من عام ١٨٢٧ قطع الشراكسة الطرق البرية المؤدية إلى قلعة "إنابة" التابعة للعثمانيين. ٢٢٠
- في شهر تشرين الأول من عام ١٨٢٧ دعا زعماء الأبزاخ إلى اجتماع كبير وقرروا رفض التبعية للعثمانيين الأتراك كما رفضوا دفع الضرائب لهم. ٢٢٠
- في عام ١٨٢٨ حاولت كل من السلطات التركية استمالة فلاحي الاديغة من شراكسة ما وراء الكوبان وإعطاء الوعود لتحريرهم من تبعية الأمراء والنبلاء. ٢٢١
- عودة منطقة الكوبان كمسرح للاعمال القتالية عام ١٨٢٨م. ٢٢٢
- سقوط قلعة "انابة" التركية بأيدي الروس في ١٨٢٨/٦/١٢ ٢٢٢
* وقائع واحداث وحروب العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي ٢٢٢-٢٢٧
- في عام ١٨٣١ استيلاء الجيوش الروسية على "غلنجيك" ومنع الاتصال بين مقاتلي الناتخوج والشابسوغ. ٢٢٢
- في ١٨٣٣/٥/٢٠ وضع الجنرال "ويليامينوف" خطة جديدة للتعامل مع القوقازيين. ٢٢٣
- في عام ١٨٣٤ احتلت القوات الروسية ساحل البحر الأسود بقوة تعدادها (١٤٠٠٠) مقاتل روسي. ٢٢٣
- في عام ١٨٣٨تمكن الروس من احتلال "شابسوقة" الواقع جنوب "طوايسة" وكان رد المقاتلين الشراكسة تدمير مستعمرة روسية في منطقة "انابة"، وأسر خمسمائة جندي روسي فيها. ٢٢٤
- في عام ١٨٣٩ حدثت ثلاث معارك رئيسية عنيفة استمرت لأكثر من ١٢ شهراً. ٢٢٤
- وصف الاميرال "باكوف" للمعارك الرئيسية الثلاثة. ٢٢٥

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل السادس

الجزء الأول

الفصل السادس

وقائع وأحداث حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصيرية ضد الأمة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي


| | الصفحة |
|---|---|
| * وقائع واحداث وحروب العقد الخامس من القرن التاسع عشر | ٢٢٧-٢٣٥ |
| – معارك شهري شباط واذار من عام ١٨٤٠. | ٢٢٧ |
| – معارك صيف عام ١٨٤٠ وهي: | ٢٢٨ |
| – معارك بكاترليندرا / قالشخوة، – معركة شاشين، – معركة حافطس كلنجك | ٢٢٨ |
| – معركة بشات، | ٢٢٨ |
| – معارك عام ١٨٤١ وهي: | ٢٢٩ |
| – معركة شهر نيسان، معركة شهر تشرين الثاني | ٢٣٢ |
| – عام ١٨٤٣ أبدى أمير القبرطاي "محمد انزور" استعدادا للتعاون مع الشيخ شامل. | ٢٣٢ |
| – عام ١٨٤٤ ثار شعب القبرطاي على الروس المحتلين لبلادهم | ٢٣٢ |
| – في عام ١٨٤٤ حدوث معركة كبيرة بين مقاتلي الأوبخ والشابسوغ وطرد القوات الروسية من حصنين كبيرين. | ٢٣٣ |
| – في عام ١٨٤٦ حدوث معارك حربية في منطقة خط التحصينات الروسية | ٢٣٣ |
| – في عام ١٨٤٨ وصل "محمد أمين" نائب الشيخ شامل إلى بلاد شراكسة الكوبان بهدف نشر المذهب المُريدي. | ٢٣٣ |
| –في عام ١٨٤٦ارسل الشيخ شامل رسالة تهديد ووعيد لأمراء القبرطاي | ٢٣٤ |
| –في عام ١٨٤٧ فشل الجنرال "فورد نتشوف" في الاستيلاء على موقع "غرنجيل" | ٢٣٥ |
| – في عام ١٨٤٨ سقوط موقع غرنجيل بعد حصار دام (٢٢) يوما | ٢٣٥ |
| * احداث ووقائع وحروب العقد السادس من القرن التاسع عشر | ٢٣٦-٢٤٢ |
| – محاولة الروس عزل بلاد الشراكسة عن الأتراك وقطع كل صلة بينهما | ٢٣٦ |
| – في عام ١٨٥١ تشكيل وحدة قومية من (١٢) قبيلة شركسية | ٢٣٧ |
| – أسباب وأهداف حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) بين دول التحالف الثلاثي (تركيا، انجلترا، فرنسا) وبين قوات السلطات الروسية. | ٢٣٧ |
| – وقائع وأحداث حرب القرم بين التحالف الثلاثي وروسيا (١٨٥٣-١٨٥٦) | ٢٣٨-٢٤٢ |
| – في عام ١٨٥٦ قيام انتفاضة فلاحي البزادوغ. | ٢٤٢ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل السادس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الأول | – وقائع مؤتمر باريس لعام ١٨٥٦م والذي تم فيه تنازل كل من تركيا وفرنسا وانجلترا عن المطالبة باستقلال تشركسيا كما كان مقررا قبل قيام حرب القرم | ٢٤٣-٢٤٧ |
| | * وقائع وأحداث وحروب السنوات الأخيرة من حرب الإبادة والدمار الروسية للأمة الشركسية في الوطن الأم | ٢٤٨-٢٥٤ |
| الفصل السادس | – تركيز القوات الروسية القيصرية هجماتها على شراكسة "الاديغة" في منطقة ما وراء الكوبان في عام ١٨٦٠. | ٢٤٨ |
| | – شن القوات الروسية هجمات متعددة من قواعدها العسكرية في "اتاكوما وآبين" | ٢٤٨ |
| | – وقائع وأحداث معارك ١٨٦٠. | ٢٤٨ |
| | – وقائع وأحداث معارك ١٨٦١. | ٢٤٨ |
| | – عرض القادة السياسيين الروس خياراً من اثنين على قادة وزعماء الشراكسة عام ١٨٦٢ هما: | ٢٤٩ |
| وقائع وأحداث حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصرية ضد الأمة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي | – (الاستسلام والهجرة إلى تركيا أو الهلاك والإبادة الجماعية) | ٢٥١ |
| | – في يوم ١٨٦٤/٤/١٩ قيام القوات الروسية بإحراق قرى الاوبيخ. | ٢٥١ |
| | – في يوم ١٨٦٤/٥/١١ وقوع آخر معركة بين القوات الروسية ومقاتلي شراكسة الاوبيخ انتهت بهزيمة قاسية في وادي "فرز" وفي موقع "اخجب" | ٢٥٢ |
| | – في يوم ١٨٦٤/٥/٢١ انتهاء حرب الإبادة والدمار التي نفذتها روسيا ضد الشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة. | ٢٥٢ |
| | – في يوم ١٨٦٤/٦/٢ أرسل شقيق القيصر ونائبه في بلاد القفقاس برقية هنأ فيها القيصر بالنصر المظفر للقوات الروسية على الأمة الشركسية | ٢٥٢ |
| | – في يوم ١٨٦٥/١/٩ أرسل الجنرال "اولشيفسكي" تقريرا جاء فيه بأن الجانب الشركسي للخليج لم يعد يوجد فيه سوى معسكرات المهجرين ومقابر على امتداد خمسة فراسخ. | ٢٥٢ |
| | خارطة بالمناطق التي احتلتها السلطات الروسية القيصرية خلال الفتـــرة (١٧٦٢-١٨٦٤) | ٢٥٤ |
| | * مراجع ومصادر الفصل الثاني من الجزء الأول من المجلد الثالث. | |
| | * فهرس الفصل الثالث من الجزء الأول من المجلد الثالث. | ٢٥٥-٢٥٦ |

# فصول الجزء الثاني

# في

# المجلد الثالث

# فهرس

## فصول الجزء الثاني

فصول الجزء الثاني

الأعمال الوحشية والأفعال البربرية وجرائم الحرب التي ارتكبتها السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية


| | الصفحة |
|---|---|
| **الفصل الأول: شهادات حول وحشية وبربرية السلطات القيصرية الروسية في حروبها ضد الأمة الشركسية.** | ٢٥٩-٢٧٦ |
| **الفصل الثاني: سياسة الاستيلاء على أراضي القوقازيين عامة والأمة الشركسية خاصة.** | ٢٧٧-٢٨٨ |
| **الفصل الثالث: سياسة قتل الأسرى الشراكسة وكبار السن والأطفال والنساء، واسلوب تجويع الشراكسة وترويعهم.** | ٢٨٩-٢٩٦ |
| **الفصل الرابع: سياسة خلق ظروف بيئية مناسبة لانتشار الأمراض والأوبئة، واستغلال قسوة الطبيعية والحاجة لتسويق المحاصيل الزراعية لدى الأمة الشركسية.** | ٢٩٧-٣٠٦ |
| **الفصل الخامس : سياسة التحريض والخداع وأسلوب الدس والايقاع والاغراء ومحاربة انتشار الدين الإسلامي في بلاد الشراكسة.** | ٣٠٧-٣١٨ |
| **الفصل السادس: استغلال كبار الكتاب لنشر الأكاذيب، واستخدام الجواسيس لاكتشاف الطرق والممرات البرية ورسم خرائط طبوغرافية لبلاد الامة الشركسية.** | ٣١٩-٣٣٢ |

# فهـــرس

## الموضوعات الرئيسية في

## فصول الجزء الثاني من

## المجلد الثالث

## فهرس
## موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| | تمهيد | ٢٦٠ |
| الجزء الثاني | * نماذج من الأعمال الوحشية والهجمات العسكرية والبربرية والأفعال اللاإنسانية التي ارتكبتها القوات الروسية حسب شهادات المؤرخين. | ٢٦١-٢٧٤ |
| الفصل الأول | (١) شهادة المؤرخة الفرنسية "كارول جين" عام ١٨٩٩. | ٢٦٣ |
| | (٢)شهادة ك.أ بورود الاستاذ الحقوقي في دائرة القفقاس ١٨٩٦-١٩٢٨ وقوازه روسلان | ٢٦٤ |
| | (٣) شهادة الشاعر الروسي الكبير ليرمنتوف. | ٢٦٥ |
| شهادات حول وحشية وبربرية السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية | (٤) شهادة اللفتننت الروسي رايفسكي. | ٢٦٦ |
| | (٥) شهادة فون فيل مؤلف كتاب السنة الأخيرة لحروب الشراكسة | ٢٦٦ |
| | (٦) شهادة الشاعر الروسي "بوشكين" | ٢٦٦ |
| | (٧) شهادة "الجنرال كراندوك" | ٢٦٨ |
| | (٨) شهادة الكاتب الصحفي الروسي "ليجوس" عام ١٩٠٤. | ٢٦٨ |
| | (٩) شهادة جريدة القفقاس عام ١٨٣٤. | ٢٦٩ |
| | (١٠) شهادة الكاتبة الشركسية "رايا مامخيغ". | ٢٧٠ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الثاني

الفصل الأول

شهادات حول وحشية وبربرية السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية

(١١) مقارنة أحد المؤرخين المعاصرين للأحداث الوحشية في البوسنة والهرسك في حرب يوغسلافيا بوحشية جيوش روسيا والقيصرية ضد الأمة الشركسية. ٢٧٠

(١٢) شهادة أحد المؤرخين الروس حول سياسة "الأرض المحروقة" التي اتبعتها الجيوش الروسية في بلاد الشراكسة. ٢٧٠

(١٣) شهادة "أ. م بكمان" حول ارتكاب الطوابير العسكرية الروسية أبشع الجرائم لأتفه الأسباب. ٢٧١

(١٤) شهادة "مامخيغ" حول الاجراءات التعسفية التي ارتكبها الروس والقوزاق المحتلين ضد الشراكسة الذين بقوا أحياء في وطنهم كهدم قراهم، وسرقة أملاكهم، وتمليكها للضباط الروس. ٢٧٢

(١٥) شهادة مؤلف كتاب "لمحات عن تاريخ القفقاس" حول النساء والأطفال من الشراكسة الذين كانوا أكثر الفئات معاناة وهلاكا خلال حروب الابادة والدمار الروسية. ٢٧٢

(١٦) شهادة الجنرال "يرملوف" حول تدمير واحراق مئات من القرى الشركسية بسكانها الاحياء ٢٧٣

(١٧) شهادة "الكونت بوتشي" في كتابه حول مجزرة الاطفال التي ارتكبها الجنرال "فون ميدم" الألماني الأصل والقائد "اوباش" من تتار القالموق لم يشهد التاريخ مثيلاً لها. ٢٧٤

## فهرس
## موضوعات الفصل الثاني


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الثاني | تمهيد | ٢٧٨ |
| | سياسة بناء القلاع العسكرية وإنشاء الحصون وإقامة القرى الاستيطانية القوزاقية الروسية. | ٢٧٩-٢٨٨ |
| الفصل الثاني | سياسة نزع ملكية الأراضي الزراعية والمراعي والغابات، والقضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية. | ٢٨٥ |
| | * نماذج من سياسة اتلاف المحاصيل الزراعية والرعوية. | ٢٨٦ |
| السياسات التي استخدمتها السلطات الروسية في بناء القلاع والمحطات الاستيطانية والاستيلاء على الأراضي وتخريب الثروتين الزراعية والحيوانية للأمة الشركسية | * نماذج من سياسة القضاء على الثروة الحيوانية والمخزون الغذائي لدى الشراكسة. | ٢٨٧ |
| | * نماذج من سياسة قلع الأشجار المثمرة وغير المثمرة. | ٢٨٨ |

الجزء الثاني

الفصل الثالث

سياسة قتل الأسرى، وكبار السن والأطفال والنساء العزل، وأسلوب تجويع الشركس وترويعهم

## فهرس
## موضوعات الفصل الثالث


| | الصفحة |
|---|---|
| * سياسة قتل الأسرى وكبار السن والاطفال والنساء | ٢٩٠ |
| * سياسة تدمير القرى وحرقها. | ٢٩١ |
| * سياسة تجويع سكان القرى الشركسية وترويع الأطفال والنساء وكبار السن | ٢٩٣ |

## فهرس
## موضوعات الفصل الرابع

الجزء الثاني

الفصل الرابع

سياسة خلق ظروف بيئية مناسبة لانتشار الأمراض والأوبئة واستغلال قسوة الطبيعة والحاجة لتسويق المحاصيل الزراعية.


| | الصفحة |
|---|---|
| (١) سياسة خلق ظروف بيئية مناسبة لانتشار الأوبئة والأمراض | ٢٩٨ |
| * مراحل وفترات انتشار الأوبئة والأمراض بين صفوف الشراكسة | ٢٩٩ |
| * اسباب انتشار الأوبئة والأمراض بين شعوب الأمة الشركسية. | ٣٠١ |
| (٢) سياسة استغلال قسوة الطبيعة وسوء الاحوال الجوية في بلاد القفقاس خلال وقوع المعارك. | ٣٠٢ |
| (٣) سياسة محاربة تسويق المنتوجات الزراعية والحيوانية والصناعية. | ٣٠٤ |
| (٤) أهداف وغايات السلطات الروسية من تقوية العلاقات التجارية مع الشراكسة في الوطن الأم خلال سنوات حرب الإبادة والدمار الروسية. | ٣٠٤ |

## فهرس
## موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الثاني / الفصل الخامس / سياسة التحريض والخداع وأسلوب الدس والايقاع والإغراء ومحاربة انتشار الدين الإسلامي في بلاد الشراكسة | (١) سياسة تحريض الفلاحين وعامة الشعب الشركسي للقيام بثورة ضد أمرائهم ونبلائهم. | ٣٠٨ |
| | (٢) سياسة إغراء واجتذاب عناصر من شباب الأمة الشركسية للخدمة في الجيش الروسي القيصري. | ٣٠٨ |
| | (٣) سياسة الدس للايقاع بين الشعب الشركسي وشعوب وقوميات قوقازية مجاورة لهم. | ٣١٠ |
| | (٤) سياسة الخداع وتقديم الوعود الكاذبة للأمراء والنبلاء الشراكسة. | ٣١١ |
| | (٥) سياسة محاربة انتشار الدين الإسلامي واللجوء لسياسة التبشير للديانة المسيحية داخل المجتمعات الشركسية المسلمة بهدف إعادة تنصيرهم. | ٣١٣ |
| | (٦) الكشف عن النوايا الحقيقية للسلطات الروسية القيصرية بعد تحقيق انتصارات عسكرية | ٣١٥ |
| | (٧) سياسة إعادة التنصير والتعميد. | ٣١٧ |

## فهرس
## موضوعات الفصل السادس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الثاني | تمهيد | |
| | (١) سياسة استخدام كبار الكتاب الروس لنشر الاكاذيب | ٣٢٠ |
| الفصل السادس | * استخدام الكاتب الروسي "تولستوي" | ٣٢١ |
| | * استخدام الشاعر الروسي الكبير "بوشكين" | ٣٢٣ |
| | * استخدام المؤرخ الروسي "بيرجية" | ٣٢٤ |
| سياسة استقطاب كبار الكتاب لنشر الاكاذيب واستخدام الجواسيس لاكتشاف الطرق والممرات البرية ورسم خرائط طوبوغرافية لبلاد الأمة الشركسية | * كتاب روس موضوعيين يفندون اكاذيب الكتاب الروس المأجورين مثل "محمد وف، حاشاييف، قومتيوف" | ٣٢٥ |
| | * رد الكاتب الروسي "أبراموف" في كتابه القوقازيون الشراكسة على ادعاءات الكتاب الروس المأجورين. | ٣٢٥ |
| | (٢) سياسة استخدام الجواسيس في تحقيق انتصارات عسكرية وسياسية. | ٣٢٨ |
| | مراجع ومصادر فصول الجزء الثاني من المجلد الثالث | ٣٢٩-٣٣٢ |

# فصول الجزء الثالث

# في

# المجلد الثالث

# فهرس
## فصول الجزء الثالث


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| فصول الجزء الثالث | **الفصل الأول: التكتيكات العسكرية الدفاعية للمقاتلين الشراكسة** | ٣٣٥-٣٩٠ |
| | **الفصل الثاني: التكتيكات السياسية للقادة الشراكسة** | ٣٩١-٤٢٤ |
| التكتيكات العسكرية والسياسية للأمة الشركسية في دفاعها عن الأرض والوطن الأم | **الفصل الثالث: سلبيات وأخطاء الأمة الشركسية** | ٤٢٥-٤٤٦ |
| | **الفصل الرابع: عظماء وقادة الأمة الشركسية عبر العصور المختلفة** | ٤٤٧-٥٤٢ |

# فهـــرس

## الموضوعات الرئيسية في

## فصول الجزء الثالث من

## المجلد الثالث

## فهرس
## موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| | تمهيد | ٣٣٧-٣٤٠ |
| الجزء الثالث | الحقيقة الاولى: التعاون العسكري بين قادة وشعوب الأمة الشركسية | ٣٤٠ |
| | الحقيقة الثانية: انتخاب القيادات العسكرية الميدانية | ٣٤١ |
| الفصل الأول | الحقيقة الثالثة: ظهور قادة شراكسة عظام خلال سنوات الحرب | ٣٤٣ |
| | الحقيقة الرابعة: تفوق المقاتل الشركسي وتميزه بالشجاعة والرجولة | ٣٤٥ |
| | الحقيقة الخامسة: الامراء والنبلاء والاحرار كانوا في مقدمة المقاتلين الشراكسة | ٣٥١ |
| التكتيكات العسكرية الدفاعية والأساليب القتالية وفنون الحرب التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في دفاعهم عن الوطن والمواطن | الحقيقة السادسة: استخدام المقاتلين الشراكسة فنون وأساليب قتالية لم يكن يعرفها غير القوقازيين. | ٣٥١ |
| | الحقيقة السابعة: صمود المقاتلين الشراكسة امام الجيوش القيصرية الروسية المسلحة بأسلحة ثقيلة اكثر من ١٥٠ عاما باستخدام اسلحة شخصية متواضعة مصنوعة محليا. | ٣٦١ |
| | الحقيقة الثامنة: الدور البارز لكبار السن والنساء الشركسيات في دعم ومساندة المقاتلين الشراكسة | ٣٦٥ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الثالث / الفصل الأول / التكتيكات العسكرية الدفاعية والأساليب القتالية وفنون الحرب التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في دفاعهم عن الوطن والمواطن | الحقيقة التاسعة: الدور البارز للفتيان والشباب غير البالغين في دفاع الشراكسة عن الأرض والعرض. | ٣٧٠ |
| | الحقيقة العاشرة: قيام القادة العسكريين منهم والسياسيين بتوفير الخدمات اللوجستية، وتهيئة جميع الاجواء الانسانية للمقاتلين الشراكسة. | ٣٧٦ |
| | الحقيقة الحادية عشرة: حرص الشراكسة على تمجيد وتخليد وتقدير الأبطال الذين سجلوا بطولات قتالية خارقة | ٣٨٣ |
| | الحقيقة الثانية عشرة: اتباع القادة الشراكسة الاساليب والطرق المناسبة لاخفاء المواشي، وحفظ المخزون من المواد التموينية في اماكن بعيدة عن اعين الاعداء الروس. | ٣٨٤ |
| | الحقيقة الثالثة عشرة: معالجة القادة الشراكسة استهداف الاعداء الروس للاطفال والنساء والشيوخ وغيرهم من غير القادرين على حمل السلاح والدفاع عن انفسهم. | ٣٨٥ |
| | الحقيقة الرابعة عشرة: استخدام الشراكسة ملابس عسكرية خفيفة وانيقة مناسبة لطبيعة القتال في الغابات وفي الجبال . | ٣٨٦ |
| | مراجع ومصادر الفصل الأول في المجلد الأول من الجزء الثالث | ٣٨٨-٣٩٠ |

# فهرس
## موضوعات الفصل الثاني

الجزء الثالث

الفصل الثاني

التكتيكات السياسية التي اتخذها قادة الأمة الشركسية وشعوبها في الدفاع عن ارض الوطن ضد الغزاة الأعداء


| | الصفحة |
|---|---|
| تمهيد | ٣٩٢ |
| (١) سياسة التقارب مع قياصرة الروس وسلطاتهم العسكرية والمدنية وتمثلت بالمظاهر التالية: | ٣٩٤-٣٩٩ |
| – توقيع أول معاهدة تعاون بين القيصر ايفان الرهيب والأمير تميروقة عام (١٥٥٧)م. | ٣٩٤ |
| – اداء قسم يمين الولاء للقيصر ميخائيل رومانوف عام ١٦١٤. | ٣٩٥ |
| – أداء قسم يمين الولاء للقيصر فيخاليوفيتش عام ١٦٤٥م. | ٣٩٦ |
| – محافظة أمراء القبرطاي على أداء يمين الولاء لكل القياصرة حتى عام ١٧٢٢م. | ٣٩٦ |
| – قيام بعض امراء القبرطاي استرضاء الامبراطورة كاترينا الثانية عام ١٧٧١م. | ٣٩٧ |
| – تذكير الامبراطور الاسكندر الأول بالاتفاقيات والمعاهدات الموقعة مع القياصرة الروس منذ عهد ايفان الرهيب. | ٣٩٨ |
| – محاولات قادة وشعوب الأمة الشركسية الأخيرة في العيش بسلام مع سلطات روسيا القيصرية في الفترة (١٨٢٨م – ١٨٦٣م) | ٣٩٩ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثاني

الجزء الثالث

الفصل الثاني

التكتيكات السياسية التي اتخذها قادة الأمة الشركسية وشعوبها في الدفاع عن ارض الوطن ضد الغزاة الأعداء


| | الصفحة |
|---|---|
| (٢) سياسة انفتاح قادة الأمة الشركسية على العالم الخارجي بحثا عن دعم عسكري وسياسي واقتصادي بهدف تحقيق أهداف: | ٤٠١ |
| – سياسية واعلامية. | ٤٠٢ |
| – عسكرية. | ٤٠٣ |
| – اقتصادية وتجارية. | ٤٠٣ |
| * الدول التي استجابت لسياسة الانفتاح: | ٤٠٤ |
| – انجلترا | |
| – فرنسا | |
| – تركيا | |
| – بولندا | |
| – دول اوروبية أخرى | |
| (٣) سياسة التوحد والاتحاد ورفع شعار في (الوحدة قوة) للأمة الشركسية منذ عصر الاجداد في فجر التاريخ. | ٤٠٥-٤١٢ |
| – الاتحادات والدول التي تشكلت في الوطن الام خلال العصور ما قبل الميلاد . | ٤٠٦ |
| – الاتحادات والدول والحكومات التي تشكلت في الوطن الأم خلال القرون الاولى ما بعد الميلاد. | ٤٠٧ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثاني


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الثالث | – الاتحادات والدول والحكومات التي تشكلت في الوطن الأم خلال الفترة ما بين القرن العاشر وحتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي. | ٤٠٨ |
| | – الاتحادات والدول والحكومات التي تشكلت في الوطن الأم خلال الفترة ما بين ١٧٨٣م – ١٨٦٣م. | ٤٠٩ |
| الفصل الثاني | * سياسة التشاور والتنسيق وتوحيد مواقف الشعوب والقبائل الشركسية في الوطن الام وتشكيل عشرات المجالس وعقد عشرات الاجتماعات لتحقيق تلك السياسة منها: | ٤١١ |
| التكتيكات السياسية التي اتخذها قادة الأمة الشركسية وشعوبها في الدفاع عن ارض الوطن ضد الغزاة الأعداء | – المجالس الشعبية، والقومية العليا التي حرصت الأمة الشركسية على تشكيلها منذ عصر الاجداد وحتى القرن السابع عشر الميلادي. | ٤١٢–٤١٦ |
| | – الاجتماعات التنسيقية الطارئة التي عقدت خلال فترة حرب الابادة الروسية من ١٨٢٨م – ١٨٦٤ وهي الاجتماعات التي عقدت اعوام ١٨٢٨، ١٨٣٠، ١٨٣٣، ١٨٣٥، ١٨٣٦، ١٨٣٦، ١٨٣٨، ١٨٤١، ١٨٤٦، ١٨٥٦، ١٨٦١، ١٨٦١/٦/١٣، ١٨٦٢، ١٨٦٣، ١٨٦٤. | ٤١ |
| | – وثيقة الرد على معاهدة أدرنة التي عقدت بين الروس والأتراك عام ١٨٢٨. | ٤١٧ |
| | – وثيقة اعلان استقلال الأمة الشركسية عام ١٨٦١. | ٤٢٢ |
| | * مراجع ومصادر الفصل الثاني من الجزء الثالث من المجلد الثالث. | |

# فهرس
# موضوعات الفصل الثالث

الجزء الثالث

الفصل الثالث

حقائق حول بعض الاخطاء والمواقف السياسية السلبية، والفتن والامراض الاجتماعية، ومظاهر التفكك، وعدم الوفاق، التي مرت بها الامة الشركسية في الوطن الأم منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث


| | الصفحة |
|---|---|
| تمهيد | ٤٢٦ |
| * الحقيقة الاولى: أبرز وأهم احداث الخلافات والنزاعات والانشقاقات بين بعض أمراء الشراكسة. | ٤٢٨ |
| * الحقيقة الثانية: خروج بعض الأمراء على القانون واحداث شغب وبث الفتن في بعض المجتمعات الشركسية. | ٤٣٧ |
| * الحقيقة الثالثة: ظهور العلل الاجتماعية في بعض العصور التاريخية للامة الشركسية نتيجة الصراعات الطبقية | ٤٣٩ |
| * الحقيقة الرابعة: ظهور القلة القليلة من الشراكسة المتعاونين مع اعداء الأمة الشركسية عامة والسلطات الروسية القيصرية خاصة. | ٤٤١ |
| * الحقيقة الخامسة: ظاهرة استغلال الفلاحين وعامة الشعب من قبل بعض الأمراء والنبلاء . | ٤٤٥ |
| * مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الثالث في المجلد الثالث | ٤٤٦ |

## فهرس
## موضوعات الفصل الرابع

الجزء الثالث

الفصل الرابع

مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية عبر العصور المختلفة


| | الصفحة |
|---|---|
| * أسباب التعتيم غير المقصود على إنجازات وأعمال عظماء وقادة أجداد الشراكسة:- | ٤٤٨-٤٤٩ |
| - السبب الأول: أكثر من ٩٠% من كتّاب تاريخ الأمة الشركسية هم من غير الشراكسة. | ٤٤٨ |
| - السبب الثاني: توقف الكتابة في اللغة الشركسية لأكثر من (١٥) قرنا. | ٤٤٩ |
| - السبب الثالث: خلو مؤلفات المؤرخين الشراكسة من أخبار وأعمال وإنجازات وبطولات حكّامها وقادتها وقضاتها إلا ما ندر. | ٤٤٩ |
| - السبب الرابع: تجاهل الكتّاب والمؤرخين الشراكسة في الوطن الأم عامة منذ احتلال السلطات القيصرية لبلادهم عامة، وكذلك الكتاب في العهد الشيوعي خاصة بالتصدي للكتاب عن التاريخ البطولي للشراكسة من حكام وزعماء وأمراء ونبلاء وعسكريين لأنهم توجهوا بكتاباتهم لتمجيد الأعمال والإنجازات التي تخدم الأيديولوجية الشيوعية والفكر الماركسي. | ٤٤٩ |
| * حقائق حول تاريخ مشاهير وعظماء الأمة الشركسية. | ٤٥٠-٤٦٥ |
| * السيرة الذاتية لبعض مشاهير وعظماء قادة الأمة الشركسية. | ٤٥٢ |
| أولاً: عظماء ومشاهير الشراكسة في أساطير وملاحم النارتيين: | ٤٥٢ |
| * نبذة عن حياة (خمسة) من الشخصيات الأبطال العظام الذين ورد ذكرهم في قصص وأغاني وأساطير النارتيين وملاحمهم وهم:- | ٤٥٧ |
| - الشخصية الأولى، وهي (ستاني جواشة) | ٤٥٧ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الرابع


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الثالث | – الشخصية الثانية من شخصيات أساطير النارتيين، وهو (ساوسروقة) | ٤٥٩ |
| | – الشخصية الثالثة، هو (تئيميز). | ٤٦٢ |
| | – الشخصية الرابعة وهو النارتي (أليدج) | ٤٦٣ |
| | – الشخصية الخامسة وهو (اشيميز باشيميقو) | ٤٦٤ |
| الفصل الرابع | ثانياً: عظماء ومشاهير أجداد الأمة الشركسية في القرون ما بين الرابع والتاسع الميلادي | ٤٦٦–٤٧١ |
| مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية عبر العصور المختلفة | * نبذة موجزة عن أعمال وإنجازات بعض عظماء ومشاهير أجداد قدماء الشراكسة (الأديغة) في الفترة من القرن الرابع إلى القرن التاسع ما بعد الميلاد:– | ٤٦٨ |
| | * الأمير داو– Dao، الأمير باقسان ابن الأمير (داو) وأشقائه السبعة الذين قتلوا في حربهم ضد قبائل القوت/ القوط. | ٤٦٨ |
| | – الامير لورستان | ٤٦٩ |
| | – الأمير (ألجوقة). | ٤٦٩ |
| | – الأمير (حاتوظوقوه) | ٤٦٩ |
| | – الأمير (جراتلوقوة – Sheratluko) | ٤٧٠ |
| | – الأمير (حاشو – Hashow) | ٤٧٠ |
| | – الأمير (قبش كوكو) | ٤٧٠ |
| | – الأمير (إسلام بك – Islam) | ٤٧٠ |
| | – القائد الشجاع (موقوج يظنوقو باديو) | ٤٧٠ |
| | – القائد البطل (جاتم دوكر) | ٤٧٠ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الرابع


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الثالث / الفصل الرابع / مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية (عبر العصور المختلفة) | - البطل (شاو باك العملاق) | ٤٧٠ |
| | - الأمير (ينال) الجد الأكبر لأمراء قبائل القبرطاي. | ٤٧١ |
| | ثالثا: عظماء ومشاهير الشراكسة (الأديغة) في الفترة الممتدة من القرن العاشر الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي وهم:<br>- قازي ابن بشى باتوقة - بش يزروفة بولاتوقة<br>- جلاخستان - أجوقة قان شاو<br>- كلمات - بشى باتوقة<br>- بش قادر شادية - قدير شوقة<br>- ايدار حفيد الامير ينال الكبير - مايسوروقة | ٤٧٢-٤٧٧ |
| | * رابعا: عظماء ومشاهير الشراكسة (الأديغة) في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي وهم:<br>- إيدار تيمروقة<br>- شلوخ تاوروقة<br>- قازي سيتوقا<br>- مدار قايتوقة<br>- البطلة المصارعة لاشنيقاي. | ٤٧٨-٤٩٧ |
| | * خامسا: عظماء ومشاهير قادة الشراكسة الشركسيين والسياسيين ورجال القضاء في القرن الثامن عشر الميلادي وهم:<br>- الأمير أسلان قايتوقة | ٤٨٣-٤٩٧<br>٤٨٤ |

## تابـــــــع
## فهرس موضوعات الفصل الرابع

الصفحة


الجزء الثالث

الفصل الرابع

مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية عبر العصور المختلفة

- الأمير كورغوقوة حاتوظوقة ٤٨٥
- الأمير كاسيا أكاوجوكين ٤٨٧
- الفيلسوف والحكيم قازانوقة جباغي. ٤٨٨
- القاضي يوري ٤٩٦
- القاضي أبوق حاجي اسحق. ٤٩٧
- الأمير عادل كراي ٤٩٧

سادسا: العظماء من القيادات السياسية والعسكرية التي وصلت إلينا بعض المعلومات والبيانات عن اعمالهم البطولية خلال الحروب الممتدة من عام ١٨٠٠م إلى عام ١٨٦٤م من القرن التاسع عشر وهم: ٤٩٧ ٤٩٨-٥٠١

(أشاغواغوة – بشيقوي، الحاج حوزبيك، سلطان كورغوم، غيري، حاج محمد، حاود منصور، غيري شاميز، شيروخ دوغوظ، دزادزو ناوزوز، بستي بشه ماف، حاتوقوه سليمان، حاتوقوه كالابات، شارات حاميز، غيراندوقوه حاج برزج، حاج دوقوم برزج، ينال أصلان غيري، إيندار نواي، وارداز او زيبش)

سابعا: مشاهير وقادة عظام الأمة الشركسية في الوطن الأم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي وهم: ٥٠١-٥١٣

١- الزعيم الشعبي والقائد العسكري الشهيد أرسلان بسلانوقة: الملقب بقاهر جنرالات روسيا القيصرية عامة والجنرال الروسي الشهير (زاس – Zass) . ٥٠٢

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الرابع

الجزء الثالث

الفصل الرابع

مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية عبر العصور المختلفة


| | الصفحة |
|---|---|
| ٢- المجاهد الكبير الحاج قازبك (قيزيل) شارالوقا: (١٧٩٥-١٨٤٠) الملقب بأن شركسيا. | ٥٠٣ |
| ٣- الزعيم المجاهد شروخ يقوه تغوج: الذي استطاع إيقاف هجوم جيش روسي مؤلف من (١٨) ألف جندي وغنم (٢٠٠) مدفع روسي وأسر أكثر من (٥٠٠) جندي روسي عام ١٨٤٠م. | ٥٠٥ |
| ٤- القائد البطل آشاغواغوة (بشيقوي) الذي عُرف بانتصاراته على القوات الروسية وكان متكلماً وخطيباً ولد ليقود الشعب | ٥٠٦ |
| ٥- المجاهد الأمير الحاج برزج جراندوقة: شاركت الجيوش الشركسية بقيادته في غرب القفقاس في الفترة (١٨٤١م-١٨٤٦م) في حوالي(٨٨) معركة ضارية ضد القوات الروسية القيصرية، توفي في تركيا عن عمر يناهز ١١٠ سنوات قضاها مجاهدا ومناضلاً في سبيل الله والوطن الأم | ٥٠٨ |
| ٦- الأديب والسياسي غازي غيري (١٨٠٨-١٨٦٣): وهو رائد كتاب القصص الشركسية الطويلة. | ٥٠٩ |
| ٧- الشاعر الشركسي الثائر باش بكمرزة (١٨٤٥-١٩٣٦): وهو (صاحب المواقف الجريئة في مقاومة تهجير الأمة الشركسية). | ٥١١ |
| ٨- شورا بكمرزا نغموقة (١٧٩٤-١٨٤٤): وهو رائد الكتاب الشراكسة والمؤرخ الأول للأمة الشركسية. | ٥١٣ |
| ثامنا: العظماء من القيادات السياسية والأدباء الشراكسة الذين قاوموا نظام الحكم الشيوعي وقاموا بأعمال بطولية للتحرر من سيطرته خلال الفترة (١٩١٧-١٩٨٩) وهم: | ٥١٦-٥٣٧ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الرابع

الصفحة

الجزء الثالث

الفصل الرابع

مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية عبر العصور المختلفة

١- الرئيس بيشماف كوتسوك (١٨٨٣-١٨٦٤). ٥١٧

٢- الشهيدان البطلان اسماعيل كراتي واسلام كوتسوك. ٥٢٠

٣- القائد العسكري سلطان قلج كراي، الذي أصر على تسليم نفسه مع جنوده الأسرى إلى السلطات الروسية. ٥٢١

٤- الشاعر الأديب القومي كوبه شعبان (١٨٩٠-١٩٧٤)، الذي هرب من بطش الحكم الشيوعي. ٥٢٤

٥- المعلم أحمد نوري تساغو (١٨٨٨-١٩٣٥)، وهو مؤسس التحرر الوطني الشركسي في الوطن الأم وصاحب المقالات القومية "نحن الشراكسة" في صحيفة "غوازة" التي كانت تصدر منذ عام ١٩١١م. ٥٢٨

٦- الشاعر الأديب المؤرخ إبراهيم تسي (١٨٩٠-١٩٣٧) ٥٣٠

٧- المؤرخ البرفسور أتيك ناميتوق (١٨٩٢-١٩٦٣)، مؤسس جمعية دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط في باريس، وأول شركسي يدرس في جامعة السوربون الفرنسية ٥٣٢

٨- الشاعر والاديب المبدع علي شوجن تسوك (١٨٩٠-١٩٤٢)، رائد الشعر القومي الشركسي المعاصر (الحديث) الذي تتلمذ على يد رائد تدريس اللغة الشركسية في الوطن الأم (تساغو). ٥٣٥

٩- المناضل يوري موسى تشنبه، رئيس اتحاد شعوب القفقاس (١٩٨٩-١٩٩٢). ٥٣٧

# فصول الجزء الرابع

# في

# المجلد الثالث

# فهرس
## فصول الجزء الرابع


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| فصول الجزء الرابع | **الفصل الأول**: الادوار التآمرية والعدائية للعثمانيين الاتراك وخانات القرم للأمة الشركسية (قبل وخلال وبعد) حروبهم ضد السلطات الروسية القيصرية. | ٥٤٥-٥٧٨ |
| | **الفصل الثاني**: الأدوار التآمرية والعدائية للانجليز والفرنسيين خلال حرب الإبادة الروسية | ٥٧٩-٦٠٠ |
| أعداء واصدقاء الأمة الشركسية في حربها ضد روسيا القيصرية | **الفصل الثالث**: الأدوار الوحشية والأعمال البربرية للقوزاق المرتزقة في عدمهم لقوات روسيا القيصرية خلال حرب الابادة والدمار الروسية. | ٦٠١-٦٠٨ |
| | **الفصل الرابع**: الادوار الايجابية للبولنديين خلال حرب الدمار والإبادة الروسية. | ٦٠٩-٦١٨ |
| | **الفصل الخامس**: أدوار أئمة الحركة الموريدية وقادتها العسكريين خلال حرب الدمار والابادة الروسية. | ٦١٩-٦٨٣ |
| | مصادر ومراجع الفصل الخامس في الجزء الرابع من المجلد الثالث | ٦٨٤-٦٨٥ |

# فهـــرس

## الموضوعات الرئيسية في

## فصول الجزء الرابع من

## المجلد الثالث

## فهرس
## موضوعات الفصل الأول

الجزء الرابع

الفصل الأول

الأدوار التآمرية للعثمانيين الاتراك وخانات القرم (قبل وخلال وبعد) حرب الابادة ودمار الأمة الشركسية على يد القوات الروسية القيصرية


| | الصفحة |
|---|---|
| تمهيد | ٥٤٦ |
| (١) أحداث ووقائع وحروب خانات القرم في القرنين السادس عشر والسابع عشر. | ٥٤٧-٥٥٦ |
| – حروب ما بين عامي ١٥٤٥-١٥٤٧. | ٥٤٧ |
| – حروب القرن السابع عشر في الأعوام ١٧٠٥، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧١٧، ١٧٢٠، ١٧٢٩. | ٥٤٨ |
| – اعتراض السفير الروسي في القسطنطينية على غارات خانات القرم على شعب القبرطاي عام ١٧١٣ | ٥٥٣ |
| – عقد صلح "بلغراد" بين روسيا وتركيا عام ١٧٣٩. | ٥٥٣ |
| – عقد معاهد تعاون بين تركيا العثمانية وزعماء القبرطاي عام ١٧٧٩. | ٥٥٤ |
| – خروج العثمانيين من إمارة "خانية القرم" عام ١٧٨٣. | ٥٥٤ |
| – بدء الدور الديني والسياسي للاتراك العثمانيين في بلاد الشراكسة ويتمثل هذا الدور بالأحداث والوقائع التالية: | ٥٥٤ |
| * خيانة القائد التركي "بطال باشا" ل "انابة" ونهبة (٨٠٠) كيس ذهب وهروبه إلى روسيا عام ١٧٩٠. | ٥٥٤ |
| * توقيع معاهدة بين الاتراك وروسيا تعهد بموجبها الاتراك بمنع الشراكسة من مهاجمة المحطات الروسية العسكرية. | ٥٥٥ |
| * صدور عفو عام على الخائن التركي "بطال باشا" بطلب من روسيا وعودته إلى تركيا حرا طليقا عام ١٧٩٨. | ٥٥٥ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

(٢) وقائع واحداث وحروب القرن الثامن عشر: ٥٥٦-٥٦٦

الجزء الرابع

الفصل الأول

الأدوار التآمرية للعثمانيين الاتراك وخانات القرم (قبل وخلال وبعد) حرب الابادة ودمار الأمة الشركسية على يد القوات الروسية القيصرية

* قيام السلطات العثمانية بمعاقبة الضباط والجنود الاتراك الذين خرجوا لنجدة القوات الشركسية التي تعرضت لهجوم كبير من الجيش الروسي ٥٥٦
* توقيع معاهدة "بخارست" بين الروس والعثمانيين في عام ١٨٠٩م تنص على تعاون الاتراك مع روسيا ضد الشراكسة. ٥٥٧
* بدء نشاط الجاسوسية التركية في بلاد الشراكسة عام ١٨١٩. ٥٥٧
* تزايد المكائد التركية بين الاديغة عام ١٨٣٠ ٥٥٧
* محاولة السلطات التركية اقناع الاديغة للتعاون العسكري بينهم ٥٥٨
* قيام القادة الشراكسة بستة أحداث وإجراءات سياسية اعتبارا من عام ١٨٢٦م. ٥٥٩
* امتناع شعب الشابسيغ في عام ١٨٢٧ الخضوع لسلطة السلطات التركي. ٥٦١
* وقوع حرب بين الروس والاتراك في بلاد القفقاس عامي ١٨٢٨ – ١٧٢٩ وقيام وحدات من المقاتلين الشراكسة بالقتال مع الاتراك. ٥٦١
* توقيع معاهدة "ادرنة" بين الروس والاتراك عام ١٨٢٨ تنازل الاتراك بموجبها عن "تشركسيا" إلى السلطات الروسية القيصرية. ٥٦٢
* توقيع معاهدة (انكيار) بين الروس والاتراك عام ١٨٣٨ ٥٦٣
* تجميد التعاون التركي – الشركسي خلال الفترة من عام ١٨٢٨م إلى عام ١٨٥٣م. ٥٦٣

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | * نشوب حرب القرم بين التحالف التركي/ الانجليزي/الفرنسي ضد روسيا القيصرية في الفترة ١٨٥٣-١٨٥٦. | ٥٦٣ |
| | * عقد مؤتمر سلام في باريس بين التحالف الثلاثي وروسيا القيصرية عام (١٨٥٦م) تقرر فيه اعتراف تركيا رسميا بأنه لم يعد لها أية حقوق في بلاد "تشركسيا" وانها أصبحت من املاك روسيا القيصرية. | ٥٦٦ |
| الفصل الأول | (٣) حقائق حول المواقف التآمرية للسلطات العثمانية ضد الشراكسة في الوطن الأم. | ٥٦٧-٥٧٥ |
| الأدوار التآمرية للعثمانيين الاتراك وخانات القرم (قبل وخلال وبعد) حرب الابادة ودمار الأمة الشركسية على يد القوات الروسية القيصرية | - التآمر الأول: معاهدة "ادرنة" عام ١٨٢٨ لتنازلهم عن بلاد "تشركسيا" دون ان يكون لهم حق قانوني فيها. حيث أن بلاد الشراكسة لم تكن تابعة يوما من الايام للاتراك. | ٥٦٧ |
| | - التآمر الثاني: معاهدة "باريس" عام ١٨٥٦ لقيام المندوب التركي برفض مناقشة مسألة استقلال "تشركسيا" وادعاءه بأن تلك البلاد تابعة لروسيا القيصرية منذ معاهدة "ادرنة". | ٥٦٧ |
| | - التآمر الثالث: عقد اتفاقية سرية بين تركيا مع سلطات روسيا القيصرية تنص على تهجير الشعوب القفقاسية عامة، والشراكسة خاصة، واصدارها قانون التهجير في ٩/اذار/ عام ١٨٥٧. | ٥٦٧ |
| | * حقائق حول المواقف التآمرية للسلطات العثمانية التركية | ٥٦٨ |
| | الحقيقة الأولى: الادعاء بأن الشراكسة هم من اتباعهم دون ان يكون لهم أية سلطة فعلية، أو سيادة شرعية عليهم. | ٥٦٨ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول

الصفحة

الجزء الرابع

الفصل الأول

الأدوار التآمرية للعثمانيين الاتراك وخانات القرم (قبل وخلال وبعد) حرب الابادة ودمار الأمة الشركسية على يد القوات الروسية القيصرية


الحقيقة الثانية: لم يسع الاتراك يوما واحدا لحصول الشراكسة على استقلالهم بل أن "بيطال باشا" خانهم. ٥٦٨

الحقيقة الثالثة: لم يتعاون العثمانيون الاتراك مع الشيخ شامل، ونائبه مع محمد أمين من أنهم اعتبروهما منافسين لهم. ٥٦٩

الحقيقة الرابعة: انحصر نفوذ السلطات العثمانية على البلاد القوقازية عامة، والشركسية منها خاصة على السيطرة على بعض القلاع والحصون في شمال القوقاز. ٥٦٩

الحقيقة الخامسة: تحالف الاتراك سرا مع خانات القرم وتشجيعهم للاعتداء على الشراكسة، وكانت اهدافهم البعيدة المدى هي احتلال القفقاس للوصول إلى بلاد تركستان والاتصال مع اتراك آسيا لإنشاء امبراطورية كبيرة. ٥٧٠

الحقيقة السادسة: قيام تركيا بتوقيع ست اتفاقيات ومعاهدات مع كل من روسيا القيصرية والانجليز والفرنسيين تضمنت بنداً أو أكثر في كل واحدة منها لغير صالح الشراكسة. ٥٧٠

* اخطر الاتفاقات والمعاهدات التي أضرت بالقوقازيين عامة وبلاد الشراكسة خاصة. ٥٧٠

- اتفاقية ادرنة عام ١٨٢٨. ٥٧٢
- اتفاقية باريس عام ١٨٥٦. ٥٧٢
- الاتفاقية السرية بين السلطات التركية وروسيا القيصرية عام ١٨٥٧ ٥٧٢

* مصادر ومراجع الفصل الاول من الجزء الرابع في المجلد الثالث. ٥٧٦-٥٧٧

# فهرس
# موضوعات الفصل الثاني


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | (١) الدور التآمري للانجليز على الأمة الشركسية | ٥٨٠ |
| | خطة الانجليز لدعم القفقاسيين عامة والشراكسة خاصة وتضمنت وسيلتين هما: | ٥٨٢ |
| | (١) التجسس على الأمة الشركسية | ٥٨٢ |
| | – المهام التي كان يكلف بها الجواسيس الانجليز وهي: | ٥٨٢–٥٨٧ |
| الفصل الثاني | ١– مهام استطلاعية واستكشافية. | ٥٨٧ |
| | ٢– تقديم الوعود الكاذبة للقادة الشراكسة. | ٥٨٨ |
| | ٣– تنظيم أعمال سياسية تخريبية لمنع نجاح أية محادثات سلمية بين الشراكسة وروسيا القيصرية. | ٥٨٩ |
| | ٤– القيام بالعمالة المزدوجة للجواسيس الانجليز | ٥٩٠ |
| الأدوار التآمرية للانجليز والفرنسيين على الأمة الشركسية في حربها ضد روسيا القيصرية | (٢) الوسيلة ال هي تزويد الشراكسة بالمال والسلاح والذخائر بهدف تشجيع الشراكسة للاستمرار في حربهم ضد روسيا، وليس بهدف تحقيق نصر للشراكسة. | ٥٩١ |
| | (٣) حقائق حول الدور التآمري للانجليز في المسألة الشركسية. | ٥٩٣ |
| | الحقيقة الاولى: تقديم الوعود الكاذبة للجواسيس الانجليز حول استعداد اسطول التحالف الاوروبي التركي المؤلف من (٣٠٠) سفينة بمهاجمة شواطئ البحر الاسود ان لم توقف روسيا اعمالها القتالية في بلاد الشراكسة | ٥٩٣ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثاني

الجزء الرابع

الفصل الثاني

الأدوار التآمرية للانجليز والفرنسيين على الأمة الشركسية في حربها ضد روسيا القيصرية


| | الصفحة |
|---|---|
| الحقيقة الثانية: عدم اصرار مندوب الانجليز في مؤتمر باريس على بحث مسألة استقلال بلاد تشركسيا. | ٥٩٣ |
| الحقيقة الثالثة: اكتشاف القادة الشراكسة لسياسة الانجليز القائمة على الوعود الكاذبة بتقديم المال والسلاح والذخائر للمقاتلين الشراكسة لكن بعد فوات الاوان. | ٥٩٦ |
| الحقيقة الرابعة: قيام القادة العسكريين الانجليز بتسليم اللاجئين الأسرى القوقازيين عامة والشراكسة خاصة الذين انسحبوا مع القوات النازية في نهاية الحرب العالمية الثانية | ٥٩٦ |
| (٢) دور الفرنسيين التآمري على الأمة الشركسية في حربها ضد روسيا القيصرية. | ٥٩٧-٥٩٩ |
| * الاسباب التي ادت لاهتمام فرنسا ببلاد القفقاس عامة ومناطق الشراكسة خاصة. | ٥٩٧ |
| * الدور المعادي لفرنسا في بلاد الشراكسة ويتمثل في: | ٥٩٨ |
| (١) وقوف فرنسا ضد المقاومة البطولية للشراكسة في حربهم ضد روسيا ويتضح ذلك من الخطاب الذي القاه نابليون الثالث امام البرلمان الفرنسي يوم ١٨٦٣/١٠/٥، وابدائه دعماً سياسيا كاملا لاحتلال الروس لبلاد القفقاس. | ٥٩٨ |
| (٢) اصدار نابليون الثالث تعليماته لمندوب فرنسا في مؤتمر باريس، للعمل على حذف بند استقلال تشركسيا من جدول اعمال المؤتمر. | ٥٩٨ |
| (٣) اطلاق يد السلطات الروسية للعبث في بلاد الشراكسة وترك الشعب الشركسي يواجه الامبراطورية الروسية وحده. | ٥٩٩ |
| * مصادر ومراجع الفصل الثاني من الجزء الرابع من المجلد الثالث. | ٦٠٠ |

## فهرس
## موضوعات الفصل الثالث


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | * اصل القوزاق | ٦٠٢ |
| | * مواقع سكن القوزاق | ٦٠٣ |
| | * خدمات القوزاق للروس | ٦٠٤ |
| الفصل الثالث | * ثورة القوزاق على قياصرة روسيا. | ٦٠٤ |
| | * انضمام القوزاق إلى الدولة الروسية. | ٦٠٤ |
| | * اول احتكاك بين القوزاق والشراكسة. | ٦٠٥ |
| الأدوار الوحشية والأعمال البربرية للقوزاق المرتزقة بدعم من قوات روسيا القيصرية | * إستغلال القوزاق من قبل قادة روسيا في حربهم ضد الشراكسة ويتمثل ذلك في الوقائع والاحداث التالية: | ٦٠٦ |
| | ١- دعم غزو القوزاق للمناطق الواقعة حول مصب نهر ترك في النصف الثاني من القرن السادس عشر. | ٦٠٦ |
| | ٢- توطين القوزاق في الأراضي الواقعة شمال غرب الكوبان وارتفاع عددهم من (٢٥) الفاً إلى مائة ألف قوزاقي بعد عام ١٧٩٢. | ٦٠٦ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثالث

الصفحة

الجزء الرابع

الفصل الثالث

الأدوار الوحشية والأعمال البربرية للقوزاق المرتزقة بدعم من قوات روسيا القيصرية


| | |
|---|---|
| ٣- تحريض السلطات الروسية للقوزاقيين بغزو بلاد الشراكسة القاطنين على ضفاف نهر الكوبان عام ١٨٠٠ . | ٦٠٦ |
| ٤- بدعم من السلطات الروسية أنشأت القوات القوزاقية عشرات القرى/ المحطات، كما تم انشاء قلاع وحصون مستغلين الشراكسة الأسرى في أشغال شاقة لفتح طرق وجسور عام ١٨٠١. | ٦٠٧ |
| ٥- قيام السلطات الروسية انشاء (٣٥) قرية جديدة عام ١٨٦٠ وتم واسكان ٥٤٨٢ قوزاقيا فيها | ٦٠٧ |
| ٦- أشارت الوثائق الروسية والروايات الشركسية بأنه لم تقع مجزرة ضد الأمة الشركسية في حرب الابادة، إلا وكان القوزاقيون طرفا رئيسيا فيها | ٦٠٧ |
| ٧- اقامة (٧٣) محطة قوزاق جديدة بين أعوام ١٨٦١- ١٨٦٥ في مناطق ما وراء الكوبان تم اسكان (١٦) الف عائلة قوزاقية فيها وبلغ عدد محطات القوزاق مع نهاية الثمانينات من القرن التاسع عشر (١٧٦) محطة / قرية. | ٦٠٨ |

# فهرس
# موضوعات الفصل الرابع

الجزء الرابع

الفصل الرابع

الدور الايجابي للبولنديين في دعم ومساندة الأمة الشركسية في حرب الإبادة والدمار الروسية


| | الصفحة |
|---|---|
| * الدور الايجابي للبولنديين وتمثل بـــ: | ٦١٠-٦١٧ |
| ١- الدور السياسي. | ٦١٠ |
| ٢- الدور العسكري. | ٦١١ |
| ٣- دور التسليح والتدريب العسكري للمقاتلين الشراكسة. | ٦١٦ |
| ٤- الدور الاعلامي. | ٦١٧ |
| * مراجع ومصادر الفصل الرابع من الجزء الرابع في المجلد الاول. | ٦١٨ |

## فهرس
## موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| | تمهيد | ٦٢٠ |
| الجزء الرابع | (١) نشأة الحركة المريدية في القفقاس. | ٦٢٠-٦٣٤ |
| | (٢) تطور الحركة المريدية في القفقاس. | ٦٢٣ |
| | (٣) دور (أشورما) الملقب بالشيخ منصور الألداري في الحرب ضد روسيا | ٦٢٥ |
| | (٤) دور الامام غازي مولا واسمه الاصلي (محمد غمري) في الحرب ضد روسيا | ٦٢٨ |
| الفصل الخامس | (٥) دور الامام حمزات بك، الامام الثاني للمريدية. | ٦٣٢ |
| | (٦) دور الامام شامل الامام الثالث للمريدين في حروبهم ضد روسيا | ٦٣٤ |
| | - مولد "شامل" ونشأته. | ٦٣٤ |
| | - علاقة "شامل" بالمولا "غازي محمد". | ٦٣٥ |
| | - إعادة تنظيم حركة المريدية. | ٦٣٥ |
| آدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤) | وقائع واحداث وحروب الإمام شامل في الفترة (١٨٣٤م-١٨٥٩م) | ٦٣٨ |
| | *المعركة الاولى وهي: معركة قرية "اشيلطا" وبلدة "تيلتيل" الداغستانية وعرض شامل على القائد الروسي الصلح والخضوع للروس عام ١٨٣٤. | ٦٣٨ |
| | * المعركة الثانية وهي: معركة نهر كوبو، وبلدة "تي تيل" وعرض "شامل" عقد هدنة، والتفاوض مع القائد الروسي "نيزة" وقبوله تقديم الطاعة للروس عام ١٨٣٧. موافقة شامل للالتقاء مع القيصر الروسي "نيقولا" عام ١٨٣٧ وقوع خلاف بينه وبين مندوب القيصر الذي كلف بتنظيم اللقاء. | ٦٣٨ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | * المعركة الثالثة وهي: | |
| | معركة "اخولكو" عام ١٨٣٨، اضطر فيها "شامل" للتفاوض مع القائد الروسي وتسليم ابنه "جمال الدين" البالغ من العمر (١٢) سنة كرهينة | ٦٤٠ |
| الفصل الخامس | هروب شامل من المعركة بعد تسليمه ابنه وبعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح ولم ينجُ في هذه المعركة من قادته ومقاتليه سوى سبعة من اتباعه. | ٦٤٢ |
| آدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤) | * رحيل الإمام شامل إلى بلاد الشيشان وتولى امامة المريدية فيها عام ١٨٣٨ | ٦٤٣ |
| | * انضمام "الحاج مراد" إلى قيادة الامام شامل وتعيينه نائبا له عام١٨٤٠ | ٦٤٤ |
| | * اتصال رجال الدين وبعض زعماء شعب القبرطاي بالامام شامل لانضمامهم للحركة المريدية عام ١٨٤١ | ٦٤٤ |
| | * المعركة الرابعة وهي: | |
| | المعركة التي سماها "تحرير بلاد الداغستان" ووقعت عام ١٨٤١، تمكن فيها من النجاة بعد محاصرته من القوات الروسية. | ٦٤٤ |
| | * المعركة الخامسة وهي: | |
| | معركة "دارغو" عام ١٨٤٢ فشل فيها الروس بقيادة الجنرال "غرابة" وانتصر فيها جيش "شامل" | ٦٤٥ |

## تابـــــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | عام ١٨٤٣ قام امير القبرطاي "محمد ميرزا انزور" بإرسال رسالة إلى "شعيب" نائب الامام شامل اعلمه فيها بأن شعب القبرطاي جاهزون للقتال مع الامام "شامل". | ٦٤٥ |
| الفصل الخامس | قرار (شامل) لغزو بلاد القبرطاي واطلق عليها غزوة "المريديين" للقبرطاي بجيش قوامه "١٤٠٠٠" فارس مقاتل، وفشل عسكريا وبدء تذمر بين الشيشان من قيادة شامل العسكرية لهم. | ٦٤٥ |
| آدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤) | * عام ١٨٤٨ استنجاد "شامل" بالملك الايراني "ميرز نصر الله". | ٦٤٨ |
| | * قيام حرب القرم بين التحالف التركي، الانجليزي، والفرنسي ضد جيوش السلطات الروسية القيصرية في الاعوام ١٨٥٣-١٨٥٦ ورفض "شامل" المشاركة في الحرب مع التحالف الثلاثي ضد القوات الروسية. | ٦٥٠ |
| | * المعركة السابعة وهي:<br>معركة وادي "الاسان" في بلاد الكرج، تم فيها أسر أميرتين من أميرات الكرج وتم مبادلتهما بابنه "جمال الدين" الذي سبق ان سلمه للروس عام ١٨٣٨ كرهينة بعد معركة "اخولكو" | ٦٥٠ |

## تابـــــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | رفض "شامل" طلب السلطات التركية التوحد مع جيوش الاتراك وشعوب ما وراء الكوبان الشراكسة عام ١٨٥٤ ضد القوات الروسية | ٦٥٠-٦٥٩ |
| الفصل الخامس: آدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤) | * المعركة الثامنة وهي: معركة "فيدن" انتصر فيها الجنرال الروسي "يغدو كيموف" انتصارا حاسما على جيش "شامل" واستطاع شامل الهروب من المعركة قبل سقوط عاصمته وانسحب إلى اواسط الداغستان واختار موقع "غونيب" مقرا جديدا له. | ٦٥١ |
| | المعركة التاسعة والاخيرة وهي: معركة "غونيب" والتي بدأت يوم ١٨٥٩/٨/٩ وانتهت باستسلام شامل مع عائلته واقربائه للقائد الروسي "باریاتنیسکي" | ٦٥٢ |
| | عودة شامل إلى الداغستان للمرة الثانية | ٦٥٢ |
| | * واقعة استسلام "شامل" للقائد الروسي "باریاتنیسکي" وتسليمه سيفه له يوم ٢٥/أب/ ١٨٥٩ | ٦٥٢ |
| | * أداء شامل قسم يمين الولاء للقيصر اسكندر الثاني وتخصيص راتب شهري له عام ١٨٦٦. | ٦٥٦ |
| | * السماح لشامل وعائلته بالمغادرة إلى مكة المكرمة عام (١٨٧٠) وترك ابنه "غازي محمد" في روسيا | ٦٥٦ |
| | * خلاصة دور شامل في حروب الابادة والدمار الروسية التي وقعت في بلاد الداغستان والشيشان خلال الفترة ١٨٣٤م-١٨٥٩م | ٦٥٩-٦٦٢ |

## تابـــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | * ملاحظات على مواقف الشيخ شامل واعماله العسكرية والسياسية في حروبه ضد القوات الروسية. | ٦٦٢-٦٦٦ |
| الفصل الخامس: آدوار الحركة المريدية "قيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤) | الملاحظة الاولى: تعدد المعارك التي هرب منها، أو عقد هدنة فيها أو انسحب منها، أو سلم ابنه كرهينة، واخيرا استسلامه للجنرال الروسي بعد معركة "فيدن" . | ٦٦٢ |
| | الملاحظة الثانية: مخالفة الامام شامل لمبادئ الحركة المريدية الخمسة الاساسية. | ٦٦٣ |
| | الملاحظة الثالثة: لم يقبل الشيخ شامل أن يظهر على ساحة الحركة المريدية قادة اقوياء خوفا من ان يلتف حولهم المريدون الأحرار. | ٦٦٥ |
| | * ادوار نواب الامام شامل في بلاد الشراكسة | ٦٦٧-٦٦٩ |
| | – دور النائب الحاج محمد | ٦٦٧ |
| | – دور النائب الحاج سليمان | ٦٦٨ |
| | * دور النائب محمد أمين: | ٦٦٩ |
| | * أول اعمال النائب محمد أمين في بلاد الاديغة هو ادخال غالبية شعب الابزاخ إلى الدين الإسلامي، وصدامه مع الامراء والنبلاء وهروبهم إلى المناطق الروسية. | ٦٧٠-٦٧٧ |

الصفحة

## تابـــــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس

الجزء الرابع

الفصل الخامس

أدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصيرية (١٧٢٢-١٨٦٤)

* ثاني عمل للنائب محمد أمين هو: محاولة بسط نفوذه على بلاد الاوبيخ ولم يتمكن من ذلك. ٦٧٠

* ثالث أعمال النائب محمد أمين هو: التوجه لبلاد الشابسوغ أكبر معاقل شراكسة منطقة الكوبان وخوضه فيها عدة معارك وخسرها جميعا وانسحب منها. ٦٧١

* رابع اعمال النائب محمد أمين هو: زحفه إلى بلاد الناتخواج واستقباله بترحاب وحفاوة وانشائه فيها عدداً من المحاكم الاسلامية. ٦٧٢

* خامس اعمال النائب محمد أمين هو: توجهه للمرة الثانية إلى بلاد "الأوبيخ" والاقسام الجبلية من بلاد الشابسوغ، ولم يلق الحفاوة التي لقيها في بلاد "الناتخواج" إلا أنه لم يلق مقاومة مسلحة ولم يعترضوا على انشاء المساجد فيها.. الخ. ٦٧٣

* سادس اعمال النائب محمد أمين هو: محاولته احتلال مناطق القراشاي واقامة قاعدة عسكرية فيها عام ١٨٥٣ ٦٧٤

* سابع اعمال النائب محمد أمين هو: محاولة تقوية وضعه بين شراكسة الاديغة في منطقة الكوبان بعد بدء حرب القرم عام ١٨٥٣. ٦٧٥

## تابـــــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | | |
| | * ثامن اعمال النائب محمد أمين هو: سفره على رأس وفد مكون من (٧) أمراء شراكسة إلى "فارنا" إلى بلقاريا للتباحث مع قادة التحالف الثلاثي حول امكانية تنظيم اعمال عسكرية مشتركة ضد القوات الروسية عام ١٨٥٤. | ٦٧٥ |
| الفصل الخامس | | |
| | * اعتقال النائب محمد أمين في استانبول ونفيه إلى دمشق في سوريا عام ١٨٥٩، وفراره من دمشق وعودته إلى مناطق الابزاخ سالما في شهر نوفمبر من نفس العام. | ٦٧٦ |
| آدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤) | * هروب محمد أمين فجأة وبدون مقدمات وتسليم نفسه لقائد موقع قيادة الجيش الروسي المعسكر على ضفاف نهر "صحة – كواشة" وبصحبته عدد كبير من اتباعه من المريدين، وعرض طاعته للحاكم الروسي في مدينة "تفليس" في جورجيا عام ١٨٥٩م. | ٦٧٧ |
| | * دور الحاج مراد في حرب المريدين ضد روسيا القيصرية | ٦٧٨ |
| | – تعاون الحاج مراد مع القوات الروسية في الفترة من ١٨٣٤م–١٨٤٠م | ٦٧٨ |
| | – التحاق الحاج مراد بقيادة الامام شامل، وتعينيه نائبا له. | ٦٧٨ |
| | * اول معركة بقيادة حاج مراد وهي معركة قرية "تسلميس" وانتصر فيها حاج مراد وقتل الجنرال الروسي "باكوين" في المعركة عام ١٨٤١م | ٦٧٨-٦٨٣ |

الصفحة

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس

الجزء الرابع

الفصل الخامس

آدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤)

* ثاني معركة للحاج مراد هي معركة بلدة "اونتسكول" عاصمة الاوار، وتم فيها احتلال جميع المواقع في بلاد الاوار بدعم كبير من الحاج مراد وقواته عام ١٨٤٣. ٦٧٩

* ثالث معركة للحاج مراد هي: معركة موقع "غرغيبل" واستطاع فيها الحاج مراد الاستيلاء عليها في خريف عام ١٨٤٣. ٦٧٩

* رابع معركة للحاج مراد هي: معركة "دارغو" عاصمة الامام شامل، ووقف فيها وقفة الابطال مع قوات الامام شامل عام ١٨٤٥م. ٦٧٩

* خامس معركة للحاج مراد هي: معركة "جنكوتاي" عاصمة اقليم "مشتولي" في الداغستان، استطاع فيها خطف أرملة عدوه القديم "محمد خان" أمير الاوار في عام ١٨٤٦. ٦٧٩

* سادس معركة للحاج مراد هي: معركة مدينة "تيمرخان" عاصمة الاوار، واستولى عليها بإتباعه "خدعة" قلب حدوة الفرس لتضليل اتجاه سيره وتقدمه في عام ١٨٤٩. ٦٧٩

* سابع معركة للحاج مراد هي: معركة "شورا" مقر الروس في الداغستان واقتحامه الحامية الروسية فيها وايقاعه خسائر بشرية كبيرة في صفوف الحامية ومغادرتها وسط ذهول الروس عام ١٨٤٨. ٦٨٠

## تابـــــــع
## فهرس موضوعات الفصل الخامس


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الرابع | | |
| الفصل الخامس | | |
| آدوار الحركة المريدية "فيزة" وقادتها العسكريين في حروب الابادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية (١٧٢٢-١٨٦٤) | * ثامن معركة للحاج مراد وهي: معركة (منسكايا) في جورجيا الشرقية وفيها قام بغارة جريئة واباد الحامية الروسية فيها عام ١٨٤٩. | ٦٨٠ |
| | * تاسع معركة للحاج مراد هي معركة: مدينة "بويناخ" الواقعة على ساحل بحر قزوين، تمكن فيها من قتل "شاخ" شقيق حاكم "تاركو" وخطف امرأته وأولاده عام ١٨٥١م. | ٦٨٠ |
| | * اصدار "شامل" قراراً سرياً بالحكم على الحاج مراد بالاعدام | ٦٨٢ |
| | * فرار "الحاج مراد" واستشهاده في الثامن من ابريل عام ١٨٥٢م على يد قوة كبيرة من الجيش الروسي التي حاصرت الحاج مراد ورفاقه قبل مغادرتهم مناطق نفوذ الروس، وقطع رأسه من قبل ابن عدوه القديم "احمد خان مختولي" وارسله إلى تفليس عاصمة جورجيا، كما اعدم لاحقا اثنين من رفاق الحاج مراد الذين تم اسرهما بعد اصابتهما بجروح كبيرة. | ٦٨٢ |
| | * مصادر ومراجع الفصل الرابع من الجزء الرابع من المجلد الثالث | ٦٨٤-٦٨٥ |

# فصول الجزء الخامس

# المجلد الثالث

# فهرس
## فصول الجزء الخامس


| | الصفحة |
|---|---|
| **الفصل الأول:**<br>• أنواع هجرات الأمة الشركسية. | ٦٨٩-٧٢٢ |
| **الفصل الثاني:**<br>• الوضع الديمغرافي (السكاني) للأمة الشركسية (قبل وخلال وبعد) التهجير القسري. | ٧٢٣-٧٣٨ |
| **الفصل الثالث:**<br>• جرائم عمليات تهجير الأمة الشركسية. | ٧٣٩-٧٧٢ |
| **الفصل الرابع:**<br>• مواقف الرفض ومقاومة قادة وشعراء الأمة الشركسية وشعوبها لعمليات التهجير. | ٧٧٣-٧٨٤ |


فصول الجزء الخامس

أنواع الهجرات ومآسي وجرائم وعمليات التهجير القسري للأمة الشركسية والمواقف الشركسية الرافضة لها

# فهـــرس

## الموضوعات الرئيسية في

## فصول الجزء الخامس من

## المجلد الثالث

## فهرس
## موضوعات الفصل الأول

الجزء الخامس

الفصل الأول

أنواع هجرات الأمة الشركسية


| | الصفحة |
|---|---|
| أنواع الهجرات | ٦٩٠ |
| * الهجرات الطوعية الطبيعية. | ٦٩٠ |
| * الهجرات القسرية. | ٦٩٠ |
| أولا: وقائع واحداث النوع الأول من الهجرات (الطوعية). | ٦٩٠ |
| * هجرات ما قبل الميلاد. | ٦٩٠ |
| * وقائع وأحداث الهجرات الداخلية لشعب القبرطاي في مختلف العصور للأمة الشركسية | ٦٩٢ |
| * تنقلات وتحركات القبائل الشركسية الأخرى | ٦٩٦ |
| * الهجرات الطوعية إلى تركيا. | ٦٩٨ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس | ثانيا: وقائع واحداث الهجرات القسرية. | ٧٠٠ |
| الفصل الأول | الاساليب التي استخدمت في نقل القوقازيين عامة والشراكسة خاصة إلى خارج بلادهم خلال وبعد حروب المغول والتتار في القرن الثالث عشر والرابع عشر وهي: | ٧٠٠ |
| أنواع هجرات الأمة الشركسية | * اسلوب بيع أسرى حروب مع المغول والتتار والروس | ٧٠٠ |
| | | ٧٠٠ |
| | * اسلوب خطف الأطفال ونقلهم قسرا خارج بلادهم وبيعهم في اسواق النخاسة | ٧٠٠ |
| | * اسلوب التهجير القسري المقرون بالقوة والنفي والطرد الجماعي إلى خارج الوطن الأم. | ٧٠٠ |
| | * مراحل نقل وتهجير الشراكسة قسرا من الوطن الأم إلى الديار المصرية وبلاد الشام وتمت على ستة افواج وهي: | ٧٠١ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس / الفصل الأول / أنواع هجرات الأمة الشركسية | الفوج الأول: وفيه تم تهجير الشراكسة من خلال فصل اسرى الحروب ابتداء من عام ١٢١٧م وهم الذين شكلوا الدولة البحرية الأولى وحكموا مصر خلال الفترة ١٢٥٠م-١٣٨٢م. | ٧٠١ |
| | الفوج الثاني: وفيه تم نقل اسرى الحروب والاطفال المخطوفين وأطفال "سبايا الحروب" في زمن السلطان قلاوون وشكلوا الفرقة "البرجية" وكان عددهم ٣٧٠٠ شخص منهم عدد قليل من الأرمن. وهم الذين شكلوا "الدولة البرجية الشركسية" التي حكمت مصر وبلاد الشام خلال الفترة (١٣٨٢-١٥١٧م). | ٧٠٢ |
| | الفوج الثالث:وهم الشراكسة الذين استقدمهم السلطان "برقوق" عام١٣٨١ | ٧٠٤ |
| | الفوج الرابع: وتكون هذا الفوج من الشراكسة أقارب السلاطين الشراكسة في مصر وهم الذين أطلق عليهم "الشراكسة الوافدون طوعا" | ٧٠٤ |
| | الفوج الخامس: وفيه تم جلب الاطفال الشراكسة المخطوفين وبعض البالغين على شكل أفراد او في مجموعات صغيرة خلال فترة حكم العثمانيين للديار المصرية وبلاد الشام خلال الفترة (١٥١٧م-١٨١١م) | ٧٠٥ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس | | |
| الفصل الأول | الفوج السادس: ويتكون هذا الفوج من الشراكسة البالغين الذين استقدمهم الخديوي اسماعيل إلى مصر من الشراكسة الذين قامت السلطات الروسية القيصرية بطردهم بعد احتلال الوطن الأم للشراكسة عام ١٨٦٤. حقائق حول الاساليب التي استخدمت في طرد ونفي الشراكسة للافواج الستة. | ٧٠٧ |
| | * حقائق حول الاساليب التي استخدمت في الطرد والنفي والتهجير الجماعي بقوة السلاح او بقوة التجويع وسد سبل العيش امام الشراكسة الذين بقوا أحياء بعد حروب الابادة والدمار الروسية التي انتهت عام ١٨٦٤. | ٧٠٨ |
| أنواع هجرات الأمة الشركسية | الحقيقة الاولى: اغراق بلاد الشراكسة في حمام من الدم بعد معاهدة باريس عام ١٨٥٦، وهي المعاهدة التي اعتبرت قضية "تشركيسيا" قضية روسية داخلية، بعد أن تنكرت كل من انجلترا وفرنسا لوعودهما على منحها حريتها واستقلالها. | ٧٠٨ |
| | الحقيقة الثانية: وضع الشراكسة أمام خيارين لا ثالث لهما: * إما الرحيل والسكن في الأراضي السهلية الموبؤة بالبعوض والأوبئة وغيرها من الافات أو : | ٧٠٨ |

# تابـــــع
# فهرس موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس | * الهجرة إلى تركيا. وكان أول من فكر بترحيل الشراكسة من وطنهم إلى مناطق شمال القفقاس بمستوطنات قوزاقية وروسية هو الجنرال "ميلتون" في عام١٨٥٧ | ٧٠٨ |
| الفصل الأول | الحقيقة الثالثة: احاطة مناطق شعب البسلني ونقلهم قسرا وباستخدام القوة، حيث تم نقلهم إلى مناطق الكوبان كما تم طرد حوالي ٦٠٠ عائلة منهم بقوة السلاح وترحيلهم إلى تركيا تحت الحراسة العسكرية المشددة. | ٧١٢ |
| | الحقيقة الرابعة: مع نهاية ١٨٦٤ كان قد تم التهجير القسري والطرد بقوة السلاح إلى تركيا اكثر من ٢,٥ مليون شركسي . | ٧١٣ |
| أنواع هجرات الأمة الشركسية | الحقيقة الخامسة: قيام السلطات الروسية بنزع الاسلحة النارية والسلاح الشخصي لأعداد كبيرة من الشراكسة الذين نجوا من الطرد والترحيل الجماعي حتى عام ١٩٦٥، وتم ترحيلهم بالقوة إلى تركيا في الفترة ما بين ١٨٧٢م-١٨٧٤م، كما حاولت السلطات الروسية اقناع الشراكسة الباقين تحت الحكم الروسي القيصري لترحيلهم إلى جنوب تركستان وانشاء دولة لهم هناك. | ٧١٦ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الأول


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس / الفصل الأول / أنواع هجرات الأمة الشركسية | الحقيقة السادسة: اعادة تهجير الشراكسة بعد حرب البلقان التي اندلعت عامي ١٨٧٧-١٨٧٨، حيث نصت معاهدة "برلين" الموقعة مع الروس بعد هزيمة الاتراك في حرب البلقان عام ١٨٧٨ على الزام السلطات التركية ترحيل الشراكسة الذين بقوا احياء إلى مناطق تبعد ألف كيلو متر عن حدود روسيا ودول البلقان على الأقل، وهم الشراكسة الذين تم ترحيلهم إلى كل من سوريا وفلسطين والأردن والعراق والجزائر بالإضافة إلى جنوب تركيا. | ٧١٧ |
| | الحقيقة السابعة: حدوث اضطهاد عرقي وديني واقتصادي للشراكسة الذين نجوا من التهجيرات القسرية السابقة، وبقوا في الوطن الأم خلال الفترة من ١٨٧٩م-١٩١٢م وكان من نتائجها هروب أعداد كبيرة من العائلات ورحيلها إلى تركيا، وكان آخر الافواج من الهاربين عام ١٩١٢م | ٧١٩ |
| | الحقيقة الثامنة: هروب أعداد كبيرة من الشراكسة الذين احتلت بلادهم القوات الالمانية النازية في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م-١٩٤٨م خاصة مناطق القبرطاي واعتقلوا واعتبروا اسرى حرب ووضعوا في معسكرات الاعتقال في ايطاليا وهم الذين استضافهم شراكسة الاردن عام ١٨٤٨م. | ٧٢١ |

# فهرس
# موضوعات الفصل الثاني

الصفحة

الجزء الخامس

الفصل الثاني

الوضع الديمغرافي (السكاني) للأمة الشركسية قبل وخلال وبعد التهجير القسري

* دراسات وتقارير حول اعداد الشراكسة الذين تعرضوا للتهجير ومعدلات الوفيات بينهم خلال الفترة ١٨٥٧-١٨٦٤ ٧٢٧

* اعداد المهجرين قسرا في المراحل اللاحقة لعملية التهجير القسري الكيدي في الفترة ١٨٨٤-١٩١٢. ٧٢٦

* إحصائيات تقديرية لتعداد سكان الشراكسة في الوطن الأم وفي بلاد المهجر في الشتات ٧٢٩

* صعوبات تقديم احصائيات دقيقة عن عدد الشراكسة في بلاد الشتات لاسباب أهمها: ٧٢٩

* عدم سماح السلطات الرسمية في الدول التي يعيش فيها الشراكسة في المهجر ٧٢٩

* حدوث هجرات وتنقلات من وإلى البلاد التي هاجر إليها الشراكسة بعد طردهم من الوطن الأم. ٧٢٩

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثاني


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس | * حدوث انصهار كامل مع المجتمعات التي يتواجد فيها الشراكسة الذين هاجروا منذ القدم في كل من مصر، والسودان، وليبيا، والجزائر وتونس والعراق. | ٧٣٠ |
| | * عدد الشراكسة حسب الاحصائيات والتقديرات التي قدمها بعض المؤرخين والباحثين الشراكسة: | ٧٣٠ |
| الفصل الثاني | * عدد الشراكسة في العالم حسب الدراسة التي نشرها الكاتب (ت. ج. طميح، عام ٢٠٠٥) (٤,٧٨٢٣٠) تقريبا | ٧٣٠ |
| | * عدد الشراكسة في العالم حسب الدراسة النى نشرتها جريدة (اديغة ماق) عام | ٧٣٢ |
| الوضع الديمغرافي (السكاني) للأمة الشركسية قبل وخلال وبعد التهجير القسري | * عدد الشراكسة في العالم حسب التقديرات الاحصائية المنشورة في بلاد المهجر حوالي (٤٠٠٠٠٠٠) نسمة. | ٧٣٢ |
| | عدد الشراكسة بعد تحليل احدث الدراسات والاحصائيات التي توصلنا إليها يتراوح ما بين ٤,٥٨٩٠٠ إلى ٥,٨٠٠٠٠٠ تقريبا موزعين على النحو التالي: | ٧٣٣ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثاني


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس | (٦٢٠,٠٠٠-٧٦٠,٠٠٠) في الجمهوريات الشركسية في الوطن الأم | ٧٣٣ |
| | (١٦٠٨٨-١٧٤١٠) في جمهوريات الاتحاد السوفيتي (سابقا) وروسيا الاتحادية | ٧٣٣ |
| الفصل الثاني | (٣,٧٥٠,٠٠٠ - ٤,٥٠٠,٠٠٠) في جمهورية تركيا العلمانية | ٧٣٤ |
| | (٤٣٠٠٠٠ - ٥٠٦٠٠٠) في البلاد العربية | ٧٣٥ |
| | (٤٠٠٠٠-٦٠٠٠٠) في دول البلقان سابقا | ٧٣٥ |
| الوضع الديمغرافي (السكاني) للأمة الشركسية قبل وخلال وبعد التهجير القسري | (١٥٨٠٠ – ١٨٠٠٠) في البلاد الاوروبية. | ٧٣٦ |
| | (١٥٠٠٠ – ١٨٠٠٠) في الولايات المتحدة الامريكية. | ٧٣٦ |
| | (٤,٧٨٩,٠٧٧-٥,٨٠٠,٧٤١) تعداد الشراكسة في العالم حسب آخر تقديرات احصائية في عام ٢٠٠٧ | ٧٣٧ |
| | * عدد الدول التي تواجد الشراكسة فيها منذ تهجيرهم حوالي (٤٥) دولة وجمهورية موزعة على القارات الخمس. | ٧٣٧ |

الجزء الخامس

الفصل الثالث

جرائم عمليات تهجير الامة الشركسية

## فهرس
## موضوعات الفصل الثالث


| | الصفحة |
|---|---|
| تمهيد | ٧٤٠ |
| * الاجراءات التعسفية والاعمال غير الانسانية التي اتخذتها السلطات الروسية القيصرية من أجل تسريع عمليات التهجير القسري | ٧٤٠ |
| ١- طرد الشراكسة الذين احتلت منازلهم | ٧٤٠ |
| ٢- بث اشاعات واقاويل بأن من لم يهاجر سيعامل معاملة اسرى حرب. | ٧٤٠ |
| ٣- انتزاع الأراضي. | ٧٤٠ |
| ٤- التهديد بارتكاب جرائم حرب في حق من بقي حيا من الشراكسة | ٧٤١ |
| ٥- جعل حياتهم لا تطاق. | ٧٤١ |
| ٦- خلق عداوات وكراهية عرقية بين الشراكسة والقوزاق. | ٧٤١ |
| ٧- نزع سلاح الذين احتلت اراضيهم. | ٧٤٢ |
| ٨- السعي لإلغاء الوجود الاسلامي في القفقاس. | ٧٤٢ |
| ٩- محاولة القضاء على المسألة القومية في القفقاس | ٧٤٣ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثالث

الجزء الخامس

الفصل الثالث

جرائم عمليات تهجير الامة الشركسية


| | الصفحة |
|---|---|
| ١٠- محاولة ترويس أي تحويل الشراكسة إلى "روس" بالقضاء على تراثهم وعاداتهم ولغتهم. | ٧٤٣ |
| ١١- استخدام الضغط الاقتصادي والسياسي والديني والاجتماعي. | ٧٤٣ |
| ١٢- استخدام القوة لحمل الشراكسة على الهجرة | ٧٤٤ |
| ١٣- بث الاشاعات بأن من لم يهاجر سيرحل بالقوة وتوطينهم في الاماكن الموبؤة بالأمراض. | ٧٤٤ |
| ١٤- استغلال ظاهرة انتشار الأوبئة والأمراض بأنها عقاب للشراكسة لقبولهم العيش بين الكفار الروس | ٧٤٤ |
| ١٥- بث الدعايات التركية بأن تركيا هي الجنة المنتظرة للمسلمين وتوزيع المنشورات التركية اكثر من عشرة اسباب ومبررات لهجرة الشراكسة | ٧٤٤ |
| * شهادات شهود عيان على الجرائم التي ارتكبتها السلطات الروسية القيصرية (قبل وخلال وبعد) تهجيرهم إلى تركيا وبلاد الشام. | ٧٤٦-٧٥٨ |
| * الشهادة الاولى، للكاتب الروسي ابراموف. | ٧٤٦ |
| * الشهادة الثانية، للكاتبة الشركسية ريا مامخيغ. | ٧٤٨ |
| * الشهادة الثالثة: للمؤرخ الروسي بيرجيه | ٧٤٩ |
| * الشهادة الرابعة: للكاتب الكبير مؤلف قصة دوي الرعد. | ٧٤٩ |
| * الشهادة الخامسة: للينين قائد الثورة البلشفية الروسية. | ٧٥٢ |

## تابـــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثالث

الجزء الخامس

الفصل الثالث

جرائم عمليات تهجير الامة الشركسية


| | الصفحة |
|---|---|
| * الشهادة السادسة: لكتاب روس | ٧٥٢ |
| * الشهادة السابعة: للقائد فون فيل الذي قاتل مع الشراكسة في السنة الاخيرة | ٧٥٣ |
| * الشهادة الثامنة، من القنصل الروسي في طرابزون | ٧٥٦ |
| * الشهادة التاسعة، للقنصل الفرنسي | ٧٥٦ |
| * الشهادة العاشرة، لشهود عيان من الاتراك | ٧٥٦ |
| * الشهادة الحادية عشرة، للرواة من أبناء الشراكسة الذين هُجروا قسرا | ٧٥٧ |
| * الشهادة الثانية عشرة: لأحد المسؤولين الروس الذين اشرفوا على ترحيل الشراكسة | ٧٥٨ |
| * الشهادة الاخيرة، مقتبسة من اقوال الصحف التركية والاوروبية | ٧٥٨ |
| * شهادات حول الجرائم التي ارتكبت على البواخر والمراكب التي نقلت الشراكسة المُهجرين. | ٧٥٨-٧٦٧ |
| * الشهادة الاولى: حول مآساة السفينة أجيوس بزوس | ٧٥٨ |
| * الشهادة الثانية: حول احراق سفينتين امام شاطئ لارنكا | ٧٦٠ |
| * الشهادة الثالثة:حول احراق سفينتين كانتا متجهتين إلى قبرص وبيروت | ٧٦٠ |
| * الشهادة الرابعة: حول خرق، وحرق بواخر في ميناء "فارنا" البلغارية | ٧٦٠ |
| * الشهادة الخامسة: حول موت الاف الشراكسة المهجرين على ظهر البواخر جوعا وعطشا. | ٧٦١ |
| * شهادات من الوثائق البريطانية حول مآسي التهجير القسري وهي: | ٧٦١ |
| * شهادة السفير السير هــ بولــوار فــي برقيتــه الاولــى والخارجيــة البريطانية | ٧٦١ |

## تابـــــــع
## فهرس موضوعات الفصل الثالث

الصفحة

الجزء الخامس
الفصل الثالث
جرائم عمليات تهجير الامة الشركسية

* شهادة السفير السير هــ بولوار في برقيته الثانية والخارجية البريطانية ٧٦٤
* شهادة ايرل كاولي روسل في رسالته إلى الخارجية البريطانية ٧٦٤
* شهادة اللورد نابيير في برقيته إلى ايرل روسل ٧٦٤
* العوامل والاسباب التي ادت لاستشهاد وقتل اكثر من مليون شركسي خلال عمليات التهجير القسري: ٧٦٥
* العامل الأول: انتشار الأوبئة والامراض ٧٦٥
* العامل الثاني: حدوث مجاعات جماعية ٧٦٥
* العامل الثالث: تجمد الاطفال والشيوخ نتيجة سوء الاحوال الجوية خلال تهجيرهم براً وبحراً ٧٦٦
* العامل الرابع: حدوث نقص في مياه الشرب خاصة لدى المهجرين برا ٧٦٦
* العامل الخامس: حدوث حالات اختناق في عنابر البواخر ٧٦٦
* العامل السادس: اغراق بعض البواخر والمراكب التي اخلت المهاجرين ٧٦٦
* العامل السابع: موت العديد من الاطفال والشيوخ على الطرق نتيجة الارهاق الشديد ٧٦٦
* العامل الثامن: مقتل عشرات الالاف في حرب البلقان عام ١٨٧٧-١٨٧٨ ٧٦٧
* العامل التاسع: حدوث صدام مسلح دموي في المراحل الأولى من التهجير بين الشراكسة والمواطنين الاصليين في كل من تركيا وبلاد الشام. ٧٦٧
* مراجع ومصادر الفصل الأول والثاني والثالث من الجزء الخامس من المجلد الثالث ٧٦٨-٧٧١

## فهرس
## موضوعات الفصل الرابع


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| الجزء الخامس | | |
| | تمهيد | ٧٧٤ |
| | * الموقف الاول، ويتمثل باقوال الجنرال الروسي "كوزمينسكي" | ٧٧٤ |
| | * الموقف الثاني، ويتمثل بمواقف الشعراء الشراكسة من التهجير. | ٧٧٥ |
| | * الموقف الثالث، ويتمثل بأعمال الشاعر الشركسي الكبير "بكمرزا باشا" | ٧٧٥ |
| | * الموقف الرابع، ويتمثل بعودة عائلة الشاعر الاباظي "جوليا" للقفقاس | ٧٧٦ |
| الفصل الرابع | * الموقف الخامس، ويتمثل بما كتبه الكاتب الشركسي في قصة دوي الرعد | ٧٧٧ |
| | * الموقف السادس، ويتمثل بمحاولة ٨٥٠٠ شركسي العودة للوطن الام | ٧٧٨ |
| | * الموقف السابع، ويتمثل بعودة الاف العائلات للوطن الأم بالرغم من اشتراط السلطات الروسية "تنصيرهم" | ٧٧٩ |
| مواقف الرفض ومقاومة الأمة الشركسية لعمليات التهجير | * الموقف الثامن، ويتمثل بموقف القيادات الشركسية من بشوات تركيا والمتمثل برفض السياسة التركية الداعمة لعمليات تهجير شراكسة من الوطن الأم. | ٧٨٠ |
| | * الموقف التاسع، ويتمثل في تطوع قيادات عسكرية شركسية من تركيا لتحرير القفقاس عام ١٩١٧ | ٧٨٠ |
| | * الموقف العاشر، ويتمثل بقصائد واشعار تعبر عن رفض الهجرة، وتفضيل الموت على الرحيل | ٧٨٠ |
| | * مراجع ومصادر الفصل الخامس من الجزء الخامس في المجلد الثالث | ٧٨٤ |

# الجزء الأول

## الأمم والشعوب والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع ما بعد الميلادي

# الفصل الأول

## الشعوب والأمم والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر الميلادي

## تمهيـــد

يكتشف الدارس لتاريخ منطقة القفقاس، مجموعة من الوقائع والحقائق التي تؤكد بأن جميع الامم ذات الحضارات القديمة، وكذلك جميع الشعوب المجاورة للقفقاس، قد مرت منها أو أنها استوطنت فيها، أو استعمرت اجزاء منها، كما يكتشف بأن منطقة القفقاس كانت منطقة جذب لمعظم القادة العسكريين، واكثر حكام وزعماء الدول المجاورة لها، إما طمعا في ثرواتها، او حبا في السيطرة على ممراتها الوعرة ذات الطبيعة الجبلية الصعبة والتي كانت المنفذ والممر الوحيد (في ذلك الوقت) للتجار الأوروبيين في طريقهم للشرق الأقصى وهو (طريق تجارة الحرير) وكذلك للتجار في طريقهم للهند وبلاد الفرس وهو (طريق تجارة التوابل).

كما يكتشف الباحث في تاريخ الشعوب القوقازية عامة، والشركسية منها خاصة، بأنها استطاعت بنجاح اجتياز عصور ما قبل التاريخ، وتغلبت بصعوبة على العصور الجليدية ونجحت بكفاءة واقتدار في بناء حضارات قديمة منذ عصر نوح (عليه السلام) حيث نجد في أساطير النارتيّين ان سفينة نوح قد حطت فوق قمة جبل (قاف) وهي القمة الأعلى بين كل القمم الجبلية الأخرى في الجنوب والغرب من بلاد القفقاس، وأطلقوا على هذه القمة اسم "أوشحا – ماخوا" أي (الجبل المنير، المقدس).

وبالرغم من ذلك فإن الشعوب القوقازية عامة، والشراكسة خاصة واجهت العديد من المشاكل والمصاعب التي افرزتها مجموعة من الحقائق التي يمكن إنجازها على النحو التالي:

**الحقيقة الأولى:**

عشرات الأمم والقوميات والشعوب القديمة منها والحديثة التي سبق أن دخلت أوروبا أو آسيا اجتازت أحد الممرات الوعرة والصعبة في القفقاس وأن:

- **بعضها قد استقرت واستوطنت فيها مثل:** الآشوريين والحيثين والعيلاميين والميديا (الفرس)... كما أن:
- **بعضها الآخر قامت باستعمار أجزاء من القفقاس مثل:** الاغريق، والرومان البيزنطيين والعرب وشعوب الخزر.
- **وفئة ثالثة:** استقرت فيها لفترات قصيرة، مثل: قدماء المصريين، والصينين والهنود.. الخ.
- **وفئة رابعة:** احتلتها بالقوة المتميزة بالوحشية والبربرية المتمثلة بقتل الشيوخ والنساء والأطفال وتدمير القرى، وحرق المراعي، وإتلاف المحاصيل الزراعية، والقضاء على الغابات والأحراش مثل: **قبائل السكيت والهون والقوط والتتار والمغول وأخيرا روسيا القيصرية.**

**الحقيقة الثانية:**

يجد الباحث في تاريخ الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر ما بعد الميلاد، بأن قدر أجداد الشراكسة وابائهم أن يتعرضوا إلى مئات الغزوات، وعشرات الحروب الكبرى، بمعدل حرب واحدة على الأقل في كل قرن في الفترة الممتدة من القرن السابع قبل الميلاد، وحتى القرن الخامس عشر ما بعد الميلاد وبمعدل حرب واحدة على الأقل كل عشر سنوات في القرون من السادس عشر إلى السابع عشر وبمعدل لا يقل عن حرب او معركة واحدة كل سنة في القرن التاسع عشر الميلادي.

**كما يشير سجل ووقائع الحروب القوقازية بأن أكثر الشعوب والأمم والقبائل التي اعتدت على شعوب القفقاس عامة وشعوب الأمة الشركسية خاصة في هذه المرحلة هي:**

**(١) قبائل السكيت (المتوحشة)** وفي هذه المرحلة اجتاحت بلاد القفقاس من جنوبها إلى شمالها في القرن السابع قبل الميلاد، وكان من نتائجها المباشرة، القضاء

على الحضارات التي بناها أجداد الشراكسة من قوم (نارت) وأجدادهم (الكاسيين) بالإضافة إلى القضاء على امبراطورية الكيميرية المتحدة مع شعوب أجداد الشراكسة ((المؤت)) التي كانت تتكون من (٢٥) قبيلة، وإجبار شعب الكيميرين النزوح من القفقاس وتشتتهم في آسيا وأوروبا.

(٢) **قبائل القوط والهون القادمة من شمال اسكندنافيا، واسيا الوسطى** وهي: القبائل التي قامت بتدمير قرى ومدن أجداد الشراكسة، والقضاء على الدول والحكومات الشركسية التي كانت قائمة منذ القرن الأول وحتى القرن الرابع الميلادي.. وكان من نتائج هذه الحروب:

- **القضاء على الدول والدويلات التي كونها اجداد الشراكسة،** وكذلك القضاء على المستعمرات اليونانية وامبراطورية البسفور التي كانت تشارك فيها بعض القبائل من أجداد الشراكسة مثل **الزيك والسيند.**
- **القضاء على البنية التحتية للأعمال التجارية مع الإغريق والدول المجاورة** لها وتدمير القوة الشركسية وإتلاف المزروعات وتدمير الأراضي الزراعية حتى أصبح المثل الدارج عند الأجداد هو (الأراضي التي مرت منها جيوش قبائل الهون ما بطلع فيها زرع لمئة سنة).
- **قتل عشرات الالاف من أجداد الشراكسة،** ومئات النبلاء والأمراء منهم وقتل ثمانية من أولاد الامير (داو) الشركسي.

(٣) **شعوب الخزر، وقبائل الاوار** ومجموعات التورغوت، التي غزت بلاد الشراكسة في الفترة الممتدة من القرن السادس الميلادي وحتى القرن الحادي عشر الميلادي، واستطاع الشراكسة دحرهم بعد معارك دامت فترات طويلة، ولم تتمكن قبائل الاوار والتورغوت من تحقيق أي نصر عسكري ولم يسمح لها بالاستقرار في بلاد الشركس.

**أما الخزر**، فقد استوطنوا في مناطق ما بين نهري (الفولغا) و(الدون)، في شمال القفقاس وأنشأوا فيها دويلات عديدة، وحكموا هذه المناطق مئات السنين، إلا أنهم لم يتمكنوا من حكم بلاد الشراكسة.

**(٤) المغول والتتار بقيادة (جنكيز خان وتيمورلنك)**

بدأت غزواتهم، وهجماتهم البربرية الوحشية منذ الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، واستمرت حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ومعظم القرن الخامس عشر، ولم يتمكن المقاتلون من شعب القبرطاي من الصمود فترة طويلة امام وحشية جيوش المغول، خاصة بعد أن قتل أفضل القادة من أمرائهم.. إلا أن النجدة التي وصلت إليهم من شراكسة (الاديغة) من سكان ما وراء الكوبان، خاصة من قبائل الشابسوغ والابزاخ، ساعدت على اعادة تنظيم قوات القبرطاي، وشن هجوم مضاد مفاجئ، اضطر معه العدو للانسحاب ومغادرة بلاد القفقاس. إلا أن ابن (جنكيز خان) الذي شكل دولة (الجيش الذهبي) المغولي عاود وهاجم منطقة نهر الترك من بلاد القبرطاي في وقت لاحق واحتلها واضطر معه شعب القبرطاي إلى ترك المدن والقرى والانسحاب إلى الجبال الغربية والعيش هناك لسنين طويلة.

**كما استوطن (المغول) من اتباع دولة الجيش الذهبي في بلاد القبرطاي** وانشأوا فيها مستعمرات حول حوض نهر الترك، وعلى سواحل البحر الأسود، وتحالف القبرطاي معهم في حربهم ضد الغزاة (التتار) بقيادة (تيمورلنك) الذي هزم الجيش الذهبي واحتل بلاد القبرطاي في موقعة (تترتوب) وهي الموقعة التي تعرض لها الشراكسة من القبرطاي لخسائر فادحة في الارواح والممتلكات ونظم الشعراء بعد هذه الموقعة الحربية قصائد رثاء كثيرة، واصبحت (تترتوب) منطقة تذكر بالمذابح التي تعرض لها الشراكسة، بقولهم: (من غير الممكن أن لا تسيل الدموع عند المرور من تترتوب) وفي وقت لاحق استطاعت قبائل القبرطاي

وبمساعدة مقاتلين من القبائل الشركسية من سكان (الاديغة) فيما وراء الكوبان، من طرد الغزاة التتار من بلادهم عام ١٣٩٨.

**الحقيقة الثالثة:**

كان اول احتكاك عسكري للشراكسة مع الروس في عام ١٠٢٢م وتطور إلى معركة حامية بينهما استشهد فيها البطل الشركسي (ريدادا) وانتصر الامير الروسي فلاديسلاف، وفي عام ١٠٧٢م احتل (السلاجقة) جنوب القفقاس واستولوا على كرجستان، وهكذا صار القبرطاي على احتكاك مع الإسلام، إلا أن غالبيتهم ظلوا على وثنيتهم بينما اعتنق بعضهم الدين المسيحي، وكان كره الشراكسة لخانات التتر يبعدهم عن الدين الإسلامي، كما أن هذا الكره دفعهم للاشتراك مع الروس في الهجوم على إمارة (تمرتارقان) التترية عام ١٣٨٠م. وفي هذه السنة أيضا رحل (آل انزور) من القرم إلى منطقة قبارديا العليا. وكانوا قد اعتنقوا دين الاسلام. وصارت لهم علاقات مع الروس أيضا وتأثروا بتنظيمهم الاجتماعي والاقتصادي كما أدى قتال الشراكسة ضد خانات القرم عام ١٣٨٠ إلى تقارب بين الشعبين الروسي والشركسي وعداء مع التتار. (١٦)

**الحقيقة الرابعة:**

حسب ما ورد في التاريخ الروسي، فإن أول صدام بين الشراكسة والروس حدث عام ١٠٢٢. حيث تقول بعض الروايات التاريخية بأن قتالا ثنائيا حدث بين الامير الشركسي ريدادا والقائد الروسي ميستيلاف ابن فلاديمير* وكذلك فإن أولى الحروب ضد خانات القرم المدعومين من السلاطين العثمانيين كانت في مطلع القرن الثامن عشر حيث امتدت حروبهم مع الشراكسة عشرات السنين وابتداء من

* ربما كان افضل من كتب عن قصة ريدادا مع القائد الروسي ميستيلاف فلاديمير هو المؤرخ الشركسي شورا بكمرزا نغموقة في كتابه تاريخ الأديكة (الشركس).

مطلع القرن الثامن عشر وحتى منتصفه، وبدعم مباشر وغير مباشر من الدولة العثمانية التركية، ومن اكثر المعارك ضراوة كانت المعارك التي وقعت في الاعوام (١٧٠٧، ١٧٢٩) حتى تمكن خانات القرم في احداها من احتلال بلاد القبرطاي، إلا ان قادتهم استطاعوا استدراج ثلاثة من قادة الخانات (بحجة رغبتهم في عقد صلح معهم)، فانقضوا عليهم وقتلوا اثنين من ثلاثة وهرب الثالث، وحاول الأخير الثأر للقائدين اللذين قتلا غدرا على يد قادة القبرطاي، إلا أنه فشل وانسحب مع جيشه وعاد إلى بلاده مع نهاية عام ١٧٢٩.

**الحقيقة الخامسة:**

**تشير الوقائع التاريخية، بأن حروب الإبادة والدمار التي شنتها القوات القيصرية بدعم ومساندة العديد من الشعوب والقوميات المرتزقة، مثل القوزاق، والنغوي والقالموق والتتار، قد مرت في ثلاث مراحل زمنية وعلى النحو التالي:**

**المرحلة الاولى:** وهي المرحلة التي تفتحت فيها اطماع الروس في بلاد القفقاس، وترسخت لديهم الفكرة الاولية على ضرورة الاستيلاء عليها بعد ان سنحت لهم فرصة التعرف على ثرواتها ومواقعها الجغرافية والاستراتيجية، واهميتها الاقتصادية والتجارية والاجتماعية وكذلك بعد الكشف عن طرقها الرئيسية، وممراتها الجبلية الضيقة، حيث تحقق لهم كل ذلك اثناء مشاركة قوات روسية مع الجيش الذهبي التتري الذي قام باحتلال القفقاس، وانشاء مستعمرات لها في سهولها وعلى سواحل البحر وحوض نهر الترك ابتداء من عام ١٢٢٧م علما بأن الروس (السلافيين) لم يكونوا يعرفون أي شيء عن بلاد القفقاس قبل هذا التاريخ.

**إلا ان فكرة الاستيلاء على القفقاس لم تظهر إلى حيز التنفيذ، الا في منتصف القرن السادس عشر، وبالتحديد في عام ١٥٥٧ وهو العام الذي بحث فيه امراء القبرطاي عن حليف لهم لحمايتهم من (خانات القرم) وارسلوا اميرا من امراء الشراكسة إلى القيصر ((ايفان – الرهيب)) لعرض رغبتهم في عقد اتفاقية**

**تعاون مع حكومته، فكانت هذه الرغبة الصادقة هي البداية الفعلية لاطماع الروس التي أدت لاحتلال القفقاس (أرض بلا شعب) ولا شك بأن سوء نية القيصر الروسي (ايفان) تجاه شعب القبرطاي عامة وشعوب القفقاس الشمالي خاصة، قد تظهر بوضوح من الشروط التي اشترطها (ايفان) للموافقة على توقيع اتفاقية التعاون مع أمراء القبرطاي نذكر منها:**

١- **زواج القيصر ايفان من ابنة الامير تيمروقة** حيث تم زواجه منها واسمها (مارينا) وتم تعميدها باسم (ماريا).

٢- **أخذ أولاد الأمير تيمروقة كرها،** حيث تم تسليم اثنين من أولاده للبلاط القيصري وتم تعميدهما بأسماء روسية.

٣- **نشر المسيحية في بلاد القبرطاي** ولتحقيق ذلك ارسل القيصر قساوسة ومبشرين مع القوات الروسية التي رابطت في بلاد الشراكسة في وقت لاحق.

٤- **انشاء أول مدينة روسية على ضفاف نهر الترك،** سكنها ضباط روس في بلاد الشركس عام ١٥٦٣.

٥- **انشاء قلعة عسكرية روسية:** وتم فعلا انشاء اول قلعة على ضفاف نهر (سونج) والقلعة الثانية على ضفاف نهر (تيرك) في عام ١٥٨٩.

٦- **قيام امراء الشراكسة القبرطاي بتقديم الدعم العسكري للجيش القيصري** كلما طُلب منهم ذلك، فكانت المفاجأة لهم عندما طلب القيصر تقديم المساعدة العسكرية عندما قام بشن أول هجوم على شعب الدغستان والشيشان عام ١٦٠٤ ورفضوا ذلك.

٧- **تجديد الولاء والطاعة لكل قيصر روسي أتى بعد القيصر ايفان،** وتنفيذا لهذا الشرط قدم امراء القبرطاي الولاء والطاعة مجددا عندما اصبح

(رومانوف) قيصرا للامبراطورية الروسية عام ١٦١٤ (وادوا قسم يمين الولاء والطاعة على (المصحف) بحضور مندوب القيصر.

وعندما تسلم القيصر ميخالوفتيش سدة الحكم الروسي جَدد له امراء الشراكسة الولاء والطاعة أيضا وأقسموا اليمين على طاعته، وهكذا كان امراء القبرطاي يكررون اداء قسم يمين الولاء والطاعة كلما تولى قيصر جديد سدة الحكم في موسكو تنفيذا للشرط الذي وضعه ايفان الرهيب عام ١٥٥٧م.

**المرحلة الثانية:**

وهي المرحلة التي بدأت فيها روسيا القيصرية بتنفيذ خطة الاستيلاء على القفقاس (أرض بلا شعب) حيث قام بطرس الاكبر بحملة عسكرية ثالثة على بلاد الشراكسة بعد ان فشلت الحملتان السابقتان على بلاد الداغستان والشيشان ابتداء من يوم ١٧٢٢/٧/٢٧.

وفي هذه المرحلة كشف النقاب عن التقرير السري الروسي الذي سبق ان اعده (بوغدين)* ورفعه للقيصر الكسندر الثاني سابقا حول الاهداف التي تعمل روسيا على تحقيقها من أجل الاستيلاء على قفقاسيا وهو التقرير الذي وقفت ضده الدول الكبرى مثل (انجلترا وفرنسا)، بالإضافة إلى (الاتراك) العثمانيين وغيرهم. وهي الأهداف التي حددت المنطلقات الأساسية للسياسة الاستعمارية الروسية في القفقاس، وخلاصتها على النحو التاليِ:

١- وصلت روسيا في القرن السابع عشر إلى بحر البلطيق، وإذا أرادت التوسع في ذلك الاتجاه كان لا بد لها من مواجهة انجلترا، إلا ان الدولتين

* تقرير بوغدين المرفوع إلى قيصر روسيا الكسندر الثاني رقم ٧٣٠١٧ المنشور في كتاب الامم القديمة باللغة الشركسية وترجمه نهاد برزج في كتابه تهجير الشراكسة ص٥١/٥٢.

لم ترغبا في المواجهة الفعلية، وذلك لقناعة الطرفين بأن هناك مناطق كثيرة في العالم يمكن تقاسمها دون اللجوء إلى الحرب.

٢- إن شمال القفقاس منطقة غنية بالمصادر الطبيعية، ولها موقعها الجغرافي المميز، وتعتبر ضعيفة كقوة عسكرية إذا ما قيست بروسيا.

٣- كانت روسيا تعلم جيدا بأن من الاهداف الاستراتيجية للامبراطورية العثمانية، هو ضم آسيا الوسطى لامبراطوريتها كما كانوا يفكرون بشق قناة بين نهري الدون والفولغا، منذ عام ١٥٠٠م، فهذا المشروع نبه الروس لنوايا الاتراك، ولمنعهم من تحقيق ذلك، قرر الروس ضرورة احتلال قفقاسيا ان اجلا او عاجلا.

٤- الاستيلاء على قفقاسيا لأنه سيكون في ذلك ضربة قاسية للمصالح التجارية البريطانية.

٥- حاجة روسيا الماسة إلى ميناء حر في مناطق المياه الدافئة ولا يمكن تحقيق ذلك إلا باحتلال سواحلها التي تسكنها بعض قبائل الشراكسة والاباظة.

**اما التقرير نفسه فقد تضمن ما يلي:**

(إن الشرق هو حصتنا بحق ونحن مضطرون للتشديد على مراحل التطبيق والسيطرة في تلك المنطقة. وفي الحقيقة ان املنا وهدفنا هو السيطرة على استنبول، التي تعتبر اهم مركز للسيطرة على العالم، والتي هي مفتاح آسيا الذي سيخدمنا ثقافيا وحضاريا، فانجلترا مثلا قد تمكنت من السيطرة على البحار والشواطئ منذ فترة بعيدة.

وكذلك نحن إذا تمكنا ان نسيطر على اليابسة بشرط ان نصل إلى الشواطئ الدافئة ستصبح لنا قوة بحرية لا يستهان بها. لذا من الضروري السيطرة على المضائق مثل: (مضيق البسفور والدردنيل) والسيطرة على جميع شواطئ البحر

الاسود، وانه من الضروري ان يصبح هذا البحر وشواطئه مركز تجمع لاساطيلنا البحرية ومركزا لمناوراته.

وكان من أهداف تلك المرحلة تكثيف المعارك والغزوات والهجمات على مختلف المناطق القفقاسية في جنوبها وشمالها ومن شرقها إلى غربها عامة.. إلا ان المعارك الحقيقية تركزت على المناطق التي كان يسكنها القبرطاي (حلفاء روسيا القيصرية) والذين سبق وان وقعوا معهم الاتفاقيات واداء قسم على الولاء والطاعة للرؤساء، وكذلك تسابق امراء القبرطاي للتعاون مع القياصرة والاستعداد للعيش معهم بأمان وسلام، إلا أنهم كانوا الضحايا الأوائل للاعتداءات الروسية الوحشية، حيث تم احتلال بلادهم في هذه المرحلة بعد عشرات المعارك العنيفة التي ادت إلى دمار بلاد القبرطاي، حيث خاض القبرطاي وبعض القبائل الشركسية المساندة لهم معارك بمعدل (٣) معارك كل عقد من عقود هذا القرن، وكان اكثرها ضراوة معارك (حصن مزدوك) التي بدأت عام ١٧٧١ واستمرت اكثر من خمس عشرة سنة.

وكان من أبرز الأعمال العدوانية التوسعية للسلطات القيصرية الروسية في هذه المرحلة التي استمرت قرنا كاملا هي الأعمال التالية:

١- بناء عشرات القلاع والحصون القسرية في شمال القفقاس عامة وفي بلاد الشركس خاصة. بالاضافة لتحسين وتطوير القلاع التي بنيت في السابق.
٢- محاولة بث الفتن بين صفوف القبرطاي، وتغذية المشاعر العدائية بين الامراء القبرطاي والايقاع فيما بينهم وكذلك خلق فئتين معاديتين لبعضهما وهي المحاولات التي امر بها (فيكيتا) الذي كان يقوم بإدارة الامور الخارجية لروسيا في عهد الامبراطورة كاترين.

٣- توطين حوالي (٤٠٠٠٠) شخص من النغوي في غرب القفقاس واستخدامهم ضد الشراكسة في حروبهم العديدة، واتخذ هذا القرار بعد ارسال رسالة (الامبراطورة كاترينا) سابقة الذكر.

٤- توقيع معاهدة (كوجوك قاينارجه) بين الروس والاتراك في عام (١٧٧٢) وهي المعاهدة التي تنازلت تركيا بموجبها عن بلاد القبرطاي الصغرى والكبرى إلى روسيا القيصرية.. وان كان التنازل تنازلا شكليا، لأن الاتراك لم يسبق لهم ان حكموا او ملكوا بلاد القبرطاي بصورة فعلية، وأن الشراكسة كانوا يعترفون (دينياً) بالسلطان العثماني (كخليفة) لهم.

٥- احتلال الروس لدولة (القرم) وأصبحت جزءاً من املاك الامبراطورية الروسية منذ عام ١٧٨٢م.

٦- تحكم الروس بمضيق (كرج) وعلى مصب نهر الكوبان واستكمال بناء الحصون والقلاع ما بين نهر الكوبان وحتى البحر.

٧- اسكان القوزاق في وادي نهر (الكوبان) وفي شبه جزيرة تامان، حيث كان عددهم عام ١٧٩٢ لا يزيد على (٢٥) الف نسمة وارتفع عددهم إلى مائة الف نسمة خلال بضع سنوات.

**المرحلة الثالثة:** وهي المرحلة الممتدة من ١٨٠٠ إلى ١٨٦٤ وارتكبت خلالها جرائم الحرب والاعمال الوحشية في حق بعض شعوب القفقاس مثل (الشيشان والداغستان والاستين) عامة والشعب الشركسي ممثلا (بقبائله الثمانية عشرة) خاصة، كما ادرك قادة الامبراطورية الروسية السياسيون منهم والعسكريون في هذه المرحلة بأن روسيا العظمى بجيوشها الجرارة، وحصونها وقلاعها ومستعمراتها المحصنة، ومعسكراتها المزدحمة بمئات الالوف من الجنود والميليشيات، ومستودعاتها المليئة بأشد الاسلحة فتكا وتدميرا، قد عجزت في المعارك الحربية التي دارت في القرن الماضي، في التصدي لمقاتلين لا تتجاوز أعدادهم بضعة

آلاف من المسلحين بأسلحة شخصية متواضعة، مثل السيوف والخناجر (القامة) والبنادق قديمة الصنع.. مقاتلين لا يوجد لديهم قلاع او حصون تحميهم، ولا مدفعية تمهد لهجوم، ولا آليات ومركبات تنقلهم من وإلى المعارك، وكل ما كان لديهم هو الخيول المدربة، تدريبا جيدا ومقاتلون مؤمنون بعدالة قضيتهم وبحقهم في الدفاع عن وطنهم، وطن الاجداد منذ الالفية الثامنة قبل الميلاد، حيث تنبه القادة الروس إلى حقيقة مؤكدة الا وهي بأن المواجهات العسكرية في ميادين القتال لن تحقق نصرا نهائيا، ولن تمكنهم من الاستيلاء على (الارض بدون سكان) كما سبق ان خططوا لها.

وبدأ القادة السياسيون منهم والعسكريون استكمال السياسات والخطط التي سبق بدء تطبيقها مع نهاية المرحلة السابقة، وهي السياسات التي ركزت على استخدام اساليب الحرق والتدمير والاتلاف والتهجير القسري، والخداع وبث الاكاذيب وخلق الدسائس والفتن، وفرض الضرائب الباهظة، وقلع الاشجار المثمرة، واستغلال الدين واستخدام الاسرى في اعمال السخرة والاتجار بالنساء المخطوفات بعد اغتصابهن، واستقطاب بعض الأمراء واستقوائهم على الفلاحين والفقراء بالإضافة إلى تخريب اقتصاد بلاد الشراكسة وتجارتهم والقضاء على كل مظهر من مظاهر المدنية، وكذلك تجويع عامة الشعب بإتلاف مخازنهم وحرق واتلاف مزروعاتهم، وحصار المدنيين من اطفال وشيوخ ونساء ومنع أبسط وسائل الحياة عنهم وكذلك منع الأدوية الضرورية عنهم، مما أدى لانتشار الأوبئة والأمراض **وغيرها من الوسائل والأساليب الهمجية والتدميرية والوحشية التي استخدموها جنبا إلى جنب مع تنفيذ حوالي (١٤١) معركة كبيرة ضد الشراكسة بالإضافة إلى مئات الغارات الليلية والنهارية على المصلين، كما هو مبين في الجدول التالي:**

| السنوات | عدد المعارك الكبرى | ملاحظات |
|---|---|---|
| ١٨٠٠-١٨١٠ | ١٠ معارك | يضاف إلى هذه المعارك مئات الغارات والغزوات على أهداف مدنية من قرى ومزارع وحقول وقطعان الماشية والمساجد في القرى الشركسية إلخ. |
| ١٨١١-١٨٢٠ | ٣ معارك | |
| ١٨٢١-١٨٣٠ | ٥ معارك | |
| ١٨٣١-١٨٤٠ | ١٥ معركة | |
| ١٨٤١-١٨٥٠ | (١٠٠) معركة منها (٨٨) معركة في الاعوام ما بين ١٨٤١ - ١٨٤٦ | |
| ١٨٥٠-١٨٦٠ | (١٢) معركة | |
| ١٨٦١-١٨٦٤ | (٨) معارك منها (٤) معارك ضمن حرب القرم. | |

# الفصل الثاني

## وقائع وأحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة الممتدة من القرن السابع ما قبل الميلاد وحتى القرن السادس ما بعد الميلاد

**تمهيد**

توصلنا في الفصل الأول من هذا الجزء إلى أن من الشعوب التي اعتدت على الأمة الشركسية في الفترة الممتدة من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي هي قبائل وشعوب:

- السكيت.
- القوط.
- الهون.

**وفيما يلي دراسة تحليلية لوقائع وأحداث الاعتداءات والحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في هذه الفترة.**

**وقائع وأحداث اعتداءات قبائل السكيت:**

تعرض أجداد الأمة الشركسية لأول اعتداء خارجي من قبل قبائل (السكيت) الذين قدموا من آسيا، واستمرت حروبهم ضد أجداد الشراكسة وشعب الكميريين وهم من اقدم الشعوب التي استوطنت في بلاد القفقاس منذ الالف الرابع ما قبل الميلاد [١] *.

وبالرجوع إلى ما كتبه (هيرودوت) وجدنا بأن قوات (السكيت) المؤلفة من قبائل (همجية) قد اعتدت على شعوب الأمم المستوطنة في جنوب القفقاس، وهي القبائل التي عرفت باسم (لاسكو ذيين) البدوية الذين كانوا يتخذون من العربات بيوتا لهم، ويقضون معظم وقتهم على ظهور الخيل وهم الذين قال عنهم (هيردوت) "**إنهم قوم كانوا يتعثرون في مشيتهم ولا يتقنونها عندما يترجلون عن ظهور**

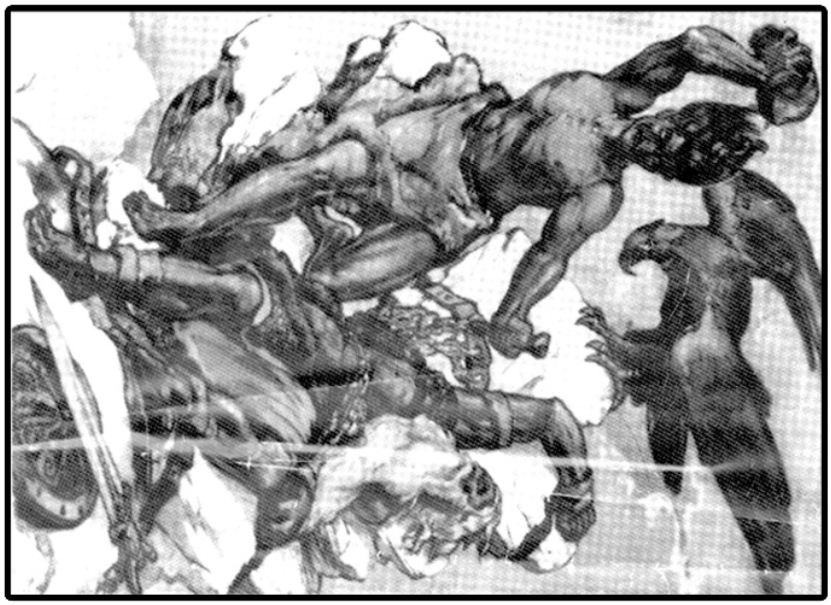
* ملاحظة: مصادر ومراجع موضوعات هذا الفصل مثبتة في مقدمة قائمة المراجع ومصادر موضوعات الفصل الثاني من هذا الجزء.

**خيولهم، كما قال بأنهم قوم يتكونون من قبائل متوحشة عملهم الرئيسي هو القتال وان رجولة الشاب (السكيتي) لا تكتمل إلا بقتل عدو واحد على الاقل ومن عاداتهم الوحشية جمع وحفظ رؤوس الاعداء تذكارا للنصر وسلخ جلود رؤوس الاعداء واستخدامها كلفائف على رؤوس محاربيهم كما كانوا يصنعون من الجلود المنزوعة من أيدي الاعداء الاموات (كنانات) للسهام**" [٢].

تلك هي الصفات الوحشية للقبائل السكيتية او (الاسكوذية)، وبالتالي فقد كان من النتائج الوخيمة لاعتداءاتهم الوحشية التي تعرض لها اجداد الشراكسة والكميريين من قوات السكيتين هي:

- القضاء على الامبراطورية الكميرية وزوال الاتحاد الذي كان يتكون منهم ومن قبائل (المئوت) وعددها (٢٥) قبيلة حتى اضطر الاحياء من الشراكسة للنزوح عن أماكن سكنهم واللجوء إلى الغابات والجبال العالية هربا من بطش ووحشية المعتدين.
- تناقص أعداد اجداد الشراكسة بعد الاعتداءات التي تعرضوا لها من السكيتين المتعطشين لسفك الدماء.
- حرق ونهب مدن شركسية كثيرة واضطرار الشراكسة لاتخاذ الغابات والكهوف في اعالي الجبال سكنا للاحياء منهم.
- اجبار الشبان الشراكسة الذين هم في سن القتال للانضمام إلى صفوف المقاتلين (السكيتين) ومشاركتهم في غزواتهم وحملاتهم العسكرية الوحشية[٣].





صور ترمز للاسلوب الذي استخدمه أجداد الشراكسة في القتال في عصور ما قبل التاريخ عند التحامهم مع الاعداء في ساحة المعركة

**وقائع وأحداث اعتداءات قبائل (الهون / الهان)**

تعرض أجداد الشراكسة عامة وقبائل السيند والزنك والكركيت الشركسية خاصة، إلى اعتداءات وحشية من قبائل (الهون) او (الهان) وهي القبائل المنحدرة عن كتلة (الهون) الغربيين والذين كان موطنهم الأصلي في (تركستان الغربية الحالية) وهم من اصول مغولية.

ويؤكد المؤرخون من القدامى بأن (الهون) عرفوا بأكثر من اسم لدى الشعوب التالية:

البيزنطيون واطلقوا عليهم اسم (هفتاليت)

الايرانيون وسماهم (هلياتليت)

الصينيون وكانوا ينادونهم باسم (هنتا) أو (باتا)

الاتراك العثمانيون وسماهم بـــ (آق. هون) ومعناه (الهون البيض) كما اطلقوا عليهم ايضا اسم (خون) وسماهم الشراكسة بقبائل (كون) او (الجون).

وفي عام (٢٠٠) قبل الميلاد اجتازت قبائل (الهون) نهر الفولغا إلى شمال القفقاس واصطدموا اولا مع قوم السارماتين وهم من أجداد الشراكسة، وفي عام (٣٠٠م) هاجموا قبائل (اللان) وهم اجداد (الاستين) وواصلوا زحفهم نحو بلاد (الاديغة) واشتبكوا مع قبائل الامة الشركسية من (الاديغة) في معارك عنيفة عديدة، إلا أن التاريخ المدون لم يذكر لنا تفاصيل هذه المعارك، وإن تحدثت الروايات الشعبية والقصص القومية الشركسية القديمة في شيء من التفصيل عن بعض هذه المعارك، نقتبس منها القصة التالية:

"**إن توجه جيوش (الهون) إلى بلاد الجراكسة أوقعهم في اضطراب، وتداعوا إلى اجتماع عام عقد على (الارجح) في منطقة (مزدوك) واثناء الاجتماع انسل إلى المجلس نسر يحمل (بمنقاره طفلا ملفوفا بالخرق) وحط بالطفل في حضن امرأة مسنة، فتحير الناس من هذا الحادث الغريب، وفسروه بأنه بشارة**

**سعيدة، وأن قدوم هذا الطفل سيكون خيرا لهم وجالبا للحظ السعيد، وراح الطفل ينمو بسرعة غريبة وبعد زمن قليل اصبح لا يسع في سريره، ثم قطع رباط السرير المجدول حوله، ونما الطفل وتكاملت رجولته بسرعة فنصبوه قائدا لهم. وانضوى جميع الشراكسة تحت هذه القيادة الالهية وقرروا محاربة (الهون) ولكن الجراكس هزموا بادئ الامر وانسحبوا حتى موقع (كونيتيه ي) ثم جمعوا صفوفهم وجددوا المقاومة، والظاهر ان الطرفين ظلا متقابلين في قتال ضار مدة طويلة في ذلك الموقع، وفي هذه الاثناء حدث زلزال كبير، وتشققت الاراضي، فأحدثت فيها شقوقا واسعة تقذف بالنيران واللهب وبروائح كريهة جدا، واعتبر (الهون) هذا نذير شؤم لهم فانسحبوا من البلاد، وبذلك نجت قفقاسيا من مجازرهم وتدميرهم".**

وربما كان لهذه الاسطورة شيء من الحقيقة من حيث القتال، إذ يوجد حاليا موقع اسمه ((كونتيه)) بجوار ((بتغورسك)) ويقع على الطريق المؤدي إلى مصايف (هاساووت) في مدخل أحد الوديان، ويفهم من هذا أن الجراكسة استخدموا الجبال في دفاعهم عن بلادهم.

وكلمة (كون) أو (هون) يطلقونه حتى اليوم على (هون القازان) ومنطقة (كونيته. ي) وهو المكان الذي كان ينزل فيه (الهون). كما يطلق الشراكسة على هذا المكان حتى وقتنا الحاضر (خنادق الهون) كما تشاهد في مدخل وادي (كونيته. ي) صخرة عظيمة قد نحتت ونقشت عليها علامات (دامغة) للعديد من الاسر الشركسية، ويقال أنها علامات الاسر التي اشتركت في تلك الحروب، او التي ابدت فيها البطولات والتضحيات، كما ان البعض الآخر يعتقد أن هذه العلامات قد نقشت هناك فيما بعد ولا تزال هذه العلامات موجودة حتى يومنا هذا على صخور (كونيته. ي) [٣].

ولا شك بأن اعتداءات قبائل الهون أحدثت رد فعل عنيف لدى المجتمعات الشركسية القديمة التي تصف وحشية تلك الاعتداءات، رواية شيوخ الشراكسة بقولهم: "ان المكان الذي مروا به (والمقصود هم الهون) لا ينبت فيه شيء لمائة عام" (٤).

كما تشير الروايات الشركسية القديمة أن (آتيلا) ملك الهون كان اسمه بلغة ذلك العصر (ايدل) وقد ورد ذكره في إحدى الاغاني القديمة باسم (فلاكة الله) وهو الاسم الذي أعطته (الاتراك) لقبائل الهون وجاء ايضا في إحدى القصائد الشركسية بعض الأبيات حول ذلك منها:

لم ينسنا الله فقد شملنا برحمته
واعاد إلينا جبالنا ووديانا
بعد ان ابتعد ورحل عنا (فلاكة الله)

ومنذ ذلك الوقت يسمي الجراكسة جبل (شاد) باسم (أواشحة ماف) ومعناه الجبل المبارك.

ومن الواضح بأن أجداد الشراكسة في ذلك العصر كانوا يخشون بطش ملك الهون (اتيلا) ويحسبون له الف حساب، ويتقربون منه لدفع اذاه وبطشه، ونستدل على ذلك بنصوص بعض القصائد من كلمات المديح والتبجيل، نقتبس منها الأبيات التالية:

- **ان نخبة شبابنا وفرساننا تسعى إليك أيها القانص الكبير.**
- **إن لم تمتلىء عيونك بعددهم، فنحن الباقين طوع بنانك.**
- **ومن الأعالي والروابي تنحدر الفرسان كالشهب المتساقطة.**
- **وتتزاحم جموعهم حول (آتيلا) الملك العظيم.**
- **وأما ضرباتهم التي ينزلونها فلها صدى الصواعق.**

وبعد موت (اتيلا) ضعف شأن (الهون) وهزموا في غزوتهم لروما الشرقية، وانحلت قواتهم في عام ٤٥٤م فاستوطنت بعض قبائلهم في حوض نهر الدانوب، كما وأن قبيلة أخرى من (الهون) عاشت عند مصب نهو الدون وقبيلة ثالثة واسمها (سابو) تعرضت للغزو والنهب من قبل قبائل الاوار في عام ٥٥٠م فرحلت عن بلاد القفقاس واختفت آثارها [٥].

**وقائع وأحداث حروب قبائل القوط (القوت)**

بالرجوع إلى ما كتبه المؤرخ القوطي (جورنا ندس) الذي عاصر حكم القوط في القفقاس، نستنتج بأنهم جاءوا من الشمال، حيث كانوا يقطنون في بلاد اسكندنافيا حتى القرن الرابع الميلادي كما نستنتج بأنهم ينقسمون إلى مجموعتين هما: قبائل مجموعة القسم الشرقي، وقبائل مجموعة القسم الغربي وهي التي استوطنت في حوض (الدون) وساحل بحر (ازوف) في قفقاسيا الشمالية حقبة طويلة من الزمن.

ويشير المؤرخ القوطي (جورناندي) بأن قبائل القوط سبق لها أن غزت بلاد الشراكسة وبالأخص منطقة قبائل (الاديغة) المجاورة لهم في حوض نهر الدون في منتصف القرن الرابع الميلادي، وأن العديد من أجداد الشراكسة (الانتيين) قد انخرطوا في جيش (القوط) والمشاركة معهم في حروبهم اللاحقة وقتل اولاد الامير (داو Dao) الثمانية منهم الاخ الاكبر (باقسان) وعبر المقاتلون الشراكسة عن وحشية هذا القتل الجماعي لاولاد (داو) بضربهم على صدورهم تعبيرا عن حزنهم العميق، كما قامت نساء مجتمع (الاديغة) بنزع شعورهن من رؤوسهن وانشدن قائلات:

* قتل اولاد (داو) الثمانية
* نعم اولاد (داو) الثمانية.

كما انشدت شقيقتهم الوحيدة حزنا على اشقائها قائلة:

- إن بطولة (باقسان) وهمته اوقدتا نار الحمية في قلوب الانت.
- يا بطل يا (باقسان) ابن (داو) وان كانت الروح قد فارقت لا تدع (القوت) يمسون كرامتك.
- واذا ارادوا اخضاعك، لا ترض بسلطتهم .

واستطردت قائلة:

- كان الشعب كله يدعوك بالمقدس الطاهر.
- وكان القوم يستمدون منك العزم والاطمئنان.

وكلفت شقيقتهم النحاتين اليونانيين بعمل نصب تذكاري للأخ الأكبر (باقسان).

وواصلت قوات القوط زحفها نحو ساحل البحر الأسود حتى وصلت نهر الدانوب وقضت على دولة البسفور (اليونانية) والتي كان يتحد معها بعض قبائل أجداد الشراكسة [٦].

وفي منتصف القرن الخامس الميلادي وفي حدود عام (٤٤٦)م واصلت قبائل (القوط) زحفها نحو بلاد الشراكسة ودمروا أعداداً كبيرة من قراهم حتى اضطروا للالتجاء إلى الجبال العالية.

**وفيما يلي بعض الآثار والنتائج التي احدثتها اعتداءات قبائل القوط على شعوب القفقاس عامة وشعب الاديغة خاصة وهي:**

١- القضاء على (مملكة ) امبراطورية البسفور اليونانية والتي كان يستخدمها العديد من قبائل اجداد الشراكسة، وبالتالي القضاء على الفترة الذهبية للتجارة القفقاسية في ذلك العصر.

٢- توقف أعمال الزراعة لعدم تمكن الأهالي من فلاحة أراضيهم في السهول لوجود قبائل (القوط) فيها [٧].

٣- قتل (٨٠) اميرا ونبيلا وقائدا من خيرة قادة (الاديغة) الذين كانوا في مقدمة المقاتلين الذين تصدّوا لغزوات قبائل (القوط) [٨].

وأنشدت بعد إقامة النصب التذكاري لـــ (باقسان) قائلة:

- وما الأمل اذا كان الصخر الاصم آخر ما تبقى من سلوانا.
- ولكونه شبيها بك ويجرح قلبي كل ما وقع نظري عليه.
- ان شعب (الانت) لن ينساك ولن يخلع ثوب الحداد.

والتمثال ما زال قائماً حتى اليوم، وكتب عليه الاسم وتاريخ اقامة النصب التذكاري في القرن الرابع الميلادي.

وتقديرا من شعب (الاديغة) لبطولة (باقسان) وإخوانه السبعة أطلق اسم (باقسان) على النهر الذي كان يسمى بنهر (ألتود – Altud) [٩].

# الفصل الثالث

## وقائع وأحداث الحروب التي تعرضت لها الأمة الشركسية في الفترة من القرن السادس الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي

**تمهيد**

تعرضت الأمة الشركسية في الفترة الممتدة ما بين القرن السادس الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي إلى اعتداءات عديدة على يد قادة جيوش كل من:

- الاوار بقيادة الخان (بايقان).
- دولة الخزر.
- التورغوت أجداد شعوب القالموق.
- المغول، بقيادة جنكيز خان.
- التتار، بقيادة تيمورلنك.

**وفيما يلي تحليل لوقائع وأحداث حروب واعتداءات كل دولة من الدول سابقة الذكر.**

**وقائع واحداث حروب القرن السادس الميلادي**

اجتازت جيوش من قبائل (الأوار) المغولية الأصل نهر الفولغا بقيادة الخان (بايقان) عام (٥٦٥) الميلادي وقضي على بقايا قبائل (الهون) في بلاد القفقاس وضمهم إلى قبائله، وانخرطوا في قواته وتكونت وحدة (مغولية، تركية) باسم (الاوار). وحكموا بلاد الشراكسة مدة (٣٠٣) سنوات وامتدت من عام (٥٦٥م) وحتى عام (٨٠٣)م واستطاع خاناتهم (امراؤهم) خلال هذه الفترة من الاستيلاء على المناطق التي كانت خاضعة للامبراطورية الاغريقية على ساحل البحر الاسود، ودمروا كثيرا من المدن والقرى القوقازية، وواصلوا زحفهم نحو بلاد (الآنت) الشركسية القاطنين في منطقة قبائل (القبرطاي) وقبل بدء الهجوم أوفدوا إلى زعماء القبرطاي رسلا يطلبون منهم تقديم الطاعة لهم، وكان رد الامير وبتشجيع من بعض زعماء القرم بالرفض التام، بل تعاملوا مع الرسل بعلياء وكبرياء، وردوا طلبهم بجفاء، وأجابوه بكلمات جارحة، فألح رسل (الخان) في

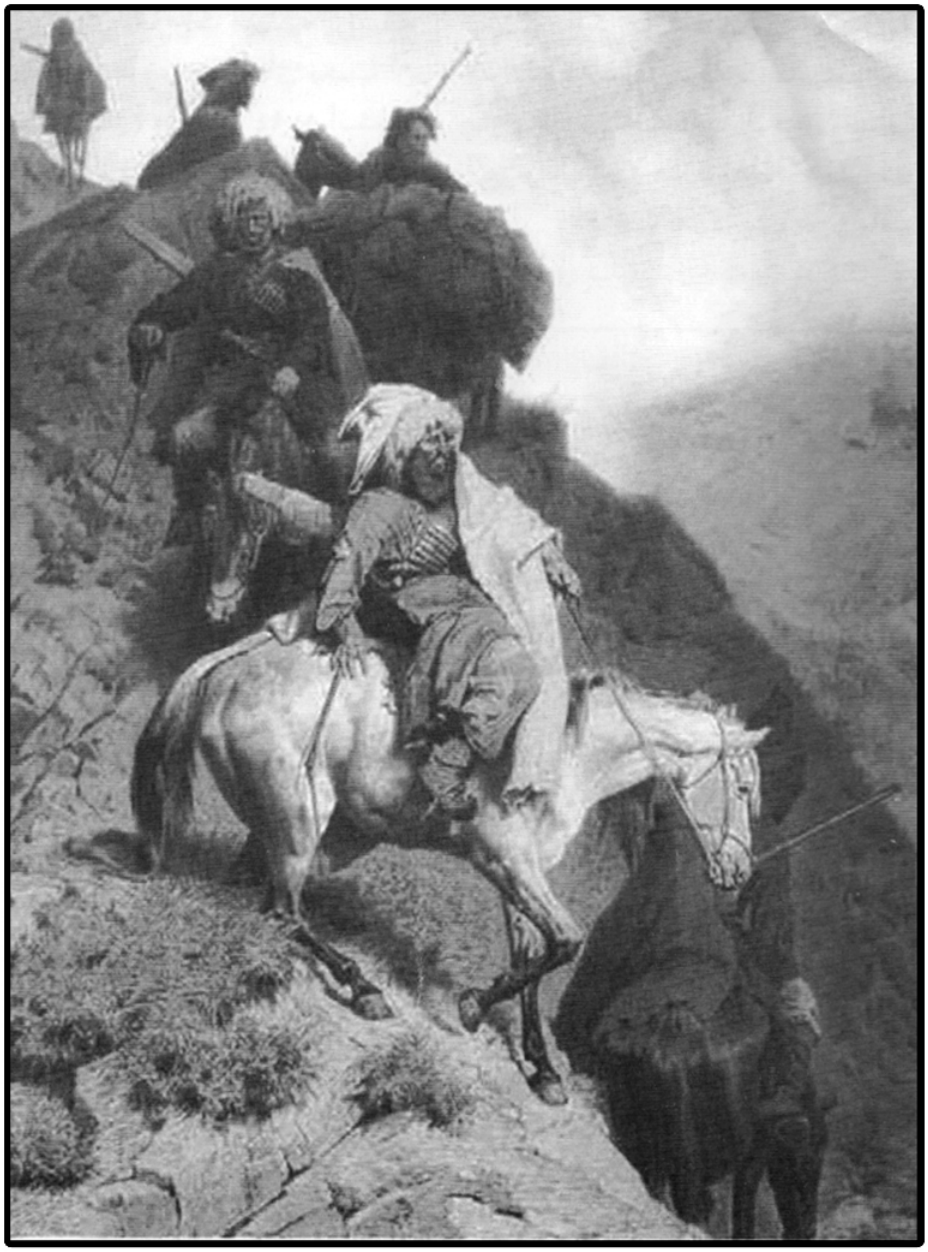
طلبهم وهددوهم بقوة سيدهم، حتى احتدم الجدال، وقال لهم الامير "**سنحاربكم وسنقاتلكم حتى لا يبقى من (الاديغة) شخصٌ واحد قادر على حمل السيف**" **وقاموا بقتل رسل الخان الذين دفعوا حياتهم ثمنا لوقاحتهم.**

وكان من نتائج هذا الموقف الشجاع من الامير ((لاورستان)) وزعماء ((الاديغة)) ان قام الاوار بقيادة قائدهم (بايقان) بهجوم كبير على مناطق القبرطاي نتج عنه تخريب البلاد وإحراق القرى وإتلاف الزرع والإمعان في تقتيل السكان وتشريدهم واضطروا معها الفرار ((عزلا)) إلى الجبال والكهوف والغابات الكثيفة هربا من وحشيتهم وانقاذاً لأنفسهم من الهلاك والفناء.

إن الخوف الذي ادخله ظلم (الاوار) وطغيانهم في قلوب الناس كان يفوق حد الوصف حتى انهم اصبحوا لا يجسرون على البقاء في مكان واحد اكثر من يومين متوالين خشية ان يصلهم الاعداء او يباغتوهم غفلة [١٠].

وقتل الامير (لاورستان) في هذه المعركة وتعرضت قواته لخسائر فادحة، وانسحب مع قبيلة (كميركوي) التي كانت تشكل القوة الرئيسية في جيشه إلا أن قوات الاوار الظافرين طاردت فلول جيش (الكيمركوي) المنسحبة، وفي مضيق (الحصان الابيض) تلاقوا بقوات (ينالقوة) القادمة للنجدة وقابلوا الاوار فانهزم الامير (ينال) إلا أنه اعاد تجميع قواته وقوات (الكيمركوي) وقام بهجوم معاكس فكان الانتصار على (الأوار) فانسحبوا إلى الشمال وتخلصت بلاد الجراكسة من بلائهم وهمجيتهم إلى الأبد.

ولا تزال ذكريات تلك الفاجعة في ذكريات القفقاسين تحمل المرارة والأسى حتى يومنا الحاضر، ففي الوادي الذي تغلب فيه (الأوار) بقيادة (بايقان) على قوات (لاوريستان) الشركسية طريق يحمل اسم (حدريخه غوك) حتى اليوم ومعناه (طريق الآخرة).



صورة تمثل المواقع الوعرة التي كان يقاتل فيها المقاتلون أجداد الشراكسة في العصور الأولى ما بعد الميلاد

كما ان وحشية جيش (بايقان) وهمجيته تركت أثرا كبيرا في نفوس (الاديغة) استمر حتى اليوم لدى الشراكسة في الوطن الام.. واعتادوا ان يضربوا مثلا كلما رأوا حصانا جميلا ابيض اللون بقولهم (مثل حصان بايقان) وسموا رجماً من الحجارة البيضاء بالقرب من قلاع (آنابا) (حصان بايقان الابيض).*

وتشير بعض الروايات الشركسية إلى أنّ جيش (لاورستان) فقد ما لا يقل عن ثلثي قواته. اما الثلث الذي عاد سالما، فكان محملاً بالغنائم والأموال والعتاد منها أعداد كبيرة من الخوذ الحديدية للقتل من جيش الاوار.

وبعد انتهاء المعركة الأولى التي خسر فيها الامير (لاورستان) ثلثي مقاتليه قال أحد شعرائهم قصيدة الرثاء التالية:

يا معيننا ومنقذنا (الياس)* ذا القوة والكرم.
ارسل البلاء من فوق السحب واقهر جواد (بايقان).
بيدك الطاهرة التي تفوق بياضا ثلوج جبالنا الابدية.
لقد فقدنا كل شيء في هذا اليوم الذي كان شره مستطيرا.
الجزع يعصر القلوب وضوضاء المعارك الدامية تطرد النياما.
ويل للشيوخ والاطفال، فهم حيارى لا مرشد لهم.
تراهم باحثين عن كمين بعيدا عن أوطانهم التي التهمتها النيران.
والذي يزيد بؤسهم بؤسا الشك والريبة وخذلان الآمال.
يسعون في ديار الغربة عادمي السكينة والاطمئنان.
ودموعهم تنهمر من مآقيهم سيلان الآنهر من منحدر الجبال. (١١)

* ذكر نغموقة في كتابه تاريخ الاديكة بأن الامير لاورستان استطاع الهروب ولم يقتل ص:٥٥-٥٦.

* هو النبي الياس حيث كانت قبائل القبرطاي ومعظم قبائل (الاديغة) القاطنين على شواطئ البحر الاسود يعتنقون الديانة المسيحية عند وقوع معارك (الاوار والاديغة).

كما أنشد شاعر آخر بعد انتصار الجيوش الشركسية المشتركة بقيادة الامير (ينالوفة) أنشد (٣٢) بيتا نقتبس منها الابيات التالية:

**لقد رأينا حصن (غورتات) المنيع فريسة النيران كأنما نار الصواعق قد طوقته من كل صوب.**

**وكانت الحجارة المسودة من الدخان تنهال من أعاليه كأنها شهب متساقطة في الليل البهيم.**

**وبطلنا (الجوقة) الذي لا يعرف الخوف ما كان ليجزع من هول النيران، بل وثب فيها وثبة الأسود فاختفى.**

**وأما (حاتوظوقوه) فلم يسبقه احد في يوم الرهان.**

**و(شيراتلوقوة** Sheratluko**) القوي هزم الجمع وانتقم لإخوانه شر انتقام وبينما يهاجم الاعداء ببسالة كان يرى روح ابيه محلقا في الفضاء ليرى الصالحات من اعمال ولده الذي كافح الاعداء بلا معين.**

**واما (حاشو** Chashow**) الشاب فقد تحفز مرارا ليثب نحوه ويكون معينا له لو لم يمنعه عن ذلك الشيوخ الذي رق قلبهم على والدتهم العجوز الاميرة (شاميخا** Shamicha**) التي قبعت في دارها وهي تذرف الدمع من هول الاسى والجزع.**

**غير انه وثب إلى الميدان رغم الموانع وأذاق الأعداء شر العذاب. أما تراه قد افرغ آخر سهم من كناناته الثلاث؟!**

**ان فرساننا الذين دمروا حصن (دربند) قد توجت رؤوسهم بالخوذ، إلا ان خوذة (قبش كوكو** Kipsh Gugow**) فاقتها خفة وجمالا.**

**و(اسلام** Islam**) يمطر الاعداء بوابل من السهام من قوس جده الكريم.**

**والشجاع (موقوج يظنوقو باديو) يتخبط بدمه في ظل راية (الخان) التي كان نجلها. اذ رماه سيف العدو وخر صريعا.**
**وبطلنا (جاتم دوكر) الذي رده الاعداء رجع ثانية إلى ساحة الوغى ليخوض المعارك الدامية.**
**وكان (شاو باكر) العملاق يريق الدماء على جوانبه ويهزم جموع الأعداء شر انهزام** [١١].

تتفق الرواية الشركسية مع ما كتبه المؤرخ الروسي (كرامزين) الذي استقى معلوماته عن حروب (الاوار – وشعب الأنت)* ومن المؤرخين الاغريق القدماء وان الاختلاف بين الرواية وما كتبه المؤرخون هو في اسم (لاورستان) حيث ورد في (كتاب كرامزين) تحت اسم (لاوريتاس Lauritac). كما ورد اسم بايقان في الرواية الشركسية وعند كرامزين باسم (بايان – Bayan) وكذلك خلط بين شعب الاسلاو الصقيلي وبين شعب (الانت) الذين هم اجداد الشراكسة [١٢].

**وقائع واحداث وحروب القرن العاشر الميلادي:**

تمثلت اعتداءات القرن العاشر على شعوب الامة الشركسية بالاعتداءات الهمجية التي قام بها قادة دولة (الخزر).

وقبل البحث في وقائع واحداث تلك الاعتداءات لا بد لنا من اعطاء فكرة موجزة عن دولة الخزر من حيث نشأتها، وتكوينها وأهم مدنها وتحالفاتها.

* يقول المؤرخ الروسي كرامزين بأن اسم (الانت) لم يعد يذكر في الكتب التاريخية منذ عام ٦٠٢م.

يقول المؤرخون العرب والفرس عن دولة الخزر بأنها هي الدولة التي تشكلت بين نهري (الفولغا والدون) في شمال القفقاس، وأنهم ينتسبون في الأصل إلى عرق شمالي اوروبي وانهم ينتمون لشعوب (المجر او الترك) وانهم عرفوا بأكثر من اسم مثل (قوزار) و (هوزار) و (خزان)، ويقول المؤرخ العربي (ابن فصلان) بأن (الخزر) خليط من أناس بيض البشرة وسودها كما أن (أثير)، و (شمود الدمشقي) يرجعان اصل (الخزر) إلى الكرج والأرمن.

واما ملك الخزر (ياسف) الذي كان يدين بالديانة اليهودية يقول بأن الخزر من ابناء (يافث) وانهم من نسل الابن السابع (توغورما) واسمه (كسار) إلا ان الآثار المكتشفة في (كابادو) تدل بأن (الخزر) هم بقايا الحثيين الذين عاشوا في بلاد القفقاس، كما وجدت شواهد أثرية بأنهم انتقلوا في القرن الثالث أو الرابع الميلادي إلى الاقسام الشرقية من بلاد القفقاس، وذلك في فترة قبل بدء غزوات قبائل (الهون) واستيلاء العرب على جنوب القفقاس، ثم انتقلوا إلى شمال القفقاس وأنشأوا فيه اربعة بلدان وهي:

- **بلدة بلانجر** وتقع في جنوب الداغستان.
- **بلدة سليندر**، ويسميها العرب (سمندر) بالقرب من بلدة (قيزليار) الحالية عند مصب نهر (الترك) في بحر (الخزر) شمالي الداغستان، وسكانها من المسلمين و (اليهود الموسويين) والطبقة الحاكمة للمملكة هم من الخزر.
- **بلدة اتيل** وموقعها على الشاطئ الايسر لمصب نهو الفولغا الذي كان يسمى آنذاك نهر (اتيل)،[١٣] وكانت تشغل مركزا تجاريا هاما في ذلك الوقت.

وتوسع الخزر غربا وانشأوا دولتهم في جزيرة القرم على البحر الاسود، كما انشأوا عاصمة جديدة لهم على بحر الازوف، وسميت ببلدة (سرقالة) واستمر حكم الخزر في بلاد القفقاس حتى عام ٩٨٠م.

**علاقات دولة الخزر مع شعوب قفقاسيا الشمالية:**

تمثلت علاقات الخزر مع شعوب القفقاس عامة والشعوب الشركسية خاصة بنوعين من العلاقات هما:

**الاولى:** علاقات تجارية خاصة وأنهم توسعوا في تجاراتهم وانتشروا داخل القفقاس وخارجه في عهد الملك (بولان) الذي اعتنق الديانة (اليهودية الموسوية).

**والثانية:** تمثلت بالصداقة التي نشأت بين شعب الخزر والشراكسة، ثم تحولت إلى تحالف في فترة من الفترات التي كان فيها الشراكسة في حالة إعادة تنظيم صفوفهم بعد الدمار الذي خلفته جيوش الأوار.. إلا أن هذا التحالف لم يدم طويلا بعد أن حاول قادة ((الخزر)) بسط نفوذهم على بلاد الشراكسة، وجرت معارك دامية بين ((الاديكة)) الشراكسة وبين الخزر عام (٩٥٧م) في شمال نهر الكوبان [١٤]. وصفها (برقوق) بقوله: بدأت المعركة الأولى عندما خرج الامير "بشي بزروقة بولاتوقه" مع الأمير "الجوقة قان شاو" لصد غارة الخزر على "تاماتركان" وقد سار الامير "الجوقة" في الطليعة فاصطدم فجأة بجيش العدو الذي أحاط بقوته القليلة فاشتبك في قتال ضار مع العدو، ووقع أسيرا، وحين أدركت قوة (بزروقة) المعركة أحاطت (الخزر) وحدثت معركة شديدة وانسحب الخزر مغلوبين إلى عاصمتهم الصيفية (سرقله) ومعهم الأمير (الجوقة) أسيرا، ونظمت إحدى عشائر الشراكسة على إثر أسر الامير (الجوقة) قصيدة نقتبس منها الابيات التالية:

**كم من الايام مضت وعين (الجوقة) اليمنى تحرس البحار**
**لقد توالت الايام وهو في انتظار قدوم السفن الجسيمة.**
**ومضت السنون وهو ينتظر قطع الفضة ليبتاع حريته ثانيا.**
**لقد اقسموا له بذلك امام الله، وهذا شيء عظيم.**
**وهكذا يغضب (الجوقة) الذي آثار الحرب، وهو أسير في (سرقلة).**
**لكن مقتك وغضبك قد ذهبا سدى يا (الجوقة).**
**إذ المحاربون الذين شتتوا الاعداء، حينما لم يجدوك.**
**لم يروا بدا من تركك حيث كنت، فارتدوا إلى ديارهم**
**مثقلين بالأسلاب والغنائم التي تركها الاعداء الهاربون.**
**وحلفوا لك الايمان امام الله.. وهذا شيء عظيم.**
**مالك تغضب يا (الجوقة)؟.. أما أنت الذي جلب إلى نفسه.**
**الويل والخراب؟! فانتظر الرحمة اذن من بني قومك في (سرقله).**
**حلفوا لك الايمان مرارا امام الله .. وهذا شيء عظيم.**
**ولكن الايمان ذهبت أدراج الرياح.. و(الجوقة) البطل.**
**يقضي أيام شبابه في ديار الغربة عبدا أسيرا** [١٥].

**المعركة الثانية:** وبدأت بعد أن اتفق امراء الشراكسة على غزو عاصمة الخزر (سرقلة) أو (ايسكاله Askala)، فاحتلوها بالقوة، واطلقوا سراح (الامير الجوقة) كما استولى (الجيش المشترك) على سواحل بحر (ازوف) وسيطروا على إمارة "تمتارقان– Tamtarkan " وعادوا للبلاد منتصرين، واستقبلهم شعب "الاديغة" استقبال الابطال العظام، وساعدت الاموال والغنائم التي جلبوها معهم من بلاد

الخزر على تخفيف وطأة القحط والمجاعة التي حلت ببلاد الشراكسة بعد الغزوات والاعتداءات الهمجية السابقة عامة مثل اعتداءات الهون وخان الاوار وغيرها.

**أما المعركة الثالثة،** فكانت في عهد الامير "ايدار Idar" حفيد الامير (ينال) الكبير. حيث تشير الوقائع التاريخية إلى أنه عندما بلغ هذا الامير الشاب سن الرجولة، كان أول ما فكر فيه هو غزو البلاد المجاورة واخضاعها، وزحف بجيش مكوّن من جميع قبائل (الاديغة) إلى مملكة الخزر القائمة على سواحل بحر آزوف. فهزموا الخزر، ورجعوا من حملتهم بكثير من الغنائم والاسلاب، وقيل إن جده "يلجروقة Eldjeruko" أمير قبائل "البظة دوغ" والعملاق المشهور بقوته البدنية ( رددیا Rededia) كانا يرافقانه في أسفاره وغزواته.

وقيل عن (رددیا) بأنه كان عملاقا وقويا ولم يتمكن أحد من شعب الاديكة من منازلته، وقد خلد اسمه في الأغنية المعروفة التي مطلعها:

**رددیا، رددیا أسعد السعداء!.**

وليومنا هذا يذكر اسمه في اغاني الاعراس ومواسم الحصاد وأوقات جمع الغلة وغيرها من المناسبات والحفلات في المجتمعات الشركسية العديدة [١٦].

**وقائع واحداث حروب القرن الثالث عشر الميلادي**

بدأت حروب هذا القرن بالاعتداءات التي نفذتها جيوش "التورغوت Turghut " وهم اجداد القالمون الحاليون، حيث فاجأت هذه الجيوش القبائل الشركسية التي كانت بقيادة الامير (بشى والامير قديرشوقة) من القبرطاي، فأعد لهم الامراء من ذوي الخبرة والحنكة الخطط المناسبة لمواجهة العدو مجهول العدد والعدة، حيث تضمنت تلك الخطط الاستراتيجيات التالية:

١- إرسال الفٍ من نخبة المقاتلين بقيادة ثلاثة من الامراء الشباب لاستكشاف حركات العدو وعدد مقاتليهم وقوتهم وأهدافهم الحقيقية وأدت هذه الفرقة الاستكشافية مهامها على اكمل وجه.



صور (رمزية) تمثل أميرين من
أمراء أجداد الشراكسة الذين قادوا
المعارك ضد دولة الخزر

٢- استنادا للمعلومات التي حصلت عليها الفرقة الاستكشافية قام القادة العسكريون من الامراء بجمع قطعان الخيل والبقر وغيرها من الماشية التي كانوا يملكونها، وارسالها إلى مواقع جبلية محصنة بعيدة عن ساحة المعركة.

٣- وفي اليوم الثامن من بدء الاستعداد للمعركة تقدم المقاتلون الشراكسة إلى ملتقى نهري "المالقا والترك" وفي اللحظة التي بدأت قوات العدو في اجتياز النهر تصدى لهم بعض قوات القبرطاي التي كانت في الجبهة الامامية.. فاكتشف القادة "الامراء" بأن الموقع غير مناسب من الناحية العسكرية وأن العدو مسيطر تماما على الموقع من جميع نواحيه، فأصدروا أوامر للقوات الشركسية بالتراجع واستدراج العدو إلى سفوح الجبال، كما قرروا التحصن على ضفاف نهر (بسي غونامي) ويسمى الان نهر "لزكن". واستكمالا للخطة العسكرية وحتى يتمكنوا من الدفاع عن البلاد قرروا ارسال نصف القوات العسكرية إلى ضفاف نهر ((باقسان)).

٤- تتقهقر القوات الشركسية للخلف اكثر فأكثر بعد ما تأكد لهم بأن عدد قوات العدو اكثر بكثير من القوات الشركسية.. فاجتاز قوات التورغوت ((مالقا)) من عدة مواقع وبدأو بحرق القرى المهجورة ونهب ما تبقى فيها من مخلفات وامتعة وقتل الكلاب والقطط والطيور لأكلها وشرب دمائها بنوع من التلذذ والشراهة [١٧].

٥- حاولت القوات الشركسية التصدي لهم ومنعهم من التقدم، إلا أنهم خسروا المعركة الأولى امام العدو كثير العدد والعدة، فانسحبوا والتجأوا إلى المواقع الجبلية فلحق بهم العدو بعد أن تحصن الشراكسة في موقع حصين فاشتبك الفريقان للمرة الثانية في معركة دامية استمرت بضعة ايام دون

حسم المعركة لصالح احد الفريقين، وقتل فيها عدد كبير من امراء القبرطاي منهم الامير (بشي باتوقة وخوتشوقة وبوتت، وكلمات) .

وأنشد الشعراء بعد انتصار قوات القبرطاي المدعومة من القبائل الشركسية الاخرى أبياتا تصف بطولة الشراكسة في هذه المعركة نقتبس منها الابيات التالية:

**إن الدماء تجري كالسيول في "قاج طاو" وابطالنا الذين لا يعرفون الخوف قد ضاق بهم المكان ومنعهم من الانتشار، وأما فرساننا البواسل فقد ضاقوا ذرعا بالوادي الضيق.**

**وصفوف أمرائنا قد خلت من البطل الهمام (قدير شوقه) الذي كان أشجع الابطال، وقد قضى نحبه في "قاج طاو".**

**وكذلك (تابسوروقه) الشاب عندما دمر الجسر هوى في الهوة السحيقة حيث لاقى حتفه.**

**لقد كان (الشامخال) نفسه يشتهي المساعدات القيمة التي كانت أشهى غنيمة عنده وهي مبعثرة على الأرض، وأما محاربونا الذين نجوا من الهلاك فقد جاءوا إلى الامير ((قازي)) ابن ((بشى يابشوقة))بالخبر الحزين وحينئذ اسرع هذا على جواده للحاق بأخوانه كالبرق، وكادت حبال السرج تتقطع من سرعة الجري، وهذا الحصان الذي لا مثيل له يرعى في الجبال مع الذئاب والاسود وهذا الامير القوي، بالنسبة إليه ليس إلا لهوا ولعبا ان يفصل الرؤوس عن اكتاف الاعداء العريضة، وان ضربته هي هي سواء كانت من يده اليمنى أو اليسرى ورماحه لا محالة قاتله، إذا لم تنكسر عيدانها من شدة الطحن ولكنه لم يرجع من ساحة الوغى وعود رمحه سالم** [١٨].

تجددت المعارك ضد الشراكسة "الاديغة" عام ١٢٢٢م، حيث ارسل (جنكيز خان) جيشا مؤلفا من (٢٠) الفا من خيرة المحاربين بقيادة قائدين مشهورين هما:

(جبه) و (سوبوتاي تورغوت) إلى بلاد الداغستان أولاً واشتبكوا معهم في معركة (دربند) في الداغستان ولاقت القوات المغولية مقاومة عنيفة جدا، إلا انهم واصلوا طريقهم نحو الشمال حتى وصلوا نهر الترك، واشتبكوا مع القبائل القوقازية المؤلفة من لاق أو (اللزكي) والآلان (آستين) والجاجان ومن التحق بهم من الداغستانيين وكذلك قبيلة القبجاق الكبيرة، ودارت معارك عنيفة بينهم قرب نهر الترك، وبادر امراء القبرطاي من عشائر الشراكسة (الاديغة) الشرقيين بزعامة الامير (ليشي يوقة) (ويشي قادر شاوقة) إلى ارسال مجموعة من الفرسان الشركس بقيادة الامراء ((قدير شوقه وتابسا روقة وجلاخستان)) إلى الخطوط الامامية في منطقة (دربند) الداغستانية لإعاقة تقدم جيش المغول إلى حين وصول المقاتلين من الشراكسة الغربيين من منطقة (الكوبان) والمؤلفة من قبائل الشابسوغ والابزاخ وغيرها. والتقى الجيشان في منطقة ((مزدوك)) وبالتحديد في موقع سمي باللغة التتارية اليوم (قاج طاو) ومعناه (الفرار من الجبال).

ثم عاودوا الهجوم على القوات الشركسية بعد اتفاق قادة المغول (سراً) مع قادة (القبجاق) مستغلين مشاعر (الاخوة التركية المغولية) أولا مقابل منحهم قسماً كبيراً من غنائم الحرب ومسلوباتها ثانيا. وكذلك استغلال بوادر الترهل والتراخي اللذين ظهرا بين صفوف الجيوش القوقازية عامة وجيش الاستين خاصة.

وحدثت معارك شرسة بين الجيوش المغولية وقادة القبجاق وبين الجيوش القوقازية وجيش الشراكسة (الاديغة).

ولم يتمكن الشراكسة القبرطاي من الصمود في المعركة فترة طويلة خاصة وان ثلاثة من اكبر قادتهم كانوا قد قتلوا وهم (يشي يوقه، وقادر شوقة، وكلمات) بالإضافة إلى جرح اميرين آخرين، فاضطروا للتقهقر، إلى ان وصل الامير (شوة

لوخ) من شراكسة الغربيين من قبائل الشابسوغ والابزاخ على رأس جيش كبير وقام بإعادة تنظيم قوات القبرطاي المتقهقرة وبدأ هجوم معاكس في لحظة كان فيها المغول في استرخاء من نشوة الانتظار ظنا من قادتهم بأن الشراكسة لن تقوم لهم قائمة، فهبّت القوات الشركسية بهجوم صاعق وعنيف على مواقع المغول، اضطر معه جيش العدو المغول للانسحاب من ساحة المعركة ومغادرة بلاد القفقاس كما تمكنوا من استعادة الغنائم التي سبق ان استولى عليها قادة القبجاق الذين خانوا حلفاءهم الشراكسة بتقديم الدعم لجيش المغول [١٩].

وفي عام ١٢٢٧ وبعد موت جنكيز خان قام ابنه الذي تولى قيادة المغول واسمه (اوجادي خان) بالتوجه نحو غرب روسيا على رأس جيش كبير واحتل روسيا بعد أن أحرق موسكو والعديد من المدن الروسية وأنشأ عام ١٢٣٨ دولة باسم ((دولة الجيش الذهبي)) وعاصمتها ((سازي)).

وفي عام (١٢٧٧)م عاد المغول بقيادة ((منغوخان)) ومعه بعض امراء الروس لمهاجمة بلاد القبرطاي في القسم الشرقي من القفقاس، وحاول الشراكسة إيقافهم، إلا انهم استطاعوا التقدم واحتلال منطقة حوض نهر الترك وبسط سلطاتهم عليها اضطرت معها عشائر ((الاديغة)) للانسحاب إلى الجبال الغربية، وانشأ المغول خلال هذه الفترة مستعمرات لهم على سواحل البحر الاسود وحوض نهر الترك واختلطوا بالقبائل القفقاسية الاصلية وتوطدت بينهم العلاقات إلى حد قيام تحالف بينهم ومحاربة (تيمورلنك) التتري وفي عام (١٣٩٦) تعرض فيها الشراكسة إلى خسائر فادحة وانتصر فيه التتار بقيادة (تيمورلنك) كما هزموا جيوش المغول وقضوا على دولة الجيش الذهبي في موقع اسمه (تترتوب).

ونظمت قصائد الرثاء لوصف الخسائر الفادحة التي تعرض لها الشراكسة (الاديغة) من مجازر في هذا الموقع المسمى (تترتوب)، كما ان الشراكسة يقولون حتى يومنا الحاضر ((من غير الممكن أن لا تسيل الدموع عند المرور من توب)).

وفي عام ١٣٩٨م ثارت القبائل الشركسية عامة وشراكسة القبرطاي خاصة وهاجمت قوات (تيمورلنك) التترية ودارت معها معارك دامية انتصر فيها الشراكسة، وأسروا اعدادا كبيرة من قوات (تيمورلنك) الذين بقوا على قيد الحياة والتجأ عدد آخر منهم إلى بلاد القرم.

وبذلك استطاع الجركس وخاصة قبائل القسم الاوسط من العودة إلى السهول الخصبة التي كانوا قد نزحوا عنها إلى الجبال، وزال عنهم الكابوس الرهيب المزدوج هما: **كابوس المغول وكابوس التتار**، واستردوا وطنهم واعادوا بناءه من جديد.

## مراجع ومصادر الفصلين الثاني والثالث من الجزء الاول في المجلد الثالث

(١) سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص٢٤١.
(٢) آبه زاو، نقلا عن هيردوت، مصدر سابق، ص: ٢٠٨-٢١٥.
(٣) آبه زاو، مصدر سابق، ص٢٣٢-٢٣٣.
(٤) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٣٤.
(٥) نغموقة، شورا بكمرزه، مصدر سابق، ص: ٥٣-٥٤.
(٦) جورناندس (مؤرخ غوطي) عاش في القرن السادس الميلادي وهو اول من كتب حول تاريخ (الغوط) وحروبهم في القفقاس، وقام المؤرخ الشركسي (نغموقة) بترجمة وقائع واحداث حروب (القوط) في القفقاس الشمالية ص:١١.
(٧) برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٢٤.
(٨) نغموقة، شورا بكمرزة: مصدر سابق، ص: ٤٩-٥٢.
(٩) نغموقة، شورا بكمرزة: المصدر نفسه ص: ٥٥-٥٦.
(١٠) ابه زاو، مصدر سابق ص: ٢٣٥-٢٣٦.
(١١) المصدر نفسه، ص: ٥٧-٥٩.
(١٢) كرامزيين، المملكة الروسية، منشورة باللغة الروسية ص: ١٤ – الجزء الاول ونقلها للغة العربية شوكت المفتي عند ترجمته كتاب نغموقة (موجز في تاريخ (الجركس) عام ١٩٥٣، ص: ٥٩-٦٠.
(١٣) برقوق، اسماعيل، قفقاسيا في التاريخ المنشور في الاستانة عام ١٩٥٨ ونقل ترجمته محمد جمال آبه زاو في كتابه موسوعة تاريخ القفقاس والشركس ص: ٢٣٩-٢٤٢.

(١٤) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٧٣-٧٤.
(١٥) المصدر نفسه، ص: ٧٨-٧٩.
(١٦) المصدر نفسه، ص٨٨-٩٠.
(١٧) المصدر نفسه، ص: ٩١-٩٢.
(١٨) برقوق، مصدر سابق ص: ١٧٠-١٧١.
(١٩) المصدر نفسه، ص: ١٨٠.

# الفصل الرابع

## وقائع وأحداث وحروب القرنين

## السادس عشر والسابع عشر الميلادي

**بداية الاطماع الروسية في القفقاس:**

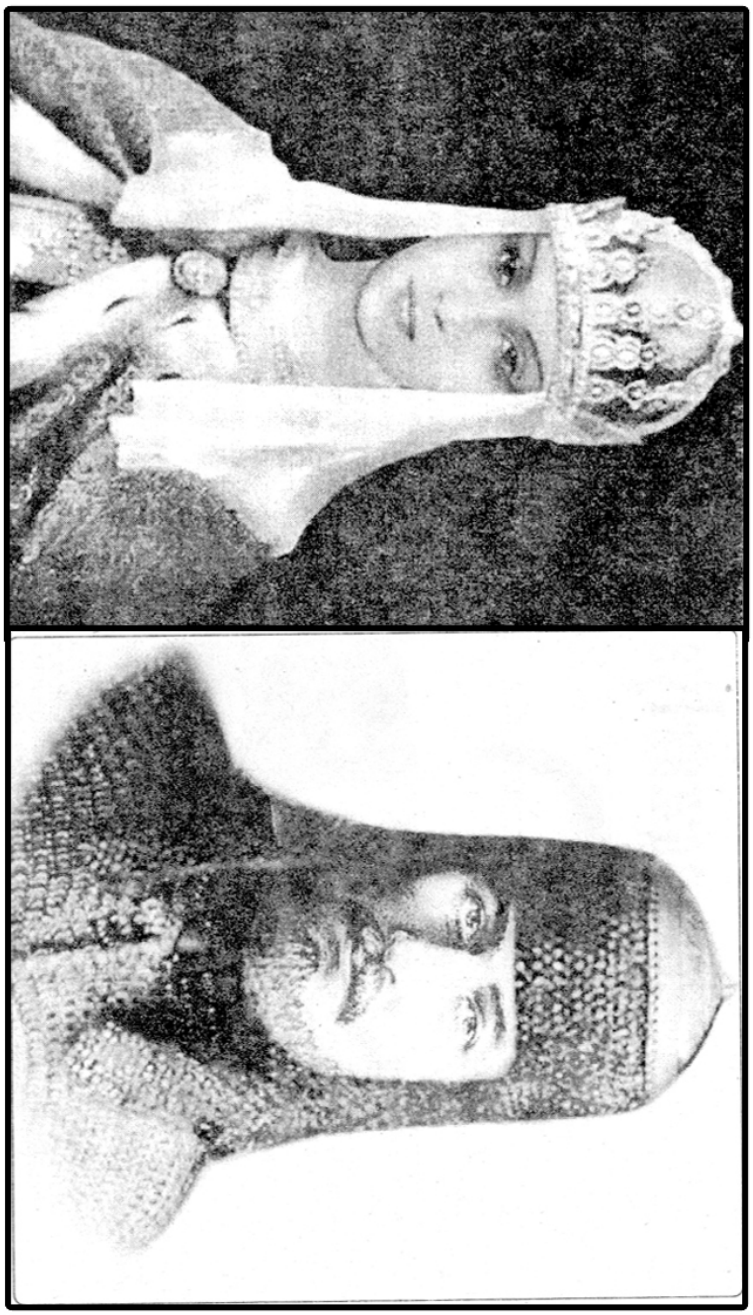
تعود بدايات الاطماع الروسية في الاستيلاء على بلاد القفقاس إلى عقد العشرينات من القرن الثالث عشر، وبالتحديد منذ ان شارك الروس مع دولة الجيش الذهبي في انشاء مستعمرات لها في سهول (القفقاس) وسواحل بحر الخزر، وحوض نهر الترك ابتداء من عام ١٢٢٧م * وهي المستعمرات التي انشأها (منغوخان) وكان لها آثار كبيرة على مستقبل القفقاس ومقدرات الشعوب القفقاسية. حيث ان الروس (السلاف) لم يكونوا قبل هذا التاريخ يعرفون شيئا عن القفقاس، إلا أنه وبعد الوصول إليها خلال مشاركتهم مع الجيوش المغولية اتيحت لهم فرصة التعرف على ثرواتها واهميتها الجغرافية والاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية، كما تعرفوا على مواقعها وطرقاتها وتفتحت أطماعهم على خيراتها وترسخت في اذهانهم فكرة الاستيلاء عليها [١] **

* يشير بعض المؤرخين ومنهم المؤرخ الشركسي قادر ناتخو بأن احلام روسيا باحتلال بلاد القفقاس قد بدأ منذ أن غزا الأمير سيفا ترسلاف المنطقة عام ١٩٨٥م، ولحقه الأمير متيلاف عام ١٠٢٢م في كتابه (الابادة الجماعية للأمة الشركسية).

** مصادر ومراجع وقائع واحداث هذا الفصل موجودة في مقدمة قائمة احداث ووقائع الفصل الخامس.



تمثال الأميرة كوشينة (ماريا) بنت تيمروقة في مدينة نالتشك



الأمير تيمروقة ابدار وابنته كوشبنه التي تزوجها القيصر ايفان الرهيب عام ١٥٦١ وسميت بالأميرة ماريا

**اتفاقية التعاون المشترك بين القبرطاي والروس في عهد ايفان الرهيب**

تأخر التنفيذ الفعلي لمخطط الروس للاستيلاء على القفقاس (ارضا بلا شعب) حتى عام ١٥٥٧م وهو العام الذي بدأ فيه القبرطاي في البحث عن حليف لهم ضد (خانات القرم) **حيث قرر زعيم منطقة قبرطاي الكبرى (ايدار تميروقة) تشكيل وفد برئاسة قانوقة يقوه ووجههم إلى موسكو لعرض رغبة الامير تمروقة في عقد اتفاقية تعاون مع الروس وفي نفس العام وافق القيصر ايفان (الرهيب) على عقد اتفاقية تعاون مشترك مع القبرطاي وفق الشروط التالية:**

١- تقديم اولاد الامير (تيمروقة ايدار) للقيصر كرهائن لضمان حق تنفيذ الاتفاقية وعدم الغدر به.

٢- تنصير الرهائن من اولاد الامير وتعميدهم تحت اسماء روسية (مسيحية).

٣- تزويج الاميرة كوشينه ابنة الامير تيمروقة بعد اعتناقها المسيحية وتعميدها تحت اسم (ماريا) واصبحت الزوجة الثانية للقيصر (ايفان) اعتبارا من تاريخ ١٥٦١/٨/٢١.

٤- دعم الشراكسة من القبرطاي الجيش القيصري اذا دعت الضرورة لذلك.

**مبررات عقد الاتفاقية:**

برر الامير تيمروقة عقد هذه الاتفاقية (التي كانت البداية الفعلية لتنفيذ مخطط قياصرة الروس للاستيلاء على القفقاس) بقوله:

"**بلادنا جميلة وأراضينا خصبة وغنية في ظاهرها وباطنها، وجيراننا أكثر منا عددا وعدة، وكانوا يطمعون بالاستيلاء على أرضنا الحبيبة، مما دفعنا لطلب المعونة من الآخرين، حرصا منا لحماية القفقاس الغالية، حيث إن الشراكسة قد تعلموا بعد تجارب كثيرة، من علاقاتهم مع الروس، او مع خان القرم، أو مع الاتراك ووصلوا إلى قناعة تامة بأن لا أمانة لطامع أو مستعمر**".

**نقض الاتفاقية:**

وتضاربت الاراء حول هذه الاتفاقية.. فهل كان الأمير تيمروقة على صواب عندما بادر في طلب عقد هذه الاتفاقية مع الروس؟ وهل كان من المشككين بالجدوى السياسية لهذه الاتفاقية الاكاديمية (تيخا ميروف)؟ الذي قال: "ومن هذا الاتفاق ما هو إلا لصالح امراء الشراكسة وان عقده كان لضمان وتقوية مكانتهم"، كما كتب العالم (اوله بسخاف) بأن "شراكسة القبرطاي لم يقوموا بدورهم والتقيد بهذه الاتفاقية، وانهم شككوا بجدواها، وأن أمانيهم وأحلامهم كانت العيش أحرارا دون تدخل الآخرين بشؤون حياتهم" [٢].

واما (ن. ف غرابوفسكي) فقد نجد في مقالة انضمام (كاباردا) القبرطاي إلى روسيا بقوله:

"... يجب الملاحظة أنه في الاوقات الحرجة وعندما لم تكن روسيا تملك القوة الكافية للدفاع عن نفسها، وقف القبرطاي إلى جانبها بمحض ارادتهم، وقدموا المساعدة للروس تحت تأثير مصداقية مشاعرهم دون ان يطلبوا لقاء ذلك أي مكافأة، وحتى انهم لم يستفيدوا في تلك الازمات من المساعدات العسكرية الروسية، وحتى عندما بدأ وكأن الدولة الروسية على أبواب الانهيار حافظ القبرطاي على اخلاصهم، وارسلوا موفديهم إلى موسكو للقاء القيصر والاعلان عن استعدادهم لخدمته". [٣].

وبعد فترة وجيزة على عقد الاتفاقية تعاون ١٥٥٧/ اصبح شقيق الاميرة (ماريا) الذي تنصر واصبح اسمه (ميخائل تمروقوف جركسكوي) (بوبارا) أي مستشارا خاصا للقيصر، إلا انه اتهم بقتل زوجة القيصر الاولى واعدمه اتباع القيصر ايفان الرهيب.

**موت الاميرة ماريا:**

وقعت الاميرة التي نشأت في جبال القفقاس، وتربت وفق العادات والتقاليد الشركسية، وانتزعت من موطنها، في وسط فاسد مليء بالدعارة والسكر والحياة الاباحية التي كانت تقام يوميا، وأصبحت كزهرة قطعت قبل اوانها، ولم يتح لها ان تتفتح، وبدأت بالانكماش والسعال فلم تصمد أمام تلك الحياة الفاسدة اكثر من ثماني سنوات حتى قضت نحبها في عام ١٥٦٩ [٤].

**أول تغلغل في بلاد القبرطاي:**

وفي عام ١٥٦٥ ارسل القيصر الامير ايوان داتشكوف على رأس جيش إلى بلاد القبرطاي لمساعدة اميرها (تمروقة) في حروب ضد تتار القرم، وبدأ تنفيذ اولى سياسته الاستعمارية بحجة حماية الامير (تمروقة) للتغلغل في بلاد الشراكسة والتي تمثلت بالخطوات التالية:

١- نشر المسيحية بين شراكسة القبرطاي.

٢- انشاء مدينة روسية على ضفاف نهر الترك بالرغم من معارضة الشراكسة (القبرطاي) وعلى إثرها توترت العلاقات بين الطرفين وتحولت لمصادمات مسلحة عنيفة بين الشراكسة وقوات القيصر الروسي *.

وفي عام ١٥٧٠ تم اخلاء هذه المدينة، ومن غير المعروف ان تم ذلك بطلب من السلطان التركي أم لأسباب مجهولة اخرى.." وفي عام ١٥٨٨ وخلال عهد القيصر فيدور ايفانوفيتش تم انعاش تلك البلدة من جديد.

وفي عام ١٥٧٨ اقام الروس أول قلعة لهم في القفقاس على ضفاف نهر سونج والقلعة الثانية على ضفاف نهر ترك عام ١٥٨٨. [٦]

* تشير بعض الوثائق بأن بناء (مدينة الترك) بدأ عام ١٥٦٣ بهدف إسكان الروس ذوي الصفة العسكرية، وان الامير تمروقة شخصيا سكن هذه المدينة.

وفي عام ١٥٧٠ هاجم خان القرم (دولت كراي) بلاد الشابسوغ اولا ودمر قراها وسلب ونهب اهلها، ثم هاجم بلاد القبرطاي وانسحب منها بعد معارك عنيفة، وكانت تلك المعارك اول اعتداء يتعرض لها شراكسة القبرطاي بعد توقيع الاتفاقية مع (ايفان الرهيب) إلا ان القوات الروسية لم تتحرك لمساندة قوات القبرطاي تنفيذاً للاتفاقية الموقعة بينهما بحجة ان الروس كانوا مهددين ايضا من هجمات التتار واعتداءاتهم. [٥].

**بدء الاعمال العسكرية الروسية في بلاد القفقاس:**

بدأ الروس في تنفيذ مخططهم للاستيلاء على بلاد القفقاس بالقوة العسكرية بعد ان اصبح لهم موطئ قدم من تشييد قلعتين عسكريتين على ضفاف نهري الترك وسونج. حيث امر القيصر الهجوم على بلاد الداغستان عامي ١٦٠٤-١٦٠٥ ، إلا ان الداغستان والشيشان قاموا بدفاع قوي مشترك أدى إلى ايقاع خسائر في الأرواح لأكثر من (٧٠٠٠) قتيل روسي، وهزموا في هذه المعارك مما اضطرهم إلى الاعتصام داخل القلعة التي بنوها على (نهر ترك) وفي نفس الفترة قام الروس ايضا بمهاجمة قبائل الاديغة في (الكوبان) إلا انهم فشلوا في هجومهم واجبروا على التوقف عند موقع توجد عليه مدينة (ستافروبول) حاليا.

وفي عام ١٦١٣ اراد الروس تحصين مواقعهم في بلاد القبرطاي فقاموا بتحصين القلعة التي بنوها على نهر الترك، وجعلوها مركزا اداريا وعسكريا لهم، وفي عام ١٦١٥ اعترف بعض شراكسة القبرطاي بزعامة الامير (سنجالي) على منطقة قبرطاي الكبرى[٦].

**اعلان امراء القبرطاي الطاعة والولاء للقيصر رومانوف**

وفي عام ١٦١٤ وبعد احراز الروس النصر النهائي على البولونيين وطردهم من بلادهم نودي (بميخائيل فيدروفيتش رومانوف) قيصرا على البلاد الروسية وأرسل كل من امراء القبارطاي (شولوخ، قازي شبتوقا، موردار، قودنيت

مرزا قاسبولات، نارت شو مرزا بوسولكا، وأولاد آتيك وغيرهم) كتاب تهنئة بمناسبة جلوسه على العرش. واعلنوا طاعتهم مجددا للقيصر (وادوا يمين الولاء) بحضور رسوله (بطرس سماغين)، أحد أكابر (البويار) الذي كان قد اوفد خصيصا إلى بلاد الجركس ليتقبل عرض طاعتهم ويمين ولائهم الذي ادوه بحضوره على (المصحف)، وكان نص يمين الولاء كما يلي:

**"أنا الموقع ادناه (اسمه) (احلف يمين الولاء للقيصر العظيم) وأمير الامراء "ميخائيل فيدوروفيتش" حاكم البلاد الروسية جميعا وأضمن له السلام بنفسي واتعهد بأن أقوم بكل ما علي من واجب الطاعة والولاء التام، وعلى اخواني وأقاربي وعلى جميع سكان القبارطا من جميع الطبقات ، وليس لنا غرض سوى الخدمة والطاعة للحاكم العظيم واامير الامراء "ميخائيل فيودوروفيتش" طول أيامنا وحياتنا بكل صدق وأمانة، ولا هدف لنا إلا عمل ما يأمر به ويشير إليه وسوف نبقى إن شاء الله تحت طاعته.**

**واذا أمرنا بمقاتلة الأعداء أو من عصى أمره أكون أنا (الاسم) واخوتي وأولادي وجميع اتباعي رهن اشارته، ولن أتأخر لحظة واحدة عن تنفيذ اوامره، كما نتعهد بأن نقوم بواجبنا بكل دقة وامانة دون اهمال أو خيانة وعن طيب خاطر وبكل سرعة ممكنة. ونتعهد ايضا بأن لا نعاشر إلا الامراء الذين يخدمون سيدنا القيصر حق الخدمة والذين لا يعصون أمره ولا يسيئون إليه، ولا يتعدون على البلاد الخاضعة له، ولا يشتغلون بأعمال النهب والسلب وسرقة المواشي، ولا يأسرون الحائز لتابعيته. وسوف لا نعترف بالملوك ولا نجالس أهالي (أزوف) ولا الخائن لبلاده، ولا نريد ان نرافق احدا منهم إلى موسكو أو إلى غيرها من المدن الخاضعة للقيصر، ولا إلى المدن الواقعة على ضفاف نهر الدون، ولا إلى بلاد اوكرانيا ولا (موردا)، وسوف لا أصحبهم بأحد يرشدهم إلى تلك البلاد والمدن المذكورة، أو يدلهم على أي تابع من اتباع القيصر العظيم وأمير الامراء "ميخائيل**

**فيودوروفيتش" الذي تخضع له جميع البلاد الروسية.. وها أنا أتعهد بأن لا أرشدهم ولا أدلهم أو أصحبهم بأحد يرشدهم. وأتعهد بأن لا اشترك بأية مؤامرة وأن لا أخونه... وهلم جرا...**

وتضمنت وثيقة الولاء في فقرتها الأخيرة النص التالي:

"أقسم اليمين بتحقيق وتنفيذ كل ما جاء في هذه الوثيقة للقيصر العظيم وأمير الامراء "ميخائيل فيودروفيتش" الحاكم على جميع البلاد الروسية.

ولم يكتفِ الامراء بإرسال وثيقة الولاء للقيصر، بل قاموا بإرسال وفد رسمي ليعبروا عن ولائهم وخالص طاعتهم للقيصر مؤلف من: الامراء (قانبولات سونجا لاي قانفيليش، وشوجنوقة مرزا بوسلوق) كما قدموا رهائن تأكيدا لضمان ولائهم تضم أفرادا من أسر الأمراء التالية: (دنكرنك آلاشوقا، وقازي موساوى، وسلطان علي جانبولات، وشولوخ، واسلام بك موسى). [٧].

وفي عام ١٦٤٥ وبعد تسلم القيصر الجديد (ميخالوفيتش) سدة حكم روسيا، جدد بعض امراء القبرطاي ولاءهم واعلنوا تأييدهم للقيصر الجديد واقسموا اليمين لأن يكونوا في خدمته كما كانوا في خدمة سلفه القيصر السابق.

وتكرر اداء قسم اليمين لكل قيصر جديد كان يتسلم الحكم في موسكو حرصا على امراء شراكسة القبرطاي تنفيذ شرط من شروط اتفاقية التعاون التي وقعت مع ايفان الرهيب عام ١٥٥٧م.

# الفصل الخامس

## وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي



صورة تمثل المواقع الجبلية التي كان يحارب فيها المقاتلون الشراكسة خلال حرب الإبادة والدمار الروسية في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي

**(١) وقائع واحداث وحروب القرن الثامن عشر**

**وقائع وأحداث العقد الاول من القرن الثامن عشر:**

بدأت احداث هذا القرن بمعارك عنيفة مع جيوش خانات القرم وأهمها:

* معارك عام ١٧٠٥ وانتصر فيها شراكسة القبرطاي بدون اية مساندة من السلطات الروسية بالرغم من الاتفاقيات الموقعة بينهما.
* وفي عام ١٧٠٧ هُزم قوزاق التيرك على يد خان القرم وبعد ذلك بخمسة اعوام اقنع القائد البري / البحري الروسي الشهير (أبراكسين) القيصر بطرس على دفع روبل لكل رجل شركسي، وقلد كل مجموعة أو فوج منهم صولجان الشرف، والذي ما زال احفادهم يحتفظون به حتى اليوم مع تذكارات نصر مختلفة، بما في ذلك راية القيصر الكسي ميخالوفيتش ( Alexei Mikhailovitch)
* في عام ١٧٠٨ عاود قوات خانات القرم هجومها على بلاد القبرطاي، ورُدوا على اعقابهم مهزومين .. وبدون أية مساعدة من الروس ايضا. [٨]
* وفي يوم ٢٦ آب عام ١٧١١، غزا اراكسين، حاكم استراخان، بلاد الشراكسة بجيش روسي قوامه ٣٠,٠٠٠ جندي، فنهب القرى وخرّب الأرض بمحاذاة نهر الكوبان، قتل ٤٣,٢٤٧ شركسيا، ساق أمامه ٣٩,٢٠٠ جواداً، ١٩٠,٠٠٠ رأس ماشية و ٢٢٧,٠٠٠ رأس غنم. لم تكن الغاية من الحملة مجرد الربح المادي، بل كانت مقدمة لحرب الاكتساح الرهيبة التي تنوي روسيا الشروع بها.*

* ناتخو، قادر اسحق، تاريخ الشراكسة، ترجمة محمد أزوقة بتكليف من الجمعية الخيرية الشركسية، عمان عام ٢٠٠٩. (تحت الطباعة)

*** وقائع واحداث وحروب العقد الثاني من القرن الثامن عشر:**

يعتبر يوم ١٧٢٢/٧/٢٧ هي البداية الفعلية لحرب الابادة والدمار التي شنتها سلطات روسيا القيصرية على شعوب القفقاس عامة والامة الشركسية خاصة، وفي هذا اليوم قام بطرس الاكبر بحملة حربية على القفقاس بعد أن كان قد سبق وأرسل حملتين، أبيدتا إبادة تامة، وكان الجيش البري مؤلفا من الجنود الخيالة الذين سبق لهم ان حاربوا في السويد، إضافة إلى دعم القوزاق والتتار والقالموق والاسطول البحري الذي وصل إلى نقطة الانزال يوم ١٧٢٢/٧/٢٧ .

كما وجه القيصر بطرس الاكبر حملة أخرى ضد مدينة (خيوه)، بقيادة الامير (بيقوفتش شيركاسكي) من عائلة بيقوفتش من الاديغية أصلاً، الذي سبق أن التحق بالبلاط الروسي إبان حكم القيصر ايفان الرهيب، وقد مُزقت القوة شر تمزيق وقُتل جميع افرادها البالغ عددهم سبعة الاف جندي تقريبا بمن فيهم قائدهم الشركسي الأصل، وقام مقاتلو القبرطاي **بحشي جثة الامير بيقوفتش بالقش وعلقت على باب المدينة ليكون مصير هذا الامير القفقاسي المرتد عبرة لاولئك الذين يفكرون في خيانة شعوبهم واوطانهم.** ويقول المؤرخون لهذه المعركة بأن السلطات الروسية خرجت من وقائعها بحقيقتين:

**الاولى:** ضرورة اقناع دول اوروبا عامة، لتقديم الدعم للدولة الروسية ومساعدتها في التصدي للقوى الاسلامية المؤلفة من شعوب (القفقاس الشرقي وتركيا العثمانية، وإيران الفارسية والامم المسلمة في شرق بحر قزوين), وهكذا قامت دول اوروبا اعتبارا من هذا التاريخ، بفتح ابواب مصانعها الحربية أمام البعثات الروسية، لتغرف منها ما تشاء.



صور رمزية تمثل مجموعة من أمراء الشراكسة الذين قاتلوا القوات الروسية القيصرية التي
اعلنت حرب ابادة ودمار الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي

**والثانية:** قناعة الروس بأن بلاد القفقاس اكثر منعة من ان يتمكن جيش واحد من احتلال اراضيها مهما بلغت قوة هذا الجيش، وهي القناعة التي تكونت بعد ان هُزمت روسيا القوية شر هزيمة على يد عصبة صغيرة من محاربي القوات القوقازية عامة والشراكسة الشجعان خاصة. وأُغرقت اثنتا عشرة سفينة من سفن الاسطول الروسي، كما تعطلت ثلاثون أخرى ولم يتمكن الجيش الروسي الوصول إلى ابعد من (دربند)، مع العلم بأن حاكم هذه المدينة (الضعيف)، قام بفتح ابوابها المنيعة طوعا، ولم يتم احتلالها بالوسائل الحربية [٩].

وفي عام ١٧٢٩م عادت قوات (خانات القرم) بالهجوم على امارة القبرطاي الشركسية بقوات كبيرة من ثلاث مناطق، إلا ان المقاتلين القبرطاي استطاعوا بحنكتهم الانتصار عليهم وعودتهم لبلادهم بعد أن كبدوا خانات القرم خسائر كبيرة في الارواح والعتاد.

**وقائع واحدث العقد الثالث الميلادي من القرن الثامن عشر**

بعد وفاة القيصر بطرس الأكبر، ضعفت سيطرة روسيا على المناطق القفقاسية واضطرت اخيرا للانسحاب واخلائها في عام ١٧٣٥م.

وفي يوم ١-٩-١٧٣٩م اعترف الروس والعثمانيون بموجب (معاهدة بلغراد) باستقلال مناطق قبرطاي الكبرى، وقبرطاي الصغرى، ومنطقة مزدوك، ومع ذلك ظلت المراسلات بين الطرفين (الروسية والعثمانية) تتم تحت اسم الحاكم الوريث لمنطقة بلاد الشركس والقبرطاي.

**احداث ووقائع العقد الرابع من القرن الثامن عشر**

كانت روسيا تراعي تطبيق (معاهدة بلغراد) لكنها لم تتخلَ عن أطماعها في بلاد القبرطاي، واستغلت السلطات الروسية تهديدات شاه ايران بغزو بلاد القبرطاي عام ١٧٤٠ في التقرب من امراء القبرطاي من جديد ومحاولة اقناعهم بأن روسيا ستقف إلى جانبهم في حال قيام السلطات الايرانية بغزو بلادهم، ولتحقيق هذا

التقارب أوفدت روسيا في عام ١٧٤٢ قيصر جورجيا (باكاز باختاغوفيتش) إلى القبرطاي، حيث كانت له علاقات قربى مع بعض امراء القبرطاي. ونجحت مساعيه حيث ارسل القبرطاي احد كبار شخصياتهم واسمه (محمد صادق يوسف) لحضور احتفالات تنصيب الامبراطورة (اليزابيث بيتروفا) عام ١٧٤٢، كما تم منح الهبة المخصصة سابقا لبلاد القبرطاي بقيمة عشرة الاف روبل بأمر من مجلس الشيوخ الروسي الصادر يوم ٩/ شباط من نفس العام.

**احداث العقد الخامس من القرن الثامن عشر الميلادي:**

توفي في عام (١٧٥٠) الأمير ينال حاكم القبرطاي الصغرى، تاركا وراءه ثلاثة ابناء ولما كانت العادة في مثل هذه الحالة، أن يكون للابن الاكبر الاولوية في تولي حكم الامارة شرط ان يحصل على غالبية أصوات الاعضاء في "المجلس الشعبي" المكون من الامراء الآخرين في الإمارة ومن النبلاء والقضاة وممثلي العائلات الكبيرة. ولما كان الشعب يكره هذا الابن الأكبر، رفض ممثلوه في المجلس، ترشيحه ليكون خليفة لوالده. وتأزمت الامور وانقسم الشعب إلى ثلاثة أحزاب، كل حزب يناصر اميرا، وفي النهاية، تم الاتفاق على تقسيم الامارة بين الامراء الثلاثة، حيث اعطيت مقاطعة (مزدوك) للابن الاكبر، الامير "كورغوقة، قانجوقين". إلا أن الأمير لم يكن راضيا عما حصل عليه، وذهب إلى التتار يحرضهم على أخويه، وماطله التتار إلى ان انفق أمواله كلها ثم اخبروه بأن لا قدرة لهم على محاربة أمراء قباردا، وعندها استدار إلى الروس وألقى بنفسه في أحضانهم، وترددوا في قبوله بينهم، إلا أنهم ساعدوه على الانفصال عن قبيلته والاستيطان على ضفاف نهر الترك وفي الموقع الموجود فيه اليوم مدينة (مزدوك) واعتنق الديانة المسيحية، وتبرع بمساحات كبيرة من الاراضي لانشاء حصن (قلعة) عليها.

*** وقائع واحداث العقد السادس من القرن الثامن عشر**

**وفي عام ١٧٦٣ ذهب الامير (كوغرقة) إلى بطرس برغ**، وعُمد للمرة الثانية، وفي عام ١٧٦٤ انضم ما يقرب (٢٠٠) شخص إلى قلعة (مزدوك) واعتنقوا الديانة المسيحية واصبحت هذه القلعة مأوى للفارين والمعارضين من بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة، فاحتج أهل القبرطاي لدى الحكومة الروسية وطلبوا ازالة الحصن من جهة، كما طالبوا تعويضا عن أتباعهم الذين هربوا والتجأوا إلى تلك القلعة.

و**في حزيران من عام ١٧٦٥م** شن الحزب المعارض للوجود الروسي في مزدوك من بعض أمراء الاقطاع الشراكسة) سلسلة من الهجمات ضد المواقع الروسية في القاطع الشمالي ودارت معارك طاحنة، سميت باليائسة، لأنها كانت تستمر حتى الفناء... فناء هذا الطرف أو ذاك. وأُبيدت وحدات روسية حتى آخر رجل فيها، ووسع القبرطاي مجال عملياتهم نحو الشرق، وهاجموا موقع (كزليار) عاصمة الروس في الجنوب ومركز قيادة ما يسمى بـــ جيش القفقاس. وبعد ان اجتاحوا ودمروا التحصينات والمخافر ونقاط الحراسة الخارجية فيها، لاحقوا الجنود الروس والمليشيات القوزاقية الى داخل المدينة. ودارت معركة طاحنة فر الروس بعدها إلى داخل القلعة، وتحصنوا فيها، وحاصر القبرطاي القلعة، لكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها لأنهم كانوا يفتقدون إلى أدوات التدمير، كالمدافع وملح البارود اللازمة لفتح ثغرات في أسوار القلعة محاولة حكومة الباب العالي في استانبول ان تجير انتصارات القبرطاي لصالحها، فأعلنت الحرب على الروس في الثامن عشر من تشرين الثاني سنة ١٧٦٨م ورد عليهم الروس بفتح جبهة جديدة في المناطق الواقعة على ضفاف نهر الدانوب، لمنع الاتراك من تركيز قواتهم في جبهة القفقاس. كما أرسلوا حملة بقيادة (تود ليبين) وهو مرتزق ألماني، (التحق في خدمة الجيش الروسي وسبق أن أحرز شهرة كبيرة عام ١٧٦٠م باستيلائه على جورجيا

وأرمينيا) إلا أن حملته اخفقت إخفاقا تاما. وتراجعت القوات الروسية إلى خط المستعمرات الشمالية.

وكذلك فإن (الجنرال فون ميدم) مرتزق ألماني آخر ومتحد مع قائد تتار القالموق "أوباش" هاجما معا إدارة قباردا الصغرى وإمارات كوبان. وحدثت مجزرة بشرية لم يشهد التاريخ لها مثيلا، قتل فيها الالاف من المدنيين وخصوصا الأطفال، حيث كانت أول حملة تستهدف الاطفال تحديدا، وذكر الكونت "بوتوشي" في كتابه الذي روي فيه عن هذه المجزرة بقوله: "بأن الناس في القفقاس دأبوا منذ ذلك الوقت على تخويف وتهديد أطفالهم لإسكاتهم بقولهم: صه.. الجنرال الاصم آت". (يبدو أن فون ميدم كان أصما في إحدى أذنيه).

وأراد الروس ان يظهروا أمام القفقاسيين عامة وامام العالم خاصة بمظهر الأبرياء، من دم أطفال (الاديغة) المسفوح، فاتهموا حلفاءهم بهذه المجزرة التي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، وأعلنوا عن سخطهم على (تتار القالموق)، وأخذوا يسيئون إليهم بشتى الطرق، مما حدا (بالقالموق) إلى طي خيامهم، والعودة في هجرة جماعية، إلى بلادهم الاصلية الواقعة على حدود الصين الشمالية، وقلة قليلة منهم لم يهاجروا حيث توجهوا إلى بلاد الشراكسة وعبروا نهر ترك، واستوطنوا في السهول الواسعة، الممتدة فيما بين بلاد التشاشان وقباردا الصغرى، وقرروا التحالف "مع الاديغة" وبدأوا يقاتلون الروس، جنبا إلى جنب مع أهل القفقاس.

**وفي الفترة ما بين ١٧٦٥-١٧٧٩** وعلى اثر الهدنة التي تلت حرب (مزدوك) التي جرت بين الروس والقبرطاي كون الروس كوكبة الفرسان التابعة لفوج (قباردى) تعدادهما (٦٠٠) فارس من الامراء والنبلاء ومن المحاربين القبرطاي القدامى بينهم (١٢) اميرا ونبيلا.

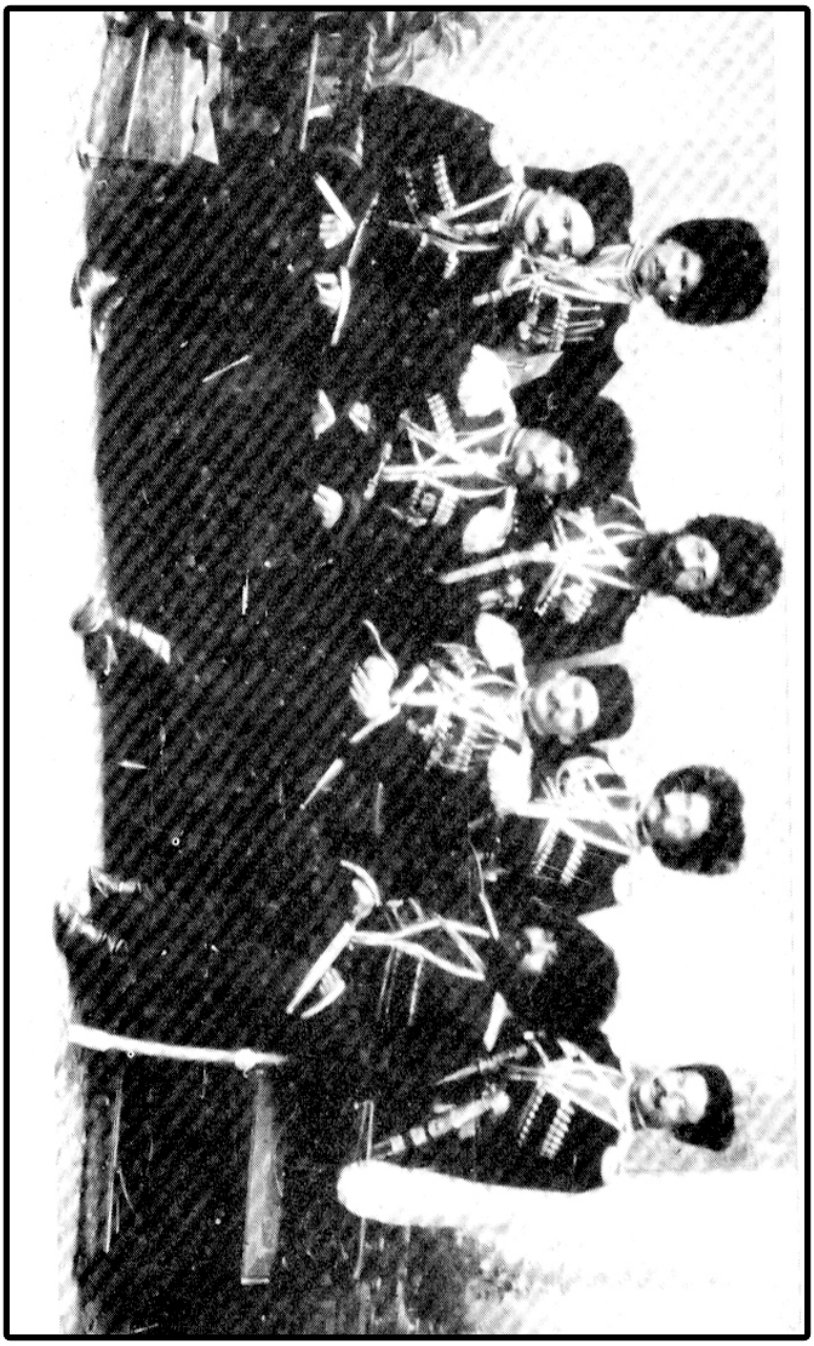
كما ساهمت (قباردا الصغرى) في هذه الكوكبة بضعف هذا العدد، وأنيط بهذا الفوج حسب الأوامر الصادرة إلى المشير الكونت "يوتيو مكين" المهام التالية (١) تأمين خطوط المواصلات (٢) الحفاظ على الأمن (٣) التصدي للتتار القاطنين أو الجوالين في السهوب الشمالية، ومنعهم من ارتكاب أعمال السلب والنهب، وقد نجحت هذه القوات في تنفيذ المهمات الملقاة على عاتقها، بل زادت على ذلك بأن تصدت لهجوم قام به الأتراك، قرب "أنابا" وهزمته.

وعندما طلب من قادة هذه الكوكبة الاشتراك مع القوات الروسية في حرب ضد قومهم الشراكسة رفضوا وتركوا العمل فيها وعادوا إلى بيوتهم في القبرطاي.

**وفي عام ١٧٦٧ قامت شعوب الشراكسة في الكوبان بتشكيل اتحاد مع اهل القرم من النوغاي والتتر...** ودعوا أهل القرم للهجرة والالتجاء إلى بلاد (الكوبان الشركسية) وتشكيل قوة عسكرية مشتركة للقيام بهجوم على جيوش القيصر الروسي، إلا أن الخطة لم تنجح، واكتشفها القادة الروس وقامت السلطات الروسية بنفي العديد من الزعماء المشتركين بهذا الاتحاد، من التتر وغيرهم إلى (أورنبورغ).

**في عام ١٧٦٩ صدر الأمر إلى الجنرال (فون ميدم) بأن يتولى أمور بلاد القبارطي،** وأن يعاملهم بالعنف والقوة إذا اقتضى الأمر، حيث أجبروا على الخضوع للروس من جديد، واعلان ولائهم لهم بصورة رسمية، واستردوا مقابل ذلك حقوقهم وامتيازاتهم التي أعطيت لهم سابقا، على أن يقوموا بتقديم الرهائن التي يقدمها عادة أهل القبارطاي الكبرى للسلطات الروسية ضمانا لتنفيذ تعهدهم بالولاء لها.

أما أهل قباردا الصغرى فقد أعفوا من تقديم الرهائن لأنهم أثبتوا فيما مضى إخلاصهم وولاءهم للروس بسلوكهم الحسن، وعدم قيامهم أو اشتراكهم في الإخلال بالأمن والنظم الروسية.



قائد الحرس الامبراطوري في عهد القيصر نقولا الثاني الجنرال يدج حفذوقة المعروف عند الروس بالجنرال قسطنطين حفذوقف مع بعض رجاله

ومهما يكن الامر فإن الجنرال (فون ميدم)، كان شديدا بحفظ الأمن، وكان يُصدر من حين إلى آخر من الاوامر ما يكفل ذلك، ومنها الأمر الذي يتعلق بالراغبين بالسفر إلى البلاد الروسية، حيث كان يترتب على كل (قوقازي) يرغب الدخول إلى الأراضي الروسية أو المهاجرة إليها بقصد الاستيطان او حتى بقصد اعتناق الديانة المسيحية، أن يستحصل على شهادة تثبت أنه لم يسبق له ان اقترف جرما أو خيانة في بلاده.

**وفي ابريل من عام ١٧٦٩ قام الجنرال (أوباش) أحد قواد القالموق،** بإعداد جيش كبير قوامه (عشرين الف) مقاتل وهاجم بلاد القبارطاي، وأحرز عليهم انتصارا كبيرا.

واستفاد الجنرال (فون ميدم) من هذه الانتصارات التي كانت ذات أهمية بالغة بالنسبة اليه، والتي أدت إلى إضعاف القبارطاي عسكرياً، كما قام بالاشتراك مع (أوباش) المذكور واجتيازه نهر الكوبان وخوضه عدة معارك دامية ضد أهل (الكوبان) من شعوب الأديغة، كما أنه عاقب في طريقه اليهم (التتار) الذين كانوا يقيمون على ضفة (الكوبان) بقيادة (سلطان آوول)، لأنهم برغم خضوعهم لسلطان روسيا سنة ١٧٣٦، شقوا عصا الطاعة وفروا سنة ١٧٤٢ إلى ما وراء الكوبان.

ومن جهة أخرى قام المأجور (راتاليف) على رأس جيش لا يستهان به بمهاجمة القبارطاي، والتغلب عليهم، حتى اضطروا إلى الاعتراف بحكم روسيا عليهم، كما حارب جماعة من الأبازا تدعى (آلتي كسك) والتغلب عليهم أيضا، وأجبارهم على الخضوع لحكم الروس ايضا.

إن الأحوال العامة في هذه الآونة كانت بعيدة كل البعد عن الهدوء والاستقرار لكون بلاد الشراكسة عرضة للمداخلات من الخارج. وكان يراد بهذه التدخلات والتأثيرات الخارجية حمل شعوب الشراكسة سواء أكان في القبارطاي أو الاديغة في الكوبان، للانضمام مع احد الفريقين المتنافسين، (التركي والروسي)،

والقيام بثورة ضد الحكومة الروسية. وقد تمكن المدعو الكابتن (هاكه بوش) بدسائسه ومداخلاته من استصدار فرمان من السلطان العثماني يحرض فيه شعب القبارطاي على شق عصا الطاعة والقيام بثورة على الدولة الروسية، وانقسم الشعب الشركسي إلى حزبين، حزب بقي برئاسة الامير (آتازوقه) وبقي مواليا للروس ومحافظا على تعهداته السابقة، وحزب آخر أخذ يناصر شعوب (الكوبان) الجركسية من الاديغية تحت قيادة أربعة من الامراء. إلا ان هذين الحزبين اضطرا اخيرا إلى الاتحاد وموالاة روسيا.

وبالرغم من ذلك كله، لم يوفق الجنرال "فون مديم" إكمال مهمته والقيام بكل ما كان ينوي إنجازه في البلاد القفقاسية، إذ إنه بعد مدة وجيزة تسلم امرا بلزوم حضوره امام محكمة عسكرية تشكلت بصورة خاصة لمحاكمته، على ان يسلم زمام الامور للجنرال (فون ياكوبي) الذي تعين قائدا وحاكما عاما في استراخان. [١٢]

*** انشاء حصون وقلاع جديدة:**

وفور استلام الجنرال (فون ياكوبي) زمام الأمور أخذ على عاتقه إجراء بعض التغيرات والتبديلات العسكرية، واهتم كثيرا في تقوية الحدود الجنوبية، أي الحدود الواقعة بين القوقاز وجنوبي روسيا، فقرر انشاء (١٢) حصنا جديدا وهي:

١- حصن (يكاترينوغراد) على الضفة اليسرى من نهر المالقا، في موقع يبعد من مصبه اثني عشر ميلا وعلى بعد خمسة وثلاثين ميلا من حصن مزدوك.
٢- حصن (باولوفسكاليا) على بعد خمسة وأربعين ميلا عن الحصن المذكور في الجهة الجنوبية من نهر القورا.
٣- (ماريسكايا) على ضفاف نهر زالوكا على بعد اثني عشر ميلا من حصن باولوفسكايا.

٤- حصن (جيورجيفسكايا) على الضفة اليسرى من نهر البودو كوموق على بعد ١٥ ميلا من الحصن السابق.

٥- حصن (اندريفسكايا) في الجهة الشمالية من نهر دونغوزلي على بعد ٣٥ ميلا من حصن جيورجيفسكايا.

٦- حصن (الكساندروف) على الضفة اليسرى من نهر دونغوزلي على بعد خمسة عشر ميلا عن طريق الحصن الاخير.

٧- حصن (ستاوروبول) على الضفة اليسرى من نهر اتشيله على مسافة ٣٥ ميلا من الحصن الأخير.

٨- حصن بين الحصنين الأخيرين باسم (سفرنايا) على الضفة اليسرى من نهر كالاوس) على بعد ١٥ ميلا من الكساندروف.

٩- حصن (موسكوفسكايا) بعيدا عن (ستاوروبول) بمقدار ثلاثين ميلا لتأمين المواصلات بين منطقة (الدون) والنقاط الهامة من الحدود الجنوبية.

١٠- حصن (دونسكايا) على ضفاف نهر (تاشلة) للغاية نفسها. ثم أقام نقطتين مستحكمتين عند نهاية الجبال المكسوة بالأحراج الكثيفة والمسماة (شبكار اغاج)، لربط منطقة الكوبان بمنطقة الترك، وتأمين المواصلات بينهما، ونقطة ثالثة على الضفة اليسرى من نهر الكوبان بمنطقة الترك البعيد عن (ستاوروبول) وعلى بعد تسعين ميلا منه. وعلى بعد ٧٥ ميلا من النقطة الاخيرة اقام مستحكمة باسم (مريا مسكايا) وكذلك أقام على بعد ٧٥ ميلا ايضا من الرافد الشمالي لنهر الكوبان منطقة رابعة باسم (كوبلسكايا)، كما أقام نقطة خامسة على نهر (ايا) على بعد ٨٠ ميلا من بحر آزوف باسم نقطة (ايسكايا).

١١- ولتأمين مناطق الكوبان العليا جرى إنشاء حصن (قسطانطينوغورسك) على نهر (بودكومكا) على بعد ٨٠ ميلا من حصن (جيورجيفيسك).

١٢- وفي الختام كانت هذه السلسلة من الحصون المتوالية تنتهي بحصن (أوست بنسكايا) في موقع عند تلاقي نهر (اللابا) بنهر (الكوبان)، وبذلك أصبحت المنطقة كلها محصنة حتى حدود جزيرة طامان [١٣].

**وقائع واحداث العقد السابع من القرن الثامن الميلادي**

طالب شعب القبرطاي من الامبراطورة كاترينا الثانية بهدم (حصن مزدوك) في عام ١٧٧١ واضطر امراء شعب القبرطاي لارسال وفد إلى سان بطرسبرج مكون من اثنين من المسؤولين الشراكسة من القبرطاي وأعربا عن مشاعرهما الخاصة بالطاعة والوفاء التام للامبراطورة (كاترينا الثانية) باسم كافة شعب القبرطاي، وقدما في ذات الوقت مطالبهما الخاصة حول ضرورة هدم حصن موزدوك وعودة الهاربين إلى بلادهم، كما طالبا بعدم منع أو عرقلة حرية استملاك القبرطاي لأراضيهم.

وبعد أن اطلعت الامبراطورة (كاترينا) على طلب ممثلي القبرطاي (كورغو تاتارخانوف وجان خوت سيداكوف) كان ردها بخصوص هدم حصن موزدوك (بأنها لن توافق أبدا على هدمه) إلا أنها وافقت على إرسال رسالة إلى امراء القبرطاي تتضمن الموافقة على انهاء مسألة (حصن مزدوك) بإبرام اتفاقية بين الروس وامراء القبرطاي عام ١٧٧١ حيث تضمنت هذه الرسالة الموافقة على:

١- رفض قبول أي (ملتجئ) إذا كان من طبقة اجتماعية وضيعة.
٢- دفع خمسين روبلا فضيا عن كل ملتجئ مسيحي من القبارطاي.
٣- دفع (٢٥) روبلا عن كل شخص ملتجئ من القوموق.
٤- ان لا يقبل فارا من القبارطاي اذا كان من طبقة الازدون (النبلاء)، إلا اذا رضي بالتنازل عن أملاكه الخاصة.
٥- وقف دخول الاوزدن من القبرطاي إلى القطاعات الروسية وكل من يخرج منهم يفقد ممتلكاته لصالح شعب القبرطاي.

٦- اعادة كل من يهرب من العبيد إلى مُلاكهم باستثناء من هم من أصل جورجي، حيث تقوم الدولة الروسية بالتعويض عنهم بقيمة (خمسين روبلا) عن كل منهم.

وفي النهاية، تشير الرسالة إلى العطف الخاص الذي أبدته الامبراطورة تجاه شعب القبرطاي، وتعرب عن املها بأن يقابل القبرطاي هذا بالشكر والامتنان، وأن لا يبدر عن أمرائهم مستقبلا أي تصرف من شأنه أن يثير سخط الأمبراطورة". وأن كل الكرم الذي وعدت به رسالة الأمبراطورة سيتحقق فقط في حالة استمرار إخلاص القبرطاي للدولة الروسية، وتصرفهم بكل هدوء وتواضع، وإذا ما بدر أي شيء خلاف ذلك، فإن الامبراطورة ستقوم بالمعاقبة القاسية بغض النظر عن الخدمات التاريخية التي قدمها القبرطاي للدولة الروسية.

ويُفهم من كلمات الامبراطورة في رسالتها بأن تعاطفها مع شعب القبرطاي يُعد (بمثابة الدين) لكل أجيال شعب القبرطاي مستقبلا، كما أعطت اهتماما خاصا لموضوع إقامة علاقات سلمية بين روسيا والقبرطاي وعلى مضاعفة إخلاصهم وتدعيم تبعيتهم للدولة الروسية، مع كل ما يترتب على ذلك من واجبات الخضوع والخدمة.

ومن الواضح بأن (نيكيتا ايفانوفيتش بانين) الذي شغل في تلك الأيام مهام إدارة الأمور الخارجية لروسيا هو الذي كتب رسالة الامبراطورة الموجهة للقبرطاي، وهي الرسالة التي أبدت فيها الامبراطورة الكرم و (الرحمة) تجاه شعب القبرطاي. ولفت انتباههم إلى أن كل المطالب الأساسية التي عرضوها قد لبيت، ونصح أن يظلوا أوفياء للدولة الروسية.

وفي الوقت نفسه قامت بإرسال تعليمات إلى قائد القوات الروسية المدعو (فون ميديم) وطلب منه التعامل مع القبرطاي (بحذر وحزم) وأن يحاول إبقاء

الفُرقة بين صفوف القبرطاي، وتقوية المشاعر بوجود فئتين متعاديتين من أمراء الشراكسة.

**ويقول كوداشيف حول رد فعل القبرطاي:**

**((إن رسالة الامبراطورة لعام ١٧٧١ قوبلت بتحفظ من شعب القبرطاي ولم يقتنع بالوعود التي وردت فيها، وكان رد فعل الامير الشركسي (كاسيا اتاوجوكين) بقوله: (سنكون تحت الوصاية الروسية إذن، كما حصل مع القالموق الذين تشرذموا واضطروا إلى العودة إلى بلادهم، وسيلاقي القبرطاي المصير نفسه وسنضطر إلى الالتجاء إلى الجبال).**

لقد كان هذا (الأمير) يرى ما يكمن تحت الماء، وكانت بداية النهاية فعلا وإن (كاباردیا) هي التفاحة التي أثارت شهية جيرانها الطامعين الاقوياء.

*** توطين قبائل النغوي في غرب القفقاس وبناء المستعمرات في بلاد الشراكسة:**

وفي العام الذي ارسلت فيه الامبراطورة كاترينا رسالتها سابقة الذكر قامت حكومة القيصر بتوطين حوالي ( ٤٠٠٠٠ ) نسمة من قبائل النوغواي، في غرب القفقاس لاستخدامهم في حربهم ضد الشركس، كما قررت الحكومة الروسية ايلاء اهمية خاصة لموضوع تقوية ممتلكاتها الجديدة في القفقاس، **وقامت ببناء خط كامل من المستعمرات السكانية الروسية ما بين نهر الدون وحتى مزدوك وعلى امتداد اكثر من خمسمائة فرسخ عرف (بالخط القفقاسي)*** **وخصصتها لاستيطان بقايا جيش (قوزاق الفولقا) واستقبل شعب القبرطاي هذه الانباء بابتهاج وظنوا أنهم سيحصلون على الحماية بوصول (القوزاق)، ولكن سريعا ما تبين العكس، حيث أصبحت هذه المستعمرات بمثابة (الحصون) لم تعمل فقط على إضعاف امكانية**

* تشبه هذه المستعمرات والحصون التي انشأتها السلطات الروسية في بلاد الشراكسة في القفقاس تلك المستعمرات والجدار العازل الذي انشأته الحكومة الاسرائيلية في فلسطين المحتلة.

**استثمار الشراكسة لاراضيهم، بل حرمتهم ايضا من التواصل مع الشراكسة في مناطق (كوبان وتيرك) من (الاديغية) وباقي جيرانهم من شعوب القفقاس. وانحصرت بذلك حدود (كاباردیا) ما بين نهر (مالقا) في كاباردیا الكبرى وحتى نهر (تيرك) في كاباردیا الصغرى.** اما بالنسبة للضفاف اليسرى لهذه الأنهار، فقد حرم شعب القبرطاي من أراضيهم فيها، ومُنعوا من ممارسة الرعي هناك. كما أصبح الدخول إلى الحصون الروسية محظورا على المواطنين القبرطاي.

كما حُظر على سكان (كاباردیا) الكبرى الاختلاط بأهالي شراكسة الكوبان، ومنع سكان (كاباردیا) الصغرى من التعايش مع (الشاشان) كما حُرم على سكان (كاباردیا الكبرى أو الصغرى) تقديم الحماية والمساعدة من طرف لطرف حتى في حال حصول هجوم معادٍ على أي منهما، وعلى روسيا فقط تقع مسؤولية تقديم الحماية في مثل هذه الحالات وغيرها من الأحوال الطارئة.

*** معاهدة ادرنة:**

وفي عام ١٧٧٢ * انتهت الحرب التي كانت قائمة بين العثمانيين والروس.. بعقد معاهدة (كوجوك قاينارجة) المعروفة باسم معاهدة (أدرنة).

وبموجب هذه المعاهدة تنازلت الدولة العثمانية لروسيا عن بلاد كباردينا الصغرى والكبرى، وعندما تلي نص هذه المعاهدة على مجلس امراء القبارطاي اثناء عقدهم اجتماعا شعبيا عاما لهم عارضها بعض الأمراء منهم الامير (حامرزا اسلانبك) بقوله: "إنه ليس بإمكانه الاعتراف بسلطان روسيا ما لم يصادق خان القرم بصورة رسمية على هذه المعاهدة وبالرغم من أن تنازل الدولة العثمانية عن بلاد القبارطاي لم يكن سوى تنازل اسمي، لأن الدولة العثمانية لم تكن تمتلك هذه البلاد يوما ما بصورة فعلية وحقيقية. كما أن خان القرم (دولت كراي) بذل كل المساعي

* تشير بعض الوثائق بأن المعاهدة ابرمت عام ١٧٧٤ وليس عام ١٧٧٢.

الجدية (سرا وجهارا) ليحرض القبارطاي على شق عصا الطاعة والانتفاضة على روسيا وانفصالهم عنها. ومن جملة المساعي التي بذلها هو إرساله أمين سره المدعو (قاسبولات) إلى بلاد الشركس ليطمئنهم بأنهم ما زالوا خاضعين لخان القرم.

أما الشراكسة فقد رجحوا أهون الشرين وهو الاعتراف بسلطة (خان القرم) مؤقتا لاعتقادهم أنها ستكون سلطة اسمية واخف وطأة من النير الروسي الذي سوف يصعب التخلص منه واسترداد حريتهم منه. وفي الوقت نفسه كان الجنرال (فون ميدم) يبدي استياءه وتذمره إلى سلطات الدولة الروسية لعدم وجود جيش كاف تحت إمرته لارغام القبارطاي على الخضوع فعلا لسلطة الدولة الروسية.

وطلب الشراكسة الثائرين بواسطة رسلهم إلى حاكم الكوبان التركي (سر عسكر) ارسال المساعدة إليهم، إلا أن الحاكم المذكور رفض طلبهم، بحجة أن أمراءهم لم يعرضوا طاعتهم وولاءهم له.

وفي هذه الفترة أحكم الروس سيطرتهم على قباردا الصغرى، وأخذوا أطفال الأمراء كرهائن حتى يضمنوا ولاء هؤلاء الامراء للسلطات الروسية. وفي السنة الثالثة من توقيع المعاهدة المذكورة احتل الجنرال الأصم (فون ميديم) مدينة دربند عاصمة الداغستان، واطلق (كلابه المسعورة) لتنهش لحم سكان هذه المدينة، تماما كما فعل من قبل في إمارات قباردا والكوبان. ولما وصلت اخبار المذبحة إلى مسامع القيصرة كاترينا، خشيت من عواقب افعال هذا الجنرال المجرم؛ فاستدعته إلى بطرس بيرغ واعفته من الخدمة، اما الجنرال فون نفسه فقد ادعى أنه ارتكب ما ارتكب من الافعال الشنيعة بناء على اوامر صريحة من القيصرة كاترينا.

فكان رد سكان (دربند) اداء القسم للانتقام من الروس شر انتقام، وبعد مدة قصيرة من الزمن استولى الثوار الشراكسة على سفينة روسية كانت تبحر في بحر قزوين، وقتلوا كل من كان على ظهرها ثم أغرقوها في البحر كما أبيدت قوة روسية في معركة جرت في الجبال المطلة على مدينة (دربند)، مما اضطر بقية القوات الروسية إلى الفرار من المدينة [١٥].

**وفي عام ١٧٧٨ قرر امراء القبرطاي القيام بحملة عسكرية للاستيلاء** على حصن (باولوفسكايا) بجيش يبلغ عدده ثلاثة الاف مقاتل، حتى اضطر الروس ارسال الجنرال (باكوبي) نفسه إلى تلك المنطقة على رأس جيش كبير، ولما رأى القبارطاي قدوم الجيش الروسي الكبير تحت امرة الجنرال المذكور، اضطروا إلى تأجيل فكرتهم والعدول عن الاستيلاء على الحصن المذكور، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قام (السر عسكر) حاكم شعوب الكوبان (قازي كراي سلطان) التركي الأصل بالتودد للروس وطلب رضاهم، حتى انه قدم طلبا في سنة ١٧٧٨م لقيصر الروس يطلب فيه بأن يدخله ضمن رعيته واتباعه، وقدم فعلا للحكومة بعض الخدمات التجسسية، وكان حفيده (منكلي كراي) يخدم في الجيش الروسي برتبة (جنرال) كما قدم أحد أتباعه وهو الملازم (تاغانو) للحكومة الروسية معلومات عن تحركات بعض السفن التركية المعادية للروس التي تحمل الجنود والذخائر، وانها تنوي التوجه بعد مدة إلى القرم لإفراغ حمولتها.

**وفي عام ١٧٧٩ علم الشراكسة في غرب القفقاس** بأن الروس يقومون بالإعداد للقيام بحملة كبيرة ضدهم، ولم يقف الشراكسة مكتوفي الايدي، بل كانوا يراقبون حركات أعدائهم بكل انتباه، ويعدون العدة لمقابلتهم بالمثل، وبدلا من ترك العدو ليقوم بهجومه المتوقع، قرروا استباقهم بالهجوم، حيث وجهوا عام ١٧٧٩ أولى غاراتهم على خط الروس الحربي الواقع على امتداد نهر الكوبان في الغرب، وهو الخط الذي يضم حصون قوية مثل: الكساندروفسكي، ماريفسكي ونوفوتروسك،

تحت قيادة الجنرال (سوفاروف)، فهاجموه بقيادة كل من (ميسوستوقه، وقانشا وقوه)، بجيش يقدر تعداده بأربعة عشر الف مقاتل من الفرسان الشراكسة الغربيين.

وأسفرت هذه الحملة عن احتلال حصني (الكساندروفسكي وماريفسكي) في مدة وجيزة، إلا أن وصول الجنرال (ياكوبي) الذي كان قائدا عاما لجبهة حوض نهر الترك، على رأس جيش روسي كبير في اللحظة الأخيرة أجبر قادة الشراكسة على إخلاء الحصنين المذكورين.

وهذه المعركة، وإن لم تكن قد حققت استرداد الجزء المحتل من القوقاز، إلا أنها اثبتت للروس أن معاهدة (قاينارجه) التي عقدت بين الروس والعثمانيين، والتي بموجبها تخلى العثمانيون عن القوقاز للروس، لم تكن إلا حبرا على ورق، ولم يكن لها اية قيمة عملية، فأثرت نتائج هذه المعركة على المعنوية الروسية تأثيرا سيئا لدرجة أن تحضيرات الروس الحربية واستعداداتهم الهائلة لم تعد فاعلة.[١٩]

**أحداث ووقائع الحروب في العقد الثامن من القرن الثامن عشر الميلادي:**

بعد أن فقدت تركيا بلاد خانات القرم، بدأت مضاعفة اهتمامها بشمال غرب القفقاس عام ١٧٨٢، وبدأت الحكومة العثمانية ببناء (قلاع) على ساحل البحر الأسود في القفقاس، وكانت إحدى هذه القلاع هي قلعة (أنابه) التي شيدت في عام ١٧٨١ بمساعدة المهندسين الفرنسيين، وسماها الاتراك (مفتاح الشواطئ الآسيوية للبحر الاسود)، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قلعة (أنابه) رمزا للوجود التركي في شمال القفقاس، من هنا قام باشاوات (انابه) بتحريض القوقازين بالهجوم على المحطات الروسية والخطوط العسكرية للجيش الروسي، وأصبحت (أنابه) مركزا تجاريا كبيرا بين شراكسة الاديغة والتجار الاتراك، ومركزا للدعاية الاسلامية بغية نشر الإسلام بين سكان شمال القفقاس.



صور (رمزية) لمجموعة من قادة الشراكسة العسكريين الذي قاتلوا القوات الروسية في منطقة الكوبان في الأديغي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

**وبالرغم من أنّ منطقة الكوبان حسب الاتفاقات الدولية كانت معروفة بأنها تتبع للدولة العثمانية، إلا أن سكان شمال غرب القفقاس كانوا يعدون أنفسهم مستقلين تماما سياسيا، وكانوا يعترفون فقط بأن السلطان هورفر ديني، وقد كتب الامير "حاجيموق" ان دخول الاسلام مع وجود تأثير تركي لم يجعل من بلاد الشركس مقاطعة تركية، فقد اعتبر الشراكسة السلطان رئيسهم الديني ولم يعترفوا بسلطته السياسية ولم يسمحوا له بالتدخل في شؤونهم الداخلية، وكانوا بذلك شعبا حرا مستقلا.**

وهكذا فإن اعتماد شراكسة الكوبان على تركيا كان اعتمادا اسميا فقط، وكانت الدوائر الحاكمة في كل من (استانبول) و (بطرسبرغ) تفهم هذا الأمر جيدا، ولذلك فإن نجاح زيادة التأثير السياسي من قبل تركيا او روسيا بين الشراكسة كان يعتمد على توجه السياسة الخارجية لشراكسة الكوبان.

و**في عام ١٧٨٢م وبعد أن احتل الروس دولة القرم**، وأصبحت القرم منذ ذلك التاريخ جزءا من املاك الامبراطورية الروسية، هرب سكانه إلى تركيا وإلى بلاد القفقاس المجاورة. واستقبلتهم شعوب (الاديغية) في بلادها برحابة صدر، وفي نفس العام كانت القوات الشركسية (الاديغية) قد نجحت في دحر شعب (النوغاي)، وطردهم بعيدا عن حدودهم الشمالية، وأصبح (النوغاي) وحيدين ومعزولين في السهوب الشمالية الممتدة حتى حوض نهر الدون، وهلك كثير منهم بسبب الحروب والمجاعة والامراض والاوبئة، كما أن من بقي منهم احياء ثاروا ضد أسيادهم الروس، وبعد معارك ضارية، أصبح شعب (النوغاي) في وضع ميؤوس منه تماما. وعندها، ارسلوا رسلهم إلى شراكسة الاديغة أعداء الامس، يطلبون منهم العون والإغاثة، وأرسلوا النجدات العسكرية لهم حيث رحل بقية (النوغاي) إلى بلاد القرم ليملأوا الفراغ الذي حصل بعد رحيل سكان القرم إلى بلدان أخرى.

وتشير الوثائق، بأن الاديغة استقبل انباء سقوط دولة القرم بشيء من الارتياح، وفي الوقت نفسه بشيء من التوجس، وشعروا بالارتياح لأنهم تخلصوا من شر الحملات الشرسة التي كانت تنفذ من قبل جيوشهم [١٨]. كما ارتاحوا إلى ثورة شعب النوغاي على الروس وانتهاء تحالفهم معهم.

**وفي عام (١٧٨٧م)** ارسل الروس ثلاثة ارتال عسكرية منفصلة عبر نهر الكوبان بقيادة الجنرال المرتزق (تيكلي) واشتبكت بالقوات الشركسية في معارك ضارية استمرت اربعين يوما، دون أن يلوح في الأفق ما يشير إلى إحراز نصر نهائي من قبل طرف على الآخر، وقد تكبد الطرفان المتحاربان خسائر فادحة في الأرواح، حيث خاضت القوات (الأديغية) المعارك في قتال يائس (حتى الفناء)، وبينما كانت القوات (الاديغية) منهمكة في الدفاع عن إمارات الكوبان، اندفع (تيكيلي) على رأس جيش ضخم، قوامه (حسب المصادر الروسية) ثمانية آلاف جندي وضابط، مع عدد من بطاريات المدفعية الثقيلة، نحو قلعة (أنابا)، على شاطئ البحر الاسود، وطارده القائد الشيشاني الشيخ منصور (اوشرما) واشتبك معه في سهل "آبين" وخسر الروس في هذه المعركة ثلاثة آلاف جندي وضابط وانسحب (تيكيلي) مع بقية جيشه إلى الجبال القريبة من (أنابا)، وفي حركة يائسة عاد وهاجم (أنابا) على أمل احتلالها للتغطية على خسائره في المعركة السابقة، لكن محاولته باءت بالفشل بعد أن خسر المزيد من قواته، وانسحبت القوات الروسية في فوضى عارمة وسقط المزيد من الجنود قتلى أثناء الانسحاب المهين، وتم إقصاء الجنرال المرتزق (تيكلي) من مركزه كعقاب له على فشله وانهزامه.

**وفي عام (١٧٨٩م) حاول جنرال روسي آخر هو "بيبيكوف" أن ينجز ما عجز عنه الجنرال المرتزق تيكبلي**، وهاجمه (الاديغة) في طريق الذهاب والإياب، ومن الثمانية الاف جندي وضابط روسي، عاد ألف وخمسمائة فقط، نصفهم كان مصاباً بجروح خطيرة لا أمل في شفائهم منها. ومع أن الروس اخفوا خسائرهم

الفادحة (كعادتهم دائما) إلا أن رسالة الامبراطورة (كاترينا) الموجهة إلى القائد العام للقوات الروسية في القفقاس، فضحت أكاذيبهم حيث تضمنت رسالتها الفقرة التالية: "استنتج في تقرير لهم أن قليلين جدا هم الذين عادوا معك.." مما يدل على فداحة خسائر الروس في هذه المعارك.

**وقائع وأحداث الحروب في العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي**

**وفي ١٧٩١/٦/٢١م عين الروس الجنرال (كونت غوردوفيتش) قائدا للقوات الروسية في الكوبان**، وركّز هذا الجنرال على (أنابا) باعتبارها عاصمة المقاومة في شمال القفقاس ضد المحتلين القياصرة، وبدأت المعركة بعد أن أرسلت تعزيزات كثيرة من السلاح والجنود، وتمكنت القوات الروسية من دخولها، واحتلال قطاع منها في ٢٢ حزيران ١٧٩١، وبدأت حرب الشوارع في (أنابا)، وفاوض الأتراك الروس بعد دفاع أسبوعين، وقبلوا الاستسلام إلا أن (الامام منصور) ومتطوعيه من الشركس رفضوا الاستسلام، وقاوموا الروس بعد دخولهم مدينة أنابا، بينما وقفت القوات التركية موقف المتفرج، وخلال هذه المعارك سقط (الامام منصور) جريحا فأُسر، وأرسل إلى عاصمة روسيا (آنذاك) بيترسبورغ، كأسير حرب، وكان من نتائج احتلال (انابا)، وتحكم الروس على مضيق (كرج) ومصب نهر (الكوبان) حيث قاموا بإكمال خطهم المحصن على امتداد النهر حتى البحر، كما تم إسكان القوزاق الذين جلبوهم جبرا، في وادي نهر الكوبان بجوار شراكسة الاديغة.

**وفي ١٧٩٢/٦/٣٠ صدر مرسوم من الامبراطورة كاثرينا الثانية**، أعطت بموجبه مساحات واسعة من الأراضي في شمال غرب الكوبان الشراكسة في شبه جزيرة "تامان" حتى مصب نهر "لابا" لقوزاق البحر الأسود حتى أصبح عددهم في منطقة البحر الأسود حوالي مائة الف قوزاقي بعد أن كان عددهم لا يتجاوز (٢٥) ألفاً[١٩].

**مراجع ومصادر الفصلين الرابع والخامس من الجزء الاول في المجلد الثالث**

١) برقوق، مصدر سابق، ص:٢٦٤.
٢) تيخاميروف / باحث أكاديمي روسي درس بنود الإتفاقية بين القيصر إيفان والقبرطاي، ونقلها عنه (مخوص ارسلان) في كتابه تاريخ حرب القفقاس ونتائجها ص: ٢٦.
٣) ف. ف غرابوفسكي: انضمام كاباردا (القبرطاي) إلى روسيا ص: ٢٠.
٤) اوزبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ١٦.
٥) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٢٩-٣٠.
٦) المصدر نفسه ص: ٣٢.
٧) المصدر نفسه ص: ٣٣-٣٤.
٨) حراتوقه، سمير، مصدر سابق، ص: ٣٥.
٩) المصدر نفسه، ص: ٣٦.
١٠) المفتي، شوكت، ص: ٣٩-٤٠.
١١) حراتوقة، سمير، مصدر سابق، ص٤٠-٤١.
١٢) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٤٢-٤٣.
١٣) المصدر نفسه، ص: ٤٩-٥٠.
١٤) ارسلان، مخوص، مصدر سابق – ص: ٣٧.
١٥) حراتوقة، سمير، ص: ٤٢.
١٦) المصدر نفسه: ص ٤٣.
١٧) المصدر نفسه: ص ٢٥.
١٨) المصدر نفسه: ص ٤٣.
١٩) مخوص، أرسلان، مصدر سابق ص: ٧.

# الفصل السادس

## وقائع وأحداث حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصرية ضد الأمة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي

**تمهيد:**

ابتداء، لا بد لي وللأمانة العلمية من الاقرار بأنني اعتمدت في وصف أحداث ووقائع وحروب الإبادة والدمار التي ارتكبتها سلطات الامبراطورية الروسية القيصرية وقواتها العسكرية في القرن التاسع عشر على مجموعات من المراجع والمصادر والوثائق التاريخية وهي على النحو التالي:

* **المجموعة الأولى من المراجع والمصادر والوثائق، وهي** التي أوردها كل من (حسن قاسوم، وحسن علي قاسوم) في كتابهما (إبادة الشراكسة) ونقلها إلى اللغة العربية الدكتور عمر شابسيغ ونشر في دمشق عام ١٩٩٥ حيث اعتمد المؤلفان على أكثر من (٤٠٠) مرجع ووثيقة واقتباس باللغة الروسية.

* **المجموعة الثانية من المراجع والمصادر والوثائق، هي** التي أوردها المؤرخ الشركسي **(باتري اوزيك)** في كتابه "أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة"، وكتب باللغة التركية، ونقلها إلى اللغة العربية أحمد راتب زنداقي ونشر في عمان عام ١٩٨٨، حيث اعتمد المؤلف على:

(٦٣) مرجعاً باللغة الأنجليزية.

(١١) مرجعاً باللغة الألمانية.

* **المجموعة الثالثة من المراجع والمصادر والوثائق** هي: التي أوردها المؤرخ الشركسي (نهاد برزج) في كتابه "تهجير الشراكسة"، وترجمه من اللغة التركية إلى اللغة العربية عصام الحسن حتك وصدر في عمان عام ١٩٨٧، وتتكون مراجع هذه المجموعة من:

(٢٥) مرجعا باللغة التركية.

(١٥) مرجعا باللغة الفرنسية.

(١٢) مرجعا باللغات الالمانية والروسية والأديغة (الشركسية) والشيشان.

(٦) مراجع باللغة العربية.

* **المجموعة الرابعة من المراجع والمصادر والوثائق،** هي التي اوردها الدكتور شوكت المفتي (حبجوقة) في كتابه "**أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاز**" ونشر باللغة العربية في القدس عام ١٩٦٢ وتتكون مراجع هذه المجموعة من (١٥) مرجعا باللغات الالمانية والانجليزية.

* **المجموعة الخامسة من المراجع والمصادر والوثائق،** وهي التي أوردها المؤرخ الشركسي (مخوص ارسلان) في كتابه "**تاريخ حرب القفقاس**"، وترجمه وأعده أحمد اسماعيل وعددها (٣٠) مرجعا باللغة الروسية واللغة الشركسية.*

وبدراسة وتحليل ما جاء في تلك المراجع والمصادر والوثائق توصلت إلى الحقائق والوقائع والأحداث حول المجازر والدمار والخراب والرعب والقسوة والويلات والفظائع الوحشية التي نفّذت على أيدي جنرالات وقادة عسكريين قياصرة روسيا وميليشيات القوزاق والمرتزقة من التتار والقالموق والنغوي والأرمن وغيرهم من مرتزقة أوروبين ألمان وبولنديين.. الخ خلال الحروب والمعارك والمواجهات الدامية التي حدثت على مدار العقود الستة الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي والتي تتلخص بالوقائع والأحداث والحروب التالية:

**أولا: وقائع وأحداث حروب العقد الأول من القرن التاسع عشر الميلادي:**

في مطلع عام ١٨٠٠ كثفت القوات الشركسية مقاومتها للهجمات والاعتداءات القوقازية / الروسية إلا أن شدة وقسوة الهجمات الروسية أدت إلى تدمير قرية الامير (بوجووقة) واستشهد (٢٠٠) مقاتل من المقاتلين الشراكسة

* ملاحظة: قام المؤلف بتدوين المراجع والمصادر الوثائق التي اطلع عليها مباشرة وهي ما كتبت باللغة الانجليزية او العربية، وكذلك التي اطلع عليها بطريقة غير مباشرة من خلال ما ترجم منها إلى اللغتين الانجليزية والعربية من اللغات الشركسية والروسية، والالمانية والفرنسية والتركية كما هو مبين في قائمة المراجع نهاية هذا الفصل.

وجرح حوالي (٣٠٠)، واسر المئات من أهالي هذه القرية الشركسية الآمنة. كالاستيلاء على (١٠٠٠) رأس من مختلف أنواع المواشي والخيل [١].

**وفي عام ١٨٠١ انشأت القوات القوزاقية مدينة (بكاترينودار) كما بنوا حوالي (٤٤٢) قرية اطلق عليها (محطات)** وربطت هذه المحطات بعشرات القلاع والحصون التي انشأتها السلطات الروسية في بلاد الشراكسة في مناطق حوض نهري الترك والكوبان وساحل البحر الأسود والتي **أطلق عليها خط القفقاس العظيم وطوله حوالي ١٥٠٠كم** [٢].

**وفي عام ١٨٠٤ بدأ الصراع المسلح الواسع في بلاد القبرطاي بانتفاضة مسلحة واسعة اشترك فيها بجانب القبرطاي شراكسة الكوبان وشعوب القفقاس المجاورة،** مثل: الآستين والشيشان والانقوش والبلقار والقرشاي، وطالب الثوار بتدمير القلاع العسكرية المنشأة على أراضي القبرطاي في "كيلافوسك" والتي كانت تمنع اتصال القبرطاي بشراكسة الكوبان.

وفي ٩ ايار منه وقعت عدة معارك على الشاطئ الأيمن لنهر (باقسان)، حيث هاجم (١٥٠٠) فارس من القبرطاي القوات الروسية بشكل مفاجئ، وكانت تتألف من ثماني كتائب من المشاة وأربعة افواج و (٥٤) مدفعا، إلا أن وصول تعزيزات روسية في الوقت المناسب اضطر القبرطاي إلى الانسحاب إلى أعالي نهري (تشيقيم) و (شالوشكا) وحاولوا إيهام القادة الروس بأن الشراكسة يرغبون إبعاد وترحيل عائلاتهم إلى الجبال، وفي نفس الوقت طلبوا المساعدة من القبائل المجاورة مثل البلقار والاوستين والقرشاي حيث قرروا معاودة الهجوم على الوحدات الروسية المعادية. ووقعت المعركة الحاسمة في يوم ١٤ ايار منه في منطقة نهري (تشيقيم) و (شالوشكا) بين قوات القبرطاي وبدعم من القوقازيين البالغ عددهم (١٣) الف مقاتل، وبين القوات الروسية بعد أن وضعت (١٢) قرية قبرطائية في وضعيات دفاعية بحفر الخنادق في شوارعها، ووضع العربات

المملوءة بالحجارة على الطرق الجبلية وامام البيوت، كما وضعت جذوع الشجر على المنحدرات المجاورة، بينما تمركز الرماة بالبنادق والاقواس على الجبال، وعلى الخط الأمامي وقف الفرسان والمشاة من عامة الناس، واستمرت المعركة طوال النهار ولم يستطع القبرطاي من الصمود أمام المدفعية الروسية، وتكبدت قواتهم خسائر كبيرة في الارواح، وانسحبت إلى أعالي نهري (تشيقيم) و (شالوشكا) وقامت القوات القيصرية بتدمير وإحراق القرى الاثنتي عشرة.

في ١٩ ايار منه قدم إلى معسكر القوات القيصرية في المنطقة بعض أمراء ونبلاء ووجهاء القبرطاي طالبين السلام، فيما واصل الأمير (ورسلام بك) بالإغارة على تحصينات خط القفقاس بعد أن التجأ إلى شراكسة منطقة الكوبان. كما قام الأستين بقطع المواصلات الروسية المؤدية إلى (جورجيا) وإغلاق الطريق العسكري الجورجي، كل ذلك رفع الروح المعنوية والقتالية لدى القبرطاي مما دفعهم للقيام بهجوم مضاد حيث حدثت المعركة الكبيرة الثانية يوم ٢٠ ايلول عام ١٨٠٤ عند نهر (مالكا)، حيث قامت قوات مكوّنة من سبعة آلاف مقاتل قبرطاي بقيادة كل اغنياء القبرطاي وهم "جامبولاط ميسوستة"، و"عادل لفيري"، و"شوماخ كرساي"، و"دوفتوق، وأتاجوق نافروز"، و"عثمان غيري"، وغيرهم من الأمراء بمقاومة القوات الروسية مقاومة كبيرة، إلا أنهم خسروا المعركة وتركوا على أرضها (٤٠٠) قتيل من المقاتلين الشراكسة و (٤٠) نبيلا، واثنين من الأمراء بينما كانت خسائر الروس (١٠٠) قتيل فقط[٣].

**واصلت القوات الروسية باحتلال أراضي القبرطاي حتى ربيع عام ١٨٠٥**، تم خلالها إحراق وتدمير العديد من القرى، وإحاطة بلاد القبرطاي بحلقة من المخافر ونقاط الحراسة، كما تم منع القبرطاي من المتجارة والاتصال مع السكان الروس على خط القفقاس، مما أدى إلى موت الكثير منهم لعدم توفر الغذاء عامة والخبز خاصة.

ونتيجة للخسائر الكبيرة التي لحقت بالقبرطاي في الأرواح والممتلكات، أجبرتهم على الاستسلام، كما اضطر قادة القتال وفلاحيهم للنزوح إلى مناطق شراكسة ما وراء الكوبان، أما الامراء والنبلاء الباقون فأقسموا يمين الولاء للقيصر.

**وفي الفترة ما بعد عام ١٨٠٦ تدهورت الأوضاع السياسية في منطقة الكوبان بسبب (الحرب الروسية/التركية)**، حيث شنت القوات التركية هجوما كبيرا، على أمل أن يلقى دعما من شعوب القفقاس، وطالبتهم السلطات التركية بالقتال إلى جانبهم لسحق الروس الكفار، إلا أن شعب (الاديغة) لم يوافق على المشاركة بالحرب إلى جانب الأتراك.

وقام الروس بإعادة احتلال (أنابة) في عام ١٨٠٧ إلا أنهم اضطروا للانسحاب منها، ثم قاموا ثانية في ١٨٠٩/٦/١٥ بإنزال قوة كبيرة حتى استطاعت (انابة) مرة ثانية مما سمح للروس ولأول مرة إمكانية الدخول في عمق أراضي (الاديغة) للقيام (حسب قول احد القادة الروس) **بإدخال الموت والخراب إلى مناطق الاديغة**، واعتبر قادة الروس أن مثل هذا العقاب درساً (للاديغة)، كما ارسل إليهم رسولا يطلب منهم ايقاف الاعمال القتالية، وإعلان خضوعهم الطوعي للسلطة الروسية، وفي حال رفضهم ذلك، **فإن صوت الرعد سيدّوي في بلادهم جالبا معه الخراب والدمار.**

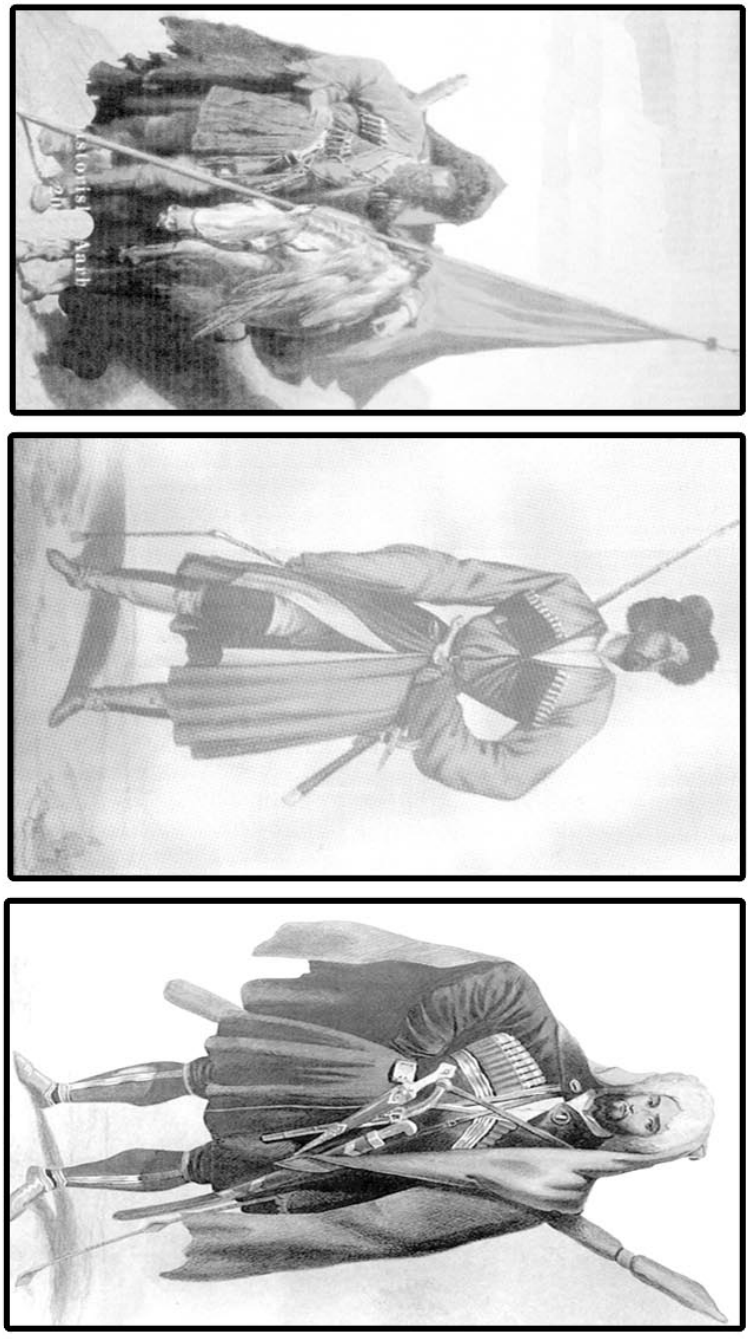
واصلت القوات الروسية حربها ضد شعب القبرطاي في شهر نيسان عام ١٨١٠ وتم خلالها تدمير (٢٠٠) قرية، واحراق (٩٠٨٥) منزلاً و (١١٠) مسجداً وحرق (١٠٣٠) بقرة، ومصادرة (٥١٥٥٥) بقرة و (٥١٥) حصاناً ونهب ما يقدر بـــ (١٠٤) طن من العسل الاحمر و (٩٥) طن من العسل العادي و (١٤٢٠) عربة حنطة و (٢٨٠) بندقية و (٥٣) رمحاً و (١٤٥) سيفاً كما تم سرقة (٢٩٠٠) روبل فضة من بيوت القبرطاي. [٤]

*** وقائع واحداث حروب العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي**

**في عام ١٨١١ ارسل زعماء القبرطاي عريضة إلى الامبراطور اسكندر الاول** طالبوا فيها الامبراطور الاصغاء إلى مطالبهم مذكرين بإخلاصهم منذ عهد ايفان الرهيب، مع الثناء الذي حظوا به من قبل الامبراطورة كترينا الثانية في عام ١٧٧١، كما اعربوا عن قلقهم بخصوص ما يجري في بلادهم في السنوات الاخيرة بقولهم: ".. منذ ان جرى فصل مناطقنا عن مركز القيادة وغادرها **ممثلو وزارة الخارجية، وضعت هذه المناطق بإمرة الحاكم العسكري المحلي الذي كان يجهل وضعنا والتحولات الطارئة عندنا وحالة شعبنا، ولم يستطع أن يدرك الميزات التي اعطيت لنا من القيصر، كما كان يفسر ما يريد على طريقته الخاصة ويضع تعليمات جديدة، ونظرا لأن شعبنا لم يستوعب ما يحدث، فقد حدثت الكثير من المشاكل والبلبلات والتجاوزات، مما يجري، لهذا نقول: إن القلق الرئيسي في حياة القبرطاي في ظل السلطة الروسية الجديدة ناتج عن تواجد القطعات الروسية التي كانت تجهل دقائق حياة المجتمع الشركسي وعاداتم وتقاليدهم**".

وأشار حكام القبرطاي إلى الحاكم الرئيسي (ماكاروف) بأن من دواعي عدم رضاهم عن السلطة الروسية في المنطقة، هو تغاضي حكامهم عمدا عن العادات التاريخية للشعب باصدارهم تعليمات تعارض غالبا تقاليد القبرطاي، كما تحدثوا عن القلاع الروسية... وعن الأراضي...".

جاء الرد إلى حكام القبرطاي في رسالة رفيعة المستوى، وموقعة من قبل الامبراطور الكسندر الاول شخصيا في ٢٠ يناير (ك٢) ١٨١٢، نصت على ما يلي: "ومن قبيل اهتمامنا الخاص بالقبرطاي وبتوجيه منا، وتحت قيادتنا **مباشرة "وحدة حرس خيالة خاصة" من أبناء عائلات الأمراء والملاك والأحرار الشراكسة من القبرطاي من حوالي مائة فارس يتم تسليحها وفق عادات القبرطاي ويجري كل(٣-٥)سنوات تبديل أفرادها بآخرين من شباب القبرطاي وبحسب اختيارهم..**".



صورة رمزية لمجموعة من قادة الشراكسة الذين صدوا هجمات القوات الروسية الغازية لبلاد القبرطاي في العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

"أن يكون المقاتلون الشراكسة في الوحدة العسكرية مستقبلا، اسوة بأسلافهم وجدودهم، وقدوة لمن سيليهم، وأن يكونوا حريصين على تزكية أنفسهم أمام حضرتنا بأفضل صورة، برجولتهم واخلاصهم ووفائهم لعظمتنا، وجديرين بما وهبته جلالتنا من الاهتمام والعناية بهم.." [٥].

انتهت الحرب الروسية التركية في عام ١٨١٢ بتوقيع معاهدة (بوخارست) واعادت روسيا بموجبها (أنابه) و (سوجوق قلعة) إلى تركيا كما عادت مناطق الأديغة في ما وراء الكوبان إلى الفلك السياسي التركي، وعادت الحدود الفاصلة بين تركيا وروسيا إلى مجرى نهر الكوبان.

وبالرغم من توقيع هذه المعاهدة فإن القوات الروسية لم توقف هجماتها المدمرة على بلاد الشراكسة، تحت ذريعة قيام بعض الهجمات (الفردية والشخصية) على القوات الروسية المرابطة في أراضيهم، حيث قامت القوات الروسية بهجمات دموية على فلاحي (الاديغة) مما دفع هؤلاء إلى حمل السلاح والمقاومة بشراسة ضد القوات الروسية.

**وفي الفترة ما بين ١٨١٢-١٨١٦ قام قائد القوات الروسية في البحر الاسود الجنرال** "**فلاسوف**" **باجتياح** الكثير من القرى الشركسية في الكوبان سواء ما كانت تسمى منها بالقرى المسالمة أو غير المسالمة. [٦]

**وفي ١٨١٨/١/٢٠م أرسل حكام القبرطاي وفدا إلى البلاط القيصري الروسي مؤلف من الامير (الحاج بزروقوه والسيد حامرزا زاكوشوك بيك والسيد شولوخ آخلوا والاوزدن تيمروقة قازانشف والسيد كتاغ قوده نيتو والسيد ميسوست آنزور)**، للتأكيد على تنفيذ المطالب السابقة، والتصديق على الامتيازات التي منحتها إياهم الامبراطورة (كاترينا الثانية) أبان عهدها. فأكرم القيصر (اسكندر) وفادة الوفد ودعا أعضاؤه إلى عدة ولائم حضرها بنفسه لاقتناعه

بصداقتهم، ووافق على إرجاع بلادهم الواقعة في مناطق ما وراء نهر المالقا. وأمر بزيادة الاهتمام بكتيبة الفرسان التي تشكلت كحرس خاص للامبراطور، وخصص لنفقاتها مقدار كافٍ من المال، وأعطى شعب القبرطاي الكثير من الامتيازات بموجب مرسوم قيصري وقعه بنفسه، وسلمه إلى الامراء والاوزدن اعضاء الوفد.

وفي عام ١٨١٩ أرسل الأتراك إلى مناطق (أديغة) الكوبان عملاءهم لإثارة الشراكسة واقناعهم بالهجوم على القوات الروسية مما ادى إلى نشوب معارك وصدامات جديدة عديدة أدت إلى استشهاد أعداد كبيرة منهم [٧].

*** وقائع وأحداث حروب العقد الثالث من القرن التاسع عشر**

**في عام ١٨٢١ حاولت القوات الروسية المؤلفة من كتيبة مشاة** قوامها ألف مقاتل بحماية خمسة مدافع للاستيلاء على ما عند القبرطاي من ثروة حيوانية من أبقار وأنعام وخيول التي لم يتمكن الشراكسة من إخفائها بسبب شدة برودة فصل الشتاء؛ كما قامت هذه القوات بإغلاق كل مخارج الجبال ومداخلها لمحاصرة القبرطاي ومنعهم من الاتصال بالقبائل الشركسية الأخرى.

**في عام ١٨٢٢ اباد الجنرال (فلاسوف) سكان (١٧) قرية شركسية كبيرة و (١١٩) قرية صغيرة أخرى، واستولى على ما تحتويها من مؤن، ومصادرة ما يزيد عن (١٠٠٠) رأس من الماشية، كما قتل المئات وأسر عدداً كبيراً من المواطنين الشراكسة من غير المقاتلين، وفي ١٨٢٤/٥/٣ قام بهجوم مفاجئ على إحدى قرى (الاديغة) واهلها نائمون بأمان، ولم يتركوا فيها حجرا على حجر، كما لحق بقريتين مجاورتين نفس المصير في تلك الليلة، ولا يعرف أحد كم مات من السكان في هذه الغارة إلا أن الوثائق تشير بأن شوارع القرى كانت مليئة بالجثث، وأخذ القوزاق معهم (٢٥٠) أسيرا وأكثر من ألف رأس من الماشية.**

وفي عام ١٨٢٥ قامت القوات الروسية في مناطق الاديغة بالكوبان بتدمير عدد كبير من قراهم، وقتل سكانها بالمئات، إما بالنيران أو بحراب القوزاق المتوحشين، **وكثيرا ما وقعت النساء والأطفال الهاربين من الموت بالنار في الأسر، وفي كثير من الحالات كانت النساء يفضلن الموت على الاسر فيلقين بأنفسهن في الوديان السحيقة أو في تيارات الانهار الهائجة**، بالإضافة إلى ذلك قامت تلك القوات في منطقتي الابزاخ والبجدوغ بنهب الممتلكات الثمينة للسكان، وسرقة آلاف رؤوس الماشية، كما تشير الوثائق بأن اعتداءات الجنرال "فلاسوف" عبر الكوبان بموافقة (القائد العام لجيش القفقاس الجنرال يرمولوف) الذي كان يقول وهو يصف غارة قامت بها قوة من الشابسيغ والابزاخ على مستوطنة روسية أن **(قوة السلاح هي الوسيلة الوحيدة لإخضاع الجبليين)**.

في ربيع عام ١٨٢٢ قام "يرمولوف" بهجوم واسع بجبهات عريضة على شعب القبرطاي، واستمر الهجوم حتى عام ١٨٢٥، وتشير الوثائق بأنه قام بتدمير وتشتيت كامل قرى القبرطاي تقريبا، واضطر العديد من شعب القبرطاي إلى الهرب إلى مناطق أديغة في الكوبان لمتابعة القتال ضد جيوش القياصرة من أجل الحرية والاستقلال.

في عام ١٨٢٦ أعلن عدد كبير من الشراكسة أنهم يرغبون بالعيش بسلام مع الروس، شريطة أن لا يقوم الروس بأية اعمال معادية ضدهم.

وفي المقابل فإن السلطات التركية بدأت باتخاذ اجراءات عملية لزيادة نفوذها في بلاد (شركسيا)* محاولة جعلها حصنها الوحيد والأخير في قفقاسيا، وكانت أول خطوة لتحقيق ذلك، هي تعيين (والي) جديد في (أنابة) اسمه "حسن

* كان يطلق على جميع المناطق التي يقطنها الشراكسة من القبرطاي، والبلسيني، وشراكسة قبائل الاديغية في ما وراء الكوبان وغيرها حوالي (١٢) قبيلة اسم بلاد تشركسيا.

باشا" ويحمل رتبة (سر عسكر)، ووصل الوالي الجديد من (طرابزون) إلى (أنابه) واعطي صلاحيات واسعة كما بدأ الوالي الجديد اعماله بالتقرب من زعماء الشراكسة، وخلال مدة قصيرة تم استقطاب كل القبائل الشركسية، ووافقوا على التقيد بالقوانين التركية وتحكيم المحاكم الشرعية، وأرسل رجال الدين الاتراك إلى القرى الشركسية لنشر الدين الاسلامي، كما فرض ضريبة مقدارها (عشر) المحاصيل الزراعية لصالح بيت المال التركي في آنابة وأصبحوا يتبعون له مباشرة وحرص "حسن باشا" على توطيد علاقاته بالشراكسة بشكل شخصي بزواجه من فتاة شركسية بعد وقت قليل من وصوله إلى (أنابه) وهي ابنة أحد أكبر أغنياء وزعماء الشراكسة واسمه "دولت مورزي نوغاي" الذي كان يعيش على بعد (٤٠) فرسخا من القلعة.

إن سبب النجاح الكبير "لحسن باشا" في استمالة زعماء الشراكسة إلى صف تركيا العثمانية مع عدم نجاح سابقيه، يعود إلى معاملته لهم بود وصداقة كبيرين، وعدم قيامه بأية أعمال ظلم أو تعسف ضدهم.

إلا أن بعض الشراكسة عارضوا السياسة التركية الجديدة، ففي شهر آب من عام ١٨٢٦ وفي الاجتماع العام الذي عقده الشابسيغ والناتخواج رفضوا البيعة للسلطان التركي، ودفع الضرائب لدعم حامية (أنابه) وردوا على الوالي قائلين انهم (دخلوا الاسلام راغبين ولا يريدون الخضوع لأي اجنبي ولا يقبلون أن يقال إنهم وافقوا على احتلال اراضيهم من قبل الأتراك).

وفي شهر ايار من عام ١٨٢٧ قامت هذه المجموعة بقطع الطرق البرية الموصلة إلى قلعة (أنابة) ومنعوا إخوانهم الشراكسة من دفع العشر إلى والي (أنابه).

وفي تشرين الاول من عام ١٨٢٧ دعا قادة الابزاخ إلى اجتماع كبير آخر حيث اعلن المجتمعون رفضهم للتبعية التركية ودفع الضرائب لهم.

وفي عام ١٨٢٨ أخذت حكومة "نيقولا الاول" بعين الاعتبار الاوضاع العسكرية والسياسية في القفقاس على ضوء الحرب مع ايران، ولم تكن ترغب في هذا الوقت تعقيد علاقاتها مع تركيا، وتعمدت القيادة القفقاسية بالامتناع عن أي عمل يعارض الاتفاقات والمعاهدات بين تركيا وروسيا، وأصدر تعليماته للقادة العسكريين الروس قائلا: طالما أن شعب ما وراء الكوبان يخضع للسلطة السياسية التركية، **وطالما أن نهر الكوبان هو الحد بين بلاد الامبراطورتين فليس لروسيا حق في التدخل في شؤون الباب العالي.**

وفي محاولة لاستمالة فلاحي الاديغة من شراكسة ما وراء الكوبان وعدهم "حسن باشا" بتحريرهم من تبعيتهم للأمراء والنبلاء، فأقسم هؤلاء الفلاحون قسماً بالولاء للسلطان التركي إلا أن هذا الاجراء من قبل سلطات (أنابه) أثار أمراء ونبلاء الأديغة الموالين لتركيا، وبدأوا يعدون العدة لتحسين علاقاتهم مع روسيا، وحاولت روسيا خداع الأمراء الشراكسة بإعطائهم وعداً لوضع قوات تحت تصرفهم لإخضاع الفلاحين الموالين للسلطات التركية.

وفي العام نفسه حاول إقطاعيو (الاديغة) الذين كانوا يتذبذبون في علاقاتهم بين تركيا وروسيا، استيضاح موقف الحكومة الروسية تجاههم كمحايدين، وباعتبارهم فئة لم يشاركوا في الحروب ضدهم، وأرسل بعض الامراء والنبلاء إلى القائد الروسي "ايمانويل" رسلا لمعرفة ما سيتم من إجراءات ضدهم باعتبارهم لم يرضخوا للسلطة الروسية، إلا أنهم لم يرفعوا السلاح ضدها، وكان الجواب على طلبهم أن أرسل تعليمات سرية إلى "ايمانويل" زعيم القوزاق "بيسكروفني" الاعتراف بشعب (الأديغة) ما وراء الكوبان أن لا يخافوا من الروس، اذا لم يقاتلوا مع

الاتراك، لأن الحرب (بين الروس والاتراك) لا تخص (الاديغة)، وأما الشراكسة الذين حاربوا مع الاتراك فسيعتبرون أعداء لروسيا.

وخلال الحرب الروسية التركية في عامي ١٨٢٨-١٨٢٩ عادت منطقة الكوبان لتصبح مسرحا للأعمال القتالية، حيث حصلت معارك في منطقة (أنابه)، وقاتلت وحدات من الأديغة إلى جانب الأتراك بقيادة الأمراء "بشيقوى، سايتوغ، نودوق، تيمريوق" ، وكان امير الناتخواج "صفر بك" الذي كان مستشارا لباشا (أنابه)، وبعد سقوط (أنابه) في أيدي الروس في ١٨٢٨/٦/٢٣ تراجعت وحدات الشركس إلى مواقعها في منطقة الكوبان استعداداً للمعارك القادمة.

وخلال الحرب الروسية التركية حاول الجانبان بكل الامكانات، كسب ولاء فلاحي (الاديغة) إلى جانبه، وفي بداية الحرب خاطب قائد قوات خط الكوبان والبحر الأسود الجنرال (ايمانويل) "الاديغة قائلا: **إنني أعلن لكل اتباع الامراء الذين يقاتلون معنا ضد الاتراك، وأنني سأكون حاميا لهم اذا وصلت القوات الروسية إلى خط القفقاس، أما امراؤكم فستتم ملاحقتهم والقضاء عليهم بدون رحمة**". بهذه الطريقة دق الروس اسفينا في تفاهم لدى كبار الاديغة الموالين للاتراك، وكان لهذه السياسة أثر كبير أدى إلى إعلان بعض زعماء الشراكسة ولاءهم للروس[٨].

*** وقائع واحداث حروب العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي:**

وفي عام ١٨٣١ استولت الجيوش الروسية على حصن (غلنجيك)، لمنع الاتصال بين النتخواج والشابسيغ، وفي العام نفسه بدأوا بفتح طريق حربي من (غلنجيك) حتى (أوليفسك) بإمرة الجنرال (وليام نوفر) وفي تلك السنة ايضا أنشأوا العديد من القلاع والحصون في بلاد الشركس.

وبتاريخ ١٨٣٣/٥/٢٠ وضع الجنرال (ويليامينوف) خطة جديدة للتعامل مع القوقازيين عامة والشراكسة خاصة من اجل تحقيق الاهداف التالية:

١- إقامة مزيد من التحصينات في أكثر الأماكن أهمية من الناحية الطبوغرافية باعتبارها الوسيلة الاساسية والمضمونة لاحتلال الجبال واخضاع القاطنين فيها.

٢- مصادرة المزيد من الأراضي الشركسية وإسكان القوزاق في محطات تبنى على هذه الأراضي كوسيلة إخضاع (للجبليين) بسرعة .

٣- مواصلة تخريب مزارع وحقول الشراكسة لمدة خمس سنوات متتالية مما يجعل نزع سلاحهم اسهل مستقبلا.

٤- البدء باحتلال ومصادرة اراضي جديدة لإقامة محطات للقوزاق عليها، وكذلك إقامة تحصينات جديدة في اماكن مناسبة وهي أكثر الوسائل فائدة لإخضاع الشراكسة بأسرع وقت ممكن.

وفي عام ١٨٣٤ قامت القوات الروسية بالإغارة على مدينتي (بيتسوندا وكاغرى) الواقعتين على البحر الاسود واحتلالهما. وفي الشمال هاجموا موقع (آبين) الهام الواقع على نهر الكوبان بقوة تقدر بأربعة عشر الف مقاتل، واحتلوا بعد ذلك موقع (تسه – مزَ) بالقوات التي جاءت عن طريق البحر. بهدف احتلال سواحل البحر الاسود والسيطرة عليها لقطع المواصلات البحرية. إلا أن قوات الأبخاز بالاشتراك مع القوات التي قدمها زعيم قبيلة الاوبيخ (الحاج برزج) قامت بمحاصرة المدينتين اللتين احتلهما الروس، إلا أن وصول قوات الكُرج والقوزاق لمساعدة الروس المحاصرين فيهما أجبرهم على التخلي عن الحصار.

وفي الجنوب، قام الشراكسة بالهجوم من البر على موقع (تسه مزَ) لمحاصرة قوات الروس فيها، كما وقفوا في وجه الجيوش القادمة من الشرق نحو موقع (آبين) في الشمال ومنعوهم من احتلاله. وبذلك منعوا اتصال جيوش الروس

المتقدمة من الشرق والجنوب وحموا الجزء الشمالي الغربي من القوقاز من الوقوع في قبضة الروس. **ويعود الفضل في قيادة وتنظيم هذه المعارك لزعيم جيوش الشابسوغ (الحاج غوزيك) المشهور الذي أحرز لقب (اسد غربي القفقاس).**

وبالرغم من انه لم يكن تحت امرته سوى ١٧٠٠ فارس فقد تمكن بمهارته العسكرية الفائقة من الصمود أمام جيش روسيا البالغ عدده اربعة عشر الف جندي، وقيل أن فرسانه افنوا من الروس ما يقارب (ستة آلاف جندي) ورغم كل هذه التضحية والمقاومة العنيدة، فقد تمكن الروس من احتلال (آبين)، ولكنهم عجزوا عن تنفيذ خطتهم الاساسية الرامية للوصل بين منطقتي (آبين وتسه مزَ).

وفي سنة ١٨٣٧ قام الروس بجيش قوامه ستة آلاف جندي من جهة الشرق بالوصول إلى (آبين) وقابلهم الحاج (غوزبك) على رأس جيش كبير من الفرسان الشراكسة، وتمكن من إبادة قسم كبير من الجيش الروسي، والقسم المتبقي منه تمكن من الفرار والنجاة، وقد استرد الحاج (غوز بك) في هذه المعركة ممتلكات الشراكسة التي كان الروس قد اغتصبوها سابقاً.

وفي سنة ١٨٣٨ تمكن الروس من احتلال (شابسوقة) الواقع جنوب (طوابسة)، ومقابل ذلك قام الشراكسة في منطقة (آنابا) بتدمير المستعمرة الروسية، وأسر خمسمئة جندي من حاميتها.

وفي عام ١٨٣٩ جرت على سواحل البحر الأسود، معارك اتصفت بالشدة والعنف، وكانت تهدف لمنع الروس من إنزال القوات الحربية بحرا، بهجمات عنيفة معاكسة، ولما كانت أسلحة الشراكسة النارية ضعيفة، فقد اعتمدوا على مقدرتهم في استعمال السلاح الابيض، كما اعتمدوا على سرعة الحركة وتحريك الجيوش بصورة خاطفة ومفاجئة، وكسب الوقت والاستفادة من ظلام الليل، وتغيير أساليب القتال حسب طبيعة المعارك ومحاولة خداع العدو وتضليله. وتشير الوقائع

التاريخية إلى حدوث ثلاث معارك رئيسية خلال هذه الفترة، وهي على النحو التالي:

**المعركة الاولى: وهي معركة (سوبش)** حيث حاولت القوات الروسية حماية موقع (آنابة)، ورغم شدة مدفعية العدو الحربية التي كانت تحمي القوات المدافعة عن الموقع هاجمها المقاتلون الشراكسة واستطاعوا منعهم من التوغل برا.

**المعركة الثانية:** وعرفت باسم حرب (ساش) حيث حشد الروس حوالي ٤٠ الف جندي في منطقة (آنابه) لحماية شبه جزيرة (طامان). ولما كان الشراكسة يخشون توغل هذه القوات شرقا، فقد قرروا احتلال قلعة (ساش) الواقعة بين (تسه مزَ) و (آنابه) لذلك هاجموها ليلا واقتحموها بالسلاح الابيض، ولكنهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها لخطأ عسكري وقع في تنفيذ الخطة فاستردوها ثانية.

**المعركة الثالثة وهي المعركة التي دارت حول موقع (جاماتيا)** المحصن الذي يشكل رأس جسر عند مصب نهر (الكوبان) ويسهل ارتباط موقعي (آنابه) و (تسه مزَ) المحتلين من قبل الروس، فقرر الشراكسة استرداد هذه المواقع الثلاثة. واتخذوا جميع الاحتياطات والتدابير اللازمة، ووجهوا هجومهم إلى موقع (جاماتيا) ولكنهم حينما دخلوا بين موقعي (جاماتيا وانابه)، تعرضوا لنيران المدفعية الشديدة الآتية من هذين الموقعين المتقاربين، فلم يحرزوا أي تقدم يذكر، وكانت خسائرهم كبيرة، إلا انهم تابعوا هجماتهم ولم يتراجعوا إلا امتثالا لأوامر رؤسائهم وقادتهم خوفا على هلاكهم وفنائهم.[٩]

**ووصف الاميرال (ياكوف) هذه المعارك بقوله "تقدمنا تسعة فراسخ ونصف الفرسخ دون معارك كبيرة، كان الكشافة يقومون بالاستطلاع امام القوة لكشف واحتلال المواقع التي أقيمت على الطريق، وكان الشراكسة يزحفون كالثعابين ويهجمون على رماتنا بالسيوف، ولكنهم كانوا يهزمون خلال نصف ساعة، ويخرجون من الغابة بالحراب وتطلق عليهم مدفعيتنا طلقاتها، كما كنا**

**نتقدم فوق جثثهم الدامية، وكنا نرى القتلى في كل مكان، وكانت الجبال تُدّوي بأصوات إطلاق النار واصوات المعارك، وكانت كل الشعاب مليئة بالدخان وألسنة النيران التي أشعلها المقاتلون الشراكسة في الاعشاب، وكانت جهنم فعلا على الأرض، قضينا الليلة عند نقطة التقاء نهر (ابين) مع نهر (اتاكفاف)".**

واستطرد قائلا "كان اليومان الماضيان صعبين إلا أن الفجر كان يقول إن ما مضى كان نزهة بالمقارنة مع ما ينتظرنا، وكانت آثار اقدام (الخيل) التي غالبا ما تقطع مجاري القتال تضيع في الغابة، وكانت الصخور الضخمة التي تنمو عليها الاشواك وتنحدر منها المياه ليست فقط مانعا للحرب بل كانت مصائد لنا كما كان جانب اليمين واليسار مليئة بالرجال الشراكسة الجاهزين للموت لمنع الروس من التقدم، وكنا نتقدم ببطء ونحن نكسب كل خطوة بالقتال وبسلاح متماثل لأن مدفعيتنا لم تكن لتفيد في هذه الاوضاع، وكان دفاع (الاديغة والاوبيخ) على ساحل البحر الأسود قويا لدرجة أن القيادة الروسية اقتنعت بأن (الشراكسة ينوون الدفاع عن أرضهم بأرواحهم)، وهكذا ففي أثناء انتقال القوة الروسية من (غيلينجيك) إلى (بشاده) لم يتوقف إطلاق النار من قبل الشراكسة الذين كانوا ينصبون الكمائن المسبقة بمجموعات صغيرة وفي يوم ١٨٣٩/٧/٦ كتب الاميرال (ياكوف) إلى الامير (مينشيكو) يقول: "بأن الشراكسة وكما في السابق يظهرون فجأة أمام كل الحصون ولمدة قصيرة ويهاجمون بشراسة، ففي حصن (ميخانيلوفسكي) قتلوا ضابطا بالسيف وجرحوا اربعة جنود، وفي حصن (تينغينسكي) جرحوا قائدا عسكريا وثلاثة جنود وفي حصن (ويليا مينوفسكي) جرحوا خمسة أشخاص، وكان كل ذلك يتم قرب الحصن، وفي ساعة الصباح وعند موعد تحية العلم، وفي (سوباشي) القريب من إحدى الغابات قُتل وجرح حوالي (٥٠) شخصا، وبشكل عام فإن الشراكسة يحاربون هناك بشجاعة فائقة، واعتقد بـــأن هزيمـــة الجنرال

"سيمبارسكي" في العام الماضي على يد المقاتلين الشراكسة قرب (سوتشي) قد رفع من معنوياتهم وزاد من شجاعتهم".

وفي مكان آخر يقول القائد نفسه: "انه رغم قلة سلاح الشراكسة فإنهم لن يستسلموا بالرغم من أنه ليس لديهم أي أمل" (١٠)

*** وقائع واحداث العقد الخامس من القرن التاسع عشر**

اتصفت حروب ومعارك هذا العقد بتعددها وطولها، وشدتها، وتكللت معظمها بالنجاح والتفوق والانتصار على الاعداء الروس دون أي دعم او مساعدة من الانجليز او الاتراك او الفرنسيين، بل إن الحلفاء حجبوا عن الشراكسة كل المساعدات التي كان من المقرر تقديمها لهم.

وتشير الوثائق إلى وقوع (٨٨) معركة شرسة بين القوات روسية والمدعوين من القوزاق وبين اتحاد قبائل الاديغة من شراكسة ما وراء الكوبان خلال الفترة ما بين ١٨٤٠-١٨٤٦.

**وفيما يلي أهم الحروب والمعارك التي وقعت خلال هذا العقد:**

*** معارك شهري شباط واذار عام ١٨٤٠**

مع نهاية عقد الثلاثينات وبانتهاء اقامة خط التحصينات الساحلي كانت شعوب الاديغة وغيرها من القوقازيين قد أصبحوا عمليا مقطوعين عن العالم الخارجي، مما أثر كثيرا على أوضاع الناس البسطاء، هذا بالإضافة إلى حدوث الجفاف وقدوم الشتاء القاسي لعام ١٨٤٠ فانتشرت المجاعة بشكل مرعب بين سكان مناطق ما وراء الكوبان، الأمر الذي أدى إلى التمرد ظهور حركة تحرر جماعي، أشعلت شاطئ البحر الأسود بنيران انتفاضة عارمة شاملة، خلال شهري شباط وآذار حيث قام المقاتلون الشراكسة باقتحام القلاع والحصون التالية:

"لازيروفسكويه – غولوفينسكويه – ويليامينسكويه – ميخائيلوفسكويه" الواقعة على ساحل البحر الاسود، وحارب مع الاديغة شعب الاوبيخ بقيادة "جان برزج" ذي السلطة الكبيرة، ليس فقط بين الاوبيخ ولكن في كل غربي القفقاس، وكان على رأس (١٥٠٠٠) مقاتل شركسي وتكللت هجماتهم بالنجاح وبأقل الخسائر البشرية.

*** معارك شهر نيسان / ١٨٤٠م**

في يوم ١٨٤٠/٤/١٢م وعندما استلم وزير الحرب الروسي القيصري الامير "تشيرنيشف" أخبار سقوط خط القلاع الساحلي، وبخ قائد الخط الجنرال "رايفسكي". كما امر قائد فيلق القفقاس بالتوجه بسرعة لمناطق (الاديغة والابيخ) وإحراق مراعيهم ومزارعهم ومستودعاتهم، وقد تم احراق (١٣) قرية شابسيغ مع تدمير كل الكروم والبساتين في وادي نهر (بسه فابة).

*** معارك صيف عام (١٨٤٠) م**

قامت القوات الروسية بعمليات انزال بحري بمعاونة اسطول البحر الاسود، وأعيد احتلال كافة القلاع الساحلية التي كانت قد سقطت بأيدي المقاتلين الشراكسة، إلا أن الروس لم يتمكنوا من القضاء على مقاومة شراكسة ساحل البحر الاسود، حيث بدأ الاوبيخ والابزاخ والشابسيغ والناتخواج محادثات جادة، بغرض تنظيم هجوم مضاد جديد على خط التحصينات الساحلي الروسي التي اعيد احتلالها، وفي الاجتماع الجماهيري الحاشد الذي عقد على ضفة نهر (بشيحة) تم اتخاذ القرار التالي: "**لا يجوز لأحد منا ان يذهب إلى الكفار وكذلك ممنوعة منعا باتا بناء علاقات الصداقة مع الكفار وكذلك فإن أي طلبات او اقتراحات من قبلهم يجب رفضها باستمرار، وعند محاولة القوات الروسية الدخول إلى المنطقة، فعلى كل واحد منا حمل السلاح والذهاب إلى حيث الخطر لمواجهة الاعداء ومنعهم من الدخول**".

كما وقعت في صيف عام ١٨٤١ أربع معارك عنيفة ضد القوات الروسية القيصرية تحت شعار (الحرية او الموت) وفيما يلي وصف ملخص لكل معركة من هذه المعارك الأربعة:

*** معركة يكاترينودار/ قالشخوه:**

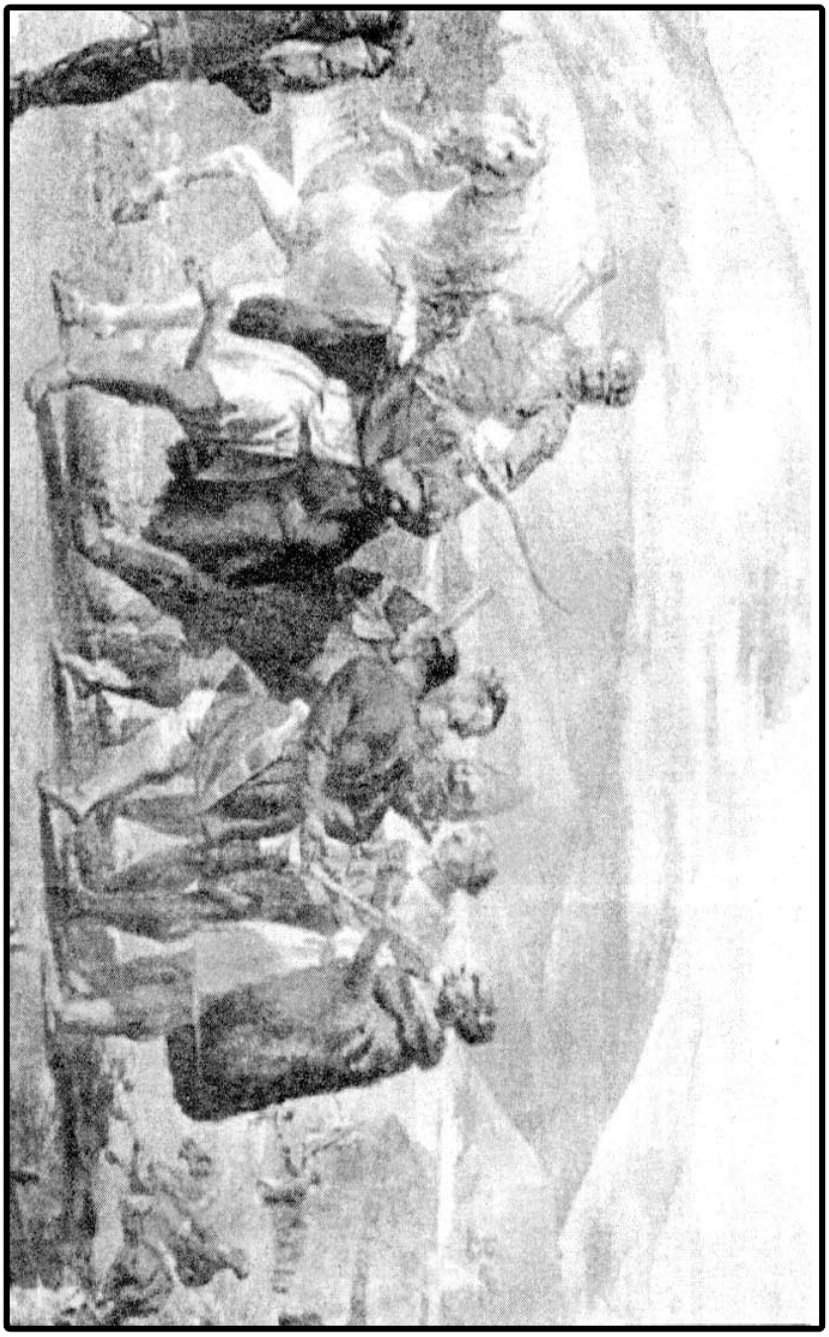
حشد الروس في هذه المعركة ما لا يقل عن عشرة آلاف جندي واستعملوا لأول مرة سلاحاً جديداً، وكان هذا السلاح ذا تأثير شديد على محاربي الشراكسة، لأنه لم يسبق أن رأوا مثله من قبل، ولكن سرعان ما اعتادوا عليه وعملوا على تجنب أضراره بتبديل خططهم الحربية تبعا للظروف التي تفرضها طبيعة استخدام هذا السلاح الجديد.

*** معركة شابسين:**

حاول قادة الروس إخراج قواتهم من هذه القاعدة الحصينة، إلا أنهم فوجئوا بمقاومة شديدة من القوات الشركسية التي انقضت عليهم من الخلف ومن الجانبين ، وكبدتهم خسائر جسيمة، حيث خسر فيها الروس ما لا يقل عن الف قتيل واضطروا إلى التراجع والاحتماء بالقلاع.

*** معركة حافطسي كلنجك:**

وفيها حاول قادة الروس أيضا الخروج من هذه القاعدة الساحلية والتقدم برا، ولكنهم اصطدموا بخط دفاع الشراكسة، ولم يتمكنوا من إحراز أي تقدم فانسحبوا خائبين.



استراحة المحاربين الشراكسة بعد احدى المعارك العنيفة ضد الغزاة الروس

*** معركة بشات:**

دفع قادة الروس من هذه القاعدة الحربية ما لا يقل عن ١٨,٠٠٠ جندي، وحاولوا التقدم في وادي (بشات) واخترقوا خط الدفاع الشركسي، ورغم ذلك لم يبلغوا هدفهم الحقيقي وهو التوغل برا في الأراضي الشركسية فارتدوا خائبين، بفضل القيادة الحكيمة التي مكنت المقاتلين الشركس، بقيادة (شروخ يقوه وجانبولات، حاوقه منصور) وغيرهما من الزعماء، والصمود امام قوات الروس الكبيرة، واشترك في هذه المعارك الاحداث والفتيان الشراكسة الذين لم يبلغوا السادسة عشرة من اعمارهم واستشهد البعض منهم. واشارت بعض الوثائق بأن أحد قائدة هذه المعارك وهو الزعيم الكبير (حاوقه منصور) الذي كان يتقدم **المقاتلين، قال لهم: "طالما سيوفنا بأيدينا، لن نفكر في الاستسلام أبدا.."** [١٢]

وكتب العقيد "يوريف" في تشرين الثاني ١٨٤١ قائلا: "ومع ان القبرطاي الحاليون ليس أقوياء كثيرا، لم يعودوا خطرين علينا بقواهم الذاتية، إلا ان اقرباءهم من امراء ونبلاء القبائل الاخرى القفقاسية، واحتراما لمنبتهم وأصلهم، فإن لهم تأثيرا كبيرا على باقي شعوب القوقازيين، ولذلك فإن المحافظة على الهدوء في بلاد القبرطاي هام جدا في المرحلة الحالية، بحيث ان اقل خطأ من القيادة الروسية في مناطق القبرطاي يمكن أن يؤدي إلى انتفاضة هذا الشعب ضدنا مما سيشكلون خطورة على الطريق الحربي الجورجي العسكري". [١٣]

وفي شهر نيسان من عام ١٨٤١ قامت قوة مؤلفة من (١٥٠٠٠) مقاتل شركسي ومعهم سبعة مدافع من العيار الثقيل بمحاصرة قلعة (تينغينسكي) لمدة ستة ايام، ولم يتراجعوا إلا عندما وصلت تعزيزات روسية بعد أن تلقت القوات الروسية ضربة كبيرة وخسائر فادحة بين صفوفها.

وفي شهر تشرين الثاني عام ١٨٤١ تجدد القتال، وخسر الروس حوالي (٦٠٠) مقاتل و (٣٠٠٠) جريح، وكتب الجنرال "ياكوف" قائلا: إن الشراكسة أيضا وقعت بينهم إصابات ولكن ليس بحجم إصاباتنا".

وقاتل الشراكسة بضراوة شديدة ايضا على الشاطيء الايسر لنهر الكوبان خاصة في المناطق الجبلية، شارك فيها قوات الشراكسة الجنود الروس الذين فروا من قسوة معاملة القادة الروس، كما شارك فيها قوات عدد غير قليل من الجنود البولونيين الذين جندهم الروس في فيلق القفقاس المستقل لمحاربة الشراكسة فهربوا منه، ومن الجدير بالذكر بأن الجنود الروس والبولونيين الذين انضموا إلى الشراكسة لم يقوموا فقط بالقتال إلى جانبهم، بل نقلوا إلى الشراكسة علومهم العسكرية وخطط وتكتيك المعارك، وحسب شهادة عدد من الشهود فإنهم علموا الشراكسة ايضا أسرار صناعة البارود وأساليب اطلاق المدافع، مما ساعدهم على الصمود امام التفوق الروسي في العدد والعدة.

*** احداث عام ١٨٤٣**

بعث الامير القبرطاي (محمد ميرزا انزور) برسالة إلى نائب الامام شامل في بلاد الشيشان الشيخ (شعيب) يعلموه فيها بأن القبرطاي حكاما وشعبا جاهزين للقتال ضد القوات الروسية، وذهب بنفسه إلى النائب (شعيب) وطلب منه ارسال وحدة صغيرة إلى بلاد القبرطاي للمساعدة في قتل (١٦) عميلاً شركسياً متعاوناً مع سلطات الروس القياصرة.

*** احداث عام ١٨٤٤**

اتيحت الفرصة للقبرطاي للثورة على الروس مرة أخرى، عندما قدم (الامام شامل) على رأس جيش كبير قوامه اثنا عشر الف مقاتل إلى اراضي القبرطاي وتمكنوا من اجتياح بعض المخافر والمستحكمات القوزاقية المسماة (ستانيتسا)، وساروا نحو الغرب ووجهتهم حوض نهر الكوبان. وفي نفس الوقت خرج عدد

كبير من القبارطاي عن طاعة الحكومة الروسية، وانضموا لقوات الامام (شامل) بأمل الخلاص من حكم الروس، ولكنهم لم يستمروا في القتال معهم لعدم توفر التحصينات الطبيعية، ومن جهة اخرى فإن العدد الاكبر من القبرطاي لم يكونوا ميالين إلى جعل بلادهم عرضة لاستيلاء جيوش (الشيشان المتعصبة) على بلادهم وحافظوا على هدوئهم حتى اضطر الامام إلى الانسحاب والالتجاء إلى بلاد الداغستان مع بعض الشراكسة من القبارطاي خوفا من تعرضهم لانتقام الروس لانضمامهم إلى الامام شامل.

وأما القبائل الجركسية الصغيرة، التي كانت تقطن ضفاف نهر الكوبان واللابا وأوروب قاوموا الروس، وتمكنوا من الصمود أمامهم، إلا أنهم اضطروا للتوقف عن الحرب لضعف حالهم وقلة عددهم، فمنهم من خضع للروس، ومنهم من آثر الهجرة إلى الضفة اليسرى من نهر اللابا، وجاوروا قبيلة (الابزاخ) واندمجوا معهم [١٤].

**وفي حزيران عام ١٨٤٤:**

بدأت معركة كبيرة حيث قام (٦٠٠٠) مقاتل من الاوبيخ والشابسوغ احتلال حصنين كبيرين وطرد القوات الروسية منهما.

**وفي عام ١٩٤٦:**

وقعت عدة معارك حربية على خط التحصينات الساحلية [١٦]. وفي نفس العام أي عام (١٨٤٦) قام نائب الامام (شامل) واسمه (سليمان التتري) ببيع نفسه للروس وأعلن رفضه القتال ضدهم.

**وفي عام ١٨٤٨ :**

وصل (محمد أمين) نائب الشيخ (شامل) وهو النائب الثالث الموفد إلى شراكسة ما وراء الكوبان بهدف نشر المذهب (المريدي) ومكث بينهم اكثر من عشر سنوات، وقام بتقسيم اراضيهم إلى قطاعات، يتألف كل قطاع منها من (١٠٠)

بيت أو عزبة، وأسس في كل قطاع (محكمة) وهي عبارة عن (حصن) او قرية جبلية محاطة بالخنادق والسياج، كما انشأ في كل محكمة مساكن للقضاة وللقادة بالإضافة إلى بناء مسجد ومدرسة حربية وسجن ومخزن تجاري واسطبل كما عين لكل مقاطعة إدارة مكونة من ثلاثة قضاة للقيام بمهام إدارية وقضائية.

كما وضع تحت تصرف كل (إدارة) وحدات مسلحة من الخيالة، وجيش مكون من مجموع الوحدات الخيالة، بالاضافة إلى الوحدات الامنية التي كانت تتكون من الفرسان والمحاربين المتطوعين، بمعدل (فارس واحد من كل بيت على الأقل) وكانت هذه الوحدات المقاتلة جاهزة للقتال عند صدور نداء من نائب الشيخ شامل إلى بلاد شراكسة ما وراء الكوبان.

كما شكل النائب في المرحلة الأولى من وصوله إلى بلاد شراكسة ما وراء الكوبان أربعة مناطق في الابزاخ الذين كانوا أوائل من اعترفوا بسلطته، ثم شكل ثلاث مناطق أخرى لدى الشابسوغ واثنتين لدى الناتخواج.. ولم ينجح نائب الإمام محمد أمين من توحيد شعوب شراكسة (الاديغة) في مناطق ما وراء الكوبان لأسباب وتأثيرات داخلية وخارجية [١٧].

**أحداث عام ١٨٤٦**

أرسل الإمام شامل عام ١٨٤٦م رسالة إلى القبارطاي تحمل التهديد والوعيد وتطالبهم ولآخر مرة للانضمام إلى جيشه لمحاربة الروس، والقيام بثورة عامة لتحرير بلادهم من حكم الروس. وجاء في المقطع الأخير من تلك الرسالة التهديد التالي:

**((واذا تماديتم في غيكم وأعرتم آذانا صاغية لوعود أولئك الروس الكفار ذوي الشعر الاحمر، ولم تذعنوا لطلبي هذا، ولم تصدقوا تهديداتي فإني سوف أحقق ما كان ينوي تحقيقه الإمام غازي مولا، وأن جيوشي الجرارة سوف تنقض على بلدانكم الآمنة كالغيوم السوداء التي تقدح شررا وصواعق فتاكة، وسوف**

**ننتزع منكم غصبا ما رفضتم إعطاءه لنا بالحسنى.** وان الدم سيسيل على جوانب طريقي اليكم، وسوف يتبعني في طريقي إليكم الخوف والهلاك، وحيثما يعجز الكلام تبدأ القوة)).

ونفذ الامام تهديده في نفس العام، وهاجم بلاد القبارطاى من حدود بلاد الشيشان، إلا أن الجنرال الروسي (فرتياغ) كان يعلم سلفا ما كان ينويه الامام، فسارع في تعقب تحركاته في بلاد القبارطاى، وحاول قطع طريق الرجعة عليه، وأما الامام فلم يتجاسر على مقابلة جيش الجنرال المذكور، في بلاد سهلة لا جبال فيها ولا أحراج، وآثر الرجوع إلى الجبال خوفا من وقوعه في الأسر.

ورغم فشله في محاولة اجتياح بلاد القبارطاي فقد أحرز الإمام شامل بعمله هذا بعض المكاسب المعنوية ولاقى الاستحسان لدى القوقازيين، كما أن الجنرال (فراتياغ) نجح في تخليص الدولة الروسية من خطر عظيم كان يتهددها من قوات الشيخ شامل واتباعه المريدين.

**أحداث عام ١٨٤٧ :**

حاول الجنرال (فوردنتسوف) الاستيلاء على موقع (غرغبيل) الذي حصنه الامام شامل بعد هجوم شديد. ولكنه فشل في محاولته هذه كل الفشل، واضطر إلى الانسحاب بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وبعد مدة تمكن من احتلال الموقع الحصين (سالتي)، إلا أن ذلك كلفه خسائر جسيمة، وما لا يقل عن ألفي شخص بين قتيل وجريح. ومع ذلك فقد كانت هذه الموقعة مدار فخر وزهو الجنرال (فورد نتسوف).

**احداث عام ١٨٤٨ :**

سقطت (غرغبيل) أيضا، بعد حصار دام اثنين وعشرين يوما، حيث تعرضت لهجوم جيش روسي كبير عدده لا يقل عن عشرة آلاف مقاتل، ولكن الروس لم يتمكنوا من إبقائها في أيديهم، واضطروا إلى اخلائها والانسحاب منها،

والفرار والتقهقر بأسرع ما يمكن، بسبب الهجمات الشديدة التي قامت بها جيوش شامل والاخطار التي كانت تهددهم من جميع الجهات.

وفي خريف تلك السنة هاجم (شامل) على رأس جيش كبير جدا موقعاً محصناً يقع على نهر (سامور)، في الجهة الجنوبية من بلاد الداغستان وكانت حاميتها البالغ عددها (٥٠٠) محارب، تدافع تحت إمرة قائدها الكولونيل (روث) بكل بسالة، وقد خسرت الحامية نصف رجالها الأشداء، وحينما استبد بهم اليأس نسفوا مخزن البارود الموجود لديهم وقرروا الدفاع حتى الرمق الاخير. كما أن النساء الروسيات الموجودات في الحصن قررن الانتحار قبل وقوعهن اسيرات بأيدي جيوش الموريدية بقيادة الشيخ شامل.

كان كل شيء يسير لصالح الإمام الذي وعد (نوابه) بأنه أول من يتمكن من احتلال الحصن ويرفع رايته على برجه سيعطيه ابنة القائد (روث) الجميلة، إلا أن نجدة كبيرة من القوات الروسية وصلت في آخر لحظة، وتمكنت من فك الحصار وإنقاذ المحاصرين في داخل هذا الحصن [١٥].

*** أحداث ووقائع المعارك العنيفة في العقد السادس من القرن التاسع عشر**

لم يقم الروس منذ عام (١٨٥٠) بأعمال حربية وعدائية ضد الشراكسة بل اكتفوا بإشعال حصونهم وقلاعهم التي انسحبوا إليها، وهذا لم يمنعهم من السعي لعزل بلاد الشركس عن الأتراك وقطع كل صلة بينهما. وكان الروس يتظاهرون في كثير من الأحيان بمظهر المسالمين، وكان بينهم وبين أعدائهم هدنة غير معلنة، حيث كان أشد قادة الروس تحمسا لهذه الفكرة هو الجنرال (ياكوف)، وهو قوقازي المولد وأرمني الجنس، وكان يعمل مع الأتراك في (آنابا) كمترجم، ولما رحل العثمانيون عن هذه البلدة، وحل محلهم الروس، وتحول لخدمتهم ولمع نجمه لمعرفته بأمور القوقاز وأحوال القبائل الشركسية ولعلاقته الجيدة مع بعض الاسر

المتنفذة في قبائل ناتخواج، واتقانه اللغة الشركسية. إلا أنه كان يجهل طبائع الشركس والمتمثلة في كرههم لعامة الروس.

وفي عام ١٨٥١ تم تشكيل وحدة قومية بين القبائل الشركسية الاثنتي عشرة لم يحدث مثلها من قبل، وأدى هذا التضامن لانتشار الدين الاسلامي بسرعة كبيرة وإن لم يرافق هذا الانتشار تثقيف وتوعية دينية، لعدم وجود متسع من الوقت لانشغالهم بالحروب المستمرة ضد القوات الروسية الغازية.

والذي يهمنا في بحثنا عن الوقائع والأحداث التي وقعت خلال سنوات هذا العقد هو الكشف عن بعض الحقائق حول (حرب القرم) (١٨٥٣-١٨٥٦) من حيث أسبابها وأهدافها، ومجرياتها وهي على النحو التالي:

١- كانت أهداف كل دولة من دول التحالف الثلاثي من إعلان الحرب على روسيا في حربها المسمى (بحرب القرم) تختلف باختلاف سياسة كل دولة فيها. وتؤكد الوثائق التركية بأن أسباب حرب القرم لم تكن للأهمية الاستراتيجية لمنطقة القفقاس عامة والمناطق الشركسية خاصة، **وإنما كان السبب الرئيسي هو: صمود الشراكسة وقدرتهم على المقاومة للعدو الروسي أكثر من ثلاثمائة عام، وكذلك لاقتناع قادة الحلفاء بأنهم يستطيعون بمعونة** المقاتلين الشراكسة تحطيم القوات الروسية من أول ضربة.

٢- كانت رغبة الإنجليز والأتراك في دعم الشراكسة ليس حبا في منحهم الاستقلال الوطني الذي تنشده الأمة الشركسية، وإنما لضمان حرية التجارة معهم والحصول على طرق تجارية آمنة للوصول إلى الشرق الأدنى عامة وبلاد الهند خاصة.

٣- ضمان حرية الملاحة في البحر الأسود وإبعاد الأسطول البحري الروسي عن شواطئه لضمان حرية حركة بواخر قوات التحالف.

تلك هي الأهداف الحقيقية لقوات التحالف من إعلان حرب القرم ضد روسيا القيصرية وتحققت هذه الأهداف جميعها باستثناء الهدف المتعلق باستقلال الشراكسة وتكوين دولتهم المستقلة المنشودة وتشير الوثائق التاريخية إلى أن هذا الهدف لم يتحقق لسببين رئيسين هما:

**السبب الاول:** لم يتفق الحلفاء على رأي واحد، حول هذا الهدف ففرنسا لم يكن لها اهتمام في بلاد ما وراء القفقاس، بينما إنكلترا وتركيا كانتا مهتمتين بمسألة القفقاس وباستقلالها لضمان الاتجار معهما، خاصة وأن الانكليز وخلال حرب القرم وفي ذهنهم إقامة دولة في شمال القفقاس تحت اسم (شركسيا) ووضعها تحت حماية تركيا أو انكلترا، وكان قد تم التفكير في سلخ بلاد ما وراء القفقاس عن روسيا، وتقسيم جورجيا إلى إمارات تحت حماية انكلترا، ويتضح ذلك من المقالة التي نشرت في جريدة (التايمز) البريطانية قبل بدء حرب القرم بوقت قصير حول ضرورة انسحاب القوات الروسية عن مناطق ما بين نهري الكوبان وتيرك.

**أما السبب الثاني،** فيتعلق بفشل الحلفاء في استخدام سكان القفقاس عامة والشراكسة خاصة ضد روسيا، وجعلهم حلفاء نشيطين، كما حاولت القيادة التركية/الفرنسية الانكليزية المشتركة إقامة علاقات مع قادة حركة التحرر الشركسية أولا، ومع "شامل" ونائبه "محمد أمين" و "صقر بيك" ثانيا. إلا أن هذه المحاولات فشلت جميعها أيضا. ولم تنجح لسببين رئيسين هما: **الأول،** قناعة الشراكسة بعدم جدية الحلفاء في حرب القرم، **والثاني،** عدم ثقتهم بسياسة الحلفاء في ضوء التجارب السابقة والتي تمثلت بالوعود المتكررة بتقديم الدعم العسكري والمالي والبشري للشراكسة في حربهم ضد روسيا القيصرية، ولم يتحقق منها أي وعد.

وفي نهاية عام ١٨٥٣ انتهت الحملة الحربية في منطقة ما وراء القفقاس بكارثة حلت بالخطط الاستراتيجية للقيادة التركية، إذ إن النصرين الباهرين اللذين أحرزهما للروس، – الأول في (أخالتسيخوم) في ١٨٥٣/١١/٢٦ والثاني عند بلدة (باش

كاديكلار) في ١٨٥٣/١٢/١ – حطما نهائيا الخطط التركية باحتلال القفقاس بضربة واحدة.

كما تلاشى خطر إنزال قوة تركية على شاطئ ساحل القفقاس، إذ قامت قوة بحرية روسية في ١٨٥٣/١١/٣٠ بقيادة "ناخيموف" بتدمير قوة الإنزال التركية في مرفئها في خليج (سينوب) وهي القوة التركية التي كانت مؤلفة من (١٤) سفينة، وكان من المخطط لها التوجه لاحتلال مدينة (صوخوم) والاتصال مع المقاتلين الشراكسة في الداخل. وهكذا تعقد الوضع الدولي بعد معركة (سينوب)، وهزيمة الجيش التركي في مناطق ما وراء القفقاس، وأصبح خطر نشوب الحرب مع انكلترا وفرنسا ودخول أساطيل الحلفاء إلى البحر الأسود أكثر مع إمكانية دخول إيران الحرب إلى جانب الحلفاء الأمر الذي أدى لاهتمام القيادة الروسية على إبقاء خطوط المواصلات مفتوحة بين روسيا وما وراء القفقاس، وحراسة شاطئ بحر قزوين، والطريق الحربي الجورجي، وشاطئ البحر الأسود، وتعقد الموقف بشكل خاص على شاطئ القفقاس بعد دخول أسطول الحلفاء إلى البحر الاسود، حيث اختبأت السفن الحربية الروسية في عمق خليج (سيباستربل) لتخلف تسليحها أولا، ولقلة عددها مقارنة مع عدد سفن الحلفاء.

وفي شباط عام ١٨٥٤ أمر القيصر انقولا الاول إخلاء وتدمير قلاع وتحصينات خط الدفاع الساحلي على البحر الأسود والتحصن في قلاع (انابة ونوفورسيك وغيلنيجيك وصخوم) وفي العام نفسه (١٨٥٤) تلقت الحكومة الانجليزية موافقة نابليون الثالث للقيام بالهجوم على القوات الروسية في القرم، وفي تموز عام ١٨٥٤ ترأس النائب (محمد امين) وفدا شركسيا مكون من (٧٠) اميرا لزيارة قيادة الحلفاء في (فارنا) للتباحث معهم حول تنظيم الاعمال العسكرية المشتركة ضد روسيا، واستقبل الوفد باحتفال رسمي وأطلقت المدافع عند وصولهم (٢١) طلقة تحية لقدومهم.

وفي ١٨٥٤/٦/٢٧ وبعد يومين من وصول الوفد الشركسي برئاسة النائب، كتب المارشال (سانت آرنو) الانجليزي إلى مدير الحرب الانجليزي، مشككا في امكانية استنفار كافة القبائل الشركسية وإعداد جيش قوامه (٤٠٠٠٠) مقاتل مسلح للمشاركة في القتال في حال إنزال الحلفاء قواتها على شاطئ القفقاس.

إلا أن هذا الاقتراع لم يلقَ قبولا في كل من باريس ولندن.. وفضلوا إرسال القوات للقرم بدلا من إرسالها إلى القفقاس [١٨].

ومع نهاية عام ١٨٥٤ كانت كل من تركيا والشيخ (شامل) قد فشلا في توحيد قبائل الشراكسة واستنفارهم للحرب ضد روسيا، حيث كان القبرطاي وغيرهم من شراكسة القفقاس ينظرون بشك كبير حول جدية حملة الحلفاء ضد روسيا.



صورة القائد الشركسي صفر بك

وذكرت عدة وثائق بأن قادة الشراكسة كانوا مترددين في تقديم المعونة لتركيا لقناعتهم بعدم وجود قوات كافية لديهم لمواجهة القوات الروسية، وبالتالي فإن كل محاولات القائد الشركسي (صفر بك) لإقناع زعماء الشراكسة فشلت تماما.

وفي عام ١٨٥٥ حاول الحلفاء إقناع (الشيخ الشامل) تقديم المساعدة العسكرية في حملتهم ضد الروس، إلا أنه رفض ذلك، لأنه لا يريد أن يصبح لعبة في أيدي الحلفاء، وأدار لهم ظهره ولم يشارك في أية أعمال حربية مع الحلفاء.

وفي آذار ١٨٥٥ نزلت قوة تركية بقيادة (مصطفى باشا) إلى منطقة القفقاس الشمالي الغربي، وطلب هذا القائد من (صفر بك) تنفيذ هجوم من المناطق الشركسية في ما وراء الكوبان، كما أرسل العميل التركي (حاج إسماعيل) إلى القرى الشركسية لإقناعهم بالمشاركة مع القوات التركية في هجومها على الروس، إلا أن زعماء (الاديغة) عامة قابلوا طلب هذا العميل بشيء من السلبية ورفضوا تلبية طلبه.

ونفذت قوات روسيا هجمات متتابعة بمشاركة أكثر من (٤٠٠٠٠) مقاتل روسي شهر تشرين من عام ١٨٥٥ على قلعة (قارص) واحتلوها بعد قتال كبير.. ولم تلق القوات التركية أية مساعدة عسكرية من حلفائه لاستنزاف قوتهم في الدفاع عن (سيباسنوبول)، وبذلك خسرت القوات التركية هذه المعركة وانسحبت من القلعة.

وفي ١٨٥٥/٥/١٢ قام أسطول الحلفاء المؤلف من (٥٠) بارجة و (٢٥) سفينة باحتلال مضيق (كيرتش).

وفي صيف عام ١٨٥٥ حاول (مصطفى باشا) و (صفر بك) تحريض شعب وزعماء شراكسة (الاديغة) من جديد للانضمام إليهم، لشن هجوم معاكس على القوات الروسية، إلا أن جواب زعمائهم كان بأنهم "**لا يرغبون سماع اسم الانجليز والفرنسيين.. وأنهم ينظرون إليهم كأعداء لهم وليس كأصدقاء**".

وكان وجهة نظر الشراكسة ممن رفضوا الانضمام إلى معسكر الحلفاء هو قناعتهم بعدم وجود مبرر لمهاجمة الروس، لأن الروس لم يبادروا بشن أي هجوم على الشراكسة منذ بدء حرب القرم.

ولا شك بأن وقوف الشراكسة على اختلاف قبائلهم على الحياد، وعدم تقديم أية مساعدات عسكرية للحلفاء، ربما كان السبب الرئيسي في تغيير موقف الحلفاء عامة والفرنسيين والأتراك خاصة من صراع الشراكسة مع الروس للحصول على الاستقلال الكامل.

وفي أيلول من عام ١٨٥٥ قام القائد التركي (عمر باشا) بتكوين علاقات وثيقة مع (محمد أمين) وعينه قائدا لكل القوات الشركسية في غرب القفقاس ومنحه لقب (الباشوية) ورقاه إلى رتبة (فريق). كما منح الشيخ (شامل) رتبة مارشال (مشير) في الجيش التركي.. إلا أن (محمد أمين) فشل الوفاء بوعده (لعمر باشا) لحشد (٤٠,٠٠٠) من المقاتلين القوقازين، نصفهم على الأقل من الفرسان الشراكسة، بل إن قادة الأديغة قاوموا محاولات (محمد أمين) مقاومة شديدة، وطلبوا منه ترك الشراكسة لحالهم [١٩].

وفي ١٨٥٥/١١/١٦ استسلمت حامية (قارص) للقوات الروسية، الأمر الذي دفع قادة الحلفاء لوضع خطة جديدة لشن هجوم في عمق القفقاس بهدف استعادة حامية (قارص) أولا، والوصول إلى عمق القفقاس ثانيا، وحسب هذه الخطة الجديدة كان يفترض الانتهاء من احتلال كامل القفقاس في عام ١٨٥٧. كما افترض الإنجليز والأتراك قيام كل الشعوب القفقاسية بانتفاضة ضد الوجود الروسي في بلادهم.

في عام ١٨٥٦ قامت انتفاضة فلاحي (البزدوغ) والتي سميت (بحرب الأمراء والنبلاء الارستقراطيين) وقضي على هذه الانتفاضة بعد أن استنجدوا بالقوات الروسية التي قامت بتدمير قرى الفلاحين بأكملها، إلا أنهم لم يتمكنوا من إخماد الانتفاضة، حيث قام الفلاحون بالاستيلاء على أراضي الأمراء والنبلاء الذين التجأوا للمناطق الروسية.

وفي العام نفسه حاول (محمد أمين) نائب الشيخ (شامل) استغلال الانتفاضة الشعبية في مناطق قبائل البزدوغ وعمل على توحيد شراكسة ما وراء الكوبان (بدعم من الفلاحين) وإعلان الحرب المقدسة ضد روسيا، إلا أن الفلاحين الشراكسة أدركوا مدى صعوبة تطبيق الأنظمة الشرعية وشعروا بثقل النظام الإسلامي الصارم، الذي كان قد وضعه (محمد أمين) وتحولوا عن فكرة التوحد حول لوائه.

وفي خريف عام ١٨٥٦ سقط (سيباستوبول) بيد الإنجليز والفرنسيين، وفجأة وبالرغم من انتصارهم الجزئي قرر الحلفاء إيقاف الحرب والدخول في محادثات سلام مع الروس، واستكمال أعمال المؤتمر التحضيري الذي كان قد بدأ في (اثينا) قبل سقوط (سيباستوبول) واختاروا (باريس) مكانا لعقد هذا المؤتمر. وهو المؤتمر الذي وافق على انعقاده الحلفاء بعد أن تأكدوا من الموافقة المسبقة للسلطات الروسية على مطالب الحلفاء عامة ومطالب كل من إنجلترا وفرنسا خاصة باستثناء شرط منح تشركسيا استقلالها.

وتوصلنا إلى هذه الحقيقة من دراسة وتحليل وقائع مؤتمر باريس كما جاءت في الوثائق الانجليزية أو الروسية، وهي على النحو التالي:

١- طالب المفوض الانكليزي اللورد "راسل" بمناقشة المسألة الشركسية، كما طالب منع إقامة تحصينات روسية في شركسيا؛ وأعلن ممثل تركيا "علي باشا" رغبته في استقلال داغستان وشركسيا.

٢- لعبت المسألة الشركسية دورا هاما في المحادثات النهائية حول السلام التي بدأت في الخريف بعد سقوط (سيباستوبول) كما تكلم المفاوضون الإنكليز عن موضوع فصل مناطق القفقاس الشمالي وما وراء القفقاس نهائيا عن روسيا.

٣- حاولت انكلترا إعاقة محادثات السلام وحث فرنسا بدعم خططها العسكرية تجاه القفقاس والمستعمرات الروسية الأخرى.

٤- كان البند الخامس على جدول أعمال المؤتمر، والمتعلق باستقلال تشركسيا وهو أهم وأصعب البنود بالنسبة لروسيا، لذلك وقبل افتتاح جلسات المؤتمر الرسمية حاولت الدبلوماسية الروسية معرفة ما تريده انكلترا من (النقطة الخامسة) وقال المندوب الروسي المفوض "برونوف" أن: "الحكومة البريطانية تسعى لتقديم دعمها المعنوي إلى القبائل التي حاولت أثناء الحرب جرها إلى الانتفاضة ولا تريد انكلترا أن تظهر بأنها فور حصول السلام تركت الشراكسة وخانتهم، إلا أن الانطباع لدي هؤلاء أن النقاش حول هذه النقطة سيتقيد بالمحاولات الدبلوماسية التي يحبها ويبرع فيها اللورد "بالمرستون" وهي نقطة سيثيرها فقط لإظهار تصلب الموقف الحكومي الانجليزي في المفاوضات لإقناع البرلمان الانجليزي مستقبلا بأنهم حاولوا جهدهم ".

٥- تأكد افتراض "برونوف" حول القلاع الروسية على ساحل القفقاس بعد لقائه مع رئيس الوفد الانكليزي اللورد "كلاريندون" في ١٨٥٦/١٢/١٨ والذي أعلن فيه أن "انكلترا ترغب في تسهيل تجارتها مع القفقاس، وبالذات مع شركسيا، وكذلك بتدمير – أو بمعنى آخر – عدم إعادة بناء القلاع الروسية على ساحل البحر الاسود، وبذلك يتم تأمين حدود الإمبراطورية العثمانية، أما النوايا الحقيقية للانكليز تجاه المسألة الشركسية، فقد ظهرت مباشرة قبل بدء الاجتماعات الرسمية للمؤتمر، وقد وصف الامير "فاليفسكي" ذلك بقوله إن "انكلترا تشكك في حقوق روسيا على المناطق الواقعة فيما وراء الكوبان، وحسب رأي انكلترا فإنه على روسيا الاعتراف باستقلال وحياد المناطق الواقعة جنوب نهر (الكوبان) أو وضع هذه المناطق تحت السيادة الأسمية للباب العالي التركي.

٦- اتضح أن الحلفاء لم يكن لديهم رأي واحد في عدد من المسائل، ومن بينها (المسألة الشركسية) التي تدعم فرنسا فيها انكلترا فقط بالكلام، وهذا التعارض بين مصالح الحلفاء، استخدمته الدبلوماسية الروسية بنجاح، وكان "بالمرستون" وزير خارجية انجلترا يعرف أن اللعبة غير سهلة، وأن "نابليون الثالث" سيُظهر نفسه في المؤتمر بآراء غير واضحة تجاه حليفته انكلترا، لذلك قرر (بالمرستون) عدم المغالاة في مطالبه، وكان على المندوب الإنجليزي (كلاريندون) السعي للحصول على استقلال المنطقة الواقعة بين البحر الأسود ونهر (الكوبان) وأرمينيا ومن (أنابه) حتى (تشوروك سو) إلا أن "بالمرستون" رأى صعوبة تحقيق هذا المطلب، لذلك طلب من "كلاريندون" أن يصر فقط على (استقلال شركسيا)، بالإضافة لذلك اعتبرت الدبلوماسية الانكليزية، أن قرارات المؤتمر بما يخص غرب القفقاس يمكن أن تدخل في القرارات الخاصة بحياد البحر الأسود، مما لا يسمح لروسيا بحصار الساحل الشركسي، كما أن إدخال حرية الملاحة والتجارة كانتا ضمانة لحرية التجارة في شركسيا، كما حاولت الحكومة الانكليزية توضيح أن حياد البحر الأسود، وبالتالي منع تواجد الأساطيل الحربية الروسية منها، سيقود إلى منع إقامة القلاع في شركسيا.

٧- قبل بدء أعمال مؤتمر باريس وبتعليمات من الانكليز ارسل "صفر بيك" وهو احد القادة الشراكسة البارزين لحركة التحرر في الكوبان على رأس وفد من شركسيا لاستانبول لطلب قبول (اتحاد شركسيا) مع الامبراطورية العثمانية، ووعد السلطان اتحادهم مع تركيا إذا ادوا القسم بالخضوع له، وقبول من يعينه السلطان رئيسا عليهم، وبأن السفن الانكليزية والفرنسية والتركية ستراقب البحر الأسود، ولن تسمح بأية اعتداءات على الشراكسة.

٨- قامت الحكومة التركية بالتعاون مع السفير الانكليزي في استانبول برفع مذكرة إلى مؤتمر باريس من خلال مندوب تركيا "علي باشا" تنص على **(إعلان استقلال شركسيا وداغستان)**.

٩- قبل بدء الاجتماعات الرسمية عقد لقاء بين المندوبين الروسي والانكليزي، تكلم فيها "كلاريندون" حول حل مسائل (ايميريتيا) و (غوريا) و (أبخازيا) و (شركسيا)، وكان المندوبون الروس يعرفون مسبقا موقف فرنسا من هذه المسائل، فرفضوا مناقشة مثل هذه المسائل، وتشير الوثائق بأن محضر هذه الاجتماعات قد حذف منه طلبات المندوب الانجليزي (كلاريندون) حول المسائل المتعلقة باستقلال شعوب قفقاسية عامة وشركسيا خاصة وأن الحذف تم من قبل المندوب الفرنسي وبتعليمات مباشرة من (نابليون الثالث).

١٠- اثار (كلاريندون) في جلسات المؤتمر مسألة الممتلكات الروسية في القفقاس ومصير القلاع على ساحل البحر الأسود القفقاسي، وتصدى له المندوب الروسي ورفض مناقشة هذه المسائل معتمدا على نصوص معاهدة (اندريانوبولوس) ومؤتمر (سانت بطرسبورغ) لعام ١٨٣٤، كما أن فرنسا لم تدعم انكلترا في طلباتها.

١١- لم يكن باستطاعة "بالمرستون" الابتعاد عن حلمه في استقلال قفقاسيا وحسب تعليماته بذل المندوبان الانكليزي والتركي كل قواهما عند كتابة بنود الاتفاق، بأن لا يتم تثبيت طموحات روسيا في شركسيا في الاتفاقية، وذلك بقيام المندوب الانجليزي بمحاولة تغيير نص (المادة الرابعة) من مشروع الاتفاق والخاص بالحدود الجديدة بين روسيا وتركيا.

وهكذا لم تستطيع انكلترا بالطرق الدبلوماسية جعل روسيا تعترف باستقلال شركسيا، وقد ولَّد هذا الامر رد فعل عنيف في الأوساط الحاكمة في انكلترا، وكان ذلك واضحا جدا عند مناقشة إقرار اتفاق باريس في مجلس اللوردات في ١٨٥٦/٥/٥ حيث قام الاعضاء بمهاجمة وزارة الخارجية البريطانية لعدم قدرتها على إقرار مبدأ استقلال شركسيا في مؤتمر باريس، باعتبار أن شركسيا هي المحور الرئيسي الوحيد باتجاه الهند وايران وتركيا، واعلن اللورد "مانيرز" أن انكلترا واوروبا لم تعترفا ابدا بحقوق روسيا في شركسيا في أي وقت وأن التنازلات التي قدمها الوفد الانكليزي في محادثات باريس أعطت لروسيا تغطية أوروبية شرعية لاحتلال كل هذه المناطق الهامة.

وطالب بعض المتحدثين في مجلس اللوردات الانجليزي بعدم تصديق (اتفاق باريس) بل إنهم طالبوا بالاستمرار في الحرب حتى تحقيق استقلال شركسيا ووجه اللورد سؤالا إلى "غرينفيل" وزير الخارجية قائلا: "ألا تعتقد أن الحرب يمكن أن تطول وتستمر لأنه لم تتم صياغة قرار للشراكسة حول إقامة شركسيا مستقلة)؟

وعلل وزير الخارجية عدم نجاح الدبلوماسية الانكليزية حول المسألة الشركسية في مؤتمر باريس أمام مجلس اللوردات لأن الانكليز لا يستطيعون الطلب من روسيا التراجع عن معاهدة (إندريانوبولوس) والتي نصت على تنازل تركيا عن شركسيا للروس اولا، ولأن "شامل" لم يظهر في حربه ضد روسيا الارادة في التعامل مع الحلفاء ثانيا، وأنه رفض تقديم المساعدات العسكرية للحلفاء لأنه لا يريد أن يصبح لعبة في أيديهم.

*** وقائع وأحداث حروب السنوات الأخيرة من حرب الإبادة والدمار الروسية للامة الشركسية في الوطن الام.**

ابتداء من عام ١٨٦٠ ركزت القوات الروسية القيصرية هجماتها على شراكسة الغرب في منطقة الكوبان ومناطق ما وراء القفقاس، ومن أهم هذه المعارك تلك التي شنتها ثلاثة جيوش روسية بلغ عدد مقاتلي كل جيش منها حوالي (١٥) الف مقاتل، وتوغلوا في سهول الشابسوغ، وتوجه الأول من هذه الجيوش الثلاثة من قاعدة (اتاكوما) وسار متوجها إلى ضفاف نهر (آبين)، والثاني اجتاز نهر الكوبان عند مصب نهر (ايل)، والثالث تخطى نهر الكوبان فوق نهر (شبش)، وزحف متوغلا في الأراضي والبلاد المجاورة، وبدأت هذه الجيوش بإنشاء الحصون والمستحكمات في الأراضي التي احتلوها كما انشغلوا في تأمين خطوط الاتصالات بين المواقع المحتلة والحصون التي أقيمت عليها.

وفي نفس الوقت امتدت الحرب إلى بلاد الشابسوغ، وأحدثت رد فعل شديد لديهم، فهبوا جميعا للدفاع عن بلادهم وصدوا تقدم العدو بقيادة الزعيم الكبير (علي بي حانتوخو) الذي كانت تساعده نخبة من زعماء وفرسان شعب الشابسوغ، مثل (حاكتوص) و(حاج برام) و(إبراهيم ناتخو) و(أرسلان بي) و(حاكو) و(شرتلي) وغيرهم.

وتمكن هذا الزعيم من إحباط تقدم العدو ومنعه من اكمال بناء الحصون، كما تمكن من قطع المواصلات بين المعسكرات الثلاثة.

وكذلك فإن (الحاج إسماعيل باشا) لم يتوان عن العمل في سبيل مضايقة العدو وعرقلة مساعيه وتحريض الشعب على الكفاح، واستنهاض همته لمواصلة الحرب. وكان يساعده في أعماله (قره باتير ابن صفر باشا) وقد أراد بعد موت أبيه أن يقوم مقامه ويخدم أمته، ولأنه كان قد اعتدى على الروس مرارا فيما سبق، لم

يجسر على الظهور أمامهم أو الالتجاء إليهم وتسليم نفسه، لذلك سلك مسلكا معاديا لهم.

وكذلك الزعيم (تو) أفندي، احد زعماء الشابسوغ والذي كان من ذوي المكانة والنفوذ الواسع في البلاد الواقعة على البحر الأسود، قام بالمساهمة بألفي محارب، لمساعدة المحاربين المدافعين عن السهول الأمامية المهددة بالاجتياح. وكان هذا الزعيم من ألد أعداء الروس، حيث سبق له أن وقع في أسرهم وهو عائد من استانبول على ظهر سفينة تركية، فأساءوا معاملته حتى تمكن من النجاة بعد أن افتدى نفسه بالمال.

كما ساهمت قبائل الاوبيخ في حرب الشابسوغ ضد الروس وأرسلوا لهم النجدات بين الحين والآخر.

وفي نهاية شهر اكتوبر من عام ١٨٦٠ ترك الروس مواقعهم الحربية وانسحبوا إلى ما وراء الكوبان دون أن يكملوا إنشاء حصونهم أو إشغالها وتجهيزها بالمعدات الحربية اللازمة، وكل ما قاموا به من أعمال هو تجديد بناء الحصن الواقع عند نهر (آبين)، وفي سبيل ذلك اضطروا إلى التوغل في السهول المجاورة حتى نهر (آبين) المذكور، الأمر الذي أدى إلى ازدياد دفاع السكان الشراكسة واستبسالهم في الذود عن أراضيهم رغم ما كان يكلفهم ذلك من ضحايا بالرجال والأموال، إذ فقدوا أثناء هذه العملية أكثر من (٣٠٠ عزبة) التهمتها نيران الروس، وحُرموا من غلتها السنوية.

وفي شتاء عامي ١٨٦٠ – ١٨٦١ قام الروس بهجمات متعددة من قواعدهم العسكرية في (آتاكوما وآبين)، وتوغلوا في جهات شبس (وشيبسوغور) (وبوغوندور)، ولكنهم هُزموا امام المدافعين من الشابسوغ واضطروا إلى التراجع بعد أن تكبدوا خسائر فادحة جدا، حيث وجدوا أمامهم بلادا اكثرها جبلية ومكسوة

بالغابات الكثيفة مما جعل عملياتهم الحربية أصعب بكثير من التي قاموا بها في السهول.

وأما العمليات الحربية في المناطق الساحلية، فقد كانت من أشد العمليات قسوة على سكانها بسبب الحصار البحري الشديد الذي ضربه الاسطول الروسي المؤلف من عشر سفن حربية (وهو العدد الذي كان مسموحا به للروس بإبقائه في البحر الأسود بموجب معاهدة باريس) هذا بالإضافة إلى عدة سفن شراعية أخرى مسلحة كان يمتلكها الاسطول الروسي في هذا الموقع.

وفي عام ١٨٦١ استعاد جيشان روسيان يبلغ تعداد كل منهما اثني عشر الف جندي، مواقعهما السابقة عند نهري (ايل) و (شبس)، ثم تقدم جيش آخر قوامه ثلاثين ألف جندي مقاتل ما بين (آتاكوما) و(آبين) مؤقتا.

وتقدم بعد ذلك أحد فروع هذا الجيش إلى (دوبا) وتوجه فرع آخر منه إلى (آدربه) بين الغابات الكثيفة مستهدفا في سيره (كلنجك) ووفق هذا الفرع في شق طريقه بين الغابات والوصول إلى (كلنجك)، إلا أن الخسائر التي لحقته من جراء ذلك كانت عظيمة لدرجة أنه عدل عن سلوك الطريق نفسه عند انسحابه إلى قواعده، فسلك طريقا آخر يؤدي من (صوجاق) إلى ناتخواج إلى أن بلغ معسكره الأساسي الذي قام منه في بداية الحملة العسكرية.

وفي صيف عام ١٨٦١ حاول تأمين خطوط مواصلاته بين معسكراته في بلاد الشابسوغ وربط بعضها ببعض بطرق سالكة، إلا أنه أخفق كل الإخفاق وحبطت أعماله لما أبداه الشابسوغ من شجاعة في الدفاع عن وطنهم مما اضطر العدو آخر الأمر إلى التحوّل عن هدفه والعدول عن تنفيذ خطته في بلاد الشابسوغ[٢١].

وفي خريف العام نفسه حدث بين الروس والأبزاخ مناوشات كانت هي مقدمة لمعارك أكبر، وأكثر شدة، وهذا ما حدث فعلا في (نفس العام) حيث اندلعت المعارك في جميع أنحاء بلاد الشراكسة واسفرت عن تدمير قرى وقتل مئات من المقاتلين الشراكسة.

**وفي عام ١٨٦٢ قام القادة العسكريون بأمر من القادة السياسيين الروس عرض خيارين اثنين على قادة وزعماء الشراكسة لاختيار احدهما:**

**الاستسلام وترك البلاد والهجرة إلى تركيا أو الهلاك والإبادة الجماعية إن أرادوا مواصلة القتال.**

ولما كان الاستسلام للروس معناه العبودية الابدية، فضلوا الموت على العيش بلا شرف، وأخذوا يعملون على تنفيذه بقيادة رئيسهم الأعلى (قازانوقه اسماعيل بك) الذي كان قد أسس حكومة شعبية، وأخذ يجمع الجيوش حول (طوابسه) حيث التحق بهم بعض الضباط البولونيين وآخرون من الفرنسيين، وبعض الجنود الأتراك الذين أرادوا مناصرة الشراكسة في قتالهم ضد (الكفار) المتوحشين.

**أحداث ووقائع العام الأخير من حروب الإبادة والدمار التي فرضتها سلطات الامبراطورية الروسية على شعوب القفقاس عامة والشعوب الشركسية في الوطن الام خاصة.**

جاء في الأرشيف الحربي الروسي ما ذكره الجنرال داخوفسكي بأنه في يوم ١٨٦٤/٤/١٩ دخلت القوات الروسية إلى أراضي أوبيخ والأراضي الشركسية وكذلك إلى منطقة فاردانا، وهي أكثر المناطق ازدحاما بالسكان، وقام بإحراق قراها[٢٢].

وفي يوم ١٨٦٤/٥/١١م منيت المقاومة الوطنية الشركسية بهزيمة قاسية في آخر معركة لها، في إقليم (الاديغي)، وتحديدا في وادي (فدز) في موقع (اخجب)، أعلن القيصر الروسي في حفل مهيب في موقع (كراسني بوليانا) بالقرب من آدار على الساحل القفقاسي عن انتهاء الحرب الروسية القفقاسية. (٢٣).

وفي يوم ١٨٦٤/٥/٢١م، قامت قوات الجنرال (يافدا كيموف) بتمشيط الجبال من ناحيتي الغرب والجنوب، بمحاذاة شواطئ البحر الأسود، ابتداء من (ناخاراسيك) حتى (طوابسه)، واحتلت القوات الروسية ناحية (آخشيبسكي) وأعالي نهر (فريمتا) ليتأكدوا من أنه لم يبق أحد من المقاتلين الشراكسة من الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق كما أجبرت مقاتلي (الاوبيخ) على إلقاء السلاح وهم آخر قبيلة شركسية في القفقاس الغربي كانت لا تزال تواصل المقاومة، وهكذا انتهت الحرب القفقاسية عسكريا (٢٤).

وفي يوم ١٨٦٤/٦/٢ أرسل شقيق القيصر ونائبه في القفقاس (لغراندوق ميشال) إلى القيصر برقية جاء فيها: "**مولاي، يسعدني أن أتقدم من جلالتكم بتهاني الحارة لما آلت إليه نهائيا مجريات الحرب المظفرة في القفقاس، إذ لم تبق عشيرة واحدة إلا وأخضعت اليوم، وفي حضور القوات الروسية مجتمعة، أقيم قدّاس شكر مهيب للمناسبة**" (٢٥).

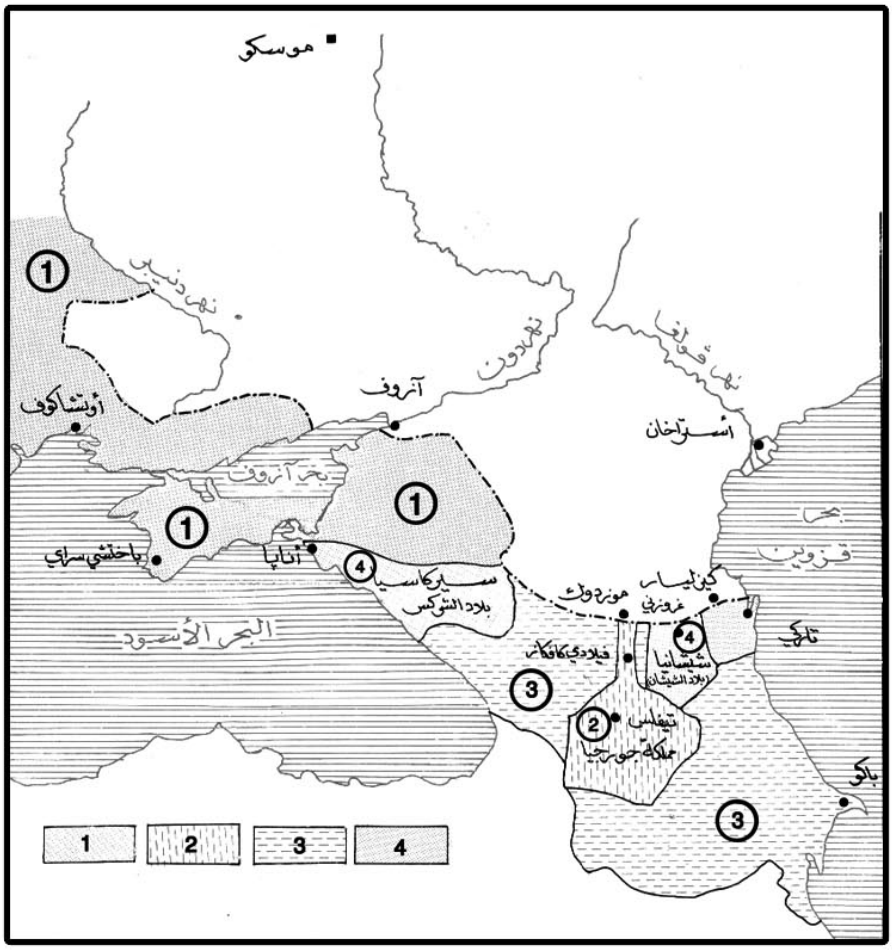
وفي يوم ١٨٦٥/١/٩ أرسل الجنرال اولشيفسكي تقريرا للقيصر ذكر فيه بأنه لم يجد على الجانب الشمالي الشرقي للخليج سوى معسكرات للمهجرين، ومقبرة على امتداد (خمسة فراسخ) أي خمسة كيلومترات، وبضع عشرات من الأحياء من الشراكسة الذي كانوا يحاولون الهرب إلى الجبال، ودورياتنا تحاول منعهم من ذلك.(٢٦)

وبذلك، أُسدل الستار على حروب الابادة والدمار التي نفذتها سلطات روسيا القيصرية على مدى ثلاثمائة عام تقريبا ضد الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة.

والسؤال الذي يطرحه المؤرخون والقادة السياسيون والمفكرون (المستقلون) من الروس والاوروبيين والشراكسة هو: هل كان يمكن للسلطات الروسية القيصرية تحقيق النصر على القوقازيين عامة والشراكسة خاصة لو لم تستخدم أساليب وحشية في حروبهم ووسائل غير انسانية محرم استخدامها دوليا، وكذلك لو لم تلجأ إلى تكتيك سياسي واقتصادي وديني جنبا إلى جنب مع التكتيك العسكري الهمجي.

كما يتساءلون عن الأدوار التي لعبتها دول التحالف الثلاثي (تركيا وانجلترا وفرنسا) وغيرها من الدول التي كان لها مواقف تآمرية إبان حرب الإبادة والدمار الروسية كما تساءل بعض الشراكسة المعاصرين في الوطن الأم وفي بلاد الشتات هل اتخذ أمراء وزعماء وقادة وشعوب الأمة الشركسية الذين واجهوا حروب الإبادة على مدار ثلاثمائة عام القرارات الصائبة، وهل كان بإمكانهم اللجوء إلى اساليب وطرق غير التي قاوموا فيها العدو الروسي.

**وللاجابة عن هذه التساؤلات كان لا بد لنا من تخصيص فصول الجزء الثاني من هذا المجلد لعرض نتائج الدراسات التي قمنا بها للاجابة عن التساؤلات الثلاثة سابقة الذكر.**




**خارطة توضح المناطق التي احتلتها السلطات الروسية القيصرية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ميلادي من أراضي بلاد القفقاس عامة وبلاد الأمة الشركسية خاصة وهي على النحو التالي:**

- **المناطق رقم (١) وتم ضمها خلال الفترة ١٧٦٢-١٧٨٣**
- **المناطق رقم (٢) وتم ضمها خلال الفترة ١٧٨٣-١٨٠١**
- **المناطق رقم (٣) وتم ضمها خلال الفترة ١٨٠١-١٨٣٠**
- **المناطق رقم (٤) وتم ضمها خلال الفترة ١٨٣٠-١٨٦٤**

## مصادر ومراجع الفصل السادس من الجزء الأول من المجلد الثالث

١) المجموعة الأولى من مراجع إبادة الشراكسة ص: ٣٣.
٢) المجموعة الخامسة من المراجع – تاريخ حرب القفقاس ونتائجها من أحداث، ص: ٢٧.
٣) المجموعة الاولى – إبادة الشراكسة ص ٢١-٢٢.
٤) المجموعة نفسها، ص: ٢٣-٢٤.
٥) مامخيغ، رايا عادل بي، لمحات عن العادات الشركسية (الاديغا خابزة) ترجمة نزيه جلاجج دمشق ٢٠٠٦، ص: ٤٣.
٦) المجموعة الاولى، إبادة الشراكسة ص: ٣٧.
٧) المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص: ٩٤ – ١٠١.
٨) المجموعة الاولى، إبادة الشراكسة ص: ٣٦-٤٦.
٩) المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص١٤٧-١٤٨.
١٠) المجموعة الاولى، المصدر نفسه ص: ٦٧-٦٨.
١١) المجموعة الاولى، المصدر نفسه ص: ٦٧-٦٩.
١٢) المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص: ١٥١ – ١٥٢.
١٣) المجموعة الاولى، إبادة الشراكسة ص: ٢٧.
١٤) المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص: ١٥٠.
١٥) المجموعة نفسها، ص: ١٢٧-١٢٨.
١٦) المجموعة الأولى ص: (٧٠).
١٧) المصدر نفسه ص: ٧١.
١٨) المصدر نفسه ص: ٧٨-٧٩.
١٩) المصدر نفسه ص: ٨٠-٨٢.

٢٠) المصدر نفسه / وثائق مؤتمر باريس لعام ١٨٥٦ التي استند عليها كل من حسن قاسوم ومحمد علي قاسوم في كتابهما (إبادة الشراكسة).
٢١) المجموعة الرابعة، أبطال وأباطرة ص: ١٩٩-٢٠١.
٢٢) مجلة الاخاء الاردنية (الشركسية) العدد ١١٨ ص: ١٠٢.
٢٣) شفيق اسماعيل .. تواريخ واحداث وشخصيات، الجزء الثاني – المنشور في شباط عام ٢٠٠٣ ص: ٤٥.
٢٤) المصدر نفسه، ص: ٤٨
٢٥) دروب الهجرة، مصدر سابق.
٢٦) شفيق اسماعيل، مصدر سابق، ص: ٥٠.

# الجزء الثاني

## الأعمال الوحشية وبربرية السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية

# الفصل الأول

## شهادات حول وحشية وبربرية السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الأمة الشركسية

**تمهيـــد**

بالرجوع إلى وقائع وأحداث وحروب الدمار والإبادة التي نفذتها سلطات روسيا القيصرية وجيوشها المتفوقة عددا وعدة وجدنا بأنها قامت بشن أكثر من (١٥٣) معركة كبيرة بالإضافة إلى مئات الغزوات والغارات والحملات التي سموها الحملات التأديبية خلال الفترة ١٨٠٠ – ١٨٦٤ منها:

١٠ معارك خلال الفترة ١٨٠٠ – ١٨١٠
٣ معارك خلال الفترة ١٨١١ – ١٨٢٠
٥ معارك خلال الفترة ١٨٢١ – ١٨٣٠
١٥ معركة خلال الفترة ١٨٣١–١٨٤٠
١٠٠ معركة خلال الفترة ١٨٤١ – ١٨٥٠
١٢ معركة خلال الفترة ١٨٥١ – ١٨٦٠
٨ معارك خلال الفترة ١٨٦١ – ١٨٦٤

كما وجدنا بأن السلطات القيصرية قد حشدت لخوض تلك الحروب والمعارك والغزوات أكثر من مليونين من الجنود الروس المدعومين بمئات الالاف من المرتزقة القوزاقيين والتتار والنغوي والقالموق تناوبت في القتال ضد المقاتلين الشراكسة الذين لم يتجاوز عددهم (١٠٠) ألف مقاتل وعلى مدار ١٥٠ عاما من القتال المتواصل، وبالرغم من شدة المعارك ووحشية وبربرية القتال، وقسوة الظروف التي كان يحارب فيها المقاتلون الشراكسة تمكنوا من الصمود والمقاومة والدفاع عن (الأرض والعرض) وإيقاع أكثر من مليون ونصف قتيل بين صفوف الروس والمرتزقة المشاركين منهم باستخدام أبسط أنواع الأسلحة الشخصية من

بنادق وسيوف، وخناجر (قامات) ورماح، وغيرها من الأسلحة التقليدية في غياب سلاح المدفعية* والآليات العسكرية.

وأمام هذا الصمود البطولي للمقاتلين القوقازيين عامة والشراكسة خاصة كان لا بد للقادة الروس من اللجوء إلى طرق وأساليب وحشية غير أسلوب المواجهة العسكرية الدامية التي فشلت في تحقيق النصر للروس، وكان أول من تنبه إلى ذلك هو الجنرال الروسي (ميليا نتوف) الذي رفع تقريرا إلى القيصر (نقولا الاول) في عام ١٩٣٢ يقول فيه:

"**يمكننا أن نشبه القوقاز بقلعة قوية، فهي منيعة بطبيعتها، محصّنة بمختلف المنشآت الحربية الدفاعية، يدافع عنها رجال أشداء. وأن القائد الذي يحاول أن يجتاح مثل هذا البلد المنيع بالقوة المباشرة يكون مغامراً ومتهوراً، وينبغي على القائد المحنك أن يتفهم ضرورة اللجوء إلى الحيل والفنون العسكرية، وأن يقدم خطوات قواته خطوة خطوة، بعد أن يقوم بتحصين كل شبر من الأراضي التي يستولي عليها بالاستحكامات والخنادق الحربية**".*

**وبدراسة الأساليب المباشرة وغير المباشرة التي ساعدت سلطات روسيا القيصرية للاستيلاء على الوطن الام للأمة الشركسية في قفقاسيا الشمالية، توصلنا إلى أنّ الروس قد استخدموا الوسائل والأساليب والممارسات والأعمال والأفعال المبينة أدناه جنبا إلى جنب مع الأعمال العسكرية البربرية وهي:**

* تنفيذ أعمال وحشية وأفعال بربرية لا انسانية في حروبهم في حرب الإبادة والدمار.
* اتباع سياسة الاستيلاء على الأراضي لاستخدامها في بناء القلاع العسكرية وإنشاء الحصون والمحطات والقرى الاستيطانية القوزاقية.

* لم يستخدم الشراكسة المدافع إلا في السنوات الأخيرة من حروبهم ضد روسيا القيصرية.

* Baddely, John. The Russian Conquest of the Caucasus, 1908.

* اتباع سياسة قتل الاسرى وكبار السن والأطفال والنساء، واللجوء إلى سياسة (الارض المحروقة) من تدمير للقرى الآمنة وإحراق للمنازل بمن فيها من سكان، وإتلاف الممتلكات وهدم المساجد على المصلين العزل.
* اتباع سياسة الاستيلاء على الأراضي الزراعية والمراعي والغابات بهدف القضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية.
* اتباع سياسة تجويع السكان وترويع الأطفال والنساء وكبار السن العزل.
* اللجوء لسياسة الدس والايقاع بين الشعوب الشركسية وقوميات قوقازية أخرى تجاورهم بهدف الانتقام من بعضهم البعض.
* استغلال حاجة الشراكسة لتسويق محاصيلهم الزراعية وثرواتهم الحيوانية وصناعاتهم اليدوية.
* اللجوء لسياسة تحريض الفلاحين وعامة الشعب للانتفاضة ضد الأمراء والنبلاء وخلق صراع طبقي داخل مجتمعات القبائل الشركسية المختلفة.
* إغراء واجتذاب عناصر من شباب الأمة الشركسية للخدمة في جيش سلطات روسيا القيصرية.
* محاربة انتشار الدين الاسلامي واللجوء لسياسة التبشير للديانة المسيحية داخل المجتمعات الشركسية.
* نشر الأوبئة والامراض بين السكان والحيوانات والطيور باللجوء للحصار الطويل للقرى، وعدم السماح بحرق الجثث والحيوانات النافقة، مما أدى إلى تلوث بيئي وانتشار الأوبئة الخطيرة.
* استغلال كبار الكتاب والشعراء الروس وغيرهم من الكتاب المرتزقة في تزييف الحقائق والوقائع عن حياة القوقازيين عامة والشراكسة خاصة.
* استخدام أساليب الخداع وإغراء الامراء والحكام والشعوب القوقازية بالوعود الكاذبة.

* استغلال قسوة الطبيعة وسوء الأحوال الجوية في بلاد القفقاس عامة، وقيامها بشن هجمات مركزة خلال أشهر الشتاء القارس جدا.

**وفيما يلي نماذج من الأعمال والأفعال والاساليب البربرية والوحشية التي استخدمتها القوات العسكرية بدعم من السلطات الروسية القيصرية في حربهم ضد المقاتلين القوقازيين عامة والشراكسة خاصة:**

**وفيما يلي نماذج من الأعمال الوحشية والهجمات العسكرية والبربرية والأفعال الهمجية واللإنسانية التي ارتكبتها القوات العسكرية بدعم مباشر من سلطات روسيا القيصرية.**

ربما كان أفضل وصف لمثل هذه الاعمال البربرية هو العودة إلى شهادات وأقوال الجنرالات الروس عامة، والاطلاع على ما كتبه المؤرخون والرحالة الروس وغير الروس من الأجانب الذين زاروا بلاد القفقاس خلال سنوات حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها روسيا القيصرية ضد الشعوب القفقاسية عامة والامة الشركسية خاصة.

وفيما يلي أهم الاقتباسات من شهادات وكتابات الكّتاب من مختلف الجنسيات:

**(١) كتبت المورخة الفرنسية كارول جين عام ١٨٩٩ قائلة:**

" إن ما جرى في قفقاسيا من أساليب الإبادة والقتل العام، يجعل القلم يتوقف ألماً عن الكتابة، ويجعل صفحات التاريخ تحمر خجلا وحياء عن الوحشية والبربرية واللاإنسانية والهمجية التي اتبعها جيش قيصر روسيا في قفقاسيا، وأن احتلال روسيا لقفقاسيا لهو أبشع لوحة تمثل الوحشية والبربرية في عصرنا الحاضر، إن

روسيا احتاجت إلى (ستين) عاما عسكريا متمثلة بالرعب والوحشية حتى تمكنت من كسر مقاومة القفقاسيين واستطاعت إخضاعهم. [١] *

**(٢) وقال أستاذ الحقوق في دائرة القفقاس ١٨٩٦-١٩٢٨ ك. أ بورود:**

"باعتقادي أن الجبليين الذين يسترخصون أرواحهم، معروفون لدى الجميع بأنهم ذوو عزيمة صادقة، ومدافعون حقيقيون، لقد عجزنا عن تطويعهم خلال نصف قرن من الزمان!"

واستطرد قائلا: في نهاية حرب ١٨٦٤ أمر الجنرال (يغدبكيموف) بتجميع الشراكسة في شاطيء البحر الأسود. ثم أشار عليهم قائلا، من يرغب في العيش وراء الكوبان فليذهب هناك. قال ذلك وهو يعلم بأنه لن يقدر أحد على اجتياز البحر، وأما الذي لا يرغب فعليه ان يركب إحدى السفن إلى استانبول.

كما اكد (بورود) ولو لم يتم توزيع القوزاق، على الأراضي التي كنا نستولي عليها لما انتهت الحرب ابدا.

**كما قال السيد (قوازه روسلان) أيضا من** المستبعد جدا أن شعبا آخر غير الشراكسة يمكن أن يتحمل من الصعاب والمشقات والمظالم أكثر مما تحمّل هذا الشعب، وبعدئذ هجمت الدولة الاستعمارية القيصرية على مواقع الشراكسة في الطرف الأيسر من نهر كوبان من عام ١٧٦٣ حتى عام ١٨٦٤ واستمر هذا الهجوم أكثر من مئة عام بقصد الإبادة الجماعية!!!"

* مراجع ومصادر فصول الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس من الجزء الثاني من المجلد الثالث ما بعد الفصل السادس من هذا الجزء .

**(٣) وأما الشاعر الروسي الكبير ليرمنتوف فقد عبر عن وحشية الجيوش الروسية بقوله:**

**تحترق القرى فليست لديها حماية**
**ومثل الحيوان المتوحش يغرز**
**المنتصر حربته في البيت المتواضع**
**ويقتل الشيوخ والأطفال**
**والفتيات والأمهات البريئات**
**وَيلعق يده الملوثة بالدم**

**(٤) شهادة اللفتننت جنرال ن. رايفسكي: وهي الشهادة التي تفضح** الاعمال الوحشية للجيوش الروسية التي جاءت في تقريره الذي رفعه إلى الكونت (تشير نيشيف) وزير الحربية الروسية في ١٨٤١/٢/٢٨ وقدم استقالته احتجاجا على تلك الأعمال حيث جاء فيه: "**إنني بمفردي، أترفع حتى الآن عن الأعمال الهمجية والوحشية والقسوة التي تمارس في القفقاس، ولذلك أصبح من واجبي أن أغادر هذا المكان، وإن لم نفعله في القفقاس الآن، يعيد إلى الذاكرة ما فعله الأسبان حين استولوا على أمريكا من الجرائم، وأعمال القسوة والإبادة، وإني لا أرى فيما نفعله شيئا من الشجاعة أو البطولة، وابتهل إلى الله، أن لا يرسم استيلاؤنا على القفقاس، خطا دمويا في تاريخ روسيا، مثل الذي تركه الأسبان بأفعالهم من آثار بشعة في تاريخهم**" [٢].

**(٥) وأما (فون فيل) مؤلف كتاب السنة الأخيرة لحروب الشراكسة من أجل الاستقلال الذي قال فيه:** إن احتلال الروس للقفقاس والذي استمرت من عام ١٧٢٢ وحتى عام ١٨٦٤ كان على جثث مئات الآف، وأن هذه الحروب تشكل جرائم قتل جماعية قامت بها جيوش مدربة على القتال في الساحة الاوروبية مثل (حروب نابليون وحروب بولندا وحروب القرم..) كما انها

مجهزة بأحدث اسلحة ذلك العصر واستهدفت، إبادة هذه الشعوب كسياسة رسمية، وذلك بإبادة كل أثر حي من (الزرع والضرع) كما وألبسوها في كثير من المراحل رداء الحروب الصليبية بإطلاق الشعارات الدينية، ثم جرت مؤامرات الطرد والتهجير القسري لشعوب بكاملها من أوطانها، وقد كان الشرط الأول الدائم للروس على الأتراك في كل مفاوضاتهم (إبعاد الشركس إلى أبعد مسافة ممكنة عن أوطانهم) [٣].

**(٦) وصف الشاعر الروسي المعروف (بوشكين) الصديق الحميم للجنرال يرمولوف الذي أطلق عليه القوقازيون (الشيطان المسكوبي) للأعمال الوحشية والبربرية التي أمر بارتكابها في حق القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، وهو الذي قال متفاخرا:**

"إن صدى اسمي الرهيب يجب أن يكون كفيلا بحفظ حدود بلادنا الشاسعة، ويجب ان تغنينا القوة والمنعة بحيث يغنينا عن الحصون والقلاع المحيطة بها". وقال أيضا: "إن سيفي هو القانون الذي يؤمن به القوقازيون ! وأن الحُلم واللين في نظر الآسيويين هما الضعف، وأنا خال من كل ضعف إنساني وقاس ولا أعرف الرحمة!"..

وكان من عادته أن يمارس تلك العملية المعروفة في تجربة السيوف الجديدة بضرب رقاب الثيران وقطعها بضربة واحدة، وبالرغم من أن (بوشكين) سبق ان تغنى بأعمال (يرمولوف) لإنجازاته العسكرية واعتبره بطلا من أبطال التاريخ بقوله:

**إحن رأسك المثقل بالثلوج الابدية يا قوقاز خضوعا!..**

**لقد انتهى كل شيء، لقد جاء "يرمولوف"!**

كما قال عنه الشاعر (بوشكين) الذي قدر له أن يكتب تاريخ حياته: لقد كان مكتوبا في لوح القدر أن يدخل اسمه بلاد القوقاز على أسنة الحراب، وينقش في صخور الجبال الشاهقة!...

وكان (يرمولوف) يعرف واجبه تمام المعرفة، ومحيطا بالأعمال المطلوبة منه، وقد عمل كل شيء ولم يتورع عن أية وسيلة إتمام عمله، وكان يعتبر بلاد القفقاس وكأنها إقليما روسيا، ولم تكن جميع الأمم والاقوام القاطنة فيها منذ آلاف السنين في نظره (سوى اتباع ورعايا وعبيد للقيصر). وما كان عليه إلا أن يطلب منهم الطاعة العمياء فيطيعوه ويخضعون له، ولتنفيذ خططه لم يتورع عن استعمال جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وجميع الوسائل كانت لديه مشروعة طالما تخدم أغراضه وتحقق أهدافه. (٤)

إلا أن الشاعر (بوشكين) تراجع عن مديحه للجنرال (يرمولوف) نتيجة تماديه في اعماله البربرية والوحشية ووصفه بقوله:

"**كان (يرمولوف) مثالا للقسوة والغلظة، ولا يعرف للطمع حدا وللطموح حدودا وللرحمة معنى، وارتكب أعمالا وحشية حتى حدود الهمجية والبربرية، ومن أعماله الوحشية هو ما أشارت إليها إحدى الوثائق الروسية والتي تؤكد بأن الجنرال (يرمولوف) كان يحرق المزروعات ويقطع الاشجار ويقتل النساء ويجمع الأطفال في حفر ويشعل بهم النار في وسط وشرق القوقاز**".

كما عبر (بوشكين) عن وحشية القوات الروسية بقوله: (إن ابناء القفقاس الاشاوس قد كافحوا ولكنهم أبيدوا بشكل فظيع) (٥).

**(٧) وصف (الجنرال كراندوك) وهو من أصل شيشاني بقوله:**

"انقلب الروس وحوشا في جلود إنسانية ولم تكن عملياتهم إخماد ثورة، ولكن كانت عمليات إبادة منظمة، وهذا الشعب الشركسي لا نريده في إطار روسية، فإما ان يسحق، وبدون قبور، وإما ان يهاجر، كان هذا المبدأ الذي يؤمن به الحاكم الروسي العسكري العام للمنطقة".

كما قال: "الحقول المحروقة ودبيب المشردين على الثلوج، تسلل الهاربين إلى الغابات، أقبية التعذيب البربري، التمثيل حتى بالجثث، هدم المساجد، سحل الشيوخ قصف الاكواخ كالهياكل العظيمة الباكية.. كل ذلك كان بعض العمل اليومي للجندي القيصري خلال سبع سنوات ونصف، حتى أعلن قادة الروس نهاية حرب القفقاس عام ١٨٦٤ وصارت منطقة القفقاس في مفهومهم منطقة (روسية) وساد فيها السلم، سلم القبور!!*

(٨) وفي عام ١٩٠٤ كتب الصحفي الروسي (أ. س ليجكوس) (وهو من الصحفيين المعروف عنه بأنه كان صريحا وواضحا في كتاباته وذا مروءة نادرة، كتب واصفا وحشية الجيوش الروسية في حربهم مع القوقازيين عامة والشراكسة خاصة بقوله:

"**إن الحروب الدموية التي اقتلعت سكان الجبال من أراضيهم وشرذمتهم وشتتهم في كافة اصقاع العالم، وكادت ان تبيدهم عن بكرة ابيهم بسبب تعنت القياصرة، واستبدادهم واتباع سياسة النهب والسلب للأراضي والاملاك التي استولوا عليها** [٦].

* وردت هذه الاقوال في مذكرة الجنرال موس كراندوك الذي خدم في بلاد القفقاس مع الجيش الروسي في المراحل الأخيرة من حربهم ضد شراكسة الاديغة في منطقة الكوبان.

كما قال احد المؤرخين لحروب الابادة والدمار الروسية بأن المسؤولين "من ذوي المكانة الذين كانوا يتقلدون المناصب الرفيعة، كقادة الجيش وموظفي الادارة العليا، هم وحدهم المسؤولون امام التاريخ عن أعمالهم، والفظائع التي ارتكبوها في حربهم ضد الشراكسة بمحض ارادتهم، او تشفيا بأعدائهم أو لنزوات شخصية.

وكان على رأسهم الجنرال (زاش) أو زاس الذي كان يلقبونه "اشحاغوانه" أي ذو الرأس المثقوب الذي أمر بإخراج جثة الزعيم الشركسي (بسلاتوقة) من القبر والتمثيل بها، انتقاما من هذا الزعيم الشركسي الذي هزمه مرارا في المعارك التي تقابلا فيها خلال حروب الإبادة.

**وكذلك فهو القائد الروسي الذي ارتكب أعمالاً وحشية في هذه الحرب حين أمر (القوزاق) بقطع رأس كل قتيل من الشراكسة، وإرسال هذه الرؤوس إلى أكاديمية العلوم في برلين لدراستها** [٦].

وكذلك المظالم التي وقعت في قرية (بابوكوف) على جماعة من (الابازا) في سنة ١٨٥٨، وخلاصتها ان هذه الجماعة آوت حسب تقاليد الضيافة الشركسية، بعض الضيوف الشراكسة الذين قدموا من مناطق ما وراء الكوبان هربا من بطش الروس فقامت السلطات الروسية بمعاقبة الذين استضافتهم من عائلات الأبازا بالنفي والابعاد إلى مجاهل سيبريا ظلما وعدوانا. ولما لم يمتثلوا لأمر الضابط الروسي الذي أخذ على عاتقه تنفيذ الحكم العسكري الصادر بحقهم فورا، أمر المفرزة التي كانت تحت إمرته بالهجوم عليهم وقتلهم رجالا ونساء مع أطفالهم. [٧]

**(٩) وكتبت جريدة القفقاس عام ١٨٣٤ مقالا ونصه:**

"كان جنرالات الروس يقومون بحملات في الجبال ويطلقون النار على كل شيء ويقتلون السكان بالنار وبالحراب ويأخذون آخرين أسرى ويسرقون الماشية، كما كانوا يعاقبون الناس بتدمير قراهم بأكملها".

**(١٠) أوردت الكاتبة "مامخيغ" أسماء الجنرالات الذين تميزوا بالقسوة ضد الشراكسة وهم "تسيتسيانوف، بولغاكوف، يرمولوف، كوتساريف، وليامينوف، فلاسوف، زاس" وغيرهم،**



الجنرال زاس الملقب بالشيطان

وكان الجنرال "زاس" معروفا لدى الاديغة باسم (الشيطان) وكتب أحد المعارضين الروس عن هذا الجنرال قائلا: "في كلامي مع (زاس) قلت له إنه لا تعجبني مزاجيتك في الحرب، فأجابني بأن روسيا تريد إخضاع القفقاس مهما كان الأمر، وكيف يمكن إخضاع هؤلاء الناس إلا بالرعب والنار، فهنا لا تفيد الأعمال الخيرية والجنرال "يرمولوف" نجح بشنق الناس بقسوة وباحتلال وإحراق القرى أكثر من نجاحنا، ولا يزال يذكر اسمه في القرى بهلع ويخوف به الأطفال، ولدعم آراء "زاس" الخاصة بالإرهاب كانت تعلق على قمم التلال رؤوس الشراكسة التي كانت تهتز مع الرياح وكم كان مؤلما مشاهدة هذه المناظر المقززة". [٨]

**(١١) قارن احد المؤرخين المعاصرين للاحداث الوحشية في البوسنة والهرسك في يوغسلافيا بوحشية الجيوش الروسية في حرب القفقاس، بقوله: "الصرب سلاف الجنوب (يوغسلاف) ليسوا أقل وحشية من أقربائهم الروس سلاف الشمال الشرقي، وإنهم أرومة واحدة، وعرفت مناطق الشركس ويلات الحروب كافة، من إحراق القرى بمن فيها، إلى اكتساح الناس بالسيف والرصاص وهم خروج من الصلاة، إلى الأمعاء تلتصق بالجدران والأغصان، إلى الجماجم تتدحرج على السفوح والصخور، إلى بطون تبقر عن الأجنة، إلى الاعراض المباحة وعمليات سحق لإنسانية الانسان والإذلال حتى ليخجل الذل نفسه!!! [٩].**

**(١٢) وربما ما كتبه احد المؤرخين الروس اكثر تعبيراً لسياسة الوحشية المتمثلة بسياسة (الأرض المحروقة) حين قال "إن الفؤوس والبلطات، جلبت انتصارات لروسيا أكثر بكثير، مما جلبت المدافع والحراب" وإنه لقول حق.**

**وليت الأمر توقف عند هذا الحد، فقد اتبعت روسيا، سياسة "الأرض المحروقة" فأهلكت جيوشها الزرع والضرع، ودمرت وأحرقت البيوت والبساتين والجنان، ناشرة الجوع والأمراض والأوبئة بين الناس، ولكن إلى أين سيبلغون؟ هل سيكون بمقدورهم إيقاف مد الحياة؟ أبدا، فالخير في النهاية سوف ينتصر على الشر تلك سنة الله في خلقه، ولا مجال لتغيير سنة الله، مهما تجبر المخلوق وظلم** (١٠).

كان هناك بين الجنرلات الروس من كان يعارض طرق الاحتلال الروسية القاسية كان احد هؤلاء الجنرال "رايفسكي" الذي كان يشغل منصب قائد خط ساحل البحر الاسود، وكان يدعو إلى التعاون السلمي مع الأديغة بواسطة زيادة التجارة وتحسين الأحوال المعيشية لهم. وفي تقريره حول الأوضاع السياسية للساحل الشرقي الذي قدمه في عام ١٨٤٠ إلى وزير الحربية، أوضح "رايفسكي" بعضا من أفكاره التي كانت تتعارض تماما مع الخط السياسي الحكومي في مسألة القفقاس، وعند محاولته توضيح أعماله الموجهة للتقارب مع الأديغة كتب "رايفسكي" بأن منع التجارة مع الاديغة يعيق السلام معهم، ويشجع أعمال العصابات ويقوي من تأثير تركيا عليهم، وهذا يجعل الجبليين يبحثون عن وسائط للاستقلال عن روسيا. وبشكل عام فإن الشراكسة يحاربون هناك بشجاعة فائقة في هذا العام واعتقد ان هزيمة الجنرال "سيمبارسكي" في العام الماضي قرب (سوتشي) زاد في شجاعة الشراكسة".

**(١٣) وكان السيد آ. م بيكمان يكتب في مقالاته مستغربا بقوله:**

"كيف حارب القفقاسيون الجبليون طوابير واستعماريي القياصرة الذين كانوا يرتكبون أبشع الجرائم لاتفه الأسباب، وكيف انهم أزالوا من خريطة التاريخ شعوبا كثيرة بالحروب التي جرت في غرب القفقاس".

كان السيد (بيكمان) يتكلم عن كل ذلك، وكان صريحا وصادقا وواضحا وكان معروفا لدى كل الناس، غير أن تلك الاوقات، كانت لا تسمح بالوقوف إلى جانب الحق والعدل فخلال الثورة، ربطوا اسمه مع رجالات الثورة، لكونه فتح أعينهم، وأبان لهم الطريق السوي، ورغبتهم في التغيير الذي حصل آنذاك، ثم ظهرت بعد ذلك ومضات من الأمل والدفء. (٤٨)

**(١٤) وتقول (مامخيغ) نقلا عن الوثائق الروسية بأن:**

"الدولة القيصرية اتخذت منذ بدء احتلال القفقاس كل الإجراءات الموجهة لخلق العداوات وتطويع القبائل وتم نتيجة لهذه الممارسات هدم القرى وتدمير الأملاك وسرقتها، وظل الباقون من الشراكسة مطرودين من جبالهم إلى مستنقعات كوبان والهضاب التي حولها، حيث لم يكن لديهم أي مناخ صحي ولا يوجد مردود اقتصادي للأرض".

كما أن أفضل ما في هذه الأراضي قد أعطي للضباط الروس لقاء خدماتهم في حرب القفقاس. (إضافة إلى انعدام المدارس والمستشفيات، وكانت كل محاولة من قبل الأهالي الشراكسة لبناء مؤسساتهم التعليمية الخاصة بهم تحارب بكل قسوة من قبل الدولة الروسية، إضافة إلى إغلاق المدارس المحلية فوراً وطرد المدرسين منها) (٤٩).

**(١٥) كتب مؤلف كتاب (لمحات عن تاريخ القفقاس) مبررا تصرفات الحكومة الروسية ومتحدثا عن تضحيات الشراكسة قائلا:**

"... لم يكن بالإمكان التراجع عما بدأناه والتوقف عن احتلال القفقاس بمجرد أن الشراكسة لم يرغبوا بحمايتنا لهم، وكان علينا أن نشطر الشراكسة إلى قسمين لكي نجبر أحدهما على رمي السلاح، ولكن النتيجة أن العشرات من القتلى كانوا ضحية الحرمان وبرد الشتاء القاسي والعواصف، حيث كان الناس يبيتون في الغابات وسفوح الجبال العارية، وكان أكثر السكان معاناة وهلاكا هم الضعفاء من

النساء والأطفال، وكنت تلاحظ عندما تم حشد الباقين من الشراكسة على الشواطئ من أجل ترحيلهم، قلة أعداد النساء والأطفال بينهم قياسا لإعداد الرجال، مما يدل بأن هذه الفئة من الشراكسة هم الذين ماتوا من جراء الحروب الروسية البربرية.

**واستطرد قائلا: "لقد فر العديد إلى الغابات في اثناء هجماتنا، وفي هذه المأساة الدموية أقدمت العديد من الأمهات على قتل أطفالهن لكي لا يقعوا اسرى في أيدينا".**

كما قال: "والآن وبعد أن هدأت الضجة والانفعالات الناتجة عن تلك الحرب اللاهبة، وبعد أن توطدت سلطتنا في القفقاس، نستطيع أن نعترف بهدوء بالبطولة المدهشة والتضحية وإنكار الذات التي تمتع بها عدونا المغلوب الذي دافع بشرف عن وطنه وحريته إلى أن انهارت قواه".

**لقد انهكت قوى الشراكسة فعلا، وكان عليهم الاختيار بين الترحيل إلى تركيا، أو الموت مستقلين في أراضيهم، وقد كتب العديد من المؤرخين عن كلتا الحالتين في مؤلفاتهم.**

(١٦) كما قال (الجنرال يرملوف) "بأن الجنرال (فلاسوف) أمر جنوده بالإغارة على الأراضي الشركسية عام ١٨٢٢ فدمروا وأحرقوا ١٧ قرية شركسية، وفي الأعوام التالية كانوا يتبعون الأسلوب نفسه، وقد أيد صحة ذلك (المؤرخ القوزاقي ب. ب. كورولينكه) كما قال العالم (جزغ أسعد) عن هذا الموضوع، إنه في عام ١٨٢٥ قام بجولة في حدود ما وراء الكوبان، حيث شاهد القرى المحروقة بأم عينيه، وقدر عدد الناس المحروقين بالآلاف، هذا ما عدا المقتولين بحراب جند القوزاق. كما قال: "وكان كثير من النساء والأطفال الجياع يلجأون إلينا، وهم في حالة يرثى لها متمنين الموت "كما كانوا يرمون أنفسهم في النهر ليتخلصوا من الحياة.!"

يمكن القول إن التاريخ لم يذكر حتى الآن أبشع من جرائم القياصرة، حيث جعلوا من حياة الملايين ظلاما أبديا، وطردوهم من أراضيهم، وشتتوهم في كافة أصقاع الدنيا، لكي لا تقوم لهم قائمة!!! [٥١]

**(١٧) وربما كانت شهادة "الكونت بوتشي" في كتابه حول مجزرة الأطفال التي ارتكبها كل من (الجنرال فون ميدم) الالماني الاصل والقائد (اوباش) من تتار القالمون أصدق تعبير عن وحشية الروس جاء فيها:**

"إن المجزرة التي ارتكبت في حق اطفال كباردو الصغرى وإمارات الكوبان الشركسية لم يشهد لها مثيل في التاريخ، وكذلك ولأول مرة في التاريخ تقرأ عن حملة عسكرية تستهدف الأطفال بالذات، حتى أصبح اسم الجنرال "ميدم" مصدر تهديد للأطفال الشراكسة وإسكاتهم عندما يبكون أو عندما يقومون بعمل شقاوة بقول الام لهم "اسكت (وفآة) الجنرال (الاصم ميدم آت)[٥٢].

تلك هي الطرق والوسائل والأساليب الوحشية البربرية التي استخدمها القياصرة منذ نهاية المرحلة الأولى منذ بدأ (حروب الإبادة والدمار) وحتى نهايتها يوم ١٨٦٤/٥/٢١.

ويؤكد المؤرخون بأن الروس بالرغم من شن أكثر من (١٤٣) معركة على القبائل الشركسية البالغ عددها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٨) قبيلة منها (٨٨) معركة خلال الفترة من (١٨٤١ – ١٨٤٦) وحدها، وبالرغم من مشاركة مقاتلين من أفراد وضباط من أكثر من (٥) قوميات على رأسهم الألمان والقالموق، والأرمن مثل الجنرال (فون كلوجناو) و (فرايتاغ) و (فردر) و (شولمان) و (جرسدوف) و (جرترينجن) وغيرهم.

بالإضافة إلى التتار والقالموق والنغوي والقوزاق والشراكسة (الذين سبق أخذهم رهائن لضمان حسن تنفيذ الاتفاقيات مع الشراكسة) والذين تم تنصيرهم وتعميدهم، ومنحهم أسماء روسية وعلى رأسهم الأمير الشركسي (يكوفيتش جركاستيكي) – صديق القائد الروسي (يرملوف) ورئيس دائرته السياسية، نستنتج بأن الشراكسة من سكان القبرطاي في مناطق الترك بالشرق، والأديغة المكونة من (١٢) قبيلة تقريبا بالغرب بالإضافة لشراكسة البسلني والمخوش وغيرهم من سكان منطقة الكوبان والأبخاز فيما وراء الكوبان على الساحل البحر الأسود، فهؤلاء الشراكسة الأبطال وبدعم من بعض الشعوب القوقازية الأخرى كان يمكن أن يمنعوا القوات الروسية من احتلال بلادهم لولا لم يستخدموا تلك الاساليب الوحشية والأعمال البربرية والأفعال اللانسانية التي جاءت في الأقوال والشهادات والاعترافات التي استمعنا إليها في هذا الفصل.

# الفصل الثاني

## السياسات التي استخدمتها السلطات الروسية في بناء القلاع والمحطات الاستيطانية والاستيلاء على الأراضي وتخريب الثروتين الزراعية والحيوانية للأمة الشركسية

**تمهيد**

اتبعت السلطات الروسية منذ القرن السادس عشر سياسة الاستيلاء على الأراضي القفقاسية عامة، والأراضي الشركسية خاصة، حيث بلغت نسبة ما تم الاستيلاء عليه حوالي ٩٠% من الأراضي الشركسية وكان من أهم أهداف الاستيلاء على مثل هذه المساحات الشاسعة هو تحقيق الغايات التالية:

**أولا:** بناء القلاع، وإنشاء الحصون وإقامة مراكز، ومخافر، ونقاط حراسة، ونقاط مراقبة عسكرية، وبلغ عددها في بلاد (قبرطاي وبسليني واديغية) أكثر من (مائة) قلعة، وحصن ومركز ومحطة عسكرية، بالإضافة إلى عشرات المخافر ونقاط المراقبة والحراسة العسكرية.

**ثانيا:** إنشاء قرى، ومستعمرات ومحطات استيطانية لإسكان القوزاق والداغستان، والقالموق وغيرهم من الشعوب التي كانت تحارب مع القوات الروسية ضد الشعوب القوقازية عامة والشعب الشركسي خاصة، وتشير الوثائق الروسية بأنه تم إنشاء حتى عام (١٨٠١م) أكثر من (٥٠٠) قرية منها (٤٤٢) قرية أطلق عليها محطات (قرى) القوزاق التي أسكن فيها (٧٥) الف قوزاقي، بالإضافة إلى إسكان أكثر من (٤٠٠٠٠) من الدغستان وهي القرى التي شكلت (خط المستعمرات العظيم) والذي بلغ طوله مسافة (١٥٠٠كم) داخل الأراضي الشركسية وهو الخط الذي شُبه بسور الصين العظيم.

**ثالثا:** القضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية للشعب الشركسي بانتزاع ملكية الأراضي الزراعية والرعوية والغابات، ولم يبق في السنوات الأخيرة من حرب الإبادة والدمار الروسية أكثر من ١٠% من الأراضي الصالحة للزراعة او الرعي في حوزة الشراكسة الفلاحين وغير الفلاحين.

**رابعا:** توزيع أكثر الأراضي الزراعية خصبا على كبار المسؤولين والسياسيين والعسكريين من الروس والقوزاق.

**وفيما يلي دراسة تحليلية للسياسات التي اتبعتها السلطات القيصرية الروسية في الاستيلاء على أراضي القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، وكذلك سياستها في بناء القلاع والحصون والمراكز والمحطات العسكرية وغيرها من المخافر ونقاط المراقبة ونقاط الحراسة وسياستها في التخريب والقضاء على الأراضي الزراعية والرعوية والغابات كوسيلة لتجويع الشراكسة ودفعهم للاستسلام.**

**أولا: سياسة بناء القلاع العسكرية وإنشاء الحصون وإقامة المحطات والقرى الاستيطانية القوزاقية والروسية.**

بدأت فكرة انشاء القلاع منذ ان قرر (سرا) القيصر (أيفان) الرهيب الاستيلاء على القفقاس (ارضا بلا شعب) وكانت النتائج العكسرية هو إنشاء (مدينة تيرك) على ضفاف نهر (تيرك) في عام (١٥٦٠) كما تقرر إنشاء اول قلعة في القفقاس على ضفاف نهر (سونج) عام ١٥٧٨ والقلعة الثانية على ضفاف نهر ترك في نفس العام [١١].

وفي عام ١٧٢٢ وبعد فشل حملتين متتاليتين روسيتين امر بتنفيذهما بطرس الأكبر، غادر القفقاس في عجل بصورة سرية بعد ان رأى الهزيمة قادمة لا محالة لها، ولم تلبث الجيوش الروسية أن لحقت بسيدها، عائدة إلى مراكز انطلاقها، وتطورت فكرة إنشاء وتعزيز ما سمي لاحقا بـــ "خط المستعمرات العظيم" الذي امتد بعد نحو قرن من الزمان، إلى مسافة تزيد على الف وخمسمائة كيلومتر. ويمكن مقارنة الجهود المبذولة في بناء هذا الخط، بالجهود التي بذلت في سبيل إقامة (سور الصين العظيم) والفرق بينهما: هو أن السور بنى لحماية سكان الصين من الاعتداءات والغارات بينما بني خط المستعمرات الروسية ليكون قاعدة لحملات إبادة ضد السكان المدنيين العزل من السلاح في القفقاس [١٢].

وفي عام (١٧٦٠) وبعد أن اصبحت مقاطعة (مزدوك) ومعناه (الغابة الاصم) كما يلفظ ايضا بـــ (مزدوغ) بمعنى الغابة (الجيدة) ملكا للامير الشركسي (كورغوقة كوغولجين) حاكم قباردا الصغرى الأبن الأكبر للأمير اينال الكبير الذي قام بالتبرع بمساحة أرض واسعة لإنشاء (حصن مزدوغ) عليها بعد أن اعتنق الديانة المسيحية، وهو الحصن الذي اعترض على انشائه شعب القبرطاي عامة، كما تسبب بناؤها بحرب استمرت مدة (١٥) سنة وفي الفترة ما بين (١٧٦٥ – ١٧٧٩).

**وفي مطلع عقد السابع من القرن الثامن عشر قرر الجنرال (فون كوبي) قائد وحاكم الاستراخان بإنشاء (١٢) حصنا في المنطقة الواقعة بين القوزاق وجنوبي روسيا .**

والوحدات العسكرية التي كانت تملأ كل هذه الحصون، والتي كانت تعمل على امتداد هذا الخط الحصين، كانت تتألف من فرقة من المشاة وبعض الطوابير العسكرية من الكرج، وبعض كتائب القوزاق من (الدون) مع ما يتبعها من مدفعية الميدان والحصون، وكان قوام حاميات هذه الحصون المجتمعة لا يقل (عن عشرين الف جندي) يضاف إليهم عند الضرورة بعض الجيوش النظامية والميليشيات من الكرج.

وبالرغم من أن الاجزاء المنخفضة من بلاد (الابزاخ) وسهولها المنبسطة، كانت عرضة لهجمات الروس وحملاتهم المنظمة، فقد تمكنت هذه القبيلة القوية من الاحتفاظ بحريتها لأكثر من ثلاثين سنة كاملة ومن وضع حد لتقدم الروس وتجاوزهم حدودهم.

**اما منطقة العمليات العسكرية الروسية في الشمال والشرق فكانت تمتد من (اويست لابنسك) على امتداد نهر الكوبان حتى مصبه في البحر الاسود،** وقاعدة اعمالهم الحربية الرئيسية في مدينة (يكاترينوغراد)، وفي الوقت نفسه كانت هذه المدينة مركز القيادة العامة لجيوش القوزاق المسماة (قوزاق جرنومورا).

وأنشأ الروس ايضا على الضفة اليمنى لنهر الكوبان عدة حصون لرد هجمات قبيلة الشابسوغ، ولم ينشئوا في سهول الشابسوغ سوى حصنين كبيرين على ضفاف نهر (آبين)، وهاجمه الجركس في مطلع عام ١٨٤٢ واجتاحوه بعد معركة شديدة، وقتلوا جميع من كان فيه وحاميته عن بكرة أبيهم ولم يبق منهم أحد على قيد الحياة.

**وأما الخط الحربي الثالث للروس،** فكان يمتد على الساحل الشرقي للبحر الاسود من مصب نهر (بسيب) حتى مصب نهر الكوبان. وبلغ عدد الحصون الكبيرة والصغيرة التي أُنشأت على هذه الجبهة ما يزيد عن الخمسة عشر حصنا.

وقد جعلوا مقر القيادة العامة لهذه الجبهة في (صوجاق)، ثم شقوا طريقا بين هذه المدينة ومدينة (آنابا)، وأنشأوا على جانبي هذا الطريق حصنين لحماية وتأمين المواصلات، وهما حصنا (رايفسك ونيوقلايفسك)، وكذلك شقوا طريقا آخر بين موقعي آبين ودوبا.

وأما أهم الحصون التي أنشئت على الخط الحربي الثالث هي:

حصن بيتسوندا، و(كاكرا) و (آدلر)، و (ماماي) و (غولوفينسك) و (لازارف) و (طوابسه)، و (وتو)، و (شه بسوخا)، (وشه بسين) و (بشات)، و (آنابا).

ان الروس لم يكتفوا بإنشاء هذه الحصون فقط، بل عمدوا إلى شق الطرق الواسعة، لربط الحصون المتفرقة في أرجاء البلاد مع بعضها البعض لتأمين حرية الاتصال بينها بأمان.

واما الجيش العامل في هذه (الحصون السبعة عشرة الساحلية)، فكان يتألف من فرقة المشاة المسماة (فرقة البحر الاسود)، وعدد كبير من قوزاق الدون مع ما يلزمهم من المدافع، التي لا يقل عددها عن الاربعمئة مدفع من أحجام مختلفة، مع جيش قوامه عشرين الف مقاتل، عدا جنود وبحارة اسطول البحر الاسود [١٣].

وفي عام (١٨٠١) انشأت القوات القوزاقية محطة كبيرة في (تامان) كما بنت حوالي (٤٤٢) قرية وأطلق عليها محطات القوزاق.

وفي عام (١٨٠٥) أنشأ الروس عددا كبيرا من المخافر ونقاط الحراسة حول بلاد القبرطاي.

في عام (١٨٣٠) أضاف الروس قلاعاً صغيرة في (غيلنيجيك وغاغرا).

وفي عام (١٨٣١)، أقام الجيش الروسي (وبالقرب من قرى الاديغة) (١١) حصنا جديدا.

وفي عام (١٨٣٣) وضع الجنرال ويليامينوش خطة لإنشاء تحصينات جديدة في أكثر الأماكن أهمية في بلاد الشركس، وقال إن الوسيلة الأساسية والمضمونة لاحتلال الجبال واخضاع القاطنين فيها هي اقامة تحصينات في أكثر الأماكن أهمية من الناحية الطبوغرافية.

وفي عام ١٨٣٣/٥/٢٠ أرسل تعليمات لتنفيذ خطة جديدة لقائد الفيلق القفقاس البارون "روزين" تضمنت اتباع السياسات والوسائل التالية:

"١- **الوسيلة الأساسية والمضمونة لاحتلال الجبال وإخضاع القاطنين فيها هي اقامة تحصينات في أكثر الأماكن أهمية من الناحية الطبوغرافية.**

٢- **وسيلة إخضاع (الجبليين) بسرعة هي في أخذ الأراضي منهم وإسكان القوزاق في محطات على هذه الأراضي.**

٣- **تخريب حقول السكان لمدة خمس سنوات متتالية يجعل نزع سلاحهم أسهل كما يسهل ايضا الاعمال العسكرية اللاحقة.**

**٤- البدء بتخريب الحقول واحتلال ومصادرة أراضي لإقامة محطات للقوزاق عليها، وكذلك إقامة تحصينات في أماكن مناسبة".**

وتطبيقا لهذه الخطة قامت القيادة القيصرية في القفقاس ومنذ بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر بإرسال حملات إلى ما وراء الكوبان بهدف تخريب وهدم قرى الأديغة، وكذلك من أجل بناء سلسلة من التحصينات، وقد تم التركيز على بناء تحصينات ساحلية لتأمين حرية تنظيم حركة السفن الحربية الروسية على طول ساحل شركسيا، وهي أمور كانت السلطات القيصرية تعتبرها أساسية لتطويع القوقازيين.

وفي العام نفسه الذي صدرت فيها التعليمات حسب الخطة المذكورة قامت القوات الروسية بإنشاء حصون (دوفر، آدلر، نافاترويتسكر، نهاربشارا، ميخايلوفسكه، غالافينسكه، نهر طوابسة، تنفينسكر، نافانيسكه، نهر شافه، فورتولازاريفر). كما سبق أن قام الجيش الروسي بتدمير مساكن (الأديغة) الشراكسة قبل البدء بإنشاء هذه الحصون، وفي العام نفسه بدأوا بفتح طريق حربية من غلنجيك حتى اوليفيسك.

وفي عام ١٨٣٤ ولتأمين سلامة الاتصال بين الخط الساحلي ومنطقة الكوبان أقيم على أراضي الناتخواج حصن (ابينسكويه) وحصن (نيكولايفسكويه) وقلعة (راييفسكي). في نفس الوقت أقيمت حصون كثيرة أخرى، وتم ترحيل الشراكسة من حوض نهر (اوروب) إلى وديان نهري (زيليفتشوك الكبير والصغير) حيث انشأوا فيها (١١) قرية جديدة.

وفي عام (١٨٣٧) وبعد زيارة الامبراطور "نيكولاي الأول" للقفقاس بدأت إقامة الخط المحصن لساحل البحر الأسود، ومع أن إقامة خط (غيلينجيك) المحصن (من حصن اولغيسكي على نهر الكوبان حتى بلدة غيلينجيك) والتي كانت قد بدأت منذ عام ١٨٣٤ إلا أنه تم إيقافه، وأصبح الهم الرئيسي لفيلق القفقاس موجها "لبناء

خط الساحل" وتم ذلك بمعرفة الجنرال "ويليامينوف" والجنرال "رايفسكي" والاميرال "لازاريف".

في عام ١٨٤٠ تمت إقامة خط تحصينات ساحل البحر الأسود، وكان يتألف من (١٧) حصنا وقلعة مقامة في المنطقة الشركسية على أراضي الناتخواي والشابسيغ والاوبيخ في مصبات الأنهار الصغيرة التي تصب في البحر الاسود، وبالإضافة لذلك أقيمت (خمس تحصينات) أخرى على ساحل الأبخاز وجرى دعم وتقوية قلعة (انابه). كما تم تقسيم خط تحصينات الساحل إلى ثلاثة أقسام: الأول من الشمال من مصب نهر (الكوبان) حتى حصن (كاباردينسكي) على مصب نهر (دابه)، القسم الثاني: من حصن (غيلينجيك) حتى قلعة (غولوفينكو) على مصب نهر (شاخة)، والقسم الثالث: من حصن (نافاغينسكي) على مصب نهر (سوتشي) حتى نقطة (نيكولاي) على الحدود التركية، وكانت حاميات الحصون مؤلفة من عدة كتائب مستقلة، وذلك قبل أن يتم تشكيل أفواج جمعت في عشرين فرقة مشاة، وكان احتياط المشاة يتألف من فرق مشاة في (نوفوراسيسك) وفوج مشاة في (انايغ) وفي الفترة ما بين أعوام ١٨٦١ و ١٨٦٥ اقيمت في منطقة وراء الكوبان (٧٣) محطة قوزاق جديدة وثماني قرى تم اسكان (١٦) الف عائلة منها، وحتى نهاية الثمانينات من القرن التاسع شعر كان عدد محطات القوزاق أصبح (١٧٦) محطة.

**الأهداف الرئيسية من إنشاء الحصون أو القلاع أو المحطات والمستعمرات الروسية:**

**الأول:** هو بناء قلاع وحصون بهدف استخدامها كمراكز ومحطات لحماية الجنود الروس من هجمات المقاتلين الشراكسة، وكذلك استخدامها كمواقع للهروب إلى داخلها عند الانسحاب أو الانهزام.

**الثاني:** بناء الحصون والقلاع بهدف استخدامها كمعسكرات ثابتة، ومراكز أعمال وقواعد حربية ينطلق منها الروس بحملاتهم وهجماتهم على الشراكسة.

بناء بعض الحصون والمحطات والمستعمرات لتحقيق هدف أو أكثر من الأهداف الفرعية التالية:

(١) دعم الأسطول البحري لتأمين سلامة الاتصال بين الخط الساحلي ومنطقة الكوبان وأقيم على أراضي الناتخواج مثل حصن (ابينسكويه) وحصن (نيكولايفسكويه) في عام ١٨٣٤، وقلعة (راييفسكي) في عام ١٨٣٩ وحصن (غوستاغايفسكي) في عام ١٨٤٢، وحصن (فارينيكوفسكي) على نهر الكوبان.

(٢) تقسيم وتشتيت شعب الأديغة وعزلهم عن بعضهم البعض وذلك بناء (١١) محطة/ قرية جديدة في حوض نهر (أوروب).

وأصبح بذلك قبائل شراكسة المنطقة الغربية معزولين عن بعضهم البعض ويصعب الاتصال مع بعضهم دون المرور من هذه المحطات.

(٣) خلق بؤر استعمارية بين القرى والمدن في مناطق الاديغة الغربيين بهدف إسكان القوزاقين فيها، وهذا ما حدث مثلا حيث تم إسكان أكثر من (٧٥) الف قوزاقي في هذه المحطات والبؤر الاستعمارية.

(٤) إيجاد نقاط ومواقع محصنة آمنة في الطرق المؤدية إلى القفقاس لاستخدامها كمواقع محايدة عند التقدم إلى عمق القفقاس[١١].

**ثانيا: سياسة نزع ملكية الاراضي الزراعية والمراعي والغابات والقضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية**

يقدر الباحثون في تاريخ حروب الإبادة والدمار الروسية بأن المساحات التي استولى عليها الروس من اراضي الشراكسة القبرطاي والاديغة فيما وراء الكوبان تقدر بما لا يقل عن ٩٠% من كامل المساحة والبالغة مساحتها (٢٥٠٠)كم$^{٢}$.

حيث اتبعت السلطات الروسية الاجراءات التالية بهدف تحقيق سياستها في هذا المجال، وعلى النحو التالي:

انتزاع ملكية الاراضي الزراعية والرعوية حتى لا يتمكن الشراكسة من الحصول على ما يلزم حياتهم ومعيشتهم من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية، وهذا ما حدث فعلا، حيث لم يبق في السنوات الاخيرة أكثر من ١٠% من الاراضي الصالحة للزراعة أو الرعي في ملكية الشراكسة الفلاحين وغير الفلاحين.

توزيع أحسن وأجود الأراضي الزراعية على كبار المسؤولين الروس من سياسيين وعسكريين.

**وفيما يلي نماذج من الوقائع التي تؤكد سياسة الاستيلاء على كل ما يتعلق بالملكية والثروة الزراعية والحيوانية.**

**(١) نماذج من سياسة إتلاف المحاصيل الزراعية والرعوية**

- أمر الجنرال (ويليامينوف) عام ١٨٣٣ قائد الفيلق القفقاسي (البارون رذرين) باتباع سياسة اخذ الاراضي من الشراكسة واسكان القوزاق فيها، كما أمر بتخريب الحقول الزراعية لمدة خمس سنوات متتالية حتى يجعل نزع سلاح الشراكسة أسهل. وهكذا فإن سياسة القادة العسكريين والسياسيين الروس اتجهت نحو تخريب الحقول والاستيلاء ومصادرة الأراضي الزراعية وغير الزراعية [٢٢].
- قال أحد القادة الروس العسكريين بأن (الفؤوس والبلطات حققت إنتصارات لروسيا أكثر بكثير مما جلبت المدافع والحراب وأن سياسة الأرض المحروقة أهلكت (الزرع والضرع) بإحراق البساتين والجنائن (الحدائق) وهي السياسة التي انتهجتها القوات الروسية بعد أن وجدت نفسها غير قادرة على تحقيق النصر في ميادين القتال وجها لوجه.

**(٢) نماذج من سياسة القضاء على الثروة الحيوانية والمخزون الغذائي لدى الشراكسة.**

- في عام ١٨٠٢ شنت القوات الروسية هجوما كبيرا على قرية (بوجدوقة) "وقتلوا مئتي شخص وجرحوا ثلاثمائة وأسروا خمسمائة واستولوا على عدد كبير من المواشي منها (١١٥٨) من الخراف و (٢٤٣٢) من الماعز، وقامت قوة قوزاقية ثانية بالهجوم على قرى أخرى، واستولت على (٨٠٠) من الخراف. [٣٤]
- وفي عامي ١٨٠٧ – ١٨٠٨ قامت القوات الروسية بشن هجوم على قبائل الناتخواج والشابسوغ وعندما رفضوا إعلان ولائهم للروس، قاموا بالاستيلاء على مستودعات احتياطي الحنطة (القمح) ونهب أعداد كبيرة من المواشي.
- وفي عام ١٨١٠ تم إحراق (١٠٣٠) بقرة ومصادرة (٥١٥٥ ) بقرة اخرى و(٥١٥) حصانا، والاستيلاء على (١٠٤) طن من العسل الأحمر و (٩٥) طن من العسل العادي و (١٤٢) عربة حنطة. [٣٤]
- وفي عام ١٨٢٥ قامت القوات الروسية المدعومة من القوزاق بشن هجمات متتالية على قرى الابزاخ والبجدوغ وقامت بنهب الممتلكات الثمينة وسرقة آلاف رؤوس المواشي (٣٤).
- وفي ١٨٤٠/٤/١٢ وعندما استلم وزير الحرب الامير "تشيرنيشف" أخبار تحطم خط القلاع الساحلي على يد المقاتلين الشراكسة وبخ قائد الخط الجنرال رايفسكي وأمر قائد فيلق القفقاس بالتوجه بسرعة بحملة تأديبية لأراضي الاديغة والابيخ، حيث تم إحراق مراعيهم ومحاصيلهم ومستودعاتهم وإحراق (١٣) قرية شابسيغ مع تدمير كل الكروم والبساتين في منطقة وادي (بسه فابة).

**(٣) نماذج من سياسة قلع الأشجار المثمرة وغير المثمرة:**

لجأت السلطات الروسية في كثير من الأوقات إلى سياسة حرق الأشجار المثمرة وقطع أشجار الغابات، وكانت حجتهم في ذلك هو أن الغابات هي بمثابة حصون حماية للشراكسة، وأن الأحراج بديل للاستحكمات وأنهم لا يستطيعون الصمود أمام مدافع الروس لو خرجوا إلى السهول، لذلك فإن القادة العسكريين لجأوا إلى حرق أو قطع أو إتلاف غابات كثيرة وأن أصدق وصف لهذه السياسة هو ما قاله أحد أمراء القبرطاي حول قطع أشجار (مزدوغ) حيث قال:

"امتطى الامير جواده وقاده بهدوء على الطريق الممهدة التي تشق الغابة. ولاحظ فورا، أن الطريق قد توسعت عما كانت عليه في المرة السابقة، وعلم بأن الروس قاموا بإزالة الأشجار، وهكذا وخلال بضع سنوات اختفت الغابة كلها، حيث كانت غابة (مزدوغ) مسرحا لمعارك ضارية بين أمراء قباردا وجيوش الامبراطورية الروسية، وقد هلكت في هذه المعارك جيوش روسية بأكملها وعبر (الاديغة) ساخرين عن ذلك بقولهم: "لجأ الروس إلى الانتقام من أشجارنا ويريدوننا أن نكون في العراء، كقطيع من الاغنام، لكي يحصدوا أرواحنا بقذائفهم، ألا تبا لهم من أغبياء". (٣٠)

وفي السنوات الاخيرة من (حرب الابادة والدمار ) لجأت قبيلة (جان) او (زان) إلى غابة قريبة من موطنهم.. فما كان من القوات الروسية إلا أن أحرقت الغابات بمن التجأ إليها من قبيلة (جان) الشركسية، وأن واحداً منهم لم ينجُ من هذه المحرقة البشعة، فقضوا على الغابة كما قضوا على نسل قبيلة (جان) في تلك المنطقة.

# الفصل الثالث

## سياسة قتل الأسرى، وكبار السن والأطفال والنساء العزل، وأسلوب تجويع الشركس وترويعهم

**أولا: سياسة قتل الأسرى وكبار السن والأطفال والنساء**

اتبعت السلطات الروسية سياسة قتل المقاتلين الشراكسة قدر الإمكان، وعدم اللجوء لأسرهم، إلا في الفترات التي كان الروس ينشئون فيها الطرق والقلاع والحصون حيث كان من سياسة القياصرة التعمد في أسر المقاتلين الشراكسة واستخدام الرجال منهم في اعمال السخرة وتشغيلهم في شق الطرق، وفي إنشاء القلاع والحصون وحفر الخنادق وبناء المستعمرات.

وأما الفتيان والاطفال الاسرى فكانوا يرسلونهم للدراسة في المدارس العسكرية بعد (تعميدهم) وتنصيرهم وإعطائهم أسماء روسية مسيحية، كما كان من سياستهم أخذ النساء أسيرات، بالرغم من عدم مشاركتهن في القتال خلافا للقوانين والأعراف والتقاليد العسكرية التي تمنع ذلك، ولم يتوقفوا عن أسر النساء وبيعهن في الاسواق المخصصة لبيع العبيد (بعد اغتصابهن في كثير من الاحيان).

ويتضح ذلك من قول الجنرال (فلاسلوف)

"**كثيرا ما وقعت النساء والاطفال الهاربين من الموت بالنار في الاسر، وفي كثير من الحالات كانت النساء تفضلن الموت على الأسر فيلقين بأنفسهن في الوديان السحيقة أو في تيارات الأنهار الجبلية الهائجة (خوفا من الاغتصاب والبيع) خصوصا في منطقتي الأبزاخ والبجدوغ، ويمكن ذكر الكثير من هذه الحوادث التي قام بها الجنرالات الروس** [١٥].

**ولنقرأ معا كيف يبرر أحد الجنرالات الروس أعمالهم الوحشية ضد شعوب القفقاس بقوله: "إن القبائل القفقاسية كانت ستفهم اللطف والعطف على أنه ضعف، بينما الحملات التي كانت تدار حسب الخطة القديمة والقائمة على الدمار والابادة مثل (تدمير المحاصيل ونهب القرى، وذبح الرجال، واغتصاب النساء الاسرى حتى يتعلم الناس دروسا يفهمونها جيدا ويعطونها حق قدرها) ؟! وإن رؤية الاطفال القفقاسين الجنود المتوحشين وهم يحرقون بيوتهم ويذبحون**

**جدودهم وإخوته وتعاقب ثلاثين أو أربعين وربما اكثر على اغتصاب أمهاتهم هو درس وعبرة لهم عندما يكبرون مستقبلا. وهل يتصور إنسان دركا أحط من هذا الدرك؟؟** (٣٠)

بدأت سياسة إبادة اطفال الشراكسة في عام ١٧٦٠ على يد (الجنرال فون ميدم) وهو مرتزق ألماني اتحد مع قائد تتار القالموق "اوباش" وهاجما معا إمارة قباردا الصغرى وإمارات الكوبان، وارتكبا فيهما مجزرة لم يشهد التاريخ لها مثيلا تم خلالها قتل الالاف من المدنيين خصوصا الاطفال ولأول مرة في التاريخ نقرأ عن حملة عسكرية تستهدف الاطفال بالذات، ويذكر الكونت "بوتوشي" في كتابه الذي يروي عن هذه الحقبة، بأن الناس في القفقاس دأبوا منذ ذلك الوقت على تهديد أطفالهم لإسكاتهم بالقول: (صه).. الجنرال الاصم آت! كون ان "فون ميديم" أصم في إحدى أذنيه وارادت السلطات الروسية ان تظهر امام القفقاسيين وامام العالم بمظهر الابرياء، من دم اطفال الاديغة المسفوح، وأعلنوا عن سخطهم على حلفائهم تتار القالموق، واخذوا يسيئون إليهم بشتى الطرق، مما حدا (بالقالموق) إلى طي خيامهم، والرحيل في هجرة جماعية، إلى بلادهم الاصلية، على حدود الصين الشمالية وقلة قليلة منهم، أولئك الذين كانوا يقيمون علاقات طيبة مع القفقاسين – عبروا نهر الترك، واستوطنوا في السهول الواسعة الممتدة فيما بين بلاد التشاشان وقباردا الصغرى، ومنذ ذلك الحين بدأوا يقاتلون الروس جنبا إلى جنب مع أهل القفقاس.

**ثانيا: سياسة تدمير القرى وحرقها:**

كانت سياسة تدمير القرى وحرقها من أولويات السلطات الروسية القيصرية المتعاقبة. ونستدل على هذه السياسة التدميرية من الوقائع والأحداث التالية:

في عام (١٨٠٨) قام الجنرال "ايمانويل" بتدمير ست قرى كما تعرضت قرى الشابسيغ لنفس التدمير، وقد كانت أعمال الجنرال "ايمانويل" نفسه أكثر تخريبا

وتدميرا فقد عبر نهر الكوبان، وقام بتخريب كل الشاطئ الايسر له تخريبا كاملا، ودمر (٢١٠) قرية ومستودعات كبيرة جدا من احتياطي الحنطة ونهب أعدادا هائلة من المواشي، وكتب الجنرال "ايمانويل" إلى "باسكيفيتش" أن حاجة الشراكسة إلى المواشي ستستمر لسنوات طويلة.

وفي معركة ثانية في نفس العام وفي (١٩) ايار منه قامت القوات القيصرية بتدمير وإحراق اثنتي عشرة قرية شركسية، وفي نيسان ١٨١٠ تم تدمير (٢٠٠) قرية، واحراق (٩٠٨٥) منزلا و (١١٠) مساجد والاستيلاء على (٢٨٠) بندقية و (٥٣) رمحاً و (١٤٥) سيفاً وسرقة (٢٩٠٠) روبل فضة.

في عام ١٨٢٢ وحده اباد الجنرال (فلاسلوف) (١٧) قرية كبيرة و (١١٩) قرية صغيرة شركسية بكل ما تحتويها من مؤن، وتمت مصادرة ما يزيد عن (١٠٠٠) رأس من الماشية، وحسب أقوال معاصريه كان "فلاسوف" يعبر نهر الكوبان ويهجم على القرى ويصادر الماشية ويأخذ الاسرى ويحرق كل بيوتها، فمثلا في ١٨٢٤/٥/٣ قام بهجوم مفاجئ على إحدى قرى الاديغة، كانت القرية لا تزال نائمة عندما هاجمها القوزاق من كافة الجهات ولم يتركوا فيها (حجرا على حجر) وقد لحق قريتين مجاورتين لها نفس المصير في تلك الليلة، ولا يعرف أحد كم مات من السكان في هذه الغارة إلا أن شوارع القرى كانت مليئة بالجثث. كما أسر (٢٥٠) أسيرا واستولى على اكثر من الف رأس من الماشية، كما كتب (كورولينكو) عام ١٨٢٥ قائلا: قواتنا قامت بترك منطقة ما وراء الكوبان مدمرة القرى، وفي هذه القرى الملتهبة قتل الشراكسة بالمئات إما بالنيران أو بحراب القوزاق المتوحشين.[١٥] كما قال إن حملات الجنرال "فلاسوف" عبر الكوبان تمت بموافقة القائد العام لجيش القفقاس الجنرال "يرمولوف".

في ربيع عام ١٨٢٢ وبقيادة مباشرة من "يرمولوف" أيضا قامت القوات الروسية بالهجوم وبجبهة عريضة على القبرطاي واستمر الهجوم حتى عام ١٨٢٥ وكما تقول المصادر قام "يرمولوف" بتدمير وتشتيت كامل سكان القبرطاي تقريبا، واضطر كثير منهم للهرب إلى مناطق الكوبان ليقوموا بالقتال معاً من اجل نيل الحرية والاستقلال [١٦].

كما ورد من الأرشيف الحربي الروسي بأن الجنرال (داخوفسكي) قام بإحراق كل شيء بين التلال الساحلية من بلاد الشابسوغ والشاطئ بحيث لم يبق شيء واقفٌ [١٧].

**ثالثا: سياسة تجويع سكان القرى الشركسية وترويع الأطفال والنساء وكبار السن.**

اتبعت القيادة العسكرية الروسية سياسة "الأرض المحروقة" في حربهم فكانت القوات لا تتقدم إلا بعد قصف مدفعي عنيف، يطال كل شيء... الاشجار والحقول والمنازل، وحتى قطعان الماشية. **فضلاً عن سياسة "التجويع"** التي انتهجتها القيادات الروسية، في مراحل لاحقة، إذ تبين للقادة الروس بعد ان تعرفوا على الأوضاع الداخلية للشراكسة، بأن السكان يعانون من قلة الأراضي المتوفرة للزراعة، خصوصا زراعة الحبوب، وأن المخزون الغذائي (الاستراتيجي) لا يكفي السكان لأكثر من بضعة اشهر. وخلصت القيادة الروسية إلى النتيجة التالية: **إذا وجهت الحرب نحو الحقول والمزارع والبساتين، فسيهلك القفقاسيون من الجوع، وستعم الاوبئة والأمراض... وسيموت الناس في النهاية، وتؤول البلاد القفقاسية لنا خالية من سكانها".**

وبدأ تنفيذ هذه السياسة ابتداء من عام ١٨٠٥ حيث تمت محاصرة بلاد القبرطاي، كما تم منعهم من الاتصال مع القوميات الأخرى عامة والروس خاصة. كما قاموا بإتلاف مستودعات التموين واتلاف المزارع والقضاء على الثروة

الحيوانية بإحراق المواشي والطيور وكل شيء حي يمكن أن يكون مفيدا للسكان؛ مما أدى إلى موت الكثير من الشراكسة جوعا، إذ لم يكونوا يجدون قطعة من الخبز، لقد لحقت بالقبرطاي خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات اجبرتهم على الاستسلام. (١٨)

وفي عام ١٨٤٠ وبعد الانتهاء من إقامة خط التحصينات الساحلي أصبح (الاديغة) وغيرهم من القوقازيين عمليا مقطوعين عن العالم الخارجي، مما جعل أوضاع الناس سيئة جدا، هذا بالاضافة إلى الجفاف والشتاء القاسي ذلك العام الذي أدى لانتشار المجاعة بشكل مرعب بين سكان فيما وراء الكوبان (١٨).

وفي السنة الأخيرة من حرب الإبادة والدمار وصف (فون فيل) الوضع الذي كان يعيش فيه الشعب الشركسي بقوله:

"**وكل يوم كنا نلتقي بمجموعات الناس التي تنزح إلى الأراضي التي لم يحتلها الروس، والأمطار والسيول الأخيرة قضت على عدد كبير منهم. وكنا نجد باستمرار في طريقنا جثث هؤلاء. وكان الجوع منتشرا بشكل كبير، حيث مات الكثيرون دون أن نستطيع مساعدتهم بشيء، إذ كنا شبه جائعين أيضا وزادنا بالكاد يكفينا، وكنا غالبا ما ننام في الغابات والكهوف الصخرية معرضين أنفسنا للخطر بسبب المصاعب الطبيعية، وفي أحيان أخرى كنا ننزل ضيوفا على القرى، ولكننا كنا نهرب من هناك مخافة العدوى التي كانت تقضي على سكان هذه القرى**".

**واستطرد قائلا: "كان الشراكسة الذين انتهت مؤنهم يذهبون إلى القرى المجاورة بحثا عن طعام دون أن يعلمونا، ولهذا لم نستطيع ان ندربهم على استعمال المدافع**" (١٩).

وكذلك فإن القحط الذي حل ببلاد الاوبيخ وبعض القبائل المجاورة ادى إلى تدني إنتاج المحاصيل الزراعية، كما أن حصارهم من قبل القوات القوزاقية المدعومة من القوات الروسية ومنعهم من الحصول من القبائل الشركسية المجاورة بالمؤن الضرورية لحياة الانسان.. **الأمر الذي أدى إلى ظهور مجاعة حقيقية تسببت في موت أعداد كبيرة منهم** (٣٠).

وربما كان من شهود العيان الذين عاشوا الأجواء التي رافقت سياسة الروس تجويع الشعب الشركسي الجنرال البولندي الذي قاد مجموعة من المتطوعين الانجليز والبولنديين والأتراك الذين قدموا إلى بلاد الشراكسة عامي ١٨٦٣-١٨٦٤ حيث قال:

**بذلنا طوال ثلاثة أشهر جهدنا للدفاع عن البلاد، وكنا ننتقل بدون توقف من منطقة إلى أخرى لجعل الشراكسة يستعيدون قواهم، نجحنا في بعض المناطق وفشلنا في أخرى، وكان السكان المساكين في معظم المناطق يموتون من الجوع والبرد، ويهجرون قراهم تاركين فيها عددا قليلا من المحاربين** (٣١).

# الفصل الرابع

## سياسة خلق ظروف بيئية مناسبة لانتشار الأمراض والأوبئة واستغلال قسوة الطبيعة والحاجة لتسويق المحاصيل الزراعية

**(١) سياسة خلق ظروف بيئة مناسبة لانتشار الأوبئة والأمراض بين السكان، وكذلك بين الحيوانات والطيور كنتيجة لسوء التغذية، وانتشار جثث القتلى من البشر، ونفوق عشرات الالاف من الحيوانات والطيور وكذلك حدوث تلوث بيئي في مواقع المعارك.**

وربما كان قدر الشراكسة إبان (حرب الإبادة والدمار) الابتلاء بالاوبئة والأمراض وغيرها من الآفات الطبيعية، وكأن الأعمال العسكرية وغير العسكرية الهمجية التي ارتكبتها الجيوش المدججة بالأسلحة الثقيلة لم تكن لإبادة الشراكسة كافية، حتى ابتليت المجتمعات الشركسية بالأوبئة والأمراض التي فتكت وقتلت من الشراكسة أكثر من الذين قتلوا على أيدي الجيوش الروسية البربرية. ويتضح ذلك مما جاء في الوثيقة الروسية التي نصت على أن : "**الفؤوس، جلبت لروسيا من الانتصارات أكثر مما جلبت الحراب والسيوف**" **ونقرأ في المدونات التاريخية أيضا أن سلسلة من الأوبئة بدأت تجتاح القفقاس الغربي، اعتبارا من بداية القرن التاسع عشر، أدت إلى فناء ثلثي عدد الشعوب القاطنة في تلك المناطق، وفي "قباردا" مثلا اكبر الإمارات وأكثرها سكانا، لم يتبق منهم سوى أثني عشر ألف (عائلة) فقط..**

*** أنواع الاوبئة والأمراض**

كما تشير الوثائق إلى أن اكثر الأمراض والاوبئة كانت انتشارا بين الشراكسة في فترات حروب الإبادة هي:

الطاعون. الجدري. الحمى التيفودية بالإضافة إلى (يمنة وزا) وهو مرض (مجهول) ويشبه مرض الكوليرا وأطلق عليه الشراكسة اسم (يمنة وز) وكان مرضاً فتاكا وخطيراً جدا، وقد قضى على سكان العديد من القرى الشركسية بأكملها.

**أما الاوبئة والامراض الحيوانية وهي** تلك الاوبئة التي تفشت بين المواشي والخيول والطيور وأدت إلى نفوق عشرات آلاف منها والقضاء على الثروة الحيوانية للشراكسة إبان حرب الإبادة.

كما ظهر (الجراد) بأعداد كبيرة جدا في عام ١٨٠٨ قضت على المحاصيل الزراعية والمراعي لأكثر من سنة.

*** مراحل انتشار الأوبئة والأمراض بين صفوف الشراكسة وبين حيواناتهم من مواشي وخيول وطيور:**

- في مطلع القرن التاسع عشر ظهر وباء خطير جدا في مناطق شمال القفقاس واستمر حتى عام ١٨٠٨، قضى على معظم سكان المنطقة حتى أن قرى عديدة أصبحت بلا سكان واطلق عليها الاديغة فيما بعد اسم (يمنة وز)، كما أن هذا الوباء أدى إلى هجرة الكثير من الاديغة الذين بقوا على قيد الحياة، وأكبر دليل على ذلك هو أن عدد سكان القبرطاي عام ١٨٢٠ كان أقل من نصف سكانها عام ١٧٤٠ نتيجة الوباء والهجرة والحرب ايضا[٣٤].
- وفي عام ١٨١٠ لم يتمكن الشراكسة القبرطاي من مقاومة هجمات القوات الروسية المتلاحقة بسبب انتشار وباء (الطاعون) بينهم، حيث قضى هذا المرض على الالاف من الشراكسة من مختلف الاعمار.
- وفي الاعوام من ١٨٢٢ – ١٨٢٥ انتقم الجنرالات الروس من الشراكسة الذين قاوموهم سابقا وقمعوا بالسيف والنار كل حركات المقاومة وحرموهم من المأوى ومن المأكل فانتشر بينهم مرض (الطاعون) وغيره من الامراض، **وكتب "يرمولوف" يقول: "كان الطاعون حليفا لنا ضد القبرطاي بحيث قضى على كل سكان قبرطاي الصغرى وساهم في إفراغ قبرطاي**

**الكبرى، وأضعفهم إلى حد أنهم لم يعودوا يستطيعون التجمع في مجموعات كبيرة"، و"لم يبق من القبرطاي إلا خمسهم".** (٣٣)

- وفي عام ١٨٦٣ أي قبيل انتهاء حرب الإبادة والدمار بسنة واحدة انتشر وباء (الجدري) بين السكان النازحين المطرودين من قراهم ومساكنهم، فحصد الوباء ضحاياه على امتداد البلاد الساحلية القريبة من البحر الأسود.

وفي السنة الاخيرة من (حرب الابادة والدمار) وبالتحديد في عام (١٨٦٤) ذكر (فون فيل) الرواية التالية في مذكراته التي نشرها في (كتابه السنة الاخيرة لحروب الشركس) وقال: كنا في أحد الأيام في ضيافة إحدى القرى (الاديغة) وعلمنا بأنه مات ثمانية من سكانها بتأثير "الحمى التيفودية" فغادرناها مفضلين تحمل البرد والجوع على البقاء فيها".

**ويقول (ادموند سبنسر) وهو احد الرحالة الانجليز الذين زاروا القفقاس عام ١٨٣٨ "بأن جحافل الروس غير كافية للفتك بهذه الأمة، حيث أخذت الآفات الطبيعية تتوافد على البلاد المنكوبة، فظهر (الجراد) بكثرة في هذه السنة وأتلف المزروعات، وكان في أكثر الأيام يغطي السماء ويحجب نور الشمس. ثم تفشى نوع من الوباء بين الحيوانات وأخذ يفتك بها فتكا لا مثيل له، حتى لم يبق سوى القليل من الماشية والخيل، ثم انتشر مرض يشبه (الكوليرا) مدة طويلة فأفنى منها كثيرا** (٣٥).

نستنتج مما تقدم بأن الاوبئة والامراض والافات البشرية منها والزراعية والحيوانية قد فتكت بالانسان الشركسي وبثروته الحيوانية والزراعية غير مرة وفي أكثر من منطقة في الوطن الأم للأمة الشركسية.

**أسباب انتشار الأوبئة والأمراض**

السؤال الكبير الذي يطرح نفسه هو؛ هل هذه الأوبئة وتلك الامراض والآفات جاءت بسبب إهمال الشراكسة، وعدم مراعاتهم لشروط النظافة * والحياة الصحية والغذائية.

الجواب قطعا (لا) فإن انتشار هذه الاوبئة وتلك الامراض كان وراءها الروس، وأن مسؤوليتها المباشرة وغير المباشرة تقع على عاتق السلطات الروسية السياسية منها والعسكرية، لقيامها بأعمال وحشية وبربرية ومنافية للاعراف والتقاليد العسكرية والسياسية أولا، ولتنفيذهم أعمالا محرمة وفق القوانين الدولية ثانيا.

**وبالبحث عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة لانتشار الاوبئة والامراض تبين لنا وجود أربعة أسباب رئيسية وهي:**

**السبب الاول:** هو الحصار المستمر للقرى الشركسية من قبل القوات الروسية واعوانهم ومنع وصول الامدادات الغذائية والصحية عنهم، مما داى إلى تدهور الصحة العامة في المجتمعات الشركسية.

**السبب الثاني:** ويتعلق بإحراق المحاصيل الزراعية والقضاء على الثروة الحيوانية بقتل عشرات الالوف من رؤوس المواشي وسرقة الالاف المؤلفة من الاغنام والابقار، بالإضافة إلى حرق أو اتلاف المخزون الغذائي بعد كل معركة او هجوم او غزو للمناطق الشركسية، مما أدى إلى حدوث نقص في المواد الغذائية وتدهور

* عرفت الامة الشركسية منذ فجر التاريخ بحبهم للنظافة الشخصية والبيئية، وأنهم يتمتعون بصحة جسمية متميزة ويعيشون حياة صحية متكاملة، وان جميع الرحالة الذين زاروا القفقاس في عصور ما قبل الميلاد وفي العصر الحديث تغنوا بنظافة المجتمعات الشركسية وبجمال القوام وسلامة الابدان.. وبالتالي فإن الجواب هو (قطعا) بأن الامراض والاوبئة لم تظهر بسبب إهمال الامة الشركسية وعدم مراعاتهم للمستوى الصحي والبيئي في حياتهم العامة.

الصحة العامة للأفراد والجماعات، وكذلك حدوث نقص في مناعة الأجسام وضعف مقاومتها للأمراض.

**السبب الثالث:** ويتمثل في تلوث البيئة في مناطق القتال نتيجة استخدام (ملح البارود) بكثافة وكذلك انتشار الاوبئة نتيجة منع الشراكسة من دفن قتلاهم لأيام ولياليي عديدة، وكذلك نتيجة قتل واتلاف الاف من المواشي وترك النافق منها في الزواريب والحقول لفترة طويلة لعدم تمكن الشراكسة من حرقها او دفنها لانشغالهم في الدفاع عن انفسهم ومقاومة الغزوات الروسية القوقازية المتواصلة.

**السبب الرابع:** قدوم مئات الالاف من القوات الروسية والمرتزقة من مختلف الشعوب والامم والقوميات إلى بلاد الأمة الشركسية أدت إلى انتشار بعض الأوبئة حسبما أكده بعض الدارسين بقوله: "مع قدوم الوافدين الجدد، ازدهرت الأمراض والأوبئة التي لم يألفها القفقاس من قبل. ويموت الناس من الأمراض والأوبئة بأعداد تفوق أعداد الهالكين في المعارك والحروب".

**(٢) سياسة استغلال قسوة الطبيعة وسوء الأحوال الجوية في بلاد القفقاس إبان الحروب.**

لم ينس المخططون الروس للاستيلاء على بلاد القفقاس (ارضا بلا سكان) اللجوء لاستغلال قسوة الطبيعة في بلاد القفقاس أولا، وظروفها الجوية والمناخية الشديدة ثانيا، حيث كانوا يشنون هجماتهم ومعاركهم في فصول الشتاء أكثر منها في الفصول الأخرى، كما كانوا ينفذون غاراتهم على القرى الشركسية الآمنة في ليالي الشتاء الباردة، حيث كانت درجة الحرارة تنخفض إلى (١٥) درجة تحت الصفر في بعض المناطق، كما كان من أهداف تدمير القرى أو إحراقها وهدم البيوت أو إتلاف محتوياتها هو ترك الشراكسة كبارا وصغارا، أطفالا وشيوخا، رجالا ونساء، في العراء بدون أمتعة وملابس شتوية مناسبة، وكذلك إجبارهم على الهرب إلى الجبال العالية والاختباء في الغابات الكثيفة، وقضاء أيام بل اشهر في (الكهوف) و (المُغر)

الباردة جدا، كما كان يقضي المقاتلون المكلفون بالاستكشاف الليالي شديدة البرودة على رؤوس الاشجار لمراقبة تحركات الأعداء.

**وربما كان أصدق وصف لقسوة الطبيعة وشدة الأحوال الجوية في القفقاس هو الوصف الذي ذكره (فون فيل) في كتابه (السنة الاخيرة لحرب الشراكس) قائلا: "بعد انتهاء مهمتنا بدأ هطول المطر، ولم يعد ممكنا اجتياز الأنهار والأودية. أما الطرق الجبلية الزلقة في الأصل قبل هطول المطر فقد أصبح من المستحيل السير عليها بعد هطوله** والحقيقة أن الأمطار التي هطلت بغزارة غير معقولة، والسيل الذي انحدر في عتمة الليل سحب معه الناس والخيل والخيام، حتى وصلت إلى أسماعنا من التل المرتفع الذي نحن عليه أصوات عويل وصراخ وضجة هائلة، كان واضحا منها حدوث حالة من الذهول تسيطر على الذين كانوا في اسفل الجبل الذين داهمتهم السيول.

**واستطرد قائلا: "طلع الفجر، ولكن الجو كان سيئا جدا، والطرق مقطوعة، والمطر ما زال يهطل بغزارة. ففي النهار فقط استطعنا ان نرى الصورة المرعبة التي حدثت في الليل بسبب قسوة الطبيعة".**

**وأضاف قائلا: وكذلك فإن العواصف الثلجية كانت تكتسح المقاتلين الشراكسة المرابطين على الجبال وداخل الغابات. وعلى رؤوس الاشجار بدون ملابس مناسبة وبلا مأوى مناسب، حيث كان يتجمد كل شيء في الإنسان ... وكم من مرة وجدنا من المقاتلين المرابطين في الخطوط الأمامية متجمدين من انخفاض درجات الحرارة لأكثر من (١٥) درجة تحت الصفر".**

**وتابع وصفه لقسوة الاحوال الجوية بقوله: كان الوضع متوترا حتى أننا لم نستطع عمل شيء، فالبرد قد أصبح شديد الوطأة، وحراسنا يموتون باستمرار من شدة البرد، وحدث مرة أن وجدنا كل الحراس في فترة المناوبة قد ماتوا متجمدين** [٤٥].

**(٣) سياسة محاربة تسويق المنتوجات الزراعية والحيوانية والصناعية.**

استغل الروس حاجة الشراكسة لتسويق محاصيلهم الزراعية وثرواتهم الحيوانية وانتاجهم الصناعي اليدوي استغلالا بشعا حيث كان أول من تنبه إلى ضرورة استغلال حاجة الشراكسة إلى مبادلات تجارية، وتسويق منتوجاتهم الزراعية والحيوانية والصناعية هو الامبراطور (الاسكندر الاول) الذي صادق في تشرين الأول من عام ١٨١٢ على **(قواعد التجارة مع الشراكسة والاباظة)** وكانت هذه القواعد تؤكد رغبة الحكومة الروسية تقريب الشراكسة إلى الروس سلميا عن طريق التجارة، وذكرت هذه القواعد أنه **(بتأسيس هذه التجارة يمكن تدريب الشعوب الجبلية على منافع الحياة الاجتماعية والتعليم، وبالتالي التغلب على وحشيتهم)** وقد حددت الأنظمة الجديدة نقاط التجارة في (كيرتش)، حيث تم إلغاء الحجر الصحي والجمارك، وكذلك نقطة تجارة أخرى في منطقة (بوغاز)، وتم التأكيد على منافع إنشاء العلاقات التجارية مع شعوب ما وراء الكوبان، مثل الشراكسة والاباظة الساكنين على ساحل البحر الأسود[٢٢].

(٤) تشير الوثائق المتعلقة بالعلاقات التجارية بين الشراكسة والروس بأن المسؤولين الروس كانوا يهدفون من تقوية العلاقات التجارية مع الشراكسة عامة ومع القبرطاي خاصة أكثر من هدف وغاية يمكن إيجازها على النحو التالي:

**الهدف الأول هو: تحقيق التعاون السلمي مع الشراكسة:**

تشير بعض وثائق حرب القفقاس بأنه ظهر بين الجنرالات الروس من كان يعارض طرق الاحتلال الروسية القاسية وأحد هؤلاء هو الجنرال "رايفسكي" الذي كان يشغل منصب قائد خط ساحل البحر الاسود، وكان يدعو إلى التعاون السلمي مع الاديغة بوساطة زيادة التجارة وتحسين الأحوال المعيشية لهم. وفي تقريره حول الأوضاع السياسية للساحل الشرقي الذي قدمه في عام ١٨٤٠ إلى وزير الحربية، اوضح "رايفسكي" بعضا من أفكاره التي كانت تتعارض تماما مع الخط السياسي

الحكومي في مسألة القفقاس، وعند محاولته توضيح أعماله الموجهة للتقارب مع الاديغة كتب "رايفسكي" بأن منع التجارة مع الاديغة يعيق السلام معهم، ويشجع اعمال العصابات ويقوي من تأثير تركيا عليهم، وهذا يجعلهم يبحثون عن وسائل للاستقلال عن روسيا [٢٣].

**الهدف الثاني هو: استمالة الشراكسة من خلال تنفيذ أعمال تجارية معهم**

بالرغم من أن التجارة الروسية الشركسية في الكوبان وعلى ساحل البحر الأسود لم تكن ذات حجم كبير لأسباب داخلية وخارجية، إلا أنه كانت لها نتائج سياسية هامة، حيث إن بعض التجار الشراكسة أصبحوا وبسبب مصالحهم التجارية من ذوي الميول الروسية وكان الممثل التجاري الروسي هو "دوسكاسي" وكانت محطته التجارية الرئيسية عند مصب نهر (بشاد) في املاك الامير الشابسيغ "محمد اندار" وكان السكان المحليون يقابلون السفن التجارية الروسية القادمة إلى (بشاد) بكل ترحاب[٢٤].

**الهدف الثالث هو: تحسين مستوى معيشة شعوب وقبائل الشراكسة:**

كان من الأهداف المباشرة في مرحلة زمنية محددة، وخاصة عندما شعر القادة العسكريون الروس استحالة القضاء على الشراكسة عسكريا هو اللجوء إلى اكثر من طريقة او سياسة لاستمالة وكسب ود الشراكسة حتى لا تتاح لهم فرصة الانتفاضة عليهم. إلا أن المسؤولين والتجار الروس استغلوا الشراكسة تجارياً وتلاعبوا في علاقاتهم مع الشراكسة، ويتضح ذلك مما كتبه الجنرال (نقولاي) عام١٨٣٨ قائلا: "**وهذا ما حدث فعلا عندما حولت السلطات المدنية والعسكرية الروسية المحلية، التجارة مع الشراكسة إلى صفة (استعمارية استيطانية) إذ كان الموظفون والتجار الروس في الأسواق ونقاط الحدود التجارية يغشون دائما الشراكسة، بسبب المهارات التجارية التي يملكها الروس، ولا توجد لدى الشركس**

**مثل هذه المهارات، وكان الروس يبيعون للشراكسة بضائع ذات جودة رديئة وبأسعار خيالية ويأخذون من الشراكسة بضائع جيدة وبأسعار رخيصة [٢٥].**

**الهدف الرابع هو: وقف الإتجار مع دول الحلفاء (تركيا وانجلترا وفرنسا)**

شعرت السلطات الروسية القيصرية بأن دول التحالف تحاول التغلل بين سكان القفقاس عامة والشراكسة خاصة تحت مظلة التعاون التجاري، وان أعمال الجاسوسية لهذه الدول تستغل الأعمال التجارية لستار شرعي لأعمالهم التجسسية، بدأت السلطات الروسية تشعر بأهمية تقوية العلاقات التجارية معهم، واهمية ايجاد اسواق في روسيا القيصرية حتى لا تقتصر للاتجار مع دول الحلفاء.

**وقبل مرور وقت طويل اكتشف الأمراء الشراكسة والتجار والاقطاعيون بأن السياسة الروسية المتضمنة الانفتاح التجاري ما هي إلا سياسة مؤقتة وأنها تهدف فيما تهدف إلى استغلال الشراكسة تجاريا أولا، وأنها جزء من سياستهم العامة التي تهدف إلى استغلال كل وسيلة أو طريقة من شأنها التأثير على حياة القفقاسيين سلبا.**

# الفصل الخامس

## سياسة التحريض والخداع وأسلوب الدس والإيقاع والإغراء ومحاربة انتشار الدين الإسلامي في بلاد الشراكسة

**(١) سياسة تحريض الفلاحين وعامة الشعب للقيام بالثورة على أمرائهم ونبلائهم وكذلك اللجوء إلى سياسة خلق صراع طبقي داخل مجتمعات القبائل الشركسية ذات النظام الطبقي.**

استغلت الحكومات الروسية المتعاقبة الصراع الطبقي داخل المجتمعات الشركسية عامة ولدى القبائل التي كانت تتبع النظام الطبقي الإقطاعي خاصة وحاولت استقطاب الأمراء والنبلاء والإقطاعيين باستخدام الوسائل التالية:

* عدم المساس بممتلكات وحقوق الإقطاعيين الموالين للنظام القيصري في شمال القفقاس ومساعدتهم على مصادرة أراضي الأحرار والفلاحين المعادين للروس والسماح بضمها إلى ممتلكات الاقطاعيين.
* تكريم الطبقات الاجتماعية العليا من أمراء ونبلاء وأعيان الشراكسة لمنحهم الأوسمة وتقديم الهدايا لهم بهدف استمالتهم وتحويلهم إلى فئات مسالمة غير معادية للروس.
* معاقبة الاقطاعيين والأمراء والنبلاء المعادين لسياسة الروس بتحريض الفلاحين والعبيد للتحرر من تبعية الاقطاعيين عامة، والأمراء والنبلاء المناوئين للسياسة الروسية خاصة.
* كما كانوا يلجأون إلى الايقاع بين إقطاعيي مجموعة القبائل الموالية للروس مع اقطاعيي مجموعة أخرى معادية لروس [٢٦].

**(٢) سياسة اغراء واجتذاب عناصر من شباب الامة الشركسية للخدمة في جيش سلطات روسيا القيصرية:**

تشير الوثائق الروسية بأن الحكومات الروسية منذ القرن السادس عشر الميلادي تبنت سياسة استقطاب عناصر من الشراكسة للانخراط في الجيش الروسي وفق الاتفاقيات التي كانت تعقد بين الشراكسة عامة والقبرطاي خاصة، وبين

الحكومات الروسية القيصرية المتعاقبة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر عامة، وبالبحث حول أهم تلك الوسائل التي استخدمها الروس لاستقطاب واغراء مقاتلين من الشراكسة للانخراط في الجيش الروسي توصلنا إلى الحقائق التالية:

**الحقيقة الاولى:** تشكلت اول قوة عسكرية من الفرسان والمقاتلين الشراكسة في عهد (ايفان الرهيب) من الامراء والنبلاء الذين اخذهم كرهائن لضمان حسن تنفيذ الاتفاقيات مع الشراكسة من القبرطاي وتعمدوا (تنصروا) تحت اسماء روسية.. بالإضافة إلى الافراد من الشراكسة الذين كانوا يدينون بالديانة المسيحية أو الذين ارتدوا عن الاسلام واعتنقوا الدين المسيحي خاصة بعد انشاء مقاطعة (مزدوج).

**الحقيقة الثانية:** استطاع الروس الاحتفاظ بالاف من الضباط الشراكسة للعمل والخدمة في الجيش الروسي من خلال دفع رواتب مجزية لهم وصلت إلى ألف روبل لحملة رتبة لواء *.

**الحقيقة الثالثة:** ابتداء من عام ١٨٣٦ اتبعت القوات الروسية سياسة أخذ الاطفال الشراكسة كرهائن او كأسرى وإرسالهم إلى المدارس الروسية العسكرية واعدادهم عسكريا للعمل كضباط في الجيش الروسي.

**الحقيقة الرابعة:** منح الضباط من اصول شركسية رتباً عالية، وكذلك تعيينهم في مراكز قيادية عليا مثل الجنرال الشركسي الذي اعتنق المسيحية الامير (يكوفيتش جركاسكي) من عائلة (بايقوة او بيوقة) وكان (صديقا) ومساعدا للجنرال (يرمولوف) وكافأه على اخلاصه بمنحه منطقة قبردي الصغرى التي كانت تتألف من ثلاث إمارات وحرم بذلك الامراء الثلاثة الذين كانوا يملكون هذه الامارات من ممتلكاتهم كاملة. (٢٦)

* وردت هذه المعلومات في مذكرات الجنرال موس كوندوقوف الذي خدم في القفقاس مع الجيوش الروسية وهو من أصل شيشاني أو استيني.

**الحقيقة الخامسة:** تكريم المقاتلين الشراكسة الذين انضموا للجيش الروسي بضمهم إلى الحرس القيصري الخاص والمكون من الفرسان الشراكسة خاصة في عهد القيصر اسكندر الثاني. كما تم تكريم الجنرال تشيركاسكي بيكوفيتش (الشركسي بايقوه) قبرطاي الاصل، بتعيينه مساعدا لآمر القوات الروسية في القفقاس. كما كان الجنرال كوندوقوف آمر الجيش في منطقة شيشان. (٢٧)

**(٣) سياسة الدس والايقاع بين الشعب الشركسي وشعوب وقوميات قوقازية مجاورة لهم بهدف الاقتتال فيما بينهم:**

استخدمت السلطات القيصرية منذ عهد (كاترينا الثانية) سياسة الدس والإيقاع بين قبائل الشركسية وبين قوميات قوقازية أخرى، وكذلك الايقاع بين زعماء واتباع قبائل شركسية، مع زعماء واتباع قبائل شركسية اخرى، حيث كانت السلطات الروسية تحقق من خلال استخدام مثل هذه السياسات اكثر من هدف؛ منها:

١) منع حدوث تقارب او اتحاد بين القبائل الشركسية المختلفة من جهة وخلق كراهية وبغض بين بعضهم البعض.

٢) خلق عداوات مع قوميات وشعوب قوقازية أخرى من خلال الايهام بأن من قام بغارة أو هجوم او اعتداء هم من شعب او قومية أخرى فيما الحقيقة ان القوات الروسية او القوزاقية هي التي كانت تقوم بمثل هذه الغارات وتتهم بها قوميات قوقازية أخرى.

**وفيما يلي نماذج من سياسة التفرقة والايقاع التي استخدمتها السلطات الروسية خلال حربها ضد القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، وربما كان افضل وصف لهذه السياسة ما قاله احد كتاب الشراكسة:**

"في صيف عام ١٧٧٧م. وصلت إلى اسماع السلطات الروسية العليا، في موسكو وسانت بطرسبيرغ، أنباء مقلقة جدا مفادها: أن أمراء كبادرا جادون في سعيهم لتوحيد الأمم والشعوب القفقاسية، في جبهة واحدة للوقوف ضد روسيا".

وبدأت السلطات الروسية بجهد محموم لإبطال هذه المساعي، وانتشر الاعوان والعيون، في كل الانحاء وبدأوا يطلقون الإشاعات والأقاويل المغرضة ضد أمراء كبادرا وصرفت الأموال لفك ارتباط الشعوب والجماعات الصغيرة بإمارة كبادرا، وأمرت الإمبراطورة "كاترين" بتفعيل سياسة "فرق تسد" إلى أبعد مدى ممكن، وتم تشكيل وحدات ميدانية من الروس ومن المرتزقة، اخذت تشن الغارات المفاجئة تحت جنح الظلام ضد البلدات والقرى الشركسية الآمنة، تذبح وتقتل السكان المدنيين دون رحمة او شفقة، وعند الانتهاء من جرائمها كانت تتعمد ترك آثار مخلفات مادية توهم بأن الفاعلين هم (النوغاي) مثلاً وكأنهم المنفذين لهذه الغارات. ويرد القبرطاي بقسوة، ويهاجمون تجمعات (تتار النوغاي) وغيرهم القاطنين في السهوب الشمالية، وتدور بينهم معارك طاحنة ظنا منهم بأنهم هم المعتدين وليس الروس أو القوزاق.[٢١]

**(٤) سياسة الخداع وتقديم الوعود الكاذبة للامراء والنبلاء الشراكسة:**

نستنتج من وقائع واحداث تاريخية عن خداع الروس ومحاولتهم التخلص من الشراكسة الموالين وغير الموالين للروس باختلاق الاكاذيب ومن أمثلة ذلك الوقائع التالية:

حاول بعض الامراء والنبلاء الاستيضاح من الحاكم الروسي "ايمانويل" حول ما سيتم من إجراءات ضد اولئك الذين لم يرضخوا للسلطة الروسية، ولكنهم لم يرفعوا السلاح ضدها. وكان الجواب على ذلك في الكتاب الذي أرسله إلى زعيم القوزاق "بيسكروفني" يخبره فيها بأن يوعز بشكل سري إلى (أديغة ما وراء

الكوبان) ان لا يخافوا من الروس إذا لم يقاتلوا مع الاتراك لأن هذه الحروب هي بين الروس والاتراك ولا تخص الاديغة الشراكسة.

وبعد انتهاء الحرب الروسية / التركية قام "ايمانويل" نفسه بهجوم مركز على الشراكسة عامة دون تمييز بين المحايدين وغير محايدين، نتج عنها قتل العديد من الشراكسة وتدمير قرى شركسية عديدة.

وكذلك خاطب قائد القوات خط الكوبان والبحر الاسود الجنرال "ايمانويل" نفسه "الاديغة" بقوله: "**إنني أعلن لكل أتباع الامراء الذين يقاتلون ضد الاتراك معنا أو لا يقومون بأعمال سطو في منطقة القفقاس والبحر الاسود بأنني سأكون حاميا لهم اذا وصلت القوات الروسية إلى خط القفقاس**"، وعلى اثره قام بعض زعماء الاديغة بإعلان ولائهم للروس. وبعد سقوط (أنابه) كانت القيادة الروسية مقتنعة أن شعوب ما وراء الكوبان ستكون مضطرة للاعتراف بالولاء لروسيا وفي اعلان ثان من قبل الجنرال "ايمانويل" طلب من كل (الاديغة) إعلان الولاء دون قيد او شرط لروسيا، وإذا رفضوا ذلك فإنه سيتخذ ضدهم اجراءات قاسية، وعندما رفض بعض نبلاء الناتخواج إعلان ولائهم أرسل قوات كبيرة إلى قرى النبلاء الرافضين، وقامت بتدمير ست قرى منها، كما تعرض عدد كبير من قرى الشابسيغ لنفس المصير. (٤٣)

في ٢ آذار من عام ١٨٤٤ ارسل الامبراطور نيقولاي الاول إلى القبرطاي رسالة اشار فيها إلى الحماس الدائم وإخلاص القبرطاي للعرش وخاطبهم قائلا باسم الرب الرحيم:

"نحن نيقولاي الاول إمبراطور وحاكم عموم روسيا وغيرها.. إلى رعايانا المخلصين من السكان القبرطاي، إن الحماس الدائم والاندفاع، والإخلاص الذي اظهرتموه باستمرار، والاستعداد لحمل السلاح ضد اعدائنا في الجبال لفت نظرنا واهتمامنا الخاص".

"وتقديرا لذلك وببركتنا الكلية نمنح السكان القبرطاي علما فخريا كمؤشر على الرعاية الملكية الخاصة، وعليهم عندما تقتضي الحاجة ان يقدموا المتطوعين لمحاربة الشعوب التي لا تخضع لنا. مع مزيد من مباركتنا لشعب القبرطاي".

إلا أنه كان أول من هاجم منطقة القبرطاي ودمّر قراهم وقتل أطفالهم ونساءهم وكبار السن منهم هي قوات نيقولاي الأول نفسه.

في عام ١٨٤٥ ولي على القفقاس الأمير ميخائيل سيميونوقيش فورنتسوف الذي وعدهم قائلا:

"... إن دينكم وعاداتكم وشريعتكم واراضيكم وكل املاككم التي حصلتم عليها بجهدكم، لن يمس بها أحداً وستكون لكم وحدكم ملكا خالصا، وستبقى الامور بلا أي تبديل". (٤٤)

وبالرغم من هذه الرسائل الرقيقة في الظاهر، وتلك الوعود الموثقة رسميا، تتبخر قبل مرور سنة على تقديمها بتوقيع الامبراطور شخصياً، حيث شنت القوات الروسية عشرات الهجمات على شعب القبرطاي في الاعوام ١٨٤٦ و ١٨٤٧ نتج عنها تدمير كامل للعديد من القرى وقتل المئات من المقاتلين الشراكسة والسيطرة على مقاطعة القبرطاي بأكملها.

**(٥) سياسة محاربة انتشار الدين الاسلامي واللجوء لسياسة التبشير للديانة المسيحية داخل المجتمعات الشركسية المسلمة في الوطن الام:**

استخدم الروس شتى الوسائل للضغط على الشراكسة المسلمين عامة، وشيوخهم من رجال الدين خاصة، بقصد التقليل من تأثيرهم على عامة الشعب أو بهدف تقييد حرية ممارسة الشعائر الدينية والضغط عليهم للهجرة أو إعادة تنصيرهم وكانت اكثر الوسائل استخداما لها هي:

**١- سحب الصلاحيات القضائية والادارية من رجال الدين المسلمين**

في المناطق التي احتلتها روسيا، وبعد تطبيق القوانين والانظمة الروسية، وجد رجال الدين انفسهم بعيدين تماما عن الشؤون المدنية، واصبحت جميع الصلاحيات القضائية والادارية تحت سيطرة السلطات القيصرية، وقد أنقص نظام الحكم الجديد كثيرا من صلاحيات رجال الدين المسلمين، وانخفض دخلهم المادي كثيرا، وضاقت دائرة تأثيرهم على الأمور المدنية، وأدرك رجال الدين أن السلطات القيصرية تحاول عزلهم عن السكان، فخافوا على مصيرهم ومصير الدين الإسلامي، فانقلب القسم الأكبر منهم ضد سلطات القيصرية، وبدأوا بأعمال نشطة ضد النظام القيصري الاستعماري وبدعم من الأمراء والنبلاء المعادين للروس.

**٢- وضع قيود على الشراكسة الراغبين في اداء فريضة الحج والعُمرة:**

وضعت السلطات القيصرية على الحجاج القفقاسين المتوجهين إلى (مكة المكرمة) و (المدينة المنورة) قيوداً فاشترطت عليهم حمل جوازات سفر روسية، ووضع هذا القيد كان لأكثر من سبب (وحجة)؛ الاولى منها هو منع الذهاب إلى الأماكن الإسلامية المقدسة لأن الحجاج يصبحون أكثر تعصبا ضد المسيحية وضد روسيا عند عودتهم إلى بلادهم.

والثانية: هو الخوف من نقل الحجاج الامراض والاوبئة إلى القفقاس.

وأما الثالثة: هو الخوف من تزايد اعداد الشراكسة المتعاونين مع الاتراك.

**٣- التراجع عن مقاومة انتشار الدين الاسلامي ومهادنة رجال الدين وتقديم تنازلات لرجال الدين وتمثلت هذه التنازلات بما يلي:**

وفي مراحل لاحقة، وبعد ان شعرت السلطات الروسية بخطأ اساليب التعامل مع رجال الدين بادرت إلى تعيين العميد "ديلبوتسو" مديرا لمنطقتي (قبرطاي الكبرى) و (قبرطاي الصغرى) وتمت إقامة محكمة دينية روحية في عام ١٨٠٧ وأدى إنشاء المحكمة الروحية إلى زيادة السيطرة السياسية للإقطاعيين

ورجال الدين بشكل خاص، كما زاد تأثير رجال الدين المسلمين على الحياة الاجتماعية والسياسية لمجتمع القبرطاي الاقطاعي، وقد استعمل رجال الدين لدى القبرطاي شعار (مساواة كافة المسلمين) فزادت سلطتهم وتأثيرهم بين جماهير الفلاحين والذين كانوا يأملون تطبيق الشريعة ليتحرروا من سيطرة الاقطاع الشركسي والاستعمار الروسي معا.

**(٦) الكشف عن النوايا الحقيقية للسلطات الروسية القيصرية بعد تحقيق انتصارات عسكرية على مختلف الجبهات الشركسية**

وفي السنوات الخمس الأخيرة من (حرب الابادة والدمار) كشفت السلطات الروسية عن نواياها الحقيقة باستغلال (العقيدة الدينية) في الضغط على الشراكسة لإلقاء السلاح والاستسلام، ويتضح ذلك من تهديد القيصر (نقولا الاول) للشراكسة بقوله: **امامكم خيار واحد من ثلاثة:**

- **الهجرة إلى الدولة العثمانية أو**
- **التنصّر واعتناق المسيحية أو**
- **الموت والهلاك** [٢٧].

**كما اتبعت السلطات الروسية اكثر من طريقة لإعادة نشر الديانة المسيحية بين شعوب الامة الشركسية عامة والقبرطاي خاصة ومن هذه الوسائل:**

*** سياسة التبشير للديانة المسيحية:**

بدأت سياسة التبشير في بلاد الأستين اولا، وذكرت التقارير المقدمة من قبل الهيئة التبشيرية في بلاد الأستين، انه في الفترة من عام (١٧٤٤ إلى عام ١٧٦٦) قد تنصر ما يزيد على ٢٠٨٥ شخصا من الرجال والنساء الشراكسة، فلم ير بطرك استراخان بدا من التصريح بأن الديانة المسيحية في تلك الأماكن لم تزل في البداية بسبب اهمال الرهبان الموكول إليهم الامر، وعدم قيامهم بالواجبات التبشيرية الملقاة على عواتقهم.

وكانت الحكومة الروسية ومنذ مطلع عام ١٧٦٠ قد شرعت في بناء الحصون عند نهري تيرك وكوبان، وكانت هذه الخطوة اساسية في تاريخ انضمام بعض امراء القبرطاي إلى روسيا، كما تم بناء الحصن الاول عند (مزدوك) في عام ١٧٦٣ والتجأ إليه احد امراء القبرطاي الصغرى (كورغوقة كوغولجين) إلى مزدوك واعلن اعتناقه للمسيحية مع جميع من هم تحت سيطرته، وانتقلوا إلى الطرف الآخر من نهر تيرك، عند ضواحي مزدوك المنعزلة. وانتبه القبرطاي إلى خطورته كموقع حصين موجه ضدهم، لهذا عارضوا بكل قواهم بناء هذا الحصن هناك وطالبوا بهدمه، حتى انهم ارسلوا لهذا الغرض وفدا خاصا إلى سان بيتزبورغ في عام ١٧٦٤، ولم تستجب الحكومة الروسية للقبرطاي فيما يخص الامور الاساسية وإنما حاولت بكل السبل تهدئة خواطرهم بخصوص هذا (الحصن).

واستغل كل من الاتراك وخانات القرم قلق القبرطاي من خطورة بناء حصن (مزدوك) وحاولوا تأجيج روح العداوة ضد روسيا، بينما كانت روسيا تضاعف من قواتها هناك.

وفي عام ١٧٦٤ تأسست في مزدوك مدرسة تبشيرية لتدريس أطفال القوقازيين، إلا ان القائمين عليها لم يهتموا بإدارتها كما يجب، وكان ذلك سببا رئيسيا في تأخر انتشار الديانة المسيحية في تلك المناطق وكان من أسباب فشل هذه المدرسة هو عدم اتفاق الرهبان، إذ كانوا يتنافسون فيما بينهم، وبذلك يعرقلون تقدم المدرسة ونجاحها حتى بلغ القيصر ما كان من امرهم، فاستاء واصدر ارادته بلزوم الاهتمام بالامر واعادة تنظيم هذه المدرسة.

إلا أن السياسة التبشرية لم تتقدم كثيرا في بلاد القبرطاي وبلاد الاستين، ومنعت المبشرين الروس من البقاء والاقامة في البلاد القوقازية لمتابعة اعمالهم، حتى اضطروا إلى العدول عن فكرتهم كليا، وبحلول عام ١٧٦٩ أصبحت حالة المبشرين على أسوأ ما يكون، كما ان (الكوباشين) الذين كانوا يعملون في بلاد

الاستين منذ سنة ١٧٦٥ لم تثمر، بفضل التدابير المتخذة ضدهم من قبل القوقازيين عامة والشراكسة خاصة. [٢٨]

**(٧) سياسة اعادة التنصير والتعميد:**

اتبعت الحكومات الروسية القيصرية المتعاقبة اكثر من طريقة لتنصير الشباب والاطفال الشراكسة منها:

١- اخذ رهائن من أبناء الأمراء ومن ابناء الارستقراطيين والاقطاعيين الشراكسة القبرطاي عند توقيع كل اتفاقية تعاون بين الروس والشراكسة عامة والقبرطاي خاصة، بحجة ضمان حسن تنفيذ تلك الاتفاقيات، وكانت السياسة المتبعة في مثل هذه الحالات هو (تعميد) الرهائن واعطاؤهم أسماء مسيحية بمجرد وصولهم إلى موسكو.

٢- منح امتيازات معنوية ومادية للشراكسة الذين يهربون إلى المناطق الروسية بقصد (التنصير) مثل اعطائهم رتباً والقاباً مدنية وسياسية وتعيينهم في مراكز ذات مدخول مادي كبير، وكذلك إلحاقهم بالجيش، ومنحهم رتباً عسكرية عالية، حيث إن العديد منهم وصلوا إلى رتبة لواء.

٣- أخذ أطفال الشراكسة أسرى وإدخالهم بالمدارس العسكرية بعد (تعميدهم) ليتخرجوا منها ضباطا [٢٩].

# الفصل السادس

## سياسة استقطاب كبار الكتاب لنشر الأكاذيب واستخدام الجواسيس لاكتشاف الطرق والممرات البرية ورسم خرائط طوبوغرافية لبلاد الأمة الشركسية

**(١) سياسة استخدام كبار الكتاب لنشر الأكاذيب:**

لم تترك السلطات الروسية (شاردة ولا واردة) يمكن أن يكون في استخدامها اساءة للشراكسة او التأثير على معناوياتهم ونفسياتهم، حيث لجأوا في نشر قصص وبيانات ومعلومات غير صحيحة عن الشراكسة ووصفتهم بالوحشية والبربرية وانهم غير حضاريين .

ومن الوسائل التي استخدمتها السلطات الروسية ضمن سياستها الرامية إلى الضغط على الشراكسة أنفسهم، والتشكيك بقيادتهم وزعمائهم، أو التأثير على نفسيتهم ومعنوياتهم هي وسيلة (الكتابة) حيث تنبهت تلك السلطات إلى أهمية استقطاب كبار الكتاب والشعراء والمؤرخين من روس وأجانب في نشر قصص تسيء للامة الشركسية وتضلل الرأي العام العالمي:

والباحث في الادب الروسي / القوقازي، يجد بأن الروس تمكنوا من استقطاب كبار الكتاب من امثال (بيرجيه) المؤرخ الرسمي للهجرات الشركسية (وتولستوي) والشاعر (بوشكين)، بالإضافة إلى الكتاب الذين كان يعج بهم البلاط الروسي من الكتاب والمرتزقة والمستشارين، يعدون بالعشرات ومن مختلف الجنسيات من أمثال كوبيفر، كاربونيفير، بوتو، ومن الضباط كلوجناو، تودلبين، فريتاغ، باولوتشي، باسكفيتش، وهيرمان وعشرات غيرهم.

**وعندما دخل (يرملوف) غرفة الانتظار لمقابلة الامبراطور سأل الحضور ساخرا، هل لي أيها السادة ان أسأل إن كان أي منكم يتكلم الروسية** [٣١]؟

وكان من الأهداف المباشرة وغير المباشرة من استخدام هؤلاء الكتاب هو إظهار القوقازيين (الجبليين) عامة والشراكسة منهم خاصة، بأنهم متوحشين وفقراء وكسولين وليس لهم أي اقتصاد متطور او حضارة متطورة، وانهم كانوا يعيشون على السلب والنهب. وكانت هذه الادعاءات تُصدّر للعالم لتمجيد الدور الروسي

المزعوم في جلب الحضارة للقوقازيين عامة والشراكسة خاصة ولتبرير الاستعمار الروسي لبلاد الشراكسة.

وربما كان خير من عبر عن الدور الخطير الذي قام به هؤلاء الكتاب هو (لنين) بعد قيام الثورة البلشفية في قوله: "اراد الشركس ان يبرموا صلحا مع القياصرة في أوقات كثيرة، ولكن تعنتهم وجبروتهم فوّت الكثير من الفرص".

**وفيما يلي نماذج مما كتبه بعض الكتاب (المأجورين) وبعض كبار الكتاب (المخدوعين) وعلى رأسهم (تولستوي) الذي كتب في بداية حياته قصة عنوانها (اسير القفقاس) وهي قصة** تدور احداثها في القفقاس، وقد أطلق عليها الكاتب اسما سياسيا (اسير القفقاس) وتدور احداثها حول ضابط روسي اسمه (جيلين) كان له ام عجوز، تتمنى ان تزوجه قبل ان تموت وترسل الأم العجوز رسالة لابنها تقول فيها "وجدت لك عروسا عاقلة، حلوة، ولها ضيعة ايضا، وقد تعجبك، وتتزوجها لتبقى عندنا نهائيا، ويقرر "جيلين" بعد هذه الرسالة ان يطلب اجازة ليذهب لأمه إلا أن جيلين يقع في كمين بعد ان يبتعد عن وحدته (ويحدث جيلين نفسه) قائلا: أنا اعرفكم ايها الشياطين اذا امسكتم احدا حيا، حبستموه في حفرة، وهرأتم جلده بالسوط، فلن استسلم حيا.

ومن هذا المقطع يبدأ اللاوعي الباطن المشتق من ايديولوجيا الروس الابادي، يبدأ هذا (اللاوعي) برسم صورة للعدو (الجبلي) ويقصد به (القوقازيون عامة والشراكسة خاصة).

"وفي الأسر يتعرف جيلين على الفتاة (دينا) ذات الثانية عشر ربيعا وهنا نرى النظرة للأخير الذي لا تنظر إليهم كبشر وانما كشيء خارج حدود الحياة البشرية وهذا أمر ضروري من أجل قتله او طرده وتصفيته.

يطلب (الجبلي) منه ان يرسل لأهله ليدفعوا ثلاثة الاف روبل كفدية له، لكنه يرفض ويقرر ان يهاجمهم وهنا يصور الكاتب (تولستوي) الضابط الروسي شجاعا حتى وهو في الاسر، فيقول (جيلين):

"قل لهذا الكلب، لن أدفع روبلا واحدا ولن أكتب لأهلي، أانا لم أخف، ولن أخاف منكم يا كلاب".

هنا يتراجع الجبلي ويقبل بألف روبل فدية، إلا أن جيلين يرفض، ويلاحظ من هذا الرفض بأن الكاتب "تولستوي" حاول ان يرسم صورة للضابط الروسي وهو واثق فقد رأينا كيف شتمهم وهو على بيّنة من انه سيهرب، ويبدأ بتمضية وقته بصنع اشياء تبهرهم، فيصنع (دمية) فتركض ابنة (دينا) وتخطفها وتهرب بها (ودينا) هي الطفلة التي لم تشوه بعد بثقافة اهلها المتوحشين فقط لأنها طفلة.

ويتطلع في اليوم التالي، فيرى (دينا) تخرج على عتبة بيتها عند الفجر تحمل (الدمية)، وقد زينتها بالخرق الحمراء، وتهدهدها كالطفلة، وتترنم لها بلغتهم الشركسية، خرجت امها العجوز، وشرعت تقرعها واختطفت الدمية منها وحطمتها وارسلت (دينا) لاشغالها عن الدمية.

لكن الضابط الروسي المتحضر لا ييأس فيحاول مرة أخرى نشر الحضارة بين هؤلاء المتوحشين، لذلك يصنع(دمية) اخرى ويعطيها (لدينا)فتبدأ الصغيرة بالتعاطف معه، فتحضر له الحليب مرة بعد مرة وتكتشف أنه لطيف ثم جلبت له لحما، ويبدأ الروسي بإظهار مهاراته الحضارية، ويصبح محور حياة القرية والجوار، وعندما مرض احد الجبليين الشراكسة استدعوه ليشفيه، فجاء بالماء والرمل وخلطهما وقرأ بعض الكلمات على الماء واعطاه ليشربه المريض، وشفي المريض لحسن حظه، حاول الهرب إلا أنه ألقي القبض عليه ووضعوه في حفرة وحضرت (دينا) بعد حين لتخبره ان اهلها سيقتلونه لأنه روسي وتساعده على الخروج من الحفرة باعطائه عصاً طويلاً ليستعملها في الخروج. وبعد ذلك يطلب من (دينا) ان

تعيدها إلى مكانها كي لا يضربوها، "فحتى في اصعب الظروف لا ينسى انسانيته" وتساعده (دينا) بفك القيد، وقبل ان يغادرها لا ينسى ان يذكرها بفضله عليها بقوله "من يصنع لك الدمى بعدي، ومسح على رأسها وهرب" (٣٧).

ودارت الايام ووقع فعلا (تولستوي) نفسه اسيرا في قبضة حفيد (الشيخ منصور) بعد ان ابتعد (تولستوي) عن أسوار الحصن الذي كان يحتمي به مع الجيش الروسي، حتى احس بأن حبلا يطّوق رقبته، واقتيد اسيرا وطلب المقاتل الذي اسره منه عشرين قطعة ذهبية مكافأة له لكون أسيره من رتبة ضابط، ولأنه أتى بأسيره سالما حيا دون ان يصبه بجراح، ثم طلب قطع يد الأسير اليمنى حسب مذهب (المريدية) وكان على الزعيم (سعدو) أن لا يرد طلب (الآسر) وهو حفيد الشيخ منصور قائد القوات اتحاد القوقازيين آنذاك، ولكن الزعيم (سعدو) في هذه المرة لم يطاوعه قلبه في تطبيق العقوبة المتبعة على الضابط المذكور، فأمر باخلاء سبيله سالما فنجا (تولستوي) من العقاب لأنه في مقتبل العمر أولا، ولأنه كاتب وليس مقاتلاً ثانيا، دون ان يعرف (حفيد الشيخ منصور) بأنه الكاتب تولستوي لأنه لم يكن بعد اصبح كاتبا مشهورا .

فهذا التصرف الانساني الموضوعي من (حفيد) الشيخ منصور هو اكبر جواب على ما جاء في قصة تولستوي (أسير القفقاس) بأن القوقازيين (الجبليين) متوحشون وأنهم غير متحضرين، وانهم لا يستحقون العيش في مناطق جميلة مثل منطقة القفقاس.

**أما النموذج الثاني من نماذج استغلال الكتاب والشعراء العظام** هو ما قاله الشاعر (بوشكين) الذي تغنى بأعمال وافعال الجنرال (يرمولوف) الذي كان يلقبه القوقازيون بالشيطان (المسكوبي) والقائل: "إن صدى اسمي الرهيب يجب ان يكون كفيلا بحفظ حدود بلادنا الشاسعة وهو الذي اعتبر سيفه هو القانون الذي يجب ان يؤمن به القوقازيون، وان الحلم واللين في نظر الآسيويين / القوقازيين معناهما

الضعف واعتبر نفسه إنساناً خالياً من كل ضعف انساني وانه قاس لا يعرف الرحمة).

كما قال الشاعر (بوشكين) الصديق الحميم للجنرال (يرمولوف) في إحدى قصائده:

"احن رأسك المثقل بالثلج يا قوقاز خضوعا.. لقد انتهى كل شيء... لقد جاء يرمولوف" (٣٨).

**إلا أن بوشكن في مرحلة لاحقة تراجع عن موقفه المؤيد للحرب القوقازية نتيجة تمادي السلطات الروسية وارتكابها الأعمال البربرية والوحشية، ووصفه بأنها كانت مثالا للقوة والغلظة وارتكاب الأعمالا الوحشية.**

إن الباحث في مواقف كبار الكتاب والشعراء من حروب الابادة والدمار التي شنّها القياصرة الروس على مدى اكثر من (ثلاثمائة عام، منها مائة وخمسون عاما كانت حروباً متصلة).. يجد بأن السلطات الروسية استطاعت تضليلهم وخداعهم، إلا أن معظمهم تنبهوا لهذا الخداع، وقاموا بفضح وحشيتهم وبربريتهم.

**واما النموذج الثالث في سياق توظيف كتابات كبار المؤرخين**، هو ما كتبه (بيرجيه) المؤرخ الروسي الرسمي لتاريخ هجرات (طرد) القوقازيين.. قائلا بأن طرد (الجبليين) كان ناتجا عن (الزعزعة) الدائمة، وأنه لم يكن بالإمكان تهدئتهم، فما كان أمام السلطات الروسية أي خيار واحد من ثلاث خيارات؛ إما **قتلهم عن آخرهم، أو تهجيرهم من الجبال إلى الأماكن المنبسطة، او تهجيرهم إلى تركيا، لأنهم لا يستحقون العيش في مناطق القفقاس الجميلة، الحصينة، الغنية بمصادرها**(٣٩).

**نستنتج مما تقدم مدى استغلال السلطات الروسية لكل ما يمكن ان يسيء للشراكسة ومدى التأثير على كبار الكتاب والشعراء، والمؤرخين وحملهم على تزييف الحقائق باتهام القوقازيين عامة والشراكسة خاصة بأنهم شعب لا يعرفون**

**القانون والنظام، وانهم بدائيون ومتوحشون وغير متحضرين، وانهم شعوب كسالى لا يحبون العمل.. وان لا عمل لهم إلا السلب والنهب والقتل.. الخ وان كتابا عديدين وعلى رأسهم (تولستوي وبوشكين) تراجعوا وقالوا الحقائق ونقضوا كل ما كتبوا سابقا عن القوقازيين عامة والشراكسة خاصة.**

فتولستوي مثلا نجده في العديد من مؤلفاته اللاحقة ينتقد وحشية الروس في حربهم ضد الشعوب القفقاسية الروسية ويصفها بأنها (جرائم ضد الانسانية) [٤٠].

وكذلك فإن كتابا معاصرين عارضوا ما كتبه كتاب وشعراء روسيا القيصرية في كتاباتهم حول الشعوب القفقاسية وفي وصفهم بأنهم جبليون. ومتوحشون.. وبدائيون.. وغير حضاريين.. الخ وعلى رأس هؤلاء الكاتب (يا. ابراموف) والكتاب (د. م. محمدوف) و (ح. م. حاشايف) و (ت. ح. قوميتوف) وغيرهم حيث أكدوا بأن شعوب جبال شمال القفقاس كانوا يتميزون بحبهم للعمل، وكان اهتمامهم الرئيسي ينصب على الزراعة وتربية الحيوانات والصناعات اليدوية[٤١].

وربما كان خير من كتب عن ذلك هو (أبراموف) في كتابه (القوقازيون الشراكسة) نقتبس منه الفقرة التالية: "فإننا يجب ان نعترف بأن الامة الاقل حضارة، والاقل حبا للعمل هي الامة الروسية بالذات، لقد تحدثت عن تمليك املاك شاسعة في القفقاس الغربية للروس، تلك الاملاك التي كانت مغطاة ببساتين وكروم ومراع وحقول أنشأها السكان الجبليون، مثل هذه الظاهرة لاحظتها ايضا في منطقة (التيرك) ومن هذه السنوات الثلاث التي قضيتها في هذه المنطقة، وقسما منها في مدينة نالتشيك، وفي مركز سكن روسي آخر ايضا، وكما قضيت بعض الوقت في قرية شركسية في وسط قبرطاي الكبرى، وحدث أن رأيت بنفسي **كيف ان الروس ودون أي خجل كانوا يتلفون غلال المزروعات للقبرطاي التي بذلوا من أجلها جهد عدة سنوات. وبالقرب من نالتشيك ذاتها يوجد ما يسمى ببستان (أتاجوق)**

**حيث بقيت منه اشلاء بائسة، ولقد كان هذا البستان من تلك البساتين الكبيرة التي لا يمكن ان نجد لها مثيلا، إلا في القفقاس. لقد كان هذا البستان عبارة عن غابة وكان يتألف من جزأين. وكان الجزء الاول يتألف من مسطبة نصف دائرية وتنحدر انحدارا شديدا نحو الوادي والجزء الثاني هو الوادي ذاته الذي يجري فيه نهر نالشتك. وكانت المسطبة مقسومة بشكل فني إلى عدة مساطب صغيرة وكل واحدة منها بدت على شكل نصف دائرة، وارتفعت فوق الاخرى على شكل مساطب ايضا.**

**وبعد ان استولت عليها السلطات الروسية حل بالبستان منظر مختلف تماما، فالقناة مهملة والكروم لا تخدم، وأغصان كروم العنب التي اصبحت برية لعدم رعايتها تقطع لإطعام القطعان مثله مثل العشب الذي نمى في المساطب، والأشجار المثمرة الأكبر عمرا، قُطعت للوقود، واما ممرات البساتين المغطاة من جانبيها بالزيزفون والاكاسيا فهي مضروبة دون رحمة، وأنا شخصيا كنت شاهد عيان على اتلاف بقايا هذه الممرات المغطاة من جانبيها، وحين سألت احد هؤلاء الروس الذين يُدعون بالمثقفين، الذي قطع كثيرا من اشجار الزيزفون والاكاسيا كيلا يشتري حطبا قائلا له: ألا تشعر بالسوء من هذا العمل الذي تقوم به؟ أجاب: (يجب على هذه الاشجار ألا تنمو هنا).**

وقد قطعت اكثر الاشجار الكبيرة التي كانت تدخل في تركيبة الدائرة العجيبة في البستان والباقية فقدت اغصانها واصبحت نصف ذابلة، وفي الوقت الحالي فإن "بستان اتاجوق" أصبح عبارة عن اراضي واسعة مهملة، حيث نمت فيها شجيرات الكرز والاشجار الشائكة والاعشاب الضارة، وبقي في بعض الاماكن اشجار كبيرة، تذكر بالحضارة الشركسية التي كانت سائدة هنا.. ولا شك ان مستقبل آثار هذه الحضارة القديمة بات مزعزعا".

واستطرد أبراموف قائلا: "وعلى مسافة سبعة او ثمانية فراسخ من بلدة (نالتشيك) إلى اعالي النهر المسمى بالاسم نفسه كانت توجد قرية شركسية، وكان لها بستان رائع. وكانت مساحته تفوق مساحة "بستان اتاجوق" بعدة اضعاف، وهذا البستان قد تعرض للسرقة من قبل الروس بالطريقة نفسها. وهو الآن في حالة أفظع من حالة "بستان اتاجوق".

كما يستطرد (ابراموف) قائلا:

"وهكذا هي الحضارة الروسية، ويمكن رؤية نماذج هذه الحضارة في منطقة (التيرك) ويجب على الاشخاص الذين يتكلمون عن عدم وجود حضارة (للجبليين) وعدم كفاية حب العمل لديهم أن يركزوا انتباهم على هذه الحقائق، وعلى حقائق أخرى غيرها، تبين مستوى الحضارة (لدى) القفقاسيين الذين وصفوهم بالمتوحشين، ومن هذه الحقائق هي:

تربية الماشية عند (الجبليين) بشكل عام، وعند (القره شاي) بشكل خاص، والذين تمكنوا من تربية قطعان كبيرة من الابقار في المرتفعات التي لا يمكن الوصول إليها في سفوح جبل البروز، وفي ري أراضي القوموق وعند الشيشان جزئيا، وخاصة فيما وراء القوقاز، هذا الري الذي لا يمكن للروس ان ينفذوه بالرغم من استعمالهم التكنيك العلمي ورأس المال (الكبير)، ثم الانتشار الواسع للصناعات الحرفية بين الجبليين، ومنتجات الصناعات الحرفية المحلية البديعة من الصوف والحرير والمعادن.

**وفي نهاية حديثه اكد (ابراموف) على حقيقة يصر على ذكرها إحقاقا للحق، وهي أن القفقاسي/ الشركسي، يصنع لنفسه أرضا على الصخور العارية بجهده وبالعرق وبالدم... ويرتبط بأرضه بلهفة وشوق.. وعندما يضطر لترك ارضه ويرحل إلى (تركيا) حيث الالام والعذاب، فإن رحيله لا يكون بسبب كسله كما كان يدعي الكتاب السابقون وعلى رأسهم المؤرخ (بيرجيه) الروسي** [٤٢].

**(٢) سياسة استخدام الجواسيس في تحقيق انتصارات عسكرية وسياسية:**

كان الروس قد أرسلوا احد (التراجمة) إلى بلاد الكرج سنة ١٥٨٧ بغية التجسس واستكشاف أحوال تلك البلاد، وبعد ان مكث هذا الجاسوس عدة سنين في تلك البلاد، رجع إلى روسيا سنة ١٥٩٤ ومعه سفير ملك الكرج اسكندر، وسفير آخر لأحد أمراء الجركس، فطلب هذان السفيران فور وصولهما أن يقبلهما القيصر كأتباع له.

وفي عام ١٧٧٦ بدأت الاعمال التجسسية العسكرية، حيث قام الجاسوس الروسي جولدن شتادت Coulde Stadt اثناء سياحته في ولايات ساحل البحر الاسود برسم خارطة سميت باسمه.. وكانت هذه الخارطة هي المرشدة لرسم خطط السلطات الروسية في قتالها مع الشراكسة، حيث رسم في هذه الخارطة معالم الطريق الجنوبي بين (انايا وتسمز)، وهي الطريق المعروفة باسم "الطريق الجنوبي" – نسبة إلى تجار جنوا، فقد سلكت الجيوش الروسية هذا الطريق التي لا بد للمرتحل عليها، من أن يمر عبر الممر المعروف باسم " ممر الموت" – وهو ممر صخري ضيق، يشرف على هاوية سحيقة.

هذا بالإضافة إلى استخدام العشرات بل المئات من الجواسيس من مختلف القوميات الروسية منها والقوقازية ومنهم قلة قليلة من الخونة من أصل شركسي، وهم الذين طلب الأمير (محمد ميرزا انزور) بقتل (١٦) عميلا متعاونا مع السلطات الروسية عام ١٨٤٣.

## مراجع ومصادر فصول الجزء الثاني من المجلد الثالث

1- Gean Carol – Les Deux Roules du Cauease, Paris, 1899 .
٢- قاسوم ، علي حسن، وحسن علي، مصدر سابق، ص: ٣.
٣- مجلة الاخاء الأردنية الشركسية، مصدر سابق، العددان ٨٩ – ٩٠ ص: ٤٢.
٤- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٦٩-٧٠.
٥- مامخيغ، رايا ، مصدر سابق، ص٥٩-٦٠.
٦- ارسلان، مخوص، مصدر سابق، ص: ٣٢-٣٣.
٧- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص٢٠٥.
٨- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ١٥-١٦.
٩- مخوص، ارسلان، مصدر سابق، ص: ٦٩.
١٠- حراتوقة، سمير شمس الدين – النسور، حب وحرب في القفقاس، نشر في عمان عام ٢٠٠٠م ص: ٢٤.
١١- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص٣٢-٣٣.
١٢- حراتوقة، سمير، مصدر سابق، ص٣٦.
١٣- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٩٢-٩٣.
١٤- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ١٥.
١٥- المصدر نفسه، ص: ٣٩.
١٦- المصدر نفسه، ص(٢٤-٤٠).
١٧- شفيق، اسماعيل، مصدر سابق، ص: ٤٥.
١٨- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ٤٤.
١٩- فون، فيل، مصدر سابق.

٢٠- الوثائق الروسية – ابادة الشراكسة ص(٤٠).
٢١- حراتوقة، سمير – مصدر سابق، ص: ٩.
٢٢- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة، ص: ٣٧.
٢٣- المصدر نفسه، ص: ١٦.
٢٤- المصدر نفسه ، ص: ٣٦.
٢٥- المصدر نفسه ، ص ٣٨.
٢٦- المصدر نفسه ، ص١٧.
٢٧- برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، ص: ٦٧ و ص ١٠٣.
٢٨- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٥٠-٥١.
٢٩- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ١٨-١٩.
٣٠- حراتوقة، سمير، مصدر سابق، ص: ٣٧.
٣١- فون، فيل، مصدر سابق، ص: ٧١-٧٦ *

* السنة الاخيرة لحروب الشراكسة من اجل الاستقلال. ظهر هذا العمل وطبع للمرة الاولى في الملحق الاسبوعي لجريدة روسية لعام (١٨٦٥) في الأعداد (٢١ – ٢٢-٢٥) ويعتبر العمل الوحيد المترجم إلى اللغة الروسية لكاتب اجنبي قاتل في صفوف الشراكسة ضد الامبراطورية الروسية في المراحل الاخيرة من الحرب الروسية القوقازية، والذي كتب فيه بشكل حيادي عن العمليات الحربية، وعن أوضاع القوقازيين عامة والشراكسة خاصة كما كتب عن مأساة ترحيلهم إلى تركيا واعادت نشره جمعية الدراسات في مقاطعة الاديغة ومتحف الاديغي التاريخي الانتوغرافي عام ١٩٢٧ وترجمه "فاخر ديجن" إلى اللغة العربية ونشرته اللجنة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية في دمشق ص: ٧١-٧٦

٣٢- نقله نهاد برزج عن كتاب جمهورية قبردينو بلقاريا – ونشره باللغة التركية في كتابه (تهجير الشراكسة) وترجمه عصام حتك المنشور في عمان عام ١٩٨٧.

٣٣- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ٢٥.

٣٤- فون، فيل، مصدر سابق، ص: ٥٦ + ٦٦.

٣٥- ادمون سبنسر Edomound Spencer ، رحلات إلى بلاد شركسيا Londo – 1838.

٣٦- بادلي، جون. ف.، احتلال الروس للقفقاس، تعريب صادق عودة، ص: ١٢٩-١٣١.

٣٧- مكارثي، جستن، الحروب الابادية، وتحليل قصة اسير القفقاس للكاتب الروسي (تولستوي) تعريب فريد العربي، وعرضه د. ثائر دورب وهو كاتب وباحث عراقي ونشر عام ٢٠٠٦.

٣٨- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٦٨.

٣٩- المصدر نفسه ص: ٦٩-٧٠.

٤٠- ابراموف، يا ، القوقازيون الشراكسة، ترجمة الدكتور راتب سطاس والدكتور زهدي سطاس، من منشورات اللجنة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية في دمشق عام ١٩٨٩.

٤١- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ٨.

٤٢- ابراموف، يا، مصدر سابق، ص: ٣١-٣٥.

٤٣- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة، ص: ٤٤.

٤٤- مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٤٤.

٤٥- فون، فيل، مصدر سابق، ص٥٥-٥٦.

٤٦- ماميخغ، رايا، مصدر سابق، ص٤٨.

٤٧- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة، ص: ١٦.

٤٨- مخوص، ارسلان، تاريخ حرب القفقاس – مصدر سابق، ص: ٣٠.

٤٩- مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٥٢.

٥٠- يرمولوف. م، لمحات عن تاريخ القفقاس – ١٨٨٠، ص: ٥٢.

٥١- مخوص، ارسلان، مصدر سابق، ص: ٣٧.

٥٢- نغموقة، شورا، تاريخ القوقاز، مصدر سابق، ص: ٩٤.

# الجزء الثالث

## التكتيكات العسكرية والسياسية للأمة الشركسية في دفاعها عن استقلال الوطن

# الفصل الأول

## التكتيكات العسكرية الدفاعية والأساليب القتالية وفنون الحرب التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في دفاعهم عن الوطن والمواطن



صورة تمثل إحدى تكتيكات هجوم المقاتلين الشراكسة بقيادة أميرهم (بشي) على أعداء الأمة الشركسية في حربهم دفاعا عن استقلال الوطن الأم في القفقاس

**تمهيد:**

حول الخبرات العسكرية والفنون الحربية والمهارات القتالية التي اكتسبتها الامة الشركسية من الحروب والمعارك التي فرضت عليها في عصور ما قبل الميلاد، وحتى القرن التاسع عشر الميلادي يقول (جو ناتوقة) في كتابه تاريخ القوقاز بأن:

"تاريخ (الاديغة) حافل بماضيهم المجيد، من مدنية وحضارة واستعدادهم العظيم لكل ما هو عصري وحديث، ولا يخلو كذلك من مآثرهم (الحربية وصفاتهم العسكرية) التي تجعلنا نقرر هنا ان هذا الشعب لم يخلق إلا ليكون (أمة حربية) [1].

وظهرت هذه الميزة العسكرية في مجتمعات اجداد (الاديغة) منذ الأدوار الاولى من تاريخهم القديم، ويلاحظ ان حروبهم بقفقاسيا منذ القرن السابع قبل الميلاد وبعد استيلاء (الهون) و (القوط) في القرون الأولى بعد الميلاد على بلاد أجداد الشراكسة أكسبت الأمة الشركسية خبرات عسكرية (دفاعية)، وكذلك فإن الحروب من القرن السادس الميلادي وحتى القرن الرابع عشر الميلادي أكسبت مقاتلي الامة الشركسية خبرات متميزة في فنون القتال الدفاعية منها والهجومية خلال حروبهم التي فرضت عليهم من شعوب (الاوار) منذ القرن السادس الميلادي، ومن (جيوش دولة الخزر) في القرن العاشر الميلادي، اما الخبرات القتالية التي اكتسبها القادة العسكريون الشراكسة من الحروب الدامية والاعتداءات الهمجية والبربرية التي تعرضت لها الامة الشركسية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر من جحافل الجيوش المغولية بقيادة (جنكيز خان) وغيره من قادة المغول ودولة الجيش الذهبي بالإضافة للخبرات الهجومية التي اكتسبها القادة العسكريون الشراكسة من الحروب الهجومية التي شنوها على جيوش (التتار) التي سبق أن أحرقت الزرع والضرع بلاد الشركس فكان لهم فيها النصر وطردهم من بلاد (الاديغة) نهائياً.

يلاحظ مما تقدم بأن الامة الشركسية دخلت القرن الرابع عشر الميلادي وهي تتمتع بخبرات قتالية متميزة (الدفاعية منها والهجومية) وتتقن فنون تعبئة الجيوش، وتعرف أساليب إعداد القادة العسكريين والمقاتلين المحترفين، وتجيد وضع مختلف أنواع التكتيك العسكري وفنون القتال المباشر وغير المباشر، وبالتالي فإن الأمة الشركسية على اختلاف قبائلها من (القبرطاي) المؤلفة من ثلاثة أقسام تسكن منطقة الترك بالشرق، وقبائل (الاديغة) المؤلفة من (١٢-١٥) قبيلة وتسكن في منطقة ما وراء الكوبان في غرب شمال القفقاس. كانت تتمتع بخبرات قتالية مميزة، بالأخص تفوقها في القتال في الأماكن الوعرة والمناطق الصعبة وفي الممرات الضيقة وفوق سفوح الجبال العالية وبين الغابات والادغال، لذلك فإن جيوش خانات القرم المدعومة (سرا) من الدولة العثمانية لم تتمكن من تحقيق أي نصر يذكر على الشراكسة خلال اكثر من (٦) حروب كبيرة تضمنت عشرات المعارك التي خاضها المقاتلون الشراكسة ضد جيوش دولة القرم خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر، وبالتحديد منذ عام ١٥٧٠ من القرن السادس عشر وحتى عام ١٧٢٩ من القرن الثامن عشر الميلادي*.

وكذلك فإن المقاتلين الشراكسة استطاعوا مواجهة الجيوش القيصرية التي بدأت اعتداءاتها بشكل مباشر منذ عام ١٧٢٢ وهو التاريخ الفعلي لبدء حروب الإبادة الروسية، حيث أمر القيصر إسكندر الأكبر إرسال أول حملة حربية على القفقاس وهي الحملة التي تكونت من جيوش برية تضم جنودا سبق لهم أن حاربوا في السويد، وخيالة من الروس، وأعداداً كبيرة من المقاتلين المرتزقة من القوزاق

* سبق عرض وقائع واحداث حروب الشراكسة مع جيوش دولة خانات القرم في الفصل الثاني والثالث من هذا المجلد.

والتتار والقالمون وبمساندة الاسطول البحري الذي وصل إلى نقطة الانـــزال يـــوم ١٧٢٢/٧/٢٧.

**اما الحملة الثانية** التي أمر القيصر بشنها على بلاد الشراكسة، وبالتحديـــد على مدينة (خيوة) فكانت بقيادة الامير الشركسي (بيقوفتش شيركاسكي) وهو احـــد أفراد عائلة (بيقوفتش) التي التحقت بالبلاط القيصري في عهـــد القيـــصر (ايفـــان الرهيب) بعد أن تزوج الاميرة الشركسية (ماريا) وأصبحت امبراطورة باسم (ماريا آن). وفي هذه المعركة الشرسة، استطاعت القوات المقاتلة الشركسية القضاء علـــى جميع أفراد هذه الحملة وعددهم (٧٠٠٠) جندي روسي ومرتزق بمن فيهم الاميـــر الشركسي الأصل ولم ينجُ منهم سوى (جنديين اثنين) واعتبـــر الاميـــر الشركـــسي الأصل خائنا (لملته) وقوميته، فكان جزاؤه هو (حشو جثته بالقش) وتعليقها علـــى باب المدينة لمدة اسبوع ليكون عبرة لكل من يخون قومه [٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف استطاعت أمة صغيرة العدد مثـــل الأمة الشركسية لم يكن يتجاوز عددهم اربعة ملايين، الصمود امام امة كبيرة عـــدد سكانها اكثر من (٥٠) مليوناً حوالي (١٥٠) عاما (وهي الحروب التي بدأت فعـــلا عام ١٧٢٢ وانتهت عام ١٨٦٤) تم خلالها تشتيت القـــوات الروســـية القيـــصرية المطعمة بقوات مرتزقة من القوزاق والتتار والقـــالموق وبعـــض القـــادة الألمـــان والارمن والبولولنديين وقلة من الشراكسة الذين (تروووسوا) أي أصبحوا مـــسيحيين يحملون اسماء روسية.

وكذلك كيف استطاعت هذه الأمة صغيرة العدد وقليلة الامكانات من تحمل الاساليب الوحشية والوسائل غير الانسانية والافعال المحـــرم اســـتخدامها دوليـــا، بالإضافة إلى الدسائس والمؤامرات السياسية والتخريب الاقتصادي والفتن الدينيـــة التي استخدمتها سلطات روسيا القيصرية.

وكيف عجزت قواتها وجيوشها التي تناوب على خدمتها خلال سنوات حرب الابادة والدمار اكثر من مليونين اثنين من الجنود النظامين، بالإضافة إلى مئات الالاف من المرتزقة القوزاق وغيرهم من القوميات التي كانت مستوطنة في بلاد القفقاس من تحقيق النصر العسكري في قتالهم المباشر وغير المباشر مع المقاتلين الشراكسة، حيث تشير الوثائق الروسية منها والانجليزية والتركية العثمانية بأن سلطات روسيا العسكرية لم تتمكن من تحقيق النصر العسكري إلا بعد أن استخدمت أكثر الأساليب الوحشية والوسائل غير الانسانية، والأفعال المحرم استخدامها دولياً إضافة إلى لجؤها للمؤامرات السياسية والتخريب الاقتصادي والدسائس الدينية التي اشرنا إليها في الفصل السابق.

**وللاجابة عن هذا التساؤل، ولبيان بعض الحقائق كان لا بد من البحث في التكتيك العسكري والاساليب القتالية وغير القتالية، والفنون الحربية التي استخدمها القادة العسكريون الشراكسة في معاركهم خلال حروب الابادة والدمار التي شنتها القوات الروسية القيصرية لأكثر من (١٤٢) عاما وهي على النحو التالي:**

**الحقيقة الاولى: التعاون العسكري التام بين قادة وشعوب الأمة الشركسية:**

كان من عادة الشعوب الجركسية الثلاثة * انه اذا أراد أحدهم معونة عسكرية، أرسل مجلسه الحربي وفدا عسكريا إلى زعماء (تحامدات) ذلك الشعب.

والشعب الذي يطلب منه المعونة كان يعقد فور وصول الوفد إليه، **اجتماعا شعبيا عاما** ليقرر ضرورة إرسال المعونة او عدمها، ومقدار ما يمكن ارساله منها، واذا قرر الشعب ارسال المعونة، هيأ جيشا وارسله تحت قيادة قائد مشهود له،

* يقصد بالشعوب الشركسية الثلاثة بالاديغة والابيخ الابخاز أو (الابازة).

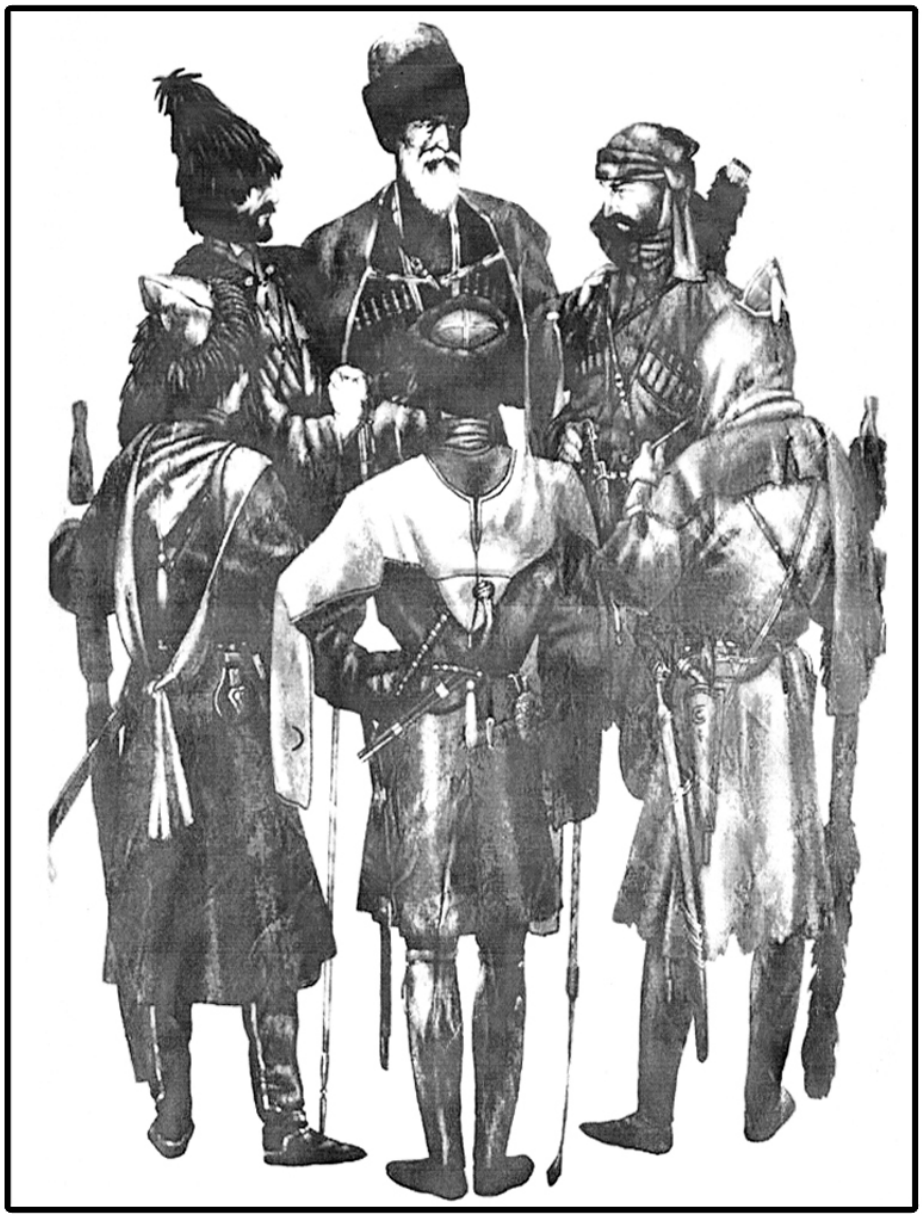
ويسير هذا الجيش حتى يصل إلى موقع معين تجتمع فيه الجيوش التي أرسلتها الشعوب الأخرى. وعند ذلك يعقد قواد الجيوش المتعاونة مع زعمائهم مجلسا حربيا، يتشاورون فيه، ويقررون ما يجب عمله، وأحيانا كانت تعقد اجتماعات عامة، يشترك فيها ممثلو جميع الشعوب الشركسية المشاركة في مجلس الحرب اجتماعا فوق العادة، بهدف التفاهم على مسألة مهمة تخص جميع بلادهم، وتتناول مصالحها الحيوية مثل ازالة خلاف أو شجار وقع بين شعبين منهم ولا سيما الشجار من النوع الذي يستفحل أمره ويهدد بحدوث حرب اهلية.

وكانت اجتماعات كهذه نادرة، وكل قرار يتخذ فيها كان يعد بمثابة قانون، وعلى جيمع الجركس ان يعملوا بموجبه ويراعوه حق المراعاة، سواء كانوا من الشراكسة المشتبكين في الحرب مع الروس مباشرة او غير المشتبكين معهم.

**الحقيقة الثانية: انتخاب القيادات العسكرية الميدانية:**

تشير بعض الوثائق بأن الشراكسة كانوا ينتخبون القادة العسكريين من الأشخاص الذين يتميزون بصفات القيادة الميدانية والقادرة على سرعة اتخاذ القرارات في الميدان، ويتضح ذلك من قول (جوناتوقة):

"إن (الاديكة) اذا خرجوا للحرب كانوا ينتخبون قوادهم من صفوفهم ويولونهم قيادة الجيوش المقاتلة، وكانوا يحاربون في اغلب الاحيان فرسانا، ولم تكن لديهم خطة معينة أو مرسومة يتبعونها، كما أنهم ما كانوا يتقيدون بقواعد خاصة معينة، بل كانوا يقتدون بقائدهم الذي كان يعتمد على خبرته وسرعة خاطره ويتمشى حسب مقتضيات الحالة والظروف المحيطة به. وكان هؤلاء القواد على جانب عظيم من المقدرة والشجاعة دون أن يعرفوا للحيطة او الحذر والاحتراس معنى [٣].



تشاور قادة المجلس الحربي الشركسي بعد انتخابهم من قبل المجلس الشعبي القومي

وتشير الوثائق الروسية بأن كل مقاطعة شركسية كانت تنتخب نوابا عنها لتمثيلهم في الأجتماعات العامة، وكان يتم تعيين القادة العسكريين من هؤلاء النواب للقيام بأعمال حربية، وفي أحوال زيادة نشاط القوات الروسية كان النواب ينتخبون قائدا عاما تعطى له صلاحيات واسعة ضمن منطقته القتالية. كما كان يتم فيها تعيين قائد عسكري لكل منطقة، ويلحق مع كل قائد عسكري منهم وحدة عسكرية ثابتة تتكون من حوالي (١٠٠) فارس، كما كان يتم تقديم أعداد اخرى من القوات لهؤلاء القادة حسب قرار القائد العام، كما كان يوجد لدى بعض القادة الشراكسة قوة دائمة تصل احيانا إلى عدة آلاف، فمثلا كان لدى الامير الشركسي (اشاغواغوه بشيقوي) والمعروف بانتصاراته على القوات الروسية في شركسيا، قوة ثابتة مؤلفة من (٦٠٠٠) فارس وفي أوقات القتال الفعلي كانت هذه القوى تصل إلى (١٢٠٠٠) مقاتل شركسي.

**الحقيقة الثالثة: ظهر من شراكسة الوطن الأم قادة عسكريون عظام، قادوا معارك عديدة وعلى مدى سنين حرب الإبادة والدمار الروسية.***

**ومن أبرز القادة العسكريين الذي اشتهروا بحنكتهم وبطولاتهم خلال حروب الابادة والدمار هم:**

**"أشاغواغوه بشيقوي، الحاج حوزبيك، سلطان كورغوم، غيري، حاج محمد، حاود منصور، غيري شاميز، شيروخ دوغوظ، دزادزو محمد، دزادزو علي، دزادزو ناوروز، بشه ماف، حاتوقوه سيلمان، حاتوقوه كالابات، شارات**

* أفردنا الفصل الرابع من هذا الجزء للبحث في سيرة وأعمال مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية عبر العصور المختلفة.

**حاميزَ، غيرا ندوقة حاج برزج، حاج دوقوم برزج، ينال أصلان غيـــري، إيـــدار نوغاي، أرداز زيبش.**

وكان من أكثرهم شهرة "**اشاغواغوه بشيقوي**"، حيث كان من أعظم القادة العسكريين في بلاد (الاديغة) وهزم قوات الجنرال "ويليا مينوف" عدة مرات، وكان دائما محط أنظار الشراكسة في الاجتماعات والمؤتمرات الـــشعبية، لأنـــه بجانـــب مهارته الحربية كان متحدثا كما كانوا يعتبرونه انه ولد ليقود الشعب، وفي منتصف شهر أيار من عام ١٨٣٨ سقط (أشاغواغوه بشيقوي) شهيدا في ساحة الشرف ونظم الشعب أغاني في رثاء كثير إحياءً لذكراه.

ومن الشخصيات القيادية الكبيرة الشركسية "حاج حوزبيك" والذي كان يلقب (بأسد شركسيا)، وكان قائدا بارعا وكانت هجمات فرسانه في أعماق مؤخرة العدو لا يقل عن مهارة وبراعة وشجاعة من هجمات "حاج مراد"* على جبهة الداغستان والشيشان، إلا أن المجد أحاط به بشكل خاص بعد معركة عنيفة جرت فـــي عـــام ١٨٣٤ استطاع فيها ان يهزم بقوة صغيرة لم يتجاوز عددها عـــن (٧٠٠) فـــارس شركسي قوة روسية مؤلفة من (١٢٠٠) جندي، وكان عمره عندئذ (٦٠) عاما. [٤].

وكذلك فإن الزعيم (ارسلان يوقة) كان من أبرز قادة الأبزاخ الذين أوقعوا خسائر فادحة في صفوف قوات روسيا القيصرية وهو الذي بعد استشهاده في إحدى المعارك أخرج الجنرال الروسي (زاس) جثته من القبر وشوهها وقطعها إربا انتقاما منه.

وكان أصغر قائد لمع اسمه واصبح يشار إليه بالبنان وهو أمير (البظـــة – دوغ) الفتى (بشي قوي) الذي لم يبلغ الخامسة عشر من عمره، وقد توغل هذا الفتى بين صفوف الاعداء وأسقط قائدهم الجنرال (زاس) عن ظهر حصانه الـــذي أخـــذه

* الحاج مراد هو أحد نواب الأمام شامل إمام الحركة المريدية في القوقاز.

غنيمة لنفسه. علما بأن هذا القائد (كما سبق ذكره) كان من اكثر قادة الروس العسكريين وحشية وهو الذي كان يلقب بالجنرال (شحه غوانة) ومعناه الجنرال (ذو الرأس المثقوب) [٥] .

**الحقيقة الرابعة: تفوق المقاتل الشركسي وتميزه بالشجاعة والرجولة:**

يؤكد المؤرخون والقادة العسكريون الروس منهم والأجانب بأن الصفات الشخصية مثل (الشجاعة) التي تميز بها القادة والمقاتلون وعامة الشعب في مجتمعات الأمة الشركسية عامة، وخلال فترة حرب الإبادة خاصة، كانت من الأسباب المباشرة لقدرتهم للصمود امام وحشية قوات روسيا القيصرية ومواجهة المؤامرات السياسية والتخريب الاقتصادي والدسائس الدينية التي استخدمتها سلطات روسيا القيصرية لإبادة الامة الشركسية وتحقيق النصر عليها.

**يقول أحد المؤرخين بأن (الاديغة) "لم يكن يمتازون بمقدرتهم الحربية فحسب، بل كانوا ايضا يفاخرون دوما ويتباهون بشجاعتهم ويزهون بأسلحتهم ورجولتهم إلى درجة لا حد لها، وكان كل من أظهر في الحرب جبنا أو خوفا أو فر من ساحة المعركة خشية الموت، نصيبه الاحتقار والازدراء، فكانوا يلبسونه قبعة قذرة ويُركبونه جوادا أجرباً ويعرضونه أمام الجماهير وهم يلاحقونه بالتصفيق استهزاء والتشهير به، ثم تفرض عليه غرامة بقيمة ثورين على الاقل".**

واما الشجعان منهم فكانوا يحتلون الصفوف الامامية للجيش وهم الذين كانوا يهاجمون الاعداء بصورة مفاجئة ويشتتون صفوفهم في اول التحام وبأسرع ما يمكن.

وهكذا كانت الشجاعة تولد فيهم الطموح والاقدام والمغامرة، والاعتماد على النفس. وكانوا مع ذلك ذوي صدور رحبة وقلوب واسعة بعيدين عن الاهواء الشخصية غير مباهين إلا بشجاعتهم وانتصاراتهم في الحروب.

**وكتب العالم المجري المختص بدراسة ثقافة الشعوب (جـــان شـــارل دي بس) في عام ١٨٢٩ بعد جولاته في بلاد الشراكسة قائلا:**

"**على الرغم من أن الشراكسة شـــعب شـــجاع ومقـــدام وصـــامد، إلا أن الاوروبيين يعرفون القليل عنهم، لذلك لن يكون من قبيل الإطالة إضـــافة بعـــض الملاحظات عن صفات هذا الشعب وهذا ما سأفعله... واستطرد قائلا:**

"... لقد ذكر (السلافي) من الكتاب والرحالة ان كلمة (شركسي) مأخوذة من مقطعين من اللغة التترية.. فالمقطع الاول يعني (طريقا) والمقطع الثاني قاطعـــا.. ولكنهم لم يفكروا أن يأخذوا معنى الكلمة من الصفات الحقيقية للشخصية الشركسية.

وأردف قائلا:

"يجب الانتباه إلى معنى مقطعي الكلمة باللغة الفارسية هو: (ذات شخـــصية ورجولة فائقة او محارب شرس) ومن هنا نستنتج أن الفرس هم من أعطوا التسمية الصحيحة للشراكسة [٨].

ويقول المستر (بل) عن احد القادة الشراكسة الأبطال فـــي معركـــة مـــن المعارك غير المتكافئة عددا وعدة وهو النبيل (آسلان بك) بعد أن نـــسق بندقيتـــه صاح ساحبا سيفه: **يا الهي أعرف بأنني عاجلا أم آجلا سوف أموت، فهبنـــي الآن هذا الموت، وهجم على العدو يتبعه أخوه فاستشهدا دفاعا عن الوطن والشرف**[٩].

وعندما طلب رسل (الاوار) خضوع الشراكسة لسلطته ودفع الجزية لهـــم، كان جواب الامير (لادوستان) ذلك الفارس الآنتي الشهير: "**سوف لا نخضع لأحـــد ولا ندفع أية جزية ما دامت سيوفنا بأيدينا وأبطالنا الشجعان على قيد الحياة)**[٩].

وأما القس الايطالي الدومينيكي (جوفاني لوكا) الذي قام بمهمة تبشيرية في بلاد القرم في القرن الثامن عشر وكتب كتاباً عن حياة الشراكسة قال فيه:

"**... وفي تلك الغابات كان واحد من (الاديغا) يجبر عشرين تتريـــا علـــى الفرار من أمامه**" .

كما قال (انتريانو) الرحالة الجغرافي الإيطالي والمختص في دراسة تاريخ الشعوب بأن "حفنة من (الاديغا) تجبر حشدا كاملا من الغجر/ القوزاق على الفرار .. فهم أكثر براعة وأجود تسليحا، وأن خيولهم أكثر جودة... ويمتازون بشجاعة كبيرة". (١٠)

وكتب (كارل ماركس) مقالة له نشرت في جريدة نيويورك تايمز الامريكية آنذاك إذ قال: أيها العالم، ايتها الإنسانية تعلموا معنى الحرية من الشراكسة، وانظروا ماذا يستطيع شعب يطلب الحرية ان يعمل، وشاهدوا البطولات التي قدمها هذا الشعب مع قلة قدراته، من أجل الحفاظ على حريته، فعليكم أن تأخذوا العبر منهم (١٣).

كما كتب (كارل ماركس) مقالته الصادرة في ايلول عام ١٨٤٧ والموجهة إلى قراء جريدة (المجلة الشيوعية) الناطقة باسم اتحاد الشيوعيين:

"**خذوا العبر من بطولات وتضحيات الشراكسة في حربهم ضد قوات القياصرة. إنها بطولات خارقة**" (١٣).

والكاتب الجركسي (يحيى حالوق بك) في الجريدة الجركسية (غوازه) التي كانت تصدر باللغة الشركسية وصف الحياة الشركسية الحربية وصفا دقيقا، وأسهب في وصفه شجاعة الشراكسة واقدامهم وعن تربيتهم القومية المؤسسة على تلك الصفات العسكرية، وشبههم من تلك الناحية لشعب (أثينة واسبارطة) من شعوب (اليونان القديمة) قائلا: إذا جلسنا إلى شيوخ الشراكسة المسنين وسمعنا حكايات وتفاصيل الحروب والوقائع التي حضروها وخاضوا غمارها، نسمع منهم ما هو مدون عن أسبارطة اليونانية وحروبها تماما، مع أنهم قوم لا يعرفون أسبارطة ولم يسمعوا عنها شيئا، فمن هنا نستنتج بأن التقاليد والصفات الحربية عند الأمتين الشركسية واليونانية القديمة كانت واحدة ومتفقة تمام الاتفاق حتى في التفصيلات الدقيقة.

**كما ذكر أحد مؤلفي (نبذة عن أخلاق القفقاس) قال: الآن وبعد أن هدأت وطأة الحرب، وأصبحت سلطتنا في القفقاس كاملة وقوية، نستطيع أن نعبر عن دهشتنا لبطولة وشجاعة (العدو المهزوم) (ويقصد بهم الشراكسة)، حيث دافعوا بشرف عن وطنهم وحريتهم حتى استنفدوا كل قواهم.**

**كما وصف مؤرخ آخر وهو (جون بادلي) في كتابه المعروف (احتلال القوقاس) حروب الشراكسة قائلا:**

إن هذه الحروب، التي هي حروب البطولة، لها كل الحق في أن تسترعي انتباه الدولة البريطانية، ولا شك أن تلك الأمم القوقازية الذين دافعوا عن حريتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، والذين دافعوا في الوقت نفسه، عن سلامة البريطانيين في الهند، دون أن يعرفوا ذلك هم انفسهم [٤٦].

لقد علمت حرب القوقاس الروس معنى البطولة والشجاعة، وصار الكثير منهم يهجر بلاده ويأتي إلى البلاد القوقازية بغية احراز الشهرة عن طريق المغامرة، والقيام بأعمال البطولة، ومنهم الشاعر المعروف (بستوشف) الذي فر من (منفاه) في سيبريا وأتى ليحارب في بلاد القوقاز ويحرز الشهرة، ثم يموت في القوقاز، وكذلك الشاعر (لرمونتوف)، فقد خبر القوقاز وتعرف على أهلها وأعجب بها، وكتب عنها الكثير، منها كتاب (بطل الزمان) وغيره [٤٧].

**واما تولستوي، الذي قال بأنه أنتقل من حياة السآمة والضجر والترف التي كانت تحيط به في روسيا... وقرر مجيئه إلى القوقاز ليرى ضروبا من أعمال البطولة الخالدة والشهامة التي قام بها القوقازيون عامة والشراكسة خاصة[٤٨].**

وكان من أكبر الكبائر عند الشراكسة هو أن يوصف رجلٌ شركسي (بالجبن) في أي موقف من مواقف الحياة عامة، وفي الحروب خاصة، وإذا ما زاره بعض الأقرباء تمنوا له زوال هذا العار بقولهم له: (بيض الله وجه زوجتك) وكانت

الوسيلة الوحيدة لمحو هذا العار هو الخروج للحرب والجهاد ومقاتلة الاعداء والاستبسال أو الموت في الحرب، وأما المقاتلون والمجاهدون الشجعان الذين كانوا يبلون بلاءً حسنا في قتالهم للاعداء، أو قيامهم بعمل خارق، او يظهرون شجاعة نادرة في سبيل قومهم ووطنهم على مر الأيام والسنين، فكان الشعراء ينظمون في حقهم الأشعار، ويتغنون بشجاعتهم وتذكرهم النساء والفتيات في أغانيهن، وتُرفع من مرتبة عائلاتهم وتكون زوجاتهم موضع احترام الجميع في المجتمعات الشركسية عامة [٦].

وربما كان خير من عبر عن شجاعة واستعداد الشركسي للتضحية بنفسه دفاعا عن (الأرض والعرض) وحتى آخر نقطة دم يجري في عروقه هو الروائي ميخائيل لاخفنتسكي في روايته (دوي الرعد) – حيث جاء على لسان (آجوق) عندما قرر اهالي قرية من قرى الشابسغ، وربما كانت آخر قرية لديهم للدفاع عنها حتى آخر قطرة من دمائهم، وهم يعلمون أن لا قبل لهم بالجيش الروسي الذي يهيّئ لاقتحام القرية وقال: **إذا ركع الانسان مرة واحدة فمن السهل ان يتعود على الزحف أنا لا اعرف إلا حقيقة واحدة وهي "على الانسان ان يدافع عن بيته، والشعب عن ارضه وهكذا الأمر سيكون إلى الأبد".**

**وخير ما يمكن أن نختتم به وصفنا للمواقف الشجاعة او المواقف الجريئة للمقاتلين الشراكسة التي شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء هو ذكر المواقف التالية:**

**الموقف الاول:**

كتب "ميليوتين" يقول: في السنوات الأخيرة من الحرب في القفقاس كان علينا حشد قوات كبيرة جدا وصلت إلى (١٧٢) كتيبة مشاة نظامية و (١٣) كتيبة مشاة غير نظامية و (٢٠) كتيبة خيالة و (٥٢) فوجاً وخمسة كتائب خيالة غير نظامية و (٢٤٢) مدفع ميدان، بلغت تكاليفها السنوية حوالي (٣٠) مليون روبل من

أجل أن نتمكن من تحقيق النصر على المقاتلين الشراكسة الـذين كـانوا يقـاتلون بشراسة وشجاعة*

**الموقف الثاني:**

كتب "تشيرنيشيفكسي" عندما علم بتوقف الحرب فـي منـاطق الداغـستان والشيشان قائلاً: "لن تبتلع القفقاس بعد الآن (٢٥٠٠٠) جندي روسي كل سنة".*

**الموقف الثالث:**

**كتب احد جنرالات الروس وهو (يرملوف) من ابيات شعر يـصف فيهـا شجاعة المقاتلين الشراكسة بقوله:**

"**ستمضي السنون، وتتغير الاعمال والأفعال رويدا رويدا، سيهدأ القفقاس بلد الشركس إذا جاز لنا قول الحق، فليس هناك مكان خلي من الرجولة الحقـة، ولا سيل من الدماء الغزيرة وسيأتي يوم تظهر فيه الحقيقة على يدي كاتب ليكتب عن هذه الحرب وعن دفاع الشركس عن أرضه ووطنه بكل شجاعة وإخلاص.**

**وعبر عن رأيه هذا بالأبيات التالية:**

**ستمضي السنون وتتغير الأعمال والأفعال**
**رويدا رويدا سيهدأ القفقاس بلد الشركس**
**إذا جاز لنا قول الحق فليس هناك مكان خلي**
**من الرجولة الحقة ولا سيل من الدماء الغزيرة**
**سيأتي يوما ما (كاتب) الذي تظهر الحقيقة على يديه**
**وسيكتب عن هذه الحرب كيف دافع الشركس عن أرضه**
**ووطنه بكل شجاعة وإخلاص**

---

* الوثائق الروسية حول إبادة الشراكسة كما هو وارد في كتاب علي حسن قاسوم (إبادة الشراكسة ص: ١٠٢.

* المصدر نفسه.

**الحقيقة الخامسة:**

**تشير الوثائق الروسية منها والانجليزية بأن الأمراء والنبلاء وأعيان وأحرار الشراكسة كانوا دوما في طليعة المقاتلين وأن الفلاحين والتابعين (بشل) والخدم (ونه أوت) كانوا يقومون بتقديم الخدمات للمقاتلين ولا يشاركون في القتال.**

بالرجوع إلى وقائع وأحداث حروب أجداد الشراكسة في حربهم ضد (القوط)، توصلنا بأن (٨٠) اميرا ونبيلا وقائدا منهم الأبناء الثمانية للأمير (داو) قتلوا في إحدى معاركهم مع الجيش القوطي[١١].

ويقول (مستر بل) بأن أكثر المقاتلين الشراكسة الذين شاركوا في معركة ضد قوة عسكرية روسية قيصيرية مؤلفة من (١٢) الف مقاتل مجهزين بالآلات الحديثة والمدافع، استشهد منهم (٥٠) شخصاً من الشخصيات الشركسية البارزة من أمراء ونبلاء وقادة [١٢].

**الحقيقة السادسة:**

**إن فنون القتال، والأساليب العسكرية والتكتيكات الحربية التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في دفاعهم عن الوطن الأم خلال حروب الإبادة عامة وحروب الدمار الروسية الخاصة، هي فنون وأساليب قتالية لم يكن يعرفها غير القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، ونستدل على ذلك مما جاء في وثائق الارشيف الروسي ومن أقوال المؤرخين والجنرالات الروسية نقتبس منها أقوال كل من:**

* **اقوال الجنرال** (ف. ب. فيلياخوف) الذي خص قسما من كتابه للتحدث عن الأساليب القتالية للقبرطاي بقوله: "لم يبق بعيدا عن هذا التأثير حتى السكان الروس من القفقاس، وكان أول من تأثر بالقبرطاي قوزاق نهر تيرك الذين عاشوا بجوارهم، كما عاش بينهم العديد من مهاجري القبرطاي، وكان أول مظاهر التأثير هو تقليدهم لملابسهم والزي التقليدي الذي استعاره القوزاق عفويا من القبرطاي

وأصبح فيما بعد زيا رسميا وتقليديا بالنسبة لقوات منطقتي (تيرك وكوبان)، وذلك لمناسبته للقتال هناك"[١٤].

**وكتب م. ارنولدي:**

".. إن قوزاقنا في القفقاس الذين اعتمدوا اساليب (الجبليين) في القتال لوجودهم في الظروف القتالية نفسها مع جيرانهم، لم يتخلفوا عنهم في الاستعداد القتالي أو العتاد العسكري، وقد وصل التباهي بالجياد والملابس والأسلحة عند القوزاق حدا فاقوا به الشراكسة".

"فإضافة إلى الزي أخذ القوزاق عن الجبليين تسلحهم، وتخلوا عن الرماح الطويلة المجردة جانبا، واصبحت القامات والخناجر المدسوسة في أغمادها الناعمة، والتي لا تصدر صوتا عند استلالها، هي السلاح المفضل لديهم". [١٦]

**وكتب آ. ن بيليايف في كتابه (عن الآلام والأحاسيس):**

"لقد استعمل قوزاق القفقاس خيول (كاباردیا) بالدرجة الأولى، حيث كانت تعتبر من أجود خيول القفقاس، وأصبحوا يمتطون الخيول على طريقة الجبليين تماما حتى كان يصعب تمييز فرسان (قوزاق) منطقتي (التيرك كوبان) عن فرسان القبرطاي[١٦].

وتابع الجنرلات الروس اعترافهم وإقرارهم بعدم صلاحية العديد من الأساليب القتالية المعتمدة لديهم نتيجة خبرتهم في حروبهم الأوروبية، وخاصة مبادئ قيادة المعركة القتالية، وتطلب الأمر وضع تكتيك جديد كليا لا يمت بصلة إلى التكتيكات الروسية المعقدة للغاية، وبشكل تلقائي نسي الجندي الروسي في القفقاس نظامه الرسمي الأساسي، وأخذ يتعلم أساليب ودقة وفن قتال (الجبليين) الشراكسة.

ويمكن ذكر العديد من الأمثلة حول هذا الموضوع، وكيف أن الجيش الروسي الذي كان واحدا من أقوى جيوش العالم آنذاك اضطر لأخذ بعض خبراته القتالية من الخبرات التي كان يتمتع بها المقاتلون الشراكسة [١٧].

**وفيما يلي نماذج من الفنون القتالية والأساليب العسكرية، والتكتيكات الحربية التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في حروب الإبادة والدمار التي شنتها سلطات روسيا القيصرية على الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة.**

**النموذج الأول: سرعة التعبئة العسكرية لدى الأمة الشركسية.**

عند حصول القادة والزعماء على معلومات حول احتمال حدوث معركة أو شن هجوم كبير كان الأسلوب المتبع في تعبئة السكان وحشد المقاتلين من داخل القبيلة ومن القبائل الأخرى هو على النحو التالي:

**انتخاب عدد من الزعماء (تحمادة) ويشكلون المجلس الحربي لتلك المنطقة، واذا اشتركت مناطق اخرى مجاورة في الحرب ينتخب قائد عام عن كل مئة (عزبة)، ويوضع تحت إمرته قائدين مساعدين، الأول للفرسان والثاني للمشاة، ويصدر هذا القائد العام الأوامر التي يراها ضرورية، وعلى المحاربين تنفيذ ما يصدر إليهم من الأوامر، فإذا رفض أحدهم الامتثال لأوامره او تأخر عن أداء واجبه، كان جزاؤه تجريده من السلاح بصورة دائمة وعزله.**

وما ان تصل الوفود إلى المناطق المجاورة لطالب النجدة، حتى يجتمع زعماء القبائل ليقرروا ما إذا كان من المناسب أو الضروري إرسال النجدة أم لا؟ وإذا قرروا إنجاد اخوانهم المهددين، كانوا يفرضون على كل عزبة أو قرية تهيئة عدد من المقاتلين تتراوح بين العشرة والخمسين مقاتلاً، وكان على الأغنياء منهم أن يساعدوا الفقراء في شراء الأسلحة والمؤن اللازمة، وكان يترتب على كل محارب أن يصطحب معه الذخيرة والقوت الكافي لمدة (عشرين يوما) على الأقل.

فإذا اجتمع المحاربون على هذه الصورة واكتمل عددهم، احتشدوا في موقع معين، ويعقد زعماء القبائل والعشائر المشاركة اجتماعا عاما، باتخاذ مقاعدهم ومجالسهم مع من معهم من القضاة والائمة في منتصف الدائرة التي يضربها المحاربون حولهم. والصفوف الامامية منها كان يؤلفها المشاة، ومن ورائهم الفرسان، ثم ينتخب من بين الزعماء القائد الاعلى للجيوش المحاربة من الذين يتصفون بصفات القيادة الفذة، كالشجاعة، والفطنة، والحذر، وما إلى ذلك من المزايا العالية، ولا يشترط ان يكون مسنا، ولكن كان من الضروري ان يكون ذا خبرة ومهارة واطلاع واسع على الامور الحربية، وحائزا على ثقة الشعب من حيث التمتع بالصدق والامانة والنزاهة التامة(٥).

**التكتيكات التي كان يستخدمها الشراكسة في احتلال القلاع العسكرية:**

استخدم الشراكسة في هجومهم على الحصن (شه بسون) الواقع على ساحل البحر الاسود بقيادة الاخوين (علي زازي) و (محمد زازي)، وبمشاركة ما لا يقل عن عشرة آلاف مقاتل، أكثرهم من قبيلة (الشابسوغ) استخدموا تكتيكات حربية ناجحة، مكنتهم من الاستيلاء على الحصن المذكور وتدميره نهائيا، وملخصها حسب ما رواها احد شهود العيان الذين اشتركوا بالحملة ورجع منها سالما، واسمه (يوسف توزى اوق) من اهل (نجه بسوخ) بقوله:

"تحرك الركب من القاعدة الحربية في (قوبات) القريبة من (شه بسون) بعد الغروب بقيادة الاخوين المذكورين اللذين انتخبهما المجلس الحربي قائدين للحملة، والطليعة كان يؤلفها أشجع الشبان تحت رئاسة (زاقو) من اسرة (شابته). ثم قسما المشاركين بالحملة إلى ثماني فرق، ولكل منها قائدها، وسرنا حتى اقتربنا من الحصن، وتهيأنا للهجوم بعد أن أقسم كل منا ذلك القسم الشركسي الرهيب الذي ينص على (إما أن يموت أو يرجع منتصرا) (٥).

**أنواع الهجوم وأساليبه عند المقاتلين الشراكسة**

تتكون خطة الهجوم عند الشراكسة من نوعين: **النوع الأول:** وهو الهجوم الذي يستهدف عرقلة قوات العدو المهاجمة او المتمركزة في احد المواقع الحصينة، واجباره على الانسحاب، او العدول عن غايته وهدفه، بمهاجمة مؤخرته او جوانبه وتخريب طرق مواصلاته، أو قطع خط رجعته، وإرهاقه قدر المستطاع بكل الوسائل الممكنة.

وفي هذه الحالة كانت تعطى للمحاربين الحرية التامة في أن يختاروا الطريقة التي يستحسنونها والتي تمكنهم من إلحاق أكبر خسارة ممكنة بالعدو، وكان لهم الخيار بين ان يهاجموهم بقوات صغيرة ومتفرقة، او يستدرجوا العدو ويمنعونهم من التقدم.

**والنوع الثاني،** وكان يتمثل بالهجوم الذي يستهدف مواجهة العدو مباشرة مهما كان عدده وقوته، سواء أكان ذلك في الحصون أو القلاع أو في ميادين المعارك المكشوفة.

وهذا النوع من الهجوم كان لا يقرر القيام به إلا في أحوال نادرة وظروف فوق العادة لشدته وخطورته وما يتطلبه من تضحيات بالرجال والاموال والعتاد.

كما كان من أساليب الهجوم عند الشراكسة، هو بدأ الهجوم في منتصف الليل حيث كان يتحرك جزء صغير من المشاة المؤلف من الخبراء في الطرق وبطبيعة الأرض إلى الامام. وكان يؤمن الاتصال بين كتلة المشاة الكبيرة وهذه الطليعة كان ترافقه بعض وحدات صغيرة من الحرس. وأما الجوانب فكانت تحميها الدوريات المختلفة، ثم يتبعهم جيش كبير يعد بالآلاف أحيانا، بكل خفة وسرعة دون إحداث ضجيج أو قرقعة تحت جنح الظلام، ومما كان يساعد على ذلك، لبسهم القاتم، وخفة أحذيتهم، ورشاقة حركاتهم، وكون أسلحتهم في محافظها الجلدية.



جلسة تشاور بين القادة (توغظ، حاجي قوة، درده شادقوة) قبل تنفيذ إحدى الهجمات على الجيش الروسي الغزاة

**نظام الحراسة والدوريات والكشافة ومهامها:**

كان يتمثل نظام الحراسة بقيام كل فئة أو جماعة انتخاب عشرة من الرجال ليبقوا دوما بحراسة حدودهم، وإذا باغتهم العدو نبه هؤلاء الحراس الأهلين بصيحة شديدة*، وأطلقوا النار من بنادقهم مرارا إشارة لقدوم الأعداء.

وكان من النادر جدا أن يتمكن العدو من تضليل الحراس ومباغتة الآهلين في البلدان والقرى المجاورة لحدودهم، وإذا حصل شيء من ذلك، فكان ذلك (بمساعدة الجواسيس والخونة).

يقول أحد المؤرخين الشراكسة: إن الشراكسة الذين كانوا قد تعودوا الحروب الدائمة، أصبح نومهم خفيفا كنوم الأرانب، فلا تكاد صيحة الحراس تدوي في بلدة أو قرية حتى ترى جميع سكانها متأهبين ومستعدين للحرب بأسرع من لمح البصر".

ولا نكون من المغالين إذا قلنا أنه لا يستطيع الجنود المدربون في أية ثكنة عسكرية أن ينهضوا أو يستعدوا بالسرعة التي كان ينهض فيها سكان أي بلدة أو قرية شركسية. وفي أحوال كهذه كان ينطلق الفرسان منهم والمشاة انطلاقة رجل واحد، ويندفعون نحو الطريق الذي يمكن أن يسلكه العدو في هجومه ليبدأوا معه معركة الموت أو الحياة، دفاعا عن أوطانهم وأولادهم، غير مبالين بكثرة الأعداء وقوتهم.

* ذكر شوكت المفتي نقلا عن وثائق ألمانية بأن كثيرا من الجنود الروس الذين قضوا شطرا من حياتهم في القوقاز وشبوا على الحرب مع الشركس، أفادوا ان تلك الصيحة الداوية التي كان يردد صداها كل واد وكل جبل، ويسمع في الاحراج والغابات كانت أشد تأثيرا عليهم من ازيز الرصاص والقنابل، اذ كانت تبعث في قلوبهم الرعب.

كما كانت الدوريات المؤلفة من الفرسان تحوم حول جيش المشاة أثناء سيره، وتتبعه في المعارك، وتقوم بمهمة حفظ مؤخرة الجيش وحمايته في حالة الانسحاب ونقل القتلى والجرحى من ميادين القتال إلى ذويهم.

وأما في السهول فكان نقل الجرحى والقتلى يتم على المركبات والعربات التي تجرها الثيران(٥).

واما الكشافة المكلفين بمهام استكشافية فكانوا ينفصلون عند اقتراب الجيش من العدو، عن بعض أجزاء الطليعة ثم يزحف بعض أفرادها بكل حذر، ويقتربون من الأهداف المراد مهاجمتها، ويستكشفون المناطق المحيطة بها، ويراقبون حركات حرس العدو ليعرفوا فيما إذا كان معسكر العدو هادئاً أم فيه حركات غير اعتيادية.

وجرت العادة أن يستخدم المقاتلون من (الكشافين) والقادة الشراكسة بعض الاصطلاحات السرية للتفاهم فيما بينهم، منها تقليد أصوات بعض الحيوانات البرية مثل: البوم أو البط البري أو الذئب.

كما أتقن المقاتلون الشراكسة أساليب (تتبع الأثر)، والتحرك بمجموعات صغيرة، وتنفيذ الاستكشاف بخفة، بحيث لم يكن بإمكان أي من الجيوش النظامية القيام به، ونقل القوزاق والجيش الروسي هذه المهارات واستخدمها القادة الروس في مختلف معاركهم، وتدريجيا وبشكل أو بآخر بدأ الجيش النظامي الروسي يقلد المقاتلين الشراكسة فيها.

وكذلك فإن المقاتلين الشراكسة كانوا يمتازون على غيرهم بمواهب شتى، منها القدرة على الحرب في الجبال العالية والمضايق، ومنها أيضا سرعة السير والحركة في المواقع التي يصعب المرور فيها، والمرابطة في الأحراج والأدغال الكثيفة وغيرها.

كما تميزوا بطريقة بدء هجومهم بمداهمة أعدائهم ومفاجأتهم فلهذا كانوا يسيرون ليلا ويهجمون فجرا ويأخذون العدو على غرة، ويشترك المشاة مع الخيالة في مثل هذا الهجوم [١٩].

وتشير الوثائق الروسية بأن قوة مقاومة الشراكسة كانت تكمن في قدرتهم على مهاجمتهم بشكل مفاجئ على الحاميات الروسية، وفي التغلغل السريع في مؤخرة الخطوط الأمامية الروسية، وفي مباغتتهم للطوابير الروسية على الطرق، وبعبارة أخرى، كان الشراكسة أخف وأكثر قدرة على الحركة من الروس وهي ميزات قتالية ميّزت الشراكسة المقاتلين عن جنود الروس الذين كانوا يتحركون ببطء.

**كما تشير اعترافات الجنرالات الروس إلى قدرة وتمكن (القفقاسيين) من الحرب الجبلية، ومنهم الجنرال "يرمولوف" الذي يقول: "القفقاس هي قلعة يحرسها نصف مليون حامية"، كما كتب المؤرخ الروسي "بوتو": "كان الخيالة الشراكسة يحبون العمل في السهول المفتوحة والهجوم بالسلاح الأبيض، وعندما كانوا يرون أن فيهم ضعفا كانوا يتراجعون إلى المخابئ ويقابلوننا فقط من الجوانب أو من المؤخرة، وكان الشراكسة يتقنون استخدام التضاريس بشكل جيد، بحيث كانوا يقابلون القوات الروسية المهاجمة بالنار من فوق الأشجار والصخور".**

كما تؤكد الوثائق الروسية بأن (الاديغة) استخدموا في صراعهم مع القوات الروسية تكتيك حرب العصابات الجبلية (المعركة الموزعة، المفاجأة، الغزوات.. الخ)، بالإضافة لذلك قام (الأديغة) بأعمال هجومية واسعة بالهجوم المباشر على التحصينات والقلاع الروسية مع استخدام المدفعية التي بدأوا استخدامها مؤخرا في معاركهم [٢١].

وفي تاريخ ١٨٣٩/٧/٦ كتب الأمير (ياكوف) إلى الأمير (يشينكو) قائلا:

"ان القيادة الروسية اقتنعت بأن الشراكسة ينـــوون الـــدفاع عـــن أرضـــهم بأرواحهم وهكذا ففي أثناء انتقال القوة الروسية من (غيلينجيك) إلـــى (بـــشادة) لـــم يتوقف إطلاق النار من قبل الشراكسة الـــذين كـــانوا يعملـــون الكمـــائن المـــسبقة بمجموعات صغيرة ويظهرون فجأة أمام كل الحصون ولمدة قصيرة ويهـــاجمون، ففي حصن (ميخانيلوفسكي) قتلوا ضابطا بالسيف وجرحوا أربعة جنود، وفي حصن (تينغينسكي) جرحوا قائدا عسكريا وثلاثة جنود وفي حصن (مينوفـــسكي) جرحـــوا خمسة اشخاص وكان كل ذلك يتم قرب الحصن وفي ساعة الصباح عند فترة تحية العلم، وفي (سوباشي) قرب إحدى الغابات قتل وجرح حوالي (٥٠) شخصا، وبشكل عام فإن الشراكسة يحاربون هناك بشجاعة فائقـــة، وأعتقـــد ان هزيمـــة الجنـــرال "سيمبارسكي" في العام الماضي قرب (سوتشي) زاد في شجاعة الشراكسة"[٢٢].

ويعترف الجنرال (ويليا مينوف) الذي قـــاد معركـــة علـــى رأس (٦٠٠٠) جندي وبمساندة (٢٨) مدفعا و (٢٠٠٠) من المشاة القوزاق و (٦٠٠) رجل مدفعية في ربيع عام ١٨٣٩ قائلا: "ان المقاتلين الشراكـــسة كـــانوا يزحفـــون كالثعـــابين، ويهجمون على رماتنا بالسيوف، ويخرجون من الغابة بـــالحراب، وتطلـــق علـــيهم مدفعيتنا طلقاتها، وكنا نتقدم على طرقهم فوق جثثهم الدامية، وكنا نرى القتلى فـــي كل مكان، وكانت الجبال تدوي بأصوات إطلاق النار وأصوات المعارك، وكانـــت كل الشعاب مليئة بالدخان وألسنة النيران التي أشعلها العدو في الأعشاب، وكانـــت جهنم فعلا على الأرض، قضينا الليلة عند نقطة التقـــاء نهـــر (آبـــين) مـــع نهـــر (اتاكفاف)".

ويستطرد قائلا: "كان اليومان الماضيان صعبين إلا أن الفجر كان يقول إن ما مضى كان نزهة بالمقارنة مع ما ينتظرنا، كانت ممرات الخيل التي غالبـــا مـــا تقطع مجاري القتال تضيع في الغابة، كانت الصخور الضخمة التي تنمـــو عليهـــا

الاشواك والتي تنحدر منها المياه ليست فقط مانعا للحرب بل كانت مصائد من اليمين واليسار مليئة بالرجال الشراكسة الجاهزين للموت لمنع الروس من التقدم، كان صوت الرصاص يدوي وكنا نتقدم ببطء ونحن نكسب كل خطوة بالقتال وبسلاح متماثل؛ لأن مدفعيتنا لم تكن لتفيد في هذه الأوضاع، سالت الدماء من الطرفين وزاد عنف الشراكسة وشجاعة الروس، جرح كثيرين من الجنود بالحجارة والسهام، كان هذا اليوم صعبا على الجبليين ولم يكن انتصارنا سهلا، بعد يومين دخلنا الجبال ثانية وتحت وابل من الرصاص" (٢٣).

**الحقيقة السابعة:**

**استطاع المقاتلون الشراكسة وبأسلحة شخصية متواضعة في بداية حرب الإبادة والدمار الروسية، مقاومة جيوش روسيا القيصرية المسلحة بأسلحة ثقيلة أكثر من ١٥٠ عاما.**

وأكدت الوثائق الروسية هذه الحقيقة، كما أكدها جنرالات روسيا الذين حاربوا الشراكسة، كما ذكرها بعض المؤرخين والباحثين الأجانب بأن اهم الاسلحة التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في حروبهم قديما وحديثا كانت تتمثل بالأسلحة التالية:

* **استخدم الشراكسة في حروبهم قديما السيوف والرماح والاقواس والهراوات** والدروع والاتراس الثقيلة والفؤوس، كما استعملوا انواع الاقواس والنبال التي تحدث اصواتا هائلة يرعبون بها الاعداء وتجد تفاصيل كل ذلك في أغانيهم القومية.
* **وفي عصور لاحقة وعندما ظهرت الأسلحة النارية برع فيها الشراكسة براعة فائقة** وعرف عنهم أنهم يصيبون المرمى بالبندقية والمسدس وهم على متون جيادهم ويلاحظ بأن الجيوب الاسطوانية الصغيرة التي تراها على صدور ملابسهم الوطنية كانت مخصصة في الماضي لوضع الطلقات في كل منها

تسهيلا لاستعمالها وقت اللزوم (فشيك) وهي تسعة جيوب من كل ناحية من الصدر.

* **كان الشراكسة يصنعون اسلحتهم الهجومية بأنفسهم** في إتقان ودقة متناهية وهم مشهورون جدا بعمل السيوف الحادة والقامات المصقولة والمنقوش عليها بالذهب والفضة.
* **الأسلحة النارية:** فكانوا يحصلون على أنواعها الجيدة من روسيا نفسها ومن البلاد العثمانية، وكانت تصلهم أيضا من انكلترا عن طريق البحر. وأما أكثر الأسلحة استخداماً هي التي كان يحصل عليها المقاتلون الشراكسة كغنائم من الجيش الروسي.
* **البارود:** فكانوا يصنعون نوعا منه في بلادهم ويستوردون أنواعا أخرى من الخارج، وكذلك الرصاص الذي كان يحصلون عليها من انكلترا وغيرها من البلاد الأوروبية بصعوبة.
* **المدافع**، حصلوا عليها بمساعدة بعض تجار الانكليز، ولكنهم لم يوفقوا للانتفاع بها إلا في المراحل الأخيرة من الحروب. وتذكر الوثائق بأن الثري الانكليزي (لونج وورت) قدم مساعدة عظيمة للشراكسة مجانا في عام ١٨٣٦ تضمنت مدافع وذخائر حربية كثيرة [٢٦].

وأشار (قاسوم) بأن "كل شركسي كان مسلحا ببندقية وسيف كبير معلق على خاصرته، وفوق ذلك خنجر عريض (قامة) ومسدس، وكل هذه الأسلحة كانت مطعمة بالفضة، والشركسي لا يخطو خطوة واحدة بدون سلاحه، فهو يأكل وينام ويعمل في كل مكان وهو مسلح، ولهذا فقد تعودوا على حمل الأسلحة معهم دائما، ولا يزعجهم كثرة ثقل الأسلحة التي يحملونها بشكل دائم" [٢٧].



الأسلحة الشخصية التي استخدمها الشراكسة في حربهم ضد قوات روسيا القيصرية كما استخدموا المدافع في السنوات الأخيرة من حربهم ضد الغزاة الروس

وذكر أحد الجنود وحدة روسية عاملة في مناطق ما وراء (الكوبان) قائلا (... يا للفرحة لقد وصلنا إلى (غلينجيك) على البحر الأسود وبعد أن شققنا طريقنا بالحراب من نهر الكوبان إلى ساحل البحر الأسود عبر شعاب غير قابلة للاحتراق. وسلاسل جبال عالية تحت سيل من الرصاص والسهام والحجارة... وجرح كثير من الجنود بالحجارة والسهام.. لأن مدفعيتنا لم تكن لتفيد في مثل هذه المواقع [٢٧].

وأما بالنسبة للآليات والنقليات العسكرية فإن الوثائق تشير بأن المقاتلين الشراكسة لم يكن يملكون عربة مدرعة او مصفحة واحدة وانهم لم يستخدموا عربات النقل (السيارات) ولم يستخدموا سوى الخيل والعربات التي تجرها الثيران في بعض الأحيان، وأن تشكيلات قواتهم الحربية كانت تتكون من الخيالة والمشاة فقط.

كما تشير بأن قوى الجراكسة الحربية كانت تتألف من الخيالة والمشاة فقط، ووظيفة الخيالة التعرض والهجوم، أما المشاة فكانوا مكلفين بالاستيلاء على الاستحكامات وسوق الأسرى والغنائم.

كما أشار أحد الجنرالات الروس بأن (الاديغة) لم يكن لديهم جيش واحد بقيادة واحدة، بل كان على شكل فصائل متفرقة بعدد من (٥٠٠) إلى (٦٠٠) مقاتل بقيادة أمير أو نبيل أو كبير في السن، وفي حالات الخطر العام التي كان يتعرض لها (الاديغة) كانوا يستطيعون جمع جيش بقوام (٢٥٠٠٠) نصفهم خيالة [٢٨].

أما التشكيلات والوحدات الشركسية المقاتلة التي كان يقودها (محمد أمين) نائب الشيخ (شامل) في مناطق ما وراء الكوبان فكانت تتكون من وحدات مسلحة من الخيالة، ومجموع الوحدات كانت تشكل نواة الجيش الثابت المعد للتصدي للقوات الروسية الغازية... وكان على كل بيت من بيوت (الاديغة) تقديم فارس محارب واحد على الأقل عند صدور النداء من النائب (محمد أمين) [٢٩].

**نستنتج من هذه الحقيقة بأن المقاتلين الشراكسة صمدوا في حربهم المستمر ضد جيوش روسيا القيصيرة على مدى ١٥٠ عاما تقريبا وانهم كبدوا هذه الجيوش من القتلى والجرحى ما وصل عددهم حسب بعض الوثائق لأكثر من مليون روسي بفضل السلاح الابيض الشخصي وببعض الاسلحة النارية المكونة من المسدسات والبنادق المصنوعة بأيديهم وأن عدد تشكيلاتهم ووحداتهم القتالية في المعركة الواحدة لم تكن تتجاوز عدد مقاتلين فيها على بضعة الاف، فهذه هي الحقيقة كما اكدتها جميع الوثائق الروسية منها والانجليزية والتركية والشركسية.**

**الحقيقة الثامنة:**

**الدور البارز للنساء الشركسيات وكبار السن في دعم ومساندة مقاتلي الامة الشركسية خلال حروب الابادة والدمار الروسية:**

يقول أحد المؤرخين اليونانيين القدامى بأن الشراكسة كان يُعرفون بعزمهم وقوتهم ومهارتهم وفي فن الفروسية، وخاصة "الامازا ونات" عرفن بذلك حتى يقال: إنهن كن في عصور ما قبل التاريخ يستأصلن الثدي الايمن من صدور بناتهن الصغيرات ليسهل عليهن استعمال السلاح وأدوات الحرب يوم يكبرن، كما كانت الفتيات يركبن الخيل ويحملن القسي، ويشتركن في الحرب مع الرجال ما دمن عذارى، ويذكر أن الأنثى لم يكن ليسمح لها بالزواج ما لم تقتل ثلاثة من الاعداء، اما بعد الزواج فلا يطلب منها ان تحارب إلا عند الضرورة القصوى.

كما يؤكد بعض المؤرخين الروس منهم عامة والشراكسة خاصة، بأن المرأة الشركسية كان لها دور فعال في مساندة ومساعدة المقاتلين الشراكسة في دفاعهم عن (الأرض والعرض) وفي صد اعتداءات جيوش الاعداء وقواتها المسلحة على المدن والقرى الشركسية على مدار (١٥٠) عاما تقريبا.



لوحة تمثل دور المرأة الشركسية في القتال مع المقاتلين الشراكسة جنباً إلى جنب

وخير دليل على ذلك هي قصة امرأة من عائلة (لاشين) التي كانت تشارك مع المقاتلين الرجال في حروبهم ضد (دولة التتار) في القرم وهي القصة التي تشير بأن قائد (التتار) طلب في احدى المواجهات العسكرية من قائد الشراكسة ان يتصارع خصمان واحد من التتار والآخر من الشراكسة.. فاختار القائد الشركسي (امرأة) لمنازلة البطل التتري فصارعت المرأة الشركسية وهي بلباس الرجال.. فصرعته بعد جهد كبير.. فاعترف قائد التتار بالهزيمة.. وقرر الانسحاب من المعركة دون قتال.. خاصة بعد ان عرف البطل الذي صرع اقوى رجال التتار هي امرأة شركسية.

كما كان للنساء اكثر من دور في المعارك حيث كانت تقوم عند حدوث معركة او غزوة بجمع الامتعة والاغذية وحملها على الخيل والمركبات وتقود الاولاد والماشية إلى الوديان والغابات، وكان يجري ذلك كله بسرعة فائقة وقبل وصول الاعداء.

**أما كبار السن فكان دورهم** يتمثل في ابقاء النار في بيته مشتعلة بعد خروج المقاتلين والنساء والاطفال فيتصاعد لهيبها إلى عنان السماء ويصغي إلى اصوات الحراس بدقة وانتباه عظيمين، ويراقب ما يجري حوله بحذر شديد، واذا احس بقرب وصول العدو أشعل النار في مخازن الحبوب والتبن والهشيم وفر إلى اقرب غابة بعد ان يجعل كل شيء فريسة للنيران لكي لا يستفيد منه العدو المهاجم.

كما تؤكد الوثائق الروسية بأن المعارك التي جرت في منطقة البحر الاسود، وبالقرب من (مايكوب)، في وادي (خودز)، وفي بلدة (آخجب) وهي منطقة جبلية وعرة التجأت إليها النساء والاولاد هرباً من القوات الروسية الغازية حيث ألقت بزينتهن في النهر وأخذن السلاح، والتحقن بالرجال، لخوض معركة الموت من اجل الوطن والشرف، وحتى لا يقعن اسرى وسبايا بأيدي الروس. والتحم الفريقان في معركة كبيرة فكانت مجزرة بشرية لا مثيل لها في التاريخ المعاصر.

ولم يكن هدف الشراكسة من هذه المعركة احراز نصر، بل الموت بشرف، والخلاص من الحياة التي لم يبق منها أي امل. وقاتل في هذه المعركة الرهيبة النساء بجانب الرجال، وكانت الدماء تسيل كالأنهار، حتى قيل إن جثث القتلى كانت تسبح في بحر من الدماء [٣٠].

وكذلك فإننا نستنتج من تقرير الجنرال الروسي "كورولينكو" عام ١٨٢٥ الذي قال فيه "قامت قواتنا بترك منطقة ما وراء الكوبان مدمرة القرى، وفي هذه القرى الملتهبة قتل الشراكسة بالمئات، إما بالنيران أو بحراب القوزاق المتوحشين وكثيرا ما وقعت (النساء والاطفال الهاربين من الموت في الاسر) وفي كثير من الحالات كانت (النساء) يفضلن الموت على الأسر فيلقين بأنفسهن في الوديان السحيقة أو في تيارات الانهار الجبلية الهائجة".

**نستنتج من هذا التقرير بأن المرأة الشركسية كانت تشارك المقاتلين الرجال في ساحات القتال كلما اشتد القتال وكلما كان الرجال المقاتلون في ضيق او حصار[٣١].**

**وكذلك فإن النساء الشركسيات كن مسلحات، كما كن يستخدمن هذا السلاح دفاعا عن شرفهن وهي حقيقة نستدل عليها من الواقعة التي أشارت إليها احدى الوثائق الالمانية ونصها:**

"إن العمل الذي قام به "الكولونيل (دوغموتسوف) بحق جماعة من المهاجرين الشراكسة الذين كانوا في طريقهم إلى "كرج" في بلاد القرم، بعد أن حصلوا على إذن بالخروج بصورة رسمية من السلطات الروسية، إلا ان الكولونيل المذكور وقف في طريقهم ومنعهم من الخروج ظلما وعدوانا. ولكن قافلة المهاجرين لم تعبأ بأوامره، وعلى ذلك أمر الكولونيل المذكور قتلهم جميعا بنيران مدافعه، وفي أثناء ذلك عصا أحد الضباط الروس أوامره، وحاول الاقتراب من قافلة المهاجرين لإنقاذ فتاة كانت واقفة فوق كومة من جثث القتلى، إلا ان هذه الفتاة

ما كان منها إلا أن أخرجت من طيات ثيابها مسدسا فأردت الضابط قتيلا (ظنا منها بأنه جاء للاعتداء عليها)[٣٢].

وكذلك فالمرأة الشركسية كانت هي المدرسة التي تعد المقاتلين الشراكسة، نفسيا ومعنويا، وتدفع ابناءها للالتحاق بالمقاتلين، وكانت تعتبر مشاركتهم في القتال فخرا لها وواجبا وطنيا، حرصت عليها كل أم شركسية على قيام ابنائها بهذا الواجب، كما كانت تدفعهم دوما للاستشهاد في سبيل الله والوطن.

**ونستدل على هذا الدور الجليل الذي كانت الامهات الشركسيات يقمن به من القصة التي اوردها (جوناتوقة) في كتابه "تاريخ الاديغة" ونصها:**

عند عودة أحد الشبان من ساحة الحرب ووصوله لبلده ورؤيته والدته على سطح داره فإنه يناديها قائلا:

"يا أماه ذهبت إلى الحرب، وها أناذا عائد منها"

فتصيح الأم في وجهه وتلقى عليه حجرا قائلة:

"**اذا كنت ذهبت إلى الحرب حقا وشاركت اخوانك صدقا لكنت في عداد الموتى الآن، اغرب عن وجهي يا جبان**" [٧].

كما ان المرأة الشركسية من امهات وشقيقات كن يفاخرن بالابناء أو الاشقاء الذين كانوا يبلون بلاء حسنا في القتال.

كما ان الفتيات او الخطيبات (القشن) كن يرفضن الاقتران بأي شاب شركسي لم يشارك في الحرب، ولم يظهر شجاعة فائقة... وان قتل او استشهد كن يفاخرن به، وينظمن فيه قصائد الرثاء (غبزة) كما كانت التقاليد تحرم على النساء من زوجات او امهات او شقيقات او خطيبات لبس السواد واظهار مظاهر الحزن، او حتى ذرف الدموع على شهداء الحرب.. كما كن يحضرن تشييع الجنازة بالملابس البيضاء دون بكاء او حتى كلام [٣٤].

ومن الحقائق اللافتة للانتباه، هي الحقيقة التي نقلها احد المؤرخين الـــروس لأحداث **(طرد الشراكسة) إلى تركيا بقوله: كنا نلاحظ عند تجميع الشراكسة علـــى الشاطئ لترحيلهم إلى تركيا، قلة عدد الاطفال والنساء قياسا بعـــدد الرجـــال**[٣٥]. وهذا يعني بأن النساء والاطفال كانوا هم الجزء الاضعف من الـــسكان، وبالتـــالي كانوا هم اكثر ضحايا وحشية وبربرية قوات سلطات روسيا القيصرية التي كانـــت تستهدف النساء والاطفال العزل والابرياء وغير المشاركين فـــي القتـــال، وهـــي الاعمال التي تعتبر من جرائم الحرب التي ارتكبها القـــادة العـــسكريون الـــروس المتوحشون ضد الأطفال والنساء العزل مثلما اعترف بعـــض جنـــرالات الـــروس وقادتهم السياسيين.

**الحقيقة التاسعة**

**تؤكد الوثائق بأن الفتيان والشباب غير البالغين كان لهم دور فـــي دفـــاع الشراكسة عن (الارض والعرض) وفي مقاومة جيوش السلطات القيصرية، وفـــي صد اعتداءاتهم بشكل عام، وفي الظروف الصعبة والحرجة خاصة... وهـــذا مـــا توصلنا إليه من دراسة بعض الوثائق واقوال بعض جنرالات الروس ومن كتابات بعض المؤرخين، حيث** يؤكد المؤرخون بـــأن أســـلوب تربيـــة وتنـــشئة الاطفـــال الشراكسة واعدادهم الاعداد الاخلاقي والاجتماعي والعسكري الذي يتناســـب مـــع طبيعة الحروب التي كانت تفرض على الشعوب الشركسية منذ عصر الاجداد فـــي عصور ما قبل التاريخ، وحتى العصر الحديث هو اسلوب ربما يندر ان يوجد مثله في أي مجتمع او امة قديمة كانت ام حديثة..

ولتفسير ما تقدم كان لا بد لنا من القاء الضوء على الاسلوب التربوي الذي يبدأ منذ لحظة ولادة الطفل وحتى يبلغ سن الرشد والذي كان يتمثل فـــي الطقـــوس التربوية التالية:

(١) عندما يولد الطفل الشركسي كان يُغطس في الماء البارد، أو يفرك جسده بالثلج، ليتقسى جلده، ثم يجتمع كبار العائلة، في جو احتفالي لاختيار اسم للمولود.

(٢) تُشرب الانخاب خلال الاحتفال وتتلى الادعية التي تدعو إلى تنشئة الطفل ليصبح شجاعا، قويا، كريما، وأن يرفع اسم العائلة، وغير ذلك من الأدعيات الملائمة في مثل هذه المناسبة.

(٣) يتلقى الطفل ثقافته الاولى وهو في المهد الهزاز "كوشه" من خلال "اغاني المهد" التي تغنيها الأم لوليدها، وإلى ان يبلغ السابعة من العمر.

(٤) يُترك الطفل حرا، يتنقل من بيت لبيت، ويقابل بالترحاب، وتقدم له الحلوى والعصائر، وبعض الاطفال يذهب إلى بيت المربي "أتالق" في سن مبكرة، والبعض الاخر يبقى في كنف العائلة، حيث يشرف الجميع على تنشئته النشأة الشركسية التي تتمثل بالرجولة، والشجاعة والخشونة.

(٥) لا يتلقى الاطفال الشراكسة حتى سن السابعة أي عقاب مهما ارتكبوا من أخطاء، لذلك كما تقول الباحثة الاميركية "سولا بينيت" يخلو المجتمع الاديغي من أي نوع من أنواع السادية. ولا توجد منعطفات حادة، كسن البلوغ والمراهقة، في حياة الطفل (الاديغة)، إذ يصبح بعد سن السابعة مؤهلا للدخول في سن النضج، ويبدأ بتلقي التعاليم ذاتها، التي يسير عليها ويتبعها من هم أكبر منه سنا، كوالده وجده، والاتالق.

(٦) يبدأ الطفل بعد سن السابعة يتلقى إحترام كل الاطفال الذين يصغرونه في العمر كما انه يمنح احترامه لمن هم اكبر منه سنا، وبذلك تجنب شعب (الاديغية) مشكلة ما أطلق عليها في العصور الحديثة "صراع الاجيال".

(٧) بعد سن السابعة يتم الفصل بين الجنسين. وتبقى الفتاة تتمتع بالحرية الكاملة في بيتها ما زالت عزباء.[٣٦]

وربما كان الجنرال الروسي (ايفان فيدوفيتش بيرغ) خير من كتب عن نظام (الاتالق) الذي تعرف عليه عن قرب ومن خلال السنوات العشرة التي قضاها من حياته متجولا بين المناطق الشركسية وفي الفترة من (١٨٣٠-١٨٤٠) حيث قال:

"... وبحسب العادات المتداولة منذ قديم الزمن ليس للأمراء ان يقوموا بتربية ابنائهم في منازلهم أو بإشرافهم، وعليهم ما أمكن باكرا (ليس بعيدا عن زمن الولادة) إرسالهم ليتربوا في بيت آخر، ويبذل أي من النبلاء (الأوزدن) قصارى جهده من أجل الحصول على هذا الشرف، والمنزل الذي يقع عليه اختيار الامير يعتبر ذلك ثقة كبيرة وشرفاً.

ويدعى المُربي المختار في تلك الحالة (اتالق)، وعليه أن يعلّم ويكسي ويطعم الطفل الذي عهد إليه بتربيته حتى يحين موعد اعادته إلى اهله، وهو غالبا ما يكون عند بلوغه سن الرجولة وان تكون تربيته قد تمت على أفضل ما يمكن وهو سن السادسة عشرة.

وقال ايضا ان التربية المذكورة عبارة عن التدريب على مختلف الرياضات العضلية المجهدة، والتي تؤدي إلى القوة الجسدية والمهارة في ركوب الخيل واساليب الإغارة والقتال العسكري والرمي بالقوس والبندقية والمسدس وغيرها، كما ان التربية تشمل اسلوب الحديث والمناقشة والمعالجة الفكرية مما يساعده على التفوق في الاجتماعات واللقاءات.

ولتحقيق هذا الغرض يقوم المُربي (الاتالق) بتدريب المرَبيّ لديه الذي يسمى (قان) على كل ما يقوي لديه البنية أو الذكاء مستعملا احيانا بعض الحيل للتوصل إلى ذلك.

وعندما يبلغ القان (المربّى) سن الشباب، او كما يقول الشراكسة اصبح مستوعبا لفنون القتال، يعيده مربوه إلى اهله وذويه بوجود والده وجميع اقاربه،

حيث تقام وليمة فاخرة، (يؤكل فيها نوع من الحبوب) وتهدى إلى (المربّي) هدايا قيمة من الاسلحة والمواشي والجياد. [٣٧]

ومؤرخ آخر يصف نظام (الاتالق) مؤكداً على المزايا النفسية والتربوية التي يكسبها هذا النظام للاطفال الشراكسة بقوله:

"لقد كان النبلاء مثل الامراء والاحرار يحرصون على تنشئة ابنائهم عند عائلات اخرى، حيث يتعلم الاولاد ركوب الخيل واستعمال السلاح ويكتسبون صفات الشجاعة والثبات والمحافظة على التقاليد ثم في عمر السادسة عشرة أو السابعة عشرة يعاد الابن إلى ابويه الحقيقين ضمن احتفال وموكب شعبي، ويتلقى الابوان اللذان ربياه الهدايا من والديه، ويصبح من واجب الابن رعاية وحماية الابوين اللذين تلقى عندهما تربيته (الاتالق).

كما يؤكد بأن نظام التربية هذا كان له ميزات نفسية منها:

١- يقل تعلق الطفل بأبويه واتكاله عليهما، ويتدرب الاعتماد على نفسه بشكل مبكر، كما يقل بذلك ايضا تعلق الابوين بأبنائهم.

٢- يتلقى الطفل تربية قاسية عند ابوين غريبين عنه بدلا من ان يَفسده دلال ابويه.

٣- لهذا النظام ايضا مزاياه السياسية التي تتجلى في توثيق العلاقات مع العائلات والقبائل الاخرى، حتى ان خانات القرم كانوا يرسلون ابناءهم لتربيتهم عند اصدقائهم الشركس.

ويقول ايضا: وحتى بعد زوال هذا النظام في العصر الحالي، فإن بعض العادات المرتبطة به ما زالت سارية حتى ايامنا في بعض المجتمعات الشركسية في المهجر حيث يسخرون من الاولاد الذين لا ينامون خارج بيوتهم في العراء في فصل الدفء على الأقل وهي معتقدات ناشئة عن نظام التربية الشركسية التي تؤكد على تعويد الاطفال على الحياة الصعبة [٣٨].

وكان يتم تدريب الاطفال بعد سن السابعة على الرماية والفروسية، وعلى استخدام كافة انواع الاسلحة بالتدريج، فمثلا كان الطفل يُدرب على استخدام السكين في اصابة هدف امامه أولا ثم خنجرا ثم قوسا وسهما، وبعد اتقان هذه المهارات كان يسمح له بالرمي على المسدس وأخيرا بالبندقية، وبعد اتقان مهارات استخدام هذه الاسلحة من الوقوف كان يبدأ تدريبه على استخدامها من على ظهر الحصان ماشيا اولا، ثم من الجري البطيء فالجري السريع [٣٩].

لا شك بأن التربية القومية الشركسية تهذب نفوس الشباب وتصقلهم وتقويهم من الناحية الخلقية، وتعدهم لتحمل المشاق والمتاعب في الحروب والاسفار، كما يتم تدريبهم على تحمل البرد القارس في الجبال الشاهقة والسهول الفسيحة دون شكوى أو تذمر.

إنّ حياة التقشف التي كانوا يعيشونها بحرمان النفس من الملذات كانت تكسبهم مناعة نفسية، ومتانة خلقية كما ساعدت هذه التربية على جعلهم يتحلون بأفضل الصفات وبأحسن المزايا، وجعلت منهم أمة أصبح لها شأن عظيم منذ أقدم العصور وأصبحوا مضرباً للأمثال بقولهم:

(الآنت الذي لا يعرف الكلل ولا الملل) * [٣٩]

وكان من نتائج الاساليب التي كان يتبعها الشراكسة في تربية وإعداد أبنائهم منذ الصغر، اكتسابهم كثيرا من الصفات والمزايا الشخصية التي جعلت منهم مقاتلين اشداء منذ سن الفتوة والشباب المبكر.. اعترف ببطولاتهم وشجاعتهم الاعداء قبل الاصدقاء.

* الانت هو الاسم الذي كانت تعرف به بعض القبائل الشركسية في مراحل ما قبل العصور الوسطى.

*** دور الاطفال والنساء في حال تعرضهم لغارة مفاجئة:**

قال أحد الجنرلات الروس "عندما كنا نشن غارة مفاجئة على قرية ما بحيث يتعذر عليهم الفرار، فكانت القرية تتحول إلى ساحة حرب، وينطلق الرجال والنساء والاولاد من بيوتهم وهم يصيحون صيحات مفزعة، ويحاولون منع الجنود الـــروس من الدخول إلى بيوتهم ويدافعون عنها دفاع المستميت، ولا يفكرون في الاستسلام، لأن ذلك ليس له معنى عند الجركس".

ثم تبدأ الحرب داخل البيوت والغرف، وصاحب الدار يدافع عن بيته وذويه إلى آخر رمق من حياته، واما الاعداء فيطلقون بنادقهم علـــى الرجـــال والنـــساء والاولاد دون تمييز وبلا استثناء، ويحاولون حـــرق المـــساكن وتحطـــيم الابـــواب والنوافذ. ورغم ذلك كان الروس لا يتمكنون من احتلال بيت او اجتياح مـــسكن إلا بعد ان يتحول إلى انقاض وخرائب يتصاعد منها النار والدخان.

**كما كان للاولاد دور مساند في المعركة حيث كان الفرســـان يـــصطحبون الاولاد للمعركة لكي** يتركوا إليهم امر الاعتناء بخـــيلهم، وهـــؤلاء كـــانوا أحيانـــا يشتركون في المعارك ويتدربون على الامور الحربية على حداثة سنهم.

وكذلك فإن أسلوب تربية الاطفال والفتيان عامة واولاد الامـــراء خاصـــة خلقت من العديد منهم ابطالا وهم في سن الفتوة.. وخير مثال علـــى ذلـــك بطولـــة الامير الفتي (بش قوي) من قبيلة البجدوغ الذي استطاع اسقاط الجنـــرال الروســـي (زاس) من على ظهر حصانه وأخذه غنيمة له وهو في سن دون الخامسة عـــشرة وكذلك حرص الشراكسة على الاعداد المبكر للفتيان، فإن الاطفال الشراكسة عامـــة واطفال الابزاخ خاصة اقسموا على افتداء الوطن والدفاع عن بلادهم خاصـــة فـــي المراحل الاخيرة من حرب الابادة والدمار.

وأدرك القادة الروس هذه الحقيقة، وأصبح الشراكس الأطفال هدفا رئيـــسيا لحملاتهم وغزواتهم وارتكبوا في حقهم ابشع الجرائم.

**وهذا ما نستدل عليه مما جاء في إحدى الوثائق الالمانية التي تقول: "لم يكتف الروس بما جنت أيديهم من ارتكاب المذابح الوحشية في حق المقاتلين الشراكسة من قتل والتمثيل بجثثهم حتى جعلوا الأطفال (الذين بقوا أحياء بعد إحدى المعارك التي وقعت في السنة الاخيرة من الحرب) هدفا لوحشيتهم وقتلوهم جميعا بعد ربطهم ببعضهم البعض واطلاق نار المدفعية عليهم بالجملة، وكذلك فإن احد الجنرلات الروس يعترف في مذكراته بقوله:**

**" أثناء هجماتنا هرب الكثير إلى الغابات، وفي تلك المأساة الدموية غالبا ما كانت الأمهات يكسرن رؤوس أطفالهن لكي لا يقعوا في ايدينا أسرى" (٤٠).**

**الحقيقة العاشرة:**

**حرص القادة الشراكسة العسكريون منهم والسياسيون، كل الحرص على تقديم كل الخدمات، وتوفير جميع الاجواء التي من شأنها اتاحة الفرصة للمقاتلين الشراكسة من القتال بروح معنوية عالية وتقديم التضحيات حتى الشهادة والاستشهاد في سبيل الدفاع عن (الارض والعرض) أولا وفي سبيل تحقيق حريتهم واستقلالهم ثانيا. ومن هذه الخدمات الرئيسية التي ساهمت في رفع معنويات المقاتل الشركسي وتهيئته نفسيا للتضحية بكل غالٍ ونفيس هي توفير الخدمات والاجواء الاجتماعية النفسية التالية:**

**١- الحرص على مراعاة المسائل الاخلاقية:**

حرص القادة العسكريون الشراكسة ومن خلفهم المقاتلون كل الحرص أن لا يتخلوا عن قيمهم وأخلاقياتهم عامة والمتعلقة باحترام المرأة خاصة في ساحات المعركة، وخير دليل على ذلك هو ما ذكره أحد الكتّاب القاصين على لسان بطلة قصته التاريخية الشركسية في حوارها مع البطل وملخصها:

"ولكن الروس يدّعون ان الاديغة، او الشراكسة كما تسميهم انت، يقضون اوقاتهم في التحارب فيما بينهم، وفي سلب ونهب بعضهم البعض؟ فكان جواب بطل

القصة: سأروي لك حادثا جرى بين الشراكسة والتتار.. حدث أن هاجم جيش تتري إحدى المقاطعات في بلاد القبرطاي حيث تصدى فرسان القبرطاي لهذا الجيش وكانوا على وشك ان يبيدوه، **عندما استدار التتار معطين ظهورهم للفرسان للانسحاب، والشراكسة لا يقتلون عدوا أو خصما، يدير لهم ظهره**، والتتار كانوا يعلمون "قانون الفرسان الشراكسة" هذا، وهكذا واصلوا انسحابهم إلى أن عبروا نهر (مالقا) وانطلقوا إلى السهوب الشمالية. وحدث أن كانت قوة قوزاقية تجوب تلك الانحاء في بحث عن غنيمة سهلة، ووجدوا ضالتهم في التتار المنهزمين. وكان فرسان القبرطاي قد واكبوا التتار المهزومين إلى خارج حدود المقاطعة ليتأكدوا من عدم عودتهم مرة أخرى. لكنهم لما رأوا القوي يستقوي على الضعيف المنهزم.. عبروا النهر وهاجموا ودمروا القوات القوزاقية المعتدية، وأعادوا للتتار ما كان سلبهم إياه القوزاق.. فإذا كانت هذه حال الشراكسة مع اعدائهم، فهل يمكن للعاقل ان يصدق ما يشاع حولهم من أباطيل ما انزل الله بها من سلطان؟ (٤٢).

كما ذكر مؤرخ آخر حادثة تدل على مدى تمسك المقاتلين بأخلاقياتهم المتعلقة باحترام المرأة، وملخصها "أن المقاتلين كانوا يحاصرون (حصنا) ويطلقون النار عليه بكثافة .. وظهرت فجأة (امرأة) وهي زوجة قائد (الحصن) الروسي وما كان من القائد الشركسي إلا ان أمر بايقاف إطلاق النار حتى تمر زوجة عدوهم القائد الروسي، لأن من العار على الشركسي حسب عاداتهم قتل امرأة وحتى لو كانت من الاعداء.

والزعيم الشركسي الكبير (جرى قوة شانيزة).. قال حول هذا الموضوع:

بالرغم عن كل وحشية والاعمال البربرية التي كان يرتكبها الروس التزمنا في حروبنا عامة ومع الروس خاصة، بأخلاقياتنا الشركسية لمدة طويلة، إلا ان مظالم الروس وعدم تقيدهم بمبادئ الرحمة والانسانية أخرجنا عن طورنا واضطررنا لارتكاب القسوة واستعمال الشدة، فلا لوم علينا.

**٢- حرص القادة العسكريون الشراكسة على أداء الشعائر الدينية عامة والصلاة خاصة حتى في ساحات القتال:**

يقول (فون فيل): عندما حانت ساعة الصلاة، توضأ الشراكسة، ثم مدوا برانسهم واصطفوا في صفوف مستوية، ثم قرأ أحدهم عدة آيات من القرآن، وردد الآخرون خلفه بصوت مسموع. وبعد ذلك سجد الجميع وكرروا هذه الشعائر عدة مرات في اليوم ولم ينسوا قط واجباتهم الدينية في أي وقت، وفي أي موقف كان. فكانوا يؤدون صلواتهم في أوقاتها المحددة [٤٣].

**٣- أداء القسم الحربي المقدس قبل بدء المعركة**

من المراسم التي كانت متبعة في ساحات القتال هي أن يركب احد الزعماء أو الرؤساء الدينيين حصانا ويقف في وسط الجموع ويتلو دعاء يبتهل فيه إلى الله أن يباركهم وينصرهم على اعدائهم ثم يختم الدعاء بقوله (آمين) وبعدها كان يتم أداء قسم الحرب ونصه "النصر على الاعداء أو الشهادة".

**٤- عدم ترك شهدائهم وقتلاهم وجرحاهم في ساحات المعركة:**

كان من العار على قائد أي مجموعة قتالية ترك أي قتيل او جريح شركسي خلفه.. لذلك كانوا حريصين كل الحرص حتى ولو أدى ذلك إلى مخاطرة او مجازفة بحياتهم.

وخير دليل على احترام المقاتلين الشراكسة لقتلاهم الشهداء أو جرحاهم هو ما ذكره "فون فيل": في كتابه (السنة الأخيرة) بقوله: بأن الشراكسة كانوا يجمعون قتلاهم وشهداءهم ويلفون جثثهم بالمعاطف، ويربطونها بالأربطة (كالموميـاءات)، ويضعون القلبق على عيونها، ويصفونها بجانب بعضها على ألواح من (الخشب) في وسط معسكرنا، اما الجرحى فيضعونهم حول النار ونساعدهم بإعطائهم القمصان لكي يمزقوها إلى قطع ويستعملونها لربط أطرافهم بدلا من الشاش الأبيض الذي لم يكن متوفراً لديهم".

ويضيف قائلا "تم تجميع جثث القتلى والجرحى بجراحهم المدماة حول المواقد عند منتصف الليل وبدأ الجميع الغناء بصوت خافت أغنية حزينة، ثم ارتفع صوت أحدهم بكلمات واضحة جدا، ورافقته صرخات البقية متذكرين قتلاهم، ومتحدثين عن قصص حياتهم. كان عدد حلقات الغناء ما بين (١٥-٢٠) حلقة منفصلة عن بعضها، وكل هذا كان في فترة النوم فلم نستطع إغلاق جفوننا لأننا كنا ننتظر هجوم الروس في كل لحظة.

واستطرد قائلا: "كما ذكرنا فإن كثيراً من الجرحى لم يعيشوا حتى الصباح، وآخرون ماتوا خلال الأيام القليلة التالية وبعد شهر مات الباقون باستثناء من كانت جروحهم بسيطة جدا.

وأكد فون أن المقاتلين الشراكسة كانوا يتحملون آلام جراحهم بصلابة غير معقولة، حتى ذوو الجروح العميقة لم يعبروا عن آلامهم بصوت عال. وتابعوا أعمالهم لعدم لفت الانظار إليهم، وردوا علينا عندما نصحناهم (بالراحة) قائلين: "إن الراحة لا تنفع بشيء، وسنقوم بالأعمال النافعة أكثر من قبل، كما قالوا لنا بأنهم سيموتون إذا لم يظهروا مقاومة للموت".

واستدرك "فون" قائلا:

"لم نستطع ان نساعدهم أكثر لأننا (كفار) في نظرهم، وأننا نكون قد جلبنا لهم الشؤم لو صادف أن مات أحد الجرحى الذين ساعدناهم، إلا أن (الحاج) العجوز الذي كان معنا ايضا قام بإسعافات أولية بإعطاء كل جريح قليلا من مائه الطبي، وكنا نرى الجرحى المساكين دائما مقطوعي الأعضاء، أو أن أجسادهم مثقوبة بالرصاص، ينزفون الدم كثيرا ولا يوجد من يستطيع أن يضمد جرحاهم كما يجب، وكانت مجموعات من الشراكسة تجتمع حول الذين كانت جروحهم خطيرة لمواساتهم ومشاركتهم آلامهم ورغبة منهم في تخفيف آلامهم، أما المصابون بجروح طفيفة فلم يحظوا بأي اهتمام رغم انه يمكن معالجتهم بأبسط السبل. وأما الجرحى

الذين لا يستطيعون المشي وكذلك القتلى فقد تم نقلهم واعادتهم إلى قراهم على نقّالات تم صنعها من أغصان الشجر حيث كان يحمل كل اثنين من المقاتلين قتيلا او جريحا واحدا (٤٥).

وفي رواية أخرى يصف (فون فيل) كيف كان يتم علاج الجرحى بقوله:

"جرح خلال احدى المعارك عدد من المقاتلين الشراكسة وعثرنا عليهم في بيت صغير متداع يهتم بهم شيخ هرم كانت علومه الطبية لا تتعدى وسيلة واحدة يداوى بها جميع الأمراض. فقد أحضر معه خلال عودته من الحج (ختما) كتب عليه بعض الآيات القرآنية، وعندما يبدأ العلاج كان يضع حبرا على الختم ثم يطبعه على الورق في صحن مقعر مليء بالماء، وعلى المريض ان يشرب عدة جرعات من هذا الصحن، وبعدها يمكن للمريض الاطمئنان إلى شفائه السريع. وكان الشراكسة على اقتناع بهذا الطبيب وهذا الدواء، ولذلك كانوا يقصدونه من اماكن بعيدة وبأعداد كبيرة فهو الطبيب الوحيد في المنطقة *

واستطرد قائلا:

تركنا الشيخ يعالج مرضاه وتوجهنا إلى الشاطئ حيث وجدنا مجموعة من المقاتلين يكمنون خلف تلة صغيرة. وقرب الشاطئ وضعنا زورقنا الذي أخرجناه من الماء، وتنبه الروس لوجودهم، وقصفوهم بالمدافع بشكل مركز، حتى أن الموجود فيه تسرب إلى رمال الشاطئ، وكان من الممكن ان ينزل الروس إلى البر لتدمير هذا الزورق المشؤوم فقررنا الاقتراب وعدم تركه تحت رحمة العدو. ولتغيير مكان كميننا كان يجب علينا المرور من ساحة مكشوفة تماما، وحتى هذا الوقت كان أربعة من رجالنا قد جرحوا بسبب القنابل التي اطلقها الروس، وتم نقلهم

* تؤكد الوثائق بأن الطب الشعبي كان متقدما جدا عند الشراكسة في تلك الفترة. وبعض الوصفات التي أحضرها المسنون من القفقاس إلى بلاد المهجر ما زالت معروفة وشهيرة إلى اليوم وخاصة في مجال الجروح والكسور.

إلى كوخ الشيخ، وبقينا نحن وراء التل وبقربنا (إبراهيم). وكان طاقم الزورق في حالة من الانزعاج الشديد، فالبحارة الأتراك رأوا زورقهم محطما. و(إبراهيم) أضاع كميات من ملح البارود [٤٥].

**٤- من المسائل النفسية والروحية التي كان القادة العسكريون الشراكسة يحرصون التقيد على تنفيذها هي وصايا الأبطال المقاتلين من أمراء وغيرهم من المقاتلين حيث أكد المؤرخ الشركسي (نغموقة) على هذه المسألة بقوله:**

إن الأمير (جمير غوقة) من القبرطاي وهو من الابطال المقاتلين أوصى أن يدفن ممتطيا صهوة جواده، متقلدا كامل ملابسه وعدته الحربية، وفعلا نفذت وصيته ودفن كما أراد.

وهذه الحقيقة تثبت مدى مراعاة القادة العسكريين والسياسيين تنفيذ رغبات الشهداء وغيرهم من القتلى مهما كانت تلك الرغبات صعبة، احتراماً لمشاعر المقاتلين الشهداء ونزولا عند تحقيق رغباتهم التي كانت تأتي كوصايا.

**٦- من القضايا الهامة والرئيسية التي كان القادة العسكريون في المجتمعات الشركسية حريصين على إعطائها أهمية خاصة هو توفير الغذاء المناسب لكل مقاتل**

توصلت (المرأة) الشركسية من صناعة انواع من الطعام لا تفسد بمرور الايام وهو الطعام الذي عرف باسم (غوملة) ويعد الغذاء الرئيسي للمقاتلين الشراكسة خلال الحروب او السفر الطويل، وهو يشبه العصيد المصنوع من دقيق مضاف إليه العسل وبعض النباتات، وهو طعام فضلا عن قوتها الغذائية العظيمة فإنها كانت تبقى مدة طويلة دون أن تفسد، وهي تشبه الحلاوة الشركسية المعروفة حتى يومنا الحاضر.

كما كان شرابهم هو المشروب المغلي مع العسل والمضاف إليه دقيق (البروسا) حيث يترك لفترة عشرة ايام ليتخمر وهو شراب يشبه مشروب (البوزا) لدى المصريين.

كما كان القادة العسكريون يكلفون بعض المقاتلين لاصطياد الحيوانات من غزلان أو أرانب وكذلك اصطياد الطيور على اختلاف أنواعها وطهيها أولاً بأول للمقاتلين. وهذا هو سر من أسرار تمكن المقاتلين الشراكسة من الصمود أياماً واسابيع أمام هجمات القوات الروسية القيصرية.

**٧- من القضايا الاجتماعية التي حرص القادة السياسيون والعسكريون الشراكسة إيلاءها أهمية قصوى هي:**

رعاية اطفال وكبار السن وكذلك زوجات وامهات المقاتلين خلال الحروب، فهذه المسألة كانت منظمة جدا في مجتمعات الأمة الشركسية في الأحوال الطبيعية عامة وفي حال تيتم الأطفال وترمل النساء كان يتم رعاية أسر الشهداء والقتلى من قبل مجالس الشعب عامة ومن الاقرباء والجيران خاصة، وان فكرة التكافل والتضامن الاجتماعي هي فكرة قديمة قدم المجتمعات الشركسية، ويعود إليها الفضل في عدم وجود فقراء (متسولين) او محتاجين أو مشكلة الاطفال المشردين او مشكلة رعاية كبار السن في المجتمعات الشركسية المعاصرة داخل الوطن او في بلاد المهجر في دول الشتات.. فالطفل والارملة تلقى كل رعاية من الاقرباء اولا.. ومن اصدقاء العائلة ثانيا، ومن المجتمعات المحلية ثالثا، وكذلك الأمر بالنسبة لكبار السن الذين قتل او استشهد أبناؤهم المعيلون لهم.

**الحقيقة الحادية عشرة:**

كانت الامة الشركسية حريصة على تخليد وتمجيد وتقدير أبطالهم الاحياء منهم والاموات، وأن هذه الحقيقة التي كانت وراء تنافس المقاتلين الشراكسة وقادتهم على تسجيل البطولات والأعمال الخارقة حبا في دخولهم سجل تاريخ الأمة الشركسية وحفر اسمائهم في سجل الشرف للابطال والعظماء لديها.

وكانت من الوسائل التي استخدمتها الامة الشركسية منذ القدم لتخليد وتمجيد انجازات ابطالهم وعظمائهم من القادة وعامة الشعب ما يلي:

**الوسيلة الاولى: عمل تماثيل للأبطال والقادة العظماء**

إن تاريخ الامة الشركسية عامة والقبرطاي منهم خاصة حافل بالأبطال المقاتلين القوميين وقادة الفكر العظام الذين تم تخليد ذكراهم بعمل تماثيل لهم ومنهم:

* البطل (باقسان) ابن الامير (داو) الذي قتل هو وسبعة من اشقائه مع (٨٠) من الامراء والنبلاء وعلية القوم من القبرطاي على يد ملك (القوط Gaths) فقررت شقيقتهم الوحيدة عمل نصب تذكاري لهم من تمثال حجري منحوت من قطعة صخرية كبيرة نحته فنان اغريقي، ويعرف حتى الآن بتمثال (باقسان).

والمثال الآخر على عمل تماثيل للأبطال والقادة العظام هو تمثال (قازنوقة جباغي) المصلح الاجتماعي الشركسي العظيم الذي اشتهر بحكمته وقام بتجديد وتثبيت الانظمة الاجتماعية والمحافظة على التقاليد والعادات الشركسية (أديغة خابزة) وتنظيم الامور الداخلية لحياة الشعوب الشركسية وفي عهده بلغ شعب القبرطاي أوج مجدهم واستردوا هيبتهم ومكانتهم واكتسبوا احترام الكثير من الاقوام والامم [٤٧].

**الوسيلة الثانية: حرصت المجتمعات الشركسية منذ أقوام (النارتيين) في عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث على تخليد وتمجيد ابطال الحروب** والفرسان المقاتلين الشجعان كان ينظم فيهم قصائد شعرية تتكلم عن بطولاتهم وشجاعتهم وبسالتهم.. والامثلة كثيرة جدا، حيث يوجد في التراث الثقافي الشركسي مئات القصائد التي تمجد الابطال والعظماء من المقاتلين والمفكرين والمصلحيين السياسيين والاجتماعيين منها القصائد التي نظمت تمجيداً للأعمال البطولية التي قام بها المقاتلون الشراكسة في مدينتي (دربند وغولانات) من اكبر مدن دولة الخزر.

وكذلك تخليد بطولة المصارعة الشركسية (لاشين قوي) (Lashin-Koi) التي صرعت (قيسين) بطل الابطال التتري في دولة خان القرم في عهد اميرها (كيناي خان) وهي المنازلة التي سبق ذكرها .

اما النموذج الثالث من القصائد التي تمجد أعمال الأبطال والعظام، فهي القصيدة التي نظمت لتخليد ذكرى وقوع الأمير الجوقة في يد الاعداء من قوات دولة الخزر، وقضى في الاسر ثلاث سنوات، واطلق سراحه بعد ان انتصرت جيوش الشراكسة واحتلوا مدينة سرقلة او (آزقلة Askala ) عاصمة دولة الخزر بقيادة الامير الشركسي (يزروقوة) من آل (يولاقوته).

**الحقيقة الثانية عشرة**

تنبه القادة السياسيين للشراكسة بأن قوات روسيا القيصرية تخطط للقضاء على الاقتصاد الشركسي والمتمثل بالثروتين الزراعية والحيوانية من خلال قيامها بعمليات اتلاف المزروعات وحرقها، وكذلك من خلال الاستيلاء على الثروات الحيوانية أو قتلها أو حرقها وإبادتها، هذا بالإضافة إلى قيامها بتدمير أو حرق مستودعات التموين التي تحتوي على الاغذية المحفوظة المكونة من انواع من الجبن الشركسي المدخن واللحم المجفف والزيتون والعسل الاحمر والعسل العادي

القابلة للحفظ بالاضافة إلى المخزون الاستراتيجي من القمح والذرة والدخن والبقول... الخ.

في ضوء تكرار استهداف الثروتين الزراعية والحيوانية وضع القادة الشراكسة خطة لحماية هاتين الثروتين وقرروا العمل على اتباع السياسات والأساليب التالية:

**سياسة اخفاء المواشي:** يقول احد المؤرخين بأن ماشية الجركس وخيلهم وسائر حيواناتهم، كانت لا تحتاج إلى من يسوقها إلى الغابات بل كانت تتجه إليها من تلقاء نفسها بالغريزة حالما تبدأ تدوي أولى الطلقات النارية وسماع صيحة الحراس.

وفي الأحوال التي كان يهاجم فيها العدو بقوات كبيرة كانوا يجمعون المواشي والخيل وحتى الطيور في مخابئ داخل الغابات الكثيفة، بعيدا عن أعين الاعداء، إلا أن المشكلة ظلت قائمة في فصل الشتاء، وعندما يكون الطقس بارداً جدا، حيث كان يتعذر إخفاءها داخل الغابات خوفا من مشكلة تعرضها للتجمد.

**حفظ المواد التخزينية والغذائية داخل اقبية او داخل ابار** او في المغر والكهوف الموجودة في الجبال العالية.

**الحقيقة الثالثة عشرة:**

من أكبر المشاكل التي واجهت قادة الشراكسة من أمراء (بشى) ورؤساء (تحمادة) وقادة عسكريين هي حماية الاطفال والنساء والشيوخ من كبار السن غير القادرين على حمل السلاح، وهي الفئة التي استهدفتها الاعتداءات الوحشية للقوات الروسية القيصرية في غزواتهم وهجماتهم، لعلمهم بأن الرجال الشراكسة البالغين يقاتلون في مواقع بعيدة عن قراهم، وأن هذه الفئة من الشعب الشركسي هم عزل وغير قادرين على الدفاع عن أنفسهم، وكذلك لعلمهم بمدى التأثير على نفسية ومعنويات المقاتلين الشراكسة المرابطين على جبهات القتال، عندما يسمعون

بالمجازر الوحشية واللاإنسانية التي يرتكبها الأعداء الروس في حق أطفالهم ونسائهم وآبائهم أو أجدادهم.

ويؤكد المؤرخون بأنهم حاولوا معالجة هذه المشكلة بإرسال جميع الأولاد والشيوخ غير القادرين إلى داخل البلاد، ولا يبقى في المناطق المهددة سوى الرجال القادرين على القتال، ويُعينون لهم حراسا وخفراء من المشاة والفرسان ثم يهدمون بعد ذلك بيوتهم وجسورهم وطرقاتهم بأيديهم ويسدون المداخل والمسالك بالأعمدة والمتاريس وجذوع الأشجار، ويستنجدون بالبلدان المجاورة، ويظلون حتى تصلهم النجدات وهم على استعداد واقفين بالمرصاد للعدو المتوقع قدومه في كل لحظة.

إلا أن المشكلة ظلت قائمة في فصول الشتاء وأمام البرد القارس، حيث كان يتعذر نقلهم إلى مثل تلك المخابئ، وبالتالي ظلوا هدفا سهلا للقوات الروسية والقوقازية التي لجأت لكل الوسائل والسبل التي من شأنها تحقيق الابادة البشرية بعد أن قاموا بتدمير البنية التحتية من بيوت وممتلكات وطرق ومصادر مياه، بالإضافة إلى تدمير الثروتين الزراعية والحيوانية.

**الحقيقة الرابعة عشرة:**

يقول العالم المجري المختص بدراسة الشعوب (جان شارل دي يس) في عام ١٨٢٩ بأن ملابس الشراكسة العسكرية كانت خفيفة وأنيقة وتتناسب جدا مع امتطاء الخيول وخوض المعارك، فهم يرتدون قمصانا من الكتان او التافتا البيضاء أو الصفراء أو الحمراء، وتزرر هذه القمصان من الأمام ويرتدون فوق القمصان سترا من الحرير من ألوان مختلفة وتدعى "كابتال"، ومن ثم معاطف طويلة تصل إلى أعلى الركبة تسمى (تسيه)، وتثبت عند الخصر بأحزمة ومثبتات من المعادن الثمينة. وعلى صدر المعطف ومن كلا الجانبين توجد ثمانية اماكن لوضع الطلقات" ثم يتابع بالتفصيل وصف البناطيل والاحذية والقبعات، ولكنه يضيف لاحقا قائلا:

"بأن زيهم العسكري رائع للغاية ويجلب انتباه كل من يراه. وبالفعل فإن للشراكسة شكلهم العسكري المميز عن غيرهم خاصة وهم يمتطون ظهور الجياد منذ الطفولة حاملين اسلحتهم، وقد يمضون احيانا يوما كاملا على ظهور الخيل، وأسلحتهم من النوع الممتاز، وغالية الثمن جدا، ويحتفظون بها دائما نظيفة براقة، كما يعتنون بخيولهم طوال الوقت ويضعون عليها سروجا خشبية أنيقة جدا شبيهة بالسروج المجرية" (١٠).

## مراجع ومصادر الفصل الأول من الجزء الثالث في المجلد الثالث

١) جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٣.
٢) حراتوقة، مصدر سابق، ص: ٣٦.
٣) جونا توقة، ص: ٢٢٢.
٤) الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ٦٥-٦٦.
٥) المفتي، شوكت، ص: ٨٢، مصدر سابق، ص: ٧٩، ٨٢، ٨٣.
٦) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٢٣-٢٤.
٧) جونا توقة: مصدر سابق، ص: ٢٢٣.
٨) مامخيغ، رايا – مصدر سابق، ص: ٢٧-٢٨.
٩) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٧١.
١٠) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٢٤ – ٢٨.
١١) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٤٩-٥٠.
١٢) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، مصدر سابق، ص٧١-٧٢.
١٣) ماركس، كارل، المجلد/ ٩، ص: ٢٠٠.
١٤) بلياخوف، مؤرخ روسي عسكري – مؤلف كتاب الأساليب القتالية للقبرطاي، نشر باللغة الروسية ونقلت عن (رايا مامخيغ) في كتابها لمحات عن العادات الشركسية (الاديغا خابزة) ترجمة نزيه جلاحج، دمشق عام ٢٠٠٦، ص: ٤٧.
١٥) م. ارفولدي، اساليب الجبليين في القتال – منشور باللغة الروسية ونقلت عند (رايا مامخيغ) – مصدر سابق، ص: ٤٧.
١٦) آدت، بيليايف – الآلام والاحاسيس – منشور باللغة الروسية ونقلت عن – رايا، مامخيغ – مصدر سابق، ص: ٤٧.

١٧) مامخيغ، رايا – مصدر سابق، ص: ٤٨.
١٨) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٢٣-٢٤.
١٩) جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٢٣.
٢٠) الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة – مصدر سابق، ص: ٦٤.
٢١) الوثائق الروسية، المصدر نفسه، ص: ٦٤.
٢٢) الوثائق الروسية، المصدر نفسه، ص: ٦٧.
٢٣) جونا توقة، مصدر سابق، ص: ٢٢٣.
٢٤) مصدر سابق، ص: ١٥٠.
٢٥) جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٢٤.
٢٦) الوثائق الروسية، إبادة الشراكسة، ص: ٦٨-٦٧.
٢٧) مصدر سابق، ص: ١٥.
٢٨) المصدر نفسه، ص: ٦٣.
٢٩) المصدر نفسه، ص: ٧٠-٧١.
٣٠) المفتي، شوكت، وثيقة المائية، مصدر سابق، ص: ٢٠٣.
٣١) الوثائق الروسية – ابادة الشراكسة، ص: ٣٩.
٣٢) المفتي، شوكت، وثيقة المانية – مصدر سابق، ص: ٢٠٥.
٣٣) جوناتوقة – مصدر سابق، ص: ٢٢٢.
٣٤) المصدر نفسه، ص: ٢٢٣.
٣٥) الوثائق الالمانية، شوكت المفتي – مصدر سابق، ص: ٢٤٠.
٣٦) حراتوقة، مصدر سابق، ص: ٥٤.
٣٧) فيدوفيتش بيرغ، ذكريات عشر سنوات في بلاد الاديغة (١٨٣٠-١٨٤٠) ونقلت عن (رايا مامخيغ) مصدر سابق، ص: ٢٩.

٣٨) سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ٦١.
٣٩) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٢٧-٢٨.
٤٠) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ١٤٧-١٤٨.
٤١) المصدر نفسه ص: ٣٠٣.
٤٢) حاراتوقة، مصدر سابق، ص: ٩٦.
٤٣) فون، فيل، مصدر سابق، السنة الاخيرة ص: ٤٣.
٤٤) المصدر نفسه ص: ٥١-٥٢.
٤٥) المصدر نفسه ص: ٣٤.
٤٦) جون، بادلي، احتلال القوقاز ونقله عن شوكت المفتي في كتابه أباطرة وأبطال، ص: ٦٧.
٤٧) الشاعر الروسي كومونتوف، كتابه بطل الزمان، نقل عنه شوكت المفتي في كتابه اباطرة وابطال ص: ٦٧.
٤٨) المفتي، شوكت ، المصدر نفسه ص: ٦٦.

# الفصل الثاني

## التكتيكات السياسية التي اتخذها قادة الأمة الشركسية وشعوبها في الدفاع عن أرض الوطن ضد الغزاة الأعداء

**تمهيد**

توصلنا من تحليل الوسائل والأساليب والممارسات والأعمال والأفعال التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصرية وجيوشها المدججة بأحدث الأسلحة في حربها مع الشعوب القوقازية عامة، وضد الأمة الشركسية خاصة إلى حقيقة مفادها أنّ السلطات الروسية استخدمت العديد من الأفعال والأعمال التي وصلت في بعضها لمستوى جرائم حرب وأن أكثر الأعمال والسياسات التي لجأت إليها تمثلت في ارتكاب:

**أعمال وحشية وأفعال بربرية لا أخلاقية ولا إنسانية ضد السكان العزل، والاستيلاء على الأراضي لغايات بناء القلاع والحصون، وقتل الأسرى وكبار السن والاطفال والنساء العزل، وتجويع السكان بعد محاصرتهم لفترات طويلة، واستخدام اساليب الدس والايقاع بين الشراكسة وبين شعوب قوقازية اخرى، وتحريض الفلاحين وعامة الشعب الشركسي ضد امرائهم ونبلائهم، ومحاربة انتشار الاسلام، والعمل على نشر الامراض المعدية بين السكان وكذلك بين الحيوانات والطيور، بالإضافة لاستغلال قسوة الطبيعة وسوء الاحوال الجوية في المناطق الجبلية في القفقاس وشن هجمات خلال الظروف الجوية القاسية... الخ.**

وبالمقابل فإن الدارس لوقائع واحداث الحروب الدامية بين الجيوش الروسية والمقاتلين الشراكسة، يجد بأن قادة الأمة الشركسية لم يقفوا مكتوفي الايدي امام وحشية وبربرية القوات الروسية بل تعاملوا معها بطرق وأساليب أكثر حضارية من الاساليب التي استخدمتها السلطات الروسية.

ومن هذه الاساليب هي:

محاولة قادة وزعماء وامراء الشراكسة عامة وشراكسة القبرطاي خاصة التقرب من السلطات الروسية القيصرية، وعدم إظهار أية عداوة لهم وقيامهم بمبادرات عديدة لعقد اتفاقيات صداقة ومعاهدات سلام ابتداء من منتصف القرن السادس عشر الميلادي.

وعندما نكث بعض قياصرة الروس الاتفاقيات والعهود الموقعة مع امراء شراكسة القبرطاي وشنهم للهجمات تلو الأخرى على بلاد الشراكسة، تصدّي الشراكسة لهم بكل قوة ودافعوا عن (الارض والعرض) بشجاعة ورجولة مستخدمين في ذلك خبراتهم القتالية المميزة والتي اكتسبوها من خلال مئات الحروب التي خاضوها ضد الشعوب والأمم والقبائل التي غزت بلاد الشراكسة ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادي.

وعندما تطورت الحروب الروسية / الشركسية قام قادة وزعماء الشراكسة باستخدام أكثر من أسلوب لتعبئة الأمة الشركسية وحشد إمكاناتها البشرية والاقتصادية.

**وفيما يلي حقائق حول الوسائل والاساليب والسياسات والاعمال التي استخدمتها الامة الشركسية في التصدي لحروب الابادة والدمار التي نفذتها جيوش السلطات الروسية القيصرية ضد الأمة الشركسية.**

**(١) سياسة التقارب مع سلطات وقياصرة روسيا:**

من السياسات التي اتخذها أمراء الشراكسة للحفاظ على وطنهم الام، وفي دفاعهم عن استقلالهم، وفي تمسكهم بأرض الأجداد هو أسلوب التقارب مع السلطات الروسية أولا، وفي إعلان الولاء والطاعة للقياصرة، وعدم إظهار اية عداوة لهم ثانيا، وهي السياسة التي اتبعها امراء (القبرطاي) الذي يمكن تسميتهم بأمراء السلام منذ منتصف القرن السادس عشر ميلادي، والدارس للعلاقات الشركسية / الروسية عامة وعلاقتهم (بشراكسة القبرطاي) خاصة يجد بأن هؤلاء الامراء لم يتركوا مناسبة واحدة في حينها، دون إظهار حسن النية، وإعلان رغبتهم في العيش بسلام وأمان مع الروس، بل إنهم أعلنوا أكثر من مرة بأنهم أي (القبرطاي)، يرغبون في عقد اتفاقيات تعاون، ومعاهدات سلام مع القياصرة الروس.

وفي بحثنا حول تاريخ العلاقات بين الأمة الشركسية وسلطات روسيا القيصرية وجدنا بأن الشراكسة "القبرطاي" اتخذوا السياسات التالية:

**اولا: توقيع أول معاهدة تعاون بين القيصر ايفان الرهيب والامير تيمروقة عام ١٥٥٧م**

في منتصف القرن السادس عشر، وعندما قررت قيادات شراكسة القبرطاي البحث عن حليف لهم لحمايتهم من أخطار واعتداءات (خانات القرم التتار) لم يترددوا في التوجه إلى القيصر الروسي (ايفان) الملقب بايفان الرهيب عارضين عليه رغبتهم في عقد اتفاقية تعاون معه، وبالرغم من تشدد القيصر في شروطه وافق الأمير (تيمروقة ايدار) امير القبرطاي آن ذاك، على شروطه ووقع مع القيصر ايفان اتفاقية تعاون في عام (١٥٥٧) بعد ان قدم عدداً من أولاده ومن أولاد العديد من النبلاء كرهائن، حيث قام القيصر بتعميدهم وتنصيرهم، كما وافق الامير

على تزويج ابنته الاميرة (مارينا) للقيصر (ايفان) يوم ١٥٦١/٨/٢١ والتي عمدت تحت اسم الاميرة (ماريا).

**ثانيا: اداء قسم يمين الولاء والطاعة للقيصر ميخائيل رومانوف.**

وفي عام ١٦١٤ وبمناسبة تنصيب (ميخائيل رومانوف) قيصرا جديدا على روسيا، أرسل اكثر من عشرة من امراء القبرطاي كتاب تهنئة للقيصر الجديد وأدوا له يمين الولاء بحضور (ممثل) القيصر شخصيا ونصت (وثيقة الولاء) على ما يلي:

ضمان السلام للقيصر ولبلاده، والقيام بكل واجبات الطاعة والولاء التام من قبل الامراء انفسهم ومن قبل اخوتهم واقاربهم ومن جميع سكان القبرطاي من جميع الطبقات، وأن لا غرض لهم سوى الخدمة والطاعة للحاكم العظيم واامير الامراء القيصر، طوال حياتهم بكل صدق وامانة وأن لا هدف لهم في الحياة سوى البقاء تحت طاعته.

**وفي فقرة أخرى**، تعهد الامراء الموقعين على هذه الوثيقة بما يلي:

مقاتلة اعداء روسيا او من عصى امره بمجرد اشارة إليهم من القيصر والتعهد بمعاقبة كل من يتأخر عن تنفيذ اوامره لحظة واحدة.

**وفي الفقرة الثالثة**، من الوثيقة تعهد الامراء الشراكسة الموقعين على الوثيقة ان لا يعاشروا الامراء الذين لا يخدمون (القيصر) حق الخدمه وأن لا يعصوا أمراً للقيصر ولا يسيئون إليه، ولا إلى الذين لا يعتدون على البلاد الخاصة به، والذين لا يشتغلون بأعمال النهب والسلب وسرقة المواشي، ولا يأسرون أيا من أتباعه.

**وفي فقرة رابعة،** من الوثيقة نجدهم يؤكدون للقيصر بعدم الاعتراف أو مجالسة أي خائن لبلاد القيصر، كما تعهدوا للقيصر بعدم مرافقة أي قادم إلى موسكو او اية مدينة من المدن الروسية الكبرى بهدف (التجسس) أو القيام بإرشادهم إلى تلك المدن أو يدلهم على أي تابع من اتباع القيصر العظيم.

**وفي الفقرة قبل الاخيرة،** من وثيقة الولاء، تعهد الامراء الموقعين بعدم المشاركة بأية مؤامرة أو بأي عمل فيه خيانة للقيصر العظيم واما الفقرة الاخيرة من الوثيقة فكان نصها كما يلي:

"**اقسم (اليمين) بتحقيق وتنفيذ كل ما جاء في هذا الكتاب للقيصر العظيم واامير الامراء (ميخائيل فيردورفيتش رومانوف) الحاكم على جميع البلاد الروسية**".

**ثالثا: اداء قسم يمين الولاء للقيصر ميخالوفيتش**

وفي عام ١٦٤٥ ارسل بعض امراء الشراكسة ونبلاؤهم للقيصر الجديد ميخالوفيتش بمناسبة توليه حكم روسيا واقسموا له اليمين ليكونوا في خدمته كما كانوا في خدمة سلطة القيصر (ميخائيل رومانوف).

**رابعا: حافظ بعض امراء القبرطاي على اداء يمين الولاء لكل قيصر جديد يتسلم سدة الحكم في العاصمة الروسية حتى عام ١٧٢٢م**

حيث تكشفت نوايا وأهداف السلطات الروسية القيصرية العدائية بعد حادثتين حدثتا خلال القرن الثامن عشر هما:

**الحادثة الاولى:** قيام القيصر بطرس الكبير بحملة عسكرية ضد الشعوب القفقاسية، حيث بدأ حملته الأولى ضد الشيشان والداغستان واتبعها بحملة ثانية ضد بلاد القبرطاي عام (١٧٢٢) ميلادية.

**الحادثة الثانية:** الكشف عن نص التقرير السري الذي سبق أن رفعه (بوتموين) إلى القيصر الكسندر الثاني والمتضمن خطة السلطات الروسية القيصرية للاستيلاء على القفقاس (أرضا بلا سكان)، وتضمن التقرير السعي لتحقيق أربعة أهداف رئيسية كما تضمن تفاصيل السياسة المستقبلية للسلطات الروسية القيصرية في حربهم ضد الشعوب القفقاسية عامة والشركسية منهم خاصة .

أدرك امراء الشراكسة عامة وأمراء القبرطاي خاصة بعد هذين الحدثين بأن قياصرة الروس يخططون لإبادة الشراكسة، وتدمير بلادهم، وبالتالي غير غالبية امراء الشراكسة من سياسة المهادنة والتقرب من القياصرة الروس بل إنهم حاربوا الروس بعدها خمس عشرة سنة.

**خامسا: قيام بعض امراء القبرطاي استرضاء الامبراطورة كاترينا الثانية:**

إلا ان عددا من امراء القبرطاي وبعد انتهاء المعارك ضد الروس على خلفية الخلاف على (حصن مزدوك) والتي دامت حوالي (١٥) سنة بشكل منقطع حاولوا استرضاء الامبراطورة (كاترينا الثانية) بإرسال اثنين من أمراء الشراكسة في عام (١٧٧١) إلى مدينة سان بطرسبرج، حيث قدّما للامبراطورة الولاء والطاعة التامة باسم شعب القبرطاي في حال تنفيذها مطالبهم المتعلقة بالأمور التالية:

- هدم حصن (مزدوك).
- عودة الشراكسة الهاربين إلى حصن (مزدوك) إلى موطنهم الاصلي.
- عدم عرقلة السلطات الروسية لامتلاك الأراضي.

وقد وافقت الامبراطورة على مطالبهم باستثناء هدم حصن (مزدوك).

إلا أن رسالة الأميرة إلى أمراء القبرطاي بعد توقيع اتفاقية الهاربين إلى (مزدوك) تضمنت بأن تنفيذ مطالب امراء القبرطاي سيتم فقط في حالة استمرار إخلاصهم للدولة الروسية، وإذا حدث أي شيء خلاف ذلك فإن الامبراطورة ستقوم بمعاقبة شعب القبرطاي بغض النظر عن الخدمات التاريخية التي قدمها للدولة الروسية. ويؤكد المؤرخون بأن شعب القبرطاي تلقى رسالة الامبراطورة وتهديداتها بتحفظ شديد وقال الأمير (كاسيا اتاجوكين) "سنكون اذن تحت الوصاية الروسية كما حصل مع شعب (القالموق) الذين تشرذموا واضطروا إلى مغادرة بلادهم، وأخشى أن يلقى القبرطاي نفس المصير واضطرارهم المغادرة إلى الجبال".

**سادسا: محاولة امراء الشراكسة تذكير الامبراطور الاسكندر الأول بالاتفاقيات والمعاهدات الموقعة منذ عهد ايفان الرهيب وكاترينا الثانية.**

أرسل زعماء القبرطاي في عام ١٨١١ بعريضة إلى الامبراطور اسكندر الاول، تضمنت إخلاصهم للقياصرة الروس ابتداء من عهد (ايفان الرهيب) عام ١٥٥٧ وحتى عهد الامبراطورة (كاترينا الثانية) في عام ١٧٧١ .. كما أعربوا فيها عن قلق شعب القبرطاي بأحداث السنوات الأخيرة من قتل وتدمير وإبادة .. كما تحدثوا عن القلاع والحصون الروسية التي زرعت في بلاد الشراكسة، وعن الأراضي التي استولت عليها السلطات الروسية بدون وجه حق.. الخ.

وتظاهر القيصر بأنه يقدر أسباب قلق شعب القبرطاي.. وأنه أمر بتشكيل وحدة حرس خيالة خاصة من ابناء عائلات الامراء والملاك والاحرار الشراكسة ووضعها تحت قيادته شخصيا.. وألغيت هذه الوحدة بعد خمس سنوات بطلب من القائد الروسي الجنرال (يرمالوف).

وفي عام ١٨١٨ شكل شعب القبرطاي وفدا مكوناً من أكبر الأمـــراء ســـنا ومقاما بلغ عددهم (٧) أمراء وتوجهوا إلى القيصر أسكندر الأول مطالبين التصديق على الامتيازات التي منحتها إياهم الامبراطورة كاترينا الثانية سابقا، كمـــا قـــدموا مطالب اخرى منها اعادة بلادهم الواقعة ما وراء (المالقا).

**سابعا: المحاولات الأخيرة لقادة وشعوب الامة الشركسة الأخيرة في العيش بسلام مع سلطات روسيا القيصرية**

بالرغم من الاعمال الوحشية التي كانـــت ترتكبهـــا الجيـــوش الروســـية.. وبالرغم من سياسة الابادة والتدمير التي اتبعها القادة السياسيون والعسكريون ضـــد الأمة الشركسية، فإن القادة العسكرين والسياسيين القبرطاي وبتأييد مـــن الـــشعوب عامة والنبلاء الشراكسة خاصة لم يتخلوا عن اتباع سياســـة العـــيش بـــسلام مـــع السلطات الروسية القيصرية حتى السنة الاخيرة من هذه الحروب.

وخير دليل على هذه السياسة السلمية تلك الأحداث والوقائع السلمية التـــي حدثت خلال الفترة ما بين (١٨٢٨-١٨٦٣) وأهمها:

١- أعلن عدد كبير من الشراكسة في عام ١٨٢٦ الرغبة للعيش بـــسلام مـــع الروس شريطة أن لا يقوم الروس بأية اعمـــال عدائيـــة ضـــدهم.. إلا أن السلطات الروسية لم تتجاوب مع هذه الرغبة وواصلوا حربهم بكل شراسة ووحشية ضد الشراكسة في كل مكان في شمال القفقاس.

٢- وفي الحرب الروسية / التركية عـــامي ١٨٢٨-١٨٢٩ وقـــف اقطـــاعيو الاديغة على الحياد ولم يقاتلوا مع الاتراك، ولم يرفعوا السلاح ضد القوات الروسية ايضا كما ان الفلاحين لم يشاركوا في الحرب مع احد الطـــرفين، وبعد انتهاء الحرب لم تسلم هذه الفئة وغيرهم من الشراكـــسة مـــن شـــر القوات الروسية، وطلب الجنرال الروسي (ايمانويل) من جميع الشراكـــسة إعلان الولاء للسلطات الروسية القيصرية دون قيد أو شـــرط وتوعـــدهم

باتخاذ اجراءات قاسية ضدهم. وعندما رفض نبلاء الناتخواج اعلان الولاء لروسيا قام بمهاجمتهم وتدمير حوالي ٢٧ قرية بالإضافة إلى تدمير مستودعات احتياطي القمح وغيرها من المواد الغذائية.

٣- دعا الشابسوغ والناتخوج إلى اجتماع شعبي عام ١٨٣٩ لمناقشة إجراء محادثات سلام مع السلطات الروسية القيصرية إلا أن عميلين اثنين من عملاء الانجليز قاما بتقديم وعود كاذبة تضمنت خطة كل من ملك انجلترا ومحمد علي الكبير حاكم مصر والسلطان التركي (الاعلان عن استقلال تشركسيا).. وابرزا صورة عن الاعلان المنشور في مجلة انجليزية التي كان يصدرها العميل الانجليزي (اوركارت) فصدق الشراكسة الوعد وغضوا النظر عن عقد اتفاقية سلام مع السلطات الروسية القيصرية.

٤- في صيف عام ١٨٣٨ قامت مجموعة من الزعماء الموالين للروس بالدعوة لاجتماع شعبي لمناقشة المسألة الرئيسية، وهي كيفية التعامل مع السلطات الروسية القيصرية، واتفق زعماء الناتخواج على مبدأ الخضوع لروسيا بشرط إزالة القلاع والتحصينات الروسية الموجودة في أراضيهم، والوعد بعدم بناء قلاع جديدة مستقبلا.

٥- اعترف الابزاخ والشابسوغ في عام ١٨٦٣ بالسلطة الروسية القيصرية دون قيد أو شرط، مع طلب وحيد وهو السماح لهم بالبقاء في اماكنهم للسنة القادمة، بعدها سيقومون بالهجرة.. إلا ان السلطات رفضت طلبهم واقتادوهم بالقوة إلى شواطئ البحر الاسود ولم يعطوا الوقت الكافي لجمع أمتعتهم [٧].

**(٢) سياسة الانفتاح على العالم الخارجي بحثا عن دعم عسكري وسياسي واقتصادي:**

بعد ان تأكد قادة وزعماء الشراكسة استحالة التفاهم مع سلطات روسيا القيصرية، وبعد أن انكشف لهم بأن قياصرة روسيا وقادتها السياسيين والعسكريين يخططون للاستيلاء على (الأرض بلا سكان) قرر زعماء الشراكسة الانفتاح على العالم الخارجي عامة، وعلى بعض الدول الاوروبية العظمى خاصة، وبدأ هذا الانفتاح في مطلع القرن التاسع عشر، بعد أن كان الانفتاح في القرنين الماضيين (السابع عشر والثامن عشر) مقصورا على الدولة العثمانية وخانات القرم من التتار والنغوي والمتمثل بعقد أول اتفاقية اتحاد مع أهل القرم وتشكيل قوة عسكرية مشتركة في عام ١٧٦٧ لطرد القوات الروسية من الأراضي التي احتلتها في تلك الفترة، كذلك توقيع معاهدة التعاون بين الباب العالي التركي وامراء وزعماء القبرطاي في عام ١٧٧٩.

وتشير الوثائق بأن أول انفتاح واتصال سياسي حقيقي مع دول أوروبية بدأ بعد اجتماع المجلس القومي الشركسي، الذي عقد في مطلع القرن التاسع عشر الذي تقرر فيه القيام بمساعي كبيرة للاتصال مع بعض زعماء الدول الاوروبية، حيث تم إرسال الوفود إلى عواصم الغرب مثل لندن وباريس واستانبول، وفي العاصمة العثمانية اجتمعت هذه الوفود، بوفود أخرى قدمت من الداغستان، وتمكنت هذه الوفود من لفت أنظار العالم إلى الحرب القوقازية والاحداث الدموية الجارية فيها.

وبعد عودة هذه الوفود، عُقد اجتماع سياسي كبير حضره جميع الامراء والرؤساء والقادة العسكريون لتدارس النتائج، حيث تقرر في هذا الاجتماع تحديد السياسية الخارجية للشراكسة .. كما تم وضع الأهداف المطلوب تحقيقها من الاتصالات الخارجية التي تتم بطريقة مباشرة من خلال سفر الوفود أو استقبال وفود أو بطريقة غير مباشرة من خلال إرسال البيانات والنداءات والرسائل لرؤساء

وملوك وقادة مختلف الدول الاوروبية والاسيوية والافريقية، ومن الاهداف التي كان يسعى الشراكسة لتحقيقها من مثل هذه الاتصالات هي:

**أهداف سياسية وإعلامية مثل:**

١- الحصول على تأييد سياسي دولي للأمة الشركسية في دفاعها عن (الأرض والعرض) وفي حقها الحصول على استقلالهم، والعيش بسلام على أرض الاجداد في الوطن الأم.

٢- كشف الاعمال الوحشية والافعال البربرية، والاجراءات غير الاخلاقية والممارسات غير القانونية التي ترتكبها قوات روسيا القيصرية بدعم وتأييد من السلطات الرسمية ضد الشعوب القفقاسية عامة والأمة الشركسية خاصة.

٣- الكشف عن جرائم الإبادة والدمار التي وصلت إلى مستوى جرائم الحرب تلك التي نفذتها القوات الروسية ضد الأطفال والنساء وكبار السن والسكان العزل الشراكسة.

٤- تشكيل لجان اعلامية وصحفية من المختصين في الدول الصديقة بالتعاون مع لجان وجمعيات الصداقة الشركسية التي شُكلت في كل من لندن وباريس واستانبول، للقيام بتجنيد كتاب وصحافيين لنشر مقالات عن وحشية وبربرية أعمال الروس، وعن عدالة القضية الشركسية وحقهم في الدفاع عن انفسهم للحفاظ على استقلالهم، وكذلك نشر حقائق الدمار الذي لحق بالقرى الشركسية والإبادة الجماعية التي كان يتعرض لها السكان الآمنون.

**أهداف عسكرية:**

كان من اهداف الشراكسة في اتصالاتهم الخارجية هو الحصول على:

١- تسليح المقاتلين الشراكسة بالأسلحة المناسبة للدفاع عن وطنهم بشكل عام، وملح البارود والتسليح المدفعي بشكل خاص، حيث كان المقاتلون الشراكسة ينقصهم هذين النوعين من الأسلحة والعتاد.

٢- ايفاد خبراء عسكريين لتدريب المقاتلين الشراكسة على استخدام سلاح المدفعية وصناعة البارود.

٣- استقبال متطوعين للقتال مع الشراكسة بالأخص المتطوعين ذوي الخبرة في حرب العصابات.

٤- الحصول على دعم مادي من المتبرعين المؤمنين بعدالة قضية الشراكسة.

**أهداف تجارية اقتصادية:**

من الاهداف غير المباشرة من الاتصالات الخارجية كانت اهداف تجارية اقتصادية نذكر منها:

١- زيادة المعاملات التجارية مع كل من الاتراك والانجليز وبعض الدول الاوروبية بهدف تسويق المنتوجات الزراعية والصناعات الخفيفة التي كان يشتهر بها الشراكسة، والحصول على البضائع والمواد الاكثر حاجة للشراكسة خاصة ما يتعلق منها بالاقمشة، والمواد التموينية مثل السكر.

٢- استخدام عمليات التجارة كوسيلة لتهريب الأسلحة والمعدات العسكرية للمقاتلين الشراكسة.

تلك هي الاهداف المباشرة وغير المباشرة التي كان قادة وزعماء الشراكسة يسعون لتحقيقها في سياستهم للانفتاح والاتصال على العالم الخارجي عامة والدول الاوروبية خاصة.

**واما الدول التي استجابت لاتصالات الشراكسة فهي:**

**انجلترا، فرنسا، تركيا، البولنديون، الشراكسة المهاجرون سابقا لتركيا، وبعض الدول الاوروبية**

وبالرغم من عمق العلاقات الثنائية بين الشراكسة وبين هذه الدول فإن الدعم الذي تلقته الامة الشركسية خلال الخمسين سنة الأخيرة من حربهم ضد جيوش روسيا القيصرية، كان دعما متواضعا، بل بالعكس فإن هذه العلاقات كانت ضارة للقضية الشركسية أكثر مما كانت نافعة ومفيدة، وان بعض الاسباب التي ادت لانتصار روسيا القيصرية عسكريا وسياسيا هي خيانة كل من دول الحلفاء الثلاثة (تركيا وانجلترا وفرنسا) لقضية استغلال الشراكسة وعدم استمرار ضغطهم عسكريا على روسيا في حربهم المعروفة باسم حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦). علما بأن قوات التحالف الثلاثي كانت منتصرة على القوات الروسية عندما قرروا إيقاف الحرب والذهاب إلى (مؤتمر باريس) وتوقيعهم اتفاقية مع روسيا في عام ١٨٥٦، تنازل فيها الحلفاء عن بلاد (تشركيسيا) لقياصرة الروس، بعد ان كان مقررا منح الشراكسة استقلالها وتكوين دولتهم المستقلة عن روسيا القيصرية (كما سبق التحدث عنها).

**وللأمانة العلمية يجب الإشارة بأن الشعب الوحيد الذ وقف بصدق مع الشراكسة في حربهم ضد جيوش قياصرة روسيا هو الشعب البولندي الذي قدم دعما عسكريا وسياسيا واعلاميا حقيقيا وصادقا (كما تحدثنا عنه سابقا).**

**(٣) سياسة الامة الشركسية في التوحد والوحدة والاتحاد ورفع شعار (في الوحدة قوة) منذ عهد الاجداد في عصور ما قبل التاريخ ومرورا بالعصور الوسطى وفي عصر حروب ابادة ودمار الأمة الشركسية في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين.**

**تمهيد**

عندما شعر قادة وزعماء الشراكسة بفشل السياسة السلمية في التعامل مع قياصرة الروس وانهيار سياسة التقارب مع سلطات روسيا القيصرية، وبعد ان تأكد لهم بأن الروس يخططون للاستيلاء على بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة (ارضا بلا سكان) خططت القيادات الشركسية لاتباع سياسة التعبئة الشعبية والعمل على توحيد القبائل الشركسية المنتشرة في مناطق حوض نهر (الترك) وهم القبرطاي، وكذلك القاطنين منهم في مناطق ما وراء الكوبان من قبائل البسلني والاديغة وعددها (١٢) قبيلة. **علما بأن مسألة توحد او اتحاد القبائل الشركسية كانت من المسائل الخلافية بين المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ الشعوب القفقاسية عامة وتاريخ الامة الشركسية خاصة، حيث إن الغالبية العظمى منهم يؤكدون بأن أهم أسباب ضياع الوطن الأم، وتشتت الشراكسة، هو عدم وجود وحدة سياسية لشمال القفقاس في تلك الفترة.**

وأن العديد من شراكسة المهجر يتهمون الأجداد (بأن كل شركسي كان يعتبر نفسه (تحمادة)) وان هذه العقلية كانت وراء عدم توحد او اتحاد الشراكسة قبل اندلاع (حرب الابادة والدمار الروسية / القفقاسية) وخلال اندلاعها ... وبعدها.

**وأنا شخصيا وقبل البدء بدراسة تاريخ الامة الشركسية دراسة تحليلية متعمقة كنت ايضا من الفئة التي تتفق مع القائلين بأن الأمة الشركسية لم تشكلّ يوما ما دولة او اتحاداً او حكومة وأنه لم يكن لديها تفاهمات سياسية قبل وبعد الحروب الروسية/القفقاسية الاخيرة.**

إلا أنني وبعد ان عرفت ما عرفته عن حقيقة تاريخ الأمة الشركسية (قديما وحديثا) **أقول بأنني كنت أول المخطئين**.. وأن العديد من الكتاب والمؤرخين الشراكسة مارسوا سياسة جلد الذات باتهامهم للاجداد والاباء الابطال والحكماء الذين لم يتركوا كل صغيرة وكبيرة من اجل انقاذ (الارض والعرض) وانهم لجأوا لكل وسيلة ممكنة وغير ممكنة من اجل الحفاظ على وطنهم حراً مستقلاً منذ فجر التاريخ، وحتى انهيار المقاومة الشركسية يوم ١٨٦٤/٥/٢١ .

وللتأكيد على هذه الحقيقة التي توصلت إليها حول موضوع وجود (وحدة سياسية) للأمة الشركسية او عدم وجودها، قمت بدراسة نشأة وتطور مفهوم الدولة لدى الأمة الشركسية منذ الالفية الثانية قبل الميلاد وحتى يومنا الحاضر كما هو مبين في (المجلد الثاني) لهذه الموسوعة.

وبتحليل نتائج تلك الدراسة توصلنا إلى الحقائق التالية:

**أولا:** إن الامة الشركسية منذ عهد الأجداد في عصور ما قبل الميلاد وحتى يومنا الحاضر دأبت على تشكيل امارات وحكومات ودول واتحادات وتجمعات تجمع مختلف القبائل الشركسية، بلغ مجموعها (٢١) امارة او اتحادا او دولة او حكومة او قيادة مشتركة توزعت على النحو التالي:

**اولا: تكوين أكثر من (٨) دول واتحادات ذات حضارات عريقة في العصور ما قبل الميلاد وهي:**

١- تكوين حضارتي مايكوب والكوبان.. والمشاركة في بناء اربع حضارات قوقازية أخرى منذ الالفية الثالثة قبل الميلاد.

٢- المشاركة في تأسيس امبراطورية الكيميرون في الفترة ما بين (٢٠٠٠-١٠٠٠) قبل الميلاد.

٣- تكوين اول دولة مستقلة في تاريخ الامة الشركسية هي (دولة السيند) وفي نفس الوقت تكونت دولتي (الكاسوغ والزيك) كما شكلت قبائل (المه –

ؤت) المؤلفة من (٢٥) قبيلة اتحادا كبيرا سمي بجماعة (المـــأوت) وقبـــل نهاية القرن الاول قبل الميلاد تكونت حكومة لدولة (الكيركيـــت) وكانـــت قائمة على النظام الطبقي [١].

**ثانيا: تشكلت خلال القرون الاولى ما بعد الميلاد [٥] دول او حكومات او اتحـــادات وهي على النحو التالي:**

١- في القرن الاول الميلادي اتحدت معظم القبائل الشركسية مع دولة البسفور اليونانية وقضى عليها قبائل الهون التي اكتسحت بلاد القفقاس من جنوبهـــا إلى شمالها في القرن الثاني الميلادي.

٢- استعادت الامة الشركسية حيويتها ونشاطها مع حلـــول القـــرن الـــسادس الميلادي وشكل في مطلعه دولة جديدة سميت بدولة (زيخيا – الفيدراليـــة)، وهم اجداد الاوبخ، شاركت فيها جميـــع القبائـــل الشركـــسية فـــي شـــمال القفقاس.. واستمرت هذه الدولة حتى القرن الثامن الميلادي.. وانفرط عقد هذا الاتحاد بسبب خلافات داخلية بين القبائل المشاركة فيه، وتشكلت علـــى أنقاضها دولتين جديدتين هما: **دولة أشوا، وهم أجـــداد الأبخـــاز ودولـــة القاسوخ وهم أجداد الشراكسة على ضفاف نهر الكوبان** [٢].

٣- اسس الأمير ينال (الجد) الأكبر لأمراء القبرطاي دولة اتحادية بعد أن وحّد القبائل الشركسية عامة وضم إليها الابخاز في مرحلـــة لاحقـــة، وســـمي بالأمير العظيم، كما اطلق عليه لقب الامير (الحكيم) وتفكك هذا الاتحاد بعد موته لاختلاف أبنائه الخمسة على الحكم. [٣].

**ثالثا: تشكيل اتحادين في الفترة ما بين القرن العاشر بعد الميلاد وحتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي، حيث تشير الوقائع التاريخية إلى أنّ الأمة الشركسية شكلت فيما بينها قيادات مشتركة ودول واتحادات شارك فيها تجمع اكثر من قبيلة من القبائل الشركسية خلال هذه الفترة، ومن اهمها هي:**

١- في عام ٩٥٧م تشكلت قيادة مشتركة لاتحاد شعوب شمال القفقاس لمقاومة توسع دولة الخزر نحو الجنوب ومنع بسط نفوذها على بلاد الشركس.. واستطاعت قيادة هذا الاتحاد من احتلال عاصمة الخزر.

٢- وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين اكتسحت الجيوش التتارية بقيادة جينكيز خان، جيوش المغول بقيادة تيمورلنك بلاد الشركس، وقضت على اتحادهم وتشتت القبائل الشركسية والتجأت إلى الجبال خوفا من بطشهم ووحشيتهم. (٤)

٣- ظلت الشعوب الشركسية مفككة ومشتتة، منذ أن قضى التتار والمغول على قيادة اتحاد شعوب القفقاس الشمالي التي سبق أن تشكلت في القرن العاشر الميلادي. دون قيادة موحدة، وبدون اتحاد أو حكومة موحدة، حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي وبالتحديد حتى عام (١٦٤٥) حيث عقد زعماء وامراء الشراكسة سلسلة من اجتماعات، شارك فيها وجهاء ونبلاء ورؤساء العائلات الكبيرة بهدف تقييم الأوضاع العامة في عموم بلاد (الاديغة) واستمرت المداولات والمشاورات سنين عديدة نظرا لاختلاف وجهات النظر والاجتهادات حول المسائل المطروحة على طاولة الاجتماعات.. وفي النهاية اتفقوا على ضرورة التوحد ليتمكنوا من الدفاع عن حرية واستقلال الوطن الام.

وكان من بين الذين حملوا راية الدعوة إلى توحيد قبائل القبرطاي من النبلاء الذين اتصفوا بالعقلانية والحكمة هو (قازان يوقه جباغي) الذي كان مربيا (أتالق) للأمير الشركسي الصغير (قايتوقة) الذي انتخب حاكما عاما على قبائل القبرطاي في تلك الفترة. كما انضم إلى حكمه قبائل شراكسة ما وراء الكوبان من (الاديغة) وعددها (١٢) قبيلة، واعتبر هذا الاتحاد أقوى اتحاد تشكل في تاريخ الأمة الشركسية في عصر ما بعد الميلاد، وفي عهده ازدهرت التجارة والزراعة والصناعة، وكون علاقات تجارية مع انجلترا وايطاليا وتركيا والقرم، وفي عهده ايضا قام مستشاره الشخصي (جباعي) بمراجعة مبادئ وقواعد العادات الشركسية (الخابزة) فأكد على بعضها وعُدل غير المناسبة لعصره، واضاف عادات وتقاليد كان يحتاج إليها المجتمع الشركسي في ذلك الوقت.

**رابعا: تشير الوثائق بأن الشراكسة في الوطن الام قد أسسو اكثر من (٦) اتحادات في الفترة ما بين (١٧٨٣) وحتى عام (١٨٦٣م) بالإضافة إلى عقد عشرات الاجتماعات الشعبية ولقاء بين الزعماء والامراء، للتباحث في ايجاد افضل السبل والوسائل لمقاومة الروس الاعداء، ومنعهم من تحقيق الاستيلاء على الوطن الام في قفقاسيا الشمالية ومن هذه الاتحادات:**

١- اتحاد شعوب شمال القفقاس الذي تشكل تحت قيادة الامام منصور (او شورما) في عام (١٧٨٣م) ورفعوا راية (المقاومة حتى الاستقلال) وظل الاتحاد قائما حتى عام ١٧٩٠م [٥].

٢- وفي عامي ١٨٠٣-١٨٠٤ اتحدت القوات القفقاسية الشمالية بمشاركة قادة من الاوبخ والاستين والابخاز والداغستان والشيشان والاديغة لمقاومة الاعتداءات الروسية. [٦]

٣- وفي عام ١٨٣٩ عقد مؤتمر شعبي كبير في منطقة الشابسوغ حضره معظم زعماء وامراء القبائل القبرطاي والاديغة، واصدروا بيانا وطنيا ردا

على تنازل الاتراك عن بلاد الشركس للروس في معاهدة ادرنة.. سمي البيان **(بوثيقة الاستقلال)** وقع عليها جميع امراء الشراكسة الاتحاديين.. وارسل البيان إلى رؤساء حكومات الدول الاوروبية الغربية ورؤساء بعض الدول الاسيوية. [٧]

٤- وفي عام ١٨٤١م اتحدت قبائل الشابسوغ والاوبيخ والحاتوقوي واعلنوا الجهاد المقدس على الاعداء الروس وخاضوا (٨٨) معركة وغارة ضد القوات الروسية.

٥- وفي يوم ١٣/ حزيران عام ١٨٦١م تقرر تأسيس اتحاد شعوب ما وراء الكوبان.. وتشكيل مجلس وطني.. واتخاذ القرارات التالية:

١- ارسال بيان إلى جميع الدول الاوروبية لاطلاعهم على آخر آوضاع شعوب القفقاس.

٢- اعتبار يوم ١٣ / حزيران يوم الاستقلال لدى الامة الشركسية.

٣- انتخاب مجلس عموم الشراكسة من (١٥) شخصا سمي (مجلس الاستقلال).

٤- الطلب من انجلترا تقديم المساعدة.

٥- اعتماد علم للاتحاد.

٦- الطلب من قائد القوات الروسية ايقاف تقدم قواته نحو بلادهم [٨].

٦- وفي عام ١٨٦٣ تأسس في استانبول (المجلس الوطني الاعلى الشركسي في الخارج) لقيادة حربهم على الروس.. وكان بمثابة (حكومة في المنفى)، شارك فيها ممثلون عن اللاجئين والمهاجرين الشراكسة إلى تركيا كما شارك فيه قادة بولونيون [٩].

**(٤) سياسة التشاور والتنسيق وتوحيد مواقف الشعوب والقبائل الشركسية منذ عصر الاجداد وحتى القرون الوسطى وابان حرب ابادة ودمار الامة الشركسية في الوطن الام.**

توصلنا في بحثنا حول مصدر السلطات لدى الأمة الشركسية، بأن الأمة الشركسية ربما كانت أكثر أمة وشعباً من الشعوب القوقازية استخداما لأسلوب التشاور والتنسيق، وكذلك اسلوب اشراك عامة الناس جنبا إلى جنب مع زعماء وقادة وحكام، في اتخاذ القرارات المصيرية، كما توصلنا بأن أجداد الشراكسة منذ عصور (سلطة الأم) و (سلطة الأب) وكذلك في العصور التي تشكلت فيها الدول والدويلات والامارات، وتطور مفهوم المجالس كمصدر للسلطات لدى الأمة الشركسية وتعددت مهامها بعد العصور الوسطى وأصبح التشاور يبدأ في مجلس (الشيوخ وكبار السن) ثم ينتقل إلى (مجلس النبلاء) الذي كان يعرض مقترحاته على (مجلس الشعب) المنتخب من الشعب مباشرة لاتخاذ القرارات بمشاركة ممثلي عامة الشعب جنبا إلى جنب مع القادة والزعماء والأمراء والنبلاء.

وتطورت (المجالس الشعبية) إلى (مجالس الاعيان) التي كانت بمثابة مجالس قومية سميت (بالمجالس القومية العليا) ويتم تشكيلها بالانتخاب، كما كان يتم انتخاب رؤسائها بالإقتراع العلني المباشر ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادي وبالتحديد ابتداء من عام ١٧٩٠ وبعد حدوث انتفاضة وثورة شعبية على الاقطاعية والطبقية في بلاد الشراكسة منذ مطلع القرن التاسع عشر، وبعد ان تطورت مجريات واحداث حرب الدمار والابادة الروسية القيصرية الهمجية الوحشية، وتزايد أعداد الهجمات والمعارك والغارات والغزوات حتى وصل عددها (١٤٣) معركة. بالإضافة إلى مئات حملات التأديب العسكري استحالت معها عقد اجتماعات (للمجالس الشعبية) التي كانت تعقد بشكل دوري ومستمر في أيام السلم، وأصبح الأسلوب الوحيد المتاح للتشاور وتنسيق جهود مختلف القبائل الشركسية في غرب

وشرق شمال القفقاس هو أسلوب (اللقاءات والاجتماعات الطارئة) وحسب ما تسمح بها مجريات المعارك اولا، وحسب المتطلبات السياسية الظرفية ثانيا. كما اصبحت مهمة التنسيق والتشاور بين قادة وممثلي القبائل الشركسية المختلفة هي المحور الأساسي لمثل هذه الاجتماعات بعد ان كانت مهمتها ايام السلم وفي الظروف الطبيعية التخطيط والتنظيم وإدارة الحياة في القبيلة الواحدة او القبائل المتحدة معا.

وبدراسة عدد (الاجتماعات الطارئة) التي سبق أن دعا إليها القادة والزعماء والامراء في النصف الاول من القرن التاسع عشر وفي السنوات الخمس الاخيرة من (حرب الابادة والدمار) وجدنا بأن عددها قد تجاوز (٢٠) اجتماعا ولقاء شعبيا، حضرها معظم زعماء وأمراء وقادة القبائل الشركسية جنبا إلى جنب مع ممثلي المقاتلين وعامة الشعب.

**وفيما يلي أهم تلك الاجتماعات على سبيل المثال وليس الحصر:**

* **الاجتماع الذي عقد عام ١٨٢٦م** وأعلن فيه القادة وزعماء الشراكسة وبتأييد من المحاربين والفلاحين رغبتهم في العيش بسلام مع الروس شريطة عدم قيامهم بأية اعمال عدائية.

* **الاجتماع الذي عقد عام ١٨٢٨م** على إثر تنازل تركيا عن بلاد تشركسيا إلى روسيا بموجب معاهدة (اندريانو بولوس) المعروفة باسم معاهدة (ادرنة) حيث عقد اجتماع شعبي كبير حضره ممثلو جميع القبائل الشركسية وقرروا فيه:

**رفض الاتفاقية بقولهم** إن الشعب الذي قاوم على مدى مئات السنين للحفاظ على حريته واستقلاله ضد خانات القرم واغراءات الاتراك لا يرغبون في الوقوع تحت سطوة الاستعمار الروسي **وجاء الرفض للاتفاقية**، على اعتبار ان السلطان العثماني لم يكن يملك بلاد (الاديغة) في يوم من الايام حتى يقوم بالتنازل عن بلاد لا يملكها اصلا، وعندما حاول احد الضباط الروس اقناع شعب (الاديغة) بأن

السلطان العثماني (اهداهم للروس) اجابه احد الشيوخ الحاضرين مشيرا إلى طائر يطير في السماء.. **قائلا له "وانا أهديك هذا الطائر فخذه لك"**.

* **الاجتماع الذي عقد في تشرين الاول من عام ١٨٣٠م** وحدث فيه خلاف كبير بين مؤيدي تبعية روسيا ومؤيدي تبعية تركيا، وهو الاجتماع الذي رفض فيه ممثلو الفلاحين رأي أغلبية الزعماء والامراء والقادة المؤيدين للتبعية الروسية. وبالتالي لم يصدر قرار التبعية لأي من الطرفين.

* **الاجتماع الذي عقد في عام ١٨٣٣م**، لاختيار اعضاء الوفد المقرر سفرهم لاستانبول لمعرفة الموقف التركي النهائي في حربهم مع العدو الروسي.

* **الاجتماع الذي عقد في شباط من عام ١٨٣٥م** بدعوة من زعماء الشابسيغ والناتخواج لوضع تكتيك وسياسة محددة للتعامل مع روسيا. وقام اثناء الاجتماع النقيب "لايونز" الانكليزي الاصل بتسليم المجتمعين رسالة من (صفر بك) يدعوهم فيه إلى الانتفاض وعدم الرضوخ للروس، ووعدهم بمساعدة سريعة من قبل تركيا وانكلترا، وقد أكد ذلك أحد أعضاء الوفد العائد من (استانبول) وصدّق المجتمعون هذه الوعود، وقرروا فيه عدم مسالمة الروس واقسم رؤساء وزعماء (تحمادات) كل من الشابسوغ والناتخيرج اليمين معاقبة كل من يخرق هذا القسم وبفرض غرامات مالية وعقوبات اجتماعية وسياسية عليه.

**الاجتماع الذي عقد في شهر حزيران عام ١٨٣٦م** وهو من أكبر الاجتماعات التي عقدت في منطقة الشابسوغ والناتخواج، حيث تم فيه مناقشة مبادئ السلام مع روسيا القيصرية.. والاطلاع على الاعلان المنشور في مجلة (Pontfolio) باسم كل من "ملك انجلترا ومحمد علي باشا حاكم مصر، والسلطان العثماني التركي" وهو الاعلان الذي تضمن **قرار استقلال تشركيسيا عن روسيا**.

* **في صيف عام ١٨٣٨م عقد اجتماع كبير على نهر (أداغوم)** للشابسيغ والناتخواي ايضا حاول فيه العملاء الانكليز إقناع المجتمعين بضرورة توحيد كل

الاديغة، ونجح العملاء في اقناع المجتمعين بأداء القسم على خوض الحرب ضد روسيا، وعلى رأسهم العميل "اوركات" الذي كان يحاول ومنذ عام ١٨٣٤ اقناع الاديغة بالوحدة تحت سلطة واحدة وعلم واحد.

**الاجتماع الشعبي الكبير الذي عقد خريف عام ١٨٣٨م** ايضا في بلاد الشابسوغ بحضور جميع زعماء ورؤساء وقادة الامة الشركسية في الوطن الام، وكذلك حضور ممثلي الشعوب الشركسية، ووقع في الاجتماع على وثيقة الاستقلال، كما اصدر المجتمعون نداء موجهاً إلى الدول الاوروبية وتركيا وبعض الدول الإسلامية.

**الاجتماع التي عقد عام ١٨٤١م بدعوة من زعماء الشابسوغ والابزاخ والاوبيخ والناتخوج** وتم فيه اتخاذ قرارات هامة؛ منها تنظيم هجوم عام على خط التحصينات على ساحل البحر الأسود، وهو الاجتماع عقد على ضفاف نهر (بشيحة) كما تقرر فيه عدم جواز انشاء علاقات صداقة مع (الكفار الروس) ورفض اية اقتراحات بعقد سلام مع الاعداء الروس وتكليف كل قادر على حمل السلاح الاستعداد تمهيدا لشن الهجوم العسكري المقرر من قبل المجتمعين.

* في عام ١٨٤٦م وعلى اثر لجوء امراء ونبلاء واقطاعيين شراكسة للسلطات الروسية لحمايتهم من الانتفاضة الشعبية الشركسية التي قام بها عامة الناس وفلاحي قبائل الشابسوغ والناتخوج، دعي الزعماء الشعبيون لعقد اجتماع عام، تقرر فيه مصادرة ممتلكات كل الامراء والنبلاء الذين لجأوا للروس لحمايتهم، وأما بالنسبة للنبلاء الذين لم يلجأوا إلى السلطات الروسية فقد وافق زعماء الشعب على بقائهم بينهم شريطة ان يكونوا متساوين في الحقوق المدنية مع عامة الشعب.

* **في عام ١٨٥٦ تأسست في (شركسيا) جمعية سرية سميت بجمعية (المدافعين عن استقلال شركسيا)**، وتقرر إشهار الجمعية بعد مناشدة من "صفر بيك" إلى الأصدقاء والمساندين في انكلترا وفرنسا، وكان منظم وقائد الجمعية الجاسوسين الانجليزيين "اوركات" و "بيل"، وفيما بعد سميت الجمعية (بلجنة الشركس) وقامت

بمناقشة خطة عمل بغية تنظيم نقاط تخزين على الجزر (الايونية) أسلحة وذخائر، ليتم نقلها في قوارب صغيرة إلى شركسيا، وكانت هذه الجمعية مرتبطة بشكل قوي بالحكومة الانكليزية والصناعيين والتجار الانجليز الكبار، ووضعت نصب اعينها هدف تحقيق (استقلال شركسيا) بالقيام بدعاية واسعة من قبل عملاء الانكليز واقناع الدوائر الانكليزية الحاكمة، بأن مفتاح القوة التجارية والحربية الانكليزية في آسيا يتوفر في (شركسيا).

**الاجتماع الذي عقد في آيار ١٨٥٦**، دعا "صفر بيك" إلى اجتماع كبير للناتخواج على ضفاف نهر (أزبيس)، وخطب في الاجتماع مندوبون شراكسة عائدون من (استانبول) وطلب المجتمعون حماية السلطان والتبعية له، وأعلن المندبون، أنهم قابلوا السلطان مرتين، وقال لهم في المرة الأولى بأن لا أحد يستطيع مساعدتهم، وأنه حسب معاهدة باريس فإن الشراكسة هم مواطنون تابعون للقيصر، **إلا أنه في اللقاء الثاني وعد السلطان بحماية الشراكسة إذا اقسموا يمين الولاء له، وأن السفن الحربية التركية والانكليزية والفرنسية ستحميهم ولن تسمح لأحد بالاعتداء عليهم.**

**الاجتماع الجماهيري الكبير الذي عقد في عام ١٨٦١م بمناسبة زيارة القيصر الاسكندر الثاني لمنطقة الابزاخ** ..وهو الاجتماع الذي طلب فيه القيصر من الشراكسة (الرضوخ لحكمه وإلا سيرغمون على ذلك بالقوة) وجاء رد الشراكسة المجتمعين وعلى لسان أحد القادة الحاضرين الذي قال كلاما فيه وضوح وصراحة بعدم قبول الشراكسة بالرضوخ لحكم القيصر حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم وأن أي شركسي يجري في عروقه الدم الشركسي لن يقبل الاستسلام .

**المؤتمر الذي عقد يوم ١٨٦١/٦/١٣ بحضور زعماء (١٢) قبيلة شركسية بمن فيهم قبيلة (الاوبخ)** وتقرر فيه تشكيل (اتحاد شعوب ما وراء الكوبان) وتأسيس مجلس وطني، وانتخاب ممثلي الحكومة المركزية من (١٥) ممثلا سمي (بالمجلس

الشركسي الأعلى الحر)، كما تقرر في هذا الاجتماع اعتماد مواصفات وشكل العلم الوطني الشركسي كرمز لوحدة الشعوب الشركسية، وهو العلم الذي يتكون من قماش الحرير اخضر اللون وعليه ثلاثة اسهم متقاطعة و (١٢) نجمة وكل نجمة ترمز لقبيلة من القبائل المشاركة بالاتحاد كما هو مبين في الشكل المرفق.

**الاجتماع الذي عقد صيف عام ١٨٦٢ عقد مؤتمر شعبي كبير بحضور جميع قادة القبائل الشركسية** في وادي نهر (سوتشي) تقرر فيه ارسال وفد إلى (استانبول) برئاسة "اسماعيل باراكايا" وقام الوفد بتسليم الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) التركي عريضة طالبوا فيها الحماية والمساعدة الحربية في حربهم ضد الروس، ثم قامت لجنة الشراكسة في (استانبول) بإرسال ثلاثة من اعضاء الوفد إلى (باريس) و (لندن) لاستكشاف نوايا كل من فرنسا وانكلترا، وعند عودتهم إلى شركسيا أعلنوا أن أوروبا مستعدة لمساعدتهم (إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث).

* **في عام ١٨٦٣ تشكلت اللجنة الشركسية في (استانبول)** من رؤساء القبائل الشركسية ومن الشراكسة المهاجرين المرتبطين بشكل وثيق بالدوائر الحكومية التركية الحاكمة، ومن ممثلي المهاجرين البولونيين الذين كانوا خير داعمين للشراكسة في حربهم ضد الروس.

* **وفي عام ١٨٦٤ ايضا عقد مؤتمر وطني كبير لقبائل الاديغة حضره اكثر من ٤٠٠٠ الاف شخص** يمثلون مختلف طبقات المجتمع الشركسي في منطقة ما وراء الكوبان، وكان ذلك آخر اجتماع شعبي يعقد قبل انتهاء حرب الإبادة والدمار الروسية واستيلاء سلطات روسيا القيصرية على كامل أراضي القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة ابتداء من يوم ١٨٦٤/٥/٢١م .

## (٥) وثائق تاريخية في حياة الأمة الشركسية إبان حرب الإبادة الروسية للأمة الشركسية.

### الوثيقة الأولى هي وثيقة الرد على معاهدة ادرنة

بعد معاهدة أدرنة والمعروفة باسم معاهدة (اندريا بولوس) التي وقعها الأتراك مع الروس في عام ١٨٢٨ والتي كان من أهم بنودها:

"تنازل تركيا رسميا لروسيا عن بلاد الشراكسة في شمال القفقاس، علما أنها لم تكن منطقة تابعة لأي كان، وعلى الرغم من استقلالها الفعلي إلا أن العثمانيين قاموا بإهدائها لروسيا القيصرية، وكأنهم أصحابها، الأمر الذي أضعف الرأي العام العالمي وأفقده الاهتمام بقضية قفقاسيا وكأنها مسألة داخلية سويت بين الدولتين (الروسية والتركية).

وتطبيقا لمعاهدة (أدرنة) تحركت روسيا للسيطرة على القفقاس. إلا أن الشراكسة في كل مكان بدأوا مقاومتهم والدفاع عن (الأرض والعرض) ففي القسم الغربي تحرك مجلس الشعب الذي يضم الأبزاخ والشابسوغ والوبيخ والقبائل الأديغية الأخرى. وحاولت روسيا شراءهم بإرسال الهدايا إلى زعماء هذه القبائل، ومحاولة عقد الصلح معهم بشكل منفرد، وفي عام ١٨٣٨ عرض على زعيم (الأبزاخ) معاهدة صلح منفردة ولم يجب عليها بل رفعها إلى مجلس الشعب الشركسي ليعطي رأيه فيها.

وعلى أثر ذلك وفي عام ١٨٣٩ اجتمع مجلس الشعب في منطقة الشابسوغ وبعد مداولات عديدة ونقاشات موسعة استقر الرأي على نشر بيان إلى العالم أجمع يتضمن شرحاً كاملاً للأعمال الوحشية واللاإنسانية للقوات الروسية وبطلان معاهدة أدرنة وهذا نصه: *

"كيف يمكن أن سكان قفقاسيا المحليين سيوضعون تحت التبعية الروسية وهم حتى ليسوا في حالة صلح معهم، فهم ما زالوا في حرب منذ مدة طويلة، حرب استطاعوا أن يستمروا فيها وحدهم طوال هذه المدة بدون أي مساعدة أو تأييد من أية قوة أو طرف خارجي.

* النص مترجم عن:

Edmound Spencer – "Travels in the Circassia", London, 1838.

إن مسلمي قفقاسيا يعتبرون الزعيم الديني (الخليفة) لجميع المسلمين والذي يتمثل بالسلطان وهو زعيمهم الديني وبالرغم من ذلك، فقد ترك الشراكسة وحدهم، مع أن أحد باشوات السلطان كان يفتح أبواب (أنابا) لموسكو ليضمن صداقة الروس ضد زعماء الأرمن الذين هم أعداء السلطان. وباشا آخر خدع الشراكسة وهرب من بلادهم في منتصف إحدى الليالي. بعد ذلك لقد حاول الشراكسة تقديم طلبات مساعدة للسلطان، ولكن قوبلت في كل مرة ببرود زائد وبدون جواب شاف. وبنفس الطريقة طلبت المساعدة من الدولة المسلمة الأخرى (إيران) ولكن لم نحصل على جواب شاف. وأخيرا اضطروا إلى طلب المساعدة من محمد علي باشا الكبير والي مصر وفعلا حصلوا على الجواب الشافي والمقنع إلا أن بعد المسافة كان مانعا أساسيا في تقديم المساعدة.

في كل هذه الطلبات كانت الهيئة الشركسية تحاول ان تشرح أن الهجوم الروسي لن يقف عند حد، وأنهم حسب التقاليد والعادات الروسية هم أعداء لسعادة الإنسان، ويشرحون كذلك مقدار غدر الجنرالات الروس، وان جنودهم يقتلون بلا رحمة وأن القضاء على الشراكسة ليس لمنفعة أحد، بل إن في مساعدة الشراكسة فائدة لبقية الأمم.

إن الجيش الروسي الذي يحاصرنا الآن والبالغ مائة الف جندي سوف يحاربكم أنتم غدا. إنهم الآن يحاربون رجال الشراكسة في جبال القفقاس الوعرة، ولكن غدا سوف يدوسون بنعالهم سهولكم الخضراء وسيتمكنون من أسركم. إن جبالنا الشامخة ورجالنا الأشاوس هم السد الواقي لتركيا وإيران. فإذا لم تقدم المساعدة ستسقط أبواب هاتين الدولتين. فهذه الجبال الآن هي حامي هاتين الدولتين.

أضف إلى ذلك أن دمنا، الدم الشركسي، يملأ أوردة وشرايين السلطان، فأمه وزوجته شركسيتان وكذلك جميع حاشيته ووزرائه وجنرالاته شراكسة، فهو قائدنا الديني والروحي وهو صاحب قلوبنا ونحن نقدم له صداقتنا ومن أجل كل هذه العلاقات فإننا نريد مساعدته لنا.

فإذا كان السلطان لن يدافع عن أولاده او لا يستطيع فعليه أن يفكر بأحفاد خانات القرم الذين ينحدرون من نفس سلالة السلطان، والذين يعيشون بين ظهرانينا. هذا ما

ستتكلم به وفودنا. فإذا كان السلطان بموافقته هذه يعلم كم من الرجال تؤيده وتقف إلى جانبه لما وافق على صداقة الروس.

إننا نعلم أن روسيا ليست القوة الوحيدة في العالم وأن هناك قوى أكبر منها في العالم. وبالرغم من قوتهم فهم يقفون بجانب الضعيف، فهم ليسوا أصدقاء لروسيا بل أعداء لها وبنفس الوقت ليسوا ضد الصلح بل مع الصلح مع روسيا. انجلترا وفرنسا، هما أقوى دولتين في العالم. فعندما كان الروس يأتون بقوارب صغيرة للصيد في بحر آزوف كانوا يطلبون المساعدة والسماح لهم بالصيد معنا وكانت انجلترا وفرنسا دولتان قويتان في ذلك العهد. إننا لا نأمل من انجلترا وفرنسا أن يهتموا بشعب صغير مثل الشعب الشركسي، ولكن مما لا شك فيه بأن هؤلاء الأصدقاء الأذكياء يعرفون أننا لسنا روسا وعلمنا محدود ومدافعنا محدودة وأن جنرالاتنا لم يتدربوا تدريبا عسكريا حديثا وأن بلادنا لا تملك السفن ولا يوجد فيها أغنياء كثيرون. فهم يعلمون ذلك ويعلمون أننا شعب مستقيم أمين صادق، وإذا لم نحارب أو نحاصر فنحن شعب نحب السلام، وهم يعرفون أيضا أننا محقون في كرهنا للروس وأننا في معاركنا نهزمهم.

لكل هذه الأسباب بدت دهشتنا واستغرابنا عندما علمنا أن هناك خرائط للعالم قد طبعت في أوروبا وأظهرت أن بلادنا قطعة من روسيا، وهذا لم يخطر على بالنا مطلقا. لقد وقعت اتفاقية بين الروس والعثمانيين تنازل بموجبها العثمانيون بأن أعطوا جبال القفقاس بدون علمنا وبدون الاتفاق معنا إلى روسيا التي لم تستطع أن تجد موطئ قدم لها هناك وتناست أن سكان هذه الجبال هم محاربون هزموا روسيا مرارا، بينما كانت تدعي روسيا أن غرب "جركاسيا" وقبائلها لا يوجد فيها قانون أو طريقة جيدة لإخضاعها.

إننا نعلن اليوم بأننا نعارض بشدة أمام العالم أجمع مثل هذه الأخطاء والأساليب الخداعة المستعملة ضد شعبنا.

إننا نؤكد بأننا اليوم نستعمل الكلمة مقابل الكلمة ولكن نعطي الصحيح مقابل الخطأ في استعمالنا الكلمة.

لقد عارضنا بشدة وقاومنا بطاقتنا العسكرية أربعين عاما متواصلة. إن هذه الدماء التي أهدرت كانت من أجل إعلان استقلالنا، إن هذا الكلام لا يعترف بما هو أعلى منه ولا يقبل المواربة ولا يوجد مطلب لنا سوى حماية وطننا والدفاع عنه. وأن هذه الكلمات تعود للأشخاص الذين يعرفون كيف يستعملون سلاحهم على أكمل وجه عند اقتراب موعد هجوم الروس علينا فأي قوة ممكن أن تقهرنا.

إن قدمنا صداقتنا للسلطان فكيف سيقبل ذلك في حين كان يتفاوض مع الروس من أجل الصلح بينما نحن الشراكسة كنا في حالة حرب مع روسيا. إن صداقتنا بدون مقابل أو بفداء، فلا يستطيع بيعها أو تحويلها لأنها لم تكن مشروطة. فإن أراد أن يكون عادلا فنحن بكل حب وتقدير نتوقع المساعدة من انجلترا، تلك الدولة الكبيرة. وإن أراد يستطيع أن لا يفكر بالشراكسة ولكنه يستطيع ان يصم آذانه عن أكاذيب الروس كما صم آذانه عن استغاثة الشراكسة. وليرى الفرق بين شعبنا الذي يلقبونه بالعبيد والبربرية وبين هؤلاء الذين يريدون سحقنا.

نحن أكثر من أربعة ملايين ولكن مع الأسف منقسمين إلى شعوب وقبائل، لنا عاداتنا وتقاليدنا المختلفة ولكن لم يكن لنا هدف واحد مستمر لغاية الآن ولكن لدينا تنظيم كدولة عادية ألا وهي التقاليد التي تحكمنا. نطيع قوادنا المنتخبين في حالة الحرب طاعة عمياء. إن كبارنا وأمراءنا يديرون مناطقهم ويحكمونها حسب عاداتنا وتقاليدنا بشكل أفضل بكثير من إدارة الدول المحيطة بنا، وبالرغم من احتياجنا الشديد إلى قائد أو قيادة دائمة من بيننا، إلا أن ذلك القائد لم يظهر، ولهذا ما يطمع بنا الأجانب، ولذا أيضا كنا تابعين للسلطان كرجل ديني عن طيب خاطر، وكذلك كنا تابعين لخان القرم ايضا. أما روسيا فكانت تعمل في كل وقت لحكم بلادنا وتحويلنا إلى عبيد لها. فكانت تريد استغلالنا في جيوشها، وذلك لاحتلال مناطق أخرى حتى ولو كانت بلاد سكانها من الروس البيض أو يدينون بنفس ديانة روسيا فيحولونهم إلى عبيد لهم لكي يزداد ثراء القياصرة الروس؛ لذا فإن الحق والكراهية بيننا تزداد صلابة وقوة كل يوم ولو كان العكس لتمكن أحد قادة الروس من احتلالنا وربطنا بدولتهم.

إن تصرفاته الظالمة وعدم الوفاء بالوعود التي كان يقطعها، وكيف كان يحاصر بلدنا وكيف كان يقطع عنا ويمنع ما هو ضروري لحياتنا ويضع العراقيل أمام تجارتنا، وكيف كان يترك زعماءنا الذين يجب إطاعتهم بدون أية وسيلة وكيف كان يقضي على قرى كاملة وقبائل بأكملها، كيف كان ينظر إلينا وكأننا متاع خاص به، وكيف استطاع بأكاذيبه وحيله أن يظهرنا بأننا شعب لا يستحق العيش وأننا عبارة عن برابرة ويقنع كل أوروبا والعالم المسيحي حتى والعالم بأكمله. كلها حكاية طويلة إذا أردنا الدخول بتفاصيلها لن تكفينا المجلدات.

لقد فقدنا مخزوناتنا التي كانت تكفي مئات الآلاف من البشر. ولكن مع إصرار روسيا على احتلال بلادنا وقفنا كجسد واحد نحاربها بشراسة وضراوة وروسيا استطاعت أن تسيطر على مائتي ألف منا، ولكن لم يكن واحد من هؤلاء راضيا عن هذا الوضع.

الروس أخذوا أبناء أبطالنا كرهائن، وهناك بعض الأشخاص من شعبنا قد حظوا بالعمل تحت راية إمبراطور روسيا، ومقابل ذلك فقد فضلوا العمل مع الأمبراطور وتخلوا عن وطنهم والخطر المحيط به. ولكن بالمقابل أيضا هناك العديد من الروس يعيشون في وطننا ويفضلون البربرية التي أطلقت علينا عن المدنية والحضارة التي يدعي حكام روسيا بأنهم أصحابها. أقامت روسيا القلاع والحصون على طول الحدود، وبالرغم من ذلك استطعنا استدراج (٥٠٠٠٠) جندي روسي إلى الداخل والقضاء عليهم. إن احتلال أي بلد لا يتم بالكلام بل بالقوة، لذا فإن روسيا لن تقدر علينا ولكنها إن تمكنت من الأمور التالية: قطع طرق المواصلات البرية عنا وأن تستغل تركيا وإيران وكأنها بلاد تابعة لها ومحاصرتنا عن طريق البحر وإغلاق جميع الطرق البحرية وبذلك تمنع عنا البارود والملح والعتاد الحربي اللازم للحرب. وعندها تتركنا وحدنا مع آمالنا وتتمكن من السيطرة علينا واحتلال بلادنا.

ولكن نحن مستقلون وأحرار ولا زلنا في حرب مع الروس والنصر لنا. إن مثل الإمبراطور الروسي قام باتصالات معنا لا ليعتذر عن حكومته التي قامت وطبعت خرائط تظهر فيها بأن شمال القفقاس قسم من بلاد القيصر، وأننا عبارة عن عبيد في بلادهم كما كانوا يوهمون أوروبا بأسرها، بل جاء ليتفاوض من أجل تبادل الأسرى وإخراج (٢٠٠٠٠) جندي روسي محاصرين من قبل قواتنا. (انتهى نص الوثيقة).

وانتهى اجتماع مجلس الشعب الشركسي بالتوقيع على الوثيقة أولا، وبرفض الصلح الذي عرضته السلطات الروسية القيصرية ثانيا، وواصلوا القتال على الجبهتين الشرقية والغربية وكانت أشد المعارك عنفا وأكثرها عددا تلك المعارك التي جرت ما بين ١٨٤٠- ١٨٤٦ حيث بلغ عددها (٨٨) معركة. *

**الوثيقة الثانية هي وثيقة إعلان استقلال الأمة الشركسية عام ١٨٦١ ***

أصدر زعماء الأوبيخ، الأبزاخ، والشابسوغ في اجتماعهم العام الذي عقد في يوم ١٨٦١/٦/١٣ في وادي سوتشي على أثر ازدياد هجمات قوات سلطات روسيا القيصرية على مقاطعة (الأديغة) واستشهاد العديد من الزعماء والقادة العسكريين، بيانا تضمن قرارات اجتماع مجلس الشعب في الأديغة وهي:

١- إرسال البيان إلى جميع الدول الأوروبية لاطلاعهم على آخر الأوضاع في القفقاس.
٢- تشكيل اتحاد (وحدة) شعوب شمال القفقاس.
٣- كل من ينفصل عن هذا الاتحاد يعاقب أشد العقوبات.
٤- إعلان يوم ١٣ حزيران ١٨٦١ بيوم الاستقلال لدى الشراكسة.
٥- انتخاب مجلس لعموم الشراكسة سمي بالمجلس الوطني.
٦- انتخاب حكومة مركزية بطريقة الاقتراع السري مؤلف من (١٥) شخصا سمي المجلس الحر الأعلى لبلاد الشراكسة.
٧- تقسيم البلاد إلى (١٢) منطقة وعين في كل منطقة قاضياً ومفتياً ومختاراً وضابط أمن.

* الوثائق الروسية (إبادة الشراكسة)، مصدر سابق، ص: ٧٠.
* الوثائق القفقاسية مجلد (٢)، ص: ٦٠٨ وأوردها نهاد برزخ في كتابه تهجير الشراكسة ص: ٧٧-٧٨.

٨- تطبيق قرارات المجلس على جميع القبائل والشعوب الشركسية.
٩- جباية الضرائب وصرفها بحق الله وبواسطة أعضاء المجلس الحر الذي يعتبر ممثل قفقاسيا الحرة، في إدارة شؤون البلاد.
١٠- الطلب من انجلترا المساعدة في حربهم ضد قيصر روسيا لعلمهم أنها الدولة الوحيدة التي يمكن ان تؤثر على السلطان العثماني.

وتحدثت الرسالة بأنها لم تكن (رسالة استجداء واسترحام).

وتشير الوثيقة بأنه لم تصل أية مساعدة من أية دولة والمساعدة الوحيدة التي وصلت كانت من (وطنيي الشعب البولوني) الذين كانوا يرون في استمرار الحرب القفقاسية وانتصار القفقاسيين دعما لحركتهم في سبيل الخلاص من الاستعمار الروسي. لذا شكلوا لجاناً بين الدول والحكومات لتقديم المساعدة للشعب الشركسي، كما قام الجنود والضباط البولونيون بالهروب من الجيش الروسي والانضمام إلى القوات القفقاسية، كما تمكنوا من تهريب الأسرى الشراكسة الموجودين لدى الجيش الروسي كما هو مذكور في المراثي الشركسية.*

* كوبه شعبان، فلكلور الأديغي، الجزء الثالث، ص: ٥٧.

## مراجع ومصادر الفصل الثاني من الجزء الثالث من المجلد الثالث

١- الجغرافي (سترابو) وهو يوناني الجنسية، وعاش في الفترة ما بين (٦٢) قبل الميلاد وحتى (٢٠) ما بعد الميلاد، كتب عن تاريخ شعب الكيركتين (اجداد الشراكسة) وعن الدولة التي تشكلت في عهدها.
٢- مجلة الثقافة القفقاسية عدد خاص عام ١٩٧٢، ص٣٨-٣٤.
٣- نغموقة، مصدر سابق ص: ٦٩-٧٠.
٤- آبه زاو، موسوعة تاريخ الجركس والقفقاس، مصدر سابق ص: ٢٥٠-٢٥٩.
٥- برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٦٠-٦٤.
٦- كتاب تاريخ جمهورية كباردينو – بلقاريا.
٧- ادموند سبنسر، رحالة زار تشركيسيا عام ١٨٣٨ ص: ٦٨.
٨- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ١٠٧-١٠٨.
٩- المصدر نفسه ص: ٩٩.

# الفصل الثالث

## حقائق حول بعض الأخطاء والمواقف السياسية السلبية، والفتن والأمراض الاجتماعية، ومظاهر التفكك، وعدم الوفاق، التي مرت بها الأمة الشركسية في الوطن الأم منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث

**تمهيد:**

ان الدارس لتاريخ الامم والشعوب القديمة منها والحديثة، يجد بأنها ارتكبت في مسيراتها التاريخية، اخطاء سياسية او اقتصادية او اجتماعية، كما يجد بأن مجتمعاتها مرت في مواقف ضعف وانتشرت فيها امراض وعلل اجتماعية.

والأمة الشركسية منذ عصر الاجداد والاباء، مثلها مثل الامم الاخرى، ارتكبت اخطاء، ومرت بمواقف ضعف وتفكك، وانتشرت فيها بعض العلل والامراض الاجتماعية، كان لها بعض الاثار السلبية على مسيرتها التاريخية الطويلة والحافلة بالصعوبات والتحديات، أثرت سلباً "بطريقة غير مباشرة" على تقدمها الحضاري في الماضي البعيد، كما ساهمت بطريقة مباشرة، على مستوى واسلوب التعبئة القومية لمواجهة حروب الابادة والدمار التي فرضتها سلطات روسيا القيصرية والمرتزقة من مختلف الشعوب والقوميات القوقازية المتعاونة مع القياصرة الروس.

وبالبحث والدراسة والتحليل لأهم الاخطاء السياسية والاقتصادية أولا، وعلى المواقف السلبية التي مرت فيها الامة الشركسية ثانيا، ولأهم العلل والامراض الاجتماعية التي انتشرت في المجتمعات الشركسية ثالثا، وجدنا بأن الأمة الشركسية لم تكن أمة مثالية في بعض مراحل مسيرتها التاريخية وأنها لم تكن امة منزهة عن الاخطاء، وفي نفس الوقت فإنني لست من المؤرخين والكتاب الشراكسة وغيرهم الذين يجلدون الذات ويذهبون للقول بأن الشراكسة لم يهتموا بمعالجة أمراضهم الاجتماعية، وانهم لم ينتبهوا لاخطائهم الاقتصادية والسياسية، فتركوها حتى استعصى علاجها.. وتفشت سمومها فكانت القاضية عليهم وعلى مدنيتهم[1].

وكذلك فإنني لا اتفق اطلاقا مع المؤرخين والكتاب الذين قالوا بأن الأسباب التي ساهمت في ضياع الامة الشركسية هو تنافسهم، وتطاحنهم، واتهامهم بالخصومات العائلية والاختلافات القبلية مثل الكاتبة (خيرية ملك خونج) التي قالت: "إن من أهم الأسباب (لا تقع تحت حصر) التي عجلت باضمحلال الجراكسة وكثير من الامم الاخرى الشقاق وعدم الاتحاد. **وأن الشراكسة ظلوا في منازعات، ولم يفيقوا (يصحو) يوما من هذه المنازعات، وأنهم لم يتفقوا على الاتحاد والتآلف، ويكونوا كتلة واحدة قوية أمام أعدائهم ومنافسيهم، بل الأدهى والأمر أنهم لم يفهموا يوما ما أن حياة الأمة وبقاءها خير من حياة الفرد والقبيلة وبقائهما** [٢].

وكذلك فإننا لسنا من المتشائمين الذين ذهبوا للقول بأن الامة الشركسية كانت من الأمم التي كانت سببا في القضاء على نفسها بنفسها.. وانها سعت لحتفها بنفسها.. وانها جلبت على نفسها التعاسة والشقاء.

وكذلك إنني لست مع كل الذين حمّلوا الاجداد والاباء وزر نتائج حروب الابادة والدمار الروسية التي ادت إلى الابادة والتهجير القسري لـــ (٩٠%) من الأمة الشركسية التي كانت تعيش في الوطن الام في شمال قفقاسيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي.

**وموقفي هذا ليس هو موقف قومي عاطفي، وكذلك فإن دفاعي لم يكن تعصبا لقومي ووطني، لأن الجميع مثلي يحبون قومهم وأمتهم ووطنهم، وإنما اتخذ هذا الموقف الرافض لكل الاسباب التي اشار إليها المؤرخون والكتاب (السابق ذكرهم) استنادا للحقائق التي توصلت إليها بعد بحث ودراسة وتحليل للوقائع والاحداث التاريخية.**

**فالاخطاء السياسية التي ارتكبتها الأمة الشركسية قليلة العدد والحجم، والعلل الاجتماعية التي ابتليت فيها محدودة، ومواقف الضعف التي مرت بها في تاريخها الموثق لأكثر من الفي سنة هي مواقف فرضتها عليها قسوة ووحشية**

**الاعتداءات التي تعرضت لها، ويتضح ذلك كله من الحقائق التي توصلت إليها في بحثي وهي على النحو التالي:**

**الحقيقة الاولى:** تؤكد الوثائق التاريخية والروايات المنقولة حدوث نزاعات وخلافات وانشقاقات بين الامراء الاشقاء وغير الاشقاء في بعض القبائل والعائلات الشركسية الكبرى.. إلا أنه غير صحيح بأن مثل هذه النزاعات وتلك الخلافات أو الانشقاقات كانت تحدث بشكل مستمر في كل العهود والعصور، حيث وجدنا في بحثنا بأن عدد حالات النزاع والشقاق التي حدثت لم تتجاوز (٨) حوادث او خلافات أو شقاقات خلال مسيرة للأمة الشركسية في تاريخها الطويل.

**وفيما يلي تسجيل لأهم وابرز حالات الخلاف والنزاع بين الامراء الشراكسة التي ورد ذكرها في الروايات القديمة.**

**الحادثة الاولى:**

يعود تاريخ اولى الخلافات والنزاعات بين بعض (امراء الشراكسة) إلى القرن الثامن الميلادي وبالتحديد في عهد دولة (زيخيا الفيدرالية)، حيث يؤكد المؤرخون بأن هذه الفيدرالية التي شاركت في تأسيسها جميع القبائل الشركسية في شمال قفقاسيا التي كانت تستوطن المنطقة الممتدة ما بين شبه جزيرة (تامان) وحتى جنوب مناطق (الابخاز)، وامتد حكمها من القرن السادس الميلادي وحتى نهاية القرن الثامن الميلادي وانتهى حكمها بسبب الخلافات التي حدثت بين امراء القبائل المتحدة والمشاركة في هذه الدولة الفيدرالية، وانقسمت إلى دولتين هما (الابشوا) و (القاسوغ)... وكان هذا أول خلاف حقيقي سُجل تاريخيا بين أمراء أجداد الشراكسة من دولة (زيخيا) .

**الحادثة الثانية**

تشير الوقائع التاريخية بأن الامير (ينال) تزوج في حياته ثلاث مرات، ورزق من نسائه الثلاث خمسة من الابناء وهم (جانخوت Janchot) من امرأته الاولى و (منبولات Minbolat) و (بسلان Besslan) من الثانية، و (اونارمس Unormess) و (قرغيش Kirgish) من امرأته الثالثة.

قام الامير (ينال) بتربيتهم حسب العادة القديمة المتبعة عند عائلات (الاتالق) من (الازدون) النبلاء، وبالرغم من ذلك لم يكن لديهم من الكفاءة والقوة ما يمكنهم من ادارة البلاد وضمان السلام والاستقرار فيها، وكذلك لم يكن أحد منهم متصفا بصفات ابيهم الامير (ينال) المشهور بالحكمة واللين، وباحتفاظه بمحبة الشعب له، كما انهم لم يحرزوا في حياتهم شهرة ما، ولم يقوموا بعمل بطولي يذكر، بل كانوا عاجزين كل العجز عن تسيير دفة الحكم في البلاد الواسعة التي تولوا إدارتها بحكم الوراثة، بعد وفاة أبيهم الأمير (ينال).

ووصفهم المؤرخ الشركسي "نغموقة" بقوله: لم يتصرفوا مع الشعب بالحكمة واللين وانما تعاملوا معهم بقسوة، كما كانت حدة طباعهم سببا في إثارة المواطنين عليهم، وتذمرهم ونفورهم منهم، كما ان طيشهم أدى إلى تزايد كراهيتهم، وأعمالهم كانت منحصرة في إثارة الفتن، وبذر الشقاق والنفور بين أبناء الشعب الواحد، وحتى بين الزعماء أنفسهم، واكد "نغموقة" بأن بعض هؤلاء الزعماء استفاد من ضعف حكامهم، وجهل ولاة امورهم، فراحوا يعيثون في الأرض فسادا، مما أدى ذلك إلى اضطراب الأحوال وانعدام السكينة وانتشار الفوضى وانقسام الشعب على نفسه وظهور الفرق والاحزاب فيها وساءت الاحوال بعد ذلك إلى درجة أنهم تناسوا فضائل تربيتهم وعاداتهم وتقاليدهم الشركسية، وصار الأخ الأصغر يتجاسر على معارضة أخيه الأكبر، والخروج عن طاعته واحترامه، متناسين واجب الاخوة وكان يحدث كل ذلك بتحريض من الامهات الثلاث.

وتطورت الخلافات بينهم إلى الحد الذي ادى إلى تفرقهم، وسار كل على طريقه، وبعد انقسامهم إلى ثلاث فرق بقي الفريق الاول منهم في (خه كاك Chagak)، والفريق الثاني هاجر واستوطن اقليم (كمركوي Kemirgoi)، والفريق الثالث رحل إلى بلاد القبارطا Kabarda). [٣]

وهكذا انتهت الدولة الاتحادية الكبرى التي سبق أن انشأها والدهم الأمير ينال العظيم.

**الحادثة الثالثة**

الخلافات التي أدت إلى انقسام إمارة قباردا (القبرطاي) إلى ثلاث امارات بعد انتصارهم على جيش (التورغوت – Tungnt) اجداد القالموق بمشاركة قوات من (التتار) في مناطق (طارقي) في القرن الثالث عشر الميلادي [٤].

وكان كل أمير من أمراء القبرطاي يدير دفة الحكم في مقاطعته مستقلا عن غيره رغم ما في ذلك من الأضرار بالشعب، وكان الأمير (شولوخ Sholoch) من آل (تاوسلطان) هو أول من فكر في تجزئة الامارة وأراد أن يقتسمها مع أبناء عمه، إلا أنهم لم يقبلوا بشروطه ومطالبه. وأدى ذلك إلى استيائه الشديد وغضبه، فهجر البلاد وبقي مدة من الزمن يتجول بين الاقوام المجاورة لبني قومه، وأراد ان ينتقم لنفسه فأخذ يصب غضبه على الذين لم يمدوا له يد المساعدة على نيل حقه المزعوم، فأخذ يهاجمهم بجماعات من الخارجين على الطاعة والقانون، وينهب تارة قطعان خيلهم، وتارة يسلب اموالهم ومواشيهم واحيانا يخطف بعض المواطنين ويأخذهم رهائن.

واستمر (شولوخ) في تمرده ونشر بذور الشقاق والفساد، ويدير المؤامرات والفتن.. إلى ان تمكن بعض النبلاء من اتباعه، اقناع شيوخ (القبرطاي) ضرورة تقسيم البلاد، وقبلوا بالفكرة لأنهم كانوا يميلون إلى حكم آل (تاو سلطان) ونفذوا فكرة التقسيم بدون سابق إنذار، أو إجراء أية مفاوضات أو مداولات بينهم وبين بقية

الشيوخ والمواطنين، فوجدوا انفسهم امام الامر الواقع فقبلوه ورضوا به بلا معارضة او مشاحنة. فأخذ الامير (شولوخ) من (آل تاو سلطان) حصته وهاجر من امارة (القبارطا) مع اتباعه الذين ارادوا اللحاق به، فأجتازوا نهر الترك واتجهوا شرقا واستوطنوا في الأرض الواقعة في الجانب الايمن الشرقي منه. وسميت فيما بعد (قبارطا الصغرى) او بلاد (تاوسلطان).

وأما الامير (قايتوقوة Kaituko) من آل (جانخوتو Jonchotow) الامير (توختامش) وأحفاد الامير (ايدار) فقد بقوا في (قبارطا الكبرى) *

**الحادثة الرابعة: الخلافات التي ادت إلى تقسيم قباردا الصغرى في عام ١٧٦٠ ميلادي** (٤)

توفي الامير الحاكم على قباردا الصغرى عام ١٧٦٠ تاركا وراءه ثلاثة ابناء. وفي العادة يكون للابن الاكبر الاولوية في حكم الامارة، شريطة ان يحصل على غالبية أصوات الاعضاء في "المجلس الشعبي العام" المكون من الأمراء الآخرين في الإمارة، والنبلاء والقضاة وممثلي العائلات الكبيرة. لكن الشعب كان يكره الابن الاكبر ورفض ممثلوه في المجلس ترشيحه ليكون خليفة لوالده. وتأزمت الامور وتحزب الناس في ثلاثة أحزاب وكل حزب يناصر اميرا. وفي النهاية، تم الاتفاق على تقسيم الامارة بين الامراء الثلاثة وأعطيت مقاطعة (مزدوغ) * للابن

* القبارطا الكبرى هي السفح الشمالي من الجبال القوقازية الواقع شرقي جبل (البروز Elbrus) وتمتد من هذا الجبل حتى ضفاف نهر المالقا والترك.

* تقع هذه الامارة الصغيرة شرق نهر ترك وتمتد إلى حد السهوب القاحلة، التي تفصلها عن تشاتشانيا والداغستان. ويحدها في الجنوب اوسيتيا الشمالية وسلسلة جبال القفقاس العظيمة، وتمتد املاك هذه الامارة في الشمال، إلى مستنقعات "مانيتش" في السهوب الشمالية. ويخترق نهر (ترك) – بعد ان يتحد مع نهر (مالقا)، ويبدأ جريانه نحو الشرق من غابة مزدوغ شاطرا اياها إلى شطرين. الشطر الواقع شمال حوض النهر هو عبارة عن غابة واسعة

الاكبر الامير "كورغوقو، قانجوقين" إلا أنه لم يكن راضيا عما حصل عليه، وذهب إلى (التتار) يحرضهم على أخويه، وماطله التتار إلى أن انفق أمواله كلها، ثم أخبروه بأن لا قدرة لهم على محاربة أمراء (قباردا) وعندها استدار إلى الروس وألقى بنفسه في أحضانهم وترددوا في قبوله في البداية لأنهم كانوا مرتبطين مع قباردا (القبرطاي) منذ عهد القيصر ايفان باتفاقيات تعاون.

أما الأخ الأصغر فانتقل إلى مقاطعة (الأجلاخستين) شرق نهر الترك واستقر مع رعيته في هذه المقاطعة التي سميت بامارة (جلاخستني).

**الحادثة الخامسة: الخلافات التي ادت إلى انقسام قبيلة كميركوي** [٦]

يقول (نغموقة) في دور من الأدوار التاريخية، وفي زمن لا يمكن تعيينه بالضبط كان يحكم قبيلة (كمركوي) ثلاثة اخوة من امراء (الآديكة) وهم: (بولاتوقة Bolatoko) و (زان Zann) و (حاتوقوايChatokoi).

حيث عاش الاخوة معا مدة من الزمن في سلام، إلا أن الاخوين الاصغرين أرادا فيما بعد الافتراق عن أخيهما الاكبر، فظلا يحاولان اقناعه كي يوافق على الانفصال واقتسام البلاد وتجزئتها بينهم.

ولما لم يتمكنا من ذلك التجأ الاخ الثاني وهو (زان) إلى الحيلة والخديعة فتمكن خفية من استمالة فريق من قبائل الشعب وزين لهم الانفصال وأقنعهم بضرورة الهجرة إلى بلاد أخرى أوسع مجالا وأحسن تربة من التي يسكنونها، وظل يداور أخاه الأكبر حتى سئم هذا من كثرة محاولاته والحاحه، واذن له اخيرا بالرحيل دون ان يعلم بحقيقة نواياه من الهجرة. فرحل فعلا من البلاد مع رعيته

---

وسهول خصيبة. وكان سكان الإمارة يحصلون على الاخشاب اللازمة لمختلف الاستعمالات، وبالأخص الخشب المسمى "بزدوغ" الذي يتوهج جمرة بشدة فيستعاض به عن المشاعل والقناديل. أما السهول الخصبة فتستعمل كمراع للماشية والخيل.

التي قبلت مرافقته، وتألفت منهم بعد ذلك قبيلة مستقلة تدعى حتى اليوم قبيلة (زان Zann).

وبعد فوات الفرصة ادرك الامير (بولاتوقه Bolatoko) الغرض الحقيقي من هجرتهم فعاقبهم على فعلتهم هذه بحرمانه اياهم من جميع اموالهم واملاكهم التي تركوها في الموطن القديم ولم يتنازل لهم عن شيء مما كان لهم.

وفي السنة التي تلت هجرة الامير (زان) مع أهله وعشيرته، حذا حذوه أخوه الامير (حاتوقواي) وانفصل عن أخيه الاكبر مع طائفة اخرى من الذين ارتضاها، وسمي احفادهم بقبيلة (حاتوقواي) واما الأخ الاكبر (بولاتوقة) .. فظل ثابتا في موطنه في إمارة الكميركوي مع القسم الاكبر من الرعية من القبرطاي.

**الحادثة السادسة: الخلافات التي تطورت إلى حرب بين الاميرين من قبيلة زان واتباعهما في الفترة ما بين (١٦٤٠-١٦٤٨).**

حدث خلاف بين اميري قبيلة (زان Jann) الشقيقان وهما: الامير (آنتونوقوه Antinoko) والأمير (قانبولات Kanbulat) بسبب فتاة ذات جمال باهر تسمى (سوتناي Sotenai) كانت في خدمة الاخ (آنتونوقوة) على اثر الاشاعات والقصص حول وجود امور غامضة وعلاقات سرية بين الامير (قانبولات) وبين الفتاة (سوتناي).

بدأ (آنتو نو قوه) يشك في سلوك أخيه الاصغر وطرده من بيته ليضع حدا للاشاعات والاقاويل فالتجأ لبيت مربيه (الاتالق)، إلا أن الامر لم ينته عند هذا الحد، بل قيل ان العلاقات بينهما ظلت قائمة، وانها كانت تواصله وترسل إليه الهدايا من حين لآخر. وعلى اثره قرر (آنتونوقوه) قتل شقيقه (قانبولات) للخلاص من سمعته السيئة، إلا أنه هرب إلى تركيا، والتجأ إلى (السلطان ابراهيم) وطلب منه جيشا يستعين به على اخيه او ان يتوسط بالصلح معه، ولم يتجاوب معه السلطان بل رده على اعقابه، حيث اضطر إلى العودة إلى بلاده، وتمكن بعد عودته بمدة وجيزة من

استمالة قسم كبير من الشعب إليه، حتى انه تمكن بمعونتهم من السيطرة على إمارة (زان) وخرج الشقيق الاكبر إلى بلاد القرم ولجأ إلى (الخان) طالبا إليه مده بجيش ليتمكن من استرداد بلاده التي اغتصبها منه أخوه بغير حق.

وافق (الخان) على طلبه وجهز جيشا كبيرا من أهل القرم وسار نحو إمارة (زان) وعندما أصبح هذا الجيش قريبا من حدودها، جمع الأخ الأصغر جيشا كبيرا من أهل الامارة وقرر مقابلة أخيه القادم من القرم، فحدث اصطدام بين جيشه والجيش القادم من القرم بتحريض من الاخ الاكبر، وقتل الأخ الاكبر وهلك عدد كبير في هذا الصدام الدموي وتمكن (قانبولات) من الفرار لخارج الامارة فاستعاد امارته. وأقسم الشعب يمين الولاء للامير (اتونوقوه) واعطيت اموال اخيه (قانبولات) واعوانه الاشرار لجيش القرم الذي ساعد في استعادة الامارة وقيل ان بعضا من اهل القرم العائدين إلى بلادهم وجدوا (قانبولات) عند خليج البحر فقتلوه، وبذلك انتهت هذه الحادثة المؤلمة.

وأما الفتاة (سوتناي Sotenai) التي كانت السبب المباشر في كل هذه الاحداث فقيل بأنها طردت من البلاد، وقيل ايضا انها اعطيت لخان القرم[٧]هدية.

إن هذه الحروب والمنازعات التي وقعت بين الامير (آتونوقوه) واخيه (قانبولات) اللذين عاصرا السلطان ابراهيم العثماني، حدثت بين اعوام ١٦٤٠ و ١٦٤٨ وذكرها البارون (هامر Baron hamer) في كتابه المسمى (تاريخ المملكة العثمانية) المطبوع سنة ١٨٤٠، ويسمى هذا المؤلف هذين الاميرين (آنتوناق بك Antonak Beg) و (هاكشماق بك Hakashmak Beg).

**الحادثة السابعة: حادثة غزو الأمير (الجوقة شوكنوقة) لقباردا الصغرى بدعم من التتار المرتزقة بسبب اصراره على تملك (درع أثري) بالقوة:** [٨]

وخلاصة الحادثة أن احد "سواس" مدرب الخيل المدعو (اداشم Addasem) كان جالسا فوق رابية (كورغان)، رأى ثعبانا، فطارده ليقتله فأفلت منه الثعبان ودخل جحرا كبيرا، فأخذ يحفر حوله حفرة واسعة ليتمكن من الوصول إليه وقبل أن يصل إلى مكان الثعبان وجد في الحفرة (درعا ذات مسامير ذهبية) وفي غاية من الاتقان والاناقة، فلبسها وسار قاصدا بيت ولي امره (توزارو Tusarow ) ليهديها إليه، وفي الطريق إليه دخل بيت الاوزدن (قوغوتليقو Kogotlukow) الذي كان يقيم وليمة. ولما رأى صاحب الوليمة والدرع التي يرتديها السائس (اداشم) اعجب بها كل الاعجاب حيث قدم للسائس الخمر حتى سكر، ونزع عنه الدرع وهو ثمل وألبسه درعا آخر اقل جودة منها. ولما افاق (آداشم) وعاد لوعيه تبين ان الدرع الذي يلبسه غير الدرع الذي وجده في الحفرة، فأخبر ولي امره بذلك، فصمم هذا على ان يسترد الدرع مهما كلفه الأمر.

ولما ايقن الاوزدن (قوغوتليقو) بأن لا فائدة ترجى من الاحتفاظ به فسلمه إلى ولي امر (السايس) (توزارو). إلا ان الامير (الجوقة) المذكور ظل مصمما على اخذ الدرع بأي ثمن كان، فطلب من (توزارو) ان يعطيه اياه او يبيعه له. رفض (توزارو) بيعه الدرع فأغار الامير (الجوقة شو كنوقه) ليلا على منزله مرارا عديدة وارهق ذويه بطلباته الملحة وبحثه الملح عنه، ولكنه رغم ذلك لم يتمكن من الحصول عليه، إذ لبسته احدى النساء من عائلة (توزارو) المدعوة (ماناته Manata) ورحلت به إلى اقاربها في قبارطا الكبرى.

ولما علم (الجوقة) بذلك سافر إلى القرم والتجأ إلى الخان وطلب منه أن يمده بجيش ليتمكن به من غزو قبارطا الكبرى، فلم يجبه الخان إلى طلبه بل اهداه درعا ثمينة بدلا من الدرع المنشودة. إلا أنه لم يهدأ بل قام في طريق عودته للبلاد

بجمع عدد كبير من (التتر) وسار بهم للاغارة على قبارطا الصغرى وتمكن من تخريب جزء منها. فلم يكن بوسع القبارطاي إلا مقابلته بالمثل واعلان الحرب عليه، وفي المعركة التي دارت بين (القبارطاي وجموع التتر) اصيب (الجوقة) مرتين بجراح بليغة، ثم صالحوه وارجعوه إلى وطنه ومات بعد ذلك بمدة يسيرة.

وفي ذلك أنشد احد الشعراء قصيدة مطلعها:

**لقد اشتد النزاع واستحكم الخلاف بين اخوين من امراء القبارطا ولكن الويل للاوزدن الذين عليهم ان يتحملوا المشاق بسبب خصامهم.**

وتشير سجل حادثة الامير (الجوقة) بأن أبناءه الاربعة وهم (كنقو Genko) و (تامبوت Tambot) و (تملوستان Temstlostan) و (قره قان Kare kan)، اصبحوا بعد بلوغهم سن الرشد على شاكلة ابيهم وبنفس عقليته الشاذة وكانوا في نزاع وخصام دائمين مع بقية الأمراء في إمارة القبرطاي.

ولإنقاذ البلاد من شرهم، وإنهاء القلاقل والاضطرابات التي احدثوها في طول البلاد وعرضها، تآمر عليهم اخيرا الامير (مودارافا) مع امراء قبارطا الكبرى الذين اقتنعوا بضرورة التخلص من هؤلاء الأشرار نهائيا، وصمموا على ابادة ابناء الجوقة من آل (شو كنوقة) جميعا.

ونجحت المؤامرة ونفذت فعلا، وقتل بعض أبناء الجوقة علنا بينما قتل الآخرون سرا حتى لم يبق منهم احد على قيد الحياة، ومنذ ذلك الحين لم تقم لآل (شو كنوقة) قائمة ولم يبق لهم أثر.

**الحادثة الثامنة: وتتمثل في حادثة القتال بين اتباع امراء (قبارطا) في عهد أحفاد الامير (قازي) وهم (حاتوظوقة وحانبوت، وميسوست) والذي ادى إلى قتل ٥٠٠ شخص**

يقول (نغموقة) بأن رجلا استعار من جاره (غربالا) منخل لاستخدامها لفترة قصيرة، إلا أن المستعير نسي ارجاعه لصاحبه في وقته. فغضب صاحب

المنخل واعتبره اهمالا من جاره الذي استعاره. فتشاجر الجاران وتحزب اصحاب واقارب كل منهما، وتطورت المشاجرة إلى حرب دامية اسفرت عن مقتل (٥٠٠) شخص من الطرفين.. وتم تخليد القتلى بدفنهم بمدافن جماعية في موقع سمي بـ (قوزانه – قه) أي (مقبرة المنخل) وهو الموقع الكائن بين نهري (باقسان) و (غوندالن) في (قباردا) [٩].

**الحقيقة الثانية:**

**خروج بعض الامراء على القانون واحداث شغب وبث الفتن في المجتمعات الشركسية المحلية.**

يشير بعض الدارسين لتاريخ المجتمعات الشركسية في الوطن الام بأن اكثر المشاكل الداخلية التي واجهت الامة الشركسية في بعض العصور القديمة منها والحديثة هي مشكلة الامراء الخارجين على القانون ومثيري الفتن والفوضى والشغب في عدد من الامارات الشركسية.

وفيما يلي نماذج من هذه الظاهرة الاجتماعية المرضية التي حدثت في فترات متباعدة من تاريخ الأمة الشركسية.

**النموذج الاول: مطاردة الاشقياء والامراء الخارجين على القانون الذين عصوا اوامر الامير (ينال العظيم) في القرن العاشر الميلادي [١١].**

واجه الامير ينال في بداية حكمه الامراء المنشقين الذين عاثوا في البلاد فسادا، واحداث فتن وشغب بين الاهالي.. وواجههم بقوة وقسوة والقي القبض على ثلاثين اميرا سبق ان لجأوا إلى الجبال العالية والغابات الكثيفة حيث تم قتل عشرة منهم، وأجبر الآخرين على اداء يمين الولاء والاخلاص وتقديم الطاعة.

كما قام الامير (ينال) القضاء على الثورة التي قام بها سكان الجبال الجنوبية من امارته بقيادة زعيمهم الامير (اوزدمير) الذي هرب إلى بلاد الابخاز عندما علم بقدوم جيش (ينال) لمعاقبته على تمرده.

**النموذج الثاني: الفتن وأعمال الفساد والفوضى التي حدثت في عهد الامير (حاتوظوقة) الابن الاكبر للأمير (قازي)**

قام الامير (حاتوظوقة) بتطهير البلاد من المعتدين ومثيري الشغب والفوضى في بلاد القبرطاي.. وبالأخص بين الامير (شوزي) كبير السن، وبالرغم من كبر سنه لم يتوانَ عن بث بذور الفساد وتوسيع شقة الخلافات بين امراء (القبرطاي) الذين كانوا يتنافسون فيما بينهم، وتسبب هذا الأمير (الهرم) في خلق المشاكل والفتن ونصب الشرك لأمته باجمعها، إذ إنه كان يثير الأمير على أخيه الأمير، والنبيل على اتباعه وافراد عامة الشعب، حتى صار كل واحد من الامراء والنبلاء وبعض عامة الشعب يسعون لإيقاع بعضهم ببعض.

وقام الامير (حاتوظوقة) بعد مناصرة الشعب له بتسلم زعامة الإمارة لقناعة الشعب بأن الامير الوحيد بين الامراء المتنازعين الذي تهمه مصلحة البلاد وامنها ورفاهيتها، وكان اول عمل قام به بعد تسلمه الامارة هو استخدام الشدة والقسوة في القضاء على الفتن، ومعاقبة الفاسدين، ومحاكمة الخارجين على القانون والعادات والتقاليد، فاستطاع قتل الاخوان (بانتريش وباتربي) اولا، ثم قام بقتل اخويهما (جانبورباز وجان تورزخان) اللذين ظلا مختبئين في الكهوف الجبلية مدة طويلة من الزمن، وجميعهم هم من احفاد الامير (شوزي) الذي عفا عنه الامير (حاتوظوقة) ولم يقتله لكبر سنه. إلا أنه ظل يحاول ايجاد الفرصة المناسبة للثأر منه لقتله احفاده الاربعة وفي وقت لاحق استغل سفر الامير (حاتوظوقة) مع اخوته إلى بلاد الاستين واقدم على قتل المصارع المشهور (سوسيراخو) وهو من اتباع الامير (حاتوظوقة) غدرا بطعنه من الخلف وهو على حلبة المصارعة. ولما عاد (حاتوظوقة) وعلم بما حدث لمصارعه من غدر.. قام بالانتقام له بقتل (شوزي) بطعنه بسيفه وهو نائم[١٢].

**الحقيقة الثالثة:**

تشير الوثائق وبعض الروايات المتناقلة منذ عهد أجداد الأمة الشركسية وآبائهم بأن اكثر الامراض الاجتماعية التي كانت منتشرة في بعض العصور هي (الصراعات الطبقية) التي نتجت عن تعدد الطبقات وظهور نظام الحياة الارستقراطية في بلاد الشراكسة، حيث انتقلت الصراعات والخلافات ما بين الامراء والنبلاء بعضهم مع بعض إلى صراعات وانتفاضات ما بين الفلاحين وعامة الشعب من (بشل) والخدم (ونه اوت) وبين امرائهم ونبلائهم.

**وإن هذه الصراعات حدثت في وقت كان يفترض فيه أن تكون الامة الشركسية متماسكة ومتحدة، حتى تتمكن من توحيد كل إمكاناتها وقواتها المقاتلة لصد الاعتداءات التي كانت تتعرض لها الأمة من قبل السلطات الروسية والجيش الروسي.**

وللوصول إلى لب هذه الصراعات كان لا بد من إعطاء فكرة حول النظام الطبقي في المجتمعات الشركسية على اختلاف قبائلها وشعوبها حيث كانت تتبع النظام الطبقي في مجتمعاتهم، وأن هذا النظام كان يقسم السكان إلى امراء ونبلاء واحرار وفلاحين واتباع (بشل) وخدم (ونه – أوت) وأن هذا النظام بدأ تطبيقه منذ القرون الوسطى.

وتشير الوثائق والوقائع التاريخية بأن أول صراع طبقي ظهر في المجتمع الشركسي كان في عام ١٧٦٧، عندما قام حوالي عشرة الاف قروي بقيادة (مامسروقة) بثورة ضد امراء القبرطاي وتم إخمادها بعد أن تحالف الامراء والنبلاء مع رجال الدين كما قامت انتفاضة مماثلة في مناطق البزدوغ وقُضى عليها بتعاون الامراء والنبلاء مع السلطات الروسية المعسكرة بالقرب من منطقة إمارة (بزادوغ).

كما نشط الشراكسة في سهول الكوبان واستطاعت ان تجمع قواتها ضد امرائهم ونبلائهم (بشه وورق) وفي الاعوام ما بين ١٧٩٠ ولغاية ١٨١٠ استطاعوا القضاء على نظام الاقطاع مما اضطر الكثير من الامراء والنبلاء للالتجاء إما إلى روسيا أو إلى القرم.

وفي عام ١٨٤٦ حدثت اكثر الصراعات الطبقية حدة لدى قبائل الشابسوغ والناتخواج والابزاخ حيث جرد عامة الشعب وأمراؤهم ونبلاؤهم من حقوقهم القديمة بالسيطرة على (٨٥٠٠) بيت للفلاحين (العبيد) وتحرير حوالي (٥٠٠٠٠) شخص من الجنسين، ما بين عامي ١٨٤٦-١٨٤٧ اضطر معها الأمراء ارسال نبلاء الشابسيغ والناتخواج مرتين بممثلين عنهم إلى قائد خط البحر الأسود الجنرال "راشبيليو" طالبين منه قبول خضوعهم للروس على أمل مساعدتهم لاستعادة حقوقهم لاحقا، وكتبوا يقولون بأن الشعب أخذ منهم أملاكهم التي ورثوها عن آبائهم بحجة تطبيق الشريعة الاسلامية.

وفي شباط من عام ١٨٥٦، حدثت اكبر هذه الانتفاضات والتي قام بها فلاحو البجدوغ والتي عرفت باسم (حرب الامراء والنبلاء)، حيث لم يستطع النبلاء والأمراء في إمارة (البجدوغ) إخماد الانتفاضة إلا بعد الاستعانة بالقوات الروسية التي قامت بتدمير قرى الفلاحين، إذ حاصرت هذه القوات قرى الفلاحين وتدميرها[١٠] إلا أن الانتفاضة نجحت في السنة التالية وتم القضاء على النبلاء والامراء المتعاونين مع الروس بدعم من النائب (محمد أمين) الذي أرسله الشيخ شامل لبلاد الاديغية سابقا.

**وكان من النتائج السلبية لتعدد الصراعات الطبقية بين عامة الشعب الشركسي من فلاحين، واتباع، وخدم، هو إضعاف وحدة الشعوب والقبائل الشركسية في وقت كان هذا الشعب بأمس الحاجة لمثل هذه الوحدة، إلا أن ظهور قيادات شعبية وزعامات جديدة ملأت الفراغ الذي كان يحدث نتيجة هروب او**

**اختباء الامراء والنبلاء المتعاونين مع السلطات الروسية الذين كان عددهم حسب الروايات الشركسية قليلا.**

**الحقيقة الرابعة:**

يجد الدارس لتاريخ الأمة الشركسية منذ عهد الاجداد، وحتى وقتنا الحاضر عن حدوث ظاهرة المتعاونين مع اعداء الشراكسة عامة ومع سلطات روسيا القيصرية خاصة، وأن بعضهم تمادوا في تعاونهم إلى حد اعتبارهم (خونة) والخروج على إجماع الشراكسة. وان كان عددهم قليلا، إلا أنها كانت ظاهرة تستحق الدراسة.

وفيما يلي بعض الامثلة على سبيل المثال وليس الحصر:

**الظاهرة الاولى:** قيام بعض من الشباب الشركسي بالانخراط في جيوش روسيا القيصرية (طوعا) واعتناقهم الديانة المسيحية طمعا في المال والمركز، ووصل عدد منهم إلى مراكز قيادية عليا في الجيش القيصري ومن أبرزهم:

الجركسي المسيحي المسمى الامير "بيتوفتش شيركاسكي" صديق (يرمولوف) ورئيس دائرته السياسية. وهو الذي قضى مدة طويلة في خدمته، وكان "يرمولوف" يعول عليه ويستشيره في كثير من الأمور، ومكافأة لخيانته تم منحه منطقة قبارطا الصغرى التي كانت تتألف من ثلاث امارات صغيرة يحكمها ثلاثة امراء وهم: "آل مودارق" و "آل اخلوقه" و "تاوسلطانو"، وحرم هؤلاء من املاكهم.

نذكر منهم المتعاونين الشراكسة الذي حاربوا مع جيش روسيا القيصرية ضد بني قومهم الشراكسة أو ضد قوميات قوقازية أخرى وهم:

- **محمد حسين جدميشخ** مولود في ١٨٢٣، خدم في الوحدة العسكرية القفقاسية ومنح وساماً فضياً على تميزه في الحملة العسكرية في غرب القفقاس وهو وسام (صليب) "على الخدمة في القفقاس".

- **قريمغيري شاهينغيري غوساره** مولود في ١٨٢٠، عقيد، من شراكسة بسلني، خدم في فوج القزاق تلقى شكر خاص من الامبراطور الروسي على "تميزه وشجاعته في الحملة ضد الجبليين في عام ١٨٤١" ومنح وسام " التميز في الحرب ضد الجبليين" * أثناء عملية شتاء ١٨٦٠-١٨٦١" وقتل أثناء مرافقته قائد المنطقة القفقاسية في "أراضي الابزاخ المتمردين".
- **محمد تترخان جمبوت (جمبوتبش)** شارك في "الحملات ضد الجبليين المتمردين" من ١٨٤٢/٥/١. منح رتبة ضابط على "تميزه في القضاء على المتمردين في بلاد القبرطاي".
- **كزيلبيك مصطفى قارما** مولود في ١٨١١، قائد سرية. شارك في الحملة على داغستان. منح مكافأة مالية على تميزه في حربه ضد بلاد القبرطاي.
- **جانتمير وفجوق جانبيك** مولود في ١٨٣٠، جنرال في الجيش الروسي. شارك في عدد من الحملات العسكرية الكبرى. وحصل على أوسمة "على تميزه في المعارك ضد الجبليين"، وعلى المشاركة في الحملة العسكرية على الشراكسة في غرب القفقاس"، و "على الخدمة العسكرية في القفقاس". كما أن والده و"فجوق جانبيك" المولود في ١٨٠٥ كان ضابطاً في الجيش الروسي.
- **حطوخشيقوا قسي حطرخشيقوا** مولود في ١٨١٣، ضابط شركسي الأصل وصل إلى رتبة المقدم، شارك في الحملات العسكرية في مناطق ما وراء كوبان ضد "الاديغية" ضمن الوحدة القفقاسية الخاصة منذ عام ١٨٣٠.
- **محمد دحطوخشيقوا** مولود في ١٧٩٥، ضابط، اشترك في الحملة العسكرية ضد شراكسة ما وراء كوبان بقيادة الجنرال امانويل عام ١٨٣٠.

* المقصود بالجبليين هم شعوب القوقاز عامة، والشراكسة منهم خاصة.

- **ميصوست اسماعيل حطوخشيقوا:** مولود في ١٧٩٧. يحمل رتبة عقيد شارك في العمليات "ضد الجبليين المتمردين" منذ عام ١٨٢٨. تميز أثناء مشاركته في حملة جنرال امانويل على شراكسة ما وراء كوبان.
- **تشيمغوي بشيقوي اخجاقو:** مولود في ١٨٢٩، من أمراء البجدوغ. ضابط حصل على اوسمة للمشاركة في الحملة على القفقاس "وكذلك للخدمة العسكرية في القفقاس" وهو (ابن شقيقه الشخصية الشركسية البارزة خانغيري).
- **باتا باخوا:** يحمل رتبة ملازم ثان في شرطة الخط القفقاسي في القبرطاي. شارك في عدة حملات عسكرية روسية ضد "الجبلييين المتمردين" عام ١٨٥٩ ومنح وساماً على تميزه في الخدمة العسكرية مع القوات الروسية.
- **شخانغيري باتوقوا:** تميز أثناء مشاركته في حملة عام ١٨٥٠ على شراكسة الكوبان ضمن القوات الروسية ومنح وسام (أنا القديسة) من الدرجة الثالثة.
- **تمريقوا برماميت:** مولود في ١٧٧٥، شارك في الحملات العسكرية الروسية. ومنح رتبة ملازم ثان على "مساعدة القوات في الدخول إلى بلاد القبرطاي" وعلى تميزه في الخدمة العسكرية مع القوات الروسية.

**الظاهرة الثانية: هي حدوث بعض اعمال الخيانة وقيام بعض الافراد بالتجسس لصالح الأعداء، وفيما يلي امثلة لهذه الظاهرة.**

**المثال الاول:** ويتمثل في خيانة الامير (بيتوفتش شيركاسكي) وهو احد احفاد عائلة (بيفوفتش) التي التحقت ببلاط ايفان الرهيب بعد توقيع اتفاقية تعاون مع الامير تيمروقه في عام ١٥٥٧، حيث كلف بقيادة الحملة العسكرية التي وجهها القيصر بطرس الكبير في عام ١٧٢٢، إلى بلاد (الاديغة) تلك الحملة التي فشلت فشلا كبيرا، وقتل فيها جميع افراد الحملة تقريبا البالغ عددهم سبعة الاف جندي بما فيهم قائد الحملة الشركسي الاصل حيث قام الشراكسة المنتصرون (بحشو جثة) الامير

بيتوفتش (بالقش) وعلقت على باب مدينة (خيوه) التي كانت هدفا للحملة.. ليكون عبرة لاولئك الذين قاموا بخيانة قومهم واوطانهم.

**مثال ثاني:** هي تلك الخيانة التي قام بها أمراء واغنياء الابخاز الذين كانوا يخافون على من يحاربون مع الجنرالات الروس المقيمين في جورجيا ومثال على ذلك أن كلا من الاميرين احمد اوبلاوقامش وزورا كانا قد حلفا يمين الصداقة والطاعة لروسيا.(١٣)

**مثال ثالث:** وتتمثل بالمواقف السلبية التي اشار إليها لابينسكي عام (١٨٦٣) حيث قال "**إنهم ليسوا متفانين من اجل وطنهم (المقصود هم النبلاء) والكثير منهم خدم الروس. فقد كانوا يحبون ان يسود النظام الروسي في بلادهم**". لأنهم كانوا يتلقون معاملة حسنة لاستمالتهم ولم يبخلوا عليهم بالأوسمة والالقاب. (١٤).

**ومثال رابع:** تلك الحقيقة التي أشارت إليها بعض الوثائق الروسية والتي تضمنت بأن قسما من اقطاعيي القبرطاي ساندوا الروس في صراعهم ضد حركة التحرير لدى الجبليين، حيث قامت الحكومة القيصرية بتخصيص مخصصات سنوية كبيرة ورواتب تقاعدية كبيرة لبعض أمراء ونبلاء القبرطاي كما تم إعطاؤهم رتبا عسكرية في الجيش، وأنعموا عليهم بالأوسمة وقدموا لهم الهدايا الثمينة ووعدوهم بدعم سلطتهم على الفلاحين. (١٥)

**إلا ان ما كتبه (حاجيموق) عن الأمراء الذين كانوا يقسمون الولاء للقياصرة يؤكد بأن الأمراء لم يكونوا موالين فعلا للسلطات الروسية، بقوله:**

"**... فعندما كان أمير من الأمراء يقسم الولاء باسم التابعين لروسيا.. كان يتوقف عن أعمال الغزو ضد القوات الروسية .. وحتى أنهم كانوا يحرسون الحدود الروسية.. وبعد فترة من الزمن كنت ترى الامير نفسه الذي ادى القسم يحارب الروس وسلاحه في يده وكانت الادارة الروسية تدرك ذلك وتعرفه جيدا..**

**ولذلك فإنهم كانوا يعتبرون يمين الولاء لهم امرا شكليا.. ويعتبرونهم مسالمين وليسوا تابعين للروس.** [١٦].

**مثال خامس:** ويتمثل بالطلب الذي تقدم به إقطاعيو (الاديغة) الذين أصبحوا تابعين للإدارة الروسية بعد احتلال بلادهم في عام ١٨٢٧ وكان نص الطلب:

"**نحن أمراء ونبلاء الشراكسة نطالب القيادة القيصرية في القفقاس إعطاءنا شهادات بدرجاتنا من الإمارات**" **إلا أن الحكومة الروسية لم تجرؤ على إجابة طلبهم خوفا من الثورة العلنية لفلاحي القفقاس.**

**مثال سادس:** ويتمثل في بعض اعمال التجسس والتعاون مع الاعداء وهم الذين كشف عنهم أمير القبرطاي "أنزور" الذي طلب في عام ١٨٤٣ من نائب الامام شامل في بلاد الشيشان الشيخ (شعيب) إرسال وحدة صغيرة إلى بلاده للمساعدة في قتل (١٦) شخصا متعاونا مع السلطات الروسية [١٨].

**الحقيقة الخامسة:**

**استغلال الفلاحين من قبل الامراء (البشة) والنبلاء (الأوزدن)**

كتب احد الكتاب في بداية القرن التاسع عشر قائلا إن "الارض لدى القبرطاي مثلها مثل الأرض لدى القوموق، هي مملوكة كاملة للأمراء ومستثمري الأرض من نبلاء وفلاحين يعتبرون تابعين للأمراء والناس العاديين يدفعون للأمراء والنبلاء (العشر) من إنتاج القمح السنوي، وتدفع كل قرية حسب حجمها عددا من الماشية ايضا، وهذا هو دخل الامراء والنبلاء إضافة إلى بعض الغرامات والجزاءات التي يتقاضونها مقابل الأحكام التي يصدرونها على مرتكبي الجرائم.

وهذا ما كان يحدث قبل حدوث ثورة الفلاحين وانتفاضتهم على الامراء والنبلاء والاغنياء الذين كانوا يستغلون الفلاحين استغلالا بشعا في هذه المرحلة من تاريخ الشراكسة عامة والقبرطاي خاصة.

## مراجع ومصادر الفصل الثالث من الجزء الثالث في المجلد الثالث

١- نغموقة، مصدر سابق، ص: ١٩٧.
٢- جريدة غوازة الجركسية، رقم (٣١)
٣- نغموقة، مصدر سابق، ص: ٦٦-٧٠.
٤- المصدر نفسه، ص: ٩٣-٩٤.
٥- حراتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٧٠.
٦- نغموقة ص: ٧١-٧٢.
٧- المصدر نفسه، ص: ١٢١-١٢٣.
٨- المصدر نفسه، ص: ١٥٩-١٦٤.
٩- المصدر نفسه، ص: ١٣٤.
١٠- قاسوم، علي حسن ، ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٧١-٧٢.
١١- نغموقة، مصدر سابق، ص: ٦٦-٦٧.
١٢- المصدر نفسه، ص: ١٣٥-١٣٦.
١٣- المصدر نفسه، ص: ٤٠.
١٤- رايفسكي، في وصفه للمجتمعات الشركسية (الاديغة) الجزء الاول عام ١٨٦٣ ص: ١٠٨-١٠٩.
١٥- قاسوم، علي حسن، الوثائق الروسية – ابادة الشراكسة، ص: ٣٠.
١٦- المصدر نفسه. ص: ٣٢.
١٧- المصدر نفسه، ص: ٤٤.
١٨- المصدر نفسه، ص: ٢٦.
١٩- المصدر نفسه، ص ٩٠-١٠٠.
٢٠- فون، فيل، السنة الاخيرة، مصدر سابق، ص: ٢٠-٢١.

# الفصل الرابع

## مشاهير وعظماء وقادة الأمة الشركسية

## عبر العصور المختلفة

**تمهيد:-**

ربما كان من أكثر الموضوعات إهمالاً في تاريخ الأمة الشركسية هو التعتيم (غير المقصود) على إنجازات وأعمال عظماء وقادة الشراكسة من الأجداد في عصور ما قبل التاريخ أولاً، ومسيرتهم في عصور ما بعد الميلاد ثانياً، وفي العصور الوسطى ثالثاً، وفي فترة الحروب ضد خانات القرم وروسيا القيصرية التي امتدت ثلاثة قرون ابتداءً من القرن السابع عشر رابعاً.

**وربما كان الجواب على هذه الظاهرة التاريخية هو وجود أكثر من سبب، يمكن إيجازها على النحو التالي:-**

- **السبب الأول**، ربما كان أكثر من ٩٠% ممن كتبوا في تاريخ الأمة الشركسية منذ عصر (هيردوت) في القرن الخامس قبل الميلاد، وعصر (سترابون) في مطلع القرن الأول الميلادي، ومروراً بالعصور التي كتب فيها مؤرخون يونانيون ورومان وبيزنطيون، وقوط، ورحالة عرب، وطليان، وفرنسيون، وإنجليز، وألمان، وأتراك، وانتهاءً بالمؤرخين الروس

حيث وجدنا أكثر من ثلاثة آلاف عنوان كتاب أو دراسة أو بحث أو مقالة، أو وثيقة، أو مخطوطة من التي وضعها أو كتبها كاتب أو باحث أو دارس أو قائد عسكري، أو مسؤول سياسي من غير الشراكسة، ويمثلون أكثر من خمس عشرة جنسية، إلا أن أحداً منهم لم يهتم بإبراز أعمال وإنجازات وبطولات الرؤساء أو الأمراء أو القادة السياسيين أو العسكريين من أجداد الشراكسة في أي عصر من العصور، منذ عصر ابو المؤرخين (هيردوت) بالرغم من تعدد عظمائهم وقادتهم، وبالرغم من البطولات العظيمة والتضحيات الكبيرة التي قدمها هؤلاء العظماء، خاصة الرؤساء والأمراء والنبلاء والأحرار من الشراكسة الذين كانوا يحاربون أعداء الأمة الشركسية على مر العصور، وهي

صفة يندر أن نجد مثلها في تاريخ الشعوب القديمة عامة والشعوب القوقازية خاصة.

- **السبب الثاني**، إن توقف استخدام الكتابة باللغة الشركسية لأكثر من (١٥) قرناً إدى إلى غياب توثيق تاريخ الأمة الشركسية عامة، وتاريخ عظمائها وأبطالها وقادتها خاصة، وكان البديل أن يتم التوثيق من خلال القصص والأغاني والحكايات والأمثال والحكم وغيرها من أساليب حفظ التراث الشفوي، وهي أساليب لم تكن كافية لتوثيق تاريخ الأمة الشركسية عامة وتوثيق إنجاز عظمائها وقادتها خاصة.
- **السبب الثالث**، بالرغم من محاولة المؤرخين الشراكسة الأوائل الذين تصدوا للكتابة عن أحداث ووقائع تاريخ الأمة الشركسية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وفي مقدمتهم المؤرخ والأديب الشركسي العظيم (شورا بكمرزا نغموقة) الذي ألف كتاب "تاريخ الأديغة القديم" باللغة الروسية ونشره ابنه (لروستان) عام ١٨٦١م وترجمه الدكتور (شوكت المفتي) عام ١٩٥٣م إلا أنه لم يقدم لنا إلا القليل، القليل عن السيرة الذاتية للقادة العظام من أمراء وزعماء ونبلاء، وكذلك لم يُبرز أعمال وإنجازات وبطولات القادة العسكريين والسياسيين العظام، وربما كان معذوراً في ذلك لأن الأمة الشركسية بالرغم من تعرض الآلاف من الكتّاب (غير الشراكسة) للكتابة في تاريخها الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والديني، والعسكري، فإنها تخلو من أخبار وأعمال وإنجازات وبطولات حكامها، وقادتها، وحكمائها، وقضائها.
- **السبب الرابع**، تجاهل الكتاب والمؤرخين الشراكسة في الوطن الأم عامة منذ احتلاله عام ١٨٦٤م من قبل سلطات روسيا القيصرية، وكذلك الكتّاب الشراكسة في عهد الحكم الشيوعي، في الفترة (١٩١٧م إلى عام ١٩٨٩م)في الكتابة عن التاريخ البطولي للحكام الشراكسة من رؤساء وزعماء، وأمراء،

ونبلاء، وقادة وعسكريين وسياسيين عامة، وخلال فترة حروب الإبادة والدمار الروسية التي امتدت من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر الميلادي خاصة، وبالتالي فإن التاريخ السياسي أو العسكري أو الاجتماعي للحكام الشراكسة عبر العصور القديمة والحديثة والوسطى يخلو من أي ذكر لإنجازات عظمائها، لأن المؤرخين والكتاب الشراكسة المعاصرين في الوطن الأم توجهوا في كتابتهم لتمجيد أعمال الرؤساء والقادة والسياسيين والعسكريين الذين خدموا الأيدلوجية الشيوعية، والفكر الماركسي، كما توجهوا لإبراز الأعمال الأدبية والثقافية والفنية والرياضية التي كانت في خدمة الحكم الشيوعي أولاً، والقومية الشركسية في الحدود التي لا تتعارض مع الأيدولوجية الشيوعية والفكر الماركسي ثانياً.

**لكل ما تقدم، وبعد أن وجدت بأن الأمة الشركسية هي في مقدمة الأمم والشعوب القديمة التي أنجبت عظماء من القادة العسكريين والسياسيين والاجتماعيين والأدباء والحكماء كان لزاماً علي أن أكثف البحث والدراسة عن تاريخ مشاهير وعظماء هذه الأمة العظيمة حيث توصلت إلى الحقائق التالية:-**

- **الحقيقة الأولى:-**

ربما كانت الأمة الشركسية أكثر الأمم والشعوب القديمة توثيقاً لعظمائها، وأبطالها في أساطير وملاحم النارتيين حيث ورد فيها أسماء العشرات بل المئات من الشخصيات التي كانت لها أدوار بطولية بارزة في حياة قوم (نارت) وهي شخصيات وإن التصقت في أعمالهم وإنجازاتهم القصص الخيالية، إلا أنها من المؤكد بأنها كانت شخصيات حقيقية.

- **الحقيقة الثانية:-**

انقطعت أخبار إنجازات وأعمال قادة الأمة الشركسية في عصر جماعة (ألمه-ؤت) وشعوب السند، والتوربت، والداندار، والزيخ، من قدماء أجداد

الشراكسة الذين عاشوا ما قبل الألف الأول ما قبل الميلاد وحتى القرن الثالث ما بعد الميلاد، حيث أننا لم نجد في تاريخ هذه الشعوب ذكراً لاسم شخصية قيادية واحدة من قادة هذه المرحلة من تاريخ أجداد الشراكسة في عصر ما قبل التاريخ.

- **الحقيقة الثالثة:-**

قدم لنا المؤرخ الشركسي (نغموقة) أسماء (٢١) شخصية من القادة والعظماء الذي عاشوا في القرون الممتدة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن التاسع الميلادي.

- **الحقيقة الرابعة:-**

استطعنا التعرف على أعمال وإنجازات العشرات من القادة العظام من شراكسة الأمة الشركسية الذين كان لهم أعمال بطولية في المرحلة الممتدة من القرن العاشر وحتى القرن الرابع عشر الميلادي، وهم القادة الذين تعرفنا على أسمائهم من تحليل أغاني الرثاء الشركسية (غبزة) ومن القصص والحكايات التي كانت تتردد في مجالس المضافات (حاشئش) في هذه المرحلة من تاريخ الأمة الشركسية.

- **الحقيقة الخامسة:-**

توصلنا من تحليل وقائع وأحداث القرنين السادس والسابع عشر الميلادي، بأن أكثر من أمير، أو نبيل، أو زعيم قد تحدث عن أعمالهم وبطولاتهم المنشدون والمغنون المختصون بالأشعار البطولية من أمثال الأمير (أرسلان قايتوقة)، والأمير (تورغوق حاتوظوقة)، والأمير (كسيا قاوجوكين) والأمير (عادل كراي) كما اشتهر في هذه المرحلة قضاة عظام، وحكماء ومفكرين من أمثال (قازانوقة جباغى) والقاضي (وري) والقاضي (أبوق).

- **الحقيقة السادسة:-**

تشير سجلات ووثائق حروب الدمار والإبادة الروسية/ الشركسية في السنوات (٦٥) الأخيرة من هذه الحروب بأن العشرات من الأمراء والقادة العسكريين الأبطال والسياسيين البارزين الشراكسة الذين كان لهم الفضل في إيقاع خسائر كبيرة في صفوف القوات الروسية القيصرية الغازية لبلاد الأمة الشركسية في شرقها وشمالها وغربها.

**السيرة الذاتية لبعض مشاهير وعظماء قادة الأمة الشركسية من عسكريين، وسياسيين، وقضاة، وحكماء، وأدباء:-**

**أولاً – عظماء ومشاهير الشراكسة في أساطير وملاحم النارتيين:-**

يقول الدكتور (شروخ) في مقال له حول "**الشراكسة وأبناء القوقاز وملاحمهم الأسطورية**" بأن أساطير النارتيين تتضمن حكايات وقصص، أو قصائد خيالية غير مألوفة لشخصيات وأبطال يتميزون بقوة إيحائية كبيرة، تُضخم مآثرهم وتحولهم إلى رموز ممثلة لفكرة أو مواقف قومية، وهم أبطال مخلصون لجنسهم وحضارتهم، متفوقون على أعدائهم، وأساطير النارتيين وملاحمهم تشبه كثيراً الأساطير في كل من:- (الألياذة اللاتينية، وأنشودة رولان الفرنسية، وأنشودة النيبلجن الألمانية، والمهزلة الإلهية الإيطالية، والرمايانا والمهاباراتا الهنديتين، والشاهنامة الفارسية)، إلا أنها قد تختلف عن تلك الأساطير القديمة بأن شخصيات قصص النارتيين هي شخصيات حقيقية وإن اختلطت في أحداثها بعض الأفكار الخرافية وهذا ما توصل إليه معظم الباحثين والدارسين لملاحم وأساطير النارتيين مثل:-

- خان جري عام ١٨٤٦م.
- شوار نغموقة عام ١٨٦١م.

- الدكتور أرسلان أعوام ١٩٢٧م-١٩٣١م.
- العالم الفرنسي جورج دوميزيل عام ١٩٤٠م.
- حداغالة أسكر في موسوعته عن النارتيين ذات الأجزاء السبعة المنشورة ما بين أعوام (١٩٦٧م – ١٩٧١م).
- ممدوح توموق عام ١٩٨٤م.

وبتحليل ما تم جمعه من أساطير، وقصص وحكايات وأغاني النارتيين، توصلنا إلى بعض الحقائق التي تدل بأنها تتحدث عن وقائع وأحداث حدثت في مجتمع حقيقي، وأنها تصف بطولات شخصية واقعية، وأن امتزج هذا الوصف مع مرور الزمن ببعض الأوصاف الخرافية، التي اقتبست من أساطير الأمم والشعوب التي كان للنارتيين اتصال معهم مثل الأساطير الإغريقية، واللاتينية، والسومرية، والفارسية...إلخ، وبالتالي فإن أساطير النارتيين تتحدث عن وقائع وأحداث حقيقية في قوالب خيالية أو وهمية أو خرافية، ونستدل على ذلك من تأكيدات الباحثين والأدباء الذين بحثوا في أساطير النارتيين نذكر منهم:-

- **هوبشمان**، الذي يقول بأن أساطير النارتيين هي ذات منشأ شركسي، وهناك دلائل تشير بأنها تكتسب بالتدريخ مصداقية ويقيناً، كما يؤكد بأن الأساطير الشركسية والأوسيتية قد انتشرت معاً إلى القوميات الأخرى في القفقاس. وهي أساطير تصف حياة قوم كانت تعيش في مجتمع صغير قائم بذاته.
- **العالم تربزكوي**، في دراساته لأساطير النارتيين عام ١٩٣٤م ونقل عنه المؤرخ باتريك أوزبك في كتابه (أساطير النارتيين) يؤكد فيها بأن:- "**النارتيين بغض النظر عن صفاتهم فوق الطبيعة من حيث ضخامة الجسم والقوة البدنية وسيطرتهم على الريح والشمس وفي تأثيرهم ومشاعرهم وسلوكهم هم بشر، وأن الصورة المقدمة لنا في تلك الأساطير تمثل نظرة واقعية للعالم، فهم يهتمون فقط بالعالم المادي ولا يشغلون أنفسهم بالعالم الآخر أو بتصورات**

**عنه، فالنارتيون والعمالقة والآلهة والأقزام (الجيسبي) الذين يمتطون الأرانب كل أولئك يعيشون نفس العالم، وأغلبهم يرتبطون بعلاقات متغيرة، تارة متفقين وتارة مختلفين، وتارة يُغلب الأبطال العمالقة، وأخرى ينتصر فيها العمالقة... إلخ".**

ويستطرد قائلاً:- "**أن علاقات وسلوكيات شخصيات أساطير النارتيين ليست متبادلة بين كل منها، وجميع الأطراف تبين بأن العلاقات بين العمالقة والآلهة وبين الأقزام والعمالقة لا يوجد لها تأثير، كما يمكن للمرء أن يتعرف في تلك الأساطير على مقدار معين من عدم كفاية المقدرة عند النارتيين لإنجاز المهام التي تصادفهم، ونجد أنهم بحاجة مستمرة إلى مساعدة من أناس أو حيوانات أو أسلحة خارقة للحصول على النجاح، وبناء عليه فهم يحملون قدراً معيناً من الاحترام والتقدير للعمالقة والآلهة وحتى الـ(جيسبي) المذكورين سابقاً والذين هم مخلوقات صغيرة جداً كانوا ذي إمكانيات عقلية عالية**".

وكذلك فإن معظم الذين بحثوا في أساطير النارتيين يؤكدون بأنها تتحدث عن أشخاص كانوا موجودين ضمن (قوم نارت) الذين عاشوا في مجتمع متكامل في عصور ما قبل التاريخ، وهو المجتمع الذي نستدل عليه من أساطير النارتيين ومن أشعارهم وقصصهم وحكاياتهم التي تؤكد لنا بأن (قوم نارت) كانوا قوماً مستقرين في مجتمع، ولهم مساكن ثابتة من نمط البيوت المتطاولة حسب وصف النارتي (اليدج) الذي وصف بيتهم بأنه عبارة عن بناء طوله ثلاثون خطوة وعاشوا في مناطق (**نارت سانا وينجيج، ويسيج**) في منطقة نهر الكوبان في شمال غرب القفقاس، كما توصل معظم الباحثين في أساطير النارتيين بأنها أساطير تمجد كافة أنواع الأعمال النبيلة والتحفيز على التمسك بالأرض والوطن وأنهم الحماة الشجعان لأرض الوطن، كما تمجد الفضيلة وعمل الخير وازدراء الأعمال الدنيئة أو غير الأخلاقية، ومساعدة الضعفاء والدفاع عن المظلومين.

وكذلك فإنها تحدثت في شيء من التفصيل عن مكانة المرأة النارتية فهي الأم الشفوقة المحبة، ومعلمة الأبطال المستعدين للقيام بالأعمال المجيدة من أجل بلدهم، وهي الصديقة الحكيمة المخصلة لزوجها والتي كثيراً ما تساعده على معرفة أسرار الطبيعة، وكيفية التغلب عليها، حيث أن (النارتيين) كانوا يلتمسون النصيحة من أمهم (ستاني– Stanei) التي كانت دائماً تساعدهم على الخروج من أعقد المآزق وكذلك فإن قصة (مليشيخ – Meleshipkh ) الحكيمة الواسعة الحيلة والذكية تصف لنا حكمة وقدرة هذه المرأة في الصمود أمام النكبات كما تحتل (داخاناغو) مكانة خاصة بين نساء قوم (نارت) حيث كانت تسكن على المرتفعات الثلجية العسيرة المنال، وحاول (تسعة وتسعون) فارساً أن يمتلكوها لكنهم هُلكوا جميعاً دون ذلك، لأن كل واحد منهم كان يسعى للحصول عليها باستخدام القوة.

كما تؤكد قصص وأساطير النارتيين بأن النارتيين كانوا يلتقون كل عام ويقيمون ألعاباً ومباريات مختلفة، منها لعبة دحرجة عجلة ذات شفرات حادة من فوق "حرمه أواشحه" * ويعيدونها بضربها بأيديهم (المغطاة بكمّ الدرع) إلى القمة، كما كانوا يتسابقون بالخيل (جلوساً فوقها ونياما إلى جوانبها) ويلتقطون من الأرض وهي تركض بأقصى سرعة، أو يضربون البيض الملقاة على الأرض كهدف، كما كانوا يقيمون المباريات في المصارعة والرماية بالنبال وغيرها من الألعاب، بالإضافة إلى قيامهم بالرقص على حافة الموائد الدائرية الضخمة دون أن يحركوا أو يمسوا شيئاً من أواني الطعام التي فوقها.

* ممدوح قوموق، ملاحم نارت الشركسية، ومن ١٩٨٤م (ص:٦٣).

**خلاصة القول، فإن قصص وأساطير، وملاحم وأغاني النارتيين تتحدث عن حياة مجتمع شركسي متكامل يعيش فيه الفلاحون، والمزارعون الـذين يحرثـون الأرض بمحاريث تجرها سبعة ثيران، والصيادون ورعاة الأبقار ومربو الخيـول والمواشي، كما ويعمل فيه صانع الأسلحة، وصانع الأدوات الزراعية، والـصايغ، وغيرهم من الحرفيين والمهنيين المهرة، كما يشرف على تنظيم مجتمع النارتيين المجالس، والحكماء، والقضاة، والكهنة ويـدافع عـنهم الأبطـال، والمقـاتلون الشجعان من الشخصيات البارزة للنارتيين، وأن هؤلاء الشخصيات لـم يكونـوا شخصيات خرافية أو من نسج الخيال فقط، وإنما هـم مخلوقـات حقيقيـة (وإن التصقت بهم بعض الصفات الخرافية) وأنهم كانوا عظمـاء ومـشاهير وأبطـالاً عاشوا في شمال القفقاس في فترة ما قبل الألف الأول مـن المـيلاد، ويـشكلون النخبة المميزة من الشخصيات التي بلغ عددها عند كل مـن الباحـث الأكـاديمي (حداغالة) والمؤروخ (بازيف) حوالي (٣٠) شخصية وهم:-**

١. ستناي
٢. ورزيميدج
٣. بيرغون
٤. تليبش
٥. فيرزيميد جيقوبيرشيقو
٦. ستنايقوسا وسريقو
٧. فيرزيميد جيقو – شباتنيقو
٨. خيميشيقو – تباراز
٩. تشئيليشيت
١٠. تاغيليدج
١١. ديخيناغو
١٢. تيريشاو
١٣. قاندجيقوشواي
١٤. ديغودج
١٥. اليدج
١٦. أدييف
١٧. قوليجيقوخر
١٨. ميليدجيبوخ – ازانيدجيقوا
١٩. شيوابتز
٢٠. ييئيميقو بابوخ
٢١ ييشيميقو اشيميز
٢٢. باتشئيقو تتيرشاو
٢٣. نيسران جاجئة
٢٤. البيتشيقو توتاريش
٢٥. زيغاشت
٢٦. سيتيميقوخر
٢٧. بيويدج
٢٨. جيماور
٢٩. لاشين
٣٠. بيديف

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الآلهة، وأرباب الحماية، ورد ذكرهم في قصص وأساطير النارتيين نذكر منهم:-

١. آخين
٢. أميتش
٣. أوجيدج
٤. بيمش
٥. ميريسا
٦. أو (ميريم)
٧. ميزيتحا
٨. اوشحاباخوا
٩. باكوي
١٠. بساتحة
١١. بسيتاحاغواش
١٢. زيقوتحا
١٣. شيبلة
١٤. سوسيريز
١٥. (سوسيريش)
١٦. تحاغيليدج
١٧. تليبش
١٨. تيغوبتلوق
١٩. واشا
٢٠. جيتحا

**نبذة عن حياة (خمس) من الشخصيات الأبطال العظام الذين ورد ذكرهم في قصص وأغاني وأساطير النارتيين وملاحمهم:-**

- **الشخصية الأولى وهي شخصية (ستناي جواشة)**، ويصفها (دوميزيل) بأنها امرأة يجتمع فيها الجمال والموهبة والذكاء، وتعتبر (المثل الأعلى للنارتيات) كما يصفها (باتريك) "بأنها تشكل نموذجاً للمرأة الحاذقة"، وهي بذكائها خير ناصح لزوجها وقومها النارتيين، وخير عون لهم في أوقات الشدة وفي اللحظات الحرجة" ولها علاقات طيبة مع جميع النارتيين، وكل الأبطال يطلبون يدها، كما كانت تمتلك قوى سحرية، بل حتى كانت تتمتع ببعض صفات (الآلهة) ولكن ليس هناك في الأساطير ما يشير إلى أنها كانت تمجد كواحدة منها، وفي كثير من الأساطير تتحدث عن مساهمتها في التقدم الحضاري، فهي تخترع أدوات جديدة مهمة لحداد النارتيين (تليبش) مثل الكماشة والسندان.

إن شخصية (ستناي) معروفة من قبل جميع قبائل (الأديغة) البالغ عددها (١٨) قبيلة بأنها هي أم النارتيين، وإن بعض النصوص في ملاحم نارت تشبه (ستناي) بالشمس وأن قصة "زهور ستناي" تبين بأنها هي الشمس بعينها.

وربما كان النص التالي خير وصف للصفات التي تميز شخصية (ستناي جواشة):-

" **هي تلك ستناي، كل أفكار العالم من صنع يديها، وكل الجمال في الكون كان صورتها، كانت شريكة بطولاتنا نحن النارتيين، وفي الدروب الطويلة كانت رفيقة غزواتنا الليلية، وعندما يهاجمنا العدو كانت ضرباتها تصد العدو ومع ضرباتنا، وفي البراري كانت دليلنا الخصب، وعندما تقودنا إلى الصيد كانت تجعلنا نطهو، هي شمسنا في النهار كانت، وقَمَرنا في الليل... تلك الأزهار التي ترونها هدية منها، فقد نبتت من أجل ستناي، إنها تزهر مرتين...إلخ**".

وفي وصف آخر لشخصية (ستناي) توصل إليه الباحث (أسكربي)* في دراسته لملاحم نارت الشركسية بأنها (أم النارتيين) وهي التي ربت أبرز الأبطال أمثال:- (سوسروقة، بدنوقة، أشمز، شاوبي)، وأنها امرأة خارقة الذكاء تكشف للأبطال ما يخفى عليهم، وإذا هاجم الأعداء بلادهم فهي التي تحقق النصر للنارتيين، كذلك فإنها هي التي علمت إله الحداد (تلبش) طريقة صنع الأدوات واللوازم الحديدية.

وفي المراحل الأخيرة من حياة قوم النارتيين وجدنا بأن (نَسْرَنْ بن صوقال) رفض أن يعتبر (ستناي) أم النارتيين، كما رفض الانصياع لأوامرها قائلاً:- "**إذا كنا رجالاً، يجب أن يكون لنا زعيم رجل نطيع أوامره**". وهذا أصدق تعبير عن رغبة أجدادنا في التحوّل من "عصر سلطة الأمومية إلى عصر سلطة الأبوية"، وعندما سمعت (ستناي) بذلك تأثَّرت تأثُّراً شديداً فجمعت أمتعتها ورحلت إلى أطراف قرية (قنجالشحة) التي يسكنها قومها النارتيون.

* شورتن اسكربي، النارتيين ملاحم شركسية، نالتشك ١٩٥١م، (ص:٢١).

- **الشخصية الثانية من شخصيات أساطير النارتيين هو(ساوسروقة)**، إن أحد أكثر الشخصيات المثيرة للجدل في الأساطير النارتية الشركسية هو (ساوسروقة ابن ستناي)، كما يطلق عليه في نصوص الأساطير أكثر من لفظ منها (ساوسروقة) و(سوسروقو) و(سورسيريقو) و(سوسيريقو) وهي أسماء كلها لشخصية واحدة.

- **مولد ساوسروقة:-**

جمع الباحث (ممدوح قموق) أكثر من (٣١) رواية عن قصة ولادة (ساوسروقة) ولسنا هنا في صدد بحث القصص العديدة التي تقص علينا روايات في غالبها روايات خرافية أكثر منها حقيقية، وإنما الذي يهمنا هو أن نستخلص بأن ستناي هي أم (ساوسروقة) سواء ذلك بالتبني أو بالولادة الطبيعية، وأن بعض الرويات تقول بأنه الأبن الشرعي للراعي (وازيرميج أو وزيميدج)وروايات أخرى تقول بأنه ولد بطريقة غير عادية حسب اعتقاد (هويشمان) نتج عن (استمناء) الراعي المبهور بجمال (ستناي) على صخر وبالتالي بأن (ساوسروقة) خرج من صلب الحجر الذي سقط عليه (منية) الراعي بعد تسعة أشهر، وهي روايات خرافية تدوالها معظم قبائل الشراكسة منذ القدم.

- **شجاعة ساوسروقة، وأعماله الخارقة:-**

كان يتمتع بخصائص إنسانية كبيرة، كما كان بطلاً يمتلك شجاعة فائقة، وقدرات خارقة وصنع له (تلبش) (إله الحدادة) لدى الشراكس سيفاً خاصاً* من منجل، وكان ذلك المنجل يحتوي على خصائص سحرية، فكان يحصد المروج والحقول وحده.

* حداغالة، امسكر، الجزء – ٢، ١٩٦٩م، (ص:٥٣).

كما كان (ساوسروقة) يقاتل أحياناً من أجل النارتيين وأحياناً ضدهم، ففي إحدى المرات سرق أحد العمالقة حبوب البذار من النارتيين، وكان ذلك العملاق يسكن خلف سبعة جبال، وسبعة أنهر، وسبعة بحور، وبدون تلك البذور كان النارتيون معرضون للضياع، واستطاع (ساوسروقة) بالكثير من الحيل وبعد مغامرات عديدة وبمساعدة حصانه الذكي أن ينتصر على العملاق وأن يعيد حبوب البذار إلى قومه النارتيين.

وفي أحد الأيام تحاور "التحمادات" (أي الزعماء الكبار) من الآلهة حول من سيدعى لحضور احتفالهم الذي كانوا يقيمونه سنوياً على جبل السعادة (حرمة أواشجة) فقال (إله) الحياة (بسه – تحه):- "سندعو من هو الأشجع والأقوى من قوم نارت وهو (نيسران) ذو اللحية الطويلة، وتحاماته كل حفلات النارتيين وهو الأشجع والأقوى بين البشر"، وقال (سوسريش) إله السعادة المنزلة:- "أن (شاواجبي) ابن كانش هو صياد نارتي جريء وهو أحق من الجميع للدعوة"، وثالث قال:- "بأن (أميش – غورغونيش) راعي خنازير النارتيين الذي لا مثيل له يجب أن يكون ضيفنا"، ورابع قال:- "بأن (حتيميش) الأكثر استحقاقاً لاستضافته لأنه أفضل مزارع بين النارتيين".

وعندها وقف إله الحدادة (تليبش) وقال:- "**بأنه ولد إنسان على الأرض، لديه من القدرات ما يجعل كل الأبطال الذين ذكرتموهم يقفون احتراماً عند ذكر اسمه، نعم أيها (الآلهة)، لقد ولد في أرض (قوم نارت) رجل حقيقي، استطاع أن يقتلع سنداني الذي كان منغرساً حتى الأرض السابعة، لقد انتزعه من الأرض بكامله ثم عاد فغرسه ثانية حتى وصل إلى الأرض التاسعة، إنه ما زال صغيراً ولكن أرض النارتيين لم تعرف رجلاً بقوته منذ أن وجد البشر**".

فتقرر دعوة (ساوسروقة) واحتفلوا به وشربوا نخب شراب (السانو) المصنوع من عناقيد العنب تقديراً لبطولاته ولأعماله الخارقة، وخدماته لقوم نارت (الأديغة).

- **أعمال ساوسروقة البطولية ومهارته وقوته الخارقة وتتمثل بالأعمال الخارقة التالية:-**
  - قدرته على شق التمثال الحجري بضربة واحدة من سيفه.
  - اطلق سهماً في السماء وأصاب طائر(السند) بسهم واحد.
  - أفضل واحد في قوم نارت يرمي السهام إلى أبعد مسافة.
  - أقوى رجل من قوم نارت في لعبة مصارعة الغرز في الارض.*
  - أسرع رجل في دفع العجلة الحديدية ذات الشفرات الحادة إلى أعلى الجبل وإعادتها لأعلى.
  - تغلب في كل ألعاب النارتيين على أقوى ثلاثة رجال في قوم نارت وهم (يشايا – كوكوج – بنوقة).

**زواج ساوسروقة:-**

تزوج ابنة جلاخستان ذائعة الصيت والجمال (بدوك) والتي كان يصفها النارتيون بأنها هي الشمس في النهار والقمر في الليل.

ولما سمع (ساوسروقة) بأخبار (بدوك) شدّ السرج على حصانه (تخوجي) وذهب إلى مسقط رأسها لرؤيتها شخصياً، ولما وصل بيتها وجد بصعوبة مربطاً شاغراً لحصانه لكثرة الخيول التي جاءت بفرسانها لخطبة (بدوك الجميلة)، وتوجه (ساوسروقة) نحوالمضافة واستقبله (جلاخستان) والد (بدوك) مستهزئاً وقال له:- "إذا كانت نيتك مثل نية الفرسان من شباب النارتيين لخطبة ابنتي، يا ابن راعي البقر، فلنبدأ دون لف أو دوران، قالها وهو ينظر باحتقار إلى (ساوسروقة)"، وقال عليك أن تنفذ شروطي أولاً قبل طلب يدها، واستطاع (ساوسروقة) تحقيق شروط وطلبات (جلاخستان) والد (بدوك) حيث نفذ الشرط الأول بسهولة ويسر حيث خلع

* تعتبر من ألعاب المصارعة التي كان يمارسها الشراكسة منذ عهد قوم نارت، وفيها يتم النصر للمصارع الذي يُغرز خصمه في الأرض ولا يستطيع التحرك بعده.

الرمح المغروس في الأرض دون عناء، كما استطاع تنفيذ الشرط الثاني، وهو صيد طير (السنونوة) التي تمكن منه في السماء برمية واحدة من سهمه، كما استطاع تحقيق الشرط الثالث وهو الرقص على سبعة تلال من الشوك على رؤوس أصابعه وهو (حافي القدمين)... إلا أن (جلاخستان) تراجع عن وعده بأن يزوجه ابنته (بدوك) بالرغم من تحقيقه شروطه الثلاثة سابقة الذكر...وطلب شرطاً تعجيزياً رابعاً من (ساوسروقة) وهو اللحاق (ببدونوقه) أحد الحضور من شباب قوم نارت الأقوياء، الذي خرج من بيت (جلاخستان) غاضباً لعدم تمكنه من الزواج من ابنته (بدوك) حيث استطاع (ساوسروقة) اللحاق به واقناعه للعودة معه إلى بيت الجميلة (بدوك) وهو الأمر الذي أقلق والدها (جلاخستان)، فأغلق في وجههما بوابة القلعة، ومنعهما من الدخول إليها... إلا أن (ساوسروقة) وبذكائه الخارق وبشجاعته الفائقة استطاع أن يقتحم القلعة وأن يمد يده إلى يد (بدوك) فأنزلها من الشرفة، وأجلسها على حصانه أمامه، وانطلق بها عائداً إلى قومه... وهكذا تزوج (ساوسروقة) من الجميلة (بدوك بنت جلاخستان).

- **الشخصية الثالثة هو(تئيميز)**، يقول المؤرخ (أوزبك) في كتابه (أساطير النارتيين)، بأن جميلة من قوم نارت اسمها (ديخناغو) كانت تعيش في الغابات الواقعة خلف الجبال بحيث لا يمكن الوصول إليها أو النيل منها، ولكن أحد النارتيين واسمه (تئيميز) لم يصدق ذلك، وقرر الوصول إليها، وعندما دخل الغابة حاولت وحوشها قطع الطريق عليه ولكنه قتلها جميعها، وعندما وصل إلى أطراف الجبال التي تعيش (ديخيناغو) خلفها، انقض عليه نسر هائل كان يطير فوق تلك الجبال، ولكنه استطاع قتل ذلك النسر أيضاً، وبعد أن عبر (تئيميز) سبع جبال اعترضه (عملاق) ذو عين واحدة، تبرز من صدره سكين من العظم، فقتله (تئيميز) أيضاً وعندها خرج له فارس يمتطي حصاناً بدون

سرج وبدأت معركة شديدة بينهما عاجل (تئيميز) الفارس بضربة جبارة على رأسه، فانفلقت خوذته إلى شقين، وتدلى من رأسه شعر طويل، وإذ هي (ديخيناغو) الجميلة، وبعد ذلك تزوجها (تئيميز) وعاد بها إلى بلده في أرض النارتيين.

- **الشخصية الرابعة و هوالنارتي (اليدج)**، تذكر الأساطير لنا بأن النارتي (اليدج) كان تحاماته (رئيس) فرقة القتل في (مجلس الموت) النارتية، وكان الأكثر ضخامة وقوة بين النارتيين، وكذلك كان يسكن بيتاً أوسع وأطول من المعتاد، بناه فوق هضبة (كورغو)، وتذكر الأسطورة أن طول بيت (اليدج) كان ثلاثين خطوة، وأن مدخله إلى الجنوب، وأن أعمدة سقفه كانت من الضخامة بحيث تحتاج إلى سبعة ثيران لرفعها، وأن الدخول إلى فناء الدار كان يتم عبر باب مبني من جذوع أفقية فوق بعضها، وكانت من الضخامة تصل إلى ارتفاع رقبة حصان، وأن فتح الباب أو إغلاقه كان يحتاج إلى قوة عشرين رجلاً، وما بين بوابة الدارة وباب البيت كانت توجد بركة من الوحل يصعب على الإنسان اجتيازها راجلاً كان أو ممتطياً جواداً، وقد كان البيت نفسه مرتفعاً لدرجة أن (اكواندة) ابنة (اليدج) كانت تستطيع من فوقه أن ترى إلى مسافة تعادل ما يقطعه الفارس على جواده في سبعة أيام، وعند بلوغه سن (الثلاثمائة) عام، كان يستطيع امتطاء صهوة جواده والمحافظة على كامل قواه الجسمية.

وقد تزوج هذا النارتي مربوع القامة من (بيتن) وهي نارتية لم يرض اخوتها عن زواجها منه، لأنها كانت فتاة جميلة، بينما يوصف هو بأنه كان قبيحاً، وبعد أن ولدت (بيتن) أول مولود لها ذهبت محملة بالهدايا حسب العادة النارتية إلى زيارة أهلها وقضاء فترة من الزمن بينهم، ولكن اخوتها أهانوها فعادت إلى زوجها

(اليدج) وحدثته عن ذلك وطالبته بأن ينتقم منهم فذهب إلى قريتها وقتل اخوتها جميعاً.

وقد لاقى (أليدج) حتفه على يد النارتي (ساوسروقة) وتحققت أمنية (ساوسروقة) بأن تأكل الديدان رأس (اليدج).

- **الشخصية الخامسة وهو(اشيميز باشيميقو)**، هو أحد سبعة أبناء للنارتي (ياشيم)، وأما أمهم فهي (نارتية) وكانوا يعيشون معاً على قطعة أرض واسعة يمتلكونها في بلاد النارتيين، وكانت أرض (ياشيم) تجاور أرض العملاق (تليفوج جاجئة) وبسبب شجرة ضخمة في أرض (ياشيم) تستظل بظلها آلاف الخرفان حدث نزاع بين صاحبي الأرضين، وتحول النزاع إلى قتال بين الاثنين حيث قضى العملاق على النارتي، وقد أراد أبناء (ياشيم) السبعة الثأر لوالدهم، وظن العملاق بأنه قد أصبح في مأمن من الانتقام، ولكنه لم يكن يعرف أن زوجة (ياشيم) كانت حاملاً، ولحماية أرملة (ياشيم) من غدر العملاق قام جيرانها بإخفائها في مكان آمن، وأتمت النارتية حملها وولدت طفلاً أسموه (اشيميز باشيميقو) وحماية للطفل وحتى لا يعرف العملاق بأنه ابن (ياشيم) فإن نساء نارتيات مختلفات أرضعن الطفل الصغير (اشيميز)، وكان يمارس مع أترابه في السن لعبة (الكعب) وكان يربح باستمرار، وقد غضب الأطفال النارتيون من ذلك وقالوا له: "**إذا كنت حقاً بهذه العظمة والبراعة، أرنا إذن شجاعتك وحاول أن تعرف من الذي قتل أباك؟**".

لقد سمع (أشيميز) هذه الكلمات وبدأ يدرك الأمور، فذهب إلى البيت وقال لأمه بأنه جائع، وأحست الأم بأن هناك شيئاً يضايق ابنها، ولم تكن قد حدثته قبل الآن عن موت أبيه على يد العملاق خوفاً عليه، وعندما أعدت الأم الطعام وأرادت تقديمه لابنها الجالس على المائدة، خاطبها ولدها قائلاً: أماه اجلسي إلى المائدة دعينا نأكل معاً، ثم أمسك بيد أمه وسحبها إليه وغمسها في صحن (المرامسة) ساخنة

وثبتها بقوة حتى اضطرت أمه بسبب الألم إلى اخباره عمن قتل والده، ثم أسرج (اشيميز) جواد أبيه وتمنطق أسلحته وخرج ليأخذ بالثأر، وقد اعترض العملاق وقضى عليه بعد صراع مرير ولكن غضبه لم ينطفئ بذلك، فقد شعر بالكراهية تجاه كل العمالقة وخطط لأن يبيدهم جميعاً، وكما تقول الأسطورة فإنه نفذ ذلك.

ويقول الباحث في أساطير النارتيين (حاداغالة) لم يكن شجاعاً وقاتلاً للعملاق فقط وإنما كان هو مخترع الآلتين الموسيقيتين (الناي والبخجيج)، وخلاصة قصة اختراعه هاتين الآلتين كانت على النحو التالي:- "حدثت مرة أن استلقى (أشيميز) في غابة ليستريح من عناء يوم شاق، وبدأت السماء تمطر وتبرق وترعد، وقد اقتلعت العاصفة شجرة غليظة، وصار احتكاك الريح بالشجرة الواقعة على الأرض يصدر أنغاماً عجيبة، وقد استيقظ (اشيميز) على هذه الأصوات متعجباً وتساءل عن مصدرها وعندما انتبه إلى أنها تاتي من الشجرة أخذ يقترب منها بحذر، ولاحظ أن جذع الشجرة كان أجوفاً بعد أن نخرته الديدان، فقطع جزءاً من الشجرة ونفخ فيه، فصدرت عنها نفس الأنغام التي كان قد سمعها من قبل، وهكذا كان (أشيميز) أول نارتي يتعلم كيف يصنع الناي، وبدأ يعزف على الناي، وفيما بعد جمع بضع صفائح خشبية وربطها إلى بعضها واخترع بذلك البخجيج. *

* يقول (حاداغالة) في موسوعته الجزء -٦، ص: (٩٩-١٠٠) بأن (البخجيج) هي أداة موسيقية شركسية تتألف من صفيحة خشبية مربعة الشكل مدورة الزوايا بحجم راحة اليد مزودة بقبضة للإمساك بها، مضاف إليها صفائح خشبية رقيقة بنفس الشكل والحجم ولكن غير مزودة بقبضات ويصل عدد هذه الصفائح إلى خمسة، وهي مثبتة على القطعة الأصلية من ناحية القبضة بسير جلدي يمر من ثقبين في كل صفيحة وضم الصفائح إلى بعضها بشكل رخو وتستعمل (البخجيج) لتنظيم الإيقاع أثناء الرقص، وذلك بما تصدره من خشخشة أو قعقعة أثناء تحريكها وتعتبر من وجهة النظر التكنيكية كنوع من الأيديوفون.

بعد أن اخترع (أشيميز) الناي والبخجيج تخلى عن القتال، وتفرغ منذ ذلك الحين إلى الموسيقى، وصار يتنقل من مجموعة (زخُس) إلى مجموعة أخرى ويفرح النارتيين بفنه، إلا أنه مات بعد قتال متكافئ مع البطل النارتي (قونيوود)، ولم يتزوج (أشيميز) ولعل السبب المنطقي المحتمل هو ما يتعلق بكونه رضع من كثير من النساء النارتيات مما يحرم عليه بناتهن كزوجات حسب العادات الشركسية.

**ثانياً – عظماء ومشاهير أجداد الأمة الشركسية (قدماء الأديغة) في القرون ما بين الرابع والتاسع الميلادي:-**

ربما كان أفضل من كتب عن عظماء ومشاهير وأبطال الأمة الشركسية للأجداد من شعوب الآنت/ الأديغة ما بعد الميلاد هو الكاتب الكبير (شورا بكمرزا نغموقة) * حيث ذكر لنا أسماء (٢١) بطلاً من الأبطال الذين نالوا شهرة عالمية واسعة وظلت اسماؤهم محفوظة في الروايات والأساطير الشركسية القديمة وهم:

١. اليج Allig
٢. لابزا Labza
٣. جوستين Justin أو جوستوق Justuk
٤. سوسيروق Sosiroki
٥. أُسيرمك Osirmeg
٦. إيريخا شاو Iricha-shao
٧. قانجة Kandje
٨. شاوه Shao
٩. آشه Asha
١٠. آشه مز Ashamas
١١. خيماش Chimash
١٢. باتيراس Batiras
١٣. أولبك Olbek وابنه
١٤. تاتارآش Tatarash
١٥. ناسران ظاقه Nassiran Zaka
١٦. ظندو ظاقة Zendu Zaka
١٧. أيمس Imiss
١٨. أيسم Issim
١٩. مالخ Malch
٢٠. داو Dao
٢١. باقسن Bakssan ابن داو الأكبر

* شورا بكمرزا نغموقة، موجز تاريخ الأديغة (الشركسي) القديم، ترجمة الدكتور شوكت المفتي، عمان، ١٩٥٣م، (ص:٤٦).

يقول (نغموقة) بأن أول ثلاثة أطفال فيستدل من اسمائهم على أنهم من الإغريق وليسوا من الشراكسة إلا أن الآخرين هم من المشاهير والأبطال الشراكسة من القادة العسكريين العظام ورؤساء وزعماء وأمراء نالوا شهرة عظيمة نستدل عليها من الروايات وأغاني البطولة، وأغاني الرثاء التي كان ينظمها الشعراء بعد كل معركة في تلك المرحلة.

وبالبحث في السجل التاريخي لأحداث ووقائع تاريخ الأمة الشركسية في العصور القديمة، لم نجد من المعلومات والبيانات التي تمكننا من توثيق سيرة حياة معظم الأبطال السابق ذكرهم من حيث العصر الذي ولدوا فيه، وطبيعة البطولات التي احرزوها، وكذلك المراكز القيادية التي كانوا يشغلونها في عصرهم.

**إلا أننا وبتحليل الروايات والأساطير وأناشيد الأبطال وأغاني الرثاء التي كانت تنظم في الأبطال العظماء الذين سجلوا بطولات خارقة، وأظهروا شجاعة منقطعة النظير.. توصلنا إلى بعض المعلومات عن الأعمال البطولية لإثني عشر من القادة العظماء الذين كانوا من الرموز والمشاهير في المرحلة الممتدة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن التاسع منه وهم الأمراء:-**

**١. داو – Dao وابنه الأمير باقسان – Bakssan**
**٢. لوريستان أو لاوريستان**
**٣. ألجوقة**
**٤. حاتوظوقة**
**٥. حاشو**
**٦. قبش كوكو**
**٧. موقوج نطنوقو باديو**
**٨. جاتم دوكر**
**٩. العملان شاوباكر**
**١٠. شاميخا**
**١١. حراتلوقة**
**١٢. اسلام بك**
**١٣. ينال الكبير أمير أمراء القيرطاي**

**وفيما يلي نبذة موجزة عن أعمال وإنجازات بعض عظماء ومشاهير أجداد قدماء الشراكسة (الأديغة) في الفترة من القرن الرابع إلى القرن التاسع ما بعد الميلاد:-**

١. **الأمير داو – Dao**، والأمير باقسان ابن الأمير (داو) واشقائه السبعة الذين قتلوا في حربهم ضد قبائل القوت/ القوط حيث أشار المؤرخ القوطي (جورناندي) بأن قبائل القوط سبق لها أن غزت بلاد الشراكسة وبالأخص منطقة قبائل (الأديغة) المجاورة لهم في حوض نهر الدون في منتصف القرن الرابع الميلادي وقتلوا أولاد الأمير (داو – Dao) الثمانية منهم الأخ الأكبر (باقسان) وعبر المقاتلين الشراكسة عن وحشية هذا القتل الجماعي لأولاد (داو) بضربهم على صدورهم حزناً كما قامت نساء مجتمع (الأديغة) بنزع شعورهن من رؤوسهن أسىً، كما وأنشدت شقيقتهم الوحيدة حزناً على أشقائها قائلة:-

- **إن بطولة (باقسان) وهمته أوقدتا نار الحمية في قلوب شعب (الآنت).**
- **يا بطل يا (باقسان) ابن (داو) وإن كانت الروح قد فارقت جسدك لا تدع (القوت) يمسون كرامتك.**
- **وإذا أرادوا اخضاعك، لا ترض بسلطتهم.**

**واستطردت قائلة:-**

- **كان الشعب كله يدعوك بالمقدس الطاهر.**
- **وكان القوم يستمدون منك العزم والاطمئنان.**

وكلفت شقيقتهم النحاتين اليونانيين بعمل نصب تذكاري للأخ الأكبر (باقسان) وما زال قائماً حتى الآن في الوطن الأم في القفقاس.

٢. **الأمير لورستان**، وتتمثل بطولة هذا الأمير الشركسي بمشاركة العشرات من زملائه الأمراء ورفضهم الاستسلام وتقديم الطاعة لقادة الأوار الذين هاجموا بلاد (الأنت) أجداد الشراكسة وتعاملهم مع رُسل قادة (الآوار) بعلياء وكبرياء، وردوا طلبهم بجفاء، وأجابوهم بكلمات جارحة، فألح رسل (الخان) في طلبهم وهددوهم بقوة سيدهم، حتى احتدم الجدال، وقال لهم الأمير: "**سنحاربكم وسنقاتلكم حتى لا يبقى من (الأديغة) شخص واحد قادر على حمل السيف**" **وقاموا بقتل رسل الخان الذين دفعوا حياتهم ثمنا لوقاحتهم.**

وكان من نتائج هذا الموقف الشجاع من الأمير (لوريستان) وزعماء (الأديغة) أن قاد الأوار بقيادة قائدهم (بايقان) هجوم كبير على مناطق القبرطاي، نتج عنه تخريب البلاد واحراق القرى، وإتلاف الزرع، والإمعان في تقتيل السكان وتشريدهم، اضطروا معها الفرار (عُزّلا) إلى الجبال والكهوف والغابات الكثيفة هربا من وحشيتهم وانقاذاً لأنفسهم من الهلاك والفناء وقُتل الأمير (لوريستان) في تلك المعارك.

٣. **أمراء وقادة أبطال شاركوا في حروب الشراكسة ضد جيوش الآوار في القرنين السادس والسابع الميلادي**، نستخلص من قراءة القصائد والأشعار التي نظمها شعراء شراكسة لتمجيد بطولة أمراء وقادة أكثر من عشرة أمراء شراكسة (الآنت) شاركوا في حروبهم ضد جيوش الآوار وهم:-

١. **الأمير (ألجوقة)**، وقال عنه الشعراء بأنه البطل الذي لا يعرف الخوف وما كان ليجزع من هول النيران، بل وثب فيها وثبة الأسود فاختفى.
٢. **الأمير (حاتوظوقوه)**، وقال عنه الشعراء بأنه لم يسبقه أحد في يوم الرهان.

٣. **الأمير (جراتلوقوة – Sheratluko)**، وقالوا عنه أنه القوي الذي هـزم الجمع وانتقم لاخوانه شر انتقام، وبينما وهو يهاجم الأعداء ببسالة كـان يرى روح أبيه محلقة في الفضاء، ليرى الصالحات من أعمال ولده الذي كافح الأعداء بلا معين.
٤. **الأمير (حاشو– hashow)**، الشاب الذي تحفز مرارا ليثب نحو الأعداء ليقاتلهم لو لم يمنعه عن ذلك الشيوخ الذين رق قلبهم على والدته العجوز الأميرة (شاميخا – Shamicha)، التي قبعت في دارها وهـي تـذرف الدمع من هول الأسى والجزع.
٥. **الأمير (قبش كوكو – Kipsh Gugow)**، قالوا عنه أنه كان أنيقاً فـي لباسه وخوذته حتى في الحرب.
٦. **الأمير (اسلام بك – Islam)** ، قالوا عنه بأن أمطر على الأعداء بوابـل من السهام من قوس جده الكريم.
٧. **القائد الشجاع (موقوج يظنوقو بـاديو)** ، قالوا عنه بأنه كان يتخبط بدمه في ظل راية (الخان) إذ رماه سيف العدو وخر صريعا.
٨. **القائد البطل ( جاتم دوكر)**، الذي رده الأعداء رجع ثانيـة إلـى سـاحة الوغى ليخوض المعارك الدامية.
٩. **وكان آخر الأبطال هو (شاو باك العملاق)**، الـذي أراق الـدماء علـى جوانبه وهزم جموع الأعداء شر انهزام.

٢. **الأمير ينال الجد الأكبر لأمراء قبائل القبرطاي**، ظهر الأمير (ينال) الجد الأكبر لأمراء قبائل القبرطاي في القرن التاسع الميلادي وقام بتشكيل حكومة مركزية، كما قام بأعمال عظيمة وجريئة تمهيداً لتوحيد شعب القبرطاي والأبخاز نذكر منها الأعمال التالية:-

١. مطاردة الأشقياء من الأمراء الشراكسة الذين عصوا أوامره وخرجوا عن طاعته، ونشروا الفساد في البلاد، وقاموا بإحداث العديد من أحداث الشغب ونشر الفتن بين عامة الشعب.
٢. صد هجمات الأمراء الشراكسة الخارجين على القانون والهاربين إلى الغابات والمعتصمين بأعالي الجبال الوعرة، حيث قام الأمير بمهاجمة معاقلهم وقضى عليهم وعلى أتباعهم، وألقى القبض على ثلاثين من قادتهم وزعمائهم وأعدم عشرة منهم وأجبر الباقين على أداء يمين الطاعة والولاء.
٣. تأديب السكان الجبليين الجنوبيين الذين أعلنوا العصيان والتمرد على قيادته بزعامة الأمير (أوزدنير) وقتل عدداً من المتمردين العاصين الذين اعتبروا خارجين على القانون.

استطاع الأمير (ينال) بعد القضاء على الفساد والمفسدين في البلاد من توحيد قبائل القبرطاي والأبخاز وتأسيس (دولة) شركسية مزدهرة عمَّ فيها الخير والرخاء، وأقام فيها (٤٠) حاكما من القضاة وكلفهم بإدارة البلاد وتسيير دفة الحكم فيها بعدل واستقامة ونزاهة.

وبعد انجازه هذه الأعمال العظيمة لقب الأمير ينال (بالأمير العظيم) واطلق عليه لقب الأمير (الحكيم) تقديراً لأعماله الجليلة وحمايته للنظام، ونشره للأمن والاستقرار في طول البلاد وعرضها، وفي آخر أيام حكمه كافأه شعبه على جمعه

شمل البلاد وتوحيد كلمتها وقيامه بالأعمال الصالحة بإطلاق لقب (اينال القـديس) عليه.

مات الأمير (ينال) في بلاد الأبخاز موتة الرجل العظيم، بعد أن وحد الـبلاد وعقد صلحاً مع الأبخاز الذين انضموا لحكمه قبل وفاته بوقت قصير، ودفن فيهـا، وقبره موجود حتى اليوم هناك ونقشت عليه عبارة (هذا قبر ينال)، وما زال الشعب يحيي ذكراه ويترحم على أيامه وعهده، ويقولون: "**ليت عهد ينال يعود إلينا يوماً**"، كما يتذكرون قوله المشهور: (لا يمكن لطوابسة) وهي المنطقة الممتدة ما بين البحر الأسود وبحر الخزر (أن يكون فيها غير ملك قفقاسي واحد).

تزوج الأمير (ينال) في حياته ثلاث نساء ورزق منهن خمـسة مـن الأولاد وهم (جانخوت – Janchot) من امرأتـه الأولـى، و(منبـولات – Minbolat) و(بسلان – Besslan) من الثانية، و(أونـارمس – Unarmess) و(قـرغيش – Kirgish) من امرأته الثالثة.

**ثالثاً – عظماء ومشاهير أجداد الأمة الشركسية (الأديغة) في الفترة الممتدة مـن القرن العاشر وحتى القرن الرابع عشر الميلادي:-**

تشير الوقائع والأحداث التي وردت في بعض الوثائق القديمة وفي الروايات والأغاني من التراث الشركسي (الشفوي) بأن هذه المرحلة كانـت مرحلـة الحروب ضد دولة الخزر، والتورقوت، والتتار والمغول، وتوصلنا إلى بعض المعلومات والبيانات عن الإنجازات والأعمال البطولية لعدد مـن الأمـراء والنبلاء والقادة العظام الذين اكتـسبوا شـهرة كبيـرة لأعمـالهم البطوليـة وشجاعتهم الباسلة نذكر منهم الأمراء والقادة التالية أسماؤهم:-

١. قازي ابن بشى باتوقة
٢. جلاخستان
٣. كلمات
٤. بش قادر شادية
٥. ايدار حفيد الأمير ينال الكبير
٦. بش يزروفة بولاتوقة
٧. أجوقة قان شاو
٨. بشى باتوقة
٩. قدير شوقة
١٠. مايسوروقة

**وفيما يلي نبذة مختصرة عن أهم الإنجازات والأعمال البطولية لعدد من عظماء ومشاهير هذه المرحلة من تاريخ الأمة الشركسية (الأديغة):-**

تشير الوقائع التاريخية بأن المعركة الأولى قد بدأت بين الشراكسة وبين جيش دولة الخزر وخرج "بشي بزروقة بولاتوقة" والأمير "الجوقة قان شاو" لصد غارة الخزر على (تاماتركان) وقد سار الأمير (الجوقة) في الطليعة فاصطدم فجأة بجيش العدو الذي أحاط بقوته القليلة، فاشتبك في قتال ضار مع العدو، ووقع أسيراً، وحين أدركت قوة (بزروقة) المعركة أحاطت به قوات (الخزر) وحدثت معركة شديدة، وانسحب الخزر مغلوبين إلى عاصمتهم الصيفية (سرقلة) ومعهم الأمير (الجوقة) أسيراً، ونظم أحد العشائر الشراكسة على أثر أسر الأمير (الجوقة) قصيدة قصيرة نقتبس منها الأبيات التالية:-

**كما من الأيام مضت وعين (الجوقة) اليمنى تحرس البحار.**
**لقد توالت الأيام وهو في انتظار قدوم السفن الجسيمة.**
**ومضت السنون وهو ينتظر قطع الفضة ليبتاع حريته ثانية.**
**لقد أقسموا له بذلك أمام الله، وهذا شيء عظيم.**
**الويل والخراب؟! فانتظر الرحمة اذن من بني قومك في (سرقلة).** *

* سرقلة هي عاصمة دولة الخزر.

**حلفوا لك الإيمان مرارا أمام الله .. وهذا شيء عظيم.**
**ولكن الإيمان ذهبت أدراج الرياح.. و(الجوقة) البطل.**
**يقضي أيام شبابه في ديار الغربة عبداً أسيراً.**

واستطاع قادة الشراكسة من اطلاق سراح الأمير (الجوقة) في المعركة الثانية لهم ضد دولة الخزر واحتلوا عاصمتها.

كما تشير وقائع وأحداث القرن الثالث والرابع عشر بأن حروباً دامية وقعت في هذين القرنين حيث كانت جيوش التورغوت قد بدأت في الاعتداءات وهم أجداد القالمون الحاليون، حيث فاجأت هذه الجيوش القبائل الشركسية التي **كانت بقيادة الأمير (بشى باتوقة) والأمير (قدير شوقة) من القبرطاي**، فأعد لهم الأمراء ذوي الخبرة والحنكة الخطط المناسبة لمواجهة العدو مجهول العدد والعدة، وانتصرت فيها قوات القبرطاي المدعومة من مقاتلين من شراكسة ما وراء الكوبان في معركة في موقع اسمها "قاج طاو" ووردت أسماء عشرات من الأمراء والقادة العسكريين الأبطال الذين قاتلوا بشجاعة في هذه المعركة نذكر منهم بالإضاقة إلى الأميرين (بشى باتوقة وقدير شوقة) فإن كل من الأمراء: (تابسوروقة، قازي بشى باتوقة، وجلاخستان، وكلمات، وبشى قادر شاوقة) وغيرهم من الأمراء كانوا من الأبطال الذين هزموا جيوش المغول والتتار في أكثر من معركة وموقعة حربية.

**وأما الأمير إيدار حفيد (ينال) من زوجته الثانية**، الذي يعتبره المؤرخون عامة، و(نغموقة) خاصة بأنه (خليفة) جده الأكبر (ينال) في حكمته وقوة شخصيته، واستطاع اصلاح ذات البين بين الأمراء احفاد ينال الكبير من زوجاته الثلاثة وفرض عقد الصلح بينهم بعد أن قابل الشر بالشر، والقوة بالقوة، حيث قام بجمع جيش كبير من قبائل (الكاخ والكغالك والبظة دوغ والموخوش) وغيرهم من شعوب ما وراء الكوبان، وسار نحو بلاد القبرطاي لتحقيق هدفين:- أولهما تأديب المتخاصمين، وثانيهما أخذ حصته من إرث أبيه ابن ينال الأكبر.

وقبل وصوله إلى بلاد القبرطاي جاء إليه الأمير (قونوقو – Konuko) أحد أحفاد الأمير (ينال) للتشاور معه.

أما القبارطاي فحينما سمع امراؤهم بما نواه (إيدار) أخذوا يستعدون للحرب وأرسلوا يطلبون المعونة من عدة أقوام في الجبال، وكان اعتمادهم على قوم (الأوس) الذين كانوا حلفاءهم منذ القدم وتربطهم بهم أواصر القرابة إذ المعلوم أن زوجة (ينال) الأولى كانت ابنة ذلك الفارس العظيم والأمير الشهير (آشا) أمير الأباظة، فلم يخيب الأباظا أملهم، بل أرسلوا إليهم جيشاً يبلغ عدده ثلاثة آلاف مقاتل، وأكثرهم من المشاة وعندئذ تشاور الأمير (إيدار) وابن عمه (توختامش) وقرروا أن يرسلا إلى القبارطاي وفداً مؤلفاً من الرجال ذوي المكانة ليبلغ امراءهم مطالب (إيدار) وأن الأمير (ايدار) لا يريد منهم سوى التسامح واصلاح ذات البين حتى يتمكن الاخوة من العيش معا في هدوء وسلام، ومطلبه الوحيد هو تقسيم بلاد القبارطاي تقسيما عادلاً، يضمن حق كل منهم على أن يعطي الأمير (ايدار) أيضا ما يصيبه ويصيب أقاربه من ارث أبيه، ويترك الباقي من تلك البلاد لأحفاد (ينال) الذين هم من أعقاب أولاده من زوجته الأولى إلا أنهم لم يقبلوا اقتراحات الامير (ايدار) بل ردوا رسله على أعقابهم خائبين بعد أن عاملوهم بقسوة وغلظة، فاغتاظ الأمير (ايدار) غيظا شديداً وقرر أن يحتل شعب القبارطاي وبلادهم بالقوة، واشتبك الفريقان في موقع يسمى (قاز بوت) وهلك في هذه الموقعة عدد كبير من الفريقين وقتل من الأمراء كل من (قالستان – Kalstan) و (آيباك – Aibak) و(دوداروقة – Dudaruko) و(توختامش) وابنه (قاليش)، ودخل الأمير (ايدار) بلاد القبرطاي منتصراً وتسلم زمام الحكم فيها، وأصبح الحاكم الأعظم وأمير البلاد في طولها وعرضها، ونستدل على عظمة الأمير (ايدار) وشجاعته من أبيات الشعر التي تصف بطولته من قبل بعض الشعراء القبرطاي، حيث تضمنت الفقرات الشعرية التالية:–

١. ففي الفقرة الأولى قال الشاعر:-

- بالرغم من أن الدماء كانت تغمرها كان الفارسان الشهيران
(يلجر) وربيبه (ايدار) أشدهـــم عنادا،
- وأما (يلجروقة) فتراه تارة يقتحم الصعاب ويتخطى
الأسوار وتارة يرجع خائبا إذا أعاقته الموانع.

٢. وفي الفقرة الثانية وصف الشاعر شجاعة كل من الأمير (إيدار) وعـــدد مـــن الأمراء الذين حاربوا معه بقوله:-

- قاتلا قتالاً مـــرا، ثم مســـحا بلجامها ايديـــهما الملوثة بالدماء
والأخوان البطلان ولَدا (بوغارصوقو) بعد أن قـــــــتالا
- زاعمين أن العدو اللدود قد خضع أبـــديـــا
والشجاع (يلجر) والأمير (ايدار) والأمير الباسل (يلجروقة)
- الذي شكته السهام إلى سرجه، لم يـــغادروا ســـاحة الوغى
وظـــلـــوا مقاتـــليـــن حـــتـــى النهـــايـــــة.

٣. وجاء في الفقرة الثالثة ما نصه:-

- هنا اندلعت ألسنة اللبيب في بلدة(بوغارصوقة)
وهناك تعالى عويل الأهلين الذين فروا من قرى (تشانشان – Chashan)
- وترى على رؤوسهم شارة (الفصح) بدلاً من الخوذ اللامعة
وقد كان كل من الشجعان (يلجر) والأمير الباسل
- (ايدار) والأمير المنصور (يلجروقة) عديم الرحـــــمـــــة
لكن الآن أخذت الشفقة تدب في قلوبهم رويـــــدا

هكذا انتصر الأمير (ايدار) واستطاع فَرض الصلح على احفاد الأمير (ينال) المتحاربين، وحل الوئام محل الخصام بفضل قوته وحنكته، وشجاعته، وعاش شعب القبرطاي بعد ذلك في سلام وأمان.*

وفي مرحلة لاحقة قام الأمير (ايدار) بغزو مملكة الخزر بجيش مكون من جميع قبائل (الأديغة) القائمة على سواحل بحر آزوف (الخزر)، ورجعوا من حملتهم بكثير من الغنائم والأسلاب، وقيل أن جده "يلجروقة – Eldjeruko" أمير قبائل (البظة دوغ) والعملاق المشهور بقوته البدنية (رددیا – Rededia) كانا يرافقانه في أسفاره وغزواته.

وقيل أيضاً عن (رددیا) بأنه كان عملاقا وقويا ولم يتمكن أحد من شعب (الأديكة) من منازلته، وقد خلد اسمه في الأغنية المعروفة التي مطلعها:-

"**رددیا، رددیا أسعد السعداء!.**"

وليومنا هذا يُذكر اسمه في أغاني الأعراس، ومواسم الحصاد، وأوقات جمع الغلة وغيرها من المناسبات والحفلات في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم وفي بعض بلاد المهجر.

* لمزيد من المعلومات عن وقائع وأحداث معركة قازبورت يمكن الرجوع إلى كتاب تاريخ الأديغة (الشركسي) القديم، تأليف شورا بكمرزا نغموقة، ترجمة الدكتور شوكت المفتي ص:(٨١-٨٧).

## رابـــعاً – عظماء ومشاهير أجداد الشراكسة (الأديغة) في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي:-



الأمير تيمروقة إيدار

تشير الوثائق والوقائع التاريخية بأن أكثـــر قـــادة الأمـــة الشركـــسية عامـــة والقبرطاي خاصة الذين يعتبـــرون مـــن عظماء ومشاهير هذه المرحلة هم الأمراء الذين يمكـــن أن نطلـــق علـــيهم (**أمـــراء السلام**) وهم:-

١. إيدار تيمروقة
٢. شلوخ تاوروقة
٣. مدار قايتوقة
٤. البطلة المصارعة لاشينقاي أو لاشين كاي
٥. قازي سيتوقا

حيث توصلنا في بحثنا عن السيرة الذاتية لهؤلاء الأمراء بأنهم كـــانوا قـــادة سلام، وليس قادة حرب، ويسجل لهم التاريخ بأنهم حاولوا كل جهد ممكـــن لإنقـــاذ بلاد القبرطاي من أطماع الروس أولاً، ومن اعتداءات خانات القرم المدعومين من سلطات تركيا العثمانية ثانياً، ومن غيرها مـــن أطمـــاع الـــدول المحيطـــة بـــبلاد القبرطاي، وأن ما وجدته من حقائق حول سعي الأمير (ايدار تيمورقة) لعقد اتفاقية تعاون في عام ١٥٥٦م مع القيصر (إيفان الرهيب) كان هدفـــه الأساسي هو تحييد القياصرة الـــروس أولاً، والبحث عن حماية بلاد القبرطاي من أطماع خانات القرم الذين كانت عيونهم على بلاد الشراكسة عامة وبلاد القبرطاي خاصة، وكذلك كان

الأمراء الذين جاءوا بعد (إيدار تيمروقة) مثل شلوخ، وقازي، ومدار، وخورست وغيرهم من الأمراء على مدى أكثر من مائتي عام قد حاولوا كل جهد ممكن لتوثيق علاقاتهم مع قياصرة الروس، وتقديم الطاعة والولاء لهم، لا خوفاً منهم بقدر ما كان هدفهم حماية وطنهم وشعبهم من الدمار والهلاك، إلا أن الوقائع والحقائق التاريخية تشير بأن جهود (أمراء السلام) من القبرطاي ذهبت أدراج الرياح بعد أن كان قد قرر قياصرة الروس منذ عهد (إيفان الرهيب) ومن بعده بطرس الأكبر إحتلال القفقاس (**أرضاً بلا سكان**).

* **وفيما يلي بعض الحقائق حول محاولات (أمراء السلام) من القبرطاي، لحماية شعب القبرطاي وبلادهم من أطماع الأعداء:-**

١. **الحقيقة الأولى:-**

في النصف الأول من القرن السادس عشر وبالتحديد في عام ١٥٥٦م تحرك شعب القبرطاي للبحث عن حليف لهم لحمايتهم من اطماع (خانات القرم) حيث قرر زعيم منطقة قبرطاي الكبرى (إيدار تيمروقة) تشكيل وفد برئاسة الأمير (قانوقة يقوه) ووجههم إلى موسكو لعرض رغبة الأمير (إيدار) في عقد اتفاقية تعاون مع الروس، حيث وافق القيصر إيفان (الرهيب) على عقد اتفاقية تعاون مشترك مع القبرطاي وفق شروط عدة، ووافق عليها الأمير (إيدار) وكان تبريره لعقد هذه الاتفاقية تتلخص في قوله: "**بلادنا جميلة، وأراضينا خصبة وغنية في ظاهرها وباطنها، وجيراننا أكثر منا عددا وعدة، ويخططون للاستيلاء على أرضنا الحبيبة، مما دفعنا لطلب المعونة من الآخرين، حرصا منا لحماية القفقاس الغالية، حيث أن الشراكسة قد تعلموا بعد تجارب كثير من علاقاتهم مع خانات القرم، أو مع الأتراك ووصلوا إلى قناعة تامة بأن لا أمانة لطامع أو مستعمر، وعلينا طلب حماية الأقوياء وهم الروس حالياً**".

وبالرغم من تشكيك بعض القادة والأمراء القبرطاي عبر المعارضين لهذه الاتفاقية، بأن الوقائع والدلائل تشير بأن الأمير (تيمروقة) كان صادقاً في أهدافه من توقيع هذه الاتفاقية، وأنه ضحى باثنين من أولاده عندما قدمهما كرهائن لدى بلاط القيصر (إيفان الرهيب)، كما ضحى بمستقبل ابنته الجميلة (مارينا) التي وافق على تزويجها (لإيفان الرهيب) وتعميدها تحت اسم الأميرة (ماريا)، ولا شك بأن تقديم مثل هذه التضحيات كانت بهدف إنقاذ شعب القبرطاي بأكمله، إلا أن (إيفان الرهيب) والقياصرة الروس الذين تولوا الحكم في الامبراطورية القيصرية الروسية فيما بعد لم يكونوا صادقين في تعهداتهم، ونقضوا هذه الاتفاقية، ولم يقدموا أي دعم عسكري أو سياسي لشعب القبرطاي، بل أنهم كانوا أول هدف لغزوات جيوش قياصرة الروس في مراحل لاحقة.

وفي عام ١٦١٤م حاول كل من الأمراء القبرطاي (شلوخ، قازي شيتوقا، مودار) التقرب من القيصر الجديد (رومانوف) الذي نودي قيصراً لروسيا، وأدوا يمين الولاء له رغبة منهم في درء بلاد القبرطاي وشعبه من شر أطماع الروس في الاستيلاء على بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة، وحمل وفد رسمي برئاسة الأميرين (قانبولات سونجا و شوجنوقة مرزا) وثيقة الولاء معهم وسلموها للقيصر رومانوف مع تقديم عدد من شراكسة القبرطاي كرهائن.

٢. **الحقيقة الثانية:-**

**ربما كان من أبرز عظماء هذه المرحلة هي بطلة المصارعة (لاشينقاي)، البطلة الأسطورية التي صرعت أقوى مصارعي خانات القرم**

والبطلة من عائلة شركسية عاشت في منطقة القبرطاي في القرن السابع عشر الميلادي، وكانت تتمتع بقوة خارقة، تمكنها من التغلب على أقوى الرجال أكثرهم مهارة في المصارعة، وتقول أكثر من رواية من الروايات التاريخية الشركسية في هذه المرحلة عن قوتها الخارقة، وشهرتها في فن المصارعة

وازدادت أكثر شهرة، واعتبرت بطلة قومية في عصرها بعد أن تمكنت من التغلب على أقوى مصارع في دولة (خانات القرم) واسمه (قيسين) ويمكن تلخيص أحداث هذه الواقعة على النحو التالي:-

عندما اقترب خان التتر – كيتان خان – من بلاد (الأديغة) وانتشر خبر انتصاراته، تنادى السكان الشراكسة إلى حمل السلاح والاستعداد للقتال لصد المعتدين من جيوش (خان التتر) إلا أن قائدهم غير رأيه وأرسل رسلاً إلى أمراء (الأديغة) قائلاً: "**ليس الغرض من قدومي إلى بلادكم محاربتكم والاستيلاء على بلادكم بل الشوق إلى معرفتكم عن قرب ورؤيتكم وجها لوجه، وإني لا أريد أن أكون عدوكم بل صديقكم لما سمعته عن شجاعتكم الفائقة، وقوة جيشكم العظيم، وفروسيتكم المنقطعة النظير، وما تستحقون عليه من المديح والثناء**"، واقترح على أمراء (الأديغة) انتخاب أقوى مصارع لدى الشراكسة في بلاد (الأديغة) لمنازلة أقوى مصارع لدى خان التتر (كيتان خان) كما أرسل مع رسله الشروط التالية:-

"**إذا تغلب بطلنا على بطلكم وجب عليكم أن تعتبروا أنفسكم مغلوبين ولا يحق لكم الامتناع عن دفع الجزية، وإذا كان النصر حليف بطلكم فسنكون نحن المغلوبين، فندفع كل ما يجب علينا دفعه، وسوف نقبل بكل خدمة تُلزموننا بها ونخدمكم كسادة لنا**".

قَبِل أُمراء (الأديغة) بهذه الشروط واختاروا بطلة اسمها (لاشنقاي) لمنازلة بطل التتر، فلما اجتمعت الجموع وازدحمت جماهير النظارة من الفريقين بدأت المصارعة ودامت أكثر من ساعة، ولكن الدائرة دارت على بطل الخان (قيسين) وكان الفوز للبطلة (لاشنقاي)، فاكفهر وجه (الخان) وتغيرت ملامحه، إلا أنه كظم غيظه، واعترف بأنه غُلب على أمره وهنأ (الأديغة) بفوز بطلهم، دون أن يعلم بأنها



صورة تمثل لحظة انتصار المصارعة الشركسية (لاشنيقاي) على قيسين أقوى مصارعي جيش خانات القرم التي جرت في موقع بالقرب من (شكم) في بلاد القبرطاي

امرأة وليس رجلاً، ولما اكتشف سر بطلهم وأنه لم يكن سوى (امرأة) تلبس ملابس الرجال، ازداد حزناً وشعر بالإهانة الكبيرة لبطل أبطال خانات القرم (قيسين).

وطلب أمراء (الأديغة) من (الخان) أن ينتخب من جيشه الذي يعتز به بطلا أخراً إذا أراد أن يختبر قوة رجالهم، فرفض (الخان) واكتفى بما حدث، وقال:- "**إن امرأة عادية تغلبت على أقوى أبطالنا الذي كنا نعتمد عليه، سأوفي بوعدي وأنفذ الشروط التي وضعتها بنفسي قبل البدء بالمصارعة**"، ثم انصرف الخان مع جيشه ورجع إلى بلاده فوراً.

**وتشير الرواية بأن هذه المنازلة جرت في موقع بالقرب من نهر "شكم" والموقع معروف حتى الآن باسم "شاشنسكايا".**

## خامساً – عظماء ومشاهير قادة الشراكسة العسكريين والسياسيين ورجال القضاء في القرن الثامن عشر الميلادي:-

شهد القرن الثامن عشر اعتداءات كثيرة على بلاد الأمة الشركسية عامة وبلاد القبرطاي خاصة من خانات القرم أولاً، ومن جيوش السلطات القيصرية الروسية ثانياً، وتصدى لهذه الاعتداءات أمراء وقادة عظام نذكر منهم كل من:

١. **الأمير أسلان قايتوقة.**
٢. **الأمير كورغوقوة حاتوظوقة.**
٣. **الأمير كاسيا أتاوجوكين.**

**كما ظهر في هذه الفترة قضاة شراكسة كبار نذكر منهم:**

١. **القاضي يوري.**
٢. **الفيلسوف والحكيم قازانوقة جباغي.**
٣. **القاضي أبوق حاجي اسحق.**
٤. **الأمير عادل كراي.**

*** وفيما يلي نبذة عن السيرة الذاتية لقادة وحكماء وقضاة الشراكسة من القــرن الثامن عشر الميلادي:-**

**١. الأمير أسلان قايتوقة:-**

- **نشأته وتربيته:-**

تربى الأمير (أسلان) على يد الأتالق الفيلسوف **(قازانوقة جباغى)** وغرس هذا المربي الحكيم في نفس تلميذه كل المبادئ السامية التي كان يعمل من أجل تحقيقها.

- **حكمه وإنجازاته:-**

كان لا بد للغرس الذي غرسه الحكيم (جباغى) أن يأتي أكلــه، حيــث تــم انتخاب الأمير (اسلان) حاكماً عاماً لمنطقة القبرطاي (قباردا) وكرس وقتــه كلــه خلال الفترة الأولى من حكمه للإصلاحات الداخلية حيث وحّد فــي البدايــة كــل الإمارات والولايات الشركسية والبالغ عددها اثنتي عشرة إمارة، ثم عمل على نشر الأمن والسلام في المناطق المتاخمة لحدود دولته، وفي عهده ازدهــرت التجــارة والزراعة، وانتعشت الصناعات التقليدية مثل: صناعة السجاد والملابس والأســلحة والأثاث وغيرها من الصناعات اليدوية التي كانت تصدر إلــى تركيــا وبريطانيــا وإيطاليا، بالإضافة إلى تصدير كميات كبيرة من الأخشاب والعسل والخيــل إلــى تركيا والقرم.

ونظراً لعدم انضمام الداغستان والشيشان إلى تلك الوحدة شجع الروس للقيام بهجوم على تلك المناطق عام ١٧١١م، إلا أن تلك الحملة لم تنجح، ثم أعادت الكرة عام ١٧٢٢م بهجوم من (البرتسانده) بقوات بحرية عــن طريــق بحــر الخــزر، واستطاعت احتلال تلك المنطقة والاستيلاء على دربند مرة أخرى.

وفي عام ١٧٢٢م، حدثت أول مصادمة كبرى بين القيصر بطـــرس الأكبـــر وبين أمير الشراكسة (اسلان قايتوقة)، حيث شن القياصرة هجوماً بقوات مكونة من (٤٤٢) سفينة تحمل (٢٢) ألف جندي من القوات البرية وخمسة آلاف جندي مـــن القوى البحرية، بالإضافة إلى عشرة آلاف جندي كانوا متمركزين في قلعة كـــزلار وصمد المقاتلون الشراكسة من القبرطاي بقيادة الأمير (أسلان) ولم يتمكن الـــروس من احتلال بلادهم بالرغم من الخسائر الكبيرة التي مُني بها الشراكسة.

٢. **الأمير كورغوقوة حاتوظوقة :-**

كان يدير هذا الأمير بلاد القبرطاي في الفترة التي احتلت فيها خانات القـــرم بلادهم عام ١٧١٧م وفرض على كل بيت شركسي من بيوت (القبرطـــاي) تـــأمين إقامة ومبيت أربعة من رجال خانات القرم مع خيولهم كما أجبروهم على إطعامهم وإيوائهم، كما عينوا في كل بلد إماما (مُولاّ) لكي يعلمهم قواعد الـــدين الإســـلامي، وأخذ معه أعداداً كبيرة من أولاد الأمراء والأشراف وغيرهم من أمراء الشراكـــسة كرهائن وكان من بين هؤلاء الرهائن شقيقة الثائر (مشوقة) المحرض علـــى عـــدم دفع الجزية (للخانات) وحكومتهم.

بقي جيش القرم محتلاً (بلاد القبرطاي) عدة سنوات وكانت الأموال تجبـــى منهم سنوياً، واعتنق بعض الشراكسة الدين الإسلامي، بينما رفض آخرون، (وظلوا يمارسون شعائر دينهم القديم خفية خوفا من اضطهاد الأتراك والتتر لهم)، فـــدامت الأحوال على هذه الوتيرة سنين عديدة.

وفي أحد الأيام وبينما كان (نائب خان القرم) حاكم بلاد القبرطـــاي المحتلـــة جالساً بين الأعشاب والمروج الخضراء (يدخن غليونه) ويتحدث إلى من حوله من أكابر القوم وأمرائه، ومن بينهم الأمير (كورغوقوة حاتوظوقة) نفسه وأتى (نائـــب خان القرم) بأمر منكر، فيه وقاحة ونذالة، حيث أخذ (**ينظف غليونه ويفـــرغ مـــا تبقى به من الرماد على رأس الأمير كورغوقوة بطرقه فوق رأسه**) فاغتاظ الأمير

من هذه الإهانة غيظاً شديداً، لكنه كظم غيظه، واحتفظ بهدوئه التام، ولم يقم بأي رد فعل في حينه، وانصرف بعد أن ودعه، وما أن وصل إلى بيته حتى جمع الأمـــراء الشراكسة وعليه القوم من القبرطاي وقصّ عليهم تصرف نائب(الحـــاكم القرمـــي) وأبلغهم قراره الأخير، وهو ضرورة التخلص منه ومن جيشه في أقـــرب فرصـــة ممكنة مهما كلفهم الأمر ذلك، فوافقوه على رأيه واجمعوا على تنفيذ القـــرار الـــذي لا رجعة عنه.

في الليلة نفسها اتفقوا على قيام كل شخص من سكان القبرطاي حين يخـــيم الظلام أن يقتل كل من يعثر عليه من الأتراك وأهل القرم أينما كان وحيثما وجـــد، وكل من يتخلف عن أداء واجبه الوطني يعتبر خائناً لقومه وملته الشركسية، ولمـــا خيم الظلام قام أهل القبرطاي قومة رجل واحد، وأعملوا السيوف في رقاب الأتراك والتتار، وأبادوهم عن آخرهم حتى لم يبق منهم أحد على قيد الحيـــاة وهكـــذا تـــم الخلاص من استعمار خانات القرم لبلاد القبرطاي.

وفي عام ١٧٢٠م، هاجم خان القرم "سعادة كيري" للانتقام من الأديغة على رأس جيش بلغ عدده أربعين ألف جندي، ومعهم مدافع كثيرة، للانتقام من القبرطاي على قتلهم رجالهم عام ١٧١٧م، إلا أن الأمير "كورغوقوة" بادر بمهاجمة "قـــوات خانات القرم" بناءً على اقتراح من الفيلسوف (جباغي) حيث قام بجمع ما يقرب من ثلاثمائة (حمار) وحملها (قش) يابس، ولما خيم الظلام سار بجيشه وفـــي الطليعـــة قافلة (الحمير)، ولما اقترب من معسكر العدو من خانات القرم اضرموا النيران في ذلك القش واطلقوا عدة طلقات نارية لارهاب (الحميـــر)، فأخـــذت تنهـــق بـــشدة وهاجت، ودخلت معسكر الأعداء وعلى ظهورها النيران المشتعلة، فكانت مفاجـــأة كبيرة لقادة جيش خانات القرم، وخرجوا من خيامهم مذعورين فـــزعين، وأخـــذوا يتراكضون في حلكة الظلام وهم في حالة ذهول وفزع شديدين، مما رأوا وسمعوا، واشتبك بعضهم ببعض في معركة ليلية دون أن يتمكنوا من التفريق بـــين العـــدو

والصديق استمرت حتى الصباح، حيث فاجأهم قادة القبردي بما لـديهم مـن قـوة وأعملوا فيهم السيوف وقتلوا واسروا العديد منهم وغنموا منهم غنائم كثيرة، وأمـا قائدهم البدين (ألغوت باشا – Alegot) فقد سقط أثناء فراراه، وعلق جسمه الكبير بغصن شجرة ضخمة، فاخترق الغصن بطنه، وبقي معلقاً حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

**٣. الأمير كاسيا أتاوجوكين:-**

هو الأمير الوحيد الذي رفض ما جاء في رسالة الامبراطورة كاترينا الثانيـة من وعود للشراكسة عامة ولشعب القبرطاي خاصة وهي الرسـالة التـي وجههـا لأمراء القبرطاي عام ١٧٧١م، وقال هذا الأمير في رفضه لرسـالة الامبراطـورة بقوله: "**سنكون تحت الوصاية الروسية إذن، كما حـصل مـع القـالموق الـذين تشرذموا واضطروا إلى العودة إلى بلادهم بعد أن غدر بهـم أبـاطرة الـروس، وسيلاقي القبرطاي المصير نفسه وسنضطر الالتجاء إلى الجبال**". لقناعته بـأن لا آمان من السلطات الروسية بعد تكرار غدرهم للشراكسة.

لقد كان هذا (الأمير) الحكيم يرى ما يكمن تحت الماء، وكانت بداية النهايـة فعلاً للشراكسة وإن (كاباردیا) كانت التفاحة التي أثارت شهية جيرانها من الـروس الطامعين الأقوياء، وقامت حكومة القيصرة (كاترينا) بتـوطين حـوالي (٤٠٠٠٠) شخص من قبائل النوغواي، في غرب القفقاس في نفس العام الـذي أرسـلت فيـه الرسالة التي اعترض عليها هذا الأمير كما قررت الحكومة الروسية إيلاء أهميـة خاصة لموضوع تقوية ممتلكاتها الجديدة في القفقاس، **وقامت ببناء خط كامل مـن المستعمرات السكانية الروسية ما بين نهر الدون وحتى مزدوك وعلى امتداد أكثر من خمسمائة فرسخ، عُرف (بالخط القفقاسي) وخصصتها لاستيطان بقايا جـيش (قوزاق الفولقا) واستقبل شعب القبرطاي هذه الأنبـاء بابتهـاج، وظنـوا أنهـم سيحصلون على الحماية بوصول (القوزاق)، ولكن سرعان ما تبين العكس، حيث تبين بأن هذه المستعمرات ما هي إلا (حصون) لحماية القوات الروسـية، وإنهـا**

**تشكل عوائق لاستثمارهم لأراضيهم، كما أنّ شعب القبرطاي أصبح معزولاً عن شعوب شراكسة ما وراء الكوبان في شمال الغرب من بلاد القفقاس.**

**٤. الفيلسوف الشركسي والمصلح الاجتماعي الكبير قازانوقة جباغى:-**

- **مولده ونشأته:-**

ولد في قرية "قازانوقى" بالغرب من موقع مدينة نالتشك حالياً، ولم يُعرف تاريخ ميلاده بالتحديد، وإنما عُرف بأنه عاش في الفترة من أواخر القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر وبالتحديد خلال الفترة ما بين (١٦٨٤م – ١٧٥٠م)* وعاصر حكم الأمير (اسلان قايتوقة وحتوقجوقة) وأسند إليه منصب القاضي العام في بلاد القبرطاي.

**وجباغي هو الحكيم والفيلسوف الشركسي الذي عرف بسعة أفقه، وعمق تفكيره، بحيث تمكن من حل معضلات كثيرة، جابهت الحكام عامة والناس خاصة، وتناول مختلف شؤون الحياة، وأمن الوطن القومي، حيث كان يعالج كل ما يستشار به بتأن وروية، ويعمل دون تحيز أو محاباة، فيخرج بأحكامه العادلة التي أرضت الجميع (الرابح منهم والخاسر) محاولاً في ذلك ترسيح المبادئ القومية، وتدعيم روح التسامح، وإحلال الوئام محل الحقد والبغضاء، حيث كان قادراً على الاقناع وعلى نزع فتيل الشر في أحلك الظروف، وإخماد نار الثأر بين العائلات والقبائل، مستثيراً في النفس النزعات القومية، كما كانت نظرته نظرة شمولية للحياة أدت إلى اكتسابه المحبة والتقدير العام، فقربه الأمراء والحكام، وأحبه عامة الشعب، كما نال تقدير كافة شعوب القفقاس من شراكسة وشيشان وانجوش وقراشيه وبلقار.**

* ذكر شفيق اسماعيل في كتابه (أبطال.. مقاتلون.. قادة) فإن تاريخ ميلاد قازانوقة هو عام (١٦٨٢م) وليس عام (١٦٨٤م) حسب ما ذكره الكتّاب الأخرون.

- **أصله وتربيته:-**



الفيلسوف قازانوق جباغي

هو من عائلة من عامة الشعب في بلاد القبرطاي، وأرسله والده إلى بيت أحد قبائل البلقار ليقوم بتربيته وفق نظام "الأتالق" وهو في سن السادسة من عمره، وقام بتربيته على مبادئ الدين الإسلامي، وعلى الأخلاق والآداب، كما تم تدريبه على العادات والتقاليد، وعلى فنون الفروسية، وعاد إلى أهله عند بلوغه سن العاشرة، ووجد والديه متوفيين، وتكفل بتربيته الأمير حامفروقة.

- **آراؤه وأفكاره الفلسفية:-** *

أصبح (جباغى) حكيم الشراكسة ولقب "**بأبي الحكمة الشركسية**" وأصبحت له مكانة مثل (بوذا) بالنسبة للبوذيين، ومثل (كونفوشيوس) بالنسبة للصينيين، ولكنه كان يختلف عن (بوذا) في ناحية هامة، ذلك هو أن بوذا لم يؤمن بوجود (إله) أو آلهة، إنما بشر بشيء أسماه القانون الأخلاقي، أما (جباغي) فقد تحدث عن (الإله الواحد) ودعا قومه لعبادته كما وكان يشبه (كونفوشيوس) في دعوة الناس إلى الأخلاق وإلى وضع قوانين ومفاهيم محددة لها أصول في تعامل الناس وفي السلوك العام، وطور العادات والتقاليد ووضعها في قالب تشبه التشريع.

* مجلة الواحة، عدد (١٥) عام ١٩٧٦م ص: (٢٠-٢٢).

**أمعن (جباغى) النظر في هذه الحياة وتكشفت له أسرارها، وكان لا يرى المظهر فقط وإنما كان يكتشف الجوهر في أي أمر من أمور الحياة، حيث عرف فيما عرف أن الكون قائم على قانون الأضداد**، حيث قال: فآدم عكسه إبليس، والخير نقيضه الشر، والليل يقابله النهار، والقطب الشمالي وموقعه بعكس القطب الجنوبي، والملاك من نور والشيطان من نار، والإنس ظاهر والجن خفي، وكذا البشر يتكون من رجل وامرأة وأبيض وأسود وأدرك أن (الله) فقط هو فوق قانون الأضداد أو تلتقي فيه الأضداد فتمحي صفاتها لتصبح ذات صفة واحدة ووجه واحد فترقد في سلام وهو تفسير لمقولة "أن الله خير مطلق وان الله فوق الأضداد لأنه خالقها".

ربما أن كلمة (ضد) هنا، تلفت النظر وتحتاج إلى تفسير، فقد تحمل معنى التقابل، وقد تحمل معنى العداوة، وقد تحمل معنى التكامل، وأحياناً تحمل معنى اللحاق والمطاردة، فإبليس إلى يوم القيامة حسب وعده سيظل يلاحق آدم وذريته بعدائه وحقده وغوايته، والليل يتلو النهار ويكمله، فماذا لو بقي الليل سرمدا فلا نهار هناك، ولماذا جعل الله النهار معاشا، والليل لباسا؟ والرجل الأسود يشتهي المرأة البيضاء، وكم من امرأة بيضاء وقعت في غرام رجل أسود، أما الخير والشر فشأنهما أعجب وخير وصف قرأته أن للشر جاذبية كجاذبية الأرض، وأن للإنسان الشرير جاذبية كهذه، ولذلك نهوا عن معاشرة رفاق السوء والزواج من امرأة سوء، والشر ظلام وانحدار، وهو على درجات، فلذا هو سهل اقترافه، وكذلك فإن طريق الخير صعب ويحتاج إلى جهد وجهاد ومثابرة، كما يحتاج المرء إلى سنوات ليكتسب صداقة إنسان آخر مع الحرص الشديد على صداقته، وقد لا يصل إلى الهدف، بينما يستطيع بكلمة نابية أو عبارة قاسية أو عمل من أعمال اللهو أن يخسر صداقة عمرها سنوات، وقصة الراهب الذي ذهب ليهدي (غانية الاسكندرية) إلى جادة الفضيلة فأغوته وجرته إلى حمأة الرذيلة وهي قصة معروفة في الأدب

العالمي تحت عنوان (تاييس) كما أن بناء عمارة كبيرة يحتاج إلى جهد ووقت ومال، أما هدم مثل هذه العمارة فيحتاج إلى أصبع ديناميت وشخص واحد.

**انتبه الحكيم الشركسي إلى كل هذا وفوق هذا، فوضع الأقوال وضرب الأمثال وسن أفعال اشياء بقيت على مر الزمن، كما أن أجيال اندرست وعفت وما وضعه (جباغى) من نواميس ظلت خالدة نبراسا وهدىً لقومه كما أدرك (جباغى) أن غاية ما يستطيع الإنسان الحكيم أن يفعله على وجه الأرض هو أن يوفق بين الأضداد في نفسه وأن يدل غيره على دربه فيعيش في سلام ويدرك أخطر سر في الوجود، لذلك لقب (جباغي) بالرجل الحكيم، والفيلسوف النبيل.**

- **مكانة جباغي بين الأمة الشركسية في الوطن الأم في بلاد المهجر:-**

كان الشراكسة على مر الأجيال والحقب يفتخرون بـ (جباغي)، يحفظون أقواله، ويقلدون أفعاله، ويوصي المرء أخاه وصديقه وولده بذلك، وفي قفقاسيا ما زال القوم يولونه أهمية قصوى وتراثه وأدبه وحكمته وشرائعه كلها مسجلة، كما أقاموا له التماثيل تكريما وتخليدا، وسجلوا اقواله على مسلات في الشوارع الرئيسية، أما أبناء المهاجرين الأوائل وأحفادهم فقد ضاع تراث (جباغى) من بين أيديهم ربما لانقراض الجيل السابق، مثل تدوين ما نقلوه معهم من حكم (جباغى) وربما لعدم معرفتهم بالكتابة الشركسية في ذلك الوقت.

ويعود الفضل إلى جباغى في توحيد الأمة الشركسية في أوائل القرن الثامن عشر وتكوين اتحاد يضم (١٢) إمارة شركسية في عهد الأمير (اسلان قايتوقة)، وكذلك يعود إليه الفضل في هزيمة جيش خانات القرم في عهد الأمير حتوقجوقة عندما أشار عليه بخطة إرسال (٣٠٠) حمار محمل بالقش الملتهب إلى معسكر الأعداء، كما يعتبر أبو العادات والتقاليد الشركسية المعاصرة.

- **مقتطفات من حِكم وأقوال وملاحظات وأفكار (جباغي) الفلسلفية:-**

كان (جباغي) ينظر إلى الماء فيرى في الماء سراً من أسرار الكون وكان يقول لمن حوله: إن الله جعل الماء بهذه الليونة؟ لكي يمر من الحلق بسهولة، وليتبخر فيصعد إلى السماء ليكون سحابا ينتقل من مكان إلى مكان ثم يروي الأرض العطشى فتحيا من بعد موات. وأن الماء هو ألطف ما في الوجود، قادر على تفتيت الصخر بالتكرار؟ **أخوتي امعنوا النظر في الماء ولا تكتفوا بشربه بل كونوا مثله.**

**أدرك (جباغي) أيضاً** سر الشمس والقمر ومن هو السالب منها والموجب، وأنهما ليسا بأنثى ولا ذكر، وقد عرف سرهما، ومن عرف السر فقد عرف دربا قصيراً إلى الله تعالى، وأدرك أن إبراهيم عليه السلام قد تخلى عنهما إلى خالقهما لأنهما من الأفلين ولم يتخلَّ عنهما نهائيا بل كان يرى الله تعالى عبرهما. قال (جباغي) فكروا في الشمس والقمر فستعرفون سراً من أسرار الكون.

**اهتم (جباغي)** بجوهر الأشياء وباطنها لا بمظهر الأشياء، ويتضح ذلك من الحوار التالي:- "أمسك جباغي بيد فتى من فتيان القرية وسار به إلى الشاطئ وكانت سفينة ضخمة ترسو فوق ماء البحر وقال للفتى:- ماذا ترى يا بني؟؟ قال الفتى أرى سفينة وكأنها مدينة عائمة، قال جباغي قد رأيت الكل ولم تر الجزء، فمضى الفتى يصف السفينة جزءا جزءا، بدأ بالصارية الرئيسية والصارية الصغيرة الأمامية والخلفية، والحديد والخشب والرجال وهم يعملون إلى أن أتى على وصف السفينة حزءا جزءا وهنا قال جباغى:- أي بني قدر رأيت المظهر ولم تصف لي المخبر والجوهر، وأصيب الفتى بذهول، لم يدر ما يقول، وعندئذ قال جباغي:- **هذه السفينة الضخمة بأجزائها العجيبة المتعددة قامت على سطر واحد من قول حكيم يوناني، يقصد بذلك نظرية أرخميدس** حول (الثقل النوعي) لأي مادة هو وزن أي حجم منه بالنسبة لحجم مماثل من الماء- فقال جباغى للفتى: يا بني لا

تهتم في حياتك بالظاهر فتنسى الباطن، ولا تتعلق بالمظهر وتنسى الجوهر، إذا نظرت في أمر من الأمور ابحث عن العلة والسبب لكي تصل إلى النتيجة فإذا ظللت تسأل عن السبب ستصل حتما إلى سبب الكون، هذا درب من الدروب إلى الله يا بني، فاتعظ.

وربما كان كتاب "**قصص جباغي قزانوقة**" الذي صدر بإشراف معهد الدراسات الإنسانية التابع لحكومة جمهورية كباردينا – بلقاريا ومركز العلوم الأكاديمية والعلوم الروسية في كباردينا – بلقاريا عام ٢٠٠١م، من تأليف وإعداد (ز.م. نالويف) و (أ.م. غوطوف) وتقديم (ز.م. نالويف) خير شاهد على عبقرية (جباغي) وعلى مدى ما يتمتع به من ذكاء، وحكمة، وبُعد نظر، وهو الكتاب الذي تضمن أكثر من (٨٢) حكمة أو مثلاً أو قصة أو نصيحة أو فتوى كما هو مبين في الفهرس التالي للكتاب المذكور:-

١. أصل جباغي وتربيته
٢. جباغي يبني قلعة
٣. من هم أكبر سنا – العجائز أم الأطفال؟
٤. حكم القاضي (واري)
٥. حُكم عشرين بيضة
٦. جباغي يحكم في أمر العنزة وجديين اثنين
٧. جباغي يفضح الزانية
٨. من أفضل الفتيات للزواج؟
٩. جباغي وشبه الملك
١٠. جباغي يتنبأ بحدوث الانزلاق في الجبل
١١. كيف قام جباغي بنشر النبأ الحزين
١٢. عادة المبلغين بأنباء حزينة
١٣. عندما يكثر النسر في الهجوم ينكسر جناحاه
١٤. كيف قتل جباغي ابن حطوخوشوقا
١٥. جباغي يقتل الأمير
١٦. كم يجب أن يبلغ عدد الأبناء؟
١٧. وجدوا جباغي حيث تركوه
١٨. جباغي والولد الملعون
١٩. ثورا جباغي الضخمان
٢٠. لماذا رفض جباغي المشاركة في شلة جيدة

٢١. كيف ذهب جباغي لمباركة صديقه
٢٢. طريقة جباغي في التهنئة
٢٣. لماذا طالت ضيافة جباغي
٢٤. من ينال كأس النبيذ (غوبماخوبجا)؟
٢٥. ما هو الشيء الأخطر من الرصاص؟
٢٦. جباغي يساعد عدوه
٢٧. شعرت في حياتي بالخوف مرة واحدة وبالخجـل مرة
٢٨. دلائل الشيخوخة
٢٩. من الأفضل لكي تربطك به صلة القرابة – الزوج أم الزوجة؟
٣٠. لمذا جباغي لا يؤمن لزوجته لباسا جميلا
٣١. معاملة الزوجة: لماذا جباغي يقدر زوجته.
٣٢. ماذا قال جباغي للرجل الكسول
٢- جباغي يأخذ الحكمة من زوجته.
٣٣. جباغي يصلح خطأ زوجته
٣٤. لماذا يجب التزوج من فتاة
٣٥. لماذا جباغي تزوج من امرأة صلعاء
٣٦. كيف بدأت عادة الطلاق.
١- (إعدام الزوجات الزانيات. ٢- طلاق الزوجات الزانيات).
٣٧. كيف طلق جباغي زوجته الثانية.
٣٨. جباغي يحرر زوجته من الأسر
٣٩. جباغي يتسبب برحيل قريته
٤٠. من يجب أخذ الحذر منه
٤١. من هو أعلى من جباغي
٤٢. كيف لقن جباغي ابنه درسا
٤٣. لمذا انتقل جباغي إلى اسطنبول
٤٤. لماذا قطع جباغي أذنا
٤٥. القانون والحق
٤٦. الحياة الصالحة
٤٧. من الذي يصلح ليصبح صديقا
٤٨. كيف جباغي أكرم (الإنسان) البسيط
٤٩. ما هو الأصل؟
٥٠. جباغي يرفض المنصب

٥١. الفارق بين الكذب والحقيقة
٥٢. أنا أتجنب الأحمق والذكي يتجنبني
٥٣. بماذا رد جباغي على القيصر الروسي
٥٤. لماذا هجر الناس (صاري أصلانبيك)
٥٥. كيف أكل جباغي ضربة على يد الأمير
٥٦. كيف حرر جباغي الولد العبد
٥٧. جباغي ينقذ اللص
٥٨. جباغي يحرم الأمير من الحكم
٥٩. كيف تعرف الشراكسة على البلقار
٦٠. جباغي ينقذ النجل الأخير لعشيرة (أوزاروق)
٦١. كيف أصلح جباغي بين (عشيرتي) حطوخوشوقا وأبزاوون
٦٢. جباغي يحل نزاعا حول قطعة أرض
٦٣. لماذا يعين الأمراء مستشارين لهم
٦٤. تقييم جباغي للظالمين
٦٥. جباغي يقيم جنازة للأحياء
٦٦. كيف خلص جباغي قوم قبردي من ثياب مغزولة في البيت
٦٧. جباغي يقوم بتحرير الأسرى من القرم
٦٨. مكان إقامة جباغي
٦٩. وفاة جباغي
٧٠. حكايات بلا عناوين
٧١. جباغي قزانوقا و (ميت خورما)
٧٢. لماذا ترك جباغي بيت حطوخوشوقا
٧٣. أعقاب جباغي
٧٤. سيف ذو مقبض أبيض
٧٥. من الخطر أن تقلل من قيمة رجل متواضع
٧٦. ومن يعلم!
٧٧. جواب جباغي
٧٨. الكلام الفاحش يحصد أرواحا أكثر من الأمراض
٧٩. لمن يخدم جباغي
٨٠. لا شأن لكم بقوانين (خابزا) الآخرين فعليكم أن تعيشوا بحسب قوانينكم أنتم.
٨١. لماذا جباغي انحنى للنساء
٨٢. الخير يجب ألا يُنسى

٥. **القضاة العظام في القرن الثامن عشر الميلاي:-**

يجد الباحث في تاريخ القضاء الشركسي بأن أشخاصاً وعلماء أجلاء كان لهم شهرة في العدل والاستقامة وحكموا بين الناس بنزاهة واقتدار في القرن الثامن عشر، نذكر منهم القضاة الشراكسة التالية:-

- **القاضي (ورى)**، وهو من القضاة المشهورين بالعدل والنزاهة في حكمهم، وعاش في فترة ظهور القاضي والفيلسوف (قازنوقة جباغي)، وبالرغم من نبوغ القاضي (وري) فإنه أخطأ في أحد أحكامه، وهو الخطأ الذي اكتشفه (جباغي) وهو في السن الخامسة عشرة من عمره، حيث قام بالاستهزاء من حكم (وري) **المتعلق بتحميل مسؤولية حرق (الجدي) ذو الرجل المكسورة لبعض المزارع في بلاد القبرطاي إلى صاحب اليد المكسورة (المجبرة) للجدي، وتبرئة الأخرين، ولما سمع (وري) باستهزاء (جباغي) من حكمه فاستدعاه وسأله عن سبب استهزائه من حكمه وقد دهش القاضي (وري) حينما رفض جباغي إبداء رايه في موضوع حكمه إلا بحضور أعضاء المحكمة وعليه القوم، ونزل القاضي (وري) عند رغبة (جباغي) وجاء القضاة وعلية القوم فقال (جباغي) أمامهم: سادتي القضاة، هل يمكن أن ينسب إلى (ميت) فعل شيء ما، وهل من الممكن أن يرتكب الميت جريمة؟ صحيح أن يد الجدي المشتعلة هي التي سببت الحريق ولكن اليد كانت ميته وملفوفة بالكفن، وأن السبب الأصلي للحريق هو أطراف الجدي الثلاثة الأخرى التي حملت الرجل المكسورة المشتعلة لمكان الحريق، ولو لم تفعل ذلك لما تحركت اليد المحروقة من مكانها ولما حدث الحريق، وعليه فإن مسؤولية ما حدث يتحمله أصحاب الأطراف الأخرى للجدي وليس صاحب اليد المكسورة، وساد الحضور صمت ودهشة، ثم قطع الصمت بأصوات الإعجاب والدهشة التي انطلقت من أفواه الحاضرين مبدين إعجابهم بذكاء**

**الشاب (جباغي)**. وطلب من الحضور أن يقروه على الرأي، فكان مـــا أراد، وهكذا أصبح (جباغي) ملازما للقاضي (وري)، ومرت السنون إلى أن توفى القاضي العجوز (وري)، وفي حفلة تأبينه انتخب (جباغي) خلفاً له، وتوالـــت الاقتراحات من المتكلمين لتكريم شيخهم الراحل وتخليد ذكراه، وكـــان مـــن بين المتكلمين (جباغي) الذي تخللت كلمته بعض أبيـــات الـــشعر، فأعجـــب الحاضرون بها وحفظوها سريعا وعُزفت لحنا يعزف في يوم زفاف العروس إلى يومنا هذا.

- **القاضي آبوق حاجي اسحاق**، وهو القاضي العالم من أصل طبقة (الورق) يعود إليه الفضل في انتشار المحاكم لدى قبائل القبرطاي في عهـــد الأميـــر (عادل كراي) ويعتبر مؤسس المحاكم الشرعية التي انتشرت بين شراكـــسة القبرطاي بعد أن اعتنقوا الدين الإسلامي، وهو القاضي الجـــريء الـــذي رد على تهديد الأمير (كراي) له بقوله: "**وإذا رايت فيك إهمالاً أو تقصيراً فـــي تنفيذ أحكامي التي أستمدها من الشريعة الغراء فإني أنفذ فيك أمر ربـــي**"، وأخرج من تحت الوسادة الجالس عليها مسدساً (طبنجة) وصـــوبها نحـــوه، وهكذا كانت جرأة هذا القاضي مثله مثل القضاة العادلين الذين كانوا يتوعدون الأمراء (بالقتل) إن لم ينفذوا قراراتهم وأحكامهم.

**سادســـاً – العظماء من القيادات السياسية والعسكرية التي وصلت إلينـــا بعـــض المعلومات والبيانات عن أعمالهم البطولية خلال حروب القرن التاســـع عشرة وفي الفترة الممتدة من عام ١٨٠٠م إلى عام ١٨٦٤م:-**

تشير سجلات ووثائق حروب الدمار والإبادة الروسية في السنوات الـــ(٦٥) الأخيرة بأن عشرات من الأمراء والقادة العسكريين الأبطال والسياسيين البـــارزون قد قاموا بأعمال عسكرية وسياسية خارقة، نذكر منهم كل من:- (**أشـــاغواغوة –**

**بشيقوي، الحاج حوزبيك، سلطان كورغوم – غيري، حاج محمد، حاود منـــصور، غيري شاميز، شيروخ دوغوظ، دزادزو علي، دزادزو ناوزوز، بستي بشه ماف، حاتوقوه سيلمان، حاتوقوه كالابات، شارات حاميز، غيرا ندوقوه حاج برزج، حاج دوقوم برزج، حاج فازيك شارلوقا ينال أصلان غيري، إينـــدار نـــواي، وارداز او زيبش)**[*] **كما تشير الوقائع والأحداث التي رافقت حرب الإبادة والدمار الروســـية (١٨٠٠م-١٨٦٤م) بأن عشرات من القادة العظام من الشراكسة سطروا بطولات خارقة في حربهم ضد الجيوش الروسية نذكر منهم:-**

**١. قادة العقد الأول من القرن التاسع عشر:-**

**في عام ١٨٠٤م،** قامت قوات مكونة من سبعة آلاف مقاتل قبرطاي بقيـــادة كل أغنياء القبرطاي وهم "جامبولاط ميسوستة" و"عادل جرى" و"شوماخ كوســـاي" و"دوفتوق أتاجوق ناورز" و"عثمان غيري"، وغيرهم من الأمراء بمقاومة القـــوات الروسية مقاومة كبيرة، إلا أنهم خسروا المعركة وتركوا على أرضها (٤٠٠) قتيلاً من المقاتلين الشراكسة و(٤٠) نبيلاً، واثنين من الأمراء.

**في عام ١٨١٨م،** ثار حكام القبرطاي على الوجود الروسي في بلادهم وعلى ارتكابهم المظالم ضد شعب القبرطاي وأرسل أمراؤهم وفداً إلى بلاط الامبراطـــور اسكندر الأول مؤلف من الأمير **(الحاج بزروقوه، والسيد حامرزا كوشـــوك بيـــك، والسيد شولوخ آخلوا، والأوزدن تيمروقة قازانشف، والسيد كتاغ قـــوده نيتـــو، والسيد ميسوست أنزور)**، للتأكيد على تنفيذ المطالب الـــسابقة لأمـــراء القبرطـــاي والتصديق على الامتيازات التي منحتها إياهم الإمبراطورة (كاترينا الثانيـــة) أبـــان عهدها، فأكرم القيصر (اسكندر) وفادة الوفد ودعا أعضاءه إلى عدة ولائم، حضرها بنفسه لاقتناعه بصداقتهم، ووافق على إرجاع بلادهم الواقعة في مناطق مـــا وراء نهر (المالقا)، وأمر زيادة الاهتمام بكتيبة الفرسان التي تـــشكلت كحـــرس خـــاص للامبراطور، وخصص لنفقاتها مقدارا كافيا من المال.

وفي نفس الفترة قال الرحالة (بل) عن بطولة أحد القادة الشراكسة الأبطال في معركة من المعارك غير المتكافئة عددا وعدة وهو النبيل (آسلان بك) بعد أن فرغت بندقيته صاح ساحباً سيفه: " **يا إلهي أعرف بأنني عاجلاً أم أجلاً سوف أموت، فهبني الآن هذا الموت**"، وهجم على العدو يتبعه أخوه فاستشهدَ دفاعا عن الوطن والشرف، (كما ذكر المؤرخ الشركسي نغموقة) بأن أمير القبرطاي (جميرغوقة) كان من أعظم الأمراء في زمانه، وقاتل في أكثر من معركة وعلى أكثر من جبهة، **ولشدة اعتزازه بنفسه أوصى دفنه ممتطياً صهوة جواده متقلداً كامل ملابسه وعدته الحربية، ونفذت وصيته بعد استشهاده في المعركة.**

**وفي شهر حزيران من عام ١٨٢٨م**، قاتل وحدات من المقاتلين الشراكسة جنباً إلى جنب مع القوات التركية للدفاع عن (أنابه) ضد هجمات القوات الروسية بقيادة الأمراء (بشيقوى، سايتوغ، نودوق، تيمريوق)، وكان أمير الناتخواج "صفر بك" مستشاراً لباشا (أنابه) وبعد سقوط (أنابه) في أيدي الروس في ١٨٢٨/٦/١٢م تراجعت وحدات الشركس إلى مواقعها في منطقة الكوبان.

**ومن القادة الشراكسة الأبطال الذين برزوا في حربهم ضد القوات الروسية في عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر هم:**- الأخوين (علي زازي ومحمد زازي) اللذين قادا جيشاً مؤلفاً من أكثر من عشرة آلاف مقاتل شركسي، حيث استطاعت هذه القوات بقيادة الأخوين (زازي) من احتلال حصن (شه بسون) الواقع على ساحل البحر الأسود وتدميره نهائياً باستخدام تكتيك حربي جديد، وهو التكتيك الذي وصفه أحد شهود العيان الذين اشتركوا بالحملة ورجع منها سالماً، واسمه (يوسف توزى أوقَ) من أهل (نجه بسوخ) بقوله: "تحرك الركب من القاعدة الحربية في (قوبات) القريبة من (شه بسون) بعد الغروب بقيادة الأخوين المذكورين اللذين انتخبهما المجلس الحربي قائدين للحملة، حيث كانت الطليعة يؤلفها أشجع الشبان تحت رئاسة (زاقو) من أسرة (شابته)، ثم قسما المشاركين بالحملة إلى ثمانية فرق،

ولكل منها قائدها، وسرنا حتى اقتربنا من الحصن، وتهيأنا للهجوم بعد أن أقسم كل منا ذلك القسم الشركسي الرهيب الذي ينص (**إما أن نموت أو نرجع منتصرين**)". *

**وفي عام ١٨٣٤م**، قامت القوات الروسية بالإغارة على مدينتي (بيتسوندا وكاغرى) الواقعتين على البحر الأسود واحتلالهما إلا أن قوات الأبخاز بالاشتراك مع القوات التي قدمها زعيم قبيلة الأوبيخ (الحاج برزج) قامت بمحاصرة المدينتين اللتين احتلهما الروس، وبوصول قوات الكرج والقوزاق لمساعدة الروس المحاصرين فيهما أجبرهم بالتخلي عن الحصار.

**في صيف عام ١٨٤١م**، وقعت أربع معارك عنيفة ضد القوات الروسية القيصرية تحت شعار (الحرية أو الموت) وزج الروس في هذه المعارك ما لا يقل عن ١٨٠٠٠ مقاتل روسي وحاولوا التقدم في وادي (بشات) واخترقوا خط الدفاع الشركسي، ورغم ذلك لم يبلغوا هدفهم الحقيقي وهو التوغل برا، في الأراضي الشركسية فارتدوا خائبين، بفضل القيادة الحكيمة التي مكنت المقاتلين الشركس بقيادة (شروخ يقوه وجانبولات حاوقة منصور) وغيرهما من الزعماء الذين صمدوا أمام قوات الروس الكبيرة، واشترك في هذه المعارك الأحداث والفتيان الشراكسة الذين لم يبلغوا السادسة عشرة من أعمارهم، واستشهد البعض منهم وأشارت بعض الوثائق بأن أحد قادة هذه المعارك وهو الزعيم الكبير (حاوقة منصور) الذي كان يتقدم المقاتلين، قائلاً لهم "**طالما سيوفنا بأيدينا، لن نفكر في الاستسلام أبداً..** ".

**وفي عام ١٨٦٠م**، امتدت الحرب إلى بلاد الشابسوغ، وأحدثت رد فعل شديد لديهم، فهبوا جميعاً في الدفاع عن بلادهم وصدوا تقدم العدو بقيادة الزعيم الكبير (علي بي حانتوخو) الذي كان يساعده نخبة من زعماء وفرسان شعب الشابسوغ

* لمزيد من المعلومات حول هؤلاء القادة العظام يتم الرجوع إلى شورا نغموقة في كتابه تاريخ الجركس القديم.

مثل: (حاكتوص وحاج برام وإبراهيم ناتخو، وأرسلان بـــي، وحـــاكو، وشـــرتلي وغيرهم)، وتمكن هذا الزعيم من إحباط تقدم العدو ومنعه من إكمال بناء الحصون، كما تمكن من قطع المواصلات بين المعسكرات الثلاثة للروس، وكذلك فإن (الحاج اسماعيل باشا) لم يتوان عن العمل في سبيل مضايقة العـــدو، وعرقلـــة مـــساعيه وتحريض الشعب الشركسي على الكفاح، واستنهاض همته لمواصلة الحرب، وكان يساعده في أعماله (قره باتير ابن صفر باشا) وقد أراد بعد موت أبيه أن يقوم مقامه ويخدم أمته، ولأنه كان قد اعتدى على الروس مراراً فيما سبق، لذلك سلك مـــسلكاً معادياً لهم.

وكذلك الزعيم (تو) أفندي، أحد زعماء الشابسوغ، والـــذي كـــان مـــن ذوي المكانة والنفوذ الواسع في البلاد الواقعة على البحر الأسود، حيث قـــام بالمـــساهمة بألفي محارب، لمساعدة المحاربين المـــدافعين عـــن الـــسهول الأماميـــة المهـــددة بالاجتياح، وكان هذا الزعيم من ألد أعداء الروس، حيث سبق له أن وقع في أسرهم وهو عائد من اسطنبول على ظهر سفينة تركية، فأساءوا معاملته حتى تمكـــن مـــن النجاة بعد أن افتدى نفسه بالمال.

**وكان أصغر قائد لمع اسمه وأصبح يشار إليه بالبنان في حـــروب القـــرن التاسع عشر هو أمير (البظة – دوغ) الفتى بشي قوي الذي لم يبلـــغ الخامـــسة عشر من عمره،** والذي توغل بين صفوف الأعداء وأسقط قائدهم الجنـــرال (زاس) عن ظهر حصانه الذي أخذه غنيمة لنفسه، علماً بأن هذا القائد كما سبق ذكره كـــان من أكثر الروس العسكريين وحشية وهو الذي كان يلقبه الشراكـــسة (بـــشحاغوانه) ومعناه (ذو الرأس المثقوب).

**سابعاً: يتضح مما تقدم بأن النصف الأول من القرن التاسع عـــشر الممتـــد مـــن (١٨٠٠م-١٨٦٤م) كان عصر الأبطال والبطولات الشركسية، وأن المئـــات من الأمراء والقادة العسكريين استبسلوا في قتالهم ضد القـــوات الروســـية**

**القيصرية البربرية، وكبدوا الأعداء مئات الآلاف من القتلى والجرحى، إلا أنه لم يتم توثيق أعمالهم البطولية لعدم وجود وقت للمثقفين الشراكسة من توثيق وقائع وأحداث المعارك بسبب انشغالهم في الحروب المستمرة أولاً، وكذلك تعمد الكتّاب والمؤرخين المأجورين من قِبل سلطات روسيا القيصرية طمس الحقائق واخفائها والتعتيم عليهم في وثائقهم وتقاريرهم الرسمية ثانياً.**

*** وفيما يلي نبذة عن أعمال وإنجازات للقادة العظام الذين تمكنا من الحصول على معلومات وبيانات موثقة عن سيرتهم الذاتية وهم:-**

**١. الزعيم الشعبي والقائد العسكري الشهيد أرسلان بسلانوقة:-**

- **مولده ونشأته العسكرية:-**

ولد في منطقة الأبزاخ في منطقة ما وراء الكوبان الشركسية أواخر القرن الثامن عشر ونشأ نشأة عسكرية بحكم تعرض بلاده للغزو الروسي القيصري عامة وقوات الجنرال الروسي الشرير (زاس) خاصة.

- **أعماله وإنجازاته البطولية في ميادين القتال:-**

تشير الوثائق بان اعمال (بسلانوقة) تميزت بالجرأة والشجاعة كما تميز أسلوبه في القتال المتمثل في سرعة الحركة ودقة التصويب، كما تميزت قيادته العسكرية بالحنكة والبراعة حتى لُقب بـ(قاهر جنرالات العدو الروسي) لإلحاقه الهزيمة حتى وأكثر من الجنرال الروسي وعلى رأسهم الجنرال الشرير (زاس – Zass) الملقب (بالمجنون) لارتكابه أعمالاً وحشية وإصداره أوامر لقادة (القوزاق) بقطع رأس كل قتيل من الشراكسة، وإرسالها إلى أكاديمية العلوم في (برلين) لدراستها. كما لقبه الشراكسة بالجنرال (شحاغوانة) أي ذو الرأس المثقوب، ومن أكثر جرائمه وحشية هو إخراج جثة الزعيم الشركسي (بسلانوقة)

من القبر والتمثيل بها، انتقاما من هذا الزعيم الشركسي الذي هزمه مراراً في المعارك التي تقابلا فيها خلال حروب الإبادة والدمار في بلاد الشراكسة، ووصف أحد الكتّاب هذه الواقعة بقوله:- "عند احتلال الجنرال الروسي السفاح (زاس) للموقع الذي دُفن فيه الشهيد البطل (بسلانوقة) أمر جنوده بإخراج جثته الطاهرة من القبر، ونفّس عن حقده وغضبه وغيظه من الإنتصارات السابقة لهذا البطل المجاهد الشهيد على قواته المحتلّة المستعمِرة الغاشمة، بتشويه جثّته الطاهرة وتقطيعها إربا إربا بوحشيّة لا نظير لها".*

ويقول المؤرخون بأن (بسلانوقة) كان يستخدم تكتيك المباغتة في هجماته على القوات الروسية القيصرية المعتدية، حيث كان ينفذ هجمات على شكل غارات سريعة وخاطفة لايقاع أكبر خسائر ممكنة في الأرواح والعتاد، ثم ينسحب قبل أن تدركه قوات العدو.

**٢. المجاهد الكبير الحاج قازبك (قيزيل) شارالوقا (الملقب بأسد شركسيا)**

- **مولده وصفاته العسكرية:-**

- ولد عام ١٧٩٥م، وتدرب على فنون القتال على أيدي قادة من قبيلة الشابسوغ.
- لمع اسمه كمقاتل شركسي في إحدى المعارك عام ١٨٢٠م وكان عمره (آن ذاك) الخامسة والعشرين فقط.
- وصفه المؤرخون بأنه كان قائداً شجاعاً يتمتع بقوة جسدية ومهارة قتالية كبيرة، وأنه كان يمتاز بخفة الحركة وسرعة الإغارة مثله مثل المجاهد الداغستاني الحاج (مراد).
- يتمتع بشخصية قوية ولديه قدرة خطابية كبيرة للتأثير في الآخرين، وكان على مقدرة لجمع آلاف المقاتلين وتجنيدهم للقتال ضد الأعداء في أية لحظة.

* فيصل حبطوش أبزاخ، اعلام الشراكسة، مصدر سابق، ص:٨.

- **أعماله وإنجازاته وبطولاته:-**

أصبح قائداً فذاً يشار إليه بالبنان بعد انتصاره على قوات الروسية تعدادها ١٤,٠٠٠ ألف جندي في معركة (آبين) بينما كان عدد القوات الشراكسة التي يقودها البطل المجاهد (قيزيل بك) ١٧٠٠ فارس فقط واستطاع قتل ٦٠٠٠ جندي روسي ومنع التقدم الروسي لبلاد الشراكسة في الجزء الشمالي الغربي من القفقاس.

وفي عام ١٨٣٧م، قاد (قيزيل بك) قوة من المقاتلين الشراكسة البالغ عددها حوالي ١٥٠٠ مقاتل وتصدى لهجوم كبير نفذه جيش روسي مكون من ستة آلاف جندي عند نهر (طوابسة)، وهزمهم بعد أن قتل عدداً كبيراً منهم، ولاذ الأحياء منهم بالفرار، وغنم أسلحة وعتاداً منها مدافع عديدة.

**انضم المجاهد الكبير البطل (قيزيل بك) عام ١٨٤٠م،** إلى جيوش المقاتلين الشراكسة في الغرب بقيادة كل من الأمراء والقادة (حاوتوقة منصور، وشروخ يقوه تغوج وغيرهما)، واحتلوا يوم ١٢شباط ١٨٤٠م قلعة (روسية) وحصن طوابسة وقتلوا المئات منهم وأسروا ٥٠٠ جندي روسي، واستشهد المجاهد الحاج (قيزيل بك) يوم ٢٩ شباط من عام ١٨٤٠م، متأثراً بجراحه في المعارك الأخيرة وهو في الخامسة والأربعين من عمره.

وهكذا أفل نجم عظيم من عظماء الأمة الشركسية بعد أن قاد عشرات المعارك ضد جيوش روسيا القيصرية على مدى عشرين عاماً ولقب بـ**(أسد شركسيا)**.

**٣. الزعيم المجاهد شروخ يقوه تغوج:-**

- **مولده ونشأته العسكرية:-**

وُلد أواخر القرن الثامن عشر في قرية بمنطقة قبائل الناتخواج في الكوبان شمال غربي القفقاس وتدرب على فنون القتال منذ الصغر بحكم اندلاع حرب الإبادة والدمار الروسية في القفقاس عامة وفي بلاد الأمة الشركسية خاصة.

- **إنجازاته وأعماله البطولية العسكرية:-**

بدأ أعماله القتالية عندما قاد مجموعة من المقاتلين الشراكسة في شن هجوم خاطف بمساعدة القائد الشركسي (جانبولات) على قوة روسية مؤلفة من ٥٠٠ جندي روسي واستطاعوا إبادة القوة والعودة إلى قواعدهم بأقل الخسائر في الأرواح والعتاد.

**وفي شباط عام ١٨٤٠م**، شارك الأمير (شروخ) كلاً من القادة الشراكسة الحاج قازبيك الملقب بـ(أسد شركسيا) وحاوتوقة منصور في مهاجمة القلاع الروسية على البحر الأسود واحتلال قلعة (واية) وحصن (طوابسة) ثم قلعة (شابيس) واستطاعوا أسر ٥٠٠ جندي روسي وقتل المئات منهم وغنموا الكثير من المعدات المتطورة وغنموا ٢٠٠ مدفع روسي وبلغت خسائر الشراكسة (٣٥٠) شهيداً نتيجة انفجار مستودع البارود في حصن (طوابسة).

وفي نفس الفترة تمكن بقيادة الزعيم الأمير (شروخ) وبمساعد كل من الأميرين (جانبولات وحاتوقة) من إيقاف جيش روسي مؤلف من (١٨) ألف جندي خرجوا من القاعدة الحربية المعروفة باسم (بشات) في محاولة لهم للتوغل في أراضي شراكسة الكوبان والاستيلاء على مواقع استراتيجية فيها، إلا أنها توقفت عند وادي (بشات) ولم يتمكنوا من اختراق خط الدفاع الشركسي بفضل القيادة الجماعية التي كان يترأسها الأمير المجاهد الكبير (شروخ).

**٤. القائد البطل أشا غواغوة:-** *

عُرف أشا غواغوة (بشيقوي) في انتصاراته على القوات الروسية أثناء حروب الإبادة والدمار في القفقاس في كل أنحاء شركسيا، وكان من أشهر القادة العسكريين الشراكسة، في عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر وهزم قوات الجنرال (ويليا مينوف) عدة مرات.

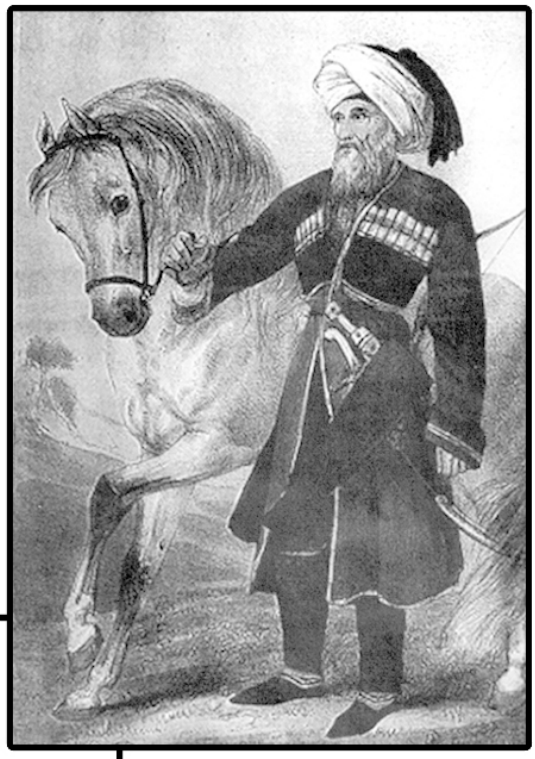
- **أشا غواغوة الخطيب:-**

كان (أشا) محط أنظار الناس في المؤتمرات لأنه بجانب مهارته الحربية كان متكلماً وخطيباً، وإنه ولد ليقود الشعب.

وكان النظام المتاح عند الشراكسه هو أن يتم تعيين القائد العسكري لكل منطقة في الاجتماعات العامة لنواب الشعب، وكان يوضع بأمرة كل قائد عسكري وحدة عسكرية ثابتة من (١٠٠) فارس، في حالة وقوع الأعمال القتالية كان يتم تقديم أعداد محددة من القوات حسب طلبات القائد العام، وكان لدى بعض القادة قوة دائمة تصل عدة مئات وأحياناً عدة آلاف، فمثلاً كان لدى الأمير الشركسي (أشا غواغوة) قوة ثابتة مؤلفة من ٦٠٠٠ فارس، وفي أوقات الحرب كانت هذه القوى تصل إلى ١٢٠٠٠ مقاتل.

وفي منتصف شهر أيار من عام ١٨٣٨م سقط (أشاغواغوة) في ساحة القتال، ونظم الشعب أغنية لتمجيد أعماله البطولية.

* شفيق اسماعيل، مصدر سابق ص:(٢٢-٢٣).



المجاهد الكبير الحاج قازيك
(قيزل) شارالوقا



الزعيم المجاهد شروخ بقوه تغوج

٥. **المجاهد الأمير الحاج برزج جراندوقة:-**

- **نشأته العسكرية:-**
  - من مواليد منطقة الأوبيخ في منطقة ما وراء الكوبان.
  - تدرب على فنون القتال على يد عمه قائد قوات الأوبيخ لفترة طويلة، واسمه (برزج أداغوة)
- **مناصبه القيادية والعسكرية:-**
  - تولى قيادة جيوش الأوبيخ بعد استشهاد عمه (برزج أداغوة).
  - انتخب لقيادة الجيوش المشتركة بين شراكسة الكوبان المؤلفة من الأوبيخ، والأبزاخ، والشابسوغ، والحاتقواي، والأبخاز.
- **إنجازاته وبطولاته العسكرية:-**

- احتل عام ١٨٤٠م، الحصون الروسية على البحر الأسود كقلعة (وايه) وحصن طوابسة وقلعة شابس وقلعة أبيس، كما احتل قلعة ويليا مينوف وغولوفينسكوية بعد طرد الروس منها ولم يغادرها إلا بعد أن هاجمته قوة تتكون من ٨٠,٠٠٠ مقاتل روسي وقوزاقي.
- شاركت الجيوش الشركسية بقيادته في غرب القفقاس في الفترة (١٨٤١م-١٨٤٦م)، حوالي (٨٨) معركة ضارية ضد القوات الروسية القيصرية.
- قاتل الأمير (برزج) القوات الروسية حتى عام ١٨٦٣م، ولم يتوقف عن القتال إلا بعد انهيار المقاومة الشركسية وإعلان انتهاء الحروب الروسية الشركسية يوم ٢١ أيار ١٨٦٤م.
- هاجر الأمير برزج ضمن المُهجرين الشراكسة إلى تركيا، ومُنح هناك لقب الباشوية تقديراً لجهاده وأعماله البطولية ما يزيد عن عشرين عاماً.

- تطوع بالجيش الشركسي/ التركي الذي دخل بلاد القفقاس قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م بقيادة الرواد الشراكسة (عمر حكمت باشا، وعزت مت جونا توقة، واسماعيل برقوق)، إلا أن الحملة توقفت بسبب انتهاء الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها الأتراك.
- الأمير برزخ، شاعر موهوب وألف أشهر القصائد الشركسية (الغبزة) عن مأساة التهجير الشركسية والمُسماة "**مبكاة التهجير**" وهي قصيدة يرددها الشراكسة في الوطن الأم وبلاد المهجر عامة في يوم الحداد القومي الشركسي الذي يصادف ٢١ أيار من كل عام.



الحاج برزج جرندوقة

توفي الحاج (برزج) في تركيا عن عمر يناهز ١١٠ سنوات قضاها مجاهداً ومناضلاً في سبيل الله والوطن الأم.

### ٦. الأديب والسياسي غازي غيري (١٨٠٨-١٨٦٣) وهو رائد كتاب القصص الشركسية الطويلة:-

يمثل (غازي غيري) مكانة هامة في تاريخ تطور الأدب الشركسي، وقد كان من أوائل من كتب عن حياة الشركس بالإضافة إلى كونه رجل سياسي بارع.

ولد (غازي غيري) عام ١٨٠٨م في منطقة "كوبان" كما ذكر في كتابه "سهول أجيتوغاي"، فقد كاتبنا والده باكراً وكان الابن الوحيد لأمه، التحق بالجيش عام ١٨٢٦م برتبة جندي وبعد ذلك رفع إلى رتبة ضابط ونقل إلى بيتروغراد

"لينغراد"، وقد استغل (غازي غيري) وجوده في العاصمة فقام بتعليم وتثقيف نفسه عن طريق إتصاله بكتاب روس مشهورين، وقد لعب الكاتب الروسي "مورافيف" دوراً كبيراً في حياته الأدبية، وتعرف عن طريقه بشاعر عصره (بوشكين)، وقد نشر له بوشكين باكورة إنتاجه في عام ١٨٣٦م في جريدة "المعاصر"، وفي عام ١٨٤٠م ينقل إلى القفقاس برتبة رائد ويتنقل في عدة أماكن حتى عام ١٨٥٩م حيث يستقر، وبرتبة لواء يرأس "فرقة القفقاس" وقد توفي في عام ١٨٣٦م.

لقد كرس غازي غيري حياته في القفقاس لدراسة التاريخ الشركسي بكل تفاصيله بالإضافة لمساعدة أبناء وطنه في الدراسة، ومتابعة أمورهم الدراسية في مدينة "ستافروبول".

بشهادة معاصرية كان (غازي غيري) يملك مكتبة عظيمة تحتوي على مؤلفات نادرة ومن هذه المؤلفات "الزمن قبل ظهور الروس، وخاصة القوزاق في المناطق الشركسية"، اهتم غازي غيري بالأدب إضافة إلى السياسة، وقد ظهرت موهبته الفذة وثقافته في كتابه الأول "سهول أجيتوغاي" وقد ضمّنه حبه الشديد لأبناء موطنه الجميل، وقد قام الشاعر بوشكين بنشرها في العدد الأول من مجلة المعاصر، لقد استحوذت هذه القصة اهتمام النقاد والكتاب وكان من بينهم الناقد والكاتب الروسي الشهير "بلينسكي" الذي أشاد بكتابة (غازي) وقال عنه "بأنه متمكن من اللغة الروسية أكثر من بعض الأدباء الروس المشهورين".

قام بوشكين بنشر قصة (غازي غيري) دون أخذ تصريح من الرئيس المباشر له مما سبب غضبه فأرسل بكتاب تهديد إلى بوشكين بعدم نشر أي قصة لضباطه بدون علمه، ومع ذلك قام بوشكين بنشر قصة غازي غيري الثانية "نكتة فارسية" في العدد الثاني من جريدة "المعاصر".

إن كتابات غازي غيري قد ساعدت في رفع مستوى الأدب الشركسي، وقد احتلت مكانة خاصة في الأدب الشركسي فيما قبل الثورة البلشفية؟ في قصته "سهول

أجيتوغاي" التي تتحدث عن ضابط جبلي يعود إلى موطنه بعد غيبة طويلة قضاها في الخدمة العسكرية، ومحور القصة يدور حول أحاسيس وشعور ذلك الضابط حين يقوم بزيارة المناطق العزيزة عليه منذ الطفولة، ويصف الكاتب بأسلوب جميل رائع جمال الطبيعة الخلاب، كما يصف الحياة الجبلية التي يعيشها مواطنوه، **ومن خلال وصفه لمدى حبه لوطنه يظهر لنا مدى خوفه على مصير وطنه الغارق في الحروب، كما يتناول المشاكل الاجتماعية الناجمة عن التطورات الاجتماعية وخوفه من المستقبل، ولكنه كمثقف يرى أن خلاص شعبه من مشاكله يتم عن طريق تثقيفه وتعليمه.***

**٧. الشاعر الشركسي الثائر باش بكمرزة (صاحب المواقف الجريئة في مقاومة تهجير الأمة الشركسية):-**

**مولده ونشأته:-**

ولد عام ١٨٤٥م في قرية (قلشبي حابله) في شمال القفقاس، واهتم منذ صغره بتاريخ الشراكسة وعاداتهم وقصصهم وأساطيرهم القديمة.



الشاعر الكبير باش بكمرزة

* ترجمة الدكتورة بلانش فاخر عن مجلة روسية.
مجلة الواحة الشركسية/ عمان – الدكتور بلانش فاخر، العدد (٤٣).

- **مواقفه البطولية من الهجرة ودعوته للشراكسة المهاجيرن للعودة إلى الوطن:-**

**هاجر إلى تركيا ضمن الأفواج التي هاجرت عام ١٨٨١م**، وبعد أن أدرك حجم المآسي والمصاعب والمخاطر التي واجهت الشراكسة في هجرتهم إلى تركيا بدأ بجمع عشرات الرسائل من الشراكسة المهاجيرن، يصفون فيها مآسي التهجير والجوع والمرض والإذلال والأخطار الكبيرة التي تعرضوا لها (أثناء هجرتهم وبعدها)، وحمل هذه الرسائل إلى أهلهم

الذين ظلّوا متمسكين بأرض وطنهم، وبدأ يقرأها عليهم مع إلقاء بعض أشعاره الوطنية الشعبية في لقاءاته داعياً إياهم للتشبث بتراب الوطن، وعدم مغادرته إلى بلاد الشتات في الغربة.

**وفي عام ١٩٠١م**، زار المهاجرين الشراكسة في تركيا مرة ثانية، حاملاً معه رسائل من أهلهم المرابطين على تراب الوطن يدعوهم فيها للإسراع في العودة إلى الوطن الأم.

**وفي عام ١٩٠٥م**، انضم إلى حركة ثورية تحررية كانت تطالب الروس القياصرة المحتلين بتوزيع أراضي الاقطاعيين على صغار المزارعين في المناطق التي حُددت لسكن الشراكسة الذين نجوا من التهجير، كما تمكن بجهوده الشخصية المتواصلة أن يثني أعداداً كبيرة من العائلات الشركسية التي كانت تنوي اللحاق بأقرانهم وأهلهم الذين هاجروا إلى خارج البلاد وظلوا متمسكين بأرض الأجداد بالرغم من الحياة الصعبة التي كانوا يعيشونها بين القوزاق المتوحشين.

- **أعماله الشعرية:-**

تميزت أشعار (بكمرزة) بالنبرة الوطنية العاطفية تحمل طابعاً فلسفياً، وصدر له ديوان تضمن عدداً كبيراً من أشعاره باللغة الشركسية، وفي المراحل الأخيرة من

حياته اتجه لنظم أشعار لاذعة تحمل طابع السخرية، ونشرت جميعها بعد وفاته عام ١٩٣٦م في مسقط رأسه في شمال القفقاس.

**٨. شورا بكمرزا نغموقة (رائد الكتّاب الشراكسة والمؤرخ الأول للأمة الشركسية):-** *

الكاتب (نغموقة) ويعرف باسم (نجوما شورا) ويعتبر من أوائل كتاب الشراكسة ومؤرخيهم، ساهم مساهمة فعالة في إحياء تاريخ وأدب ولغة الشراكسة، وأعماله في هذه المجالات لا تقدر بثمن.

ولد مؤرخ الشراكسة الأول (نجوما شورا) عام ١٧٩٤م * لعائلة متوسطة الحال، كانت فيما مضى من طبقة النبلاء، تسكن في قرية على ضفة نهر (جستو) بالقرب من مدينة (قارمحبلا) في جمهورية كباردينو بلقاريا الحالية، ويعتقد أن هذه المدينة قد هاجر سكانها في النصف الأول من القرن التاسع عشر، (ونجوما شورا) من أبناء إحدى القبائل الشركسية التي هاجرت إلى بلاد القبردي من مناطق مجاورة لمقاطعات الأبزاخ، وأنهى دراسته الإسلامية عام ١٨١٧م في مدينة (أندبري) في الداغستان، وأصبح ملماً بأمور الدين الإسلامي، فعمل بعد تخرجه ولمدة سنة واحدة في مجال تدريس الدين الإسلامي، وفي عام ١٨١٨م انخرط في سلك الجيش الروسي القيصري العامل في شمال القفقاس في حوض نهر الفولجا، فعمل في قسم القلم ضمن فرقة القوزاق، ثم أصبح خازنا للأسلحة في بعض المناطق، ثم فارساً في فرق الفرسان، ثم مدرساً للغة الروسية والتركية في مدرسة الرهائن في مدينة نالتشك، وأخيراً سكرتيراً لهيئة المحكمة في نالتشك.

---

* عصام باكير، من نجوم الأدب الشركسي"نجوما شورا" مجلة نارت/عمان العدد(٥٤) ١٩٩٤م، ص: (٢-٣).

* ورد في بعض المصادر الشركسية بأنه ولد عام ١٨٠١م.

عاصر (شورا) عدداً من كتاب وشعراء روسيا اللامعين، منهم الشاعر أ.س بوشكين، م. ويولير مونتوف، والعلامة أ.م شيفرين، وقد قال عنه المؤرخ الروسي س.د نيتشاييف (أن المؤرخ والأديب الشركسي نجوما شورا يجيد اللغات الروسية والتركية والعربية ولغة الأبزاخ ويلم ببعض لغات الأقوام التي تسكن القفقاس، هذا بالإضافة إلى لغته الأصلية).

وفي كانون الأول عام ١٨٣٢م رقي (شورا) إلى رتبة ملازم في الجيش الروسي، وتهيأ له الجو للكتابة والبحث والتنقيب خاصة في قواعد وأصول اللغة الشركسية، وفي عام ١٨٣٥م ذهب ضمن فرقة الفرسان إلى تفليس في جورجيا، وخدم فيها حتى عام ١٨٣٧م حيث اعتزل الجيش وعاد إلى مسقط رأسه، وتفرغ لنشر الثقافة والعلم والمعرفة بين قومه، وانكب على دراسة تاريخ الشراكسة وأدبهم الشعبي، حيث جمع الكثير الكثير منه وقام بتحليله ودراسته، مما ساعده في إبداعه بأعماله الأدبية والتاريخية وفي دراسة اللغة وأصولها، وكان يقول دوماً: (سأصل إلى هدفي، وهو ان أُدرس قومي لغتهم واللغة الروسية، وأن أجعل الروس وشعوب أوروبا يهتمون باللغة الشركسية وبثقافة وتاريخ الشراكسة، حيث لدينا الكثير مما يجب أن يعرفه الباحثون والشعوب الأخرى) وكان هذا ما سعى إليه (شوار) بكل طاقاته وامكانياته واستطاع أن يحقق بعضها.

عمل (شورا) سكرتيراً في محكمة نالتشك في الأعوام ١٨٣٨/١٨٤٢ وفي هذه السنين أعاد النظر في كتاباته حول قواعد اللغة وأصولها، وفي الأدب الشعبي والتاريخ، حيث انتهى عام ١٨٤٠م من وضع مؤلفه الأول الذي أسماه (مبادئ وأصول قواعد اللغة الشركسية) وأرسله إلى الأكاديمية الروسية لإبداء الرأي فيه ومناقشته، فدرسه العلامة أ.م شيفرين، وأبدى عليه ملاحظاته، وأعاده للمؤلف، وفي أواخر عام ١٨٤١م فكر (شورا) بإنشاء مدرسة في نالتشك لتدريس اللغتين الشركسية والروسية، وأيده في ذلك بعض رجالات الشراكسة، فبعثوا بالتماس إلى

الحاكم العام الجنرال (بيرياتينسك) يعرضون عليه مطلبهم، ويطلبون منه إيفاد (شوار) في بعثة إلى الأكاديمية الروسية.

استمر (شورا) في عمله في سكرتارية المحكمة، وإن كان يتطلع إلى ذلك اليوم الذي يستطيع فيه التفرغ لإنجاز أعماله الكتابية وأبحاثه القومية، وأراد أن يتفرغ لكتاباته حيث قدم فعلاً التماسا إلى المسؤولين لإعفائه من الخدمة في المحكمة، ولم ينتظر الرد بل ترك الخدمة نظرا لصحته التي بدأت تزداد سوءاً، وذهب إلى حمامات المياه المعدنية الساخنة في (بياتغورسك)، ولم يعد بعدها إلى العمل.

وفي عام ١٨٤٣م، انتهى (شورا) من وضع مؤلف آخر اسماه (الأساطير الشركسية)، وكتاب ثانٍ حول (تاريخ الشعب الشركسي)، وأعاد النظر في كتابه (مبادئ وأصول قواعد اللغة الشركسية) ووضعه بعد تنقيحه في إطار جديد، وسعى مرة أخرى للذهاب بمؤلفاته الثلاث إلى الأكاديمية الروسية لمناقشتها هناك ثم طبعها.

وفي عام ١٩٤٤م، منح (شورا) منحة مالية وسمح له بالالتحاق إلى الأكاديمية برفقة خادمه، ووصلها في الرابع عشر من أيار عام ١٨٤٤م، ولكن المرض الخطير أقعده، وازدادت صحته سوءاً، ولم يمهله القدر كثيراً إذ امتدت إليه يد المنون فاختطفت تلك الشعلة المنيرة **في العاشر من حزيران عام ١٨٤٤م.**

ومات (نجوما شورا بن بكمرزا)، ذلك الابن البار للشعب الشركسي والمثقف الكبير، والمؤرخ الفذ، واللغوي والشاعر المبدع، مات ودفن في مقبرة المسلمين (مقبرة تتارسك) في مدينة فولكوفا، ونعته الأمة الشركسية بمزيد من الحسرة واللوعة، والحزن العميق، وعزت وفاته على زملائه من كبار الشعراء والأدباء والعلماء الروس.

ترك (شورا) الحياة قبل أن يرى ثمرة دراسات وأبحاث أعدها خلال أكثر من ثلاثين عاما وبقيت مؤلفاته عشرات السنين مبعثرة هنا وهناك في أرشيف الأكاديمية الروسية، إلى أن عثر عليها بعض أساتذة الأكاديمية، أمثال (يوكتوف)، كما قام ابنه (لروستان) من نشر كتابه الأديكة (الشركسي) القديم عام ١٨٦١م وتُرجم إلى اللغة الألمانية عام ١٨٦٦م ثم ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور شوكت المفتي عام ١٩٥٣م.

**ثامناً – العظماء من القيادات السياسية والأدباء الشراكسة الذين قاوموا نظام الحكم الشيوعي وقاموا بأعمال بطولية للتحرر من سيطرته خلال الفترة (١٩١٧-١٩٨٩):-**

**تمهيد:-**

بالرغم من شدة الحكم الشيوعي في عهد (جوزيف ستالبين) وبالرغم من تحكم انصار الحزب الشيوعي بالقوميات القوقازية عامة والشراكسة خاصة، فإن عدداً من القيادات السياسية الشعبية وبدعم ومساندة من عدد من الشعراء والكتاب الشراكسة، ذات النزعات القومية التحررية، استطاعوا القيام بأكثر من انتفاضة للتحرر من الحكم الشيوعي، كما قاموا بأكثر من ثورة شعبية لتأسيس جمهورية مستقلة في شمال القفقاس، والتاريخ الشركسي يحتفظ بأسماء هؤلاء المجاهدين الأبطال بفخر واعتزاز ويعتبرهم من القادة العظماء في تاريخ الأمة الشركسية، **نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر كل من:-**

١. **الثائر بيشماف كوتسوك**، ثاني رئيس لحكومة جمهورية القفقاس في الفترة الممتدة ما بين أعوام (١٩١٧-١٩٢٥).
٢. **القائد العسكري سلطان قلج كراي**، قائد قوات جمهورية شمال القفقاس.

٣. **سنغيدي جباغي**، اول رئيس منتخب لبرلمان جمهورية شمال القفقاس المتحدة.

٤. **أعضاء حكومة (بيشماف)**، التي ضمت عشرة وزراء وهم: **( نوح تارقو للدفاع، رشيد خان للداخلية، حيدر بامات للخارجية، أصلان كري جباغي للمالية، المهندس ملكخان للصناعة والتجارة، المهندس إبراهيم حيدر للمواصلات، والمفكر الأديب شاخصيوار للتعليم، آ.بوتات للزراعة وأملاك لشؤون الدولة).**

٥. **الشهيد البطل اسماعيل كرتي**، قائد الثورة الشعبية الشركسية عام ١٩٣٢م.

٦. **الشهيد البطل اسلام كوتسوك**، القائد الثاني للثورة الشعبية الشركسية عام ١٩٣٢م.

٧. **المناضل القومي يوري موسى شينبه، أول** رئيس لاتحاد شعوب القفقاس للأعوام (١٩٨٩-١٩٩٢).

٨. **المناضل القومي فاخركوتسويف**، رئيس مجلس الشيوخ المنتخب في اتحاد شعوب القفقاس للأعوام (١٩٨٩-١٩٩٢).

**وفيما يلي دراسة موجزة للأعمال والإنجازات السياسية والقومية والأدبية التي قدمها كل واحد من هؤلاء العظماء:-**

**١. الرئيس بيشماف كوتسوك، الرئيس الثاني لحكومة جمهورية شمال القفقاس المتحدة:-**

ولد عام ١٨٨٣م في قرية (بايوك) قرب نالتشك عاصمة جمهورية كباردينا – بلقاريا حالياً ودرس القانون وعمل في المحاماة لفترة طويلة.

**وفي يوم ١٩١٧/٣/١٥م**، وبعد تنازل القيصر عن سلطاته الدستورية، كان (كوتسوك) أحد ممثلي شعوب شمال القوقاز الذين اجتمعوا لبحث إمكانية تأسيس دولة شركسية.

**وفي يوم ١١ من شهر أيار/ مايو ١٩١٧م**، شكلوا (مؤتمر شمال القوقاز الأول) ليكون الهيئة التشريعية العليا التي أنيط بها تنظيم مستقبل تلك الشعوب، وتعمل في نفس الوقت كحكومة انتقالية لدولة شمال القوقاز المستقلة.

**وفي أيلول/ سبتمبر من نفس العام**، وخلال المؤتمر الثاني لنفس الهيئة تم التصديق على مشروع دستور الدولة القوقازية الجديدة.

**وفي ١١آيار/مايو ١٩١٨م**، أعلنت دولة شمال القوقاز استقلالها وتم الاعتراف بها من قبل القوى العظمى في ذلك الوقت منها: **(ألمانيا، والنمسا، والمجر بالإضافة لتركيا)**، وانتخب **(عبد المجيد جرويوييف تشيرموي)**، أبرز رجالات الهيئة التشريعية العليا كأول رئيس للدولة الجديدة وهو شيشاني الأصل وكوتسوك نائباً له.

كما تم انتخاب برلمان لها برئاسة(سنغيري جباغي) وهو شركسي الأصل، وأُقر بأن اللغة العربية واللغة التركية هما اللغتان الرسميتان في الجمهورية الجديدة بالإضافة للغات القومية للشعوب الأعضاء في الجمهورية.

**وفي يوم ١٩١٨/١٢/١٥م**، استقال عبد المجيد جرويوييف (تشيرموي) الشيشاني الأصل أول رئيس لجمهورية شمال القفقاس، وقام بتأليف الحكومة الجديدة نائبة (بيشماف كوتسوك) من شراكسة القبرطاي بتاريخ ١٩١٨/١٢/١٩م.

**وفي عام ١٩١٩م**، غزى الجنرال القيصري (دينيكن) جمهورية شمال القفقاس ورفض الاعتراف بها لقناعته بان روسيا وحدة واحدة لا يمكن تجزئتها، وعندما رفض القوقازيون الانضمام لقواته، قام (دينيكن) بحرق عشرات القرى والمدن.

**وفي مارس/ ١٩١٩م**، قدّم الرئيس (بيشماف كوتسوك) استقالة حكومته إلى المؤتمر الشعبي نتيجة الضغوط العسكرية الكبيرة التي تعرضت لها بالإضافة إلى المصاعب المالية التي عانت منها.



الرئيس بيشماف كوتسوك، الرئيس الثاني
لحكومة جمهورية شمال القفقاس المتحدة



رئيس حكومة القفقاس عام ١٩١٨م مع الوفد الذي رافقه إلى استنبول لاقناع تركيا
بالاعتراف باستقلال القفقاس

**وفي شهر آذار/ ١٩٢٠م**، قامت وحدات الجيش الأحمر (الشيوعي) باحتلال الجمهورية بعد ان استنزفت قواتها في حربها ضد القوات القيصرية بقيادة (دينيكن) ومع حلول عام ١٩٢٥م ألغيت الجمهورية.

وانسحب كوتسوك مع قيادته السياسية إلى تركيا وعاش فيها حيث تفرغ لكتابة العديد من المقالات والدراسات عن وطنه الأم في الصحف التركية، وتوفى في المنفى في تركيا عام ١٩٦٤/١/١٨م.

**٢. الشهيدان البطلان اسماعيل كرتي، واسلام كوتسوك:-**

ربما كانت القلة القليلة في العالم عامة وفي بلاد القوقاز خاصة الذين عرفوا أو سمعوا عن الثورة الشعبية الشركسية التي خطط ونظم لها البطلان (كرتي وكوتسوك) حيث أذاع اسماعيل كرتي ورفاقه عام ١٩٣٢م بياناً ونداءً عاماً موجهاً إلى سفراء الدول في موسكو، وإلى حكومات العالم الحرة باللغات الثلاثة العربية والتركية والروسية، وهز نشر هذا البيان كيان الحكومة السوفيتية أكثر مما هزتها هزيمة جيشها، فحاولت جاهدة أن تمنع انتشارها ولكن دون جدوى فقد أذيع البيان في كل أنحاء أوروبا عامة، وفي صحف فرنسا وبولونيا خاصة، فثارت ثائرة السلطات الروسية لمنع إستفحال هذه الحركة الثورية الشعبية.

وحشدت جيوشها بأعداد تفوق أضعاف سكان الثوار الشراكسة، وتقهقر الوطنيون القوقازيون عامة والشراكسة خاصة نحو قمم الجبال حتى أحيط بهم في قمتي ألبروز وسالانا حتى عام ١٩٣٤م، وبعد نضال عامين متواصلين قُضي على آخر مناضل منهم، واستشهد البطلان اسماعيل كرتي وإسلام كوسك مع أعداد كبيرة من الثوار الشراكسية الذين شاركوا في هذه الثورة القومية والجدير ذكره هنا بأن عمر إسلام كوتسك عند قيادته للثوار كان سبعة وعشرون عاماً فقط، وكان عمر إسماعيل كرتي رفيقه في القيادة خمسة وعشرين عاماً، وقد قام هذان البطلان بإدارة

حركة الثوار إدارة احترافية ونفذا خططاً عسكرية جريئة أحرجت القوات السوفيتية المدججة بالعدة الكبيرة في العدد لأكثر من عامين متواصلين.

٣. **القائد العسكري سلطان قلج كراي الذي اصر على الموت مع جنوده الشراكسة الذين انضموا إلى صفوف الجيوش الألمانية النازية التي احتلت الجمهوريات الشركسية في شمال القفقاس عامي (١٩٤٢/١٩٤٣)، وتتلخص بطولة هذا القائد العسكري الشركسي الفذ في الوقائع والحقائق التالية:-**

- **الحقيقة الأولى:** تولى (كراي) قيادة القوات الشركسية لاتحاد جمهوريات شمال القفقاس التي تشكلت عام ١٩١٧م في شمال القفقاس بعد قيام الثورة البلشفية، وهي الجمهورية التي كان ثاني رئيس لها المناضل السياسي الشركسي الكبير (بيشماف كوتسوك).
- **الحقيقة الثانية:** تولى (كراي) قيادة القوات الشركسية التي قاتلت ضد الجيش الأبيض بعد تشكيل اتحاد جمهوريات شمال القفقاس عام ١٩١٧م، وهرب إلى ألمانيا بعد احتلال القوات الشيوعية لبلاد القفقاس عام ١٩٢٢م والقضاء على الإتحاد وعاش فيها حتى عام ١٩٤٢م.
- **الحقيقة الثالثة:** عاد إلى القفقاس مع القوات الألمانية أبان الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٣م، وساهم في تشكيل الفيلق الاسلامي وحارب مع القوات الألمانية لطرد الروس من شمال القفقاس حيث كان يحمل رتبة كولنيل عندما كان قائداً لفرقة الخيالة القفقاسية التي كانت تدافع عن رومانيا في الحرب العالمية الثانية حليفة روسيا (آن ذاك) ورقي إلى رتبة جنرال عند تكليفه لقيادة الفيلق الإسلامي في شمال القفقاس عامي (١٩٤٣-١٩٤٤).
- **الحقيقة الرابعة:** بعد هزيمة النازيين في نهاية الحرب العالمية الثانية انسحب معهم إلى ألمانيا مع الفيلق الإسلامي ووضع في معسكرات الأسر لدى الحلفاء في أوروبا.



اللواء سلطان قلج كراي القائد الذي اصر على الموت مع جنوده الشراكسة الذين انضموا إلى صفوف الجيوش الألمانية النازية التي احتلت الجمهوريات الشركسية في شمال القفقاس عامي (١٩٤٣/١٩٤٢)

- **الحقيقة الخامسة:** عندما بدأت سلطات الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية بتسليم الأسرى والفلاحين القوقازيين عامة والشراكسة خاصة الذين حاربوا مع الألمان لتحرير بلادهم من الحكم الشيوعي الطاغي، عرض الضابط الإنكليزي على الجنرال (سلطان كراي) استثناءه وحده من عملية التسليم إلى الروس على اعتبار أنه يحمل الجنسية الألمانية منذ عام ١٩٢١م، و باعتباره أيضاً بموجب هذه الجنسية خارج نطاق التبعية الروسية المطلوب من الحلفاء تسليمهم للروس، وكان جواب هذا القائد العظيم الرفض القاطع لمبدأ إستثنائه من التسليم للسلطات الروسية مع علمه الأكيد بأنه سيتم إعدامه فور تسليمه قائلاً: **(إنني أفضل الموت مع جنودي الشراكسة والقوقازيين الذين حاربوا معي)**، كما قال جواباً على أمر استثنائه لوحده: **(لقد استشهد أبائي وأجدادي في ميادين الكرامة القومية، أما رفاقي هؤلاء فقد شاركوني في السراء والضراء لنفس الغاية التي هدفت إليها، فتقاسمنا شرف الحفاظ على محارم وطننا المقدس، والآن لست بمنفرد عنهم، سأشاركهم مصيرهم المحتوم وفي تسليمهم إلى جلادينا الروس الذين تريدون ان تسوقونا إليهم، وإني لن أترك شرف قيادتهم إلى المصير النهائي لغيري..)**.

هكذا تم تسليم حوالي عشرة آلاف شخص إلى السلطات الروسية يوم ١٩٤٥/٥/٢٨م وفي مقَدمتُهم البطل القومي الشركسي (كراي) ونفذت فيهم السلطات الروسية جميعاً حكم الإعدام فور وصولهم لمعسكرات اعتقالهم في الاتحاد السوفيتي.

**كما تشير الوثائق بأن عدداً من الشعراء والأدباء الشراكسة قد شاركوا في نشر التراث القومي الشركسي، وفي تقديم أعمال أدبية قومية، وقاوموا سراً وعلناً نظام الحكم الشيوعي في أعمالهم الأدبية خلال فترة الحكم الشيوعي للأمة**

**الشركسية في الوطن الأم للأعوام ما بين (١٩١٧م-١٩٨٩م)، نذكر منهم كل من الشعراء والأدباء:-**

**٤. الأديب القومي الشاعر كوبه شعبان (١٨٩٠-١٩٧٤):-**

- **مولده ونشأته:-**

ولد عام ١٨٩٠م في قرية (حه كورنة حابلة) في منطقة الكوبان وهو من قبيلة الأبزاخ ووالده هو إدريس ووالدته فاطمة من عائلة حاراتوقة.

- **دراسته وخبراته في التعليم:-**

درس في معاهد نالتشك في منطقة القبرطاي، وتخصص في اللغة العربية والدين الإسلامي، ودرّس في مدارسها في عهد حكم قياصرة الروس قبل عهد الحكم الشيوعي.

وفي أوائل حكم الشيوعيين منع من التدريس في المدارس الشركسية في نالتشك، إلا أنه سمح له بتدريس اللغة الشركسية وآدابها باستخدام الأحرف العربية بعد خروجه من السجن إلا أنه لم يسلم من ملاحقته ومضايقته في عمله، واضطر للهرب والاختفاء.

بعد أن كان عدة سنوات في مسقط رأسه منطقة الكوبان، بعد نشوب الحرب العالمية الثانية تمكن من خلالها من جمع وتدوين الأشعار والأمثال والأغاني الشركسية القديمة.

- **هروبه من القفقاس إلى خارج القفقاس:-**

هرب الأديب (شعبان) مع القوات النازية المنسحبة بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية وأقام في مدينة ميونخ في الأعوام من(١٩٤٥-١٩٤٨) ثم غادرها إلى تركيا، وتجول بين القرى الشركسية فيها، وجمع العديد من التراث الشركسي (الشفوي) ودونها خلال عامي (١٩٤٩-١٩٥٠).



الشاعر القومي الكبير كوبه شعبان

وفي عام ١٩٥٠م انتقل إلى سوريا ثم إلى الأردن وعاش بين الشراكسة في هذه البلدين العربيين حتى عام ١٩٥٦م وكان من أهم أعماله الأدبية خلالها هي:

١. تحويل الكتابة باللغة الشركسية من الأحرف السلافية إلى الأحرف اللاتينية.
٢. نشر خلال وجوده في الأردن الكتب والأشعار التالية:-
   - كتاب تاريخ عمان بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٢م ونشر في بيروت.
   - كتاب للأطفال الشراكسة عام ١٩٥٢م ونشر في عمان.
   - قصص وحكايات بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٣م ونشر في عمان.
   - المرأة الشركسية بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٣م ونشر في بيروت.
   - شعر بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٤م ونشر في بيروت.

كما أعد العديد من الكتب والمؤلفات للطباعة نذكر منها:- "**مجموعة الفلكلور الشركسي الجزء الثاني**" وتضمن الأناشيد بالأديغية القديمة مع (١٥٠) شرحاً في حوالي ٥٠٠ صفحة. بالإضافة إلى قصص وحكايات أديغية، ومجموعة روايات، ومجموعة أخرى من القصائد والأشعار من الجزء الثاني وأبوريت (Tow Operettes) وقاموس شركسي عربي، وقصة تاريخية اسمها "**نسر الجبل**" وقاموس بجميع اللهجات (الأديغية)، وقواعد اللغة الشركسية.*

* لمزيد من المعلومات عن حياة الأديب كوبة شعبان يمكن الرجوع إلى دراسة محمد علي وردم عن أعماله الأدبية في الحفاظ على التراث الشفوي والأدب القومي الشركسي الذي أفنى هذا الأديب حياته في خدمتها.

**٣. أعماله الأدبية والفنية في الوطن الأم القفقاس:-**

نشر (كوبه) بعد تخرجه من معاهد نالتشك عام (١٩١٠-١٩١١) وحتى هروبه من القفقاس عام ١٩٤٣م أكثر من (١٢) مطبوعة باللغة الشركسية وهي:-

- القواعد المدرسية العملية في النحو باللغة الشركسية في جزئين هما (الصرف والإعراب) طبعة كرسنودار عام ١٩٣٠م.
- علم الإملاء في اللغة الشركسية في أربعة أجزاء، طبعه مايكوب عام ١٩٣٠م.
- مجموعة قصائد شعبية شركسية قديمة، ونشر في (مايكوب).
- رواية قطيع الخيول، ونشر في (مايكوب).
- الأبجدية الأديغية، ونشر في (مايكوب).
- القراءة الأدبية، ونشر في (كروسندار).
- الأبجدية لمدارس الكبار، ونشر في (كروسندار).
- القراءة الأبجدية في ثلاثة أجزاء، ونشر في (كروسندار).
- الأبجدية للأطفال، ونشرت في (كروسندار) عام ١٩٢٧م.
- قراءة للصديق، ونشر في موسكو عام ١٩٢٤م.
- تقويم Calender وصدر في موسكو عام ١٩٢٤م.

كما نشر روايات عن الحرب الروسية القفقاسية مثل (الهجوم الليلي المفاجئ على القبردينيين) في القرن السابع عشر (وطرد الشراكسة إلى الدولة العثمانية) في خلال الفترة ما بين (١٨٥٩-١٨٦٤).

**٤. أشرف على عرض مسرحيتين باللغة الشركسية خلال وجوده في عمان هما:** مسرحية "هجرة الشراكسة" و"حروب الشراكسة" من خلال فرقة المسرح الشركسي في نادي الجيل الجديد في السنوات الأولى من عقد الخمسينات من القرن الماضي.

٥. **انتقاله إلى فرنسا:** انتقل من عمان إلى فرنسا في عام ١٩٥٦م وأقام فيها حتى عام ١٩٦٣م مع العالم الفرنسي (دوموزيل) الأستاذ في جامعة السوربون لمساعدته في أبحاثه عن اللغة الشركسية وعلاقتها باللغات الأوروبية، وفي نفس الفترة طبع الجزء الأول من أشعاره الشعبية الشركسية في باريس.

٦. **هجرته إلى أمريكا:** هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٦٣م وتفرغ للكتابة في مدينة باترسون، ونشر فيها الجزأين الثاني والثالث من كتابه المختص بالأشعار الشعبية الشركسية وأعاد إصدار التقويم الشركسي كما أصدر خلالها مسرحية (رجل الغابة وحجاره).

هذا وقد توفي (كوبه) في باترسون في الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٩٧٤/١٢/٢٠م، عن عمر يناهز الرابعة والثمانين.

٥. **الأديب والمعلم الكبير أحمد نوري تساغو (١٨٨٨-١٩٣٥):-**

- **نشأته ودراسته:-**

ولد في مدينة القنيطرة في الجولان السورية عام ١٨٨٨م، وعاش فيها حتى تخرج من المدرسة الثانوية في دمشق عام ١٩٠٨، وفي عام ١٩٠٩ التحق بكلية الحقوق في اسطانبول في تركيا وتخرج منها عام ١٩١٢م.

- **عضويته في جمعية الإخاء والتعاون الشركسية ونشاطه الأدبي في تركيا:-**

بعد تخرجه انضم إلى جمعية الإخاء والتعاون الشركسية في اسطانبول، وأصبح سكرتيراً لها عام ١٩١١م كما ساهم في إصدار صحيفة (غوازة) التركية الشركسية وعمل مدير تحرير لها مع زميله الأديب (يوسف سعاد نغوج) الذي رأس

تحرير الصحيفة وكان (تساغو) يكتب مقالاً يومياً يحارب به الهجرة الشركسية للخارج بعنوان "كيف نضيع نحن الشراكسة".

- **تطوعه لنشر الأدب والثقافة واللغة الشركسية في الوطن الأم:-**

افتتحته جمعية الإخاء عام ١٩١٣م إلى مواطنه في شمال القفقاس لنشر الثقافة والأدب واللغة الشركسية من خلال المدارس التي افتتحتا في بلاد القبرطاي والأديغية (مايكوي) برفقة كل من المتطوعين:- **(هاتسال، محمود قوبار، هارون بسروقة، عاكف تيغون، محمد حبيب، زكريا بستي، سعاد نغوج)**، وتخرج على يديه عدد من أدباء شراكسة الوطن الأم منهم تبناه (تساغو) واهتم بتعليمه وخصه بتوجيهاته القومية الإصلاحية وبث فيه الروح الوطنية النضالية.

- **أعماله الأدبية:-**

نشر (تساغو) عشرات المؤلفات والكتب والمجلات نذكر منها: كتاب الأحرف الشركسية والتاريخ الإسلامي باللغة الشركسية عام ١٩١٧م، ومجلة صوت الأديغة، وكتاب التاريخ الشركسي عام ١٩١٨م، وغوازة للأطفال عام ١٩٢٥م، وكتاب النظام العالمي عام ١٩٢٥، وكتاب أدب الأطفال عام ١٩٢٦م.

وفي عامي (١٩٢٥-١٩٢٦) اضطر لتدريس اللغة الشركسية في مدرسة التكنيك التابعة للحزب الشيوعي، وتوفي الأديب (تساغو) وهو صغير السن ووافته المنية في القفقاس عام ١٩٣٥م وهو في عمر السابعة والخمسين بعد حياة أدبية وفكرية حافلة، وبعد أن أسس مدرسة فكرية شركسية سميت بمدرسة (تساغو الشركسية للنهضة والتطوير).

**٦. الشاعر القومي الأديب إبراهيم تسي (١٨٩٠-١٩٣٧):-**

- **مولده ودراسته:-**

ولد يوم ١١ يناير ١٨٩٠م في قرية (شبخي) وتلقى العلوم الابتدائية في منزله حتى بلغ التاسعة من عمره، ثم التحق عام ١٨٩٩م بمدرسة (إيكاترينودار) ودرس فيها حتى الصف الخامس الابتدائي فقط، واضطر للعمل وهو في سن الرابعة عشرة من عمره، وتنقل في عمله من كاتب في المحاكم، إلى خازن في المستودعات، ثم أصبح عاملاً في مصانع التعدين، وأخيراً عمل محاسباً في شركة نفطية في القفقاس، وعاد لمسقط رأسه في قرية (شبخي) وعمل كاتباً للمجلس السوفيتي فيها ثم رئيساً له.

- **ابداعاته الأدبية:-**

كتب الأشعار والأغاني والمسرحيات بثلاث لغات وهي الشركسية والروسية والأوكرانية وأبدع في الكتابة، كما كتب وهو في سن مبكرة في مواضيع سياسية واجتماعية بأسلوب ساخر ينتقد فيه الأوضاع الصعبة التي يعاني منها العمال والفلاحون الشراكسة كما نشر الكثير من مقالاته الساخرة في المجلة الإسلامية التي كانت تصدر في بطرسبرغ وفي مجلة صدى مايكوب.

يعتبر (إبراهيم) من الأدباء الذين أبدعوا في كتابة الروايات والمسرحيات الجرئية والناقدة، من أشهر مسرحياته "قوجاس" و"الوحوش" و"السوط العظيم" و"وحي" الذي خصصه لوصف معاناة العمال والفلاحين الشراكسة من الاستبداد الاقطاعي الروسي كما كتب في الفلكلور الشركسي أكثر من مرة حيث اختص في الكتابة فيه ومن أشهر مؤلفاته قصة "وليمة مأتم الأرنب" كقصة للأطفال، ورواية "فاطمة" تحكي عن معاناة المرأة في القفقاس.



المعلم الشاعر الكبير احمد نوري
تساغو



الشاعر والاديب القومي ابراهيم تسي

- **مساهماته الشعرية:-**

صدر له أكثر من ديوان شعر، ومن أشهر أغانيه وقصائده هي "لايريد" "وطننا" "جو" "فارس الوطن الشركسي" "نجل الشركسي البائس" وهي قصائد حماسية وطنية، هذا بالإضافة إلى ديوان شعره الذي تضمن قصصاً خرافية روسية، وأخرى شركسية يشجب وينتقد فيها النقائض البشرية، وسلبيات المجتمع عامة والانحرافات الاجتماعية مثل التفاخر والتحاسد والظلم الاجتماعي.

يعتبر (إبراهيم) من أنشط أدباء وشعراء عصره غزارة في الانتاج الأدبي ذات الطابع القومي أولاً، والناقد للنظم التي كانت سائدة في مجتمعه ثانياً، كما كان جريئاً في طرح قصصه الناقدة واشعاره الحماسية ذات الصبغة الوطنية.

ترك لنا (إبراهيم) أعمالاً أدبية كبيرة، لم يتمكن من نشرها لوفاته وهو في ريعان شبابه، نذكر منها: رواية "الحاج حاتسوك"، ورواية أخرى بعنوان "زوجة إسحاق"، وقصة ثالثة هي "القوميسار شوجن"، وكلها أعمال أدبية ذات مستوى أدبي رفيع.

توفي **(إبراهيم تسي)** عام ١٩٣٧م، وقبل أن يكمل السابعة والأربعين من عمره.

### ٧. المؤرخ ورجل العلم والسياسة آيتك ناموتق (١٨٩٢-١٩٦٣):-

- **نشأته ودراسته:-**

ولد يوم ٦ كانون الثاني ١٨٩٢م في مقاطعة (الأديغي) في الوطن الأم، وأتم دراسته الثانوية في مدينة (ستافروبول) الروسية بامتياز، وأحرز ميدالية ذهبية لتفوقه في الدراسة على أقرانه، وفي عام ١٩١٦م أنهى دراسة الحقوق في جامعة

(بطر سبورغ) ثم التحق بجامعة (السوربون) في باريس بعد الهجرة إليها عام ١٩١٨م، وأتم دراسته فيها عام ١٩٢١م.

- **خبراته العملية والسياسية في الوطن الأم في القفقاس:-**

بعد إتمام دراسة الحقوق في جامعة بطرسبورغ سجل في نقابة المحامين في تلك المدينة، وبقي فيها إلى ما بعد ثورة ١٩١٧م وأصبح ممثلاً لجمهورية شمال القفقاس المتحدة المؤقتة عند إنشائها عام ١٩١٧م، وفي نفس الوقت انتخبه (الحزب الديمقراطي المتحد) الذي كان ينتسب إليه ليكون عضواً في مجلس الجمهورية الروسية، غير أنه اضطر إلى ترك مدينة بطرسبورغ بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عام ١٩١٧م وعاد إلى موطنه في القفقاس، واستمر في نشاطه الفعال للخدمة في وطنه الأم حيث عين حاكما إداريا لمنطقة الكوبان الشركسية في اتحاد جمهورية شمال القفقاس في عام ١٩١٨م، وفي نفس السنة سافر إلى باريس ممثلا لبلاده في مؤتمر صلح (فرساي) واضطر للبقاء هناك بسبب احتلال الشيوعيين لأراضي جمهورية القفقاس عام ١٩٢٥م.

- **خبراته ونشاطاته العلمية والسياسية في فرنسا وتتمثل في الأعمال والخبرات التالية:-**
  - أصبح عضواً في الجمعية اللغوية في جامعة السوربون بعد تخرجه منها.
  - أسس عام ١٩٣٦م جمعية دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط ونشر بالتعاون مع البروفيسور جورج دوموزيل ترجمة كتاب (القصص والأساطير الشركسية) إلى اللغة الفرنسية.
  - أصدر في عام ١٩٣٩م كتابه "أصل الشركس" ويعتبر أفضل ما كتب حتى تاريخه في هذا الموضوع.

- تعاون مع العلماء المختصين بالدراسات القفقاسية، كما كان يكتب المقالات العديدة في المجالات الفرنسية والتركية عن بلاده وعن أمته الشركسية باللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية.
- شارك في تحرير المجلة العلمية الألمانية (انستيتوفور كونتنتال أوربانسين فورستويح) خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أصبح رئيسا للجمعية الإسلامية التي أنشئت في ألمانيا، ولم يأل جهدا في تقديم المساعدة للمسيحيين والمسلمين من اخوانه القفقاسيين الذين هاجروا إلى ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية.

- **خبراته ونشاطاته في تركيا:-**

استمر في نشاطاته العلمية والقومية في تركيا بعد أن هاجر إليها عام ١٩٤٦م وساهم في نشر المقالات القومية في أكثر من مجلة بالرغم من القيود السياسية والثقافية التي كانت مفروضة على الشراكسة في تركيا خلال المرحلة التي انتقل للعيش فيها.

يعتبر (ناميتوق) من كبار رجال العلم والسياسة، وصاحب فكر قومي شركسي ومناضلا جريئاً، وعالما واسع الاطلاع، عمل بجد وإخلاص دون أن يعتريه التعب أو الملل في سبيل حرية القفقاس، ووضع علمه وخبرته ونشاطه طوال حياته في خدمة حرية مواطنيه واستقلال وطنه الأم.

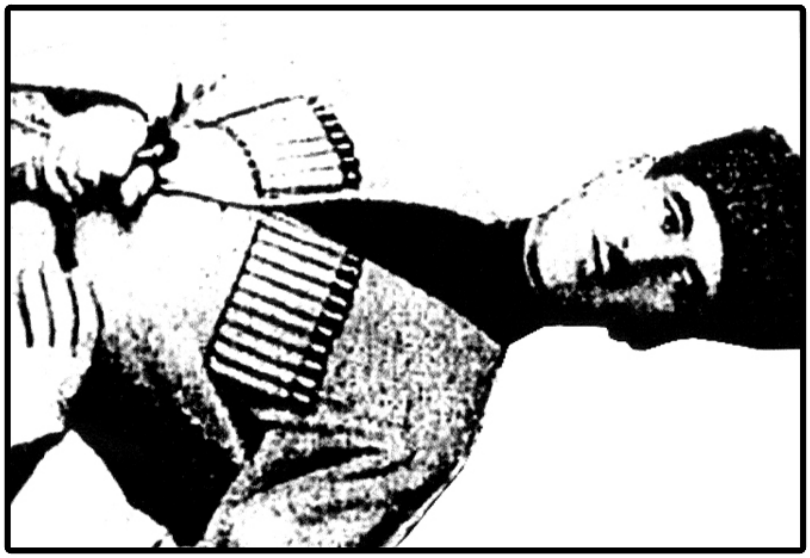
**٨. الشاعر والأديب المبدع علي شوجن تسوك (١٨٩٠-١٩٤٢):-**

- **مولد ونشأته ودراسته:-**

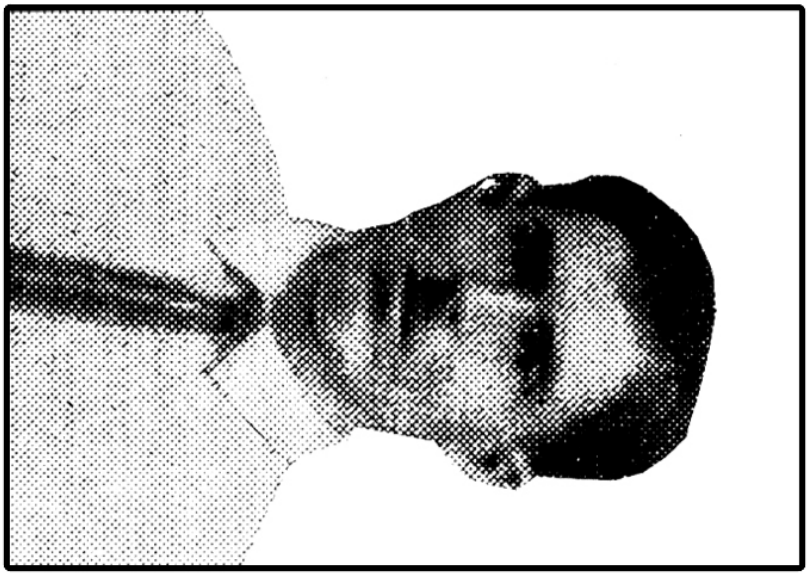
ولد عام ١٨٩٠م في في قرية (كوشمزقوي) الشركسية الكائنة قرب مدينة باخستان لأسرة من أسر المزارعين من القبرطاي، ورعاه جده وأدخله كتّاب القرية، ثم المدرسة الدينية الإسلامية في مدينة باخستان، وفي مرحلة لاحقة اهتم به المعلم والأديب (أحمد نوري تساغو) وخصّه بتوجيهاته الفكرية الإصلاحية، وزوده بآراءه الوطنية والنضالية وفي مرحلة لاحقة درس في داغستان وفي شبة جزيرة القرم وفي استانبول حيث اتقن اللغات العربية والتركية والفرنسية.

- **ابداعاته الأدبية ومساهماته في تعليم اللغة الشركسية، نشر سجل حياة (شوجن) بأنه كان من الأدباء القوميين النشطين جداً نذكر منها المساهمات التالية:-**

١. ساهم وهو في استانبول بالكتابة في مجلة (غوازة) الشركسية/ التركية.
٢. التحق بمعلمه (تساغو) بعد أن عاد للقفقاس عام ١٩١٩م.
٣. أصدر جريدة (صوت الأديغة) في الوطن الأم.
٤. ألف العديد من الكتب المدرسية لتدريس اللغة الشركسية والآداب والعلوم لأبناء الشراكسة في الوطن الأم.
٥. نشر العديد من القصص الطويلة باللغة الشركسية في الفترة ما بين أعوام (١٩٣٢-١٩٣٦) منها: البطل الشاب الصغير، روان قامبوت، لياتزا.
٦. له أعمال غنائية وملاحم شعرية عديدة ومجموعة كبيرة من القصائد المتميزة صدرت في ديوان شعره "الأعمال الشعرية الكاملة لشوجن تسوك علي".
٧. يعتبر "شوجن" رائد الشعر الشركسي الحديث، وأدخل الأشكال الكلاسيكية في كتابه الشعر الشركسي.



المؤرخ ورجل العلم والسياسة آتيك ناموتوق



الشاعر والاديب الكبير علي شوجن تسوك

٨. كان أول من أدخل "القافية" إلى الشعر الشركسي، كما قام بتثبيت الأبحر الشعرية التقليدية الكلاسيكية بعد اطلاعه على الفنون الشعرية الشركسية منها والأوروبية.

٩. كما تشير وقائع سيرته الذاتية بأنه وقع في الأسر بعد أن دخلت القوات النازية إلى منطقة القبرطاي عام ١٩٤٢م، ومات في إحدى زنزانات الألمان النازيين في القفقاس.

وتقديراً للأعمال الأدبية الكبيرة (لشوجن) قامت حكومة جمهورية كباردينا – بلقاريا بإطلاق اسمه على عشرات الشوارع والساحات الرئيسية والمدارس في مختلف مناطق شمال القفقاس، كما أطلق اسمه على المسرح الكبير في مدينة نالتشك، وأقيم له تمثال كبير أمام هذا المسرح تقديراً وتكريماً لأعماله الأدبية والشعرية الكبيرة، ولدعوته الدائمة للشراكسة في الوطن الأم للتوجه للعلم والتعلم.

**توفي شاعرنا الكبير (علي شوجن تسوك) عام ١٩٤٢م وهو في سن الثانية والخمسين من عمره.**

**٩. المناضل يوري موسى تشنبه:-**

كان (يوري) في مقدمة الشخصيات القوقازية التي بادرت في يوم ١٩٨٩/٨/٢٥م إلى عقد المؤتمر الأول لممثلي شعوب القفقاس في مدينة (سوخومي) عاصمة جمهورية أبخازيا، وأقر فيه نظامه الداخلي، وأرسل إلى مؤتمر نواب الشعب في الاتحاد السوفيتي (السابق) لإقراره هذا المؤتمر الذي **شارك فيه ممثلو (الأبازة) من جمهورية قرتشاي شركسيا، و(الأبخاز) سكان جمهورية أبخازيا، و(الأديغة) سكان جمهورية الأديغي، و(الأنغوش) سكان جمهورية الشيشان أنغوش، و(القبرطاي) سكان جمهورية قبردينيا بلقاريا، و(الشركس) من**

**سكان جمهورية قرتشاي شركيسيا، و(الشيشان) من سكان جمهورية الشيشان أنغوش، ولم يحضر هذا المؤتمر القومي القوقازي كل من (الداغستان والأستين الشمالية والجنوبية).**

وأعلن المشاركون في المؤتمر تأسيس (جمعية الشعوب الجبلية في القفقاس)، وانتخب (يوري موسى تشنبه) من شراكسة القبرطاي لرئاسة مجلس التنسيق، و(فاخر كوتسويف) لرئاسة مجلس الشيوخ.

**وفي يومي ١٣-١٤/١٩٩٠**، انعقد المؤتمر الثاني في مدينة نالتشك، وأُقرت فيه وثائق كثيرة كما تم وضع الحلول للمشاكل التي تعترض بناء الدولة الجديدة، **وأصدروا بياناً رسميا حول الأخذ بمبدأ عدم استخدام القوة في حل المشاكل القومية القوقازية.**

**وفي تشرين الأول من عام ١٩٩٠م**، وافقت حكومة الاتحاد السوفيتي على إقامة مؤتمر للممثلي الشعوب الصغيرة وحضره (٤٦) شعباً صغيراً من الشعوب التي تعيش في الاتحاد السوفيتي وتشكلت جمعية وطنية قومية متخصصة في رسم حدود الأراضي التي تعيش عليها هذه الشعوب وانتخب (يوري) رئيسا لهذه الجمعية.

**وفي يومي ١-٢/تشرين الثاني/١٩٩١م**، انعقد المؤتمر الثالث لجمعية ممثلي شعوب القفقاس حضره ممثلي (١٣) قومية، **أُقر فيه تشكيل اتحاد شعوب القفقاس**، وانتخاب (يوري) رئيساً للاتحاد.

**وفي يومي ٤-٥/تشرين الأول/ ١٩٩٢م**، عقد المؤتمر الرابع للاتحاد للنظر في بقاء القفقاس موحداً مع الاستمرار ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية أو عدم بقائه وتقرر البقاء ضمن روسيا الاتحادية.



المناضل يوري موسى تشنيه

**وفي أواخر شهر أيار عام ١٩٩٢م**، انعقدت الدورة المشتركة لكل من البرلمان والمجلس الرئاسي للاتحاد لبحث ومناقشة مسألة اعتداء جورجيا على شعب أسيتا الجنوبية واستمعوا إلى النداء الذي وجهه ممثلو هذه الجمهورية، وطلب من رئيس اتحاد الشعوب القفقاسية اتخاذ وسائل أكثر راديكالية لمنع الإبادة الجماعية في أسيتيا الجنوبية، وبناءً عليه وجه رئيس الاتحاد للمجتمع الدولي لوضع حد لاضطهاد وإبادة الشعب في هذه الجمهورية القوقازية الصغيرة، ووجه (يوري) النداء التالي لقادة العالم قال فيه: " **إن هذه الأعمال تؤكد أن هناك خططا لبعض القوى من أجل إشعال الفتنة، ومن أجل التدمير الشامل للحضارة القفقاسية، هذه الحضارة التي لعبت دوراً كبيراً في تطوير البشرية.. التي كان لها كثير من التأثير الفعال وأنها ساعدت البشرية، فمثلاً استمر حكم المماليك الشراكسة ٣٠٠سنة تقريباً في العالم العربي، وقامت الفرقة الشركسية بتدمير المغول قرب جدران مدينة دمشق، حيث أنقذوا الحضارة العربية من التدمير الشامل، كما كان الشركس من القوى الفعالة التي ساعدت على تشكيل الدولة المركزية الروسية، وعلى إعادة بناء تاريخهم، والمؤرخون الأتراك وصلوا إلى نتيجة، مفادها أنه بدون الشركس وخيالتهم لما كانت الجمهورية التركية قائمة الآن**".

**واستطرد قائلاً: "١٥٠٠سنة من الحرب المستمرة لإخضاع القفقاس ولم تستطع تدمير هذه الحضارة القديمة والعريقة، أما الآن فهناك أفق واسع وحقيقي لذلك، فسيناريو الدراما لما وراء القفقاس يتحول إلى شمال القفقاس بهدف إبادة شعوبها مرة أخرى".**

**"ولكن لن يستطيع العالم أن يغض النظر طويلاً، كما حدث في القرن التاسع عشر، أثناء إبادة الشراكسة، إن ما يجري هو إبادة جماعية للشعب الأسيتي وأن الكارثة في أسيتيا الجنوبية نذير لشعوب المنطقة وللمجتمع الدولي، فالكارثة**

**عبارة عن فاتحة لنقل سيناريو الدراما لما وراء القفقاس بهدف الإبادة الـشاملة لشعوب شمال القفقاس".**

**وفي الختام وجه إنذار لجورجيا بقوله: "فإن لم يتوقف العنف ضد الـشعب في أسيتيا الجنوبية، خلال مهلة قدرها عشرة أيام، فاتحـاد الـشعوب القفقاسـية سيقدم الدعم لها بكل ما لديه من وسائل".**

**وفي يوم ١٩٩٢/٩/٢٣م،** ألقي القبض على (يوري) رئيس الاتحـاد وتـم اعتقاله ووجهت له اتهامات تقضي بسجنه ونفيه لمدة (٩٣) سنة.

**وأدى اعتقاله إلى انتفاضة شعوب القفقاس، واعتصم أمام مبنى الحكومـة في مدينة نالتشك عشرات الآلاف ليلاً ونهاراً لأكثر من (١٢) يومـاً مـن (٩/٢٣ إلى ١٩٩٢/١٠/٢م) حتى اضطرت السلطات الروسية إلى إطلاق سـراحه، بعـد الإفراج عنه مع رفاقه إلى أبخازيا وأصيب هناك بطلقة ناريـة فـي سـاقه ممـا اضطره إلى العودة للمعالجة.**

ألف كتاباً عنوانه(انتصار الوحدة في شمال القفقاس المتحرر) ونشر في مدينة نالشيك عام ١٩٩٤م، وترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية وطبع في سـورية عـام ١٩٩٧م.

# الجزء الرابع

## أصدقاء الأمة الشركسية وأعداؤها في حروبها ضد روسيا القيصرية

# الفصل الأول

## الأدوار التأمرية للعثمانيين الآتراك وخانات القرم (قبل وخلال وبعد) حرب الإبادة ودمار الأمة الشركسية على يد القوات الروسية القيصرية وأدوار الحركة المريدية فيها

**تمهيد:**

بالرجوع إلى ما كتبه المؤرخون الاتراك والـروس والشراكـسة، وبعـد الاطلاع على بعض وثائق الارشيف التركي، وعلى بعض المراسلات البريطانيـة والفرنسية الرسمية، تبين لنا بأن دور الاتراك العثمانيين في القفقاس عامـة وبـلاد الشراكسة خاصة بدأ عندما تفككت عرى دولة الجيش الذهبي في القـرن الخـامس عشر الميلادي، وحصلت روسيا على استقلالها، وكذلك بعـد أن تكونـت خانيـة (إمارة) القرم وهي إحدى الدول التي قامت على انقاض دولة (التتار) ابتـداء مـن السبعينات من القرن الخامس عشر الميلادي، وبالتحديد عام (١٤٧٠)، ودخلت هذه الإمارة، أو (الخانية) تحت سيطرة الاتراك، وهم شعب ينتمون إلى التتار المسلمين. وأصبحت خاينة (امارة) القرم تشغل مساحة واسعة تمتد من مولدافيا (Moldavia) حتى القفقاس، وفي آواخر أيام استقلالها، كانت تغطى مساحات واسعة تمتـد مـن جنوب أوكرانيا، (Ukraine)، ومنطقة الكوبان (Kuban)، كمـا اصـبحت شـبه جزيرة القرم، معقل (الخانية) ومركزها، وكانت بلاد القرم على اتصال دائم ووثيق، مع الحضارات الرئيسية في اوروبا، وفي أواخر العصور الوسطى، كانـت جنـوا (Genoa) تسيطر على موانئ القرم الرئيسية، وكانت ذات أثر بعيد في نشر ثقافـة منطقة البحر المتوسط بين التتار، وفيما بعد عاد اليونان ثانية إلى هـذه المنطقـة، وذلك إبان الحكم التركي، حيث واصلوا ربط القرم بالخارج، عن طريق البحر فـي جنوبها [١].

وفي عهد محمد الفاتح احتل الاتراك العثمانيون (خانيـة القـرم) وأصـبح العثمانيون مجاورين لشعوب شمال القفقاس، وبدأت أطماعهم في الاستيلاء عليهـا لتحقيق أكثر من هدف أو سبب منها:

١) نشر الدين الإسلامي بين شعوب الشراكسة عامة والقبرطاي خاصة، حيـث لم يكن معظم قبائل وعائلات القبرطاي قد اعتنقت بعد الدين الإسلامي.

٢) فتح باب التجارة مع الشعوب القفقاسية التي كانت تشتهر بالمنتوجات الزراعية والحيوانية، وفي بعض الصناعات اليدوية، بالإضافة لرغبتهم في التحكم بالممر الطبيعي للتجارة مع الصين من جهة ومع الهند من جهة أخرى.

٣) التصدي للروس ومنعهم من التوسع إلى جنوب القفقاس [٢].

٤) فرض نفوذهم على شمال القفقاس حتى يتمكنوا من الاتصال بتركستان مستقبلا.

٥) تجنيد المقاتلين الشراكسة الشجعان في الجيش التركي العثماني للمشاركة في حروب مستقبلية.

*** دور كل من العثمانيين وخانات القرم في حرب الابادة والدمار الروسية في القفقاس عامة وفي بلاد الشراكسة خاصة**

**للتعرف على دورهم** كان لا بد من التعرف على الحروب والاحداث والوقائع التي حدثت منذ القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر الميلادي وهي على النحو التالي:

**(١) أحداث ووقائع وحروب خانات القرم في القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين.**

تشير الوثائق العثمانية بأن خانات القرم وبدعم من العثمانيين هاجمت شعب القبرطاي ابتداء من منتصف القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر * عشرات المرات وأهمها الهجمات التالية:

* قام خان القرم (صاحب جري) بهجومين على شمال قفقاسيا خلال عام ١٥٤٥ واستمر خليفته (دولت جري) في هجماته على شمال قفقاسيا حتى عام ١٥٤٧،

* لم تقع احداث أو حروب بين الشراكسة .. وخانات القرم او العثمانيين في القرن السابع عشر.

فاضطر قسم من شعب (الاديغة) الخضوع لخان القرم بتقديم جزية سنوية ورهائن لهم [٣].

وبعد هدوء تام في القرن السابع عشر الميلادي كثف العثمانيون بواسطة اتباعهم خانات القرم هجماتهم على قفقاسيا وبشكل متواصل في الاعوام ١٧٠٥و ١٧٠٧ و ١٧٠٨ و ١٧١٧ و ١٧٢٠و ١٧٢٩م.

**ففي عام ١٧٠٥**، قام خان القرم (قبلان) بهجوم على بلاد القبرطاي وحاول احتلالها وضمها إلى بلاده ظنا منه ان ذلك أمر يسير في هذه الفترة، فدخل فعلا بلادهم على رأس جيش كبير ولكنه باء بالفشل وانكسر جيشه في أول معركة خاضها واضطر إلى الانسحاب، ورجع إلى بلاده بعدما أصيب بخسارة فادحة في الأموال والأنفس.

- **وفي عامي ١٧٠٧م و ١٧٠٨**، عاود خانات القرم الهجوم على القبرطاي وبعد معارك عنيفة اضطروا للانسحاب أيضا دون تحقيق أهدافهم العدوانية.
- **وفي عام ١٧١٧م**، وبعد مرور عشر سنوات على الهجمات السابقة عاود خانات القرم وللمرة الرابعة شن هجوم كبير وبدعم من العثمانيين، ووصلت جيوشهم إلى حدود بلاد (القبرطاي) بشكل مفاجئ وبدون سابق انذار مما اضطر زعماء القبرطاي من تجهيز بضعة آلاف من المحاربين الشراكسة الذين أمكن جمعهم في فترة وجيزة لإيقاف زحف وتقدم جيوش (القرم المدعومين من العثمانيين) بقيادة القائد الشركسي (تامبي) والذي اشتبك مع العدو عند ضفاف نهر (بودتوبوق) إلا أنه تراجع إلى ضفاف نهر (باخسان) لتفوقهم عددا وعدة، وأن عددهم كان أضعاف اضعاف المحاربين (القبرطاي) إلا أن العدو تقدم نحو نهر (باخسان) من جديد وحدث قتال شرس حتى تحقق لخانات القرم النصر واحتلال بلاد القبرطاي.

كما فرض على كل بيت شركسي من بيوت (القبرطاي) تأمين إقامة ومبيت (اربعة من رجالهم مع خيولهم) وأجبروهم على اطعامهم وايوائهم، كما عين في كل بلد اماما (مولا) لكي يعلمهم قواعد الدين الإسلامي، وأخذ معه أعداداً كبيرة من أولاد الأمراء والأشراف وغيرهم كرهائن، وكان بين هؤلاء الرهائن شقيقة الثائر (مشوقة) المحرض الأول على عدم دفع الجزية (للخانات) وحكومتهم، وبقي (مشوقة) حاقدا على (خانات القرم) وحاول الانتقام منهم، إلا أنه قتل فيما بعد [٤].

بقي جيش القرم محتلا (بلاد القبرطاي) عدة سنوات وكانت الأموال تجبى منهم سنويا، واعتنق بعض السكان الدين الاسلامي، بينما رفض آخرون، (وظلوا يمارسون شعائر دينهم القديم خفية خوفا من اضطهاد الاتراك والتتر لهم)، فدامت الاحوال على هذه الوتيرة سنين عديدة.

ولم يطق القبارطاي الصبر أطول من هذه المدة، فعزموا على القيام بعمل ما، وكانت الزعامة آنذاك للأمير (كورغوقوه حاتوظوقوه) الذي كان يدير امور البلاد بوصفه أكبر الامراء سنا.

**وفي أحد الأيام كان (نائب خان القرم) حاكم بلاد القبرطاي المحتلة جالسا بين الاعشاب والمروج الخضراء (يدخن غليونه) ويتحدث إلى من كان حوله من أكابر القوم وامرائه، ومن بينهم الامير (كورغوقوه حاتوظوقه) نفسه واتى بأمر منكر فيه وقاحة ونذالة حيث اخذ (ينظف غليونه ويفرغ ما تبقى به من الرماد على رأس الامير كورغوقوه بطرقه فوق رأسه)، فاغتاط الامير من هذه الاهانة غيظا شديدا ولكنه كظم غيظه واحتفظ بهدوئه التام، ولم يقم بأي عمل في حينه وانصرف بعد أن ودعه.** وما أن وصل إلى بيته حتى جمع الامراء وعلية القوم من القبرطاي، وقص عليهم تصرف الحاكم القرمي، وابلغهم قراره الاخير، وهو ضرورة التخلص منه وجيشه في اقرب فرصة ممكنة مهما كلفهم الأمر. فوافقوه على رأيه واجمعوا على تنفيذ القرار الذي لا رجعة عنه.

وفي الليلة نفسها، اتفقوا على قيام كل شخص من سكان (القبرطاي) حين يخيم الظلام أن يقتل كل من يعثر عليه من الأتراك وأهل القرم أينما كان وحيثما وجد، وكل من يتخلف عن أداء واجبه الوطني يكون خائناً لقومه وملته الشركسية.

ولما خيم الظلام قام أهل القبرطاي قومة رجل واحد، واعملوا السيوف في رقاب الاتراك والتتار، وابادوهم عن آخرهم حتى لم يبق منهم أحد على قيد الحياة.(٥)

**وفي ١٧٢٠م**، هاجم خان القرم "سعادة كيراي" للانتقام من الاديغة على رأس جيش بلغ عدده أربعين ألف جندي، ومعهم مدافع كثيرة، للانتقام من القبرطاي على قتلهم رجالهم عام ١٧١٧ ولما كان السلام سائدا بين روسيا وتركيا، أصبح متعذرا على روسيا، كما ادعت السلطات الروسية آنذاك تقديم أي نوع من المساعدة لحلفائهم، والصحيح هو أن روسيا كانت تستفيد من هذه النزاعات المتواصلة بين القرم والقفقاس، (فالقرم) كان يضعف مع الوقت نظرا للخسائر الكبيرة في الأرواح، التي تكبدوها خلال هذا الصراع الطويل، المرير، (والاديغة) وصلوا إلى حد الانهاك وتقلص عدد سكانهم نتيجة للحروب المتواصلة والاوبئة، إلى أرقام متواضعة، بينما كانت الدولة الروسية تكبر وتتعاظم قوتها مع مرور الزمن.

هاجم جيش القرم، كعادتهم البلدات والقرى الشركسية الآمنة ممعنا فيها قتلا وتدميرا، وكان (الخان) قد أرسل رسالة تهديد ووعيد إلى أمراء إمارة قباردا، يدعوهم فيها إلى الخضوع والاستسلام له وإلا دمر بلادهم، ورد عليه امراء (قباردا) باحتقار، وأعلنوا أنهم عازمون على قتاله حتى آخر رجل، ولما تأكد للروس أن حلفاءهم بدأوا يتجمعون لمقاتلة جيش (الخان)، أرسل حاكم استراخان، بناء على أوامر صادرة من بطرس الأكبر، ثلاثة طوابير إلى (قباردا) لا يتعدى عدد أفرادها عن ثلاثمائة رجل من قوات "المليشيا الوطنية" وهم من المرتزقة، مع (أوامر صارمة بعدم الاشتراك في القتال) ولما انسحب الخان عائدا إلى بلاده،

ادعت السلطات الروسية أن الانسحاب ما كان ليتم لولا "الوقفة الحازمة" من جانب قوات القيصر العظيم. والحقيقة هي غير ذلك تماما، فقد كان القيصر يخطط سرا لغزو المناطق الواقعة على شواطئ بحر قزوين الغربية. وخاف أن يشترك أمراء القبرطاي مع إخوانهم في الشرق، في التصدي لجيوشه، مما قد يفشل الحملة من أولها، ولهذا سارع إلى إرسال قوة "رمزية" إلى (قباردا) حتى لا تفشل (خطته).

ودخل في اليوم نفسه معسكر (القبارطاي) رجل اسمه (جلالظ Chalalij) وهو من اصل (تتري) كان يعيش فيما مضى عند الامير (كورغوقوة)، واخبر الامير بنوايا (الخان) تفصيلا، وقال له إذا لم يقم جيشهم في هذه الليلة بالهجوم على (التتر) فإن جيوشهم سيقومون حتما بالهجوم في الليلة التالية أو التي بعدها.

فأمر الأمير (كورغوقوه) بجمع ما يقرب من ثلاثمئة (حمار) وحملها (قش) يابس، ولما خيم الظلام سار بجيشه وفي طليعته قافلة (الحمير)، ولما اقترب من معسكر العدو اضرم النيران في ذلك القش وأطلقوا عدة طلقات نارية لإرهاب (الحمير)، فأخذت تنهق بشدة وهاجت، ودخلت معسكر الاعداء وعلى ظهورها النيران المشتعلة فكانت مفاجأة كبيرة لامراء جيش خانات القرم. وخرجوا من خيامهم مذعورين فزعين وأخذوا يتراكضون في حلكة الظلام وهم في حالة ذهول وفزع شديدين، مما رأوا وسمعوا، واشتبك بعضهم ببعض في معركة ليلية دون ان يتمكنوا من التفريق بين العدو والصديق حتى الصباح. حيث فاجأهم قادة "القبردي" بما لديهم من قوة واعملوا فيهم السيوف وقتلوا واسروا العديد منهم وغنموا منهم غنائم كثيرة.

وأما قائدهم البدين (الغوت باشا Alegot) فقد سقط اثناء فراره وعلق جسمه بغصن شجرة ضخمة فاخترق الغصن بطنه، وبقي معلقا حتى لفظ أنفاسه الاخيرة.

**وفي عام ١٧٢٩**، قطع (الخان) البحر الاسود ودخل بلاد ما وراء الكوبان وأخذ ينشر الدين الاسلامي بقوة السيف والنار، وتمكن من ادخال بعض السكان في الدين الاسلامي، وأنشأ مساجد عديدة، وقلعة تسمى حتى الان (حاجي قلعة Hadji Kala) وما زالت آثار هذا البناء باقية حتى الآن، ويسمى موقع ذلك الآثار (حاجي تاكوى Haeji Tegoi).

ولما علم سكان (القبارطاي) باحتلال الخان لضفاف نهر الكوبان، احتاطوا للأمر وأرسلوا فورا نساءهم وأطفالهم وامتعتهم إلى الجبال والغابات، واستعدوا لملاقاة العدو في وادي (أوردا Urda).

ولما علم (الخان) من عيونه وأرصاده مدى استعداد (القبرطاي) وقوتهم، عدل عن خطته وغير طريقه وضرب معسكرا على جبل يسمى حتى اليوم باسم قائدهم (الغوت غوم Alegot gum) ومعناه (الغوت البدين) وحدثت معركة عنيفة فقد فيها خانات القرم العديد من أمرائهم وتمكن بعضهم من الفرار، وتعقب (القبرطاي) فلول جيوش القرم والأتراك المنهزمين وطاردوهم حتى ضفاف نهر (القوما) ثم التجأ فريق من الفارين إلى الحصن المسمى (حاجي قلعة) واحتمى به فكان النصر الكبير للقبرطاي.

ولما علم سلطان الأتراك بالكارثة التي حلت بجيوش القرم وبجيشه الذي أرسله إلى بلاد (القبارطاي) لمساعدة أهل القرم، ثارت ثائرته وأمر فورا بإرسال جيش آخر لاكتساح بلاد القبرطاي، وانضم إلى هذا الجيش عدد كبير من محاربي (القرم) وكثير من (التتر) كما التحق به بعض الخونة والمتشردين من سكان ما وراء الكوبان.

وفي هذه المرة اختار قادة القبارطاي نهر (كوندالن Cundalen) موقعا لمجابهة الغزاة، وضربوا فيه معسكرهم واحتاطوا واستعدوا لملاقاة العدو، فكان النصر في هذه المعركة ايضا حليف الشراكسة فشتتوهم واضطروهم إلى الفرار بعد

معركة حامية، وطاردوهم حتى ضفاف نهر الكوبان ثم رجعوا إلى اوطانهم مثقلين بالاموال والغنائم.

وبذلك انتهت سلسلة اعتداءات سكان القرم على بلاد القبرطاي، وكانت هذه الواقعة هي آخر عهد لهم مع امارة القبرطاي [٦].

* **وفي عام ١٧٣١**، أبدى السفير الروسي لدى القسطنطينية اعتراضه على غارات خانات (القرم) فطلبت من الحكومة التركية ضرورة قيام (الخان) سحب قواته، وردت على السفير الروسي (نيبيلوف) أن (الخان) قدم إلى (كاباردا) للاطلاع على أحوال الشعوب التي تخضع لسلطته، ولكن بعد مرور بعض الوقت أي في عام ١٧٣٢، وبعد ان انضم القرم إلى الدولة العثمانية، أعلن الوزير التركي (رئيس افندي) ان الحكومة التركية قد طلبت خطأ من الخان الانسحاب من (كاباردا)، وحصل ذلك نتيجة سوء فهم الموضوع، وأن (خان) القرم يملك الحق في إرسال قواته إلى (القبرطاي) لأن كلا من إمارة القبرطاي الكبرى والصغرى تعود تاريخيا إلى تبعية الخان، وأن روسيا حسب المعاهدات الموقعة معها لا تملك أي حقوق فيهما.

* **وفي عام ١٧٣٩**، وقع صلح (بلغراد) الذي أنهى الحرب بين روسيا وتركيا وبحسب نصوصه أصبح كلا من امارتي القبرطاي الكبرى والصغرى محايدتين وتعتبران منطقة عازلة بين الامبراطوريتين التركية والروسية. إلا أن هذا القرار جعل بلاد (القبرطاي) في مراحل لاحقة مصدر الخلاف بين روسيا من جهة وتركيا والقرم من جهة أخرى، حيث أصبحت بلاد (القبرطاي) بعد هذه المعاهدة عرضة لأطماع الدول والقوى الكبرى مثل الامبراطورية العثمانية واتباعها من خانات القرم والفرس اضافة إلى الاطماع المستمرة للامبراطورية القيصرية الروسية [٧].

بعد هذه الهزائم المتكررة لجيوش خانات القرم المدعومة بالعدد والعتاد من العثمانين، وبعد فشل المخططات السرية للسيطرة على بلاد الشركس عامة

والقبرطاي خاصة قام المسؤولون العثمانيون بتغيير سياستهم في التعامل مع الشراكسة، وعرضوا عليهم توقيع (معاهدة تعاون) وطلبوا من زعماء القبرطاي إرسال وفد من ممثلي الشعب وذهب الوفد برئاسة الامير (زاموقة محمد كري) عام ١٧٧٩ ووقع المعاهدة، وبموجبها اوفد العثمانيون (فروح علي باشا) إلى بلاد الشراكسة لإعداد جيش قوي إلا أنه حصر عمله في الدعوة لنشر الدين الإسلامي بين القبائل الشركسية، وتوفي بعد فترة قصيرة من وصوله لبلاد الشركس وارسلوا (احمد باشا) لقيادة الجيش المشترك والذي كان عسكريا عنيفا وقام بأعمال مغايرة لسلطته وقلب الأوضاع في القوقاز رأسا على عقب، لأن ما كان يهدف إليه من وراء أعماله العدوانية، التي قام بها ضد زعماء الشراكسة من اغتيال وقتل، لم يكن إلا مؤامرة قد انكشفت في وقت مبكر، فثارت البلاد ضده، وانتهى الأمر بطرد العثمانيين من البلاد ولجوئهم إلى قلاعهم الحصينة عند سواحل البحر الاسود.

* **وفي عام ١٧٨٣**، وبعد خروج العثمانيين من إمارة (خانية القرم) بدأت مرحلة جديدة من دور العثمانيين في البلاد وهو الدور الديني والسياسي أكثر منه دور عسكري قتالي ويتمثل هذا الدور في الأحداث والوقائع التالية:

* **وفي عام ١٧٩٠**، وصلت القوات التركية الشركسية إلى ضفاف نهر الكوبان الجنوبية، بينما كانت الجيوش الروسية على استعداد لرفع الاعلام البيضاء منذ لحظة بدء الهجوم المتوقع عليها. ولما طلب زعماء (الاديغة) من بطال باشا تقديم مدافعه إلى الضفة الشمالية، لهدم أسوار القلاع والحصون تمهيدا لاقتحامها، رفض (بطال باشا) قائلا: إن لديه أوامر مشددة تمنعه من اجتياز خط الحدود؟! عندها، سأله احد من الزعماء الشراكسة: "إن لم يكن لأجل مقاتلة الروس، فلماذا وجودك هنا، إذن؟" وأجاب (بطال): "تقبلون بي حاكما عاما على (قباردا) وتضعون قواتكم كلها تحت أمرتي، وبعد أن تصبحوا من رعايا سلطاننا المعظم، يمكن لكم التقدم

بطلب المساعدة منه". نظر زعماء (الاديغة) إلى وجوه بعضهم البعض ثم غادروا خيمته بصمت.

**وفي صباح اليوم التالي، توجه الزعماء الشراكسة إلى خيمة بطال ليبحثوا الأمر معه من جديد. فكانت خيمته فارغة، ثم جاء من يخبرهم ان النقود المخصصة للصرف على الجيش، قد اختفت ومنها (ثمانمائة كيس). عند ذلك انسحبت القوات (الاديغية) وهام الجنود الأتراك على وجوههم بعد أن رفض الأهالي الشراكسة الحانقين أن يستقبلوهم وأن يزودوهم بما يحتاجونه من طعام وشراب.**

وهكذا كانت خيانة (بطال باشا) وهروبه مع اكياس الذهب إلى موسكو.

* **وفي عام ١٧٩١**، وقّعت تركيا معاهدة مع روسيا تنص على: تعهد الأتراك استخدام كل نفوذهم وسلُطاتهم لمنع الشراكسة من مهاجمة المحطات الروسية العسكرية، إلا أن الشراكسة رفضوا الامتثال لضغوط الاتراك وواصلوا هجماتهم دفاعا عن (الأرض والعرض) ولرفع المعاناة عن قرى شركسية كانت من قبل القوات الروسية محاصرة:

* **وفي عام ١٧٩٨**، صدر عفو عام عن الخائن (بطال باشا) بطلب من روسيا وعاد إلى تركيا حرا طليقا بدلا من محاكمته على خيانته للشراكسة [١١].

* **وفي عام ١٧٩٩**، اعترض عثمان باشا والي (انابة) الجديد إلى الروس قائلا:

"كيف يحق للروس أن ينقلوا الشراكسة إلى الأراضي الروسية وهم بذلك يخالفون الاتفاق بين روسيا وتركيا، والتي بموجبها كان الشراكسة يعتبرون تحت حماية الباب العالي، وطالب عثمان باشا بإعادة هؤلاء الاديغة المبعدين بالقوة، وان هؤلاء المبعدين وعلى رأسهم أمير (البجدوغ) يافبوق بك، وقد ادعى الروس ان الشراكسة جاؤوا إليهم بمحض ارادتهم، وأصبحت هذه المسألة موضع محادثات ديبلوماسية بين روسيا وتركيا، ولعدم رغبة روسيا في الإساءة للعلاقات مع تركيا،

أصدرت مرسوما خاصا يوم ١٨٠٠/٢/٣ يأمر فيه القائد العسكري الروسي للبحر الأسود بعدم السماح للقوقازيين بدخول الأراضي الروسية بعد تلك المحادثات[١٠].

**(٢) أحداث ووقائع وحروب القرن الثامن عشر:**

عندما تعرض شراكسة الكوبان إلى هجوم كبير من القوات الروسية نتج عنها قتل (٢٠٠) وجرح (٣٠٠) وأسر (٥٠٠) من الاديغة، والاستيلاء على (١١٥٨) من الخراف و(٢٤٣٢) من الماعز، طلب الاديغة النجدة والمعونة العسكرية من السلطات التركية للانتقام من الروس المعتدين.

أجابهم (الباشا) أنه سيخرج بنفسه من (أنابه) على رأس (٤٠٠) جندي معهم ستة مدافع وبرفقته (١٥٠٠٠) مقاتل شركسي، هذه الانباء أقلقت السلطات الروسية في الكوبان وتم الاحتجاج لدى السفير الروسي في استانبول إلى الحكومة التركية والتي أصدرت مرسوما سلطانيا إلى والي (أنابة) يدعوه فيه إلى معاقبة المسؤولين الذين خرجوا لنجدة الشراكسة، وطلبت منه مراعاة مواد (معاهدة الصداقة) مع روسيا، إلا أن السلطات الروسية في الكوبان كانت تعرف أن والي (أنابه) ليس في استطاعته كبح جماح (الاديغة) بل إنه يخاف منهم. وعلى إثر ذلك جرت في منطقة الكوبان مباحثات بين السلطات التركية والسلطات الروسية لإيقاف خرق معاهدات السلام الموقعة من قبل الطرفين، وتم تعيين مندوبين عنهما للتباحث حول الاتهامات المتبادلة بين (القوزاق والاديغة)، وقام هؤلاء المندوبين بجولة على قرى (الاديغة) وحضروا الاجتماعات العامة للأمراء والنبلاء وبحثوا وقف الغارات من قبل الطرفين، أما الموضوع الاساسي ألا وهو ايقاف سفك الدماء بين (الاديغة والروس) فلم يتم بحثه.

وحاولت السلطات التركية التأثير على الشراكسة للامتناع عن الاغارة على الحصون والمحطات الروسية، إلا أنهم لم ينصاعوا للاتراك لعلمهم بأنهم غير صادقين وانهم يبحثون عن مصالهحم الخاصة لا عن مصالح الشراكسة.

* **وفي عام ١٨٠٩**، انعقدت بين العثمانيين والروس معاهدة (بخارست) وفي هذه المعاهدة كان القفقاس موضوع مساومة بين الفريقين المتعاقدين، إلا أن الشراكسة لم يهتموا لهذا الامر، فقرروا مواصلة الحرب مهما كانت الظروف.

* **وفي عام ١٨١٩**، نشطت الجاسوسية التركية في بلاد الشراكسة بهدف إثارتهم واقناعهم بالهجوم على القوات الروسية وخصوصا على مدينة (ترينادا) باعتبارها النقطة الرئيسية للاستيطان الروسي في منطقة البحر الأسود.

وقدمت الحكومة الروسية عبر السفير الروسي في (استانبول) اعتراضات على نشاط الاتراك الذين يخرقون شروط السلام، وطالبوا بمعاقبة المتورطين الذين يشجعون الشراكسة على الهجوم على خط القفقاس العسكري، إلا أن هذا الاحتجاج لم يحقق أية نتائج على الواقع، واستمرت الدعاية الموالية لتركيا في شركسيا.

وزاد نشاط العملاء الانكليز والاتراك بين (أديغة الكوبان) بعد انتهاء الحرب الروسية التركية لعامي ١٨٢٨ – ١٨٢٩ وانتشر في شركسيا عدد كبير من عملاء الاتراك والموالين لهم برئاسة: "سيد أحمد باشا" الذي كان يسمي نفسه "باشا الباب العالي" الذي حاول إفهام (الاديغة) بأن السلطان لم يتنازل عن أراضيهم لروسيا حسب معاهدة (أدريانوبولوس)، وعليهم ألا يخضعوا لسلطات الامبراطور الروسي.

وزادت المكائد التركية بين (الاديغة) في بداية عام ١٨٣٠، ففي أيار من ذلك العام كتب الجنرال "باسكيفيتش" إلى وزارة الحرب الروسية بأن هذه المكائد موجهة لكي تصبح عملية إخضاع الشعوب الشركسية عملية صعبة مستقبلا لإبقاء النفوذ التركي بين الاديغة قائما، وأن ضرر نتائج هذا الوضع للروس واضح للعيان، ولذلك يجب الطلب من الباب العالي اتخاذ اجراءات حازمة ضد "سيد أحمد باشا" ومعاونيه ودعت حكومة "نيقولا الأول" إلى اتخاذ إجراءات دبلوماسية مناسبة، وبدأت المحادثات بين الحكومتين التركية والروسية، وقام سفراء الباب العالي في

(بطروسبرغ) بنفي إرسال عملاء أتراك إلى القفقاس بعد توقيع معاهدة (أدريانوبولوس) وأكدوا أن هؤلاء العملاء موجودون من قبل الحرب، وقام السفير الروسي في (استانبول) بالطلب من الحكومة التركية بسحب عملائها فورا من القفقاس ودون أي إبطاء ودون أية تفسيرات، بعد هذا الاحتجاج قررت الحكومة التركية الاستجابة للشكاوى الروسية بإعلام "سيد أحمد باشا" ومعاونيه والعملاء الاتراك الآخرين في القفقاس بإيقاف تهييج السكان ضد السيطرة الروسية، ولكن بغض النظر عن القرار السلطاني فإن العملاء الاتراك ومعاونيهم بقوا في شركسيا واستمروا بنشاطهم المعادي للروس، مما دعا السلطات الروسية إلى إصدار تعليمات خاصة في تموز ١٨٣٠ إلى القادة الروس في القفقاس دعتهم فيها إلى معاملة كل الاتراك في القفقاس (كقطاع طرق عصاة) لحكومتهم ومهددين أمن الرعايا التابعين لروسيا!! وتم إعلام الباب العالي بهذه التعليمات مما دعا "سيد احمد باشا" ومعاونيه للمغادرة إلى (الأناضول)، وعند توديعه من النبلاء وكبار السن الشراكسة قال بأن السلطان ليست له بعد الآن أية سلطة عليهم، وقال لهم أيضاً وبالحرف الواحد: "**تخلصوا من الروس كما تشاؤون**".[١٤]

علما بأن العملاء الأتراك برئاسة سيد احمد باشا والذي سمى نفسه (باشا الباب العالي) كانوا يحاولون اقناع الشراكسة بأن السلطان لم يتنازل عن وطنهم لروسيا بعد معاهدة (أدرنة) وعليهم رفض خضوعهم للامبراطور الروسي [١٤].

**وفي عام ١٨٢١**، حاولت السلطات التركية اقناع (الاديغة) انشاء تعاون عسكري معهم وتم إرسال بعثة تركية رسمية إلى عمق الأراضي الشركسية، تألفت من خمسة موظفين كبار، كانت مهمتهم إعلام زعماء (الاديغة) بالتحضير للحرب ضد الروس، مع وعد بدعم أعمالهم بقوات تركية نظامية، بعد ذلك قام "سيد أحمد باشا" والي (أنابة) برحلة في بلاد الشراكسة استمرت أربعة أشهر، وإجابة عن سؤال من الجنرال "يرمولوف" قال الباشا "إن هدف الرحلة كانت لتهدئة المواطنين

الشراكسة" وفي هذا العام قامت السلطات التركية ايضا بتزويد زعماء الاديغة بالسلاح والذخيرة، فسلمتهم حوالي (١٦٠) كيلوغرام من البارود و (٢٤٠) كيلوغرام رصاص. [١٤]

**وفي عام ١٨٢٦**، حدثت ستة أحداث ووقائع ذات اهمية سياسية وهي: [١٧]

١- **أعلن عدد كبير من الشراكسة أنهم يرغبون بالعيش بسلام مع الروس** شريطة ان لا يقوم الروس بأية أعمال معادية، وكانت تركيا تفهم جيدا أن سلطتها على شراكسة الكوبان سلطة إسمية، وبدأت منذ ذلك العام باتخاذ إجراءات عملية لزيادة نفوذها في شركسيا محاولة جعل حصنها الوحيد والأخير في قفقاسيا، وكانت أول خطوة لتحقيق خطتها هي تعيين والي جديد في (أنابه) اسمه "حاج حسن" ويحمل رتبة (سر عسكر)، وجاء الوالي الجديد إلى (أنابه) من (طرابزون) واعطي صلاحيات واسعة.

بدأ الوالي الجديد أعماله بالتقرب من زعماء الشراكسة، وحسب مصادر المعلومات استطاع وخلال مدة قصيرة من استجلاب كل القبائل الشركسية إلى صفه بالهدايا الكبيرة والسخية فحسّن العلاقة مع زعمائهم.

٢- **وافق الشراكسة على التقيد بالقوانين التركية وتحكيم المحاكم الشرعية،** وإرسال رجال الدين الأتراك إلى القرى الجبلية الشركسية لنشر الدين الإسلامي، كما فرض ضريبة مقدارها عُشر المحاصيل الزراعية لصالح بيت المال.

٣- **عارض بعض الشراكسة السياسة التركية في الاجتماع العام** الذي عقده الشابسيغ والناتخواج عندما طلب "حسن باشا" البيعة للسلطان ودفع الضرائب لدعم حامية (أنابة)، ردوا عليه قائلين إنهم دخلوا الإسلام راغبين ولا يريدون الخضوع لأي أجنبي ولا يقبلون أن يقال إنه قد تم احتلال أراضيهم من قبل الاتراك.

٤- **وطد حسن باشا "علاقاته بالشراكسة بشكل شخصي**، بزواجه من فتاة شركسية، بعد وقت قليل من وصوله إلى (أنابه) وهي ابنة أحد أكبر اغنياء وزعماء الشراكسة واسمه "دولت مورزي نوغاي" الذي كان يعيش على بعد (٤٠) فرسخا من القلعة.

**إن سبب النجاح الكبير "لحسن باشا" في استمالة زعماء الشراكسة إلى صف تركيا – مع عدم نجاح سابقيه – يعود إلى معاملته لهم بود وصداقة كبيرين، وعدم قيامه بأية أعمال ظلم أو تعسف ضدهم.**

وكان بيت الباشا دائما مليئا بالشراكسة القادمين والمغادرين، وكان يقدم لهم هدايا وأشياء كثيرة، وذلك حسب مكانة كل شخص فيهم، وكانت تصل إليه صيفا سفينة مليئة بالأقمشة والمسدسات والبنادق والقامات وغيرها من الأسلحة التي يستخدمها الشراكسة، وكان (الباشا) يهدي لمن يشاء ما يريده وما يرغب به، وكان الشراكسة يتواجدون في (أنابه) بأعداد كبيرة ويستقبلهم بترحاب ويسمح لهم بالجلوس معه، ويقدم لهم الغلايين والقهوة ويتحاور معهم دون كلفة، وكان يتواجد في (أنابه) من الشراكسة القادمين يوميا أكثر من أهل المدينة نفسها.

٥- **قيام حسن باشا بعرقلة التجارة الروسية** ومنع التجار الروس من السفر إلى بلاد الشركس، وكذلك منع السفن الروسية من الرسو على شواطئ البحر الاسود، وبالرغم من اعتراض السفير الروسي في استانبول على هذه الإجراءات، استمرت السلطات التركية في عرقلة الأعمال التجارية للروس.

٦- **محاولة أستمالة فلاحي الاديغة** بإعطاء وعود لهم بتحريرهم من التبعية للأمراء والنبلاء، حيث بدأ هؤلاء الفلاحون بتقديم الولاء للسلطان، إلا أن هذا الاجراء أثار نبلاء (الأديغة) الموالين لتركيا، وكان رد فعلهم هو

تحسين علاقاتهم مع سلطات روسيا، مما أثار حفيظة السلطات التركية، وادعى (حسن باشا) بأن الباب العالي التركي ليست أن لديه نية لتحرير الفلاحين ووعدهم وضع قوات تركية تحت تصرف الامراء لإخضاع الفلاحين والعبيد[١٢].

* **وفي عام ١٨٢٧**، امتنع الشابسيغ عن الخضوع للسلطان التركي، وفي شهر أيار من نفس العام قاموا بقطع الطرق البرية الموصلة إلى (أنابه) ومنعوا إخوانهم الشراكسة من دفع ضريبة (العُشر) إلى والي (أنابه) وفي شهر تشرين الأول دعا الأبزاخ إلى اجتماع عام كبير حيث أعلن المجتمعون رفضهم للتبعية التركية ودفع الضرائب لهم.
* **وفي عامي ١٨٢٨ – ١٨٢٩**، وقعت حرب بين الروس والاتراك حيث قاتلت وحدات من (الاديغة) إلى جانب الاتراك بقيادة الأمراء "بشيقوي، سايتوغ، نودوق، تيمريوق"، وكان أمير الناتخواج "صفر بك" مستشارا لباشا (أنابه) وبعد سقوط (أنابه) في أيدي الروس في ١٨٢٨/٦/١٢ تراجعت وحدات الشركس وانسحبت إلى قراهم.

وخلال الحرب الروسية التركية قام الجانبان بكل ما يمكن لجلب ولاء فلاحي (الاديغة) إلى جانبه وقام في بداية الحرب قائد قوات خط الكوبان والبحر الأسود الجنرال "ايمانويل بمخاطبة "الأديغة" قائلا: إنني أعلن لكل اتباع الأمراء الذين يقاتلون ضد الأتراك معنا، بأنني سأكون حاميا لهم إذا وصلت القوات الروسية إلى خط القفقاس، أما أمراؤهم المتعاونون مع الأتراك فستتم ملاحقتهم والقضاء عليهم بدون رحمة، بهذه الطريقة دق الروس أسفينا في أحرج نقطة لدى كبار (الاديغة) الموالين للأتراك، حيث بادر بعض زعماء الأديغة بالإعلان عن ولائهم للروس.

انتهت الحروب الروسية التركية بتوقيع معاهدة (أدريانوبولوس) والمعروفة في عام (١٨٢٨/ ١٨٢٩)، وفيها تخلت الحكومة التركية عن كل إدعاء لها في أراضي (الاديغة) فيما وراء الكوبان واعترفت بأن هذه الأراضي هي من الأملاك الابدية للامبراطورية الروسية.

إلا أن (الاديغة) لم يعترفوا بهذا الاتفاق الذي لم يشاركوا فيه، واعتبروا أن بلاد (شركسيا) كانت دائما مستقلة، وقال أحد أمرائهم "إن شعب الأديغة الذي قاوم على مدى مئات السنين للحفاظ على حريته واستقلاله ضد خانات القرم وإغراءات الاتراك لم يرغب أيضا في الوقوع تحت سطوة الاستعمار الروسي"، وعندما طلب الجنرالات الروس من الاديغة بعد توقيع تلك المعاهدة الخضوع لروسيا، أجابهم الاديغة بأنهم كانوا هم وأسلافهم دائما مستقلين وأن السلطان لم يكن يملكهم كي يعطيهم لغيره الان، وعندما حاول احد الضباط الروس اقناع الاديغة بأن السلطان أهدى الاديغة للروس اجابه مشيرا إلى (طائر يطير) **في السماء قائلا: اهديك هذا الطائر فخذه.** (١٣)

* **في عام ١٨٣٠**، قام الاتراك والانجليز بمواصلة تهريب السلاح والذخيرة إلى شركسيا، مقابل حصولهم على المنتوجات الزراعية وان حجم وعدد السفن التجارية التي وصلت شواطئ البحر الاسود في منطقة الاديغة كانت حوالي ٢٠٠ سفينة انجليزية وتركية.

* **وفي عام ١٨٣١**، قامت الخارجية الروسية بإعلام كافة السفارات الاجنبية في (استانبول) ان السفن الحربية الروسية ستتخذ أقصى الإجراءات لمنع التهريب. وسمح للسفن الاجنبية الدخول فقط إلى الموانئ المحددة من ناحية مناطق الحجر الصحي والجمارك في (انابة) وحدد منطقة محرمة إلى مسافة (٢٠) ميل بحري.

* **في عام ١٨٣٢**، أصدرت الحكومة الروسية تعليمات جديدة إلى سفنها الحربية في اسطول البحر الاسود بإغراق كل سفينة تقوم (بأعمال التهريب) مع كامل حمولتها وطاقمها.

* **وفي عام ١٨٣٨**، وقعت روسيا مع الاتراك اتفاقية (انكيار – ايسكيليسكي) والتي زادت من القوة العسكرية، والتجارة الروسية في البحر الاسود حيث تسببت هذه المعاهدات بسوء العلاقات بين روسيا والقوى الاوروبية أكثر، وكان رد الفعل الكبير من جانب انكلترا مثلا حيث رفض الاعتراف بنتائج معاهدة (اديريانوبولوس) التي نصت على انتقال ملكية ساحل القفقاس على البحر الاسود إلى روسيا، وبدأ بذلك تنازع صراع حاد وطويل بين روسيا وانكلترا حول ملكية ساحل القفقاس.

وبموجب هذه الاتفاقية لم يعد للأتراك أي نشاط عسكري أو حتى سياسي وديني في بلاد الشراكسة لأكثر من (٢٠) سنة، حيث يجد الدارس للوثائق التركية بأن الاتراك جمدوا نشاطهم التعاوني مع الشراكسة خلال الفترة من ١٨٣٨ إلى ١٨٥٣، علما بأن هذه الفترة كانت اكثر فترات الحرب ابادة وتدميراً ووحشية ضد الشراكسة، حيث وصلت الاحداث والوقائع والحروب التي نفذتها القوات الروسية خلال هذه الفترة إلى أكثر من (١٢٠) معركة وهجوم منها (٨٠) معركة ما بين اعوام ١٨٤١-١٨٤٦.

وابتداء من عام ١٨٥٣ جدد الاتراك نشاطهم الحربي ضمن خطة حرب الحلف الثلاثي (التركي الانجليزي الفرنسي) وهي الحلف الذي أعلن الحرب على روسيا القيصرية تحت اسم (حرب القرم) وهي الحرب التي لم يحقق فيها الاتراك أي نصر في اية معركة أو هجوم، والوثائق التركية العثمانية تشير بأن الاتراك شاركوا في (٤) معارك ضمن حرب القرم وهي على النحو التالي:

- **المعركتين الاولى والثانية:** خسرت القوات التركية معركتي (اخالتسيخوم – وباش كاديكلاد) حيث انتصر الروس على الاتراك في المعركة الاولى يوم ١٨٥٣/١١/٢٦ وفي المعركة الثانية يوم ١٨٥٣/١٢/١.
- **المعركة الثالثة:** حاولت القوات التركية إنزال قوة تركية على شاطئ القفقاس في ١٨٥٤/١١/٣٠ وقامت القوة البحرية الروسية بقيادة "ناخيموف" بتدمير قوة الإنزال التركية في مرفئها في خليج (سينوب) وكانت القوة التركية مؤلفة من (١٤) سفينة، تهدف إلى احتلال (صوخوم) والاتصال مع الشراكسة في الداخل ولم تتمكن من تحقيق هدفها.

وبعد معركة (سينوب) وهزيمة الجيش التركي فيها، تعقد الوضع الدولي اكثر من الأول، وأصبح احتمال دخول اساطيل الحلفاء إلى البحر الاسود، وامكانية دخول إيران الحرب إلى جانب الحلفاء، احتمالا كبيرا، مما زاد من اهتمام الحكومة الروسية في مسرح الأعمال القتالية في القفقاس.

- **المعركة الرابعة:** في عام ١٨٥٥ وقعت اكثر من معركة بين القوات التركية المشاركة في الحلف الثلاثي ضمن خطط حرب القرم ومن اهمها:
- قيام القوات التركية يوم ١٨٥٥/٩/٢٣ بمهاجمة (مينغيليا) و (غوريا) والطلب من "صفر بيك" الهجوم من اتجاه (شركسيا) وارسل (مصطفى باشا) إلى شركسيا عميله "حاج اسماعيل" الذي دار على القرى الشركسية محرضا الهجوم على روسيا، إلا ان الكتلة الاكبر من الاديغة كانت سلبية تجاه هذه الدعوة. وفي نفس الوقت قامت القيادة الروسية وراء القفقاس بحشد حوالي (٤٠٠٠٠) جندي وبدأت بالأعمال القتالية ضد القوات التركية حيث قرر قائد الفيلق الروسي في القفقاس الجنرال "مورافييف" توجيه ضربة رئيسية إلى قلعة (قارص) التي كانت مفتاحا للحدود الاسيوية مع تركيا، في حزيران ١٨٥٥ حاصر الروس (قارص) واستسلمت يوم

١٨٥٥/١١/١٦ كما انتصر الجنرال "مورافيف" على الاتراك في موقع (بيازيد).

- وفي صيف عام ١٨٥٥ كان "مصطفى باشا" و "صفر بيك" موجودين في (أنابه) على رأس قوة تركية صغيرة، وحاولا تحريض (الاديغة) على الانضمام لهما لمحاربة روسيا **إلا ان الاديغة لم يرغبوا حتى بسماع اسم الانكليز والفرنسيين والاتراك وأمرت الحكومة التركية "صفر بيك" أن يساعد بكل قوته في تشكيل الفيلق، إلا أنه لم يستطع اقناع الاديغة بالقتال من أجل مصالح تركيا والقوى الغربية، وحتى بعض الزعماء الموالين لتركيا كانوا يشكون بجدية الحلفاء في حرب القرم ضد روسيا.**
- في ايلول من عام ١٨٥٥ اقام القائد العام التركي "عمر باشا" علاقات وثيقة مع "محمد أمين" نائب الشيخ شامل في منطقة الكوبان غرب القفقاس وسماه قائدا عاما لكل القوات الشركسية في غرب القفقاس ومنحه (لقب الباشوية ورتبة فريق) كما منح "عمر باشا" للشيخ "شامل" رتبة مشير (مارشال) في الجيش التركي، وكان على الرجلين وكعلامة خضوع للسلطان أن يهاجما مع قواتهما للالتقاء بجيش "عمر باشا" فيما وراء القفقاس، ولم يتم الهجوم لفشل (محمد امين) جمع المقاتلين الذين وعد الاتراك بهم والذين كان يفترض ان يتكون من (٢٠٠٠٠) من مليشيات و(٢٠٠٠٠) أخرى من الفرسان الشراكسة والذي حدث هو العكس حيث أن الاديغة قاوموا (محمد امين) بشدة ورفضوا القتال معه وطلبوا منه تركهم وشأنهم بسلام [١٥].

في ايار ١٨٥٦ دعى "صفر بيك" إلى اجتماع كبير في بلاد (الناتخواج) على ضفاف نهر (آزبيس)، وخطب في الاجتماع مندوبون عائدون من (استانبول) ودعوا المجتمعين إلى طلب حماية السلطان والتبعية له، وأعلن المندوبون أنهم قابلوا السلطان مرتين، في المرة الاولى قال لهم إنه لا أحد يستطيع مساعدتهم، وأنه حسب

معاهدة باريس فإن الشراكسة هم مواطنون تابعون للقيصر، إلا أنه في اللقاء الثاني وعد السلطان بحماية الشراكسة إذا اقسموا يمين الولاء لـــه وأن الـــسفن الحربيـــة التركية والانكليزية والفرنسية ستحميهم ولن تسمح لأحد بالاعتداء عليهم. (١٦)

وفي عام ١٨٥٦ عقد مؤتمر سلام في باريس بين روسيا القيصرية وبـــين الحلف الثلاثي (التركي الفرنسي الانجليزي) وكان الاتراك العثمانيون هم الخاسرون من الحلفاء الثلاثة حيث تقرر في هذا المؤتمر قرارات لم تكن في صالح الـــسلطان العثماني وأهم هذه القرارات هي:

**القرار الاول:** ويتعلق بإعلان الحماية الجماعية من قبل الدول الاوروبية (للنصارى) المقيمين في الدولة العثمانية، وكان هذا الإعلان بداية للتخطـــيط لمعـــاداة الدولـــة العثمانية.

**القرار الثاني:** وفيه اعترفت تركيا رسميا بأنه ليست لها أيـــة حقـــوق فـــي بـــلاد تشركسيا، وأن القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة هـــي مـــن أمـــلاك روســـيا القيصرية.

وعندما حاول مندوب انجلترا في المؤتمر اثارة موضوع استقلال تشركسيا، تصدى له المندوب التركي قائلا: "ليس لنا حق مناقشة هذا الموضوع لأن تشركسيا تابعة لروسيا منذ معاهدة ادرنة" (١٧).

**القرار الثالث:** وهو القرار الذي اتفق عليه سرا جميع المشاركين في المؤتمر (ولـــم يكتب ضمن القرارات المعلنة) وينص على قبول استقبال الشراكسة المطرودين من وطنهم الأم. وإسكانهم في مختلف ولايات الدولة العثمانية، وصدر بموجـــب هـــذا الاتفاق في عام ١٨٥٧ القانون العثماني الخاص بالمهجرين قسرا مـــن القوقـــازيين عامة والشراكسة خاصة (١٨).

**(٣) حقائق حول المواقف التآمرية للسلطات العثمانية التركية على الشراكسة في الوطن الأم .**

نستنتج من تحليل الوقائع والأحداث التاريخية سابقة الذكر مدى خطورة الادوار السلبية والمواقف التآمرية للدولة العثمانية التركية وأمراء خانية القرم، الذين استخدمهم الاتراك لتحقيق سياستهم التآمرية في بلاد الشراكسة.

نستنتج بأن العثمانيين لم يكونوا صادقين في تعاملهم مع الشراكسة عامة والشراكسة (القبرطاي) خاصة، وأن سياستهم المعلنة لإنقاذ بلاد الشركس من سيطرة (الجاوور) ومعناها (الكفار الروس) كانت للتمويه والتضليل، وأنهم تآمروا على الشراكسة اكثر من مرة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر المبين ذكرها على النحو التالي:

**التآمر الأول** كان عام (١٨٣٨) حيث تنازلوا عن بلاد تشركسيا دون أن يكون لهم أي حق قانوني بها لأن بلاد الشركس لم تكن تابعة لهم يوما من الايام.

**والتآمر الثاني** وكان عند توقيع معاهدة باريس عام (١٨٥٦) بين ممثلي روسيا وكل من العثمانيين والانجليز والفرنسيين الذين سبق أن تحالفوا ضد روسيا في حرب القرم من طرف آخر، وتمثلت هذه المؤامرة برفض طرح قضية استقلال تشركسيا على جدول أعمال الجلسة الاخيرة للمؤتمر المذكور بالرغم من طرح مندوب انجلترا (ماليسوري) موضوع انسحاب القوات الروسية من قفقاسيا، وكان رد مندوب الدولة العثمانية بأنه لا توجد أية قضية تتعلق بالقفقاس لطرحها في هذا الاجتماع[١٩].

**وأما التآمر الثالث،** والذي كشف حقيقة نوايا وسياسة العثمانيين العدائية والتآمرية ضد القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، هو الاتفاق سرا مع قياصرة روسيا على تهجيرهم إلى الدولة العثمانية، واصدار قانون التهجير في العام الثاني من معاهدة باريس وبالتحديد في ٩/اذار/١٨٥٧ متضمنا اغراءات كاذبة وغير صحيحة لإقناع

الشراكسة بأن الدولة العثمانية لا تهدف من الهجرة لانقاذ الشراكسة من الهلاك والدمار.

وللوقوف على حقيقة السياسة العثمانية، والكشف عن نواياهم التآمرية ومواقفهم المخزية، وخيانتهم المكشوفة للقضية القفقاسية عامة والشركسية منها خاصة، كان لا بد من سرد بعض الحقائق التاريخية والتي تم استنتاجها من العرض التحليلي للسجل التاريخي للوقائع والاحداث والحروب التي نفذها خانات القرم بدعم من سلاطين العثمانيين من جهة، وكذلك من خلال الدسائس والمؤامرات التي نفذها العملاء والولاة الاتراك الذين خدعوا الأمة الشركسية في الوطن الأم لأكثر من مائة عام ومنها الحقائق التالية:

**الحقيقة الاولى:**

تعامل العثمانيون مع الشعوب القوقازية عامة والشركسية منها خاصة، بأنهم من تابعي الدولة العثمانية، انطلاقا من اعتقادهم بأن كل بلدة أهلها مسلمون، تكون تابعة للدولة العثمانية ومن ممتلكاتها حكما، وانه ليس للمسلم قومية خاصة به فإسلاميته وحدها كافية لاعتبارها من أتباع أمير المؤمنين (العثماني)، ولذلك ادعوا بأن (الشراكسة) من أتباعهم دون أن يكون لهم اية سلطة او سيادة شرعية عليهم.

**الحقيقة الثانية:**

لم يفكر المسؤولون في الدولة العثمانية، ولو ليوم واحد بقضية استقلال شمال القفقاس، بل العكس فإنهم كانوا يريدون أن تظل تحت سيطرتهم، وهم الذين دفعوا (بطال باشا) لعدم إنزال الضربة القاضية بالقوات الروسية عندما اوشكت القوات الشركسية من الانتصار على الروس، وانه لولا خيانة (بطال باشا) وايقاف الزعماء الشراكسة من متابعة قتالهم لفلول الجيش الروسي على الضفة الشمالية لنهر (الكوبان) لخرجت جميع القوات الروسية من حدود بلاد شمال القفقاس،

ولاستطاعت الاتصال مع القوات الشركسية في المنطقة الشرقية، وساعدتها على القضاء على الجيش الروسي هناك وتحرير جميع بلاد الشراكسة في شمال القفقاس.

والدليل على ذلك أن (بطال باشا) لم يأمر بإيقاف الحرب وحده، وإنما كان ينفذ اوامر السلطات التركية وان صدور عفو عام عن هذا القائد التركي الخائن في عام (١٧٩٨) بطلب من روسيا وعودته إلى تركيا للعيش فيها حرا طليقا بدلا من معاقبته على إيقاف المعركة التي كان الشراكسة منتصرين فيها هو اكبر دليل على تآمر السلطات التركية على الأمة الشركسية.

**الحقيقة الثالثة:**

لم يتعاون العثمانيون مع (الشيخ شامل) أو مع نائبه الإمام (محمد أمين)، كما أنهم لم يثقوا بهما بل العكس فقد كانوا متخوفين ومرتابين منهما واعتبارهما منافسين لهم في حكم بلاد القفقاس عامة وبلاد الشركس خاصة، ويتضح هذا التخوف من قيام العثمانيين بتعيين (سفر باشا) واليا وحاكما عاما وقائدا للجيوش القوقازية المقاتلة بدلا من التعاون مع الشيخ شامل أو نائبه الشيخ محمد أمين الذي قدم لبلاد الشركس (الاديغة) نائبا عن الامام شامل في عام ١٨٤٩ والتف حوله عشرات الالاف من شعبها الذين اعتنقوا الديانة الاسلامية[٢٧].

**الحقيقة الرابعة:**

تبين من مراجعة الوثائق العثمانية المتعلقة بعلاقات العثمانيين بالشراكسة في القرن الثامن عشر الميلادي بأن العثمانيين لم يكن لهم إلا بعض النفوذ في بعض الانحاء من القوقاز، كالمدن الساحلية الواقعة على البحر الاسود مثل (انابا) (وصوجاق) وغيرهما وان نفوذهم الفعلي كان يقتصر على القلاع والحصون التي يسكنون فيها فقط.

كما تبين بوضوح أن الاتراك لم يسيطروا فعلا على بلاد الشراكسة، كما أنهم لم يعرفوا شيئا عن أحوالهم وحروبهم الطويلة التي جرت في بلادهم البعيدة كل

البعد عن نفوذهم وسلطانهم، وأن بعض حكام وباشاوات العثمانيين حاولوا التغلغل بين سكان وحكام الشراكسة لكسب ودهم توطئة لإخضاعهم في المستقبل، وكل ما استطاعوه هو استمالة بعض الاسر القاطنة في (صخوم قلعة) وجوارها، وادخالهم الدين الاسلامي.

**الحقيقة الخامسة**

لم يفكر العثمانيون بصورة جدية في تجهيز الشعوب الجركسية وإعدادهم للحرب، فبدلا من تجنيد رجالهم المستعدين للحرب وإمدادهم بالأسلحة والمعدات الضرورية، كانوا يتآمرون سرا على القوقازيين عامة والشراكسة خاصة بالتحالف سرا مرة وعلنا تارة أخرى مع (خانات القرم) لمهاجمة بلاد الشركس، واحتلالها لمنع الروس من التقدم نحو الجنوب، خاصة وأن قوتهم قد ازدادت خلال القرنين الاخيرين **حيث كان هدفهم البعيد هو القيام باحتلال القفقاس والوصول إلى تركستان، والاتصال مع أتراك آسيا وإنشاء امبراطورية كبيرة في العالم، وتحقيقا لهذه الأهداف دعم العثمانيون خانات القرم في حربهم ضد شراكسة القبرطاي لأكثر من قرن كامل.**

**الحقيقة السادسة:**

وقعت الدولة العثمانية خلال الفترة من عام (١٧٣٩) وحتى عام (١٨٥٧) ست اتفاقيات ومعاهدات مع روسيا القيصرية، أو الانجليز، أو الفرنسيين او الشراكسة، وتشير الوثائق العثمانية والروسية بأن جميع هذه المعاهدات او الاتفاقات كانت تتضمن فقرة او اكثر عن (القوقازيين) عامة (والشراكسة) خاصة.

**وفيما يلي ملخص موجز عن كل من هذه المعاهدات او الاتفاقات الستة بحسب تسلسل سنوات توقيعها وهي على النحو التالي:**

**الاولى: في عام (١٧٣٩) وهي اتفاقية بلغراد،** ووقعت بين الروس والعثمانيين بعد المعارك الدامية التي جرت في منطقة البلقان شاركت فيها قوات بلغاريا، ورومانية

وروسية ضد العثمانيين، وكان من بنودها الاعتراف الروسي باستقلال شراكسة (القبرطاي) إلا أنها لم تنفذ من قبل القيصر إيفان الثالث الذي كان يعتبر نفسه الحاكم الوارث للشراكسة [٢١].

**الثانية: في عام (١٧٧٤) وقعت بين الروس والعثمانيين اتفاقية (قينارجه الصغرى)**، خرجت بموجبها بلاد القرم من سيطرة الدولة العثمانية [٢٢].

**الثالثة: في عام ١٨٢٨ وكانت من أخطر المعاهدات بالنسبة لقضية استقلال بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة بشكل خاص، وهي معاهدة (ادرنه)** والمعروفة باسم معاهدة (أدريا نوبولوس) والتي وقعت بين الروس والعثمانيين، تنازل العثمانيون بموجبها عن القفقاس إلى الروس نهائيا علما بأنه لم يمتلكها في يوم من الايام العثمانيون أو الروس، وأصبح بموجبها الحق للروس (امام العالم) التدخل في شؤون شعوب القفقاس [٢٠].

ورد عليهم الشراكسة في بيان مجلس الشعب الشركسي عام (١٨٣٩) ووجه إلى مختلف (دول العالم) تضمن بطلان معاهدة (ادرنة) وعدم قانونيتها، كما تضمنت تفاصيل الاعتداءات الروسية وسميت بوثيقة (الاستقلال) [٢٠].

**والرابعة: في عام (١٨٥٦) وهي معاهدة باريس**، الموقعة بين العثمانيين والانجليز والفرنسيين من جهة والروس من جهة ثانية، بعد ايقاف الحرب بين الروس والدول الثلاثة المتحالفة، لتضارب أهداف ومخططات كل دولة من الدول الثلاثة، وتنازل فيه الإنجليز عن المطالبة باستقلال بلاد تشركسيا [٢٤].

**الخامسة:** في عام (١٨٥٧) وهي الاتفاقية السرية التي وقعت بين العثمانيين والقيصر الروسي، صدر بموجبها القانون العثماني المتعلق بتهجير القوقازيين عامة والشراكسة خاصة إلى الولايات العثمانية التركية، وهو القانون الذي ضلل الشراكسة وأقنعهم على قبول التهجير (مرحليا) حيث صدر بعده من الشيوخ الاتراك افتاءات دينية مغرضة منها:

- **لا يمكن العيش والبقاء في بلد كافر، وتحت إدارة الكفرة، لذا وجبت الهجرة إلى البلاد الاسلامية أو الموت.**
- **الهجرة قدركم ومكتوبة عليكم، فلا مناص إلا إطاعة أمر الخالق.**
- **الهجرة موجودة في الاسلام، فلقد هاجر اتباع (محمد) صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة كما هاجر (محمد) صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.**
- **سنذهب إلى البلاد الإسلامية فقط ومن ثم نستعد ونعود لتحرير الوطن.**
- **من يموت في غير الديار الاسلامية يذهب إلى جهنم، ومن يريد الجنة يجب أن يموت في ديار الخلافة الاسلامية.**
- **ما أوله بلاد الشام أخره بلاد الشام.**

نستنتج من تحليل الاتفاقات او المعاهدات سابقة الذكر بأن اخطرها واكثرها ضررا للقوقازيين عامة والشراكسة خاصة هي الاتفاقيات الثلاث التالية:

- **اتفاقية ادرنة عام ١٨٢٨.**
- **اتفاقية باريس عام ١٨٥٦.**
- **الاتفاقية السرية المتعلقة بإجراءات تهجير الشراكسة إلى الولايات العثمانية.**

فبالنسبة لاتفاقية (أدرنة) كان رد فعل الشراكسة على هذه الاتفاقية عنيفة جدا، وعقدوا على إثرها اجتماعا شعبيا عاما قرروا فيه عدم الاعتراف بعمل السلطان العثماني ومقاومة اعمال الروس العدوانية بكل ما لديهم من قوة، وارسال وفد إلى الآستانة للاحتجاج على عمل السلطان والطلب منه ان ينقض المعاهدة التي قطعها للروس، والغاء تنازله عن بلاد الجركس لأعدائهم الروس، وفي نهاية الاجتماع تم تشكيل وفد شعبي وانتخب رئيس له الأمير (سفر زانوقة) الذي كان بصفته من مواليد (آنابا) ويتقن اللغة التركية، وسبق له أن قدم خدمات كثيرة للأتراك أثناء سيطرتهم على تلك المدينة.

وسافر الوفد إلى استانبول وقابلوا بعض الدبلوماسيين العثمانيين الذين حاولوا اقناع الوفد، بأن تنازل السلطان عن بلادهم للروس لم يكن نتيجة ضعف من الدولة العثمانية، بل كان جراء (عدم إطاعة الجركس للسلطان)، وعدم دخولهم في الدين الاسلامي بالسرعة الممكنة، وأنه ما زالت هناك فرصة أخرى لينالوا رضا السلطان، وهي ان يستمروا في كفاحهم ضد الروس، ويعتنقوا الدين الاسلامي، ويكونوا من أتباع أمير المؤمنين الحقيقيين. فإن لم يفعلوا ذلك فلن يهتم السلطان بأمرهم، لأنه لا يهمه في كثير أو قليل ان تكون أمة غير مؤمنة مثلهم، وغير طائعة لأوامره في أيدي الروس، أو تحت نير أية دولة أخرى. وأما اذا اصبحوا من المؤمنين ومن اتباعه، فسوف يهتم بأمرهم ويرضى عنهم كل الرضا، ولن يدخر جهداً لمساعدتهم وتخليصهم من سلطة الكفار الروس.

واكرموا الوفد ووزعوا عليهم هدايا السلطان وهباته، ثم تقدم احد (الباشوات) الاتراك وتعهد بإرسال المدافع والذخيرة وبتزويد الشراكسة بالاسلحة واللوازم الحربية الأخرى.

رجع الوفد إلى البلاد، وعرض على الأمة الشركسية نتائج مباحثاتهم وأعمالهم في (استانبول) في مؤتمر شعبي عام عقد خصيصا لهذه الغاية وقبل الشعب كل ما قاله الوفد **عدا الخضوع للسلطان والاعتراف بسيادته وقرروا رفض الاتفاقية كما رفضوا الخضوع لروسيا ايضا.**

وبعد فترة قصيرة من الاستعداد وحسب معاهدة (ادرنة) تحركت روسيا للسيطرة على القفقاس ولكن الشراكسة في كل مكان بدأت مقاومتهم لهذه العملية. **ففي القسم الغربي من القفقاس تحرك** (مجلس الشعب) الذي يضم الابزاخ والشابسوغ والوبيخ والقبائل الاديغية الأخرى، وبنفس الوقت تحركت مناطق الداغستان والشيشان في القسم الشرقي بزعامة (الشيخ شامل).

وقد حاولت روسيا فسخ مجلس الشعب في القسم الغربي من خلال اغـراء الزعماء وارسال الهدايا لهم، ومحاولة عقد الصلح معهم بشكل منفرد.

**وبالنسبة لاتفاقية (باريس)** فإنها كانت اخطر معاهـدة تتعلـق بالقـضية القوقازية، وانها كانت الشاهد على ضياع بلاد بأكملها وتشتيت شـعوب برمتهـا، وبموجب هذه الاتفاقية اخذت كل من روسيا القيصرية والدولة العثمانيـة الـضوء الاخضر لإنهاء حرب (الابادة) بشهادة الانجليز والفرنسيين، ففي هذه المعاهدة التي وقعت في باريس يوم ١٥ شباط عام (١٨٥٦) بين روسيا مـن جهـة والأتـراك والانجليز والفرنسيين من جهة أخرى، ولا تكمن خطورة هذه الاتفاقية في بنودهـا الخمسة عشر وإنما بإلغاء البند المتعلق باستقلال تشركسيا من جدول الاعمال بعـد أن طرح مندوب انجلترا موضوع انسحاب القوات الروسية مـن القفقـاس حيـث استخدم المندوب الروسي حق النقض (فيتو) وبتأييد من مندوب الدولة العثمانية الذي اقر بعدم وجود أية قضية تتعلق بالقفقاس يمكن بحثها في هذا الاجتماع.[٢٤]

وعندما عاد مندوب الحكومة الانجليزية في تلك المعاهدة إلى لندن، بحـث البرلمان الانجليزي بنود المعاهدة، وكذلك الاسباب التي دفعتهم إلى تـرك قفقاسـيا لقمة سائغة لروسيا، فما كان من المندوب الانجليزي إلا أنه أجاب بجملة واحدة هي:

(لا يمكن أن نصبح مسلمين أكثر من المسلمين أنفسهم)، (ويقـصد بـذلك تركيا المسلمة التي رفض مندوبها مناقشة مسألة استقلال تشركسيا) [٢٥].

**وكذلك فإن الاتفاقية السرية بين روسيا والعثمانيين** وتم فيها الاتفاق بين كل مـن السياسيين الروس والعثمانيين لإنهاء (القضية القفقاسية) بالتخطيط لتهجير الـشعوب القفقاسية عامة والشركسية منها خاصة، بإصدار قانون اسـكان المهـاجرين عـام (١٨٥٧) وهو القانون الذي نصت مواده من (٤-٦) على التعهدات التالية:

١) منح المهاجرين إلى ولايات الدولة العثمانية عنها مدة (١٢) سنة اعفاء من الخدمة العسكرية الاجبارية ومدة (٦) سنوات اعفاء للمهاجرين إلى دول البلقان.
٢) اعفاء جميع المهاجرين من الضرائب على الدخل.
٣) توزيع اراضي على كل عائلة من العائلات المهجرة في مناطق اسكانهم المختلفة.

**إلا أن العثمانيين لم يتقيدوا بشرط الاعفاء من الخدمة الاجبارية، حيث تم الحاق (١٨) الف من الشباب الشركسي بالخدمة الاجبارية فور وصولهم إلى منطقة البلقان** [٢٦].

## مراجع ومصادر الفصل الاول من الجزء الرابع في المجلد الثالث

١- مظلة الامم، المستهدف، ص: ٢٠-٢١.
٢- وثائق الخارجية بالدولة العثمانية في القرن السادس عشر.
٣- برزج ، نهاد، مصدر سابق، ص: ٣١.
٤- نغموقة، مصدر سابق، ص: ١٤٩-١٥٣.
٥- المصدر نفسه، ص: ١٥٤-١٥٥.
٦- المصدر نفسه، ص: ١٥٧-١٥٨.
٧- أبه زاو، مصدر سابق، ص: ٢٣٥-٢٣٦.
٨- المفتي، شوكت، اباطرة وابطال، مصدر سابق، ص: ١٧٠.
٩- قاسوم، علي حسن، ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص:٣١-٣٢.
١٠- المصدر نفسه، ص: ٣٣.
١١- برزج، نهاد، مصدر سابق، ص٦١.
١٢- قاسوم، حسن، مصدر سابق، ص٤٠-٤١.
١٣- المصدر نفسه، ص٤٥-٤٦.
١٤- المصدر نفسه، ص: ٤٩-٥٠.
١٥- وقائع واحداث حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦ ، الوثائق التركية، رئاسة الحكومة التركية.
١٦- الوثائق التركية، حرب القرم، مصدر سابق.
١٧- الوثائق التركية، حرب القرم، مصدر سابق.
١٨- والوثائق التركية، حرب القرم، مصدر سابق.
١٩- مجلة الثقافة القفقاسية، العدد (٣) ١٩٦٦، ص: ١٩.

20- S. pencer Edmund, Thavels in the Cir cassia, London 1838.

٢١- المصدر نفسه، ص: ٣٤.

٢٢- المصدر نفسه، ص: ٦٠-٦١.

٢٣- المصدر نفسه، ص: ٩٨.

٢٤- المجلة الثقافية القفقاسية، مصدر سابق، ص: ١٩.

٢٥- مجلسة شبلة الشركسية (الرعد) – العدد السابع، ص: ٢٠.

٢٦- مجلة صوت النارتيين، الجمعية الخيرية الشركسية، عدد شباط – ١٩٨٨.

٢٧- المفتي، شوكت اباطرة وابطال، مصدر سابق، ص: ١٥٧.

# الفصل الثاني

## الأدوار التأمرية للانجليز والفرنسيين على الأمة الشركسية في حربها ضد روسيا القيصرية

## (١) الدور التآمري للإنجليز على الأمة الشركسية

قبل التحدث عن الدور التآمري للانجليز على الأمة الشركسية خلال حربها ضد روسيا القيصرية في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي لا بد من التحدث عن الوقائع والأحداث التي كان للانجليز طرفا فيها في بلاد الشراكسة والتي يمكن إيجازها على النحو التالي:

بدأ دور الانجليز غير المباشر في حرب الدمار الروسي القيصري منذ القرن السابع عشر الميلادي، إذا لم تكن روسيا قد اتسعت وقويت بعد حتى تتمكن من السيطرة على التجارة العالمية. وكانت التجارة ما بين انجلترا والقفقاس تمر عبر الاراضي الروسية، ومع التقدم الاقتصادي في روسيا وأخذ مكانتها بين الدول الرأسمالية القوية، لم يعد كل من القفقاس والانجليز قادرين على استعمال الطريق التجاري عبر روسيا، وبذلك كانت آخر الرحلات التجارية الانجليزية إلى قفقاسيا عبر الأراضي الروسية عام ١٧٨١م.

وفي القرن التاسع عشر أصبحت كل من انجلترا وفرنسا أكبر دولتين استعماريتين في العالم، كما بدأت روسيا تظهر كمنافسة لهاتين الدولتين، إذ أصبحت تعد إحدى الدول الرأسمالية القوية، وخاصة بعد القرن السابع عشر الميلادي، إذ تطورت تجاريا وصناعيا بسرعة كبيرة، وفي مثل هذا الوضع كان لا بد من اهتمام الدول العظمى بالسياسة الروسية تجاه القفقاس.

وبالرجوع إلى الوثائق الانجليزية، وجدنا بأن أهم الاسباب التي دفعت انجلترا للاهتمام ببلاد (القفقاس) باعتبارها من اهم واكبر المواقع الاستراتيجية على طول الطريق التجاري الواصل ما بين الغرب والشرق الاقصى، فالدولة التي تستطيع السيطرة على قفقاسيا والبحر (الاسود) تستطيع ان تسيطر على الطريق التجاري عبر بحر (الخزر) الذي يصل إلى الهند.

وابتداء من عام ١٨٢٩ م قررت السلطات الانجليزية تأمين سلامة طريق القوافل التجارية إلى الهند بتطبيق سياسة خاصة في القفقاس وعلى النحو التالي:

* تأمين وضمان القوة العسكرية والسيادة لدول رومانيا، وبلغاريا، والصين وقفقاسيا، وهي الدول الحدودية مع روسيا وذلك لكي تستطيع الوقوف في وجه روسيا.
* الدعوة إلى حركات المقاومة العالمية وذلك لتحريك مشاعر القفقاسيين وتشجيعهم على الحرب ضد الروس القياصرة.
* مساعدة القفقاسيين بالمال والسلاح لاستمرار الحرب ضد روسيا [١].

**وفي عام ١٨٢٨-١٨٢٩**، قوي مركز روسيا في الشرق الادنى بانتصارها في الحرب الروسية التركية كما ان معاهدة (ادنر يانوبولوس) قوت مركز روسيا في منطقة البحر الاسود والبلقان والقفقاس، وتأكدت حقوق روسيا في الشرق الادنى اكثر من ذلك بعد عقد اتفاقية (أنكيار – ايسكيليسكي) في عام ١٨٣٣ والتي زادت من القوة العسكرية لروسيا، والتجارة الروسية في البحر الاسود، وأدت هذه المعاهدات لاضطراب العلاقات بين روسيا والقوى الاوروبية، وكان رد الفعل الكبير من جانب انكلترا التي رفضت الاعتراف بنتائج معاهدة (ادنريانوبولوس) بانتقال ملكية ساحل القفقاس على البحر الاسود إلى روسيا، ومن هنا بدأ صراع حاد وطويل بين روسيا وانكلترا حول القفقاس.

كشفت كل من انكلترا وتركيا عن مكائدهما في القفقاس في صراعهما ضد روسيا ومعارضتهما الضم النهائي للقفقاس إلى روسيا، وكانت الجهود الرئيسية العدائية لهاتين الدولتين منصبة على (شراكسة القفقاس الشمالي) منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر، وتطور الصراع التحرري (للأديغة) الشراكسة ضمن الموقف السياسي الخارجي المرتبط بالخلافات الروسية الانجليزية في الشرق الأدنى، وبنشاط الجاسوسية الانكليزية في حوض البحر الاسود والقفقاس. [٢] وهكذا وضعت

الحكومة الانجليزية خطة تفصيلية لدعم القفقاسيين عامة والشراكسة خاصة خـــلال حروب الدمار والابادة التي مارستها روسيا القيصرية ضد الشعوب القوقازية عامة والامة الشركسية خاصة، حيث تضمن الدعم وسيلتين اثنتين هما:

**الوسيلة الاولى: هي التجسس على الأمة الشركسية**

**الوسيلة الثانية: هي تزويد الشراكسة بأسلحة وذخائر**

**فبالنسبة للوسيلة الأولى: فإنها تتمثل بالوقائع والاحداث التالية:**

- منذ عهد العشرينات من القرن الثامن اعتمد الانجليز على التقـــارير التـــي كانت تصلهم عن طريق سفارتهم في استانبول من قناصـــل انكلتـــرا فـــي (أوديسا) و (طرابزون) والتجار الوافدين إلى (استانبول)، إلا أن المعلومات الاساسية عن الاوضاع في شركسيا وحسب الوثائق المؤرشفة، كانت تصل عبر (عملاء الاتراك) وعن طريق (صفر بيك).
- ابتداء من عام ١٨٣٣ ارسلت الحكومة الانكليزية العديد من العملاء بصفة تجار ورحالة، وكان العملاء لا يقومون فقط بجمع المعلومات عن الموقـــف السياسي في (شركسيا) وتزويد الاقطاعيين (الاديغة) بالـــسلاح والـــذخيرة وتقديم الوعود بالمساعدات الحربية، بل كانوا يقومون بتنظيم اعمال تخريب سياسية كبيرة لمنع المحادثات السلمية بين (الاديغة) والروس وإشعال نـــار الكراهية تجاه روسيا.
- كانت المهمة الاولى للعملاء الانكليز، تتلخص في اقامة دولة شركسية تقوم حكومتها بطلب الحماية من تركيا او من انكلترا على الأراضي التي يقـــيم عليها (الاديغة) والشعوب الشركسية الاخرى. وكان اول عميل انكليزي في شركسيا هو "اوركارت" والذي ارتبط أسمه ببداية تواجد العملاء البريطانيين بين (أديغة) ما وراء الكوبان حيث أرسله رئيس الحكومة البريطانيـــة مـــع

عملاء آخرين عام ١٨٣٣ وعلى اساس انهم تجار من الشرق الادنى وأعطى له اسم شركسي وهو (داوود بك) وكان المركز التنظيمي للعملاء الانكليز في (شركسيا) هي السفارة البريطانية في (استانبول) والتي كان لها اتصال مباشر مع المهاجرين (الاديغة) فيها.

- تغطية الأعمال الجاسوسية في بلاد (شركسيا) لتضليل السفارة الروسية وعدم اثارة الشك في صلات السفير "بونسونبي" الرسمية مع الشراكسة، ارسلت الحكومة الانكليزية في بداية ١٨٣٥ إلى (استانبول) عميلها "جيمس غودسون" وهو سكرتير ملكة بريطانيا لكي يكون همزة الوصل بين المهاجرين الشراكسة والسفير البريطاني، وقد اقنع "غودسون" "صفر بيك" ان (الاديغة) يمكن ان يحصلوا على استقلال بلادهم بتنفيذهم الدقيق لتعليمات "اوركات" والذي عينته حكومته في ايلول ١٨٣٥ سكرتيرا للسفارة في (استانبول) منذ اصبح بيت "اوركات" نقطة تجمع للعديد من الاشخاص سواء من البولونيين أو زعماء الشراكسة، وقام "اوركات" بمعونة "صفر بك" وغيره من المهاجرين الشراكسة على جمع المعلومات التجسسية المطلوبة.
- في ربيع عام ١٨٣٧ ظهر بين الاديغة العميلان الانكليزيان "بيل" و "لونغوورث". وقد علم السفير الروسي في فيينا أن "بيل" اتجه إلى شركسيا بمهمة سرية كلفه بها "أركارت" وهو تنشيط الشراكسة للعمل ضد روسيا وفي نفس العام وصل شركسيا عميل ثالث وهو "نايت".
- اعطى لكل عميل اسماء وهمية فمثلا أعطى بيل اسم (يعقوب بك) ولونغوورث اسم (سعيد بك) ونايت اسم (نادر بك). وكانت هذه المجموعة بقيادة "أركارت" شخصيا وكانت تصلهم التعليمات الحكومية من قبل السفير الانجليزي "بونسوبني". واعتبرت الحكومة الروسية أن أعمال العملاء

الإنكليز في شركسيا هي أعمال عدائية لروسيا، وقد أبلغ القيصر "نيقولا الاول" السفير البريطاني، انه إذا تم القبض على أي من هؤلاء الجواسيس الانكليز فسيتم شنقه.

- كان السفير الروسي يعلم كل شيء عن خطط الانكليز بواسطة عملاء له. وكان احد هؤلاء العملاء المسمى "اندريه جاي" الذي كان يتقن عددا من اللغات وخدم لدى "اوركات"، وسافر إلى لندن، حيث تم تقديمه كممثل شراكسة القفقاس ثم ترك "أركات"، وعرض خدماته على السفير الروسي.
- وبواسطة هذا الرجل استطاع الروس الاطلاع على رسائل "بيل" إلى "بونسوبني" كما اتخذت حكومة "نيقولا الاول" عددا من الاجراءات المحددة لتجميد عمل العملاء الانكليز والأتراك في شركسيا، إذ طلب القيصر اتخاذ كل ما يلزم لاعتقال العملاء الانكليز لوضع حد لتأثيرهم (الشرير) على القبائل الشركسية في القفقاس،
- في ١٨٣٧/١٠/٢٤ خصصت الحكومة الروسية، جائزة قيمتها ثلاثة الاف روبل فضي للقبض على بيل، وألف روبل للقبض على كل من مساعديه. إلا ان ذلك لم يتحقق.
- في نهاية الثلاثينات غادر اولا "نايت" و "لونغوورث" ثم لحق بهما "بيل"، وكان سبب رحيلهم هو فشلهم في إقامة دولة شركسية، كما لم تنجح كل محاولات المهاجرين البولونيين الذين كانوا في خدمة انكلترا لتحقيق اهدافها التجسسية.
- وفي كانون الثاني لعام ١٨٣٧ ساءت العلاقات الانكليزية الروسية لدرجة أن احتمال نشوب الحرب بينهما أصبح حقيقيا، إلا ان انكلترا لم تكن لتحارب وحدها من أجل مصادرة سفينة تجارية خاصة وان حكومة "بالمرستون" كانت قد قررت عدم اللجوء إلى الحرب، وفهم القيصر "نيقولا

الاول" ان (بالمرستون) يتكلم بعنف، ولكن عندما تصل الامور إلى الافعال سرعان ما يتراجع. وبعد مراسلات دبلوماسية طويلة الأمد ومحادثات عديدة ومقالات في الصحف الاوروبية، اعترفت الحكومة الانكليزية بحق روسيا القانوني في مصادرة السفينة المحمله بالاسلحة وتراجعت عن مطالبها [٣].

- وبعد انكشاف أمر الباخرة الانجليزية التي كانت محملة بالاسلحة تم استدعاء "اوركارت" إلى لندن من قبل "بالمرستون". أما "اوركارت" ورفاقه المعادون لروسيا فلم يكونوا قادرين على مسامحة "بالمرستون" على تنازلاته بعد حادثة السفينة، فقاموا بتنظيم حملة ضد "بالمرستون" معتبرين ان سياسته الموجهة ضد روسيا ليست نشيطة بالقدر الكافي وأنها ضعيفة، وانتقد "اوركارت" "بالمرستون" واتهمه بأنه (محب لروسيا) علما بأن كلا الرجلين كانا مشتركين في تنظيم الاعمال المعادية لروسيا، وكان الخلاف بينهما فقط في الأساليب وطرق الصراع مع روسيا. [٣]
- في صيف عام ١٨٣٨م عقد اجتماع كبير على نهر (أداغوم) للشابسيغ والناتخواي حاول فيه العملاء الانكليز اقناع المجتمعين بضرورة توحيد كل شعوب (الاديغة)، ونجحوا في اقناع المجتمعين بالقسم (على خوض الحرب ضد روسيا) حتى النهاية، إلا أن مجموعات (الاديغة) الموالية لتركيا عارضت قرارات هذا الاجتماع وتقرر دعوة اجتماع شعبي آخر يحضره الابزاخ والشابسيغ والناتخواج لحل المسألة الرئيسية وهي قبول التعامل مع الروس، ام مراعاة القسم والعهد ومعاقبة الخارجين عليه، واتفق زعماء الاجتماع على قبول الخضوع لروسيا بشرط ان تقوم روسيا بإزالة القلاع والتحصينات من أراضيهم والوعد بعدم إقامة قلاع اخرى في المستقبل، إلا أن رئاسة هذا الاجتماع قررت عدم تطبيق هذا القرار حتى يتم عقد

الاجتماع العام للشراكسة في شمال القفقاس، علما بأن احد زعماء الناتخواج المدعو "بنزيم سووبوخ" حاول إقناع المجتمعين بتعذر وصول مساعدة خارجية من الانجليز والفرنسيين وانه لا مفر من العيش مع الروس بسلام".

- لم تكن الشعوب الشركسية ما وراء الكوبان تعرف بعد خفايا الصراع الدبلوماسي لدى القوى الاوروبية، ولكن مع الوقت بدأ الاديغة يدركون الوعود الكاذبة التي قدمتها كل من حكومات (انكلترا وتركيا وفرنسا) وفي مطلع عقد الخمسينات وعند البدء بالتحضير لحرب القرم وصل إلى شمال القفقاس العشرات من العملاء الاتراك والانجليز حاملين رسائل تدعو قادة الشراكسة إلى الحرب المقدسة ضد روسيا[٤]. إلا أن عداء الشراكسة للانجليز والفرنسيين تزايد نتيجة الوعود الكاذبة التي كان ينقلها العملاء والجواسيس الى زعماء الشراكسة، واصبحوا ينظرون لكل من الانجليز والفرنسيين نظرة عداء واعتبارهم"**من ألد اعداء الشراكسة وليسوا من اصدقائهم**".
- وفي عام ١٨٥٦، وبعد ان تخلى الانجليز عن بحث مسألة استقلال الشراكسة في مؤتمر باريس وهو المؤتمر الذي وقعه الروس القياصرة مع دول التحالف الثلاثة (انجلترا وفرنسا وتركيا) واصبح بموجب بنود الاتفاقية الموقعة في هذا المؤتمر حق سيطرة الروس على البلاد القفقاسية عامة وبلاد الشراكسة خاصة... واعتبر الشراكسة بأن الانجليز خانوهم الشراكسة وتخلوا عنهم لأسباب غير معروفة حتى الآن [٤].
- **حاول الانجليز تغطية موقفهم التآمري في مؤتمر (باريس) بإرسال عميل جديد وهو النقيب (سميل) حيث وصل من استانبول إلى شركسيا صيف عام ١٨٦١ مع شخص آخر انكليزي، وحاولوا اقناع (الاديغة) في ما وراء الكوبان بأنهم مفوضون من قبل (انكلترا وفرنسا وتركيا) وأن حكوماتها ملتزمة بحماية كل (الاديغة) من العدوان الروسي، وانها ستقوم**

**ولو بقوة السلاح بإجبار روسيا على الاعتراف باستقلال شركسيا بشرط واحد هو أن يوحد الشراكسة كل قواهم ويتحدوا في الحرب ضد روسيا[٥].**

وكان الهدف من ارسال العميل (سميل) هو تنشيط الشراكسة في شمال غرب قفقاسيا، واستطاع اقناع الزعماء على عقد اجتماع كبير في وادي (سوتشي)، تقرر فيه تأسيس (المجلس الاعلى للاديغة) وواصلوا مقاومة الروس (الكفرة).. إلا أن شيئا من الوعود التي قدمها العميل (بيل) للزعماء الشراكسة لم يتحقق، خاصة ارسال بوارج حربية واسلحة وذخائر لدعم مقاومة الشراكسة، وبعد هذه الوعود الكاذبة قرر زعماء الشراكسة ايقاف أي شكل من أشكال التعامل مع العملاء الاجانب عامة وعملاء الانجليز خاصة واعتبروهم خونة متآمرين على الشراكسة.[٤]

**المهام التي كان يكلف بها الجواسيس**

نستنتج من تحليل الوثائق المتعلقة بالجاسوسية الانجليزية خلال (حرب الدمار والابادة) الروسية أنه كان للجواسيس الانجليز اكثر من مهمة كما كانوا يقومون بأدوار تآمرية تصل إلى درجة (الخيانة) العظمى.

**وفيما يلي تحليل موجز للمهام والادوار التي كان يقوم بها العملاء الانجليز وجواسيسهم في بلاد الشراكسة:**

**المهمة الاولى:** وهي مهمة استطلاعية واستكشافية لما يجري من وقائع وأحداث على أرض الواقع في بلاد القبرطاي والشراكسة في ما وراء الكوبان.

ونستدل على هذه المهمة للجواسيس والعملاء من إرسال وزير الخارجية "بالمرستون" "اوركارت" والعملاء الآخرين بمهمة استطلاعية في عام ١٨٣٣ وتمت تغطية علاقتهم مع وزارة الخارجية البريطانية بأنهم من تجار الشرق الادنى، كما بدأت الحكومة الانجليزية منذ عام ١٨٣٣ بإجراء استطلاع شامل لشواطئ شركسيا، وظهر اليخت الانكليزي العائد للنقيب "لايونز" من الحرس الملكي عدة مرات على

شواطئ القفقاس، وقام بمراقبة الموانئ والقلاع الروسية ودخل في خليج (سونجوق)، حيث نزل "لايونز" مع عدد من الضباط إلى البر، وقابلوا الأمير "بشه ماف" في قرية (استاغاي) لتسليمه رسالة من "صفر بيك"، تضمنت دعوة لكل الاديغة بعدم الاستسلام للروس، مع وعد بالمساعدة من قبل تركيا وانكلترا [٥].

وامتدت الأعمال التجسسية الاستشكافية على شواطئ البحر الاسود بواسطة النقيب (لايونز) من الحرس الملكي لمراقبة الموانئ، والقلاع الروسية. حتى عام١٨٣٧.

**المهمة الثانية وتتمثل في:**

تقديم الوعود الكاذبة للقادة الشراكسة وتحريضهم على مقاومة جيوش القياصرة الروس، كما حدث ذلك في صيف عام ١٨٣٥ عندما وصل العملاء الانكليز إلى غرضهم في قطع المفاوضات الروسية الشركسية حسب تعليمات من (لندن) و (استانبول) ووجهوا جهودهم لإقامة حكومة لدولة شركسية، وقد نصح هؤلاء العملاء على لسان حكومتهم زعماء الاديغة أن يطلبوا من روسيا ايقاف الاعمال القتالية وان تقوم روسيا التي ليس لها أي حقوق عليهم بالاعتراف باستقلالهم، أسوة باعتراف انكلترا وباقي دول اوروبا. واعلن الانكليز انه "إذا لم توقف روسيا الاعمال القتالية فسيقوم أسطول من التحالف الأوروبي والتركي والمصري مؤلف من ٣٠٠ سفينة وقوات إنزال بالقدوم إلى شواطئ شركسيا" الأمر الذي شجع مبعوثين من الشابسيغ والناتخواج الطلب من الجنرال ويليامينوف تدمير كل الحصون وإخراج القوات الروسية من شركسيا. وأعلن المبعوثون أن ملك انكلترا سيكون الواسطة بين حكومتي الاديغة والروس كما قدم العملاء الانجليز باسم ملك إنكلترا وباشا مصر محمد علي الكبير وسلطان تركيا (اعلاناً باستقلال تشركسيا) وابرزوا اعداد من مجلة (Portfolio) المنشور فيه اعلان استقلال شركسيا، وقد بقي العميلان في شركسيا كمبعوثين انكليزيين لمدة ثمانية اشهر وقاما بالإيحاء (للاديغة) ان نجاة الشراكسة هو في اتحادهم وان

الوسيلة الوحيدة لمقاومة الروس تتلخص في وحدتهم وإقامة حكومة مركزية لهم تقوم بتنسيق وتوجيه القوى إلى هدف واحد هو تحرير بلادهم [٦].

**المهمة الثالثة وتتمثل في:**

تنظيم أعمال تخريبية سياسية لمنع نجاح أية محادثات سلمية بين الشراكسة (الاديغة) وحكومة روسيا القيصرية، واشعال نار الكراهية والحقد في نفوسهم ضد روسيا القيصرية، ونستدل على تلك المهمة من تدخل عملاء الانجليز عندما حاولت الدبلوماسية الروسية اجراء محادثات (سلام) مع الاديغة غير القادة المسالمين من (الشابسيغ والناتخواج والابزاخ) وإقناعهم بالاعتراف بسلطة روسيا مقابل إصدار عفو شامل عنهم، إلا أن هذه المحادثات السلمية التي بدأت في صيف ١٨٣٧ بين الروس والاديغة قام العملاء الانكليز بإحباطها حيث رفع العقيد "خان غيري" (الذي كان مسؤولا عن المحادثات) إلى قائد قوات خط القفقاس الجنرال "ويليامينوف" تقريرا قال فيه بأن: العملاء الانكليز اقنعوا بعض زعماء الشابسيغ والناتخواج عدم التسرع وانتظار وصول مبعوث انكليزي لكي يعرف من يريد الخضوع لروسيا ومن يريد الحفاظ على الاستقلال. فالأولون سيلحقون بروسيا والباقون سيتم الاعتراف بحريتهم بشكل علني من قبل كل القوى الأوروبية التي ستقوم بدعمهم".

كما أن (اديغة) ما وراء الكوبان كانوا لا يزالون يأملون بالمساعدة الخارجية، وصدقوا وعود الانكليز بشكل اعمى، وبتاريخ ١٨٣٧/٩/١٢ كتب "خان غيري" المفاوض باسم الروس قائلا: "لم تحظ محادثاتنا مع الاديغة غير المسالمين بالنجاح المطلوب". كما نقل مندوب الشابسيغ "محمد نسيلوك ناغلو" العائد من (القسطنطينية) الوعود السخية التي قدمها عملاء الانكليز حول قرب وصول الأسطول الانجليزي إلى شاطئ شركسيا لمساعدتهم ولم تصل هذه المساعدات، وكل ما وصل إليهم هي سفينة كان عليها اثنان من الاوروبيين. وكانت حمولة السفينة من البارود والرصاص والتي تم تسليمها لهم كهدية من الحكومة الانكليزية، وهذه

الوعود اعمت ابصار (الاديغة) المصدقين للانكليز، وبذلك لم تعد هناك اية إمكانيات لتطويع غير المسالمين للخضوع لروسيا". [٨]

**المهمة الرابعة تتمثل في:**

العمالة المزدوجة، كما حدث مع كل من "شتاين" و "تيورا" و "باندي" الذين عرضوا خدماتهم على المخابرات الروسية، وقاموا بوجود السكرتير الحربي للسفارة الروسية النقيب "فرانكلين" بوضع خطة لحملة حقيقية الغرض منها استمالة شركسيا إلى طرف روسيا بطريق سلمي بطيء إلا أنه حازم، وفي حال نجاح وضع شركسيا تحت قيادة "باندي" العميل المزدوج يتم تطبيق الخطة التي تضمنت الإجراءات التالية:

١- انتخاب امير شركسي محلي تلحق بإدارته كل البلاد مع إحاطة الامير المنتخب بمجموعة من الهنغاريين لاستلام المراكز الهامة في البلاد.

٢- اقناع الشراكسة بأن لا ينتظروا أية مساعدة لا من السلطان ولا من أية قوة أخرى.

٣- إضعاف معنويات الشراكسة بهزائم عسكرية معدة سابقا.

٤- اقناع الشراكسة بقبول القيصر الروسي حاكماً اسمي (أعلى) لهم، لا يدفعون له أية ضرائب، شريطة ان يسمحوا لحامياته بالتمركز في البلاد.

وقد وصف "كارل ماركس" "باندي" وزملاءه المغامرين قائلا: "كان باندي أحد زعماء هنغاريا وهاجر إلى انكلترا وبقي فيها عامي ١٨٥١-١٨٥٢، ثم خدم لدى الحكومتين البروسية والفرنسية كجاسوس، ثم أصبح عميلا مزدوجا، وارسل إلى شركسيا حيث أصبحت لديه توجهات جديدة، إذ إن توجهاته القديمة كانت مضادة للروس أما الجديدة فكانت موالية لهم".

في عام ١٨٥٣ وصل "باندي" إلى (استانبول) واعتنق الإسلام ودخل الخدمة التركية تحت اسم "محمد بك" برتبة عقيد، وخلال حرب القرم سافر لأول مرة إلى شركسيا، وقام مع "صفر بيك" بحملة دعاية موالية لتركيا ولانكلترا بين الشراكسة، وكان "باندي" عضوا في الوفد الشركسي الذي ذهب إلى (استانبول) عام ١٨٥٦ لطلب ضم شركسيا إلى الامبراطورية العثمانية، ولتوثيق علاقاته مع زعماء الشراكسة تزوج ابنة أحدهم مع انه كانت لديه زوجة قانونية في (بودابست) وأخرى غير شرعية في (باريس).

كان المقربون من "باندي" مثل الجنرال "شتاين" واسمه التجسسي (فرحت باشا) والعقيد "تيور" واسمه (أحمد كمال باشا) كانا محترفين الجاسوسية مثله ويخدمون في وقت واحد الحكومات الانكليزية والتركية والروسية.

قامت الحكومة التركية بتوقيف "اسماعيل باشا" و "فرحت باشا" لإخفاء مشاركتها المباشرة في تنظيم الحملة إلى شركسيا، وفي نفس الوقت صدر مرسوم سلطاني يمنع فيه اتصال المواطنين الاتراك بشراكسة القفقاس. إلا أن الحكومة الروسية أعلمت الحكومة التركية أن كل هذه الإجراءات ليست إلا سطحية لتغطية المؤامرات التي تتم في (استانبول)، والموجهة لزعزعة أمن وسلامة الممتلكات الروسية على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، وقد اتضح ان المؤامرات التي كانت تتم في (استانبول) بطلب من الحزب الشركسي فيها، وبدعم (سرا) من قبل رئيس الحكومة التركية ويساعدهم وجود الاسطول الانكليزي في البسفور والبحر الاسود، مع دعم من العملاء السريين للسفارة البريطانية [٩].

**الوسيلة الثانية: لتنفيذ خطة الحكومة الانجليزية لدعم القوقازيين عامة والشراكسة خاصة في حربهم ضد الروس تمثلت من خلال تزويد الشراكسة بالأسلحة والذخائر.**

ويتضح من البند الثاني من خطة الانجليز في دعم الشعوب القفقاسية عامة والشعب الشركسي خاصة، والذي كان نصه "مساعدة القفقاسيين بالمال والسلاح لاستمرار الحرب ضد روسيا، **يلاحظ من هذا النص بأن الهدف من الدعم هو استمرار الحرب وليس بهدف انهائه، وهو الهدف الذي اتضح بوضوح من سياسة الدعم (المزعوم) الذي كان الجواسيس يعودون به. كما حدث مع العميل الأول للانجليز (أوركارت) الذي اتجه عام (١٨٣٤) برفقة الكابتن (لايونز) إلى شركسيا بموافقة السفير البريطاني في استانبول.**

لم يكن هدف الرحلة التعرف على الاوضاع الحقيقية في شركسيا فقط، إذ قام "اوركارت" بحملة إثارة كبيرة داعيا الشراكسة إلى الوقوف صفا واحدا ضد الروس وواعدا إياهم بالمساعدة العسكرية من انكلترا وغيرها من الدول الاوروبية، وبعد قضاء ثلاثة أيام في شركسيا عاد "اوركارت" إلى (استانبول) وقدم تقريره للسفير الذي قال له بأن زياراته ستكون بداية لأحداث كبيرة.

وحقيقة، فقد كانت زيارة "اوركارت" إلى شركسيا بداية لتنشيط السياسة الانكليزية في القفقاس، وكتب السفير "بونسونبي" إلى وزارة الخارجية داعيا حكومته للوقوف دفاعا عن شركسيا، وأنه لهذا الأمر يكفي إرسال الاسطول الانكليزي إلى البحر، ولم تصل الأسلحة والذخائر التي وعد بارسالها (اوركات) حتى عام ١٨٣٦ وتكونت من مدافع وبنادق وملح بارود وهي الأسلحة التي حملتها السفينة الحربية الانجليزية التي أسرتها القوات البحرية الروسية، بعد ان افرغت حمولتها خارج حدود المنطقة الجمركية البحرية الروسية [٨]. **علما بأن هذه هي المرة الاولى والاخيرة التي أرسلت فيها الانجليز أسلحة وذخائر للشراكسة خلال مدة حربهم ضد روسيا القيصرية.**

كما تؤكد جمع الوثائق بأن الاديغة (الشراكسة) لم يتلقوا المعونة الكافية من الخارج من طرف تركيا أو الدول الغربية مثل انكلترا وفرنسا، وكانت المسألة الشركسية موضوعا للمناورات الدبلوماسية والعسكرية بين هذه الدول وخصوصا انكلترا، حيث استخدمها الانكليز كأداة معادية للسياسة الروسية في القفقاس، وكان الهدف الرئيسي للعملاء الانكليز والاتراك في شركسيا هو **منع تقوية مواقع روسيا هناك.**

**(٣) حقائق حول الدور التآمري للانجليز في المسألة الشركسية**

**الحقيقة الأولى:**

قدم عملاء الانجليز الوعود المتكررة بأن حكومة انجلترا ومن خلال أسطول التحالف الاوروبي التركي المؤلف من (٣٠٠) سفينة وقوات انزال ستقوم بمهاجمة شواطئ البحر الاسود ان لم توقف روسيا الأعمال القتالية في بلاد الشراكسة.. وانتظرت القوات الشركسية المقاتلة وصول القوات الانجليزية ومعها القوات الاوروبية والتركية، ولم تصل ولم يستخدم الانجليز القوة العسكرية إلا خلال حرب القرم التي شاركت فيها قوات فرنسية وتركية. وحتى في هذه الحرب، وبالرغم من نجاح القوات الانجليزية والفرنسية المشتركة من الانتصار في معركتها الوحيدة بسقوط (سبيا ستوبول) الروسية في يد الحلفاء، فإن أمرا صدر بإيقاف الحرب والدخول في محادثات سلام مع حكومة روسيا القيصرية لأسباب لم يكشف النقاب عنها حتى اليوم.

**الحقيقة الثانية:**

تم توقيع معاهدة عام ١٨٥٦ سميت بمعاهدة (باريس) وهي المعاهدة التي حققت فيه دول الحلفاء (انجلترا وفرنسا وتركيا) مكاسب كبيرة وفرضت على روسيا كامل شروطها. ويبدو ان الروس وافقوا على شروط الحلفاء بالكامل شريطة

اطلاق يدها في القفقاس، وهذا ما نستنتجه من بنود معاهدة باريس التي التزمت بها روسيا بالكامل.

واذا تفحصنا بنود اتفاقية السلام الموقعة في باريس ندرك لماذا تنازلت انجلترا عن مسألة استقلال تشركسيا، حيث إن جميع بنودها كانت لصالح انجلترا بالدرجة الاولى وحققت أهدافها الرئيسية من المشاركة في حرب الابادة والدمار بطرق مباشرة وغير مباشرة، وفيما يلي ملخص لأهم البنود:

١) حياد البحر الاسود وحرية الملاحة لكل الدول.
٢) منع وجود سفن حربية من جميع الجنسيات على شواطئ البحر الأسود.
٣) منع الروس من اقامة تحصينات جديدة على ساحل البحر الاسود.
٤) السماح بابقاء ست سفن حربية روسية ذات قياس معين لمحاربة المهربين.
٥) تأمين الحماية الجماعية من قبل الدول الاوروبية لنصارى الدولة العثمانية.
٦) اعطاء الانجليز امكانية التجارة المفتوحة مع بلاد الشرق الادنى.

وعندما وصل المؤتمرون إلى (البند الخامس) من جدول الاعمال وهو البند المتعلق بإعلان استقلال شركسيا وداغستان، وهو ما أُتفق عليه في الاجتماعات التحضيرية السابقة للمؤتمر في باريس والتي عقدت في (فينا) بالنمسا.. حاول مندوب انجلترا التحدث عن مسائل (ايميرتبا، وغوريا، وابخازيا وشركسيا) إلا أن المندوب الروسي رفض بحث هذه المسائل وأيده في ذلك (فالينسكي) مندوب فرنسا وبتعليمات مباشرة من نابليون الثالث طالبا حذف طلبات انجلترا حول استقلال القفقاس بالتحديد، وأقرت المعاهدة ببنودها الاربعة سابقة الذكر بعد حذف البند الخامس.

وبالرغم من مساءلة مجلس اللوردات لوزير خارجية بريطانيا (بالمرستون) على تنازلات المندوب الانجليزي في مؤتمر باريس عن (استقلال شركسيا) كما

سأل اللورد (غرينفيل) وزير الخارجية قائلا "الا تعتقد أن الحرب يمكن ان تطـــول وتستمر لأنه لم تتم صياغة قرار للشراكسة حول إقامة دولتهم المستقلة".

وكان رد (وزير الخارجية) عليهم بأن الانجليز لا يستطيعون الطلب مـــن روسيا التراجع عن معاهدة (ادريانو بولوس) [١٠].

**نستنتج من كل ما تقدم بأنة:**

**أولا:** لم تكن انجلترا تريد المواجهة الحربية مع روسيا وبنفس الوقت كانت تريد ان تحافظ على علاقاتها الجيدة مع القفقاس. لذا كانت ترسل عملاءها إلى قفقاسيا لإيهام الشراكسة بأن انجلترا ستدعمهم في حربهم ضد الروس حتى يـــستمر الشراكسة في مقاومتهم لروسيا. واستمرت هذه الحالة فترة طويلة من الـــزمن وانجلترا تتبع سياسة اللعب على (الحبلين). والمناقشات التـــي جـــرت فـــي البرلمان الانجليزي في ١٨ آذار عام ١٨٥٦ تعطينا الـــدليل القـــاطع علـــى استغلال انجلترا للمسألة الشركسية والتي يتلخص في الحوار التالي:

"وقف عضو البرلمان م. آنستي موجها كلامه إلى اللورد بالمرستون (وزير الخارجية) آنذاك بقوله:

"على الرغم من أننا قد تمكنا من كسب صداقة قفقاســـيا تمهيـــدا للتعامـــل التجاري معها، فإنني اتهم اللورد (بالمرستون) بأنه قد أقدم على خيانتها، أقول ذلك لأن هذا اللورد وقف بجانب روسيا عدوة بريطانيا حتى الممـــات، ضـــد شـــعوب القفقاس، ثم قال هذا اللورد "حتى يتمكن الانجليز من تحقيق اهداف امبراطوريتنـــا في الهند قد استسلم طواعية في التغاضي والسماح لروسيا باحتلال شمال القفقـــاس المستقل الصديق الحليف لنا. وأخيرا هاجم الخارجية الانجليزية لمواقفهـــا المزيفـــة والمدروسة سلفا وإيقاع البرلمان والدولة عن قصد في أخطاء كان في غنى عنهـــا وختم كلامه بقوله، "فإنني اتهمك بالخيانة العظمى. [١] واعترف اللورد (بالمرستون) بما ارتكب من اخطاء وخاطب مجلس اللوردات قائلا:

**(أيها اللوردات) لقد تركنا الشراكسة وحدهم امام أخطار جسيمة، مع اننا نحن الذين طلبنا منهم مساعدتنا ضد الروس، واسمحوا لي أن اقول لكم بأننا استطعنا ان نستغل تضحيتهم هذه لمصلحتنا على أحسن وجه وبدون أية خسارة من طرفنا** (١٠).

**الحقيقة الثالثة:**

اكتشف زعماء الشراكسة وقادتهم المواقف التآمرية، والوعود الكاذبة، وسياسة الخداع للحكومة الانجليزية ولكن بعد فوات الاوان، وبالتالي فإن انجلترا كانت الدولة الثالثة الشريكة في حرب الدمار والابادة للأمة الشركسية بعد روسيا القيصرية، وتركيا العثمانية.

**الحقيقة الرابعة:**

لعب القادة العسكريون والسياسيون الانجليز دورا رئيسيا في تسليم اللاجئين والأسرى القفقاسيين عامة والشراكسة خاصة الذين سبق أن هربوا مع القوات النازية المنسحبة من بلاد القفقاس بعد هزيمتهم في الحرب، ويقدر عددهم بعشرات الالاف حيث بدأت سلطات الحلفاء بتسليمهم يوم ١٩٤٥/٥/٢٨م، وكان التسليم يجري من المعتقل المسمى "سيبال" ثم ينقلون عن طريق "جودنبرغ" إلى السلطات السوفيتية، واستمرت إجراءات التسليم ثلاثة أيام. وعندما عرف أولئك ما تم الاتفاق عليه بتسليمهم إلى السلطات باعتبارهم من رعاياهم، هرب البعض وقتل الكثير، وألقى البعض بأنفسهم في نهر "دراوا" وتم تسليم من بقي منهم إلى السلطات الروسية، وكان عدد الذين تسلمهم الروس من هؤلاء القوقازيين عامة والشراكسة خاصة **من أيدي القوات الانكليزية والأمريكية والفرنسية حوالي عشرة آلاف شخص**، وكان بينهم إضافة إلى المقاتلين عدد كبير من النساء والأطفال الذين تركوا بلادهم القفقاس هاربين من البطش الشيوعي. وقامت السلطات الروسية بإعدام من تسلمتهم، **وعلى رأسهم الجنرال البطل سلطان كراي الذي رفض عرض الانكليز له**

**بإنقاذ حياته بعدم تسليمه هو وحده إلى الروس لأنه يحمل الجنسية الألمانية وحيث لا تنطبق عليه شروط التسليم فرفضها، قائلا: "والآن لست بمنفرد عنهم وسأشاركهم مصيرهم المحتوم، واشترك معهم في فاجعتهم الأخيرة، بل سأكون في مقدمتهم إلى جلادينا الذين تريدون ان تسوقوننا إليهم".**

يتضح من هذه الواقعة المؤلمة بأن الانجليز لم يكونوا أوفياء لأصدقائهم الشراكسة الذين كانوا متحالفين مع الانجليز ضد روسيا القيصرية في حرب الابادة والدمار التي انتهت عام ١٨٦٤م.

**دور الفرنسيين التآمري على الأمة الشركسية في حربها ضد روسيا**

لتحديد دور الفرنسيين في حروب الإبادة والدمار الروسية / الشركسية كان لا بد من تحديد الاسباب التي ادت لاهتمام فرنسا ببلاد القفقاس عامة ومناطق الشراكسة خاصة حيث وجدنا بأن اهم الاسباب هي:

١) لما كانت فرنسا تحاول ان تجد لها مستعمرات جديدة في جنوب شرق آسيا وافريقيا لمنافسة انجلترا، خاصة وان انجلترا كانت في المائة سنة الاخيرة تضغط بكل قواها حتى تمنع فرنسا من السيطرة على الدولة العثمانية.

٢) حاولت فرنسا احتلال روسيا بقيادة نابليون الذي سبق ان احتل اكثر من نصفها واستطاعت روسيا وبفضل برودة فصل الشتاء الانتصار على نابليون وتوقيع معاهدة معه عام ١٨١٧.

في عام ١٨٢٢م دخلت روسيا القفقاس بقوة كبيرة على رأسها الجنرال (يرمالوف) الذي استطاع ان ينتصر على نابليون، ومع انهم احتلوا القبرطاي بأكملها إلا أنهم لم يستطيعوا التقدم في منطقة الاديغي فاضطروا إلى التوقف هناك.

٣- تمثلت مشاركة فرنسا في وقائع وأحداث حرب الابادة والدمار التي نفذتها روسيا القيصرية ضد الشعوب القفقاسية عامة والامة الشركسية خاصة،

بمشاركة قواتها (الرمزية) مع قوات دول التحالف في حرب القرم. وكان دور الفرنسيين في هذه الحرب سياسية اكثر منها عسكرية، كما ان بعض قواتها شاركت في احتلال (سيبا ستوبول) الروسية خلال حرب القرم.

وفي كل الاحوال لم تكن للفرنسيين ادوار في مستوى أدوار كل من العثمانيين الاتراك والانجليز.. إلا أنه كان للحكومة الفرنسية دور معادي لاستقلال تشركسيا، كما ان نابليون الثالث كان له موقف معارض للمقاومة البطولية التي قام بها المقاتلون القوقازيون عامة والشراكسة منهم خاصة.

*** الدور المعادي لفرنسا:**

تشير الوثائق بأن الفرنسيين لعبوا دورا معاديا لقضية استقلال الشراكسة، وتتمثل هذه المعاداة في الحملة التي شنها نابليون الثالث في خطابه امام البرلمان الفرنسي يوم ١٨٦٣/١٠/٥ ضد المقاومة البطولية في شمال القفقاس في الوقت الذي ابدى دعما سياسيا كاملا لاحتلال روسيا للقفقاس، وبالتالي فإن الدور التآمري **الذي لعبته سلطات فرنسا يتضح من التعليمات التي أصدرها نابليون الثالث إلى مندوبه في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ والتي تضمنت "حذف طلبات انجلترا حول استقلال تشركسيا" كما يتضح من تصرفات مندوب فرنسا خلال المناقشات التي دارت في جلسات المؤتمر، والتي اشتكى منها مندوب انجلترا بقوله "إن مندوب فرنسا لم يتصرف كواحد من الشركاء في التحالف بقدر ما كان يحاول أن يلعب دور الوسيط بين (الانجليز والروس).**

كما نوه بأن المندوب الفرنسي واسمه (نالفيسكي) لم يدعم مسألة الممتلكات الروسية في القفقاس ومصير القلاع على ساحل البحر الاسود القفقاسي التي طالب بها خلال جلسات المؤتمر بل اعترض على مبدأ مناقشتها[١١].

وهكذا كان دور الفرنسيين عدائياً للشراكسة وكان لهذا الدور أثر كبير في عدم ادراج مسألة استقلال تشركسيا في مؤتمر (باريس) عام ١٨٥٦.

وبالتالي فإن من حق الشراكسة اعتبار فرنسا شريكة بطريقة مباشرة في إطلاق يد الروس للعبث في بلادهم وترك الشعب الشركسي الشجاع يواجه الامبراطورية الروسية وحيدا دون اية مساعدة خارجية فكانت النتيجة ابادة ملايين من الشراكسة وطرد من بقي منهم احياء إلى الدولة العثمانية بينما خرج الفرنسيون من هذا المؤتمر ببعض المكاسب السياسية والتجارية مثلهم مثل الانجليز.

## مراجع ومصادر الفصل الثاني من الجزء الرابع في المجلد الثالث

١) المراسلات البريطانية الرسمية حول العلاقات البريطانية/ القفقاسية – كما أوردها نهاد برزج في كتابه تهجير الشراكسة ص ٤٨-٤٩.
٢) الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة، ص: ٤٦.
٣) المصدر نفسه، ص: ٥٠-٥٦.
٤) المصدر نفسه، ص: ٨٦-٨٧.
٥) المصدر نفسه، ص: ٩٨.
٦) المصدر نفسه، ص٦١.
٧) المصدر نفسه، ص٦٢-٦٣.
٨) المصدر نفسه، ص٥٣.
٩) المصدر نفسه، ص: ٩٤-٩٥.
١٠) جمعية المقاصد الخيرية الشركسية، خمس محاضرات حول حرب القفقاس، دمشق، ص: ١٣١-١٨٢.
١١) الوثائق الروسية، إبادة الشراكسة، ص: ٨٧-٨٩.

# الفصل الثالث

## الأدوار الوحشية والأعمال البربرية للقوزاق المرتزقة بدعم من قوات روسيا القيصرية

**أصل القوزاق:**

يؤكد المؤرخون بأن قدرا كبيرا من الغموض يحيط بأصل القوزاق، وأنهم ظهروا لأول مرة في التاريخ كجماعات حرة لا تتقيد بقانون، في جنوب وشرق الأراضي التابعة للبولونيين وأهل موسكو، أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وكانوا في البداية قبائل أو عصابات (رُحل) ثم استقروا حسبما سمحت لهم الظروف في مواقع ملائمة على طول مجاري مختلف الأنهار، واصبحوا أحيانا اكثر جنوحا للسلم، وتعاطوا الزراعة إضافة إلى مهنهم الاخرى الأكثر بدائية، كصيد السمك والرعي، ولكن دون أن يتخلوا عن حرفتهم الأولى، **وهي الغارات المستمرة التي كانوا يشنونها ضد جيرانهم المسلمين، واحيانا ضد أبناء دينهم المسيحيين في بولندا، ومنطقة موسكو (موسكوفيا)**. وهكذا فقد تشكلت مناطق قوزاق في أحواض الدون والفولجا والاورال (Ural) التي خضعت إسميا في البداية لسيطرة الأمراء الروس، في الفترة التي بدأ الروس يوسعون مناطق نفوذهم. كما ظهر قوزاق (اوكرانيا أو روسيا الصغرى)، الذين كانوا يدينون بولاء متقلب لملوك بولندا، حتى تحولوا نتيجة طغيان هؤلاء الملوك العجزة، وظلم اليسوعيين (الجزويت Jesuit) وابتزاز اليهود، إلى احضان امراء (موسكو)، الذين كانوا منافسين لملوك بولندا، وإلى جانب هؤلاء كله، ظهر الزابوروجين (الزابورويون Zaporozhians) الذين اكتسبوا اسمهم من منطقة (Zaporzhtsi) الواقعة (وراء) أو اسفل شلالات (Poroghi) على نهر الدنيبر، وكانت المستوطنة الرئيسية عندهم تدعى (سيتشا – Sietcha) او (المعسكر المحصن) القائمة على جزيرة في ذلك النهر. وإختلف هؤلاء القرم كثيرا في تنظيمهم عن جميع القوزاق الاخرين، من حيث عدم السماح بوجود النساء في معسكراتهم، وشكلوا نوعا من المجتمعات الدائمة، أو الجمهوريات المؤلفة من الرهبان المقاتلين وظلوا في حروب مستمرة مع ملوك بولندا حتى عندما كانت في حالة سلم مع الاتراك والتتار.

**مواقع سكن القوزاق**

احتل القوزاق تدريجيا جميع الأراضي التي كانت موضع نزاع في شرق وجنوب روسيا وبولندا، وصدوا الجماعات او القبائل المسلمة إلى الوراء شيئا فشيئا. وبمرور الزمن أخذوا يضيفون الأراضي الخصبة إلى ممتلكاتهم وتحولوا بالتدريج في ولائهم إلى الروس.

إلا أن عملية استيعابهم من قبل السلطة المركزية الروسية كانت عملية بطيئة، ودخل بعضهم في طاعة الامراء والقياصرة الروس، بينما ظل البعض الآخر على حالته القديمة هاربين من العدالة، ومن دفع الضرائب الباهظة، ومن الاضطهاد الديني.

وعندما أصدر فيودور ايفانوفتش (Feodor Ivanovitch) (١٥٨٤-١٥٩٨) مرسومه القاضي بربط الفلاحين بالأرض، تزايد عدد الهاربين من (عبيد الارض). وانضم الرجال منهم إلى القوزاق.

**خدمات القوزاق للروس:**

قدم القوزاق رغم كل اخطائهم وانشقاقهم خدمات كبيرة جدا لروسيا، دون قصد منهم في البداية، ولكن فيما بعد أدوا خدماتهم هذه كرعايا مخلصين للقيصر. وفي كلتا الحالتين – كلصوص ومرتزقة وقراصنة، او كجماعات عسكرية خاضعة للسلطة المركزية – استمروا بحماس ونجاح في عملية الفتح والاستعمار. ونظرا لأن القوزاق جاؤوا نتيجة عفوية للظروف، ولم يخضعوا في البداية إلا لنزواتهم، فقد أنجزوا في المراحل الاولى من نشاطهم أعمالا تفوق كثيرا ما استطاعته أية حكومة في روسيا في تلك الايام. وأضافوا امبراطورية واسعة للمتلكات المحدودة نسبيا التي كانت تتبع لأمراء موسكو. صحيح ان تمردهم على القانون واستقلاليتهم قد سببت كثيرا من القلق لسادتهم الاسميين، او الفعليين، قبل ان يقوموا بهذه الانجازات، كما ورطتهم في نزاعات عديدة مع الاتراك والتتار، بل وعرضتهم

للخطر اكثر من مرة، وظهر من بين القوزاق قادة من الديمتريين (Dmeetri) وطالبوا بالعرش الروسي.

**الثورة على قياصرة روسيا**

تشير الوثائق أنه قامت أكثر من ثورة بينهم وبين الروس منها: ثورة ستنكارازين (Stenkarazeen) الذي (أعدم سنة ١٦٧١) وثورة بولافين (Boulavine) سنة ١٧٠٦ وثورة مازيبا (Mazeppa) سنة ١٧١٢، وثورة بوجاتشيف (Pongatcheff) العظيمة ضد كاترين الثانية وكانت كلها ثورات قوزاقية، وغمرت روسيا الشرقية والجنوبية بالدماء. ولكن يجب أن لا ننسى ان هذا التمرد على القانون، كان عاملا استخدمه أمراء موسكو بمهارة وحذق، في مناسبات عديدة، والذين كانت سياستهم تقوم على دفعهم لينهكوا قوى جيرانهم المسلمين.

*** انضمام القوزاق إلى الدولة الروسية:**

**وبمرور الوقت تم دمج القوزاق بصورة مباشرة ونهائية ضمن نطاق سلطة الدولة الروسية واستمرت عملية الفتح والاستعمار تحت إشراف ودعم من السلطة المركزية، مع أهداف اكثر تحديدا من الماضي، ولكن دون تحقيق قدر أكبر من النجاح.**

وحسب أقوال احد المؤرخين فإن بعض القوزاق من منطقة ريازان (Riazan) هربوا من غضب إيوان الثالث (Ivan III) (١٤٦٢-١٥٠٥) وأبحروا جنوبا في نهر الدون ومعهم نساؤهم وأطفالهم وقطعانهم، وعبروا النهر إلى منطقة نهر الفولجا وساروا مع مجراه حتى بحر قزوين، ومن ثم وصلوا إلى نهر تيرك (Terek)، وهنا وجدوا مستوطنة يتعاطى أهلها بعض القرصنة، وبعض التجارة، واسمها تيومين (Tioumen) ولكن القوزاق استمروا في هربهم موغلين إلى الداخل، وتوقفوا عند التقاء نهر آرغون (Argoun) بنهر سونجا (Soundja)، على مسافة قريبة من مدينة غروزني الشيشانية الحالية. ومن سلاسل التلال في هذه

المنطقة اكتسبوا اسم جريبنتسي (Grebentsi). وفي عصر ايوان الرابع (الرهيب) (Ivan IV The Terrible) ارسلوا وفدا إلى موسكو يلتمسون العفو الذي منحه لهم القيصر، شريطة ان يقوموا ببناء قلعة عند مصب نهر سوندجا والمحافظة عليها باسم القيصر.

**أول احتكاك بين القوزاق والشراكسة**

حدث أول اتصال واحتكاك بين قوات القوزاق المرتزقة والمقاتلين الشراكسة في عهد ايفان الرهيب في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، وذلك بعد ان استوطن قسم من القوزاق على ضفاف نهر الترك في عام ١٥٧٩ .

وكان أول من تأثر بالقبرطاي قوزاق (نهر تيرك) الذين عاشوا بجوارهم، كما عاش بينهم العديد من مهاجري القبرطاي وكان اول مظاهر التأثير هو تقليدهم لملابسهم. فالزي التقليدي الذي استعاره القوزاق عفويا من القبرطاي اصبح فيما بعد زيا رسميا وتقليديا بالنسبة لقوات منطقة تيرك وكوبان الروسية، وذلك لمناسبته للقتال هناك".

كما أن ارنولدي: كتب قائلا "... إن قوزاقنا في القفقاس الذين اعتمدوا عتاد الشراكسة في القتال لوجودهم في الظروف القتالية نفسها مع جيرانهم، لم يتخلفوا عنهم في الاستعداد القتالي أو العتاد العسكري، وقد وصل التباهي بالجياد والملابس والاسلحة عند القوزاق حدا فاقوا به الشراكسة".

"فإضافة إلى الزي أخذ القوزاق عن الشراكسة تسلحهم، لقد رموا الرماح الطويلة المجردة جانبا، وأصبحت القامات والخناجر المدسوسة في أغمادها الناعمة، والتي لا تصدر صوتا عند استلالها، هي السلاح المفضل لديهم" كما كتب المؤرخ بيليايف في كتابه (عن الآلام والاحاسيس):

"لقد استعمل قوزاق القفقاس خيول كاباردیا بالدرجة الاولى، حيث كانت تعتبر من اجود خيول القفقاس، واصبحوا يمتطون الخيول على طريقة الجبليين

(الشراكسة) تماما، حتى بات من الصعب تمييز قوزاق منطقتي تيرك وكوتوما عن فرسان القبرطاي".

كما تعلم القوزاق عن الشراكسة اساليب تتبع الاثر، والتحرك بمجموعات صغيرة، وتنفيذ الاستكشاف بشكل خفي للغاية بحيث لم يكن بإمكان أي قطعة من الجيوش النظامية القيام به، وما تعلمه القوزاق كان ذا فائدة كبيرة للجيش الروسي في مختلف معاركه، وتدريجيا وبشكل او بآخر بدأ القفقاس يعطي الجيش النظامي الروسي تأثيره، وابتدأ ذلك من مستوى الضباط، وكان بمجرد وصول أي ضابط إلى القفقاس، يسرع للحصول على العباءة القفقاسية، ويستبدل بسيفه الذي لا يصلح للقتال الفعلي هناك الخنجر القفقاسي (القاق).

**استغلال قادة الروس للقوزاقيين في حربهم ضد الشراكسة**

يقول (سولد فيوف) "بدأ استيلاء الروس على تلك البلاد، بغزو القوزاق لمناطق الشراكسة الواقعة حول مصب نهر تيرك، في النصف الثاني من القرن السادس عشر".

وفي عام ١٧٧٢ أعطت القيصر (كاترينا الثانية) اراضي في شمال غرب الكوبان في شبه جزيرة (تامان) حتى مصب نهر (لابا) بمرسوم خاص لقوزاق البحر الاسود والذين كان عددهم في عام ١٧٩٢ لا يزيد عن ٢٥ الف نسمة. وفي منتصف القرن التاسع عشر كان قد وصل عددهم إلى منطقة البحر الاسود حوالي مائة الف مستوطن.

وفي عام (١٨٠٠) حرضت الحكومة الروسية القيصرية قوزاق البحر الاسود للقيام بغزوات متعددة تحت اسم (حملات تأديبية) لمعاقبة الشراكسة القاطنين على ضفاف نهر الكوبان وعانى الشراكسة (الاديغة) معاناة كبيرة من هذه الهجمات القوزاقية البربرية.

وفي عام ١٨٠١ أنشأت القوات القوزاقية مدينة (يكاترينودار) تامان وبنت عشرات القرى (عرفت فيما بعد بالمحطات العسكرية) وأنشأت الحصون بالاعمال الشاقة (السخرة) للأسرى الشراكسة وكذلك لبناء طرق وجسور وغيرها، كما كانوا يعاقبون الشراكسة بغرامات مالية باهظة، وينهبون أموالهم، وأملاكهم، حتى حيواناتهم. ويوقعون الرعب والمظالم في الأهالي العزل.

وفي عام ١٨٦٠ أنشأت الحكومة الروسية (٣٥) قرية جديدة في سهل الكوبان وأسكن فيها (٥٤٨٢) قوزاقيا *.

وذكر احد المؤرخين القوزاقيين بأنه لم يكن يوجد اية عداوة بين القوزاق والشراكسة في غرب القفقاس سابقا وقبل تحريض الروس لهم. كما يقول (بشماف) نفسه، بأنه سمع على لسان السيدة براسكافايا ايفانوفيا **، إذ قالت السيدة "كان لا يوجد بيننا والجبليين أي حقد أو بغضاء. وكل قوزاقي كان عنده صديق أو عدة أصدقاء من الشراكسة. وعندما كانوا يجتمعون بالبازار أي (سوق البلدة). كانوا يتعاملون تعامل الاصدقاء منذ زمن بعيد. وكانوا يتخاطبون أنت صديقي وأنا صديقك، كما لا نخاف منهم، لأنهم أناس طيبون وأنهم يحترمون الضيوف."

ومنذ ذلك التاريخ، أي منذ مطلع القرن التاسع عشر كشف القادة العسكريون الروس دعمهم للمقاتلين القوزاق ولم تقع معركة دون ان يكون لهم دور وحشي وبربري، حيث ارتكبوا المجازر ضد الأطفال والشيوخ والنساء واعتدوا على المساجد وحرقوا المزارع وقتلوا الحيوانات وأتلفوا مخازن التموين ولوثوا مصادر المياه.. الخ.

* برقوق، اسماعيل القفقاس في التاريخ ص: ٥١٨.

** إيفانوفيا، مؤرخة قوزاقية عاشت بين الشراكسة أواخر القرن الثامن عشر.

وتشير الوثائق الروسية، والروايات الشركسية بأنه لم تقع مجزرة ضد الشراكسة في السنوات الأخيرة من حرب الإبادة، إلا كان للقوزاق دور رئيسي فيها، وأنهم ارتكبوا ضد الشراكسة عامة والنساء والأطفال والشيوخ عامة أبشع الجرائم تصل إلى حد جرائم الحرب.

واستمرت سياسة اسكان القوزاق في الأراضي التي استولت عليها السلطات القيصرية الروسية حيث صدر في ١٨٦١/٥/١٠ قرار بإسكان أكبر عدد ممكن من القوزاق في هذه الأرض وتطبيقا لهذا القرار أقيم بين أعوام ١٨٦١ و ١٨٦٥ في منطقة ما وراء الكوبان (٧٣) محطة قوزاق جديدة وثماني قرى تم اسكان (١٦) الف عائلة فيها، وحتى نهاية الثمانينات من القرن التاسع عشر بلغ عدد محطات القوزاق (١٧٦) محطة/ قرية.

# الفصل الرابع

## الدور الإيجابي للبولنديين في دعم ومساندة الأمة الشركسية في حرب الإبادة والدمار الروسية

**الدور الايجابي للبولنديين**

**الدور السياسي للبولنديين**

بالرجوع إلى تاريخ الصراع البولندي الروسي نجد بأن الحرب استمرت بينهما (٧٠) عاما (من عام ١٧٠٠ ولغاية ١٧٧٠م) وتمكنت روسيا بمساعدة فرنسا من الاستيلاء على بولندا التي كانت مركز صراع بين انجلترا وفرنسا وروسيا عام ١٧٧٠ حيث تم الاتفاق بين روسيا وفرنسا وبمشاركة انجلترا على تقسيم بولندا. ورفض الشعب البولندي الاحتلال وقام بثورة عامي ١٨٣٠/ ١٨٣١ وطردوا المستعمرين، إلا أن روسيا استطاعت السيطرة على الوضع بعد ان نكلت بالشعب البولندي، واضطر رجال المقاومة البولندية الهروب لمختلف انحاء اوروبا، وشكلوا جمعيات سياسية بدأت تعمل للحصول على الاستقلال بالطرق السياسية.

أما روسيا فقامت بتجنيد الشباب البولندي في جيشها حتى بلغ عددهم في عام ١٨٤٠ في الجيش الروسي حوالي (٣٠) الفا اغلبهم كانوا متواجدين على الجبهة القفقاسية وبالمقابل، وبنفس الوقت فإن القفقاسين الذين أجبروا على الانخراط في الجيش الروسي أرسلوا إلى بولونيا باسم (الفرقة الجبلية القوقازية).

ظلت التجمعات السياسية البولونية تناضل من أجل بولونيا والقيام بحركات نضالية كلما اشتد لهيب المعركة على الجبهة القفقاسية، كما كان ممثلو هذه التجمعات السياسية الموجودون في العواصم الغربية مثل لندن وباريس وفيينا يحاولون دائما مع حكومات هذه الدول تقديم يد المساعدة إلى القفقاسيين عامة والشراكسة خاصة.

كما أن العديد من الجنود والضباط البولنديين الذين كانوا مع الجيش الروسي يعلمون بأن نجاح الشراكسة في حربهم ضد الروس معناه التعجيل في استقلال بولونيا فلذا كانوا يهربون من الجيش الروسي ويلتحقون بالجيش الشركسي.

**وبالتالي فإن بولندا كانت الدولة الصديقة الوحيدة التي وقفت مع الشراكسة في الخمس والثلاثين السنة الأخيرة، وانها كانت أبرز الدول التي دعمت الشراكسة وتفهمت قضيتهم وصراعهم الطويل من اجل الاستقلال ونيل حريتهم**، وانهم كانوا دوما يضمرون كل الخير للأمة الشركسية المجاهدة، ويتمنون لها التوفيق، ولم يشك احد بحسن نية البولنديين بمعاناتهم وآلامهم لأنهم هم أنفسهم عانوا من ويلات الاحتلال الروسي، وذاقوا مرارة الاستعمار الروسي، والشراكسة لم ينظروا في بادئ الأمر نظرة استحسان إلى تعاطف البولنديين الذين كانوا يجتازون خطوط القتال ويفرون إلى بلادهم كما كانوا يخشون أن يكونوا جواسيس أرسلهم الروس، لا سيما بعد أن قام بعض الجواسيس بأعمال هدامة مشينة في بلاد (الكرج والقرم) إبان احتلالهما، إلا أنه مع الزمن تأكد للشراكسة مدى صدق البولنديين وحسن نياتهم، فتقبلوهم كإخوان وضيوف، واستفادوا من خبرتهم كجنود نظاميين وخبراء مدفعية.

وأما السياسيون وذوو المكانة منهم، فكانوا يسعون في اوروبا إلى حمل الدول الاوروبية الصديقة على مساعدة الشراكسة مادة ومعنى، كما أنهم كانوا يقومون بالدعاية اللازمة لهم لإفهام الدول الاوروبية عدالة قضية القوقازيين، كما أن البولنديين الموجودين في القوقاز كانوا يشجعونهم على مساندة القوقازيين ومشاركتهم مصيرهم بكل ما لديهم من خبرة وقوة عسكرية [٣].

*** الدور العسكري للبولنديين:**

بدأت المساهمات العسكرية والقتالية من البولنديين في القفقاس في الاربعينيات من القرن التاسع عشر بقيادة "تشارتوريسكي"، ففي عام ١٨٤١ وتحت اسم "صادق باشا" ترأس "تشارتوريسكي" وفدا إلى (استانبول) والتي كانت مقرا ثانيا

"لتشارتوريسكي"، وقام بإرسال مبعوثين من (استانبول) إلى جنوب روسيا والبلقان والقفقاس.

كانت أمام المهاجرين البولنديين في (استانبول) مهمة معقدة وهي جلب الولاء من السلاف الجنوبيين ومن القوزاق ومن شعوب القفقاس وتحريكهم ضد روسيا، وقد تم تحديد مسار الوحدات البولندية والقوزاقية والجبلية، إذ كان على شعوب القفقاس التقدم على طول نهر (الفولغا) باتجاه (موسكو) وأما القوزاق فكان عليهم المسير على طول نهر (الدون) عبر مدينة (فورنيج) ومدينة (تولا) وأما الفوج البولندي فكان عليه أن يخترق بولندا لمساعدة الانتفاضة في بولندا، وكان البولنديون يفكرون أن مثل هذا الهجوم الثلاثي سيؤدي إلى حدوث ثورة اجتماعية في روسيا، وإلى إنشاء دولة بولندية على أساس حدود عام ١٧٧٢ وسيتبع لهذه الدولة قوزاق الدون وقوزاق البحر الاسود، أما في القفقاس فكانوا يريدون إقامة ثلاثة دول عازلة هي (جورجيا) و (أرمينا) و (اتحاد الشعوب الاسلامية).[٤]

إلا أن هذه الخطط العسكرية لم تنجح بسبب دسائس العملاء الانجليز والاتراك والفرنسيين وخير من كتب عن اوضاع الجواسيس والعملاء في بلاد الشراكسة في تلك الفترة هو المؤرخ البولندي (ل. فيدبرتسال) عام (١٨٤١-١٨٤٢) قائلا إن المعلومات كانت تصل من قناصلة انجلترا في (أوديسا) و (طرابزون) ومن خلال التجار الوافدين إلى استانبول.. إلا أن المعلومات الاساسية عن الاوضاع في (تشركسيا) كانت تصل عبر العملاء الاتراك وبالتحديد عن طريق (صفر بك)، بالإضافة لما كان ينقلها العديد من العملاء الانجليز الذين كانوا ينتحلون صفة تجار ورحالة... وكانوا من مهامهم الرئيسية تنظيم اعمال تخريب سياسية لمنع تفاهم الاديغة مع الشعوب الشركسية الاخرى.

وفي عام ١٨٥٧ شارك قادة عسكريون بولنديون في قيادة الوحدة الانجليزية/ التركية التي تم انزالها في منطقة (توابسة) في ١٨٥٧/٢/٢٦ واستمرت في تواجدها في (شركسيا) حتى بداية ١٨٦٠ بقيادة العقيد البولندي (توفيق لانيسكي)، وكان يعرف باسم (توفيق بك) بالاشتراك مع (باندي) والذين كان يعرف باسم (محمد بك) وقام (توفيق بك) بالاتصال مع (صفر بك) وزعماء الشراكسة الموالين لتركيا، وتحت تسمية "باندي" قائدا عاما للجيوش الشركسية، ثم قام هو بتسمية نفسه قائدا عاما للقوات الاوروبية في القفقاس، أما في الحقيقة فقد كان كرئيس أركان "لصفر بيك" والذي كانت سلطته فقط على الناتخواج وجزء من الشابسيغ.

وفي الوقت الذي كان فيه "لابينسكي" يقوم بتقوية قواته بالأسرى البولنديين وبالفارين من الجيش الروسي كان "باندي" يكاتب القيادة الروسية حسب الخطة التي وضعها في (استانبول)، وكتب "باندي" إلى الجنرال الروسي "فيليبسون" يقول: "أليس من مصلحة روسيا إقامة السلام في شركسيا؟ الشراكسة ليسوا كما كانوا قبل خمس سنوات فهم محاربون جيدون مثل الجنود الروس وهم سيقاتلون من أجل عقيدتهم واستقلالهم حتى آخر شخص، أو ليس من الأفضل إعطاءهم ولو طيف استقلال بتعيين حاكم أمير شركسي عليهم تحت حماية القيصر الروسي، وبكلمة واحدة أن نصنع من شركسيا جورجيا ثانية". واشترك في تنظيم إرسال وحدة عسكرية كل من: السفير الانكليزي في (استانبول) اللورد "ريدكليف" والسفير النمساوي "براكيش اوستين" وكبير وزراء الدولة العثمانية "رشيد باشا" ووزير البريد "اسماعيل باشا" (ذو الأصل الشركسي) والاميرال "محمد علي باشا" ووزير الحرب "رضا باشا"، وكانت مسؤولية التنفيذ على عاتق الأمير البولندي "زامويسكي" ومنحت الحكومة الانكليزية لهذا الامير راتبا مدى الحياة قدره (١٤٠٠) جنيه سنويا مع رتبة فريق في الجيش الانكليزي.

كانت الوحدة المخصصة للإنزال مؤلفة من (١٩٠) شخصا، بينهم (٨٤) بولنديا والباقي من المهاجرين الاوروبيين مختلفي الجنسية المقيمين في (استانبول).

وقاتل الشراكسة بضراوة شديدة ايضا على الشاطئ الايسر لنهر الكوبان في المناطق الجبلية، وحارب مع الشراكسة الجنود الروس الذين فروا من قسوة الطغاة فهم قد حاربوا معا ضد الهيمنة الروسية، كما كان مع الشراكسة عدد غير قليل من الجنود البولنديين الذين جندهم الروس في فيلق القفقاس المستقل لمحاربة الشراكسة فهربوا إليهم.

أصاب سوء الحظ وحدة "لابينسكي" وبدأ الهرب الجماعي منها، في بداية عام ١٨٦٠ وانتهى وجود الوحدة الاوروبية وكتب "م. تشايكوفسكي" حول ذلك يقول: "إن الوحدة سلكت سلوكا مشينا: السكر والعربدة وعدم الانضباط".

ووصلت حملة عسكرية بقيادة العقيد البولندي "برجلوتسكي" إلى شركسيا في أيلول ١٨٦٣ وبقيت حتى آذار ١٨٦٤ وكانت مؤلفة من فرنسيين وبولنديين ومهاجرين شراكسة بقيادة "اسماعيل بك" من كبار الاوبيخ وكتب أحد المشاركين في الحملة أن مهمتهم كانت في ايصال المدافع والسلاح إلى الشراكسة وكانت مهمة الشراكسة معنا هي مرافقتنا والقيام بالترجمة.

خلال الانتفاضة البولندية لعام ١٨٦٣ حاولت القيادة البولندية استخدام المسألة الشركسية للإساءة للعلاقات التركية الروسية ولجلب تركيا إلى الكتلة الأوروبية المعادية للروس، وكان هذا يتفق مع خطط الديبلوماسية الانكليزية والفرنسية، ووضعت خطة كان سيتم بموجبها توحيد شركسيا والشيشان والداغستان مع تركيا وإعطاء الاستقلال لدول ما وراء القفقاس المسيحية.

إلا ان الحملة لم تنجح لعدم جدية كل من انجلترا وفرنسا وتركيا في تقديم الدعم العسكري بعد توقيعها معاهدة باريس عام ١٨٥٦.

وفي عام ١٨٦٢ تشكلت لجنتين لدعم الشراكسة في كل من لندن واستانبول وكانت اللجنة المشكلة في استانبول ممثلة للمهاجرين الشراكسة المرتبطين بشكل وثيق مع الدوائر التركية الحاكمة، وكذلك مع الممثلين من المهاجرين البولنديين، وكان يرأس اللجنة الشركسية في (استانبول) العقيد الانكليزي "جوردان" وهو عميل الحزب الارستقراطي البولندي في تركيا، وأصبحت (استانبول) ليس فقط مركزا للدعاية الموالية للشراكسة، ولكن نقطة تموين رئيسية للشراكسة في القفقاس بالأسلحة والذخائر.

وكتب السفير الروسي في (استانبول) في آب ١٨٦٣: "إن (استانبول) أصبحت مكان تجمع رؤساء القبائل الشركسية المعادية لنا، وكذلك مستودعا للأسلحة والذخائر الحربية وغيرها من الامور المخصصة لإرسالها إلى أعدائنا على شواطئ القفقاس، وهنا في (استانبول) وبتأثير المهاجرين البولنديين أصبحت المسألة الشركسية تجتذب الرأي العام الأوروبي أكثر فأكثر لتصبح سلاحا في الدعاية السياسية المعادية".

وتم في (استانبول) تأسيس (المجلس الوطني الاعلى) لقيادة سير الصراع الشركسي في شمال غرب القفقاس وتشكل ضمن اعضاء هذا المجلس اتجاهان: الاول كان يدعو إلى ضرورة المقاومة الشديدة ضد الروس بالسلاح، والثاني يدعو إلى محادثات سلام مع روسيا ضمن شروط محددة تضمن للقوقازيين بعض الحقوق والإرادة الوطنية، وكان الاتجاه الاول مدعوما من قبل المهاجرين البولنديين ومن انكلترا وتركيا بينما الاتجاه الثاني لم يكن جاهزا للصراع المسلح القوي [٥].

وكذلك حاول الضباط البولنديون والشخصيات السياسية المنفية والهاربة من الاحتلال الروسي يتسابقون ويدقون أبواب الحكومات والسفارات طالبين مساعدة الشركس في حربهم ضد روسيا كما كان مجندوهم في الجيش الروسي يهربون بأسلحتهم. وينضمون إلى المقاتلين الشراكسة.

هذا بالإضافة إلى قيام زعيم البولنديين الموجود في باريس بشكل مستمر في دعم قفقاسيا بالطرق السياسية، فكان يكتب المقالات في الجرائد اليومية كما نظم مظاهرتين في كل من باريس ولندن من مؤيدي المقاومة القفقاسية في كلا البلدين للفت الانظار إلى حرب الإبادة التي تمارسها ضد الشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة.

وفي عام ١٨٦٢ استطاع ممثل البولنديين في اسطنبول (فلاديسلاف يوردان) ارسال قوة بقيادة الملازم كوزرادنكي إلى قفقاسيا وكانت وظيفته ومهمته دعم القفقاسيين في تشكيل إدراة مركزية وبنفس الوقت الاتصال بالقوات البولندية في الجيش الروسي وتأمين انضمامها إلى معسكر القفقاسيين.

وفي عام ١٨٦٣ بدأ العصيان في بولندا فتضاعفت أعمال ممثلهم في اسطنبول فأرسل إلى بلاد الشراكسة هيئة جديدة بقيادة العميد (كليمنص بشفلوتسكي) كما أرسل مندوبين اثنين لعمل الدعاية بين البولنديين والقوزاق الموجودين في القوات الروسية، وظل العميد كليمنص مقيما في بلاد الشركس إلى ان انتهت الحرب عام ١٨٦٤ [٦].

*** دور التسليح والتدريب العسكري البولندي للمقاتلين الشراكسة**

ربما كان من الادوار الرئيسية التي لعبها العسكريون البولنديون في دعمهم للمقاتلين الشراكسة في حربهم ضد جيوش روسيا القيصرية هو:

١- تسليح المقاتلين الشراكسة.

٢- تدريب المقاتلين على استخدام اسلحة جديدة.

**فبالنسبة للتسليح**، فإن الوكالة البولندية في كل من باريس ولندن وتركيا كانت ترسل للشراكسة السلاح والعتاد العسكريين خاصة في الاعوام من بين ١٨٥٩-١٨٦٤.

وكذلك فإنها أرسلت كميات كبيرة من ملح البارود والمدافع الثقيلة التي لم يكن يمتلكها المقاتلون الشراكسة سابقا.

**أما بالنسبة لتدريب المقاتلين الشراكسة**، فإن الضباط البولنديين الذين هربوا من الجيش الروسي كانوا فنيين وخبراء في استخدام وصيانة المدافع الثقيلة، وبالتالي فإن لهم دوراً كبيراً في تدريب المقاتلين الشراكسة على استخدام المدافع التي في غالبها جاءت كتبرع من البولنديين المهاجرين في اوروبا.

كما انهم قاتلوا مع المقاتلين الشراكسة، ونقلوا إليهم ايضا علومهم العسكرية وتكتيك المعارك، وحسب شهادة الشهود فإن هؤلاء علموا الشراكسة ايضا صناعة البارود وكيفية اطلاق المدافع مما ساعد في مقاومة الشراكسة والصمود في وجه الاعداء الروس لأطول فترة [٨]، وتكبيدهم خسائر بالأرواح والعتاد. [٩]

**هذا بالإضافة إلى قيام الضباط البولنديين العاملين في الجيش الروسي** بتهريب اسرى المقاتلين الشراكسة الذين كانوا محتجزين في مراكز الاسرى لدى معتقلات الجيش الروسي.

*** الدور الإعلامي للبولنديين:**

كانت اللجنتان الشركسيتان في لندن واستانبول متصلتين بشكل وثيق مع مركز المهاجرين البولنديين في باريس، ومن خلال هذا المركز كانت تتم تقريبا كل النشاطات المضادة للروس في شركسيا، وكذلك من خلال رئيس الوكالة البولندية في (استانبول) العقيد "يوردان" الذي سمى نفسه بالتركية "ياردان بك" فكانوا يهتمون بالمسألة الشركسية، وقاموا بشكل مستمر بالكتابة في الصحف والمجلات الاوروبية والتركية مقالات حول وحشية الروس في حربهم ضد القوقازيين، كما كانوا ينشرون مقالات عن حقيقة الصراع الروسي القفقاسي، وأخبار الشعوب القوقازية، وحملة الإبادة والدمار التي تعرضت لها الشعوب القوقازية عامة والشعب الشركسي خاصة من جيوش السلطات الروسية المعتدية[٧].

## مراجع ومصادر الفصل الرابع من الجزء الرابع في المجلد الثالث

١) الجنرال موس كوندوك، مذكرات الجنرال، اسطنبول ١٩٧٨ ونقل عنه نهاد برزج في كتابه تهجير الشراكسة، ص: ٥٥-٦٥.
٢) برقوق، اسماعيل ، قفقاسيا في التاريخ ص: ٤٢٧.
٣) المفتي، شوكت ، مصدر سابق، ص: ٢٠٧.
٤) الوثائق الروسية، إبادة الشراكسة، ص: ٤٨-٤٩.
٥) المصدر نفسه ص: ٩٧-١٠٠.
٦) مجلة قفقاسيا الجديدة، استانبول، عدد ٢٤ عام ١٩٦١، ص: ٨.
٧) الوثائق الروسية، إبادة الشراكسة، ص: ١٠٨.
٨) كوبة، شعبان، فلكلور الأديغي، الجزء الثالث، ص: ٥٧.
٩) المصدر نفسه: ص ١٠٨.

# الفصل الخامس

## أئمة الحركة المُريدية الإسلامية وأدوار قادتها العسكريين في حروب الإبادة والدمار القفقاسية عامة والشراكسة خاصة التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية

**تمهيد:**

ان الدارس لوقائع واحداث حروب الابادة والدمار التي نفذتها السلطات الروسية القيصرية في شمال القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة يجد بأن قوميتين قوقازيتين بالإضافة للأمة الشركسية كانت لهما ادوار بارزة في التصدي للقوات الروسية القيصرية وهما (الشيشان والداغستان) وأن أئمة الحركة المُريدية هم الذين قادوا المقاتلين الداغستان والشيشان في حربهم ضد القوات الروسية القيصرية وفي مقدمتهم الائمة والقادة التالية أسماؤهم:

- الامام شيخ منصور والملقب (بأشورما)
- الامام غازي مولا وهو اول امام للحركة المُريدية في القفقاس.
- الامام حمزات بك جانقا وهو الامام الثاني للحركة المُريدية في القفقاس.
- الامام شامل وهو الامام الثالث للحركة المُريدية.

كما كان لنواب الامام (شامل) في بلاد الشراكسة (الاديغة) في الغرب ادوار هامة حاول فيها توحيد قبائل (الاديغة) في منطقة ما وراء الكوبان وهم النواب (الحاج محمد) والحاج سليمان ومحمد أمين.

وبالبحث عن اهم الادوار التي لعبها الشعبين الداغستاني والشيشاني بقيادة أئمة الحركة المُريدية توصلنا إلى الحقائق التالية:

**نشأة الحركة المريدية**

يجد الباحث في اصل الحركة المُريدية بأنها بدأت كحركة (اصلاح ديني)، وكانت تتبع الطريقة (النقشبندية) التي اسسها (محمد البخاري) المتوفى عام ٧٩٠هـ.

كما يجد بأن الطريقة النقشبندية ظهرت لأول مرة في (أذربيجان) وانتقلت إلى الداغستان على يد (محمد اليرغلي) نسبة إلى بلده (يرغل) وهي قرية في مقاطعة (كورين) بالداغستان، ومع ان الحركة في الاساس كانت حركة اصلاح ديني بحتة إلا أن (محمد اليرغلي) اعطاها طابعا سياسيا.

**وفي عام ١٧٨٣** دعا الشيخ (منصور) الشيشاني الأصل واسمه (أشورما) ومن مواليد بلدة (الداري) الشيشانية للجهاد كرد فعل ضد حملات جيوش القيصر (كاترينا) في القفقاس عامة، وفي بلاد الشيشان والشركس خاصة.. وبذلك يكون الشيخ (منصور) أول من قام بمقاتلة قوات السلطات الروسية القيصرية من منطلق ديني اسلامي [١].

وتؤكد الوثائق بأن دعوة الشيخ منصور الشيشاني (للجهاد) لم يكن قد سبقها أي اعداد او تنظيم سياسي ديني، إلا أن مقاومته الجهادية كانت هي البذرة الخصبة لظهور (الحركة المريدية الاسلامية) في بلاد الداغستان في القرن التاسع عشر، والتي حملت لواء الجهاد ضد القوات الغازية للقوقاز عامة وبلاد الشراكسة خاصة.

**وفي مطلع القرن التاسع عشر، تزعم (الغازي مولا محمد) (الحركة المريدية)** في بلاد الداغستان وكان شيخا كبير في السن، ذا علم واسع في أمور الدين، لا هم له إلا تلاوة القرآن وتفسير آياته، لذلك كان الناس يقصدونه من كل حدب وصوب، ويأتون إليه للتحدث إليه والاصغاء إلى خطبه الدينية.

**وتفتح ذهنه فجأة، عن الذنب العظيم الذي يرتكبه الناس، بخضوعهم للمستعمر الروسي، الذي لا يستحق إلا الطرد من البلاد والإبادة بكل الوسائل الممكنة.**

**وفي عام ١٨٢٤ خاطب الناس بصورة علنية، وأفهمهم بأن جميع أعمالهم الصالحة، وقيامهم بالشعائر الدينية لا فائدة منها ولن يتقبلها الله ما دام المستعمر الروسي يحتل بلادهم، وصاحب الامر والنهي فيها. واعلن الجهاد في**

**سبيل الله والوطن، وقال: ان من يريد الآخرة يجب عليه الاستغناء عن ملاذ الدنيا، وينبذ امرأته وأولاده وماله، ويضحي بها في سبيل الله. والمؤمنون وجب عليهم الجهاد والتضحية، لذلك يجب عليهم أن يتسلحوا ويعدوا العدة بانتظار الساعة المناسبة!".**

**والذين اقبلوا عليه وباركهم (المولا محمد) واصبحوا يدعون (مريدين) ومعناه (المجتهد الذي يريد ان يجد طريق الخلاص)، وشكل جيشا للخلاص وكثر عدد الذين التحقوا بهذه الطريقة التي انتشرت بسرعة عظيمة في الداغستان، وانتقلت بعد ذلك إلى بلاد الشيشان، حيث كان التلاميذ المتعصبين يدعون الناس إلى الجهاد. فدوت صيحة الحرب في الجبال والوديان وكان شعارهم (الويل للروس) و (الموت للروس جميعا).**

أن تعاليم هذه الحركة الجديدة كانت تدعو إلى (الحرية والمساواة بين الناس) وكانت لا تقر استعباد واستغلال شخص ما، من قبل شخص آخر، كما اعلنت توحيد مذهبي السنة والشيعة، لأن جميع الناس هم ابناء الله.

**وخاطب (المولا محمد) الناس قائلا: "إن معابدكم ومساجدكم فقدت حرماتها لأن (الكافر الروسي) ينظر إليها بأعين وقحة، وخير لكم ان تهدموها على انفسكم وتدفنوا تحتها معكم اولئك الاعداء! وكل حجر تقتلون به روسيا سوف يصبح تمثالا للحرية ومعبدا لتمجيد الله" وارسل رسلا إلى الأمراء والزعماء في مختلف انحاء القفقاس قائلا لهم.**

**"لقد دنت الساعة الرهيبة، واليوم هو يوم النصر او الموت! ومن يضحي في سبيل الله له الجنة في الآخرة، ومن ينصر الله منكم فله الحرية في الدنيا، وما لكم الآن إلا الحرية او الموت، فماذا تنتظرون"[٢].**

وعاد في نفس الفترة كل من (محمد الغمري) والذي عرف فيما بعد باسم (غازي مولا) وصديقه (شامل) الى مسقط رأسهما بلدة (غمري) في اقليم (افاربا) وبالجزء الغربي من بلاد الداغستان، بعد أن تعلما اللغة العربية وتلقيا علوم الدين الإسلامي على يد أشهر علماء المسلمين في بلاد الداغستان، كما تلقيا المبادئ الاولية للحركة المُريدية، وبعودتهما إلى قرية (غمري) وجد (الغازي مولا محمد) الزعيم الروحي للحركة المُريدية الجديدة في الداغستان ضالته المنشودة، فقرر اختيار (محمد غمري) إماما للحركة المُريدية وسمي الإمام (غازي مولا).

وبدأ (غازي) تطبيق مبادئ حركة المريدية بمحاربة عادات شرب الخمر، وكذلك عادات الثأر بين القبائل، وأما الطابع السياسي للحركة فجاء رد فعل على الاحتلال الروسي للداغستان، والتي استخدم فيها الروس القسوة والوحشية ضد كل من قاومهم من القبائل الداغستانية، وبشكل خاص في إقليم (أفاريا) التي كانت أكثر المناطق مقاومة للروس في ذلك الوقت.

أما الولايات الاخرى من الداغستان خاصة الشرقية فيها فقد تقبلت الاحتلال الروسي بل وعرضت خدماتها على القوات الروسية، حيث تم إدخالها ضمن القوات الروسية الغازية للقوقاز [٤].

**تطور الحركة المُريدية الإسلامية ونشأة حركة الزباروزية المسيحية القوزاقية.**

تطورت الحركة المريدية في اقليم (أفاريا) في الداغستان بعد أن تلاقى الفكر الديني الاصلاحي مع الفكر السياسي الجهادي والذي تضمن وجوب مقاومة العدو الروسي المحتل لبلاد القفقاس عامة والداغستان خاصة، وأصبح شعار الحركة المريدية هو الجهاد المقدس ضد الروس الغزاة، كما رفعوا شعارات دينية في حروبهم على الروس وأهمها:

- **من لا يحارب الروس فمصيره إلى جهنم.**
- **الجنة تحت ظلال السيوف.**
- **أمة محمد لا تعيش تحت ظلال الكفرة.**
- **كل ما هو عائد للروس فهو محرم على المسلمين.**
- **لا يقبل الدين قطعيا ذهاب المريض للعلاج عند الاطباء الروس.**
- **كل شخص لا يحارب الكفرة الروس مصيره إلى جهنم.**
- **ان أمة محمد لا يمكن ان تعيش تحت إدارة الكفرة غير المؤمنين بالله.**
- **على كل مسلم ان يفكر بالجهاد وفق تعاليم الشريعة السمحة.**

وفي نفس الفترة ظهرت حركة مسيحية على يد طائفة قوزاقيـــة متطرفـــة تدعى طائفة (زباروز) ورفعوا شعارات دينية مسيحية متطرفة ومتعصبة كرد على الشعارات المريدية المتطرفة مثل: [٥]

- **أفضل الاديان هي المسيحية.**
- **يجب قتل كل قفقاسي يرفض ذلك.**
- **وهذه هي أهم وظيفة للزباروزي.**

**دور (أشورما) * والملقب بالشيخ (منصور الألداري) في حروب الابادة والـدمار الروسية**

ولد الشيخ (منصور) في بلدة (الدي) في بلاد الشيشان. وأعلن الجهاد ضد الروس ابتداء من عام ١٧٨٣ وخاض العديد من المعارك ضد القوات الروسية الغازية ابان حملة القيصر الروسي (كاترينا) في بلاد القوقاز عامة وبلاد الشيشان والشراكسة خاصة وفي عام ١٧٨٥ احرز انتصارات عديدة قبل ان يهزمه الروس في معركة (تتارتوب) وتفرق بعدها أتباعه من الشيشان والقبارطاي والانجوش وبعض التتار إلى بلادهم، وعاد الشيخ (منصور) للظهور في بلاد الشراكسة في الغرب على ساحل البحر الاسود، وقام بتحريضهم على القتال ضد الروس، حيث استطاع هزيمة الروس في عدة معارك، ثم انضم إلى الاتراك في ميناء (أنابا).

إلا أن الاتراك بدلا من دعم ومساندة الشيخ (منصور) في جهوده المبذولة لصالح إنشاء اتحاد قوي يجمع القفقاسيين معا، لمواجهة الاطماع الروسية قامت بتحريض (الاديغة) على طرده من بين صفوفهم، وعندما بدأت المعركة حول (انابا) صدر أمر موجه إلى (بطال باشا) حاكم الامة ترابزون، بالتوجه إلى (أنابا) على رأس جيش قوي لمؤازرة (الاديغة) في حربهم ضد روسيا، والتي كانوا يخوضونها دفاعا عن تركيا. لكن هذا الامر لم ينفذ، وبقي (بطال باشا) في ترابزون، يراقب الاحداث من الجهة الاخرى للبحر الاسود. ولم يتلق (الاديغة) أية مساعدة تذكر من القوات التركية، وعندما هددوا بالكف عن حماية القوات التركية المتواجدة في (أنابا). أرسلت السلطات التركية لجنة للتحقيق في شكاوى زعماء الشراكسة، وعندها تحرك (الباشا) نحو (انابا) وتحت أمرته بضع مئات من الجنود. ولما وجد

* تقول لسلي بلاش (Lesley Blash) في كتابها (سيوف الجنة) (The Sabeas of Panadise) بأنه ظهر في حوالي نهاية القرن الثامن عشر في المنطقة نفوذ سياسي قوي بقيادة شخص غامض عرف باسم (منصور... او منصوري).

(انابا) واقعة تحت حصار القوات الروسية، اختبأ في الغابات المجاورة، ولم يجرأ على الاقتراب منها بينما شق القائد الباسل (منصور) طريقه عبر الصفوف الروسية، وأمسك بيد (الباشا) وقاده إلى داخل الموقع في (انابا) بالقوة.

وفي عام ١٧٩٠ توجه (الشيخ منصور) إلى جبهة الكوبان الشركسية واشتبكت قواته مع الجيوش الروسية بقيادة "هيرمان الساكسوني" في معارك يائسة عديدة، وتضعضعت قوات الطرفين نتيجة لعنف القتال. وفي هذا الوقت، وصلت تعزيزات تركية كبيرة إلى (أنابا) مع اوامر صريحة موجهة إلى (الباشا) بالتحرك إلى جبهة الكوبان، وكما في المرة الاولى، تلكأ في الخروج. (وكأن الجيش في نزهة)، وليس بصدد خوض حرب دفاعا عن تركيا نفسها.

في النهاية وصلت القوات التركية إلى ضفاف نهر الكوبان الجنوبية، والجيوش الروسية تستعد لرفع الاعلام البيضاء حالما يبدأ الهجوم المتوقع عليها. ولما طلب زعماء الاديغة من (بطال باشا) تقديم مدافعه إلى الضفة الشمالية، لهدم أسوار القلاع والحصون تمهيدا لاقتحامها، رفض ذلك قائلا إن لديه أوامر مشددة تمنعه من اجتياز خط الحدود، عندها، سأله واحد من الزعماء الشراكسة: "**إن لم يكن لأجل مقاتلة الروس، فلماذا وجودك هنا، اذن؟**" **وأجاب قائلا: "تقبلون بي حاكما عاما على (قباردا) وتضعون قواتكم كلها تحت امرتي، وبعد ان تصبحوا من رعايا سلطاننا المعظم، يمكن لكم التقدم بطلب مساعدة منه، ونظر زعماء الاديغة إلى وجوه بعضهم البعض ثم غادروا خيمته غاضبين**".

وفي صباح اليوم التالي توجه الزعماء مرة ثانية لخيمته ليبحثوا الامر معه من جديد، فوجدوا الخيمة فارغة، ثم جاء من يخبرهم ان النقود المخصصة للصرف على الجيش قد اختفت وقدرها (ثمانمائة كيس) ذهب.

هرب (بطال) إلى موسكو، [٦] ونتيجة لاختباء الباشا سقط (الشيخ منصور) أسيرا في ايدي الروس وتم إرساله إلى بلاط (كاترينا) "لمشاهدته" وامرت بسجنه. إلا انه وجد عام ١٧٩٤ في سجنه (مخنوقا) بعد ان قام باختطاف خنجر من حراسه وطعن احدهم وأصابه بجراح بليغة، واجتمع عليه حراس السجن وقاموا بخنقه. وهكذا انتهت حياة أول وآخر زعيم اسلامي التفت حوله شعوب شمال القوقاز بدون استثناء في القرنين الثامن والتاسع وهو الامام منصور الشيشاني الأصل[٧].

وشهد المؤرخون للحرب القفقاسية الروسية بأنه كان لمساهمات الشيخ منصور جهود كبيرة فاعله في الحرب، كما كان له تأثير على تنبه الدول الاجنبية إلى حقيقة الاعمال الوحشية والافعال البربرية التي ترتكبها السلطات الروسية القيصرية ومنهم: المؤرخة (لسلي بلانش) والتي قالت عن الشيخ منصور في كتابها The Sabers انه في نهاية القرن الثامن عشر كان له أقوى تأثير سياسي في المنطقة، ووضع الانجليز والبابا والسلطان التركي في موقف المعارضة ضد روسيا وسياستها التوسعية، وأنه من اصل غامض. وان اسمه الحقيقي غير معروف، تخفى بشخصية الدراويش الاتراك. وان وثائق ارشيف الفاتيكان تشير إلى انه كان (خوري) من مدينة جنوا، ارسله البابا في مهمة الجزويت، لوقف تأثير وسلطة الروم الارثودكس، * وأنه أسلم واصبح من الدراويش الاتراك كما أصبح من قادة حركة المريدين الاصلاحيين.

* لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتاب سيوف الجنة: الترجمة العربية ص: ٣٦-٣٧.

**دور الامام (غازي مولا) في حرب الابادة والدمار الروسية:**

بعد انتشار الحركة المريدية في الداغستان اختار (المولا محمد) عام ١٨٢٦ الشاب (غازي مولا) مواليد بلدة (غيمري) زعيما للقوم، اختار المولا غازي الجموع المحتشدة، وتوحيد كلمتهم، وبدء الجهاد المقدس بعون الله، وقال المولا محمد للمجاهدين:-

**"جنة الفردوس تنتظر كل من يقتل في سبيل الله والوطن، أو من يقتل روسيا! ولكن ويل لمن يفر من ساحة الوغى او يدير ظهره للأعداء!**

وبدأ (غازي مولا) عمله بمساعدة (المولا شامل)، يطوف من بلد إلى بلد، ومن مقاطعة إلى اخرى، وهو يخطب في الناس ويجمع المجاهدين.

وأصبح بعد مدة وجيزة (إماما للداغستان وبلاد الشيشان) وبيده الحل والربط في جميع امور الدين والدنيا. وقد دانت له شعوب جميع هذه البلاد، ما عدا خان (الآوار) وهم من اصول (تترية) وعاصمته (خونزاخ) وعصوا أمره لأنه لم يرق لهم الانضواء تحت لوائه والسير في ركابه، اذ ان تعاليم المريدية كانت قاسية وشديدة على الذين لا يؤمنون بها، وقرر الامام المنتخب معاقبتهم على فعلتهم، فجهز جيشا قوامه (٦٠٠٠) رجل فزحف على (خونزاخ) عاصمة الآوار. وكان خانهم (اميرهم) (طفلا وقاصرا)، وكانت والدته الاميرة (باخوبيتشه) تقوم بأعباء (الملك) وادارة البلاد بالنيابة عن ابنها وحيث هاجم الملك غازي العاصمة المذكورة من جهتين، الأولى بقيادته (شخصيا)، والثانية بقيادة المولا (شامل) وبدأوا هجومهم مهللين (الله اكبر لا إله إلا الله) اخذت جموع الآوار بالفرار، لأنهم لم يسمعوا من قبل مثل هذه الصيحة الداوية، ولم يروا مثيلا لهذه الحرب، حتى خرجت عليهم (الاميرة) بنفسها حاملة (السيف) وهي تهيب بالمحاربين وتصيح بهم: **أيها الرجال! أيها الآوار! لستم أهلا لتحملوا السيوف، وبما انكم انسحبتم من ميدان المعركة وجب عليكم ان تتركوا اسلحتكم لنسائكم، وتختبؤا خلف ظهورهن!.**

فكان لهذا الموقف الشجاع من والدة الأمير (الطفل) الفضل في اعادة جمع شمل الآوار والانقضاض على جيش المريدين، وطردهم من المدينة، فكانت تلك هي الهزيمة الاولى لجيش الخلاص (المريدين) في أول معركة لهم.

**وفي عام ١٨٣٠ وبعد شهر واحد من المعركة الاولى،** جدد الامام (غازي مولا) هجماته وكانت وجهته هذه المرة قلعة (ونسبانايا) الواقعة في السهول الشمالية من الداغستان، وحاصرها مدة طويلة، إلى أن وصلت نجدة روسية قوية لتخليص تلك القلعة، اضطر معها إلى رفع الحصار فجأة والانسحاب إلى الغابات.

وفي نفس العام هاجم (غازي مولا) المدينة المحصنة (دربند) الواقعة على ساحل بحر قزوين، التي حاصرها اسبوعا كاملا، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار هذه المرة ايضا، والانسحاب على اثر وصول نجدة روسيا لتخليص المدينة المذكورة.



االإمام غازي مولا

**وفي خريف نفس السنة تجاسر (غازي مولا) بالهجوم على مدينة قيزليا** الواقعة في الشمال من ضفاف نهر (الترك)، حتى تكللت اعماله بالنجاح، وتمكن من دخول هذه المدينة، ونهبها، فرجع منها غانما ومعه ٢٠٠ اسير، وبعد هذه المعركة الناجحة اخذ نجمه بالأفول، إذ تمكن الروس من مهاجمة مقر عملياته الحربية في (شوم كشكنت) وفتحوها عنوة رغم كونها واقعة في موقع حصين بين الغابات الكثيفة في الجهة الشرقية من الداغستان، واضطر (غازي مولا) إلى الفرار لينجو بنفسه بعد أن كبد الروس الخسائر الجسيمة.

**وفي ربيع سنة ١٨٣٢** حاول (غازي مولا) مرة أخرى مهاجمة مدينة (فلادي قفقاس)، عاصمة القوقاز، وحاصرها مدة من الزمن وكان الغرض من هجومه هذا هو تحريض (القبرطاي) على الثورة والانضمام إليه، ولكنه اخفق لعدم تجاوبهم معه واضطر إلى الانسحاب.

**وفي شهر آب من نفس السنة هاجم الروس** في انحاء متعددة من بلاد الشيشان، ودخلوا بلدة (غرمانشوك) وهي أغنى وأكبر بلدانهم، وسكانها من الشيشان دافعوا عنها دفاع الابطال بالرغم من نقصان الاسلحة لديهم، وصمدوا في وجه (المغيرين) حتى لم يبق من المدينة سوى ثلاثة بيوت، وفي داخلها تحصن آخر المدافعين. واشعل الروس النار في البيوت المذكورة، وفي اثناء ذلك ارسل قائد الحملة ترجمانا يطلب إلى المدافعين ان يسلموا انفسهم مقابل شروط مناسبة يعرضها عليهم، إلا أنهم وبعد المداولة فيما بينهم، رفضوا طلب الروس بالاستسلام، واستأنفوا القتال، وقالوا للوسيط: "**إننا لا نقبل الاستسلام لأعدائنا الالداء بأي ثمن كان، ويكفينا فخرا وشرفا ان يعلم الروس انا متنا هنا حيث عشنا وأنا فضلنا الموت على قبول الاستسلام، واننا أبينا ان نحني الرقاب تحت النير الروسي والحكم الاجنبي، انقلوا جوابنا هذا إلى نسائنا لكي يعلمن أنا متنا هنا بشرف ونحن نحارب**".

واستمر القتال بين الطرفين إلى ان التهمت النيران البيوت الثلاثة، كما التهمت جثث القتلى والاحياء الذين ثابروا على القتال وفدوا ارواحهم حتى آخر قطرة من دمائهم فداء لأوطانهم، وهم يرددون أغانيهم الحربية ولم تتمكن قوات (غازي مولا) من انقاذهم.

**وبعد هذه المعركة الفاشلة انسحب غازي مولا إلى بلاد الداغستان مع صديقه شامل** وتحصن في بلدة (غيمري) مسقط رأسه، وكان في حالة يرثى لها إذ إن الكثيرين من اتباعه تخلوا عنه وفقدوا الثقة به.

**وفي خريف تلك السنة (أي سنة ١٨٣٢)** قام الروس بحملة عنيفة على مدينة (غيمري) (كيمري) بقصد احتلالها وتدميرها ولكن الصعوبات كانت تزداد امامهم كلما تعمقوا في البلاد وتقدموا فيها، بسبب وعورة الأرض وضيق مسالكها، ولما قيل إلى الجنرال (ويليامينو) الذي كان يقود هذه الحملة، بأنه من المتعذر قيادة وحدات عسكرية وجيوش منظمة في هذه الجبال، سأل قائلا: **ألا يتسع الطريق لسلوك أو مرور كلب؟ وإذا كان الأمر كذلك على الجندي الروسي أن يسلك الطريق الذي يمكن للكلب ان يمر منه ويتقدم!.** وتمكن الروس من طرد المريدين الذين احتموا بالحواجز والتحصينات الضيقة والمباني الحجرية، وظلوا يدافعون بشدة متناهية، ولم يفكر في الاستسلام، من تبقى منهم أحياء عددهم كان (الستين شخصا). **إلا ان الروس استطاعوا من احتلال الموقع وقتل من فيه باستثناء (الامام شامل) الذي استطاع الهروب.. وكان من بين شهداء هذه المعركة هو الامام غازي حيث وجدت جثته في احد البيتين المذكورين وفي وضع يشير بيده اليمنى إلى السماء، وباليسرى يمسك بلحيته، واعتبر بعد أن وجد في هذه الوضعية الخائنة (الامام غازي)** انه من اولياء الله، وهكذا استشهد في سبيل الله بينما استطاع رفيقه الامام (شامل) الفرار والنجاة بنفسه [١٠].

**دور الإمام (حمزات بيك جانقا)**



الإمام حمزات بيك جانقا

بعد استشهاد الامام (غازي مولا) اصبح الشعب الداغستاني بلا قيادة، لذلك اختار (المولا محمد) الزعيم (حمزات بيك جانقا)، إماما للميريدية وقائدا عاما لجيش الخلاص وهو من قبيلة (الآوار) ومن سكان (غوتساتل) وكان يفتقر إلى كثير من المزايا والاخلاق العالية، ولم يكن ذا شخصية فذة مثل خلفه الشيخ (شامل) او سلفه الامام (غازي مولا) وقيل عنه انه ارتكب الكثير من الفضائح بحق خانات (الآوار) الذين لم يشاركوه رأيه ولم يسيروا معه.

وسبق أن كان حمزات من اتباع (غازي مولا) وحارب في صفوف جيشه إلا أنه خان سيده وفر من المعركة في احرج الاوقات لكي ينجو بجلده ويخلص نفسه. ومع ذلك فقد تمكن في اول الامر بمساعدة الشيخ (شامل) من تثبيت سلطته وتقوية الحركة المريدية، حيث آمن أكثرية شعب الآوار بالطريقة المريدية. ولم يشذ عن قبول هذه الطريقة إلا قبيلة (خان خوانزاخ).

قرر (حمزات بك) تأديب الذين عصوه وساق جيشا قويا على (خوانزاخ)، إلا أن الاميرة (باخوبيتشه) والدة الأمير (الطفل للاوار) لم تقاومه واستسلمت للامام حمزات وقبلت فكرة المريدية، باستثناء المشاركة في الحروب الدينية والجهاد

المقدس، كما رضيت بتقديم طفلها البالغ من العمر (٨) سنوات رهينة لدى (حمزات) الذي لم يكتف بذلك، بل تمكن بالخديعة من اجتلاب ولديها الآخرين، إلى داخل معسكره حيث نفذ فيهما حكمه القاسي، وقتلهما (بفظاعة) لا مثيل لها. وكان اول الاخوة الضحايا هو (عمر) الذي اغتيل بلا ذنب ولا رحمة او شفقة، ولما رأى اخوه (تونتسال) ما يجري بأخيه، انقض على المعتدين وقتل ما لا يقل عن العشرين شخصا من (المريدين) قبل ان يقضي نحبه.

وبعد ذلك دخل (حمزات بك) فاتحا إلى خونزاخ وأمر بإعدام الاميرة (باخوبيتشه)، والدة الامراء المذكورين، التي آوته وأطعمته فيما مضى كأحد اولادها.

**وفي عام ١٨٣٤ وعلى اثر الفظائع التي ارتكبها (حمزات بك) بحق الاميرة واولادها، ثار الشعب الاواري، وفقد اعتباره بين الناس، لخيانته واعماله المنكرة**، ولما سمع الحاج مراد بأفعال (حمزات بك) نوى الانتقام منه، لأن هذا البطل كان أخا في الرضاعة لأولئك الامراء الذين قتلوا بلا ذنب، وأحس بالواجب الملقى على عاتقه. لذلك هاجم (الحاج مراد) وأخوه (عثمان) عدوه اللدود (حمزات) في مسجد في مدينة (خونزاخ) اثناء احتفال ديني، وقتلاه مع بعض المريدين الذين كانوا يحيطون به، وفي هذه المعركة قتل شقيقه (عثمان) ونجا الحاج مراد بنفسه، وأما الشعب فقد ثار ضد (المريدين) اتباع (حمزات بك) وطردهم من البلاد وبايعوا (الحاج مراد) ونصبوه حاكما واميرا على بلاد الاوار كلها. [٣]

**دور الامام شامل في حرب الابادة والدمار الروسية :**

ولد (شامل) في قرية (غمري – كيمري) عام ١٨٩٨ * واسمه الحقيقي هو (علي) ونظرا لضعفه ومرضه في السنوات الستة الاولى من عمره، وعملا بالمعتقدات الدينية المحلية في الداغستان في مثل هذه الحالات، تم تغيير اسمه إلى "شامل" وهو من (أسماء الله الحسنى) عند الداغستانيين ويعني "المحيط بكل شيء". وتحسنت صحته بشكل ملحوظ واصبح قويا ونشيطا على غير العادة، وبدأ يتدرب على استخدام السيف والمبارزة والركض والقفز، وهو في سن الفتوة، واصبح فارسا مشهورا، واتقن فنون القتال من على ظهر حصانه.

كان والد شامل واسمه (دنغان) سكيرا، مما كان يحرج (شامل) بين اصحابه، وعندما لم تنفع محاولاته لثني والده عن شرب الخمر هدد والده بقتل نفسه، فأقلع عنه وعاش حياة متزنة بقية عمره.

* تقول (لاسلي بلانش – Laseley Blanch) في كتابها (سيوف الجنة) المترجمة للعربية (ص: ٧٤) بأنه لا توجد سجلات عن ولادته، وتعتقد بأنه ولد حوالي عام (١٧٩٦) وابوه اسمه (ويناكو) من اصل نبلاء الافاري، وامه (باهوميادو) وهي نبيلة الأصل من الافاريين.
وتقول ايضا حول حقيقة اصله، بأن الاعتقاد السائد في منطقة الداغستان بأن شامل هو ابن الامير (الكسندر باتونيشفيل) الذي اعترض على تنازل اخيه عن عرش مملكته الجورجية، وان ابوه التجأ إلى جبال الداغستان وعاش حياة تشرد بضعة سنين، وبما ان وسامة (شامل) وقسماته التي تشبه عائلة (باغرانتيز) انتشرت فكرة انه ابن الامير الكسندر، إلا أن الكاتبة تشك في تلك الرواية.

**علاقة شامل بالمولا (غازي محمد):**

كان (غازي محمد) أول معلم لشامل والذي كان يكبره بخمس سنوات.

**وفي عام ١٨٢٦ اختاره الملا (غازي محمد) مساعدا له في قيادة جيش** (الخلاص المريدية) وشارك مع الامام (غازي) في كل المعارك التي خاضها جيش الخلاص منها معركة (خان الاوار) التي هزم فيها جيش المريدين بقيادة (غازي وشامل) وكاد الميريدون الذين كانوا تحت قيادة شامل في المعركة من قتله لولا تدخل أحد الدراويش وحمايته من غضب المقاتلين الميريدين لعدم رضاهم بالطريقة التي قاد فيها المعركة ضد خان الآوار [١٢].

**وفي خريف عام ١٨٣٢ شارك (شامل) مع الامام (غازي) في صد الهجوم الكبير الذي شنته قوات روسية على بلدة (كيمري)** مسقط رأس من (شامل وغازي) الذي استطاع الجنرال الروسي (ويليامينوف) من احتلال المدينة وطرد الميريدين منها بعد استشهاد الامام (غازي مولا) كما سبق ذكره مع جميع المقاتلين الذين كانوا يدافعون عن هذه البلدة باستثناء (شامل) الذي استطاع الهروب بالرغم من الحصار الشديد الذي ضرب حولها ووصل إلى بلدة (انتسكول)، حيث بقى مريضا بين الحياة والموت مدة لا تقل عن الشهر. وتماثل إلى الشفاء واعتبرت نجاته وهروبه دليلاً على انه (ولي من أولياء الله).

**وفي عام ١٨٣٤ وبعد مقتل الامام (حمزات بك) بايع المولى (محمد)** الامام الأكبر للمريدين في القفقاس الشيخ (شامل)، وأصبح الامام الثالث للحركة المريدية بعد الإمامين السابقين (غازي وحمزات).

**اعادة تنظيم حركة المريدية:**

قام (شامل) بإعادة تنظيم الحركة المريدية من الناحية العسكرية وقسم الاتباع والمقاتلين إلى ثلاث فئات وعلى النحو التالي:

**الفئة الاولى:** نواب الإمام في القرى والمدن، وتتكون من مائة من رجال الحركة الأكثر إخلاصا ويتم اختيارهم من قبل الامام.

**الفئة الثانية:** المرشدون وهي درجة أقل من (النواب) بقليل، وكان عددهم نحو ألف مريد ويعتبرون بمثابة الحرس الشخصي للإمام، وكان يتم اختيارهم عادة من أولئك الذين أثبتوا ولاءهم المطلق للإمام وشجاعتهم في ميدان المعارك، وكان هؤلاء يقومون بمهام القادة الميدانيين في المعارك.

**الفئة الثالثة:** المريدون، وهم الجنود المقاتلون الذي يأتمرون بإمرة المرشدين، وكانوا مقسمين إلى وحدات، وتتألف كل منها من (خمسمائة) مقاتل يتم توزيعهم على وحدات أصغر تضم كل واحدة مائة مقاتل كما كان تقسم كل وحدة بدورها إلى عشر وحدات صغيرة تضم كلا منها عشرة مقاتلين، وفي حالة الحاجة إلى مقاتلين ليحلوا مكان الذين يسقطون في المعارك أو بسبب قرب نشوب معركة حاسمة كبيرة، فإن كل منزل وأسرة في مناطق حكم المريدية، كان عليها تقديم مقاتل واحد على الأقل. وبهذا التنظيم أصبح يشبه تنظيم الكتائب والسرايا في الجيوش النظامية واستغرقت فترة التنظيم والحشد ثلاث سنوات وفي الفترة ما بين (١٨٣٤-١٨٣٧). وخلال هذه السنوات الثلاث التي هدأ فيها شامل، فإن الروس ركزوا قوتهم على الشيشان ودمروا بلادهم إلى درجة كبيرة واستطاعوا احتلال (شيشانيا) والتي تقع إلى الغرب من بلاد الشيشان [١٣].



الإمام شامل وأبناؤه الأربعة

**وقائع وأحداث وحروب الإمام شامل في الفترة ما بين أعوام (١٨٢٤وحتى استسلامه في عام ١٨٥٩)**

خاض الامام شامل منذ تسلمه إمامة الحركة المريدية عشرات المعارك، ويشير سجله العسكري بأنه خاض أكثر من (١٨) معركة، كان النصر لشامل في بداية المعارك إلا أنه خسر معظمها تقريبا فيما بعد.

**وفيما يلي تحليل موجز لأهم الأحداث والوقائع حسب ما جاء في الوثائق الروسية والألمانية** [١٥].

* في عام ١٨٣٤ طلب أحمد خان المختولي مساعدة من القوات الروسية للقضاء على نفوذ (شامل) في الداغستان قبل استفحال أمره، وقد تجاوب الروس مع هذا الطلب، وأرسلوا حملة عسكرية بقيادة الجنرال (فيسى) لاحتلال بلدة (أشيلطا) وهي إحدى قواعد شامل الرئيسية، وتم تدميرها وحرقها بعد معركة دموية، ثم تقدم الروس لقرية (تيليتل) وهي معقل آخر من معاقل الإمام شامل، ولكن أكبر حجما من بلدة (أشيلطا) وهاجم الروس القرية، وبعد أن احتلوا نصفها، **عرض شامل الصلح والخضوع للروس فوافق الروس وقام شامل بتوقيع وثائق الخضوع مع نوابه (تاشو حاجي وكييت محما) على أن يبقى شامل معترفا به من الروس كزعيم ديني للداغستان.**

وانسحب الروس من بلدة (تيليتيل) وأرسل الجنرال (روزن) القائد العام لقوات القيصر في الداغستان، رسالة للقيصر يخبره فيها بأن الداغستان اصبحت كلها تحت سيطرة القيصر.

**في عام ١٨٣٧ قهر (شامل) القوات الروسية المهاجمة بالقرب من بلدة (اشيلتا) الواقعة بالقرب من نهر (كويسو)**، ولكن نصره هذا لم يدم طويلا، إذ هاجمه جيش روسي كبير تحت قيادة الجنرال (فيزه) وتمكن من استعادة (اشيلتا) في صيف نفس السنة وقام بتخريبها تخريبا تاما، وفي الوقت نفسه كان (شامل)

مضطرا لخوض معركة دامية عند بلدة (تي تيل) الواقعة في جنوب (خونزاخ) وقد أسرع الجنرال الروسي (فيزه) للنجدة، ورجح كفة الروس في القتال، حيث تمكنوا من احتلال نصف هذه البلدة. وظل النصف الثاني صامدا في وجه الروس، وبقي في يد شامل بالرغم من شدة ضربات الروس الذي كانت تتجدد بشكل مستمر. **وعرض شامل على الروس عقد (هدنة) وبعد تفاوض مع القائد (فيزة) قدم** فيه شامل (الطاعة) للروس وانسحب الروس، دون اعتقال (شامل) أو قتله، **ورجع شامل بعد هذه المعركة** إلى (اشيلتا)، ولكنه غضب غضبا شديدا حينما رأى هذه البلدة قد أصابها الدمار بحيث لم تبق أية دار من دورها قائمة على الأرض، حيث تم تدميرها من قبل الروس كما وجد المسجد الذي بويع فيه بالامامة قد ازيل من الوجود.

* **تفاوض الامام شامل مع القيصر نيقولا:** بعد خراب بلدة (اشيلتا) انتخب شامل قرية (اخولكو) مقرا له. وهي بلدة تقع على جبلين مرتفعين قائمين على الصخور الصلدة بالقرب من نهر (كويسو)، وبذل جهودا كبيرة لتحويلها إلى موقع حصين، تعجز عن اقتحامه أكبر جيوش الروس، كما أقام فيها الابراج والابنية الاخرى اللازمة له.

وفي هذه الاثناء كانت فكرة زيارة القيصر نيقولا للقوقاز قد نضجت، وكان منتظرا قدومه في مدة قريبة، حيث كان قد وافق على مقابلة القيصر شخصيا فانتخب الروس الجنرال (كلوجناو) وسيطا بين القيصر والامام شامل، لكي يمهد للقائهما في مكان معين، حيث تقرر أن يكون اللقاء في مدينة (تفليس) عاصمة جورجيا، خريف عام ١٨٣٧.

تفاوض الطرفان ولكن بدون جدوى، إذ لم يتزحزح (شامل) قيد شعره عن موقفه، فانسحب الجنرال كلوجنار من المفاوضة، ومد يده لوداع شامل، وعندها تدخل أحد المريدين ومنع شامل من مصافحة اليد الممدودة إليه قائلا: **لا يجوز لأمير**

**المؤمنين مصافحة يد (العدو الكافر) ويلوث يده،** الأمر الذي أثار ثائرة الجنرال الذي اعتبر ذلك إهانة له، ورفع عصاه ليضرب (المريد) الذي منع شامل من المصافحة إلا أن (شامل) تلقى العصا بيده، كما انه منع المريد الذي كان يهم بضرب الجنرال بسيفه، من إكمال فعلته التي كانت من الممكن ان تجر على الطرفين المتخاصمين اوخم العواقب، لقد كان من المؤكد أن يقتل الجنرال (كلوجناو) وحاشيته في هذه الموقعة، ولكن كان من المحتمل جدا ان يقضي على الامام شامل ايضا.

**وفي عام ١٨٣٨،** هاجم الجنرال الروسي (غرابة) بلدة (اخولكو)، حيث تحصّن فيها الإمام شامل بعد تخريب (اشيلتا) كما سبق ذكره، فسار على رأس جيش كبير من حصن (ونزاسبانايغا)، واصطدم بقوات العدو عند موقع (ارغوامي) وتصدى له الامام (شامل) بقواته بقصد إيقافه عند حده، ومنعه من التقدم اكثر من ذلك. ولكن (ارغوامي) ما لبث ان سقطت بيد الروس وازيلت من الوجود بعد معارك شديدة، ثم تقدم الروس باتجاه (اخولكو)، حيث احتدم قتال عنيف حول هذه البلدة وكانت محصنة تحصينا شديدا، فقد عجز الروس رغم مدفعيتهم الثقيلة وهجماتهم المتكررة من اقتحامها، لذلك عمدوا إلى محاصرتها بقصد تجويع اهلها والمدافعين عنها، الذين بلغ عددهم أربعة آلاف شخص، مع العلم انه لم يكن يملك السلاح اللازم لاكثر من (ربع) المقاتلين، ودام الحصار شهرا كاملا قبل ان يقوم الروس بالهجوم عليها في ١٦ يوليو، وردت جميع الهجمات ولحقت بالروس افدح الخسائر بالارواح، وعلى ذلك لم ير الجنرال بدا من استئناف الحصار المضروب على (آخولكو) وضربها بالقنابل دون انقطاع، الأمر الذي احرج موقف المدافعين عن هذه البلدة اضطر معها (شامل) التفكير بالتفاوض مع الروس للمرة الثانية.

**شامل يفاوض الروس للمرة الثانية**

فتح (شامل) باب المفاوضات مع الروس أثناء الهدوء الذي أعقب تلك المعارك الطويلة، إلا أن المفاوضات ظلت عقيمة وبدون فائدة، لأن الروس قد تصلبوا في رأيهم، وكان قائدهم يطلب كشرط أساسي لإنهاء الحصار استسلام (شامل) للروس، عليه أن يقدم ولده جمال الدين رهينة للروس.

واستأنف الطرفان القتال من جديد، وكان الطرفان يخوضان المعركة تلو المعركة دون انقطاع. إلا ان شامل طلب الهدنة وأرسل وسيطا إلى معسكر الروس، ولم يكن القصد من ذلك، سوى كسب الوقت لتحسين موقفه واجراء الاصلاحات في خطوط دفاعه، وفي هذه المرة لم تثمر المفاوضات أيضا، ولم يقبل (شامل) إرسال ابنه المذكور، وتسليمه للأعداء كرهينة.

وفي ١٦ اغسطس وجه الروس للامام شامل انذارا نهائيا، وطلبوا منه إرسال ابنه كرهينة، وتسليمه قبل حلول الغروب، وهددوه في حالة التخلف باحتلال (آخولكو) في الصباح اليوم التالي. ورغم ذلك لم يقبل (شامل) بتسليم جمال الدين، وعلى ذلك تجدد القتال للمرة الثالثة، وقام الروس في اليوم التالي بهجوم شديد، وبالرغم من تكبدهم الخسائر الفادحة، ولكنهم كانوا يحرزون التقدم، كما ان المدافعين المريدين كانوا يصابون بأفدح الخسائر، حتى اقتنع (شامل) بأنه لم يعد بالامكان الصمود إلى مالا نهاية له. وعليه اضطر مكرها إلى تسليم ابنه (جمال الدين) البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة فقط إلى أعدائه رهينة.

*** الامام شامل يهرب قبل احتلال الروس بلدة (اخولكو)***

في الايام الثلاثة التالية لهذا الحادث تفاوض الطرفان بشأن تسليم اخولكو للروس، ولم يتفقا على شيء، واحتدم القتال من جديد وفي صباح اليوم الرابع قام الروس بهجوم شديد ودخلوا البلدة ولم يجدوا (الامام شامل) لا بين الاحياء ولا مع الاموات. بالرغم من ان المدينة كانت محاطة بآلاف من الجنود الذين لا هم لهم سوى مطاردته، إلا أن شامل تمكن من الفرار وإنقاذ نفسه كما فعل ذلك في معركة (غيمري) سابقا.

**تبين فيما بعد بأن (شامل) كان قد تمكن من الفرار في ليلة ٢٢ اغسطس وقبل دخول الروس للبلدة بيومين، بصحبة امرأته وأصغر اولاده وبعض أصحابه المخلصين، والتجأ إلى كهف في الوادي الذي يجري فيه نهر كويسو. وفي ليلة ٢٣ اغسطس بينما كان يحاول الفرار من ذلك الكمين، داهمته دورية روسية وتبادل معها اطلاق النار في الظلام، وأصيب هو وابنه الصغير الذي كانت امه تحمله على ظهرها، بجراح غير خطرة، ثم تمكنوا من النجاة من النطاق الروسي المضروب حولهم سالمين. والتجأ لبلاد الشيشان التي كانت قد خضعت للسلطات الروسية القيصرية في وقت سابق.**

وتشير بعض الوثائق بأن الهزيمة في (أخولكو) كانت مريرة وقاسية جدا على نفس (شامل) وذلك لسببين هما: [١٦]

**السبب الاول:** حدوث الهزيمة في بلدة الداغستان حيث يعتبرهم (شعبه واهله) وكذلك انضمام معظم أمراء الداغستان للقوات القيصرية وارسالهم لقتاله، بالإضافة

* يلفظ اسم البلدة (اخولكو) وأحياناً يلفظ (أخولغو).

إلى تزويدهم الجنود الروس بالمؤن والذخائر وقيامهم بأعمال الرصد والتجسس لحساب القوات القيصرية.

**السبب الثاني:** هو ابتلاء (شامل) بفقد إحدى زوجاته، وأحد أبنائه وشقيقته كما أن ابنه البكر جمال الدين أصبح رهينة بأيدي الروس.

وأعتبر خسارة (شامل) في معركة (أخولكو) موتا سياسيا وعسكريا له في الداغستان حيث خانه أمراء الداغستان بمن فيهم ابناء بلدته (غمري) كما تم القضاء على اتباعه المريدين بحيث لم ينج منهم في (أخولكو) سوى سبعة أتباع، وفي مثل هذا الواقع الأليم كان شامل يائسا وحيدا في الكهف الجبلي الذي التجأ إليه مع أفراد أسرته واتباعه السبعة.

*** رحيل (شامل) إلى بلاد الشيشان**

قرر شامل الرحيل إلى بلاد الشيشان، حيث سبق أن بايع زعماءهم (شامل) منذ بداية تسلمه الأمانة وعلى رأسهم (تاشو – حاجا ) (الحاج تاشو) وكان لهذه المبايعة أهم أسباب قبول الناس به إماما؟ وإن الشيشان شعب يحافظون على العهد، وشجعان لأبعد الحدود، صبورين، وصفات الجرأة والبطولة فطرية لديهم، ولكن عيبهم الوحيد (حسب قول شامل) بأنهم لا يتفقون على زعيم من بينهم، لأنهم مجتمع لا يعترف بالأمراء والزعماء. والحكم لديهم هو حكم شعبي ديمقراطي يعتمد على اسلوب التعايش بين القبائل والعشائر. واستطرد (شامل) قائلا إن أملي في تولي الزعامة الدينية لبلاد الشيشان هو لأني "غريب"، وهذا سيجعلني موضع اتفاق بين جميع الزعماء المحليين في بلاد الشيشان.

وبهذا "السيناريو" من الأفكار والآمال والأحلام بدأ شامل وأتباعه رحلتهم إلى بلاد الشيشان صباح اليوم التالي الموافق ٢٤ أغسطس لعام ١٩٣٨م [١٦].

وفي عام ١٨٤٠ انضم (الحاج مراد) إلى قيادة الامام شامل الذي عينه نائبا، وصار من ألد أعداء الروس الذين اصبحوا يرهبون جانبه. بعد أن كان من اتباع الروس لأنه باتحاده مع الامام شامل، أضاف إلى جيشه جميع شعوب (الآوار) الذين كانوا يأتمرون بأمرة (الحاج مراد) ويقاتلون تحت رايته واتخذ شامل بلدة (دارغو) مقرا له، وصار يدير منها جميع البلاد الخاضعة لنفوذه، ثم بدأ في تنفيذ بعض المشاريع الادارية، فقسم البلاد إلى مقاطعات وعين لكل مقاطعة نائبا، وفرض على الآهلين الخدمة العسكرية الاجبارية، بحيث أصبح جميع الرجال بين سن الخامسة عشرة والخمسين خاضعين للأوامر العسكرية، ومجبرين على الانخراط في الجندية والاشتراك في الحروب، وكان الإمام (شامل) إداريا من الدرجة الأولى، ولكنه كان قاسيا ولا يعرف الرحمة في تعامله مع الآخرين، إذ كان جلادوه دوما من حوله ينتظرون أوامره، ولا يحجمون **(عن قطع الأعناق والأيدي والأرجل، كما كان كل من حامت حوله الشبهات عرضة لأقصى العقوبات).**

وبعد أن استعاد الإمام شامل قوته وهيبته، فكر أول ما فكر في تحرير بلاد الداغستان، وأخذ يعد العدة، إلا أن قيام الروس بالاعتداء على البلاد الخاضعة له في سنة ١٨٤١، حال دون تنفيذ الهجوم على بلاد الداغستان، حيث بدء تنفيذ هجماته على البلاد الروسية وبلاد القوموق، حتى اقترب من مدينة (قيزليار) المحصنة، وتمكن من النجاة بجيشه حينما حوصر بين جيشين روسيين بالقرب من هذه المدينة.

**وفي عام ١٨٤١ اتصل رجال الدين المسلمون والإقطاعيون القبرطاي مباشرة مع الشيخ "شامل"**، وقام الشيخ الأكبر للقبرطاي، "عمر شيرتيلوقة" مع الأمير "ميسوست حتاجوقة" بالتراسل مع الإمام "شامل"، وجندا كل إمكانياتهما لإثارة القبرطاي وضم (أديغة الكوبان) معهما، وقد كتب العقيد "يوريف" في تقرير له بتاريخ ١٨٤١/١٠/١ أن رجال الدين والحجاج القبرطاي وتحت غطاء الظروف

المبهمة الحالية في القفقاس يحرضون الناس علنا وسرا للقيام بالانتفاضة ضد القوات الروسية.

**وحاول الجنرال (غرابة) عام ١٨٤٢ على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل دخول بلاد الشيشان للاستيلاء على (دارغو)** مقر الامام شامل. ولكن كان نصيبه الفشل هذه المرة، لأن الهجمات الشديدة التي تعرض لها، والتي قام بها اهل هذه البلاد، جعلت جيشه الكبير في حالة هرج ومرج شديدين، مما اضطره إلى الفرار وتمكن من انقاذ جيشه بكل صعوبة، وبعد ان اصيب بخسائر فادحة.

**في عام ١٨٤٣ قام الأمير القبرطاي "محمد ميرزا انزور" بإرسال رسالة إلى نائب الإمام في بلاد الشيشان "شعيب"**، بأن القبرطاي جاهزون للقتال ضد الروس، وبعد فترة قصيرة ذهب بنفسه إلى النائب "شعيب" وطلب منه إرسال وحدة صغيرة إلى بلاد القبرطاي للمساعدة في قتل (١٦) شخصا متعاونا مع الروس.

**وفي الاعوام ١٨٤٣-١٨٤٥ وقعت عدة معارك من القوات الروسية وقوات الامام شامل بقيادة (حاج مراد)**، كان النصر لقوات شامل في بداياتها، إلا أن الروس استطاعوا تحقيق النصر في نهاية عام ١٨٤٥ واحتلال بلدة (دارغو) مقر قيادة الإمام (شامل) بعد أن وصلت نجدة كبيرة بقيادة الجنرال الروسي (فرايتاج).

**وفي عام ١٨٤٦ قرر شامل غزو بلاد القبرطاي وسماها غزوة (المريدين للقبرطاي)** وجهز جيشا لا يقل عدده عن (١٤٠٠٠) فارس وثمانية مدافع ميدان، وكميات كبيرة من الذخيرة، وفي الوقت الذي كانت استخبارات الروس تراقب هذا الحشد، كان الجنرال الروسي (فرايتاج) قائد الفيلق الخامس يراقب تحركات جيش (شامل).

**وقائع تهديد الامام شامل للقبرطاي**

**قبل البدء في تنفيذ خطته، أرسل شامل إلى القبرطاي الشراكسة، الرسالة التالية** *: **"إذا تماديتم في غيكم واعرتم آذانا صاغية لوعود أولئك الروس الكفار ذوي الشعر الأحمر ولم تذعنوا لطلبي هذا، ولم تصدقوا تهديداتي، فإني سوف أحقق ما كان ينوي تحقيقه الامام غازي مولا. إن جيوشي الجرارة سوف تنقض على بلدانكم الآمنة كالغيوم السوداء التي تقدح شررا وصواعق فتاكة، وسوف ننتزع منكم غصبا ما رفضتم اعطاءه بالحسنى، وإن الدم سيسيل على جوانب طريقي إليكم وسوف يتبعني الخوف والهلاك، حيثما يعجز الكلام تبدأ القوة.** (١٨)

وفور دخول "شامل" إلى بلاد القبرطاي، أرسل رسالة إلى أديغة الكوبان، يدعوهم فيها إلى التسلح والتحرك للاتحاد معه، وارسل رسالة أخرى إلى أكبر أمراء قبرطاي الكبرى "حاتاجوق" كتب فيها: "**لقد أتيت لمساعدة المؤمنين بإله واحد ولكسح الكفار ومن يساعدهم من المسلمين**"، ويتضح من هذه الرسالة أن احدى المهام الرئيسية لشامل كانت معاقبة اولئك الأمراء والنبلاء الذين كانوا ذوي اتجاهات روسية.

*** انضمام امير القبرطاي (انزور) إلى ادارة (شامل)**

بالرغم من تلقي "شامل" أجوبة غير مناسبة من القبرطاي المقيمين تحت الاحتلال الروسي في (تشقيم) و (باخسان) و (مالكا)، بدأ بالانسحاب يوم ١٨٤٦/٤/٢٥ دون انتظار وحدات الدعم من أديغة الكوبان، وانسحب معه الكثير من الفلاحين القبرطاي و (٣٧) اميرا ونبيلا، وكان بينهم "محمد ميرزا انزور" الذي عينه شامل نائبا له على شاشانيا الصغرى. ترك "محمد ميرزا أنزور" ثروته الكبيرة

* لمن يرغب الاطلاع على نص الرسالة الكاملة، ورد زعماء القبرطاي عليه مطالعة كتاب Life of Shamil (ص ٢٦٦ إلى ص ٢٧٥).

واصطبلات الخيل التي كانت يوجد فيها افضل الخيول في كل القبرطاي، واصبح من اكثر نواب شامل شهرة وكما كان منظما وموهوبا وقائدا عسكريا عظيما في ادارة شامل، وتشير بعض الوثائق ولأسباب غير معروفة تجنب شامل الدخول في معركة حاسمة مع الجنرال (فريتاغ) الروسي رغم أنه في إحدى مراحل مطاردة (فريتاغ) (لشامل) التقى الجيشان على خطوط تماس قريبة وكانت قوات شامل من حيث العدد تفوق قوات (فريتاغ) بنسبة (٢,٥ إلى ١ وكان) بإمكان قوات شامل إلحاق هزيمة قاسية بقوات (فريتاغ) لو قبل شامل نصائح نوابه الشيشان وقرر مهاجمة (فريتاغ)، وكانت هزيمته ستكلل خطة شامل بغزو القبرطاي بالنجاح التام لأنها كانت القوات الروسية الرئيسية الوحيدة في المنطقة، كما كان القضاء عليها حتما سيمكن (شامل) من احتلال ممر (داريال) وربما كان زعماء القبارطاي الذين تراجعوا عن الانضمام إليه خوفا من انتقام (فريتاغ) سيقومون بالانضمام إليه ويؤيدونه.

وهكذا انتهت حملة شامل على القبارطاي والتي استمرت خلال شهر (ابريل من عام ١٨٤٦م) وأصبحت الحملة فاشلة (عسكريا) كما أدت إلى بداية مشاعر التذمر بين الشيشان من قيادة شامل العسكرية لهم. (٢٠)

**توفي محمد ميرزا "أنزور" بعد أن اصيب بجراح خطرة** في إحدى المعارك ضد قوات القيصر كما قامت السلطات الروسية بنزع ملكية كل الامراء والنبلاء الذين انسحبوا مع "شامل"، واتخذت إجراءات قمع شديدة ضد رجال الدين الذين كانت لديهم اتجاهات موالية لشامل في بلاد القبرطاي، كما تم إعفاء الجنرال "غوليستين" من منصبه لكونه لم ينتبه إلى التحضيرات السرية للقبرطاي وملاقاتهم "شامل"، ومن بين الإجراءات القمعية التي اتخذت ضد القبرطاي هو النفي المؤقت والنفي النهائي إلى أصقاع (روسيا) و (سيبيريا).

*** استنجاد شامل بالملك الإيراني "ميرزا نصر الله"**

في يوم الخامس عشر من أيلول (سبتمبر) عام ١٨٤٨ أرسل الإمام (شامل) رسالة إلى الملك (ميرزا) نصر الله (الملقب بصدر الممالك) بواسطة وزير الشاه محمود (شاه ايران) طالبا مد يد العون (للمريدين) ضد الروس، والتي كان نصها العربي على النحو التالي: (١٩)

**بسم الله أحسن الاسماء**

**"إلى من هو سلم للأصدقاء وحرب على الاعداء، وإلى من هو أعظم الوزراء، والأنبل والمؤتمن على الدين القيم، ومعلم الملوك، وملتقى اهل العلم، وصدر الممالك، السلام عليكم ومتعكم الله بالشرف والمجد دائما، اللهم آمين.**

**بعد هذا يقع اللوم عليكم، ياركن الدولة العلية ومصرف الأمور الجسام، إلى أن توعز لمليكك، وهو الذي لا يضاهى، وتوقد في نفسه الحمية لمحاربة المتغطرسين أعداء الدين وأنصار الشيطان (لعل الله يطفىء نارهم ويدمر أبراجهم)، وليس بخاف ما لديك من حيلة ووافر الوسائل لتحقيق المقصد بحكم موقعك على رأس حكومتك الرشيدة المجيدة، وبغيره يحق لنا أن نتساءل إلى متى ستبقى غير مكترثٍ؟ وحتى ما ستبقى مغمورا بعدم الاكتراث ومقتصرا على الالتزام بالسلم دون القيام بما أمر الله به من جهاد في سبيله؟ فقد أعانك الله وأمدك بما يكفيك وبجيش قوي قادر. وليكن واضحا أمامك أيها الوزير ما جاء في محكم القرآن وورد في الحديث الصحيح والسنة الشريفة ووصايا الائمة (هكذا) "فوربك لنسألنهم أجمعين "عما كانوا يعملون" فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (الحجر، ٩٢-٩٤) "مالكم لا تناصرون" (الصافات، ٢٤)، "إنك ميت وإنهم ميتون" ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون" (الزمر ٣٠-٣١) وبغير ذلك فإن عليك الاستعداد لما ستسأل عنه يوم القيامة، وأن تعد حجبا لتخفي العار**

**عن نفسك حينئذ، وأنت تعلم اليوم أن الجهاد قد أصبح فرضا لتحرير عبيد الله والأطفال والنساء. فهل يقبل اليوم ذلك، وقد احتل البغضاء العديد من المدن ووقع في دائرة حقدهم وطغيانهم خلق كثير"؟ ***

**السابع عشر من شوال عام ١٢٦٤هجري**

**الموافق الخامس عشر من سبتمبر ١٨٤٨**

**التوقيع**

**إمام الداغستان شامل أفندي**

وبالرغم من عدم نجاح هجوم الشيخ "شامل" على بلاد القبرطاي في عام ١٨٤٦، فإنه لم يفقد الأمل في التوحد مع شعوب أواسط وشمال غرب القفقاس، حيث كان مع قوات "شامل" كثير من القبرطاي والقبائل الجبلية القفقاسية الأخرى الذين كانوا يقومون بواجبهم القومي في صراعهم مع عدوهم المشترك (الروس)، حاول "شامل" في أعوام ١٨٥٣-١٨٥٤- ١٨٥٥ وعبر أراضي القبرطاي الاتحاد مع قوات شراكسة الكوبان، إلا أن هذه المحاولات فشلت كلها لأن الروس استطاعوا تقوية مواقعهم بشكل كبير في القبرطاي، وقد تم دعم حاميات القوات الروسية المتمركزة في منتصف الخط القفقاسي.

* أصل الرسالة باللغة العربية، إلا أن النص المنشور هو ترجمة الدكتور غالي عودة عن النص الانجليزي، الذي سبق أن أرسله القنصل البريطاني في (تبريز) ستينفسن لرئيس وزراء بريطانيا، آنذاك السير بالمرستون وأورد النص المهندس سعيد بينو في كتابه الشيشان، علاقاتهم مع روسيا والنفي الجماعي.

**وفي عام ١٨٥٣ احتدمت حرب القرم**، وكان المفروض أن تتعاون الدولة العثمانية والحلفاء الغربيون مع القوقاسيين والامام شامل، لكي ينزلوا بقوات الروس الضربات القاصمة إلا ان سياسة العثمانيين الخرقاء في تلك الايام، منعت كل ما كان من شأنه ايذاء الروس وإضعاف قوتهم.

لذلك آثر الامام الانسحاب من ميدان المعركة والخلود إلى السكينة، فكانت بالنسبة إليه وللقوقازيين جميعا السنوات الثلاث التي وقعت فيها حرب القرم في الفترة ما بين ١٨٥٣إلى ١٨٥٦ فترة راحة واستجمام، استفاد منها شامل وراح يداوي جراح الحروب الماضية. وفي اثناء ذلك أي في سنة ١٨٥٤ قام بحركات اخرى لا علاقة لها بحرب القرم، منها انه قام بمهاجمة بلاد (الكرج) **ودخل وادي الاسان الخصب**، وبالرغم من عدم نجاح هذه الحملة فقد تمكن بعض اجزاء جيشه من الدنو من قصر (زينوندال) حيث اسرت (اميرتين) من الكرج، هما الاميرة (جاوجا فادزه والاميرة اوربلياني). وقد احتفظ بهما الإمام شامل كرهائن إلى ان جرى مبادلتهما بولده جمال الدين الذي كان الامام قد اضطر إلى تسليمه للروس سنة ١٨٣٨ في (اخولكو) كرهينة. وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة، وبقي عند الروس ما لا يقل عن ١٥ سنة، وتربى في مدرسة عسكرية واصبح ضابطا في الجيش الروسي، وعند رجوعه إلى بلاده لم يتمكن من مجاراة اهله وعشيرته وتطوير نفسه من جديد، وقد اصابت والده شامل الخيبة من جراء ذلك، ولم يستفد من ولده شيئا، كما انه لم يتمكن من توجيهه حسب مشيئته وإرادته، ووقع خلاف شديد بينهما، وبعد ثلاث سنين من رجوعه اصيب جمال الدين بمرض عقلي وتوفي على إثره.

وبعد توقيع معاهدة باريس عام ١٨٥٦ بدأت الحروب من جديد في القوقاز، لأن الروس وبعد خلاصهم من حرب القرم، توفرت لديهم الجيوش اللازمة والكافية لضرب القوقازيين وتدميرهم من جديد، والذي عقّد الامر هو تعيين الأمير

(باریاتنسكي) بتاريخ ٢٢ يوليو سنة ١٨٥٦ قائدا عاما للجيوش المحاربة ووكيلا للقيصر في القوقاز، وهو القائد المعروف بعدائه الشديد للقوقازيين عامة، وكان لهذا التعيين تأثير شديد على القوقازيين، وسببا لاضطرابهم وتشاؤمهم. وعدا عن ذلك فقد كانت الحالة في القوقاز قد بلغت حدا كبيرا من اليأس وخاصة بعد أن انهكت الداغستان في الحروب الطويلة.

**عودة (شامل) إلى الداغستان للمرة الثانية:**

**وفي عام ١٨٥٩ سقطت عاصمة الامام شامل الجديدة (فيدن) بعد حصار دام شهرين دون مقاومة تذكر.**

**وبذلك احرز الجنرال (يفدوكيموف) الملقب بالجنرال (ذي العيون الثلاثة)، انتصارا حاسما على غريمه (الامام شامل) الذي استطاع الهروب قبل سقوط عاصمته.**

اخذت الامور تتطور بسرعة والحالة تسير من سيّئ إلى أسوأ، وبعد هذه المعركة كانت كل الدلائل تشير إلى قرب النهاية بالنسبة (لشامل) ومناصريه، الذين اخذوا يهجرونه افواجا افواجا ويلتحقون بالروس، إلا أن كل ذلك لم يجعله ييأس، فقرر الانسحاب إلى اواسط الداغستان، واختار موقع (غوينب) وهو جبل واقع على الضفة اليسرى من نهر (قارا كويسو) مقرا جديدا له في الداغستان.

وخلال فترة اندلاع المعارك في حرب القرم وهي الفترة الممتدة ما بين (١٨٥٣-١٨٥٦) لم يكن للامام شامل خلالها أي نشاط حربي، علما بأن القادة العسكريين في جيشه عامة والشيشانيين خاصة أشاروا على الامام الاعداد لشن هجمات على القوات الروسية، وان هذه الفترة هي افضل الفترات لتحقيق انتصارات عليهم لانشغال جيوشهم في مواجهة جيوش الحلفاء الثلاثة (انجلترا وفرنسا وتركيا) إلا أن الامام رفض رفضا قاطعا القيام بأي عمل عسكري.

كما انه لم يستجب لرسالة الحكومة التركية التي وجهت إلى شامل في شهر حزيران من عام ١٨٥٥ تطلب منه التوحد مع الاتراك وشعوب ما وراء الكوبان من الشراكسة للعمل المشترك ضد الروس وأجابهم "شامل" بأن اتحاده مع الاتراك سيقود إلى إضعاف سلطته إن لم يكن إنهاءها، بينما هو الآن يتمتع في الجبال بسلطة تعادل سلطة السلطان، ولا يريد ان يصبح (باشا) تركيا، ولن يتخلى عن سلطته المنفردة، ولكنه لن يتخلى عن الحرب ايضا ضد الروس، ويترك لنفسه الخيار والاستقلالية في العمل المستقل حسب الاوضاع، وسيهجم على الروس في المكان والزمان الذي يرتأيه مناسباً له. وقد اعتبر العديد من المؤرخين بأن هذا الموقف السلبي من الإمام شامل يثير الشكوك في مصداقيته، وجدية شامل في عدائه للروس(٢١).

**واقعة استسلام شامل:** (٢٧)

في اليوم التاسع من آب عام ١٨٥٩م كانت بداية النهاية للامام (شامل)، حيث وصلت الجيوش الروسية إلى بلدة (غونيب) بقيادة الامير (باریاتنیسكي) شخصيا والتي بلغ عددها أربعين ألف مقاتل مقابل اربعمائة شيشاني وداغستاني بقوا على ولائهم ولآخر لحظة (لشامل).

**وفي ليلة ميلاد الامبراطور (الكسندر الثاني) المصادف ٢٥ آب أصدر الامير (باریاتنیسكي) أوامره باقتحام (غونيب) وبدأ الهجوم صباحا، ومعه الميليشيا الوطنية لامراء الداغستان المتعاونين معه. وبدأت عملية اقتحام القرية ودار قتال شرس في أحد مداخل القرية، حيث تجمع مائة من مقاتلي (شامل) والذين أحاط بهم الجنود الروس من كل جانب، لكنهم ورغم قلة عددهم، رفضوا الاستسلام وقاتلوا لآخر رجل ونالوا نهاية تليق بالابطال. ثم ظهرت مجموعة أخرى من مقاتلي (شامل) ومعهم ثلاث نساء من زوجات اتباع (شامل) يحملن**

السيوف وهاجموا جنود الروس، لكنهم قتلوا جميعا بعد معركة دموية، قاتلت النساء في هذه المعركة مثل الرجال، وتكررت ميتة الابطال مرة أخرى في شوارع (غونيب) الضيقة بينما تراجع (شامل) لوسط القرية يحيط به من بقي حيا من اتباعه، وبدلا من مهاجمته وقتله رسل الامير بارباتنيكي الذين ارسلهم ليعرضوا على (شامل) الاستسلام دون قيد أو شرط مقابل الابقاء على حياته وحياة عائلته ومن بقي معه أحياء من المقاتلين. فقبل (شامل) الاستسلام حسب طلب الأمير واستسلم جميع المحيطين بشامل من أهله في تلك اللحظات البائسة اليائسة بينما رفض كل من قادة الشيشان (بويسغر الشيشاني وزملاؤه سولتمرد وأتابي وعما) وبقية القادة الميدانيين من الشيشان الذين بقوا أحياء حتى هذه اللحظة، رفضوا الاستسلام وإلقاء السلاح، وأنكروا على شامل وهو إمام الجهاد (كما كان يُدعي)، بأن يلقي السلاح ويستسلم.

حيث كان (بويسغر) أشجع القادة الميدانيين الشيشان، وأكثرهم جرأة في ميادين القتال، حيث إن شجاعته وجرأته كانت موازية لشجاعة وجرأة (الحاج مراد) وسبق أن فقد في المعارك السابقة التي خاضها ضد الروس (عينا ويدا وساقا).

وكان رد فعل (بويسغر) عنيفا عندما علم بنبأ استسلام شامل.. وانفجر في وجهه غاضبا وقال له:

"لقد نصرك الشيشان بعد أن خذلك أهلك وجماعتك في الداغستان، ولقي نصف الشعب الشيشاني مصرعه في ميادين القتال، ودمرت بلادنا تماما وأحرقت مزارعنا وغاباتنا من أجل قضية الجهاد ضد الغزاة الروس. كيف تقبل الاستسلام وترفض أن تموت شهيدا كما فعل الامام (منصور) ومن بعده (الإمام غازي محمد)؟ كيف تكون إماما للجهاد وتقبل الاستسلام؟ إعلم أيها الإمام بأني سأقتلك بيدي إذا سرت نحو العدو واستسلمت له".



مشهدان يمثلان واقعة استسلام الشيخ شامل إلى الأمير الروسي باريا تفسيكي يوم ٢٥/آب/١٩٥٩

**لكن شامل ورغم الوقع الثقيل والمؤلم لكلمات (بويسغر) عليه، فإنه أصر على موقفه والذي لم يعترض عليه نوابه الداغستانيون، وتم إبلاغ رسل الامير (باریاتنیسكي) بقبول شامل بما عُرض عليه. وركب شامل حصانه واستعد للذهاب للامير باریاتنیكسي وعندها شهر (بويسغر) سلاحه الناري وصوبه نحو شامل والذي تجاهل حركة (بويسغر) وأدار له ظهره واتجه مع الكولونيل لازاريف الأرمني الاصل والذي كان الامير باریاتنیسكي قد أرسله لاصطحاب شامل إليه بعد قبوله الاستسلام. ولم تنطلق رصاصة (بويسغر) نحو شامل لسبب بسيط أوضحه شامل بعد سنوات من استسلامه حيث سأله البعض عن مخاطرته الجسيمة بالسير نحو الجيش الروسي للاستسلام رغم أنه كان هناك مسدسا مصوبا نحوه، حيث أجاب شامل:**

**"اللحظة الوحيدة التي كان يمكن (لبويسغر) ان يقتلني خلالها هو عندما كنت مواجها له، ولكن بعد أن أدرت ظهري له فقد علمت بأن الرصاصة لن تنطلق في ظهري، لأن الفرسان الشيشان وبحكم معرفتي الطويلة بهم، لا يمكن أن يقتلوا أحدا من الخلف".**

وبعد أن وصل شامل إلى الصخرة التي كان يجلس عليها الامير باریاتنیسكي وحوله أركان حربه، ترجل شامل عن فرسه وتقدم نحو باریاتنیسكي وقال:

**"أيها الامير: لقد وثقت بوعدك وأتيت إليك مع عائلتي واقربائي وإننا نثق بأنك ستسمح لنا بالسفر إلى مكة. أبارك لك حكمك للداغستان وأرغب من القلب سيطرة حكم القيصر على سكان الجبال في القفقاس.**

**وأقدم لك سيفي لأنك المنتصر".**

وكانت إجابة الامير باریاتنیسكي:

"سأوجهك إلى عاهل الامبراطورية دون تأخير، وسيكون معك واحد من كبار ضباطي، أما الآن، فأنت أسيري، وسيدبر الكولونيل لازاريف أمرك، وأمر عيالك في المعسكر".

**شامل يقسم يمين الولاء للقيصر اسكندر الثاني ويخصص له راتباً سنوياً كبيراً**

استقبل القيصر اسكندر الثاني (شامل) في قصره في مدينة بطرس شبرج، بحفاوة بالغة وكصديق، وأقام له حفلات تكريم في كثير من المدن الروسية، وخصّص له ولعائلته (خمسة عشر ألف روبل) * راتباً سنوياً. وبقي شامل في ضيافة القيصر في مدينة (كالوغا) في إحدى الضواحي الجنوبية لمدينة موسكو، مع نسائه الثلاث وأولاده المرافقين له، **وفي عام ١٨٦٦م أقسم شامل ومن حوله عائلته وأتباعه المقربين الذين رافقوه بعد استسلامه، (يمين الولاء) للقيصر وأمام جمع غفير، وذلك بناء على رغبة (شامل) نفسه والذي أراد ان يظهر للقيصر وفائه للمعاملة الحسنة التي لقيها من القيصر بعد استسلامه، وكذلك امتنانه لحسن رعاية ابنه الاصغر محمد شفي الذي أصبح ضابطا في الجيش القيصري عام ١٨٦٢م، مثل رعايتهم شقيقه الأكبر جمال الدين الذي تنازل عنه والده شامل كرهينة للروس عام ١٨٣٩م.**

*** شامل في مكة**

بعد (٢١) عاماً من استسلام شامل وبعد بلوغه سن (٧٤) عاما، وفي شهر آذار من عام ١٨٧٠م سمح له القيصر بالمغادرة إلى مكة شريطة أن يبقى ولده

* ورد في كتاب شوكت المفتي – أباطرة وأبطال، بأن قيمة الراتب السنوي الذي خصصه القيصر لشامل قد بلغ (٣٠) الف روبل ص:١٣٧-١٣٨.

(غازي محمد) في روسيا، وغادر شامل إلى مكة مرورا بتركيا، حيث استقبله السلطان عبد العزيز ضيفاً رسمياً في اسطنبول، كما دعاه اكثر من مرة السفير الروسي في استانبول ليقيم في السفارة كضيف عزيز، ولكنه اعتذر كونه حل ضيفا على السلطان وحده، فاستقبله السلطان عبد العزيز في قصره (دولما باغجه) بحفاوة بالغة.

*** وفاة شامل:**

غادر شامل إلى مكة حيث قضى أوقاته في العبادة متنقلا بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، واستقر في النهاية بالمدينة المنورة ونزل ضيفا على (الشيخ أحمد الرفاعي).

وفي يناير ١٨٧١م قرر شامل أداء فريضة الحج لآخر مرة وتحركت القافلة من المدينة إلى مكة وفي اليوم التالي للرحلة، تعثر الجمل الذي كان يركبه (شامل) وسقط من فوق الجمل، واصيب إصابات جسيمة، فعادت القافلة للمدينة. ولم يعمر (شامل) بعدها طويلا حيث توفي في المدينة في الرابع من فبراير عام ١٨٧١م الموافق ٢٥ذي القعدة ١٢٨٧ للهجرة، وذلك قبل صلاة المغرب بقليل، وتم دفنه في المدنية المنورة [*]. وفي عهد حكم السعوديين أزيل قبره ولم يعد مكانه معروفا.

استلم الزعامة الميريدية ابنه (غازي محمد) سنة ١٨٧٣ فأصبح الامام الرابع للمريدين (اسميا) وتقول بعض الروايات بأن الروس حاولوا اقناع (غازي محمد) بالرجوع إلى القفقاس، وأنهم عرضوا عليه منصب (الحاكم العام للقوقاز)،

* للاطلاع على تفاصيل حادثة وفاة (شامل) يمكن الرجوع إلى كتاب (سيوف الجنة) الترجمة العربية، ص ٢٥٧-٢٥٨.

إلا أنه رفض هذا العرض وأصر على قطع كل صلة له مع الروس في عهد روسيا القيصرية. **

على أن حادثا وقع سنة ١٨٨٠ في استانبول قد وضع حدا بصورة فجائية لنجاح الصديقين غازي محمد ومحمد فاضل، إذ جاءهما في احدى الليالي المدعو فؤاد باشا المعروف (بفؤاد باشا المجنون)، وكلفهما بالاشتراك في مؤامرة تهدف إلى قلب نظام الحكم وخلع السلطان، إلا أنهما بصفتهما مواليين للسلطان وينعمان بتوجيهاته، رفضا الاشتراك بتلك المؤامرة.

ولما فشل فؤاد باشا في مهمته، أسرع بالوشاية بهما، بأنهما يحاولان القيام بمؤامرة لخلع السلطان عبد الحميد الذي صدق الوشاية، وأمر بنفيهما إلى الابد إلى بقاع نائية من البلاد العثمانية، فأرسل (غازي محمد) مبعدا إلى المدينة المنورة، **وقضى ما تبقى من عمره في المدينة منقطعا للعبادة، ودفن بعد موته بجانب أبيه..**

أما نسيبه محمد فاضل باشا الداغستاني فقد لعب دورا كبيرا في العراق، ونال شهرة واسعة وشعبية عظيمة بين عشائر الأكراد والعرب الذين عرضوا عليه تاج العراق في مرحلة من المراحل من تاريخ العراق، ولكنه رفض هذا العرض، لأن ذلك كان يعني الخروج على السلطان، وكان يشعر بأنه مدين بكل ما ناله من شهرة ومجد إلى السلطان العثماني.

ومن الجدير ذكره هنا أن أصغر انجال (محمد فاضل باشا) الإثنى عشر، هو الميجر جنرال المعروف باسم (غازي الداغستاني) الذي شمله الاضطهاد والظلم اثناء الثورة العراقية التي حدثت سنة ١٩٥٨، بصفته كان مساعدا للقائد العام للقوات

** لم اتمكن من التأكد عن المصدر الأصلي لهذه الرواية، كما أن أحدا من المؤرخين الذين اطلعت على مؤلفاتهم لم يؤكد هذه الرواية.

المسلحة العراقية، فحكم عليه بالإعدام، ولكنه نجا من العقوبة وأطلق سراحه فيما بعد بناء على وساطة بعض الشخصيات العالمية مثل الملكة اليزابيث والرئيس ايزنهاور والرئيس نهرو.

**خلاصة دور (شامل) في حروب الإبادة والدمار الروسية التي وقعت في بلاد الداغستان والشيشان في القفقاس** *

نستنتج من مراجعة السجل التاريخي للمعارك التي خاضها (شامل) مع الامام غازي محمد عام ١٨٣٠-١٩٣٤ داغستانية خلال الفترة من ١٨٣٤ وحتى عام ١٨٣٨، وبقوات شيشانية ومن عام ١٨٣٨ وحتى عام ١٨٥٠، وبقوات داغستانية للمرة الثانية بعد أن هرب من بلاد الشيشان وعاد إلى بلاد الداغستان واستقر في بلدة (غونيب) الداغستان عام ١٨٥٩... نستنتج بأنه خاض أكثر من (١٨) معركة كبد في بعضها القوات الروسية خسائر فادحة بالأرواح والعتاد، والأسرى والجرحى، إلا ان النصر في نهاية (معظم المعارك) كان للقوات الروسية.

**وفيما يلي أهم المعارك التي خاضعها شامل... ونتائج كل معركة:**

- **معركة خان الآوار مع الإمام غازي مولا في عام (١٨٣٠)** وحاول المقاتلون الداغستان في هذه المعركة من قتل شامل، لعدم رضاهم عن الطريقة التي قاد فيها المعركة ضد خان الاوار.

* يجدر بنا هنا أن نذكر أن كانت الوثائق الروسية منها والانجليزية والتركية التي اطلعت عليها مؤخرا موضوعية فإن شبهات تحوم حول مصداقية قيادة (شامل) وأنه خان مبادئ الحركة المريدية الجهادية، وكذلك شبهات حول صفاته وخصائصه الشخصية التي تدل على حب الذات والمكر والخداع وحب السيطرة والانتقام من كل ما يعترضه أو يشعر بأنه يهدد قيادته ومركز امامته.

- **معركة بلدة (غميري) مسقط رأس الامام غازي مولا والشيخ شامل** وهي المعركة التي وقعت عام ١٨٣٢ مع القوات الروسية، وهي المعركة التي استشهد فيها الامام (غازي مولا) وجميع قادة المريدين والمشاركين في هذه المعركة باستثناء شامل الذي تمكن من الهروب في آخر لحظة.
- **معركة بلدة (اشيلتا) أو (أشيلطا)** وهي إحدى قواعد شامل الرئيسية في الداغستان وتم تدميرها وحرقها من قبل القوات الروسية.
- **معركة بلدة (تيلفيل) وهي معقل آخر من معاقل (شامل)** وهي المعركة التي دارت فيها المعارك بعد أن انتقل اليها بعد خسارته لبلدة (اشيلطا)، عرض فيها (شامل) الصلح الروسي وقام بتوقيع وثائق الخضوع للروس مع نائبيه (توتسوحاجي وكيت محما). وكان شرطهم الوحيد أن يبقى شامل معترفا به من الروس كزعيم ديني للداغستان.
- **المعركة الثانية لبلدة (أشيلتا) أو (اشيلطا)** والتي انتصر فيها شامل في البداية، إلا أنه حصر من قبل القوات الروسية واضطر معها لعقد (هدنة) وتقديم الطاعة للروس.
- **وفي عام ١٨٣٧ التقى الإمام (شامل) مع ممثل القيصر الروسي (كلوجناو)** في مدينة (تفليس) عاصمة جورجيا، إلا أن اللقاء فشل ولم يسفر عن نتائج ايجابية.
- **وفي عام ١٩٣٨ شن القائد الروسي (غرابة)** هجوما كبيرا على بلدة (اخولكو) التي تحصن فيها (شامل) ومع أربعة آلاف مقاتل واستمرت المعارك أشهر، خسر فيها الروس خسائر كبيرة إلا أن تفوقهم عددا وعدة، وكذلك خوفا من هلاك كل من تبقى حيا في القلعة، وافق على تسليم ابنه جمال الدين البالغ من العمر (١٢) عاما للقائد الروسي كرهينة، وهرب من القلعة قبل دخول القوات الروسية مع امرأته وأصغر أولاده والتجأ لبلاد الشيشان، واستشهد في هذه

المعركة معظم القادة العسكريين كما استشهدت إحدى زوجاته واحد أبنائه وشقيقته التي قفزت في وادي سحيق حتى لا تستسلم للروس بناء على أوامر شامل.

- **معركة بلدة (دارغو) الأولى**، وهي أولى المعارك التي خاضها (شامل) من موقعه الجديد في بلاد الشيشان، حقق فيها انتصارا عسكريا على القوات الروسية كما هاجم بلاد القموق والاقتراب من مدينة (قبزليار) المحصنة، وعاد بأعداد كبيرة من الأسرى والغنائم وفر الجنرال (غرابة) أمام الضربات الشديدة التي وجهته له جيش (شامل).
- **معركة (دارغو) الثانية وهي المعركة التي شارك فيها (الحاج مراد)** كقائد عسكري ونائب لـ (شامل) انتصرت فيها قوات (حاج مراد) في البداية وألحقوا خسائر كبيرة بالقوات الروسية إلا أن النجدة الكبيرة التي وصلت لأرض المعركة مكنت القوات الروسية من احتلال بلدة (دارغو) الشيشانية وتمكن (شامل) من الهروب مع بعض قادته وأتباعه.
- **وفي عام ١٨٤٦ قرر شامل غزو بلاد القبرطاي وسميت (غزوة الميريدية للقبرطاي)** وجهز لها (١٤) ألف مقاتلا مزودة بالمدافع وبكميات كبيرة من الذخيرة، وأرسل رسالة تهديد شديدة اللهجة إلى آمراء القبرطاي.

وبالرغم من تفوق قوات (شامل) على القوات الروسية التي كانت تمثل بلاد القبرطاي بقيادة فرابتاج بنسبة (٢,٥) إلى (١)، إلا أنه قرر الانسحاب من الحدود ولم يتقدم لاحتلال بلاد القبرطاي وانتهت حملته العسكرية بالفشل بعد حصار حدود بلاد القبرطاي دام شهر ابريل كاملة من عام ١٨٤٦.

- **في عام ١٨٥٣ نشب حرب القرم بين قوات دول تحالف (تركيا وفرنسا** وانجلترا) وقوات روسيا القيصرية، واستمرت حتى عام ١٨٥٦ ولم يشارك فيها شامل بحجة أنه لا يثق بدول الحلف وأنه لا يرغب أن يكون تحت إمرتهم.

- **معركة وادي (الآسان) في بلاد الكرج**، حيث تم فيها أسر أميرتين من أميرات الكرج... واحتفظ بهما شامل إلى أن جرى مبادلتهما بابنه (جمال الدين) الذي سبق أن سلمه للروس كرهينة بعد معركة أخولكو عام ١٨٣٨ وبقي في بلاد الروس (١٥) سنة كرهينة.
- **معركة (فيدن) في بلاد الشيشان**، وهي المعركة التي دارت حول مقر (شامل) في بلاد الشيشان، انتصرت فيها القوات الروسية دون مقاومة تذكر، إلا أن (شامل) استطاع الهرب قبل سقوط مقره.
- **المعركة الاخيرة وهي معركة بلدة (غونيب) في آب عام ١٨٥٩** والتي قادها الجنرال الروسي الأمير بارتنيسكي شخصيا وانتهت المعركة باستسلام (شامل) ومن بقي من عائلته وحاشيته أحياء وبالرغم من اعتراض من بقي حيّاً من قادة الشيشان وتهديد القائد الشيشاني (بويسغر) بقتل (شامل) في حال استسلامه، وبالرغم من ذلك فقد استسلم للقائد الروسي الأمير باریاتفسكي وقال له: "أيها الامير لقد وثقت بوعدك واتيت إليك مع عائلتي وأقربائي، وأننا نثق بأنك ستسمح لنا بالسفر إلى مكة".

نستنتج من تحليل وقائع أحداث تلك المعارك التي خاضها شامل الملاحظات التالية:

**الملاحظة الاولى: وتتمثل في الوقائع والأحداث التالية:**

- هرب في أربع معارك.
- عقد هدنة مع الروس في معركة واحدة.
- وقع على الخضوع للروس في معركة واحدة.
- عقد لقاء مع ممثل القيصر مرة واحدة.
- انسحب من معركة واحدة.

- سلم ابنه (جمال الدين) كرهينة للروس بعد أن عقد هدنة معهم.
- أخيرا استسلم للروس، وعاش في حمايتهم (٧) عاما يتقاضى راتباً سنوياً بقيمة (٣٠) الف روبل.*

**الملاحظة الثانية**

ربما كان الإمام (شامل) الإمام الوحيد بين أئمة المريدين الذين خالفوا مبادئها، وتم ضرب عرض الحائط بشعاراتها الدينية والجهادية والسياسية. ونستدل على ذلك من تحليل سلوكه.. وتصرفاته.. ومواقفه من أول معركة، قادها ضد القوات الروسية إلى آخر معركة وهي المعركة الثانية عشرة والأخيرة التي استسلم فيها عام ١٨٥٩.

**وفيما يلي تحليل للوقائع والأحداث التي تدل على عدم تمسك (شامل) بمبادئ الحركة المريدية، ومخالفته تطبيق تعاليمها الدينية والجهادية التي اعلنتها القيادات الدينية والسياسية للحركة المريدية.**

*** مخالفة المبدأ الأول للحركة المريدية والقائل:**

(من يريد الآخرة عليه الاستغناء عن ملاذ الدنيا ونبذ امرأته واولاده وماله) إلا أن (شامل) كان يصطحب في كل تحركاته وحتى في معاركه زوجاته (الاربعة) وأبناءه.

* ذكر بعض المؤرخين بأنه كان يتقاضى (١٥) الف روبل سنويا وليس (٣٠) الف روبل.

**مخالفة المبدأ الثاني للحركة المريدية والقائل:**

"على المؤمين المريدين، إعلان الجهاد في سبيل الله والوطن، والاستعداد للتضحية بالنفس والمال في سبيل الوطن، و(شامل) أعلن الجهاد نظريا، أما فعليا فلم يكن على استعداد للتضحية بنفسه.. والدليل على ذلك هروبه من المعارك اكثر من مرة وعقد هدنة مع قادة الروس أكثر من مرة ايضا، واخيرا استسلامه وتسليم نفسه للاعداء في الوقت الذي كان قادته يقاتلون حتى الاستشهاد.

**مخالفة المبدأ الثالث للحركة المريدية القائل:**

"الويل لمن يفر من ساحة الوغى او يدير ظهره للاعداء". وشامل فر من المعركة تاركا زملاءه المقاتلين في ساحة القتال اكثر من (٤) مرات منها معركة (اشيلتا) ومعركة (غميري) تاركا الامام (غازي محمد) يقاتل حتى الاستشهاد.

**مخالفة المبدأ الرابع للحركة المريدية القائل:**

"أمة محمد لا تعيش تحت ظلال الكفرة (الروس) ولا يمكن العيش تحت إدارة الكفرة.. وشامل.. طلب الصلح مع الروس بعد ان خسر معركة قرية (أشيلطا) عام ١٨٣٢، كما وافق الخضوع للقيادة الروسية مقابل اعتراف الروس بزعامته الدينية لبلاد الداغستان، واستسلم في معركة (غونيب)، ونُقل إلى روسيا وعاش في ضيافة القيصر الروسي (٧) سنوات وخلال الفترة الممتدة من عام ١٨٥٩ وهو عام استسلامه إلى عام ١٨٦٦ وهو العام الذي سافر فيه إلى الحج، وكان خلال هذه الفترة يتقاضى ٣٠ الف روبل سنويا من القيصر الروسي.

**مخالفة المبدأ القائل "من لا يحارب الروس فمصيره إلى جهنم، وان الجنة تحت ظلال السيوف"**

وهذا المبدأ لم يحققه (شامل) باستسلامه للقائد الروسي (باربافنيسكي) يوم الخامس والعشرين من شهر /اب/ ١٨٥٩ مقابل الابقاء على حياته وحياة عائلته،

ومن بقي معه من حاشيته وعائلته في الوقت الذي رفض فيه قادة الشيشان من الاستسلام. وقاتلوا لآخر رجل منهم ونالوا نهاية يليق بالأبطال المجاهدين، كما قام آخر مجموعة صغيرة كانوا في الطرف الآخر من ساحة المعركة ومعهم ثلاث نساء حملن السيوف وهاجمن الجنود الروس.. ونلن الشهادة وبشرف بعد أن أوقعن العديد من القتلى بين صفوف الجنود الروس... بينما (شامل) وعائلته استسلموا للروس الذين كانوا يعتبرون (جاور) أي (كفرة) في نظر الحركة الميريدية التي تسلم (شامل) امامتها الثالثة بعد الامام (غازي مولا) والامام (حمزات).

**الملاحظة الثالثة:**

تشير وقائع واحداث مسيرة شامل عامة، وعلاقاته مع نوابه وقادته العسكرية خاصة بأنه لم يكن يقبل أن يظهر على ساحة الحركة المريدية قادة أقوياء خوفا أن يلتف حولهم الميريدون الاحرار.

**وكان أول ضحية له،** هو الشيخ (محمد أمين) الذي أرسله نائبا له لبلاد شراكسة في ما وراء الكوبان عام ١٨٤٨.. وتعيينه نائبا في بلادهم، وكان الهدف الأساسي من إبعاده عن دائرة ضوء الحركة المريدية حتى لا ينافسه لأن (محمد أمين) ظهرت لديه صفات قيادية كان يمكن أن تؤهله لقيادة المريدية، وكان لا بد من إبعاده إلى خارج الداغستان.

**الضحية الثانية كان** (الحاج مراد) القائد البطل الذي ازدادت شهرته بين اتباع ومقاتلي (شامل) يوما بعد يوم ومع تنامي شعبيته ازدادت مشاعر الحسد والغيرة بين نواب شامل... وقاموا بالدس إلى شامل وأقنعوه بأن (الحاج مراد) يخطط لأن يصبح زعيما للمريدين فقام في عام ١٨٥١ الاعلان عن ولده الثاني (غازي محمد) كوريث شرعي لزعامة الحركة المريدية في شمال القوقاز وأيده في ذلك النائب (دانيال بيك) و(سلطان اليسو) (حماة) ابنه غازي (لزواجه من ابنته) فكان أول المعترضين على قرار شامل هو (الحاج مراد) فرفض القرار جملة وتفصيلا، وكان

رد فعل (شامل) هو تجريد (الحاج مراد) من رتبته كنائب له في الداغستان، كما طالبه بتسليم جميع الغنائم التي غنمها في معاركه السابقة... فكان (رد الحاج مراد) قائلا:

"**غنائمي حصلت عليها بسيفي... وإذا أراد شامل هذه الغنائم ... ليحضر بنفسه .. ويأخذها بسيفه**"(١٢).

وغضب (شامل) من جواب (الحاج مراد) فقرر فيما بعد محاكمته محاكمة سرية، وإصدار حكم بإعدامه بتهمة الخيانة العظمى... إلا أن (مراد) استطاع مع أربعة من اتباعه الهروب واللجوء إلى حامية روسية، وسلم نفسه لقائدها الروسي بينما قام (شامل) باعتقال زوجة (مراد) وأفراد عائلته الذين كانوا يعيشون في بلدة (بتسلمس) بالداغستان ووضع (مراد) ورفاقه الأربعة تحت المراقبة الروسية، ومنعوه من مهاجمة (شامل) لإطلاق سراح زوجته وابنائه من قبضة شامل، وعندها قرر الفرار من المعسكر الروسي الذي كان يقيم فيه (إقامة جبرية).. إلا أن الروس اكتشفوا نيته بالفرار فحاصرته قوات روسية مؤلفة من خمسمائة جندي، فقاوم هو وزملاؤه الاربعة مقاومة الأبطال لساعات طويلة حتى فرغت ذخيرتهم.. فاستمروا بالمقاومة بالسيوف حتى استشهد الحاج مراد واثنان من رفاقه الأربعة.

**وأما الضحية الثالثة (لشامل)** هم القادة العسكريون الشيشان الذين بقوا على قيد الحياة بعد استشهاد العشرات بل المئات من القادة الشيشان وتخلى عنهم (شامل) وهم (بوسيغر، وسولتمرد، وانابي، وعُما) وغيرهم من القادة الشيشان الذين رفضوا الاستسلام وإلقاء السلاح كما فعل (شامل) الذي يفترض فيه أنه إمام (الجهاد والمجاهدين المريدين) وتخلى شامل عن هؤلاء القادة كما تخلى عن الشعب الشيشاني الذي ناصر (شامل) بعد أن خذله أهله وجماعاته في الداغستان.. حسب قول (بويسغر).

**آراء الكتاب والمؤرخين حول شخصية شامل وسلوكه العام:**

كتب معظم الكتاب الشيشان منهم والشركس والـروس وبعـض الكتـاب الأجانب.. بأسلوب عاطفي متأثرين بالدعاية الروسية التي رافقت مـسيرة الإمـام (شامل) كان بعضها لخدمة وجهات نظر سياسـية مختلفـة او لمماحكـات قوميـة قوقازية.

فوصفه اليمينيون مثلا بأنه كان يمينيا واضحا، واليساريون قالوا عنه بأنـه كان يسارياً حتى النخاع. كما وصفه كارل ماركس بأنه كان ديمقراطياً عظيماً وأنه الرائد الأول للايدولوجية الشيوعية.

وشاعر الداغستان الاول (رسول حمزانوف) مدح (شامل) مـديحا كبيـرا وتغنى بأعماله وأفعاله ومواقفه، ثم هجاه بعد ذلك هجاءً كبيراً **ووصفه بأنـه كـان خائنا عندما اتخذ حزبه السياسي موقفا معاديا لأعمال شامل**، وبعد ذلك اعتذر عن قصيدته الأولى والثانية بعد أن تغيرت الايديولوجيات والسياسات الشيوعية.

## أدوار نواب الإمام شامل

**أولا: دور الحاج محمد:**

أرسل شامل أحد نوابه وهو الحاج محمد سنة ١٨٤٢ إلى بلاد شراكسة مـا وراء الكوبان، وبدأ عمله بين (أديغة) ما وراء الكوبان بنـشر المريديـة بغـرض توحيدهم تحت لواء الدين لقتال الروس وبعد أن قوّى "حاج محمـد" موقفـه بـين الأبزاخ والشابسيغ توجه إلى الناتخواج حيث استقبل في حفل كبير أقامه لـه عليـة القوم من هذه القبائل، وطلب منهم القيام بالقسم بأن يكونوا مع الـشريعة المحمديـة وأن يعملوا يدا واحدة ضد كل الأعداء وعدم إقامة أية علاقات مع الروس وتجاوبت هذه القبائل الشركسية معه.

وبتأثير "حاج محمد" تغيرت نظرة (الأديغة) للروس إلى الأسوأ في حزيران ١٨٤٤ اقتحم واحتل (٦٠٠٠) من الاوبيخ والشابسيغ حصني "غولوفينسكوه" و"لازاريفسكويه" وفي عام ١٨٤٦ وحده حصلت معارك حربية عديدة على خط التحصينات الساحلي. [٢٢]

**مات الحاج محمد سنة ١٨٤٤ ميتة مفاجئة وفي ظروف غامضة، وقيل إن عملاء الباب العالي التركي دسوا له السم [٢٣].**

**ثانيا: دور الحاج سليمان:**

وفي السنة نفسها التي مات فيها النائب (الحاج محمد) أرسل شامل نائبا آخر وهو (الحاج سليمان) وكان حازما وصبورا، واتخذ بلاد الأبزاخ مقرا له وأسس جماعة من الروحانيين، المحاربين اقتداء بالإمام شامل الذي شكل هيئة الميريدين وأخذ ينشر الدين الإسلامي في بلاد (الابزاخ) ويطبق أحكام القرآن الكريم وينشيء المحاكم وكون جيش (الدرك) من المرتزقة، وحرض الشراكسة على الجهاد المقدس، وطارد كل من رفض اعتناق الدين الإسلامي أو الذين يقصّرون في تطبيق أحكامه وتعاليمه.

وحاول بسط نفوذه على بلاد الشابسوغ، فوجد مقاومة شديدة، واضطر إلى العدول عن نشر دعوته بينهم.

**وفي عام ١٨٤٦ وبعد فشل مسيرة الشيخ "شامل" إلى القبرطاي قام نائبه "سليمان" ببيع نفسه للروس وأعلن عن رفضه للصراع المسلح ضد روسيا. اختفى (الحاج سليمان) في نهاية عام ١٨٤٦ فجأة قيل أنه رجع إلى الداغستان.. وقيل أيضا أنه قتل سرا، وادعى الروس أنه لجأ إليهم، إلا أنه ادعاء ثبت أنه غير صحيح. والاحتمال الأصح حسب بعض الوثائق هو اغتياله سرا [٢٤].**

**ثالثا: دور النائب محمد أمين:**



نائب الإمام شامل محمد أمين

في سنة ١٨٤٦ قدم من بلاد الداغستان شاب من الحركة المريدية إلى بلاد شراكسة ما وراء الكوبان اسمه (محمد أمين)، وكان يشغل منصب أمين سر الامام شامل، ويعد من الاصدقاء المقربين له الذين يعتمد عليهم كل الاعتماد وهو ايضا من العلماء ومن أكبر الاتقياء في الحركة المريدية، وكان شابا لم يتجاوز عمره ثلاثين عاما.

وأرسله الإمام شامل ليتولى إدارة الأمور لدى قبائل الأديغة ما وراء الكوبان، فقد تظاهر في أول الامر بأنه لا يريد التدخل في أمور البلاد، وعاش بين اهلها وحيدا ومنزويا وهو يقضي أوقاته في التعبد والصلاة.

وبعد سنة من وصوله، أبرز أوراقه الرسمية وأثبت انه النائب الحقيقي من قبل (الامام شامل) وظهر من دراسته للمجتمع الشركسي في مناطق ما وراء الكوبان أن الأمراء والنبلاء كانوا يتحكمون في مقدرات الشعب، وأن الشعب لم يكن راضيا عنهم كل الرضا، وأن الامراء هم أصحاب الرأي، وبيدهم الحل والربط في البلاد، كما كانت الحالة عليها في بلاد القبارطاي وان الامراء والنبلاء سبق ان اعتنقوا الاسلام منذ مدة طويلة، لذلك لم يكن بالامر الهين ان يتحزب عليهم مع الشعب الذي ما زال معظمه (مسيحيا) واستطاع التغلب على هذه الصعوبة، وعرف كيف يتدبر أمره.

*** أول أعمال النائب محمد أمين في بلاد الأديغة:**

على ضفاف نهر (بشاحة) وبفضل الحزم والشدة اللذين اتصف بهما عند ظهوره امام الناس، واعلان نفسه نائبا للامام، تمكن من احداث التأثير اللازم في نفوسهم، وصاروا يتخوفون منه ويحسبون له ألف حساب ويراقبون تصرفاته وحركاته بكل دقة. والتف حوله الوف من الشعب وأدخلهم في دينه واعلن برنامجه بصراحة، وقال للناس "**لقد حان الوقت الذي يجب فيه ان يزول العار عن الامة الجركسية لتدخل في دين الاسلام، ولينال أبناؤها حقوق المسلم المؤمن وان تعاليم الدين الاسلامي لا تسمح لأي مسلم أن يتحكم بأخيه المسلم، أو يستثمره ويستغله، لذلك يجب استرداد حقوق الشعب التي يهضمها طبقة معينة من الناس. وبما ان المسلمين كلهم اخوة، لا يجوز اعتبار احد منهم افضل من غيره، كما انه لا يجوز التفريق بين طبقة واخرى من طبقات المجتمع الانساني.**

**وأن ألقاب الأمراء والنبلاء يجب إلغاؤها كما يجب تحرير الشعب، لأن له كل الحق في أن يعيش حرا**".

وعلى أثر ذلك حدث صدام مع الامراء والنبلاء، وأجبرهم على الفرار والالتجاء إلى الروس، وقسم اموالهم على الفقراء. واعتبر عامة الشعب اعمال النائب الحازم اصلاحات اجتماعية، وتمكن من إدخال عامتهم في الدين الاسلامي.

**ثاني اعمال النائب محمد أمين:**

**وبعد ان تمت له هذه الأعمال في مدة وجيزة** في بلاد الابزاخ، اخذ يفكر في بسط سلطته على بلاد الاوبيخ، إلا انه وجد في بلاد الاوبيخ مقاومة شديدة، خاصة من سكانها الذين كان اكثرهم يدين بالمسيحية، وتمكن من استمالة بعض شبانها، وبث فيهم فكرته للاستفادة منهم في المستقبل.

**ثالث أعمال النائب محمد أمين:**

**ثم وجه اهتمامه إلى قبيلة الشابسوغ**، التي كانت من أكبر القبائل الشركسية في منطقة الكوبان، وسمعوا بالنائب الشاب، وعلموا بحزمه وشدته، وبغضه الشديد للروس والتي تغلب عليه القسوة، والتعصب الديني الشديد، والشدة في أساليبه التي يستعملها بلا تردد في سبيل نشر دعوته وبلوغ غاياته.

لم تتيسر له في بلاد (الشابسوغ) تلك الاسباب التي توفرت له في بلاد (الابزاخ) ليتمكن من تحريض طبقة العوام عليها ويلقى الشقاق بينهم ليستفيد من خلافهم لاغراضه الخاصة، كما فعل ذلك في بلاد الابزاخ لأن النبلاء في الشابسوغ لم يكونوا سوى بعض اسر نبيلة ولم يكن لهم قوة، ولم يكن لهم نفوذ امراء الابزاخ، وكان الرأي العام في بلاد الشابسوغ منقسما لوجود مسلمين ومسيحيين فيها.

فالمسلمون كانوا قد هيّأوا كل شيء لاستقبال النائب بالحفاوة اللائقة به، وكذلك اهالي (ناتخواج) كانوا فرحين بقدومه لحاجتهم لمساعدته الحربية اكثر من سواهم من الشراكسة، لقرب بلادهم من حدود الروس وتعرضهم المستمر لغزوات القوزاق والروس.

**وأما سكان الاقسام الجبلية ذات الغالبية المسيحية من بلاد الشابسوغ، وخاصة القاطنين ما بين (نهري شيس وآفيبس)**، فقد احتجوا على مجيئه بكل شدة ثم تسلحوا لمقاومته بالقوة العسكرية.

**وفي سنة ١٨٤٩ اقام (محمد امين) معسكره عند نهر (بسي كوبس) بالقرب من حدود الشابسوغ**، وجمع شمل المسلمين ليقوم بحملة ضد (شابسوغ) الجبال، فتبعه (الابزاخ) وقاموا قومة رجل واحد. وكان عددهم آنذاك يبلغ عشرين الف مقاتل، ثم انضم إليهم من مسلمي الشابسوغ ما يبلغ الالف من الفرسان.

أوفد النائب رسله إلى الشابسوغ في الجبال ليبلغهم أنـــه آت باســـم الإمـــام (شامل) الذي هو وكيله ونائبه، وقال إنه لا يأمل من الشابسوغ إلا استقبالا حسنا له ولجيشه، وأنه لا ينوي الاعتداء عليهم، بل هدفه محاربة الروس الذين يريد طردهم من البلاد ومن القلاع التي أنشأها. واستطاع إحداث شقاق بين الشابـــسوغ، حتـــى التحق منهم بجيشه نحو الثلاثة آلاف مقاتل، وبينما جيش المعارضين من الشابسوغ لم يكن يتجاوز عدده ستة آلاف مقاتل، فدارت بينهم وبين جيش النائب معركة على ضفاف نهر (دوغاي) أسفرت عن هزيمة جيش النائب فاضطر إلى الانسحاب.

وفي اليوم التالي قام النائب بهجوم مضاد حيث انتصر فيه، وقتل ما لا يقل عن خمسمائة محارب من كلا الطرفين. وفي المعارك التي دارت أحداثها بعد ذلك عند نهر (آبين) و (ايل) و (حابل) و (بوغوندور) كان النصر حليفا له ايضا كمـــا كان يجبر السكان فردا فردا على أداء كلمة الشهادة، وتلاوة بعض السور القرآنيـــة كما كان يجبرهم على الطاعة والالتحاق بجيش المسلمين فوراً.

**رابع أعمال النائب محمد أمين:**

تابع النائب زحفه إلى بلاد (الناتخواج) واستقبلوه بتراحب وأكرموه ونقضوا الهدنة المعقودة بينهم وبين الروس، ثم قرروا في مؤتمر شعبي عام أنه ليس بمقدور أية جماعة أو قبيلة بمفردها أن تهادن الروس، وأن كل مفاوضة أو اتفاق أو حرب مع الروس يجب أن يشترك فيه جميع أفراد الأمة الشركسية وشعوبها وطبقاتها مع موافقة النائب نفسه. وكل من يقوم بعمل منفرد من هذا القبيل فيعد خائنـــا للـــوطن ويعاقب بما يستحقه من الجزاء، وتفرغ بعد ذلك لتجهيز القبائل واعدادهم للدفاع عن بلادهم، ثم القيام بأعمال من شأنها قطع مواصلات الروس وازعاجهم قدر الامكان، وأنشأ محكمة في اقليم (ناتخواج) وفرض الضرائب وجبايتهـــا وألـــف فرقـــة مـــن المرتزقة قوة (الدرك)، وعين صديقه (حانوق تسوك) رئيسا للمحكمة.

كما أنشأ ثلاث محاكم على ضفاف نهر (آبين) و (آنيجر) و (أوبين) من سهول الشابسوغ التي اجتاحها سابقاً.

كما سبق له أن انشأ في بلاد (الابزاخ) خمس محاكم، وكان الرئيس يعين من قبل النائب والعضوان ينتخبان من قبل الزعماء أو الشيوخ (تحة ماته) وكانت كل محكمة تتألف من زعيمين او شخصين من كل شعب من الشعوب في القبائل الثمانية. وبذلك يكون عددهم ستة عشر (شيخا) او زعيما، وكانت مهمتهم هي التقاضي بين الناس وجمع الضرائب وتنظيم الدفاع عن البلاد. إلا أن القوة التنفيذية كانت بيد رئيس المحكمة الذي كان يسيطر على القيادة العامة للقوات المسلحة، وتحت إمرته فرقة من (الدرك) الذين كانوا يجمعون من اهل البلاد. وهي الفرقة التي كان يتم تشكيلها من الاهالي المتطوعين بمعدل جندي دركي واحد من المشاة وآخر من الفرسان من كل مئة أسرة وهؤلاء كانوا يسكنون في دار المحكمة نفسها ويقومون بحراسة الموقوفين والمحكومين ولتنفيذ قرارات المحكمة وجمع الناس ليتشاوروا ويقرروا ما يجب في أمور الحرب وغيرها.

**خامس أعمال النائب محمد أمين:**

بعد أن توطد حلم النائب (محمد أمين) في بلاد الابزاخ والناتخواج وقسم من بلاد الشابسوغ القاطنين في السهول، توجه بأعماله إلى بلاد (الاوبيخ) والاقسام الجبلية من (الشابسوغ) التي كان قد تركها وشأنها في بادئ الأمر، لأن سكان هذه البلاد الممتدة على ساحل البحر الاسود من (صوجاق حتى حدود بلاد الاوبيخ) كانوا أشد الناس تعنتا وتعصبا لدينهم المسيحي، وظلوا حتى الأزمنة الاخيرة ممتنعين عن اعتناق الاسلام.

وبدأ النائب اخضاع القبائل الجبلية من الشابسوغ إلا أنهم لم يستقبلوا النائب حين قدومه بما يليق بمقامه من الحفاوة والاكرام، كما انهم لم يقاوموه بالسلاح ولم

يمانعوه من إنشاء المساجد، إلا أنهم كانوا يمتنعون في أكثر الاحيان عن اداء كلمة الشهادة وعرض الطاعة للنائب.

قضى النائب شتاء سنة ١٨٤٩-١٨٥٠ وهو يحاول إنشاء محكمة في بلاد الاوبيخ، وقد لقي من أهلها العصيان لإرادته وعدم الانقياد له، مثل ما لقي في جبال الشابسوغ. ولما رأى (الاوبيخ) ان جميع الامة الشركسية قد اعترفت نهائيا بنيابة (محمد امين) وسيادته عليها لم يقاوموه حربيا، إلا أنهم لم يعترفوا بأحكامه.

بالرغم أن النائب كان وحيدا (غريبا) عن أهل البلاد، ويجهل لغتهم، فإنه أنجز أعمالاً جليلة في ثلاث سنوات، وأصبحت بلاد الشراكسة ما وراء الكوبان مقسمة إداريا إلى ثلاث عشرة مقاطعة ومحكمة، وسلم مراكزها المهمة للاكفاء المعروفين بالصدق والامانة والاستعداد للتضحية في كل زمان ومكان. وكان لديه ما ينوف على الالف مقاتل، كانوا كلهم رهن إشارته ويلبون نداءه، وينفذون أوامره مهما كان نوعها [٢٤].

*** سادس اعمال النائب محمد أمين:**

وفي تموز ١٨٥٣ قام "محمد أمين" على رأس عشرة آلاف من الخيالة والمشاة بمحاولة احتلال بلاد القرشاي وإقامة قاعدة عمليات حربية هناك حتى يتمكن الاتصال مع الامام (شامل) عبر بلاد القبرطاي والاستين، وفي الوقت نفسه قامت قوة مؤلفة من ثمانية الاف مقاتل بالهجوم على قلعة (غوستياغايفسكويه) وقلعة (تينغيسكويه)، إلا أن اعمال النائب القتالية لم تنجح، كما فشلت محاولة "شامل" في اختراق خط (ليزغينسكي) ما وراء القفقاس للالتحاق بالقوات التركية، وبالتالي فشل في تحقيق الهدف من إثارة كل مسلمي ما وراء القفقاس ضد روسيا.

وكان لأعمال "شامل" و "محمد أمين" أثر جيد على القيادة الروسية في القفقاس. وكتب الامير "فورنتسوف" تقريرا إلى الحكومة الروسية عبر فيه عن قلة القوى والوسائط لديه لحماية بلاد ما وراء القفقاس من هجمات القوات التركية

ووحدات الشراكسة. جاء فيه: "**من الضروري إرسال فرقة مشاة إلى ما وراء القفقاس حتى لو لم يكن هناك أي خطر من طرف ايران دون هذه المساعدة سنكون في وضع خطر من طرف خط (ليزغينسكي) حيث يحشد "شامل" كل قوات داغستان لكي يتعاون مع الاتراك في تلك النقطة التي يمكن أن ينجح فيها، وأي نجاح له ولو كان صغيرا ستكون له نتائج وخيمة وقاتلة علينا**".

*** سابع اعمال النائب محمد أمين هو:**

محاولة "محمد أمين" تقوية وضعه بين شراكسة الأديغة مستخدما الموقف الدولي الذي طرأ حديثا بعد بدء حرب القرم عام ١٨٥٣ ومعتمدا على قوة تركيا وحلفائها، وفي محادثاته مع الحلفاء حاول "محمد أمين" اقناعهم بإمكانية كقائد لحركة التحرر الشركسية، إلا أن سلطته لم تكن فعلا كبيرة وكانت تعتمد على علاقاته مع علية القوم في المجتمع الشركسي.

**وكتب قبطان السفينة الفرنسية (بوبان) الذي أرسله الماريشال "سانت آرنو" للتباحث مع "محمد أمين" حول القيام بأعمال قتالية ضد الروس في القفقاس فقال "لم أعرف في وقتها من هو النائب، فلو حكمنا عن طريق الاحترام الذي كان يحظى به لكنت اعتبرته قائدا لرؤساء العشائر المرافقة له، بعد ذلك عرفت انه لا شيء، إذ ان النائب كان موضع احترام ولكنه كان موجودا بينهم لطلب معونتهم فهو كان يطلب ولا يقود"، وكتب قبطان إحدى السفن الفرنسية الأخرى يقول: "أنه لا يوجد اتفاق بين كبار رجال العشائر الساحلية".**

*** ثامن اعمال النائب محمد أمين:**

وفي تموز ١٨٥٤ ترأس "محمد أمين" وفدا شركسيا مكوناً من (٧٠) اميرا شركسيا بدعوة من قيادة الحلفاء للذهاب إلى (فارنا) للتباحث حول الاعمال المشتركة ضد روسيا وقام الحلفاء باستقبال الوفد بشكل احتفالي رسمي لإظهار

قوتهم، وكتب "محمد امين" في مذكراته يقول: "ونحن نقترب من (فارنا) استقبلنا من قيادة القوات الفرنسية والانجليزية بإطلاق المدافع تحية لقدومنا [٢٥].

*** اعتقال النائب محمد أمين في استانبول:**

وفي الرابع والعشرين من يوليو سنة ١٨٥٩ قام جيش روسي كبير قوامه خمسون ألف جندي بهجوم كبير عبر نهر الكوبان، ولما وصل إلى حصن (صحة كواشة) توقف عن متابعة السير وعسكر هناك، وتقدم جيش آخر لا يقل عددا وقوة عن الجيش الأول، حتى ضفاف نهر (اللابا) وكان يهدف إلى التوغل في سهول الابزاخ. فأصبح سكان هذه البلاد على أثر تقدم الجيوش الروسية في هلع وذعر شديدين، وأخذوا يهددون النائب بإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى الروس، اذا لم يجد لهم مخرجا من ورطتهم، أو يتخذ الوسائل المناسبة لإنقاذهم.

وعلى أثر ذلك قرر النائب ان يدعو وفودا تمثل جميع الشعوب الجركسية إلى مجلس حربي يعقده في العشرين من أغستوس ١٨٥٩ على ضفاف نهر (اللابا) وبعد المداولة مع بعض الزعماء أرسل أخاه إلى البلاد الجنوبية، والزعيم (الحاج مصطفى) إلى بلاد الاستين، والقائد (البولوني لابنسكي) إلى شعب السوانيت المسيحي، كي يبلغوهم القرار ويحرضوهم على العمل واستنهاض الهمم.

كما ان العثمانيين كانوا يرسلون باسم الباب العالي رسائل مملؤة بالوعود البراقة لتقديم المساعدة لهم وطلبوا المجيء إلى استانبول، ليبين ما يحتاج إليه من مساعدات وجنود ومدافع ويستلمها بنفسه، وفي نفس الوقت كانت الرسائل السرية والأوامر قد صدرت من الاتراك على مقاطعته والالتفاف حول (سفر باشا) القائد الشركسي في المنطقة.

وهكذا قرر النائب محمد أمين أن يسافر إلى استانبول، فودع شعب الابزاخ، ووعدهم بأن يرجع إليهم فور حصوله على المساعدات التي وعد بها.

وما ان وصل إلى استانبول حتى ألقى القبض عليه بطلب من السفارة الروسية ونفي إلى دمشق مرغما على الإقامة فيها. وعامله السلطان كمعاملته لأحد الباشوات وخصص له خمسة آلاف ليرة كل شهر، ولكنه أبى أن يتمتع بهذه الضيافة الجبرية، ولاذ بالفرار في ليلة من ليالي شهر نوفمبر. وسار راكبا حتى وصل إلى سواحل الأناضول الشمالية حيث ركب زورقا، وأبحر إلى ساحل القوقاز، فوصل إلى الابزاخ سالما.

**هروب محمد أمين واستسلامه بقيادة الجيش الروسي في القفقاس**

لم يعد الروس يخشون تحركات النائب وتهديداته لأن القيادات الروسية كانت على قناعة تامة بأنه لو طلب الاتراك من "محمد أمين" ترك الروس ودفعوا له راتبا أكبر وزودوه بالسلاح فسينقلب ضد الروس، لذا قررت الحكومة الروسية عدم استخدام "محمد امين" في تطويع الابزاخ إلا أنها استمرت بدفع راتبه سنويا وكذلك فإن الحكومة التركية لم تكن تثق بالنائب بالرغم من تظاهره بأنه يقوم بحشد الشراكسة للوقوف مع الاتراك، وتؤكد بعض الوثائق الروسية بأن محمد أمين وفجأة وبدون مقدمات هرب (عام ١٨٥٩) إلى موقع قيادة الجيش الروسي المعسكر على ضفاف نهر (صحة – كواشة) وبصحبته فريق كبير من أتباعه من الميريدين فاستقبلوه بحفاوة بالغة وبمراسيم عسكرية رسمية، ومن هناك سافر مع (٢٤) من التابعين له من الميريدين إلى مدينة (تفليس) في جورجيا، وعرض طاعته للحاكم الروسي العام لبلاد جورجيا والقفقاس [٢٦].

هكذا انتهى دور النائب محمد أمين كما سبق ان انتهى دور سيده وامامه الشيخ شامل وهو الدور الذي لا يختلف عليه اثنان بأنه كان دورا غير مشرف يكتنفه الغموض الكبير.

**رابعا: دور الحاج مراد**

هو من بلاد الداغستان وينتمي في أصله إلى شعب الأوار، وكان في البداية متعاونا وحليفا للروس، وسبق أن تغلب على قوات الأمام شامل التي هاجمت مناطق الاوار عام ١٨٣٤، وظل حليفا للروس حتى عام ١٨٤٠ [٢٨] القي القبض على الحاج مراد بأمر من القيادة الروسية وعلى إثر وشاية من امير الداغستان (احمد خان) وادعائه بأن الزعيم الحاج مراد اصبح حليفا للامام (شامل) وساقوه تحت حراسة مشددة إلى (تمير خان شورا)، وفي الطريق وحيث كان الممر ضيقا لدرجة يتعذر المرور منه لأكثر من رجل واحد، فألقى بنفسه في (الوادي)، وبقي في مكانه دون حراك. وأما الحراس فقد ظنوا انه قد لقي حتفه فلم يعبأوا به، وتمكن فيما بعد من (جر نفسه) إلى مكان آهل بالسكان حيث بقي مصابا مدة طويلة، إلى ان شفي من الكسر الذي اصاب ساقيه.

وفي نفس العام التحق (الحاج مراد) بقيادة الامام (شامل) وعينه مساعدا له واصبح من اعظم القادة الذين كانوا تحت امرته فهو البطل العظيم الذي اشتهر بغزواته وهجماته الجريئة في جميع الميادين، وأما جسارته فلم يكن يعرف لها حدا، ونظرا لجرأته الخارقة وسرعته العظيمة وحركاته الجريئة، كان يكبد الاعداء خسائر فادحة.

وفي عام ١٨٤١ هاجم الروس مقر قيادة (الحاج مراد) في قريته (تسلميس) بقيادة الجنرال (باكونين) قائد المدفعية الامبراطورية الروسية إلا أن أتباع (الحاج مراد) تمكنوا من صد الهجوم وقتل الجنرال (باكونين) في هذه المعركة، وخسرت القوات الروسية ثلث قواتها قبل ان تتمكن من الانسحاب بسرعة إلى قواعدها الخلفية.

**أما الحاج مراد فقد فقد أباه وأخاه في هذه المعركة، كما أصيب هو نفسه بجراح.**

**وخلال الفترة من تاريخ انضمامه لقيادة (الامام شامل) في عام ١٨٤٠ وحتى استشهاده في عام ١٨٥٢ قاد (الحاج مراد) عدة معارك ضد القوات الروسية منها:**

**ففي عام ١٨٤٣ شارك كل من الحاج مراد امير الاوار**، و (كيت) امير قبائل (ماغوما) الداغستانية في الهجوم الكبير الذي شنه الامام شامل على قاعدة (ديلم) الروسية الحربية في بلاد الشيشان بهدف احتلال بلدة (اونتسكول) عاصمة الاوار وتمكنت القوات المتحالفة بقيادة (شامل) بدعم كبير من الحاج مراد وقواته من تخليص جميع المواقع الهامة في بلاد الآوار من ايدي الروس ما عدا مقر القيادة وقاعدتهم الحربية الأساسية في خونزاخ، ثم رجع إلى مقر قيادته في "ديلم" سالما.

**وفي خريف هذه السنة قام الحاج مراد فجأة بهجوم** على موقع (غرغيبل) المحصن بجيش كبير واستولى عليها.

**وفي عام ١٨٤٥ دافع الحاج مراد دفاعا مستميتا عن عاصمة الامام شامل (دارغو)** ووقف وقفة الابطال مع قوات الامام شامل، إلا أن القوات الروسية استطاعت بعد وصول نجدة كبيرة من احتلال (دارغو).

**وفي عام ١٨٤٦ قام وهو على رأس جيش قوامه ٥٠٠ فارس، من دخول (جنكوتاي) عاصمة اقليم (مشتولي)** في الداغستان رغم وجود حامية روسية فيها، وخطف أرملة عدوه القديم (احمد خان) الذي كان قد غدر به غير مرة، كما قام سنة (١٨٤٩) بخطوة جريئة سبقت جميع اعماله السابقة، فدخل ليلا بكل جرأة عاصمة ذلك الجزء من الداغستان، التي كان يحتلها الروس، وهي مدينة (تيمر خان) المحصنة، وتمكن بفطنته وسرعة خاطره من خداع جميع ملاحقيه بعملية خلع حذوات حصانه وإعادتها مقلوبة وبذلك تمكن من تغيير آثار الاقدام وتبديل اتجاهها على الطريق التي سلكها في سيره.

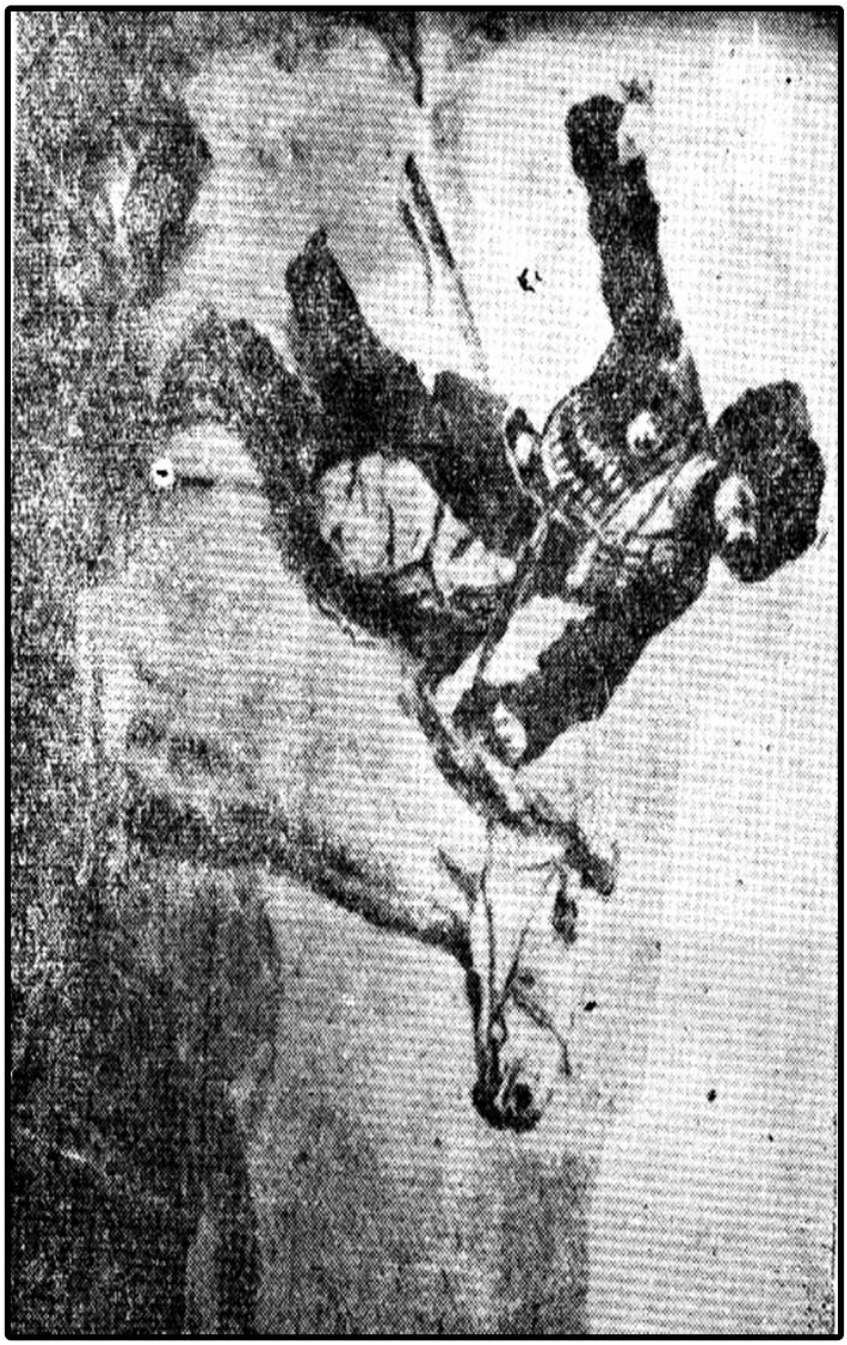
**وفي عام ١٨٤٨م، قام الروس بمحاولة اقتحام حصن (تشوخ)** والذي كان تحت قيادة نائب شامل (كييت محما) ورغم قيام الروس بإطلاق الاف القذائف المدفعية على الحصن *، إلا انهم فشلوا في اقتحامه.

وفي عام ١٨٤٨م قام بغارة جريئة على حامية (شورا) مقر الروس في الداغستان، وأوقع بالحامية الروسية خسائر بشرية قبل أن يغادرها مسرعا وسط ذهول الروس التام من جرأة هذا الهجوم والذي تم بقوات قليلة وسط جنح الظلام. كما قام في السنة التالية بغارة على (منسكايا) في جورجيا الشرقية وأباد الحامية الروسية فيها.

**وفي عام ١٨٥١م أرسل (شامل) الحاج مراد على رأس خمسمائة فارس للاغارة على مدينة (بويناخ)** الواقع على ساحل بحر قزوين، والتي تقع بين (دربند وشورا) وتمكن الحاج مراد من قتل (شاخ) ولي شقيق حاكم (تاركو) وخطف امرأته واولاده، واحتفظ بهم الامام شامل رهائن حتى افتداهم الروس بمبلغ كبير من المال.

**ويمكن القول بأن اعمال الفروسية والغارات التي كان يقوم بها الحاج مراد مع عدد قليل من اتباعه وأعوانه، لا تقع تحت حصر، وأصبح في مدة وجيزة ذائع الصيت، يملأ قلوب الروس بالخوف والجزع أينما حلوا وحيثما كانوا.**

* وردت في المراجع أن الروس اطلقوا على هذا الحصن حوالي (٢٢٠٠٠) قذيفة مدفع.



الشهيد البطل الحاج مراد

**الوشاية لدى الامام شامل، واصداره حكما سريا بإعدام الحاج مراد**

ان نجاحه في معاركه الحربية زاد من عدد حساده فقاموا بالوشاية عنه لدى الامام (شامل) الذي سمع كلامهم، خاصة وأن الامام اعتبر الحاج مراد، منافسا قويا له يهدد مركزه الديني، ويحد من شعبيته وسلطته، لذلك قرر الغدر به والتخلص منه بأي صورة كانت، واصدر (سرا) حكما يقضي بإعدامه. غير (ان الحاج مراد) علم بذلك قبل فوات الاوان، وتمكن من الفرار والالتجاء إلى الروس. وسلم نفسه للقيادة الروسية في حصن (فوزدفيشنسكو) في خريف ١٨٥١، فاستقبله الروس، بكل حفاوة، إذ أنهم رأوا في التجائه إليهم بداية نهاية (الامام شامل) وزوال الحركة المريدية، إلا أن (الحاج مراد) لم يتمكن من الاتصال بأعوانه وأتباعه الذين تركهم في بلاده الداغستان وسمح له الروس بالإقامة بالقرب من الحدود الداغستانية، والتجول في المواقع المتاخمة للبلاد التي يحكمها (الامام شامل) حتى يقوم في الوقت المناسب بهجوم مباغت على مواقع الداغستانيين وعلى مركز اقامة الامام شامل، لأسره أو قتله ان امكن ذلك.

إلا ان الفرصة المناسبة لم تسنح له، وطال انتظاره، الذي كان يزداد شوقا يوما عن يوم إلى افراد عائلته وولده يوسف، الذي أخذه الامام شامل اسيرا، وكان يهدد بقتله والاعتداء على نسائه.

**استشهاد الحاج مراد:**

في الثامن عشر من نيسان / ابريل عام ١٨٥٢ قرر الهرب (من مقر اقامته بين الروس) بعد ان سئم من مماطلة القيادة الروسية بالسماح له بالهجوم على مركز اقامة (شامل) لتخليص ابنه وزوجته من قبضة (شامل) وايده في قراره هذا بعض رفاقه في القتال والتجأوا فعلا إلى الجبال المجاورة، إلا أن الروس تنبهوا لخطته وحاصروه مع رفاقه قبل مغادرة المنطقة الروسية، وبالرغم من محاصرته من

جميع الجهات فإنه قرر ورفاقه عدم الاستسلام بل قرروا الاستشهاد كما تمليه مثل هذه المواقف على الفرسان الشجعان، وقاموا بقتل خيولهم واستخدموها كمتاريس وبدأت معركة غير متكافئة واستمرت لساعات طويلة، وعندما فرغت ذخيرة (الحاج مراد) ورجاله استلوا سيوفهم وهجموا على أعدائهم فقتل اثنان من اتباعه برصاص الاعداء وجرح آخران. أما (الحاج مراد) فقد اصابته رصاصتين كانت احداهما قاتلة ولكنه تمالك نفسه ونهض على قدميه وهجم شاهرا سيفه على الاعداء، وتمكن من قتل أول من وصل إليه لكن الرصاص انهال عليه بغزارة فسقط قتيلا وسيفه بيده.

وقام ابن عدوه القديم (احمد خان مختولي) بقطع رأس (الحاج مراد) وأرسله إلى تفليس لإضعاف معنوية أتباعه، كما تم لاحقا اعدام الاسيرين الجريحين الآخرين من رفاق الحاج مراد.

**وهكذا انتهت حياة فارس من أشجع فرسان حرب القوقاز نتيجة غدر (شامل) واتخاذه قرارات لمصالحه الشخصية دون اعتبار لما يمكن أن تحدثه مثل هذه القرارات من أثر سلبي على مجريات الحرب مع الروس، كما ان استشهاده زادت من مشاعر السخط على (شامل) في صفوف جيشه خصوصا بين قادة الشيشان الذين كانوا رفاق الحاج مراد قبل استشهاده.**

## مصادر ومراجع الفصل الرابع من الجزء الرابع في المجلد الثالث

١- كتلوا، طارق، الامام منصور (الامام الاول للشيشان) صدر باللغة التركية في استانبول عام ١٩٧٨ وترجمه للعربية الدكتور احمد بولاد، وحميد يونس ونشر في عمان عام ١٩٩١ ص: ٦٦.

2- I. apninski – Die Bergulken des kaukasus – 1863

وثائق المانية ونقل عنه الدكتور شوكت المفتي في كتابه اباطرة وابطال – مصدر سابق، ص١٠٥-١٠٧.

٣- المصدر نفسه ١٠٨-١١٣.

٤- الحركة المريدية، رسالة دكتوراة باللغة الانجليزية، ص: ٧٦.

٥- مخوص، ارسلان، مصدر سابق ص: ٦٩-٧٠.

٦- حراتوقة، مصدر سابق، ص: ٦١.

٧- الامام منصور، مصدر سابق، ١١٧-١١٨.

٨- الوثائق الالمانية، شوكت المفتي، ص١٠٧-١٠٨.

٩- الشيشاني، احمد، مصدر سابق، ص: ٧٦-٧٧.

١٠- الوثائق الالمانية، شوكت المفتي، ص: ١٠٩-١١٢.

١١- المصدر نفسه، ص: ١١٢-١١٣.

12- Blanch, Lasley (1984). The Sabres of Paradise, carrol and craf, Ine. NewYork ٢٦٨+ ٩٨-٩٧ كتاب سيوف الجنة ص:

13- Mackie – The Life of Shamil and Narrative – Boston 1856, ص٦٦

١٤- الوثائق الالمانية، مصدر سابق.

١٥- المصدر نفسه ١١٤ – ١٢٠.

١٦- حياة شامل: مصدر سابق ١١١-١١٢.

١٧- المصدر نفسه، ٢٦٦-٢٧٠.

١٨- حياة شامل، مصدر سابق ٢٦٦-٢٧٥.

١٩- الوثيقة رقم: PRO, FOP, FO/60 (Persia), No. 147, Stevens to Palmerstone, No.2, Tabriz, January5, 1849.

كان القنصل البريطاني في تبريز (ستيفنس) قد أرسلها إلى بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا العظمى مترجمة إلى اللغة الانجليزية، وقام الدكتور غالي عوده بترجمة النسخة الانجليزية إلى اللغة العربية ونشرها في عمان عام ١٩٩٠.

٢٠- الشيشاني، احمد، مصدر سابق، ص: ١٣٤.

٢١- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ٨٢.

٢٢- المصدر نفسه، ص: ٧٠.

٢٣- الوثائق الالمانية، شوكت المفتي ١٥٥-١٥٦.

٢٤- المصدر نفسه، ص: ١٥٦-١٦٢.

٢٥- الوثائق الروسية، ص: ٧٥-٧٨.

٢٦- الوثائق الالمانية، شوكت المفتي، ص: ١٨٧-١٩٨.

٢٧- حياة شامل، مصدر سابق، ص: ٢٦٦-٢٧٥.

٢٨- ليوتولستوي، كتاب الحاج مراد، النسخة الانجليزية ص١٤٥-١٧٠ (وتوجد نسخة مترجمة باللغة العربية).

٢٩- الشيشاني، أحمد – حرب القوقاز الاول، مصدر سابق، ص:١٤٥-١٤٧.

# الجزء الخامس

## مآسي وجرائم عمليات التهجير القسري للأمة الشركسية والمواقف الشركسية الرافضة لها

# الفصل الأول

## أنواع هجرات

## الأمة الشركسية

## أنواع الهجرات

يجد الدارس لتاريخ هجرات الأمة الشركسية، وتحركاتها في الداخل والخارج، منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث، حدوث نوعين من الهجرات هما:

**الأولى: الهجرات الطوعية الطبيعية. والثانية: الهجرات القسرية.**

### أولا: وقائع وأحداث النوع الأول من الهجرات (الطوعية)

**هجرات ما قبل الميلاد:**

تشير الوثائق التاريخية القديمة عامة والوثائق التي نشرها أبو المؤرخين "هيردوت"، خاصة عن حدوث هجرات في فجر التاريخ، حيث أكد "هيردوت" بعد سياحته في بلاد القفقاس عام (٥٠٠) قبل الميلاد بأن الكيميرين القفقاسيين وقوميات أخرى قد حاربوا الاسكيت بكل شدة، ولكنهم غلبوا على أمرهم، وعلى أثر ذلك فإن "الكيمرين الغربيين" الذين سكنوا شمال البحر الأسود، وهم شعبة من (ته ره ر) القاطنيين في أحواض نهري الدنيير والدنيستر، قرروا الهروب نحو الغرب، ولما أصر ملوكهم وقادتهم على الحرب، ثار الشعب عليهم وقتلوهم مع من ناصروهم، ثم رحلوا هاربين إلى أوروبا بدون قيادة ولا نظام وتفرقوا في أنحاء شتى في أوروبا.

ويؤكد أكثر المؤرخين أن شعب "الاتروسك" كان منهم وكذلك شعب "الباسك" الذين هاجروا من القفقاس في العصر الحجري الأخير [١].*

* مراجع ومصادر الفصل الأول من هذا الجزء موجودة مع مصادر ومراجع الفصلين الثاني والثالث من هذا الجزء.

كما يذكر (سمكوغ) بأن "الباسك والاتروسك" من اوائل الشعوب القفقاسية الذين استقروا في "ايطاليا" في العصر النيوليتي (مما يتوافق مع انتشار شعوب القفقاس) من الشرق حيث ساروا بمحاذاة الشاطئ، ووصلوا إلى البحر المتوسط واستقروا في اوروبا في العصر النيوليتي كما كان (الاتروسك) اول شعب وصل إلى ايطاليا، وكانت لغتهم مقطعية ليست سامية، ولا هندواوروبية، ويصفهم "الرومان" الذين هزموهم واخذوا الكثير من حضارتهم بأنهم جاؤوا من شمال القفقاس [٢].

كما يذكر بأن شعب "الاتروسك" الذين يعيشون حتى اليوم في شمال ايطاليا ويقطنون سلاسل جبال شمال نهر الدينبر، هم نفس الشعب القوقازي الذي اندمج بالامبراطورية الرومانية بعد هجرتهم من شمال القفقاس [٣].

وبالرجوع إلى كتاب "تاريخ العالم" المجلد الاول، توصلنا إلى حقيقة تاريخية، ملخصها بأن "دراسة بقايا الاف الجثث التي وجدت في العصور القديمة في مصر الفرعوني تؤكد على ظهور (قوم أو شعب أجنبي) في وادي مصر ذوي أجسام ممتلئة، وانتشروا في أعالي الوادي في مصر، ايام الاسرة الرابعة الفرعونية، وان هذه الاقوام من المؤكد انها جاءت من قفقاسيا الشمالية وأن المصنوعات الصوانية التي وجدت في مقابر مصر القديمة بالاف السنين قبل الميلاد تشبه المصنوعات الحجرية التي وجدت في مقابر (مايكوب) في شمال القفقاس، مما يؤكد بأن بعض قبائل من أجداد الشراكسة رحلوا من شمال القفقاس إلى وادي مصر في فجر التاريخ [١٤].

*** وقائع واحداث الهجرات الداخلية للأمة الشركسية عامة والقبرطاي خاصة على مر العصور.**

يقول (ناميتوق)* نقلا عن مصادر فرنسية قديمة بأن الشراكسة كانوا متحدين وشعبا واحدا، وغير منقسمين إلى فروع ويتكلمون لغة واحدة، ولا يعرف تركيبة طبقية او ارستقراطية ولا أي امتيازات شخصية لأحد، إلا احترام المتقدمين في السن، وكان يعيش على شاطئ البحر الأسود، ويدعو نفسه شعب "أديغة" في أراضي (خيكوج Khekuge) (حكوظ) أي الوطن القديم.

وبعد تزايد عدد الشراكسة هاجر قسم منهم، وهم الذين كانوا يقيمون حول (تزيمز) ( Tsemez) وانابا (Anapa) واتجه نحو الشمال على طول الشاطئ الشرقي لبحر آزوف، وانتقل هذا القسم إلى القرم وشكل قبيلة (القبرداي). وقسم آخر اتجه نحو الأراضي الواقعة على ضفاف نهر الكوبان والف الفرعين المعروفين: شابسوغ وناتخوي أو ناتخواج، بينما ظل القسم الثالث على شاطئ البحر الاسود، في الوديان الواقعة بين نهري شاخة Chakhe وخوسلو Khoslo وأصبح افراده ماهرين في الملاحة البحرية وهم الذين اطلق عليهم اسم (الاوبيخ) بينما اتجه القسم الرئيسي من الشعب نحو السفح الشمالي لجبال القفقاس، متبعا وادي تشيلبسي (Tchilepsi). وكذلك فإن الكمرغوي هم أول من اجتازوا سلسلة الجبال (المواجهة للبحر الأسود) ثم تبعهم (البظدوغ) بقيادة الاميرين الشقيقين كركن (Kerken) وخاميش (Khamish) وهذا الاخير اتجه إلى حوض صحكواش، وشكل شعب البظدوغ الذين كانوا معه (فرع خامشاي–Khamischey) أما الأخ الآخر كركن فإنه انطلق مع مؤيديه لاسترداد الأرض التي كان الفرنج (Francs) قد استولوا عليها، وهي الواقعة بين بسيكوبس (Psekups) وتشيغياكو (Tchighiako).

* وردت هذه الوقائع في كتاب (سمكوغ) الشركس في فجر التاريخ ص: ٢٢–٢٥.

وفي مرحلة لاحقة، بدأ (الكمرغوي) ينقسمون، فانفصل عنهم في البداية الموخوش (Mokhosh – مخوص) الذين اجتازوا نهر كورجيبس (Kurdjips) وسكنوا في الأراضي الواقعة وراءه، ثم تبعهم (اليجرقواي Edjerkoi) الذين قلدوهم واستوطنوا الجزء الأسفل من حوض نهر (صحاكواش) بالقرب من (الحاتيقواي) وأخيرا فإن مجموعة (الادمي) انتقلوا إلى الضفة الأخرى من النهر الذي يحمل نفس الاسم ليستقروا بجانب (قبيلة الظانة – الجانا).

وكانت الموجة الأخيرة من هذه الهجرات التي توجهت إلى شمال تلك الجبال (السوداء) القسم الذي سمي فيما بعد قبائل (ابزاخ) بسبب سكناهم إلى جوار (الابازة)، وانتقل إليهم ايضا كل الشركس المعارضين للنظام الاقطاعي الذي كان سائدا في المناطق الشركسية الأخرى. وبذلك ازداد عدد الابزاخ وقوى بأسهم وأصبحوا منذ ذلك الوقت يشكلون معارضة للارستقراطية الاقطاعية.

نستنتج مما تقدم بأن أول قبيلة تشكلت بعد هجرتهم إلى جزيرة (القرم) هم (القبرطاي) وان هجرتهم كانت في القرن العاشر الميلادي تقريبا وأن هذه الحقيقة قد أكدها كل من العلماء الحديثين مثل (بالاس وكلابروث) وغيرهما، الذين قدموا براهين عديدة على سكنى القبرداي في التاوريد Tauride (أو تاوريا) في القرم.

"وفي الواقع فإن المجرى الأعلى لنهر بيلبيك (Belpik) في القرم (Crimee) كان يحمل اسم كوبارد (Kobard)، كما يطلق على (تشيركيس – توس– Tcherkes- tus) أي سهل الشركس على المنطقة الممتدة بين هذا النهر أي نهر كوبارد ونهر كاتشا (Katcha).

كما ان وجود القلعة المسماة باسم تشركس – كرمن ( Tcherkes Kermen) ، والتي لا تزال بقاياها ظاهرة للعيان على قمة جبل عال، يشكل برهانا اضافيا على استيطان الشركس في تلك البلاد في ذلك العصر.

كما ظهر على الخارطة التي رسمها فريدوتيو دانكون ( Fredutio d'Ancone) في عام ١٤٩٧م للبحر الابيض المتوسط والبحر الاسود اسم كباردیا مكتوبا إلى الغرب من تاغانروغ (Taganrog) وهي القرينة التي تدلنا على المكان الذي كان يقيم فيه الكاباريس (Kabaris) الذين ذكرهم كونستانتين بورفيروجينيت (Constantin Porphiroge'ne'te) وفي وقت لاحق غدت قبيلة (الكاباردا) (Kabardah) مكان اقامتها من القرم في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) واستقرت في الجزيرة التي يشكلها فرعا نهر الكوبان عند مصبه والتي يسميها التتار (كيزل – تاش Kyzil – Tach) أي الحجر الأحمر. وتشير بعض المصادر بأن القبرداي لم يسكنوا فقط في (تاوريد) أو القرم فحسب، بل ايضا في قسم من (اوكرانيا) وقد يكونون في الأصل من المنطقة التي تحيط بمدينة (ريازان– Riazan) الروسية، وأنهم لم يتركوا مهدهم ذلك إلا في عهد الدوقات الكبار لروسيا، وذهبوا للاستقرار في سفوح القفقاس.

وتشير الروايات المتناقلة بأن عودة القبرطاي من القرم كانت عن طريق البحر ونزلوا على أرض القفقاس بالقرب من تسمز (Tsemez) ويسميه الروس الآن (نوفوروسيسك Novorossisk)، ومن هناك اتجهوا إلى مصبات نهر الكوبان (Kouban)، وانطلقوا منها ليمدوا سيطرتهم على السهول الجنوبية، وكان مركز قوتهم في هذه المنطقة الجديدة هو مدينة شانجر (Chendjir) الواقعة بين نهري بسيف (Psif) ونفيل (Nefil) والتي وصف (بالاس) آثارها الباقية. ولكن القبرداي لم يمكثوا مدة طويلة عند مصبات الكوبان، بل رحلوا خوفا من (الافار– Avares) القادمين من جهات الدون والفولقا، وبسبب ضغط هؤلاء الغزاة الجدد، فإن قسما من القبرداي بحث عن ملجأ له في شبه جزيرة تامان والقسم الآخر التجأ إلى قرب آنابا في المكان المعروف باسم تشي – خوراي (Tchi Khourai) أي الأرض (الدائرية أو المدورة) ولكن هذه الانسحابات لم تنفعهم شيئا لأن (خان الافار) المسمى

(باكان)، كما تقول الروايات الشركسية التقليدية طاردهم باتجاه الطريق الجنوبي المسمى (طريق الجنويين، نسبة إلى مدينة جنوة الايطالية)، عبر الوديان المسماة بتشيوغوليج (ptchigholege) أي الحصان القديم الأبيض (بتشأغولج Ptchigholege) والتي يخرج منها نهر باكان (Bakan) وعند نهاية هذه الوديان تعرض (ينال) الكبير امير القبرداي إلى هزيمة أمام (الافار) وقد دعيت تلك الوديان باسم وديان (باكان) كذكرى عن هذه المعركة، كما ان نهرا قريبا منه، وهو رافد من روافد نبرجاي سمي باسم (بيغاغو – Beghagho) بسبب الدموع الكثيرة التي ذرفت هناك حزنا على شهداء الشركس من قبل اهليهم واصدقائهم.

إن (خان الافار)، كما تقول الروايات، ظل يلاحق الشركس حتى نهر ابين (Abin) حيث كان الشركس – القبرداي والكمرغوي – الذين عادوا إلى الهجوم وانتصروا على اعدائهم في معركة ظافرة. وبعد ذلك النصر التاريخي، تمكن (ينال) من فرض سيطرته على كل بلاد الشركس، ومن ضمنها ابخازيا، وكان الامير (ينال) يتمتع بقدرات ومواهب عسكرية وإدارية عالية وفذة، حققت له شهرة واسعة وامجادا ذائعة، لدرجة أن الشعب الشركسي ما يزال يتغنى بفضائله حتى الآن، ومع الأسف، فإن أولاده، بعد موته لم يستطيعوا المحافظة على تراث والدهم العظيم، وبدأت بينهم المشاحنات والحروب، مما كان السبب في هجرة القبرداي نحو الشرق، إلى البلاد التي دفعوا عنها الاستين (Ossete) واستوطنوها منذ ذلك الوقت وما زالوا فيها. بينما ظل الكمرغوي الذين كانوا هم والقبرداي يعرفون باسم (آدغي) مقيمين في حوض نهر (صحاكواش) (Shagoashe) ويقول البعض أن رئيس قباردیا يدعى ناتخو (Natkho) قد اعطى اسمه إلى الناتخواي بينما تمكن زعيم آخر اسمه كوبلي – على ما يبدو – من الوصول إلى السلطة عند الشابسوغ كما يزعم البعض ان هاتين القبيلتين – الشابسوغ والناتخواي قد اقتبستا نظام الطبقة الاريستوقرطاية والتركيبة الاقطاعية من القبرداي وتتناقض هذه الرواية، مع

الرواية الأخرى التي تقول إن القبرداي كانوا يعيشون بالقرب من البحر الأسود، وكانوا يدعون (كوسوغ) (Kossog) ويحكمهم الأمراء من عائلتي بولوتوق (Bolotoko) وكويتزوكوكو (Kuytzukoko) قويشنكئوقوخ، كما يقال ان قبارديا اسمه تامبي Tambi كانت له زوجة جميلة جدا، اضطر بسبب المشاكل الكثيرة التي تعرض لها هو وزوجته ان يغادر هذه البلاد (أي الادغاي إلى منطقة الكوبان والبحر الاسود) وذهب إلى المنطقة التي اسس فيها قباردا الحالية.

ومع ذلك فإن القبرداي ليسوا هم القبيلة الشركسية الوحيدة التي غيرت مكان اقامتها مرات عديدة وعلى فترات طويلة قبل الاستقرار في مكان نهائي، فإن بقية قبائل الشركس ايضا لم يكونوا يسكنون في القديم في نفس المناطق التي نجدهم فيها في القرون الاخيرة.

**تنقلات وتحركات القبائل الشركسية الأخرى وهجراتهم الطوعية:**

ففي الفترة (١٣٠٠-١٧٠٠) ميلادية كانت الضغوط الحربية قد خفت على الجراكسة بصورة عامة، خاصة بعد القضاء على دولة الجيش الذهبي، وانصراف خانات القرم لمحاربة الروس في الشمال.

وفي هذه الفترة ظهرت الفرصة للتفرغ إلى النزاعات القبلية والعودة للاستيطان في السهول الواسعة الخصبة في حوض نهر الكوبان وشماليه. وكانوا يسمون المنطقة الداخلية (خه كوز) بمعنى الوطن القديم، ولكن زوال الخطر الأجنبي تقريبا، وتكاثر النفوس، والرغبة في توسع أفق الحياة ومجالات العيش، دعاهم إلى التحرك خارج نطاق حصون (خه كوز) الطبيعية، **ويمكن تلخيص تلك الهجرات الداخلية على النحو التالي:**

بدأت قبيلة الشابسوغ والناتخواج في الاستيطان على ساحل البحر الأسود شمالا وجنوبا وانتشرت قبيلة أبوخ بين نهر شاخي وسكنوا على الساحل، وكانوا بحريين واشتغلوا بالقرصنة. بينما رحل قسم كبير من الآديغة إلى السهول الشمالية،

واجتازوا منطقة الوديان الجبلية عن طريق وادي نهر (شيلبس) (ماء الأمة) وكان أول من انحدر من الجبال عن هذا الطريق هم شعب الكيمركوي، وتلاهم البظة دوغ بقيادة الأميرين (كره كن) و (حاميش)، فأما الأمير جان فقد اتجه إلى المنطقة المحصورة بين نهري (بسى كوبس وجغروكا) واحتلها، وهذه المنطقة كانت تسمى (ارض الفرنسيين) لأن لاجئين فرنسيين من بقايا الحملات الصليبية الهاربة كانوا يعيشون فيها، ولقد تسمى هذا القسم من شعب البجه دوغ باسم (ججناي)، وأما الأمير (حاميش) فقد تعقب وادي نهر "شحة كوشه" واستوطن هناك مع اتباعه ولقد تسمى هذا القسم (خميشي).

كما ظهرت تحركات وانقسامات بين شعب الكيمركوي، فانفصلت عنهم شعبة (ماخوش) أو مخاوص وانتقلت إلى الضفة الثانية من نهر كورجيبس. وكذلك انفصل شعبة (يجرقواي) التي قطنت في الأقسام السفلى من نهر (شحه كواشه) بجوار قبيلة حاتوي أو (حاتيقواي). كما انفصلت شعبة (آدامي) فسارت بمحاذاة (نهر شحه كواشه) حتى جاوروا قبيلة زانه (جانا) وكان آخر موجه انتقالية من الجبال إلى الشمال هم (الابزاخ) حيث سكنوا وادي (كويتوخ) وكانوا ملاذا للعناصر المتمردة على الأمراء الاقطاعيين الذين استوطنوا في السهول، وهكذا كانت قبيلة (الابزاخ) تتكاثر وتقوى، حتى صارت كتلة قوية تهدد الامارات الإقطاعية ونفوذ الأمراء الإقطاعيين تهديدا قويا مباشرا، لأنهم لم يكونوا يكتفون بحماية اللاجئين بل كانوا يدعون للتمرد على الأمراء والعصيان. *

* وردت هذه الوقائع التاريخية في كتاب محمد جمال آبه زاو "موسوعة تاريخ الشركس والقفقاس، ص: ٣٥٦.

*** وقائع واحداث الهجرات الطوعية إلى تركيا ابتداء من منتصف القرن السادس عشر الميلادي:**

بدأت موجة من الهجرات الفردية الطوعية إلى تركيا ابتداء من عام ١٥٦٠ وكان من اوائل المهاجرين في هذه المرحلة هم من قبيلة (جانا) الشركسية بعد ان اعتنقوا الديانة الاسلامية، وان اول زعيم شركسي رحل إلى تركيا عام (١٥٦٥) هو (انقوتوقة) بهدف اعلان اسلامه. وفي عام (١٥٩٠) ازداد اعداد الشراكسة الذين كانوا يرغبون الذهاب إلى اسطنبول للمبايعة واعتناق الدين الاسلامي، وهكذا فإن الهجرات الطوعية على مستوى الأفراد والأسر والعائلات والجماعات الصغيرة استمرت حتى مطلع القرن الثامن عشر.. حيث توقفت خلال السنوات الاخيرة من حرب "الابادة والدمار" التي نفذتها السلطات القيصرية الروسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ضد الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة.



لوحتان تمثلان الهجرات الداخلية للأمة الشركسية

**ثانيا: وقائع واحداث النوع الثاني من الهجرات وهي الهجرات القَسرية**

**تعرضت الامة الشركسية إلى أقسى أنواع عمليات التهجير، وهي العمليات التي اتصفت "بالتهجير القسري، والترحيل بالقوة، والابعاد والطرد والنفي الجماعي" من الوطن الام بالإضافة لعمليات بيع أسرى الحرب والاطفال المختطفين وتمليكهم إلى تجار الرقيق ومن ثم بيعهم ونقلهم إلى خارج الوطن الام.**

وبالرجوع لتاريخ عمليات التهجير القسري التي تعرضت لها الامة الشركسية منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث تبين فيها بأنها تمت بأسلوبين اثنين هما:

**الأُسلوب الأول** وهو الاسلوب الذي تمثل في نقل اسرى حرب الشراكسة الذين أُسروا خلال حروبهم ضد المغول والتتار وقياصرة الروس وتمليكهم لتجار الرقيق اولا، ومن ثم بيعهم إلى حكام وسلاطين وغيرهم خارج بلاد القفقاس، وكذلك من خلال خطف الاطفال ونقلهم خارج الوطن او بيع الاطفال (سبايا) الحروب، ونقلهم إلى خارج الوطن، وهذا هو الاسلوب الذي استخدم مع الشراكسة الذين نقلوا "قسرا" إلى الديار المصرية وبلاد الشام ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر وهم الشراكسة الذين حكموا فيما بعد مصر وبلاد الشام حكما مباشرا لأكثر من (٢٦٧) عاما وحكما غير مباشر وخلال الفترة (١٥١٧-١٨١١) ومشاركتهم في الحكم خلال الفترة (١٨١١-٢٠٠٨).

**الاسلوب الثاني:** وهو التهجير القسري المقرون بالقوة او النفي والطرد الجماعي إلى خارج الوطن الام باستخدام اسلوب ارتكاب جرائم حرب من التجويع وتضييق سبل المعيشة وهو الاسلوب الذي استخدم في طرد وتهجير اكثر من (٢,٥) مليون شركسي من قبل السلطات القيصرية الروسية ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين، وهم الشراكسة الذين تم نفيهم ونقلهم إلى ولايات الدولة العثمانية وبعض البلاد العربية في الشرق الأوسط.

**ثالثا: مراحل نقل الشراكسة من الوطن الأم إلى الديار المصرية وبلاد الشام**

توصلنا من دراستنا لتاريخ التهجير والنقل القسري الذي تعرضت له الأمة الشركسية بأن هذا النقل قد تم من خلال ستة أفواج وهي على النحو التالي:

**الفوج الاول من المهجرين والمنقولين قسرا من الشراكسة إلى الديار المصرية وبلاد الشام:**

تشير الوقائع التاريخية التي اوردها البدر العيني* بأن حروب المغول مع شعوب شمال القفقاس بدأت بعد ان زحف القائد المغولي "جنكيز خان" إلى البلاد الإسلامية سنة (١٢٠٢) والذي استولى على بخارى، فسمرقند، فخوارزم شاه، فقزوين، فهمدان، فأذربيجان، واستمر الزحف حتى سنة (١٢١٧م). وفي سنة (١٢٢٢)، ارسل "جنكيز خان" وأولاده وأحفاده إلى القفقاس الشمالي، فحدثت بينهم وبين القفجاق والروس وقعة كبيرة سنة (١٢٢٢م) انتهت بهزيمة (القفجاق) واستولى الغزاة المغول على اهل البلاد وتمكنوا منهم، قتلا وسبيا ونهبا، وجلبت سبايا هذه الأجناس إلى البلاد الشامية والمصرية، كأسرى حرب (لا عبيدا او مماليك) وكان ذلك في عهد صلاح الدين الايوبي الذي كان يحكم مصر في ذلك الوقت.

وفي مراحل لاحقة من عهد الدولة الايوبية استقدم السلطان (صالح ايوب) اعداداً كبيرة منهم، واسكنهم في جزيرة الروضة بالقاهرة واطلقوا عليهم اسم (المماليك البحرية او المماليك الاتراك) حيث بلغ عددهم حوالي (١٢) الف منهم (٣) الاف من اصول قوقازية شركسية * وهم الذين اسسوا في عام ١٢٥٠م الدولة

* لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى البدر العيني في كتابه "المماليك" المنشور في بيروت عام ١٩٦٧ ص: ٤٠.

* القفجاق اسم اطلقه المؤرخون العرب عامة وابن خلدون والمسعودي خاصة على بلاد الشراكسة في القفقاس منذ القرون الوسطى.

المملوكية البحرية الاولى او الدولة المملوكية التركية علما بأن (٢٢) سلطانا وملكا من الذين حكموا مصر وبلاد الشام في هذه الدولة لمدة (١٣٢) سنة وخلال الفترة (١٢٥٠م-١٣٨٢) كانوا من اصول شركسية.

وتشير الوقائع التاريخية أيضا بأن الغالبية العظمى من "المماليك" الذين جلبهم سلاطين الايوبيين إلى مصر من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز والقفجاق وآسيا الصغرى وفارس وتركستان وبلاد ما وراء النهر، كانوا خليطا من الاتراك والشراكسة والروم والروس والأكراد فضلا عن أقلية من مختلف البلاد الاوروبية"[٤].

*** الفوج الثاني من المهجرين الذين نقلوا قسرا من الشعوب الشركسية في القفقاس إلى الديار المصرية وبلاد الشام.**

يتكون هذا الفوج من الشراكسة "اسرى الحرب والاطفال المخطوفين" أو الاطفال (سبايا الحروب) الذين نقلوا إلى الديار الشامية والمصرية حتى (١٣١٢) حيث أكد المؤرخ (علي ابراهيم حسن) بأن السلطان (قلاوون) أنشأ فرقة جديدة من "المماليك" واطلق عليهم اسم المماليك "البرجية" نسبة إلى ابراج قلعة الجبل التي أقاموا فيها في القاهرة. وكانت تلك الطائفة من القادمين الجدد هم من "الشراكسة" وقليل من الارمن وبلغ عددهم ثلاثة آلاف وسبعمائة مقاتل. * [٥]

وبذلك يكون أول ذكر لاسم (الشراكسة) صراحة كان في عصر "السلطان قلاوون".

* يشير المؤرخ جورجي زيدان في كتابه تاريخ "مصر الحديث" بأن عدد المماليك البرجية كان نحو (١٢) الف من الجركس والارمن.

وحول طريقة استقدام "شراكسة البرجية"، يقول المؤرخ (النوري) في كتابه (نهاية الأرب) بأن رسل الملك "الناصر محمد بن قلاوون" عادت من عند الملك "طقطاي – ملك بلاد القفجق والجركس" بالقوقاز عام ٧١١هـ فاعترضهم (الفرنج) في ربيع الاول منه وأسروا جميعهم، وكانوا هم واتباعهم وعلماؤهم نحو ستين نفرا، ومروا بهم على البلاد الساحلية بقصد بيعهم، ووصلوا إلى طرابلس الشام وعرضوهم للبيع، واشتطوا في الثمن وحلفوا أن لا يأخذوا في ثمنهم إلا ستين ألف دينار عينا، فلم يشترهم أحد. ثم توجهوا بهم إلى "اياس" وعرضوهم على صاحب "سيس" على (السواحل الشامية) بهذا الثمن فامتنع ان يبتاعهم، ثم توجهوا بهم إلى جزيرة "المصطكى"... وبلغ إلى مسامع السلطان الملك "الناصر محمد بلا قلاوون" حول هذه الصفقة (غير الشرعية)، فأمر بالقبض على تجار (الفرنج) المتواجدين في الاسكندرية والحوطة على أموالهم، والتزم أن لا يطلق سراحهم وأن لا يفرج عن أموالهم، إلا بعد حضور رسلهم، فخرج التاجر (شكران الجنوى) متوجها إلى جزيرة "المصطكى" وخلصهم وأرسلهم إلى الديار المصرية. وكان وصولهم إلى مصر بين يدي السلطان في السادس عشر من ربيع الاول سنة (٧١٢هـ – ١٣١٢م).

وخلال الفترة من بدء استقدام (شراكسة البرجية) إلى مصر، ابتداء من عام (١٣١٢م) وحتى عام (١٣٨٢م) اصبح لهم نفوذ كبير في مصر، واستطاعوا تأسيس دولتهم التي سميت بدولة "سلاطين الشراكسة البرجية" في مصر واستمرت حتى عام ١٥١٧، أي ان سلاطين الشراكسة حكموا (مصر) حوالي (١٣٥) عاما.

**الفوج الثالث من المهجرين الذين نقلوا قسرا من الشراكسة إلى الديار المصرية وبلاد الشام:**

تكون هذا الفوج من المجموعة الثالثة من شراكسة القفقاس الذين استقدمهم (برقوق) عندما كان قائدا للجيش في الدولة المملوكية البحرية الاولى، حيث قال المؤرخ ابن (اياس) حول هذا الموضوع بأنه:

"خلال (أتابليته)* قدم أبوه إلى مصر (٧٨٢هـ/ ١٣٨١م) بصحبة (الخواجا عثمان) الذي باع برقوق من قبل، وحضر معه عدد كبير من اقربائه، وإخوة (برقوق) واحتفل بمقدم أبيه وأدخله القاهرة من باب النصر في موكب حافل، وسرعان ما تقدم (الشمسي) أحد الامراء المقدمين في مصر إلى (برقوق) وتنازل عن إمرته وما يتبعها من إقطاع إلى والد برقوق، فقبل برقوق وشكره ورتب له ما يكفيه، فصار اسمه (أنس الجركسي) أمير مائة ومقدم ألف** بعد أن اسلم ومات عام ٧٨٤هـ قبل سلطنة ابنه بشهرين، ويصفه (ابن إياس) بأنه كان "جركسيا" مغلقا لا يعرف ولا كلمة عربية ***

**الفوج الرابع من المهجرين الشراكسة إلى الديار المصرية وبلاد الشام:-**

تكون هذا الفوج من الشراكسة من اقارب السلاطين الذين تم استقدامهم لمصر واطلق عليهم اسم الوافدين "طوعا" ويقول (ابن بردى) بأن الجيش المملوكي لم يقتصر في العصر المملوكي الثاني على جلب اسرى الحرب من الشراكسة فحسب، بل اعتمد كذلك على ما عكف عليه السلاطين الجراكسة من سياسة "استقدام أقاربهم" بأعداد كبيرة، ومن بين هؤلاء نسبة كبيرة من البالغين الذين لم يتلقوا تعليما حربيا شأن الذين جلبوا صغار السن من المماليك. وحصل اولئك الاقارب على

* أتابيك، معناه قائد الجيش في لغة عصر المماليك.
** أمير مائة ومقدم ألف هو لقب ورتبة في سلم نظام الإدارة في الدولة البرجية الشركسية.
*** لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع: يمكن الرجوع إلى تاريخ ابن اياس، بدائع الزهور ج١ وشذرات الذهب ج٧.

مناصب كبيرة، فأصبحوا أمراء وخاصة الذين قدموا إلى مصر من اقرباء سلاطين الشراكسة في دولتهم البرجية الثانية وعرفوا (بالوافدين) أو القادمين طوعاً بحكم صلة القرابة مع السلاطين الشراكسة *.

**الفوج الخامس من الشراكسة الذين نقلوا إلى مصر وبلاد الشام قسرا:**

توقف استقدام الشراكسة من الاسرى، والاطفال المخطوفين او سبايا الحروب من صغار السن او من اقرباء الملوك والسلاطين الشراكسة بأعداد كبيرة بعد انتهاء حكم الدولة البرجية الشركسية في عام ١٥١٧م.

إلا أن جلب "الاطفال الشراكسة" وبعض "البالغين" استمر على شكل افراد وضمن مجموعات صغيرة خاصة الاطفال المخطوفين من بلاد الشراكسة، وكان في مقدمة هؤلاء الاطفال المخطوفين الذين تم (جلبهم) في هذه المرحلة هو "علي بك الشركسي".

**وتتلخص قصة جلبه إلى الديار المصرية في الرواية التي وردت في المنجد – الطبعة ١٩، ودائرة المعارف الاسلامية الطبعة الانجليزية، بأنه ولد عام ١٧٢٨ بالقوقاز، وسماه ابوه (يوسف) وكان ابوه "قسيسا شركسيا" من منطقة الكوبان واسمه (داود)، ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره اختطفته عصابة، وباعته إلى احد التجار، واسمه "احمد"، فأحضره إلى مصر وباعه إلى "ابراهيم كتخدا" فأمر بختانه وسماه (عليا) وما ان وافى عام ١٧٥٠م حتى كان قد وصل إلى رتبة (كاشف) وفي نفس السنة عينه والي مصر أميرا للحج وقد تمكن (علي) أثناء رحلته إلى مكة من صد غارات البدو وقهرهم، فعرف بعد ذلك الحين بـــ (علي**

* لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتاب (التجربة الزاهرة) ج٥ ص٣٢٦ و ج٦، ص١٤٩، و ج٧، ص: ٩٣ للمؤرخ ابن تغري بردى.

**الجني) ورقاه إلى رتبة "بك" وعينه رئيسا لديوانه. ثم اصبح شيخا للبدو وهو الذي اعلن استقلال مصر عن الدولة العثمانية عام ١٧٦٩.**

**أما الطفل الشركسي الآخر الذي اختطف وهو في سن العاشرة من عمره هو "خير الدين باشا التونسي"** الذي ولد في القفقاس عام ١٨١٠ لأبوين شركسيين، وتم بيعه في الاستانة، ونُقل إلى قصر "الباي احمد" * في تونس الذي رباه تربية دينية عربية اسلامية، وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ودرس الفقه والتاريخ، واصبح فيما بعد حاكما لتونس.

وفي رواية اخرى حول قصة قدوم (التونسي) إلى تركيا ومن ثم إلى تونس والتي ورد ملخصها في مجلة "نارت" تحت عنوان من هو (خير الدين باشا التونسي الشركسي) وهي على النحو التالي:*

"خلال اجتياح القوات الروسية اقليم ابخازيا في القفقاس قتل الروس والده وشتت عائلته، وبقي وحيدا، وشاءت الاقدار ان انتهى الطفل اليتيم في سوق الرقيق باستنبول، وهناك ابتاعه نقيب "الأشراف" في استنبول ليكون رفيقا لطفله الوحيد، يفك وحشته ووحدته، ويكون انيسا وجليسا يلاعب ابنه الوحيد، وتمر الايام الجميلة ولكن الموت يختطف الابن الوحيد لنقيب "الاشراف" ويظل (خير الدين) وحيدا حزينا بوفاة رفيقه وأنيس غربته، وكان قدر هذا الطفل أن يصل إلى استنبول مبعوث "باي" تونس لتهنئة السلطان عبد الحميد بتوليه الحكم، وأن ينزل ضيفا عند صديقه نقيب "الأشراف" ويرى الضيف الطفل الوسيم اللماح "خير الدين"، فيسأل مضيفه عنه ويستمع الضيف إلى مأساته.

---

* باي، معناه الحاكم في لغة العثمانيين الاتراك.

* لمزيد من المعلومات حول قصة خير الدين باشا التونسي يمكن الرجوع لمجلة نارت عدد (٩) لسنة ١٩٧٤.

يعود الضيف إلى تونس، ويقدم نقيب الأشراف الطفل هدية إلى (الباي) ويتولى رعايته وتعليمه العربية وتلقينه العلوم الاسلامية كالتفسير والحديث والتاريخ ويحفظ القرآن عن ظهر قلب على أيدي مدرسين من الزيتونة. وتمر الأيام ويصبح "خير الدين باشا"، رجل دولة ومن الرموز الوطنية التونسية بمقاييس شعبية لا بمقاييس السلطة، وبعد أن تخرج من المدرسة الحربية في تونس، بدء عمله بسلاح النخبة الخيالة وواصل مسيرته العسكرية حتى رقي إلى رتبة "فريق" وهي أعلى رتبة في الجيش بعد (الباي) كما تولى مناصب وزارية منها وزير البحرية والحرب، والمالية، ورئاسة الوزراء ورئيس المجلس الكبير "البرلمان".

نستنتج مما تقدم بأن جلب الاطفال الشراكسة إلى مصر عامة وإلى غيرها من دول المشرق والمغرب العربي خاصة استمر على شكل افراد، وأن القصتين السابقتين ما هما إلا على سبيل المثال وليس الحصر، لأن الوقائع التاريخية تشير بأن استقدام اسرى حرب او اطفال مخطوفين استمر حتى خلال فترة حكم العثمانيين لمصر.

**الفوج السادس من الشراكسة الذين جلبوا إلى مصر وبلاد الشام وشمال افريقيا**

يتكون هذا الفوج من الشراكسة المُهجرين قسراً بعد انتهاء حرب الإبادة والدمار الروسية، يقول (راسم رشدي) بأن شراكسة آخرين ورد ذكرهم كثيرا في عهد "عرابي" وهم بقايا الشراكسة في عهد الخديوي اسماعيل، حيث استقدمهم بعد إستيلاء القياصرة الروس على بلاد الشراكسة منذ عام ١٨٦٤، وتم تهجير أعداد كبيرة منهم إلى تركيا فجلب (الخديوي اسماعيل) أعداداً منهم وأرسلهم إلى مدارسه، ثم بعثهم إلى أوروبا ورباهم أحسن تربية حتى صاروا ضباطا مدربين. فسكنوا مصر وانخرط بعضهم في صفوف الجيش واصبحوا من كبار قادة الجيش المصري في العهد (العلوي)، حيث تشير الوقائع التاريخية بأن عدداً كبيراً من قادة الجيش

المصري في ثورة "احمد عرابي" كانوا من ابناء الشراكسة الذين رباهم "محمد علي" وخلفاؤه ابتداء من الخديوي توفيق وحتى نهاية عهد الملك فاروق.

**حقائق حول الاساليب والطرق التي استخدمت في طرد وابعاد ونفي وتهجير الأمة الشركسية قبل وبعد احتلال روسيا القيصرية للوطن الام للشراكسة عام ١٨٦٤م.**

بالبحث في تاريخ تهجير الأمة الشركسية بعد استيلاء سلطات روسيا القيصرية على شمال القفقاس عامة وبلاد الأمة الشركسية خاصة توصلنا إلى الحقائق التالية:

**الحقيقة الاولى:**

بعثت السلطات الروسية القيصرية إلى بلاد الشراكسة (الأديغة) في منطقة الكوبان حوالي مائتي الف جندي بمجرد توقيع معاهدة (باريس) في عام ١٨٥٦، وهي المعاهدة التي نصت على اعتبار قضية تشركسيا هي "قضية روسية داخلية بحتة". بعد أن تنكرت كل من انجلترا وفرنسا لوعودهما لمنح (تشركسيا) حريتها واستقلالها، فقامت تلك القوات بإغراق بلاد الشركس في حمام من الدم.

**الحقيقة الثانية:**

وُضع الشراكسة امام خيارين لا ثالث لهما:

- **الخيار الاول:** السكن في الأراضي السهلية الموبوءة بالبعوض والاوبئة وغيرها من الآفات والامراض.
- **والخيار الثاني:** الهجرة إلى تركيا.

وكان اول من فكر بترحيل الشراكسة من وطنهم، وملء شمال القفقاس بمستوطنات قوزاقية وروسية هو رئيس أركان جيش القفقاس الجنرال "ميليوتين"، ففي تقرير له في عام ١٨٥٧ كتب قائلا: "سنرّحل الشراكسة إلى المكان الذي نرتأيه ومن الضروري ترحيلهم إلى منطقة نهر (الدون)، لأنه لا توجد أراضٍ فارغة في منطقة (ستافروبول)، ويجب اقامة مستوطنات روسية على السفوح الشمالية لجبال

القفقاس، هذه الخطة يجب اخفاؤها عن الشراكسة حتى يحين وقت تنفيذها"، ووافق "باریاتینسکي" على ذلك وأعلن أنه من الصعب إخضاع شراكسة ما وراء الكوبان بسبب انتشار مذهب "المريدية" بينهم وتعودهم على العيش بحرية، كما أن هذا الجزء من القفقاس هو حقل واسع للمؤامرات السياسية السرية للعملاء الاوروبيين الذين سيدفعون الشراكسة دائما للصراع مع روسيا، وفي الختام كتب "باریاتینسکي": "إن الطريقة الوحيدة للسيطرة على منطقة ما وراء الكوبان هي في حجب وسائل العيش عن السكان الشراكسة وانه ليس هناك سبب يدعونا لرحمة القبائل التي تعادينا بعناد وأن تتبع الحكومة سياسة أخذ أراضيهم منهم".*

وقد نوقشت مسألة استعمار أراضي "الأديغة" من قبل لجنة تسمى (بلجنة القفقاس) التي اعترفت بفائدة وضرورة مقترحات "باریاتنسکي"، إلا أنها اعلنت ان ترحيل الشراكسة إلى منطقة نهر (الدون) قد تسبب ثورة شاملة بينهم ضد الروس، وأن ارتباط الشراكسة بأرضهم عميق ومعروف، من هنا فلا داعي لذلك لأنهم قد يفضلون الموت على ترك ديارهم، وإن ترحيل أسرة واحدة قد يرغم الشراكسة على اللجوء إلى السلاح أجمعهم، وبالإضافة لذلك فقد يكون لهذه الخطة عواقب وخيمة وحدوث اضطرابات اجتماعية قد تحدث وربما ثورات بين المجتمعات التي اصبحت تحت سيطرتنا".

وفي عام ١٨٥٩ افاد السفير الروسي في (استانبول) "لوبانوف روستوفسكي" أن الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) "فؤاد باشا" ووزير الخارجية "علي باشا" أعلنا له عن وضع قيود على حرية هجرة مسلمي القفقاس إلى تركيا والتي زادت في الفترة الأخيرة واصبحت حملا ثقيلا على الباب العالي، وانهما

* علي قاسوم وحسن علي قاسوم، إبادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٠٤-١٠٥.

يريدان ان لا تتم أية هجرة دون علم مسبق من قبل الحكومة التركية وباتفاق بين الحكومتين.

كما استطاع (ميليونن) اقناع قائده (باریاتینسکي) عام (١٨٦٠) ضرورة بحث موضوع تهجير الشراكسة إلى تركيا مع الحكومة الروسية في (بطرسبورغ) وكتب إلى وزير الحرب يقول: "إن هذا الاجراء يخلصنا من اولئك المتعصبين والمعادين لنا ومن تأثيرهم على الباقين الذين خضعوا لنا وبذلك تنتهي الحرب بشكل اسرع".

كانت الحكومة الروسية تسعى إلى ترحيل (الأديغة) إلى تركيا حتى تمكن سرعة السيطرة العسكرية والسياسية لروسيا على القفقاس، وهذا الامر قدم للروس إمكانية حل مسألة الأرض باستعمار القفقاس الفارغ من السكان خاصة وأن الصناعة الروسية الناشئة في أواسط روسيا كانت بحاجة لأسواق لمنتجاتها في القفقاس ومصدراً للمواد الأولية من هناك لتفرد صناعتها الناشئة.

وللتغلب على المصاعب التي خلفتها الحكومة التركية امام تهجير الشراكسة، أرسل إلى (استانبول) اللواء "لوريس ميليكوف"، وتم الاتفاق على السماح بهجرة الشراكسة إلى تركيا بشكل إفرادي، كما حصلت الحكومة الروسية على وعد بإعادة اسكان الشراكسة بعيدا عن الحدود القفقاسية في المناطق الداخلية من الامبراطورية العثمانية، إذ كانت الحكومة الروسية تخاف من عودة المهجّرين الشراكسة إلى بلادهم، وهكذا اخذت حركة التهجير طابعا رسميا اعتبارا من عام ١٨٦١.



لوحة تمثل التهجير القسري للأمة الشركسية ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي

**الحقيقة الثالثة:**

بدأت أول عملية إبعاد رسمي لشراكسة ما وراء الكوبان إلى تركيا عام ١٨٦١ والعملية الثانية عام ١٨٦٢ وكان أول من دُفعوا لمغادرة وطنهم هم شراكسة القبردي (البسلني) الساكنين على طول نهر (خودز) حيث بدأت من بداية عام ١٨٦١ إقامة مستوطنات القوزاق فيها، واعتبر الروس شراكسة (البسلني) بأنهم أخطر قبائل "الاديغة" واكثرهم عداء للروس، ومن اكثرهم شجاعة في القتال، وقررت روسيا عدم إبقائهم في موطنهم وفُرض عليهم إما الانتقال إلى الاماكن التي حددتها لهم السلطة الروسية او الهجرة إلى تركيا * وبأسرع وقت ممكن، وفجأة أحاطت بهم القوات الروسية ونقلوا قسرا إلى منطقة الكوبان ثم أرسلت (٦٠٠) عائلة في قافلة واحدة وتحت الحراسة المشددة إلى تركيا، وتم اسكان الباقيين وهم (٢٠٠) عائلة في الاماكن المحددة لهم على الشاطيء الأيسر لنهر الكوبان *.

وفي عام ١٨٦٣ احتجت تركيا على التهجير الجماعي، وعادت المحادثات الدبلوماسية في شهر تشرين من نفس العام، واعلم رئيس الاركان العامة لجيش القفقاس الجنرال "كاراتسوف" السفير الروسي في (استانبول) "نوفيكوف" ان الكتلة الكبرى الرئيسية من الشراكسة احتشدت في مساحة ضيقة جدا على ساحل البحر الاسود بغية تهجيرهم إلى تركيا، واعلمه أنه يخاف من صعوبات قد تضعها الحكومة التركية امام طرد شعب بأكمله جماعيا، وخصوصا ان اكثر الشراكسة يريدون الذهاب إلى احدى نقطتين (استانبول) أو (طرابزون) ولا يعرفون غيرهما، ولا يريدون ان يعرفوا الموقف الدولي بسبب "الانتفاضة البولونية" وبسبب زيادة النشاط الاجنبي في (شركسيا)، مما سبب اضطرابا لدى الحكومة الروسية، وأن

* تؤكد بعض المصادر التاريخية بأن المرحلة الاولى من التهجير القسري والطرد الجماعي كان قد بدأ عام ١٨٥٦ وتم اسكانهم في منطقة البلقان.

* قاسوم، مصدر سابق، ص: ١٠٦.

الحكومة التركية لن تستقبل المُهجرين، حيث استخدم القنصل الانكليزي والقنصل الفرنسي في (طرابزون) كل الوسائل لشل وإعاقة عملية التهجير للشراكسة، إذ أظهرت المحادثات الروسية التركية في بداية عام ١٨٦٣ في (استانبول) ان الباب العالي كان يحاول تأجيل حل مسألة التهجير، واعلم "نوفيكوف" الجنرال "كاتسوف" أن الحكومة التركية لا تمتنع عن استقبال المهجرين القفقاسيين الراغبين بالهجرة الجماعية إلا انها لا تضمن إسكانهم فقط في (استانبول) و (طرابزون) بل ايضا في نقاط اخرى، بالإضافة لذلك طلبت الحكومة **التركية إبطاء الهجرة بسبب عدم الجاهزية لمثل هذا الاجراء الكبير والخطير وبسبب صعوبات مالية إلى ما بعد يوم** ١٨٦٤/٤/٢٠، وكان احد شروط تركيا ان يسمح للمهجرين بجلب مواشيهم وأدواتهم الزراعية بالإضافة إلى الأغراض الشخصية والضرورية.

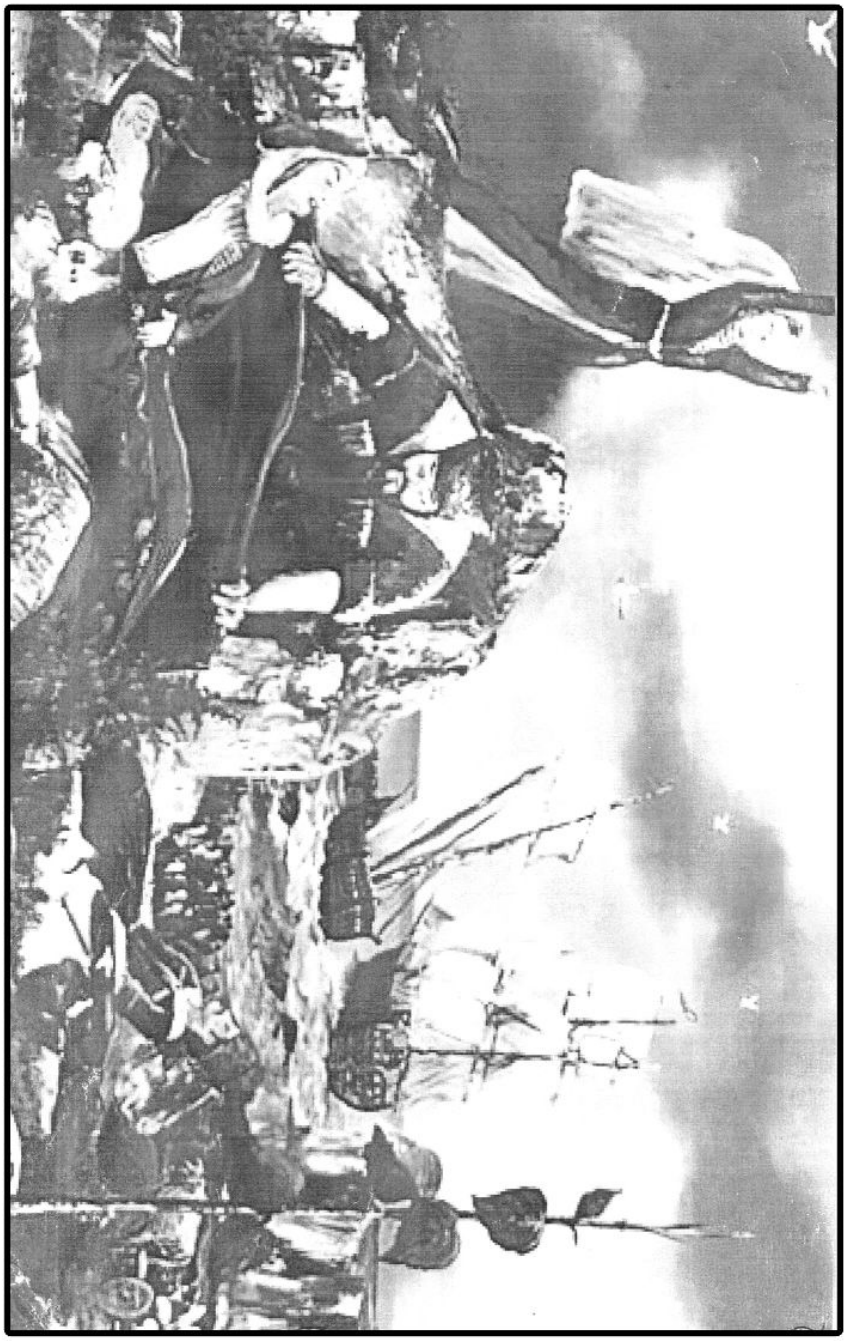
في نيسان ١٨٦٤ انتهت المحادثات التركية الروسية حول التهجير الجماعي للشراكسة، وسمحت الحكومة الروسية بتأخير (فقط) هجرة أولئك الذين لم يطردوا من مساكنهم بعد، ووعد الباب العالي بتأمين سفن نقل لنقل المهجرين إلى (فارنا) و (كيوستنجي) وكتب "نوفيكوف" يقول: "إن الحكومة العثمانية ستوزع المهجرين في مجموعات صغيرة وعلى المناطق الأكثر حاجة للحكومة لكي يكونوا حراسا للامبراطورية العثمانية في المستقبل".

**الحقيقة الرابعة:**

في نهاية عام ١٨٦٤انتهت عمليات تهجير وطرد القسم الاكبر من "الاديغة" في شمال غرب القفقاس إلى تركيا، وكتب القائد العام الروسي يقول: "**في هذا العام (١٨٦٤) تم إحقاق حقيقة لم تحصل في التاريخ من قبل وهي أن العدد الكبير من السكان الشراكسة الاغنياء والمسلحين والقادرين على القتال والذين كانوا يسكنون منطقة ما وراء الكوبان الواسعة ابتداء من منابع الكوبان إلى (أنابه) والسفوح السفلية لجبال القفقاس من خليج (سوجوق) إلى نهر (بريبه) والتي**

**كانت تملك أكثر المناطق وعورة، هذه المجموعة من السكان اختفت من هذه الأرض، وقد حصل لهم انقلاب جذري في حياتهم فلم يبق أي شركسي في مكان معيشته السابق وكل يحاول جهده تنظيف المنطقة لتحضيرها للسكان الروس الجدد، ومن الواضح ان ما قمنا به لم يكن نتيجة عمل سنة واحدة، إذ لم يكن من الممكن طرد وتهجير هؤلاء السكان غير المتعاونين مرة واحدة إذ كان يجب تحضيرهم نفسيا لذلك في وقت سابق".**

بالرغم من تهجير اكثر من مليونين حتى عام ١٨٦٤، قامت السلطات القيصرية الروسية بتهجير أفواج جديدة مكونة من (٥٠٠) عائلة شركسية من سكان منطقة (الترك) من القبرطاي والشيشان إلى تركيا، عن طريق البر وحسب الاتفاق بين الحكومتين كان من المفروض إسكان هؤلاء بالداخل في منطقتي (دياربكر) و (أرزينجان) وللتأكد من تطبيق هذه الاتفاقية قامت الحكومة الروسية بإرسال الضابط (زيليني) إلى مدينة قارس كمراقب لتجهيز وإعادة إسكان الشراكسة، وكتب في آب ١٨٦٥ إلى السفير الروسي في (استانبول) بأن مدير عمليات الاسكان التركي "نصرت باشا" يعارض اسكان المهجرين في الاماكن المحددة، وعلى العكس فإنه يريد إسكانهم قرب الحدود الروسية عند (موش) و (فان)، وقام السفير الروسي بإعلام وزير الخارجية التركي بهذا الأمر لاتخاذ الإجراءات المناسبة، وأجاب بأن "نصرت باشا" كان يتصرف بشكل شخصي، وأنه سيتم اعلامه بإسكان الشيشان قرب (دياربكر) و (ارزينجان) وأنه لن يبقى شيشاني واحد في منطقة (فان) إلا أنه إذا زاد عدد المهجرين فإنه سيضطر إلى اسكانهم في منطقة (موش) الأبعد قليلا عن الحدود الروسية [٩].



لوحة تمثل اسلوب نقل الشراكسة المهجرين قسراً إلى تركيا والبلقان بالبواخر والقوارب

**الحقيقة الخامسة:**

في الفترة ما بين عمليات التهجير الكبرى، والنفي الجماعي التي انتهت عام ١٨٦٥ وهي العمليات التي استهدفت طرد مالا يقل عن مليونين من الشراكسة، قامت الهيئات الروسية القيصرية بعمليات ترحيل جديدة، خاصة بعد أن حدثت اضطرابات سياسية في شمال القفقاس بسبب زيادة الحركات الشعبية الموجهة ضد السياسة الاستيطانية والاجتماعية الروسية، وحاول زعماء الشراكسة ورجال الدين والعملاء الاتراك استخدام هذه الحركة لإشعال الروح الوطنية الدينية. عندما قامت انتفاضات مضادة للاستعمار القيصري بين شراكسة منطقة الكوبان في الاعوام ١٨٧٢ – ١٨٧٣ – ١٨٧٤ فقام زعماء هذه الانتفاضات من كبار القوم ورجال الدين اعلام السلطات الروسية انهم **(يعتبرون أنفسهم من رعايا السلطان التركي)** ولا يرغبون بالخضوع للقوانين الروسية وتنفيذ اية طلبات للسلطات الروسية، فقامت السلطات الروسية بقمع هذه الانتفاضات ونزع السلاح الكامل من الشراكسة، ومنعهم من حمل الاسلحة النارية والسلاح الشخصي. كما بدأت عمليات الترحيل بالابعاد بالقوة إلى تركيا، شملت عشرات الالاف من الشراكسة من مختلف القبائل، كما فاوضت سلطات روسيا القيصرية بعض زعماء الشراكسة الواقعين تحت حكم الاستعمار القيصيري، وكان الهدف من هذه المفاوضات هو اقناع الشراكسة للموافقة على انشاء (دولة شركسية) في جنوب تركستان كما اشار الجنرال (موسى قوندوقوف) في مذكراته الشخصية بأن السلطات الروسية شعرت في الفترة ما قبل اندلاع حرب البلقان بثلاث سنوات على استخدام الدولة العثمانية للشراكسة المهجرين من البلقان وقامت هذه السلطات بإرسال الجنرال (فادل) إلى اسطنبول وقابل كلا من **(موسى قوندوقوف وغازي محمد) وعرض عليهم**

**المشروع التالي: انشاء دولة في تركستان على حدود افغانستان خاصة بالشراكسة وحدهم. يهجر إليها جميع الشراكسة الموجودين في الدولة العثمانية، على ان تتحمل روسيا جميع المصاريف اللازمة لهذه العملية بشرط أن تكون الدولة خاضعة لروسيا.**

لقد كان هدف الروس من هذا المخطط هو استغلال الشراكسة ضد الانجليز الذين كانوا يحتلون افغانستان وبنفس الوقت منع الدولة العثمانية من الاستفادة من الشراكسة في الحرب التي كانت روسيا تعد لها وهي (حرب البلقان).

**الحقيقة السادسة:**

في نيسان ١٨٧٧ بدأت حرب البلقان[١٠] التي انتهت بهزيمة الاتراك وانتصار الروس وحلفائها من دول البلقان، وتم تهجير الشراكسة القاطنين على الحدود الروسية الذين سبق نفيهم إليها في عام ١٨٦٤، حيث نصت اتفاقية (برلين) الموقعة بين (روسيا وتركيا) بإلزام السلطات التركية على ترحيل الشراكسة الذين بقوا على قيد الحياة بعد المعارك الدامية في حرب البلقان إلى مناطق تبعد ألف كيلو متر عن حدود روسيا ودول البلقان على الأقل.

وتشير الوثائق التي نشرها البرفسور "احمد جواد داربن" وهي الوثائق التي تم العثور عليها في ارشيف رئاسة الوزراء التركية الصادرة عام ١٨٧٩ الموافق ١٢٩٥هـ وتنص على ما يلي:

- ترحيل (١٥٠) الف مهاجر شركسي من البلقان إلى المناطق التالية (على اعتبار أن كل عائلة مكونة من خمسة افراد)

| | |
|---|---|
| إلى حلب | ١٠٠٠٠ عائلة |
| إلى دمشق | ٥٠٠٠ عائلة |
| إلى أضنة | ٥٠٠٠ عائلة |
| إلى قونية | ٢٠٠٠ عائلة |
| إلى كستاموني | ٢٠٠٠ عائلة |
| إلى سيواس | ١٠٠٠ عائلة ليتم تهجيرهم إلى صممصون فيما بعد |
| إلى قبرص | ٢٠٠٠ عائلة |
| إلى أنقرة | ١٠٠٠ عائلة |
| إلى الاسكندرون | ١٠٠٠ عائلة |
| إلى الجزائر | ١٠٠٠ عائلة |
| إلى صممصون | ٩٠٠ عائلة ليتم تهجيرهم إلى أماسيا فيما بعد |

وبذلك يكون مجموع المهجرين من البلقان حوالي (٣٠٠٠٠) عائلة تضم حوالي (١٥٠) الف شخص، واستعملت الدولة العثمانية كل أساليب القوة والتعذيب في عمليات الترحيل كما منعت الشراكسة من التوجه إلى اسطنبول ومرسين، ومع ذلك حاول بعض الشراكسة المقتدرين استئجار بواخر والرجوع إلى (سلانيك)، إلا أن الدولة العثمانية لم توافق على ذلك. [١٠] علما أن المهجرين إلى منطقة البلقان حتى عام ١٨٦٤ كان حوالي (سبعمائة) الف مُهجر تم إسكان حوالي (٥٠٠٠٠) أسرة منهم في بلغاريا بنصيحة من الحكومة الانجليزية للأتراك، وسبق أن كتب القنصل الروسي "نياغين" في (فارنا) قائلا: "إن الغرض من إسكان حوالي

(٥٠٠٠٠) أسرة في بلغاريا بناء على نصيحة من الحكومة الانجليزية للاتراك هو "إيقاف كل حركة سلافية تسعى للاستقلال، وكذلك إيجاد اغلبية مسلمة في القسم الاوروبي من الامبراطورية العثمانية وذلك لمواجهة أي طلب مستقبلي من القوى الاوروبية دفاعا عن مسيحيي تلك المنطقة" (١١).

هذا بالإضافة إلى المقالة التي نشرها نائب القيصر (يوتكيفيتش) بعنوان "المسألة الاسلامية في القفقاس" وصدرت المقالة في الصحف الروسية يوم ١٨٧٧/١١/٢٢، كتب في نهايتها" ان الهدف من هذه المقالة هو الدعوة إلى حوار مفتوح حول ضرورة نزع سلاح مسلمي القفقاس عامة والشراكة خاصة، وتهجيرهم إلى تركيا" وطلب تهجير القبرطاي والشيشان الموجودين قرب الطرق الرئيسية المؤدية إلى ما وراء القفقاس".

كما قال "لا يجب اعطاء حرية الهجرة لهؤلاء الشراكسة بل يجب دفعهم إليها بكل الوسائل، بما فيها استخدام القوة، كما طالب بتهجير (٢٠٠,٠٠٠) شركسي من هذه المنطقة (١٢).

**الحقيقة السابعة:**

وهي المرحلة الممتدة من ١٨٧٩ إلى عام ١٩١٢. وفي هذه المرحلة ازدادت عمليات الاضطهاد العرقي والديني والاقتصادي للشراكسة الذي نجوا من التهجيرات القسرية في مراحلها السابقة، وبقوا في الوطن الام، وكان من النتائج البارزة لمثل هذه الاضطهادات هو هروب اعداد كبيرة من الشراكسة من بلادهم وصل آخرهم إلى تركيا عام ١٩١٢ (١٣).



لوحة تمثل التهجير القسري الثاني للأمة الشركسية من منطقة البلقان ابتداء من عام ١٨٧٨م

**الحقيقة الثامنة:**

هروب أو رحيل الشراكسة الذين كانو يقطنون المناطق الشركسية التي احتلتها الجيوش الالمانية النازية خلال الحرب العالمية الثانية والتي انتهت عام ١٩٤٤/١٩٤٥ حيث رحلت أعداد من الشراكسة خاصة سكان منطقة القبردي مع الجيش الالماني المنسحب واعتبروا أسرى حرب واعتقلوا في معسكرات في ايطاليا، حيث قام شراكسة الاردن بالتوسط لدى سلطات الحلفاء للافراج عن هذه الفئة من الشراكسة، وترحيلهم إلى الاردن، حيث تم استضافة حوالي (٣٠٠) شخص منهم في الاردن ابتداء من عام ١٩٤٨، وعاشوا في الأردن حوالي عشر سنوات، ثم هاجروا إلى الولايات المتحدة الامريكية ابتداء من اواخر منتصف القرن العشرين الماضي، وهي الفئة التي كان يطلق عليهم خطأ (موسكوفله) أي أهل (موسكو) وهي تسمية كان تطلق على الشراكسة في المهجر عامة وفي تركيا خاصة، وأن التسمية ظلت تستخدم خطأ حتى منتصف القرن الماضي تقريبا.




الطرق التي سلكتها الأفواج الأولى من الأمة الشركسية المهجرين قسراً عن وطنهم الأم

# الفصل الثاني

## الوضع الديمغرافي (السكاني) للأمة الشركسية قبل وخلال وبعد التهجير القسري

**دراسات وتقارير حول اعداد الشراكسة الذين تعرضوا للتهجير ومعدلات الوفيات بينهم خلال الفترة (١٨٥٧ – ١٨٦٤) م.**

لا توجد إحصائية رسمية واحدة يمكن الاعتماد عليها تماما، حيث أن المصادر الروسية والانجليزية والفرنسية والعثمانية، اختلفت في احصائياتها للمهجرين ما بين (٢ مليون إلى سبعماية ألف مهاجر).

**وربما كان (اوبيسني ايروليتيمو)** الذي قام بدراسة حول اعداد المهجرين من الشراكسة إلى الدولة العثمانية هي اكثر الدراسات موضوعية حيث ذكر بأن عددهم حتى عام (١٨٦٤) وصل لسبعمائة الف، ووصل عددهم إلى مليون نسمة عام ١٨٦٦م [١٩].

**أما (بيانكوني)**، فقد ذكر ان عدد المهجرين الشراكسة إلى منطقة الروملي في (دول البلقان) وحدها وصل إلى ستمائة الف عام ١٨٧٦. [٢٠]

**وأشار (أ. ب. بيرج)** نقلا عن الأرشيف الروسي بأن عدد الشراكسة الذين (تركوا) بلادهم عن طريق البحر ما بين عامي ١٨٥٨–١٨٦٦ هو اربعمائة وثلاثة وتسعون الف مهجر. ولم يذكر شيئا عن عدد المهجرين عن طريق البر.

**وأما البروفسور (كمال كاربات)** الذي اطلع على ارشيف الدولة العثمانية، وجد بأن عدد المهجرين الشراكسة ما بين ١٨٥٩–١٨٧٩ يزيد عن (مليون واربعمائة الف) مهجر وأن عدد الذين وصلوا سالمين إلى أراضي الدولة العثمانية كان مليونا ومائة الف مهجر فقط. [٢١]

وهذا يعني أن أكثر من ثلاثمائة الف شركسي فقدوا في الطريق، والدليل على ذلك هو ما جاء في تقرير القنصل الروسي في طرابزون الذي رفعه إلى الجنرال "كاتراشيف" بخصوص المهاجرين الشراكسة قائلا:

"لقد وصل ميناء باطوم (٧٠) الف شركسي للذهاب إلى الدولة العثمانية ولكن مع الاسف يموت منهم يوميا مئات الاشخاص. وان المجموعة الاخيرة التي ارسلت إلى طرابزون مات منهم (١٩٠٠٠) شخص وان مجموع المتواجدين الآن في طرابزون من المهجرين يبلغ (٦٣٩٠٠) فقط ومعدل الوفيات اليومية بينهم ما بين (١٨٠-٢٥٠) شخص. وأما المهاجرون الذين وصلوا مدينة صمصون يبلغ عددهم حوالي مائة وعشرة آلاف، وأن معدل الوفيات اليومي بينهم حوالي (٢٠٠) وفاة، وان المهجرين في اسطنبول والبالغ عددهم (٤٦٥٠) مات منهم ما بين (٤٠-٦٠) شخص يوميا.

وأشارت الوثائق الروسية بأن عدد المهجرين لليوم العاشر من شهر تموز حتى عام ١٨٦٤ كان على النحو التالي:

| | |
|---|---|
| (٢٧٣٣٧) | من ميناء تامان |
| (١٦٤٥٣) | من ميناء آنابة |
| (٦١٩٥٥) | من ميناء تسمز (نووروسيسك) حاليا |
| (٦٣٤٤٩) | من ميناء توابسه |
| (٦٤٧٥٤) | من ميناء سوجي |
| (٢٠٧٣١) | من ميناء خوستي |

فيكون مجموع ما هجر حتى عام ١٨٦٤ ولغاية شهر تموز منه حوالي (٢٥٤٧١٩) شخصا عن طريق البحر حسب تقديرات الدولة الروسية.

هذا بالإضافة إلى عدد (٢١٣٥٠) الذين هاجروا عن طريق البحر ايضا مقابل دفع الأجرة للدولة العثمانية. كما ذكر الكاتب البلغاري "س. قوبشفيش" استنادا إلى الارشيف البلغاري، بأن عدد الشراكسة الذين استوطنوا في منطقة البلقان أو ساحل البحر الاسود الغربي (من بلغاريا ورومانيا) بلغ (١٧٥٠٠٠) مهاجر [٢٣].

وأما (علي وحسن قاسوم) فإنهما يشككان بالمصادر الرسمية الروسية التي تشير بأن عدد المهاجرين (الاديغة) من مناطق غرب القفقاس إلى تركيا في الفترة من عام ١٨٥٨ إلى عام ١٨٦٤ بلغ (٣٩٨٩٥٥) شخصا فقط، بينهم (٣٠) الفا من النوغاي، وأن عددهم في عام ١٨٦٤ وحده وصل إلى (٣٤٢٧٤٨) شخصا. وعلقا على هذه الأرقام بقولهما "الأرقام ليست دقيقة ولا تعكس الوضع الحقيقي، وان السلطات القيصرية تعترف بأن تحديد العدد الحقيقي للمهاجرين لم يكن ممكنا نظرا لتعرضهم للموت بسبب الاوبئة والمجاعة".

ويؤكد المؤرخ الشركسي (مخوص) بأن عدد الشراكسة الذين شملتهم عملية (النفي الكبير) زاد على المليون ونصف المليون، واستشهد منهم ما يزيد على نصف مليون خلال رحلات التهجير القاسية أو بسبب الامراض السارية أو اثناء الخدمة الاجبارية في الجيش العثماني [٢٥].

**اعداد المهجرين في المراحل اللاحقة لعملية التهجير القسري الكبرى في الفترة ما بين اعوام ١٨٨٤-١٩١٢**

**الحقيقة الأولى:**

تؤكد الوثائق الروسية بأن اغلب مواطني الاديغة الشراكسة المتبقين في منطقة الكوبان كانوا ضد الرحيل، حتى لو كانوا هم في أتعس حالات المعيشة والاضطهاد، وكتبوا إلى السلطات المحلية بأنهم لا يريدون مغادرة (وطنهم الغالي) وكانوا يوافقون حتى على العيش مع السكان الروس المستوطنين، وتستدل على ذلك مما كتبه سكان قرية (كونوكوفسكي) إلى السلطات الروسية قائلين: "إننا فقراء، وعائلاتنا كبيرة العدد، وإننا بالدموع نكتب لكم أن تهتموا بنا وبأولادنا مع الرحمة، فكان جواب السلطات الروسية: "إن إبقاء سكان هذه القرية معناه الاستجابة المماثلة لطلبات باقي القرى، وهذا ليس في مصلحة الحكومة الروسية". وبالتالي بدأ الترحيل

القسري من جديد بترحيل (٢٠١٦١) شركسي خلال الأعوام ما بين ١٨٨٤ – ١٨٩٥ إلى تركيا وعلى النحو التالي:

في عام ١٨٨٤ تم ترحيل ٣٥٩٨ شخصا

وفي عام ١٨٨٨ تم ترحيل ٣٤٢١ شخصا

وفي عام ١٨٩٠ تم ترحيل ٩١٥٣ شخصا

وفي عام ١٨٩٥ تم ترحيل ٣٩٩٩ شخصا [٢٥]

واستمر الترحيل في السنوات اللاحقة ولكن على مستوى عائلات متفرقة، وكانت السلطات القيصرية تبرر ترحيل (الاديغة) بادعائها بأنهم شعب غير مثقف* وأنهم لا يقبلون الترويس (أي يصبحوا روسا) [٢٦].

**أما شراكسة المنطقة الشرقية وهم القبرطاي من سكان منطقة نهر التيرك فإن حركة التهجير بينهم كانت على النحو التالي:**

**في عام ١٨٩٥ تم ترحيل (٢١٠٨) عائلة** عدد أفرادها (١٦٧٠٨) شخصا.

**في عام ١٨٨٩ تقدمت (١١٢) عائلة** بطلب الهجرة إلى تركيا نظرا لضيق احوالها وعدم امتلاكها لأية أراضي، حيث كان قد تم نزع ملكية ٦٠% من الأراضي ومصادرتها من اصحابها الاصليين في منطقة القبرطاي.

**وفي وخلال الاعوام ١٩٠٠-١٩٠٢** هاجر من منطقة (نالتشيك) إلى تركيا (٢٠٩١) شخصا من القبرطاي، إضافة إلى (٥١٠) شخصا من القبرطاي ايضا في وقت لاحق، كما حصل تهجير جماعي ثاني للقبرطاي في عام ١٩٠٤ حيث قامت الحكومة بتوزيع اراضيهم على الجنود المسرحين والمستوطنين الروس.

* تشير وثائق ارشيف رئاسة الوزراء التركية أن عدد المهجرين إلى بلغاريا ما بعد عملية التهجير الكبرى التي حدثت حتى عام ١٨٦٤ تشير بأنه تم اعادة تهجير حوالي خمسين الفاً آخرين حتى عام ١٨٧٨ وهم الذين شاركوا في حرب البلقان. [٢٧]

**وفي الفترة ما بين ١٩٠٥- ١٩١٠** خرجت دفعات جديدة من منطقة القبرطاي على شكل مجموعات صغيرة والتي وزعت فيما بعد إلى مجموعات أصغر أجبرت على السكن في تركيا وسوريا والأردن. وفي عام ١٩٠٤ هاجرت (٣٠٠) عائلة تحت قيادة "تاولستان انزوريقوة"، وسكنت منطقة الرقة في سوريا، وفي الايام الاولى مات منهم (١٥٠) شخصا نتيجة الملاريا، وبدأت المعارك مع السكان الاصليين وانتشر المرض مما اضطر بعضهم إلى العودة إلى وطنهم الأم.

**وفي عام ١٩١١ وأثناء عودة (جان يقوه باقوه) من الحج**، وهو احد سكان منطقة الترك في منطقة القبرطاي قابل والي الشام (غالب بك) وقال له: نحن عشرة آلاف شركسي نرغب بالهجرة إليكم ونطلب منكم تأمين مكان لنا، فوافق الوالي، وفي المرة الثانية قدم (جان يقوه مع ممبوت حناشة) مع وفد لبحث هذا الموضوع، وفي الطريق زار الوفد قرى مهاجرين شراكسة كانوا قد استقروا في سوريا وفلسطين واطلع على اوضاعهم، وكانت سيئة للغاية، ولما علم الوفد بأن مكان إقامة المهاجرين الجدد سيكون في مشارف "الكرك" في جنوب الأردن، عاد الوفد إلى بلاده في اغسطس عام ١٩١١ بحرا عن طريق اسطنبول ولم يهاجر أحد منهم [٣].

وفي منطقة "باندرما" أسكن المهاجرون في قرية تدعى "يني سيغيرجي" وكان عددهم (٣٠٠) عائلة ولم يتحملوا الحياة القاسية هناك، فعاد إلى الوطن منهم (١٥٠) عائلة.

**نستنتج مما تقدم بأن الهجرات الفردية التي حصلت بعد الهجرة الكبرى تظهر وكأنها كانت طوعية وعن رغبة ذاتية، وهذا غير صحيح في واقع الأمر لأن السبب الحقيقي هي الضغوط الاقتصادية والنفسية والاجتماعية التي مارستها السلطات القيصرية بالاستيلاء على اراضيهم، وفرض ضرائب كبيرة عليهم، واسكان القوزاق بينهم، إضافة إلى المعاملة السيئة التي كان يلقاها الشراكسة من**

**المستوطنين المستعمرين من الروس والقوزاق وهي المعاملات التي سبق أن وصفها (ابراموف) باللاإنسانية** [٢٨].

*** احصائيات تقديرية لتعداد سكان الشراكسة في الوطن الأم وفي بلاد المهجر في الشتات.**

ليس من السهل تقديم احصائيات دقيقة عن عدد الشراكسة في بلاد الشتات الذين هُجروا خارج الوطن الأم لأكثر من سبب نذكر منها:

**السبب الأول:** لم تسمح السلطات المختصة في الدول التي هاجر إليها الشراكسة (قديما وحديثا) والتي يقدر عددها بـــ (٤٥) دولة اجراء احصائيات حول اعداد الشركس في كل الدول عامة وفي تركيا خاصة.

**السبب الثاني:** حدوث هجرات وتنقلات من البلاد التي هاجر إليها الشراكسة قديما وبعد عمليات التهجير والنفي الجماعي خلال الفترة من عام ١٨٥٧-١٩١٢ إلى بلاد أخرى نذكر منها الهجرات التالية:

١- هجرة أعداد كبيرة من شراكسة تركيا إلى دول أوروبية عامة وإلى المانيا وهولندا خاصة.

٢- هجرة اعداد كبيرة من شراكسة سوريا بعد نزوحهم عن قراهم في الجولان بعد حرب عام ١٩٦٧ إلى كل من الولايات المتحدة الامريكية والأردن ودول الخليج العربي بهدف العمل.

٣- نزوح شراكسة فلسطين بعد حرب عام ١٩٤٨ إلى الأردن وسوريا والولايات المتحدة الأمريكية.

٤- هروب أعداد كبيرة جدا من شراكسة مصر إلى كل من ليبيا والسودان بعد مذبحة القلعة في القاهرة التي ارتكبتها قوات "محمد علي الكبير" عام ١٨١١م.

**ثالثا:** حدوث (انصهار) كامل للشراكسة الذين استوطنوا في كل من مصر، والسودان، وليبيا، والجزائر، وتونس والعراق، حيث إن الغالبية العظمى منهم لم يعودوا يعرفون بأن أصلهم شراكسة.

وأما بالنسبة لأعداد الشراكسة الذين نجوا من عمليات القتل والتهجير القسري الجماعي من الوطن الأم إلى خارجه فإن التعرف على أعدادهم في الوقت الحاضر أسهل وأن الاحصائيات متوفرة، إلا أنها ليست دقيقة لسبب رئيسي واحد ألا وهو انتقال اعداد كبيرة منهم للعيش في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقا بحكم العمل أو الدراسة، وصعوبة احصاء اعدادهم في تلك الجمهوريات، بالرغم من محاولة اعطاء ارقام عن الشراكسة المتواجدين في تلك الجمهوريات.

**بالرغم من الصعوبات السابقة الذكر فإن أكثر من مؤرخ وأكثر من دارس حاول تقديم بعد الاحصاءات عن تعداد الشراكسة في كل من الوطن الأم وفي الشتات ومن هذه الاحصاءات هي:**

**أولا:** الاحصائية التي قدمها معهد الدراسات التابعة للأكاديمية الروسية ونشرها (طميج) * في كتابه نشأة وتطور أدب الشتات، حيث بلغ تعدادهم حوالي (٤,٥٠٨٣٠٠) كما هو مبين في الجدول التالي:

* ن. ج. طميج، نشأة وتطور أدب الشراكسة في الشتات، نالتشك ٢٠٠٥، ص: ٣٨٨.

**احصائية تعداد سكان الشراكسة في الوطن الأم في بلاد الشتات الشركسي** *

| الرقم | الدولة | الاعداد التقديرية للشراكسة |
|---|---|---|
| ١ | تركيا | ٣,٠٠٠٠٠٠ |
| ٢ | روسيا | ٧٦٥٠٠٣ |
| ٣ | القبردي | ٤٩٨٩٠٠ |
| ٤ | الأديغي | ١٢٥٠٠٠ |
| ٥ | سوريا | ٧٥٠٠٠ |
| ٦ | الاردن | ٥٦٠٠٠ |
| ٧ | قرشي | ٥٣٢٤١ |
| ٨ | المانيا | ٢٠٥٦٠ |
| ٩ | أمريكا | ٦٠٠٠ |
| ١٠ | هولندا | ٥٦٠٠ |
| ١١ | ارمينيا | ٧٨٩٠ |
| ١٢ | فلسطين | ٣٠٢٤ |
| ١٣ | اوكرانيا | ٢٠٩٤ |
| ١٤ | كازخستان | ١٦٨٨ |
| ١٥ | اوزبكستان | ١٢٥٧ |
| ١٦ | داغستان | ٧٥٤ |
| ١٧ | جورجيا | ٧٥٤ |
| ١٨ | انجوش | ٧١٥ |
| ١٩ | كومي | ٦٣٧ |
| ٢٠ | اذربيجان | ٦٦٥ |
| ٢١ | استونيا | ٥٢٧ |
| ٢٢ | قالمق | ٥٢٧ |
| ٢٣ | بكوتي | ٥٧٥ |
| ٢٤ | طاجكستان | ٢٦٣ |
| | المجموع | ٤,٥٠٨٣٠٠ |

* احصائية تعداد الشراكسة في الوطن الأم وفي جمهوريات الاتحاد السوفيتي تعود لعام ١٩٨٩، اما احصائيات تعداد الشراكسة في بلاد الشتات والمهجر فتعود حسب تقديرات الشراكسة إلى عام ٢٠٠٢.

**ثانيا:** احصائية نشرتها جريدة (الاديغة ماق) الصادرة في مايكوب بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/١٦ حول تعداد الشراكسة في جمهوريات الوطن الأم وفي دول الشتات في بلاد المهجر، حيث تبين بأن عددهم حوالي ٤,٠٠٠,٠٠٠ نسمة * موزعين على النحو التالي:

**أ) عدد الشراكسة في الوطن الأم وفي جمهوريات روسيا الاتحادية.**

| | | |
|---|---|---|
| جمهورية القبرطاي – بلقر | ٥٢٠,٠٠٠ | |
| جمهورية الاديغي | ١٠٨,٠٠٠ | |
| جمهورية قرشاي – شركس | ٥٠,٠٠٠ | |
| مقاطعة منطقة كرسندار | ٢٩,٠٠٠ | يدخل في هذا العدد شراكسة مدينة كرسندار منطقة مدينة سوتشه ومنطقة مدينة أرمقير |
| جمهورية روسيا الفيدرالية | ٣٠,٠٠٠ | |
| المجموع | ٧١٠,٠٠٠ | |

ب– عدد الشراكسة في بلاد الشتات حسب معطيات الاحصائيات التقديرية المنشورة في المجلات والجرائد التي تصدر في دول المهجر:

| | | |
|---|---|---|
| ٣,٠٠٠,٠٠٠ | تركيا | |
| ٧١٠,٠٠٠ | روسيا | |
| ٨,٠٠٠ | سوريا | وهو تقدير خاطئ فالعدد حوالي ٣٠ ألف |
| ٦٠,٠٠٠ | الأردن | وهو تقدير خاطئ فالعدد حوالي ١١٠الاف |
| ٢٠,٠٠٠ | المانيا | |
| ٦,٠٠٠ | امريكا | |
| ٣,٠٠٠ | فلسطين | |
| ١٢,٠٠٠ | الدول المستقلة | أي الدول التي كانت تدخل ضمن الاتحاد السوفيتي سابقا |
| ١٠٩,٠٠٠ | باقي دول العالم | |
| ٤,٠٠٠,٠٠٠ | المجموع | |

**نستنتج من كل ما تقدم من دراسات واحصائيات بأن العدد التقديري للشراكسة في العالم يقدر على النحو التالي:**

* داوود أحمد لبزو، مجلة الاخاء، السنة (٢٩) العدد (١٢٩) اصدار شهر اذار ٢٠٠٤، ص:١٠.

**اولا:** عدد الشراكسة في الوطن الأم وفي روسيا الاتحادية والجمهوريات التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ حسب تقديرات الاحصاءات الحديثة عامي ٢٠٠٥-٢٠٠٦

| أ | **تعداد شراكسة جمهوريات الوطن الام في شمال القفقاس تحت الحكم الروسي** | |
|---|---|---|
| ١ | جمهورية كباردينا – بلقاريا | ٥٠٠٠٠٠ – ٥٥٠٠٠٠ |
| ٢ | جمهورية الاديغي | ١٢٥٠٠٠-١٣٠٠٠٠ |
| ٣ | جمهورية تشركسيا – قراشي | ٤٨٠٠٠- ٥٠٠٠٠ |
| ٤ | منطقة الشابسوغ | ٢٩٠٠٠ – ٣٠٠٠٠ |
| | المجموع | ٦٢٠٠٠٠ – ٧٦٠٠٠٠ |
| **ب** | **جمهوريات الاتحاد السوفيتي (سابقا) وروسيا الاتحادية حاليا** | |
| ١ | أرمينيا | ٧٥٠٠ – ٨٠٠٠ |
| ٢ | جورجيا | ٧٥٠ – ٨٥٠ |
| ٣ | اذربيجان | ٦٦٥ – ٧٠٠ |
| ٤ | طاكستان | ٣٦٣-٤٠٠ |
| ٥ | اوزبكستان | ١٢٥-١٣٠ |
| ٦ | كازخستان | ١٦٦٨-١٧٠٠ |
| ٧ | اوكرانيا | ٢٠٠٠-٢٥٠٠ |
| ٨ | داغستان | ١٢٥-١٣٠ |
| ٩ | انجوش | ٦٣٧-٦٥٠ |
| ١٠ | استونيا | ٥٢٨- ٥٥٠ |
| ١١ | قالمق | ٥٢٧ – ٥٥٠ |
| ١٢ | كومي | ٦٣٧ – ٦٥٠ |
| ١٣ | بكوتيا | ٥٧٥ – ٦٠٠ |
| | المجموع | ١٦٠٨٨ - ١٧٤١٠ |

**ثانيا:** عدد الشراكسة في الشتات بدول المهجر في العالم حسب آخر تقديرات احصائية متوفرة لدينا وهو على النحو التالي:

**(أ) الشراكسة في تركيا**

| | | |
|---|---|---|
| ١ | الشراكسة الذين هُجروا إلى تركيا خلال الفترة ١٨٦٤-١٩١٢ | ١,٢٥٠,٠٠٠ – ١,٥٠٠,٠٠٠ |
| ٢ | التقديرات الاحصائية باستخدام المعادلة العالمية لاحتساب نمو السكان في البلدان النامية وهو بمعدل (٣-٤) اضعاف كل مائة عام | ٣,٧٥٠,٠٠٠ – ٤,٥٠٠,٠٠٠ |

**(ب) عدد الشراكسة الذين يعيشون في الدول العربية، حسب نتائج وتقديرات احدث الدراسات في الوطن العربي كما هو مبين في الجدول التالي:**

**عدد الشراكسة الذين هُجروا (التعداد التقديري للشراكسة في الدول العربية)**

| | البلاد | عددهم عند التهجير | عددهم حالياً | |
|---|---|---|---|---|
| ١ | سوريا | ٢٥٠٠٠-٣٥٠٠٠ | ١٢٥٠٠٠-١٣٥٠٠٠ | حسب دراسة الدكتور عادل عبد السلام |
| ٢ | الأردن | ١٢٠٠٠-١٥٠٠٠ | ١٠٠٠٠٠-١١٠٠٠٠ | حسب دراسة الدكتور محمد خير مامسر |
| ٣ | فلسطين المحتلة | ٢٠٠٠-٣٠٠٠ | ٣٠٠٠-٣٥٠٠ | حسب احصائية الجمعية الشركسية |
| ٤ | العراق | ٥٠٠٠-٧٠٠٠ | ٣٠٠٠٠-٣٥٠٠٠ | حسب تقديرات الجمعية الشركسية في العراق |
| ٥ | ليبيا | ٦٠٠٠-٧٥٠٠ | ٣٠٠٠٠ فأكثر * | حسب تقديرات الجمعية العالمية |
| ٦ | السودان | ٢٠٠٠-٣٠٠٠ | غير معروف | |
| ٧ | الجزائر | ٥٠٠-٧٠٠ | غير معروف | |
| ٨ | تونس | (١٠٠٠) عائلة | غير معروف | |
| ٩ | الحجاز (جدة) | غير معروف | غير معروف | |
| ١٠ | اليمن | غير معروف | غير معروف | |
| ١١ | لبنان | ٢٠٠٠-٣٠٠٠ | عدد من العائلات | حسب دراسة الدكتور محمد خير مامسر |
| ١٢ | دول الخليج العربي | - | ٢٠٠٠-٣٠٠٠ | وهم أفراد عائلات الموظفين الذين يعملون في الخليج |
| ١٣ | مصر | ١٥٠٠٠ -٢٠٠٠٠ | ١٢٠٠٠٠-١٥٠٠٠٠ | حسب تقديرات الدكتور مامسر |
| ١٤ | قبرص | ١٠٠٠(٢٠٠) عائلة | غير معروف | - |
| | المجموع | ٦٥٥٠٠-٧٩٢٠ | ٤٣٠,٠٠٠-٥٠٦,٠٠٠ | |

(٢) عدد الشراكسة الذين يعيشون في دول البلقان (بلغاريا، ويوغسلافيا واليونان حسب احصائيات وتقديرات دراسات عديدة).

| | | |
|---|---|---|
| ١ | اعداد الشراكسة الذين هجروا إلى دول البلقان من عام ١٨٥٧م – ١٨٦٤م | ٦٠٠٠٠٠ – ٧٠٠٠٠٠ |
| ٢ | عدد الشراكسة الذين نجوا من اعادة تهجير شراكسة البلقان إلى تركيا والدول العربية عام ١٨٧٨ | ٤٠٠٠٠ – ٦٠٠٠٠ |

(٣) عدد الشراكسة الذين يعيشون في دول أوروبا حسب آخر تقديرات احصائية

| الرقم | الدولة | عدد الشراكسة في دولة | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| ١ | المانيا | ١٥٠٠٠-١٧٠٠٠ | وهم الذين هاجروا من تركيا بعد الحرب العالمية الثانية وخلال النصف الثاني من القرن الماضي |
| ٢ | هولندا | ٥٠٠-٧٠٠ | |
| ٣ | بلجيكا | ٣٠٠-٤٠٠ | |
| ٤ | فرنسا | ٣٠٠-٤٠٠ | |
| ٥ | انجلترا | غير معروف | يوجد في فرنسا بقايا عائلات هربت من روسيا بعد الثورة البلشفية كما يوجد فيها عدد من العائلات التي هاجرت إليها من شراكسة البلاد العربية في القرن الماضي |
| ٦ | كندا | غير معروف | |
| ٧ | استراليا | غير معروف | |
| ٨ | ايطاليا | غير معروف | يوجد في ايطاليا بقايا شعبي الباسك والاتروسك الذين هاجروا في مراحل ما قبل الميلاد |
| ٩ | بولندا | غير معروف | يوجد في بولندا بقايا اسر الامراء الخمسة الشراكسة و(٣٠٠) محارب شركسي سبق أن هربوا إلى بولندا من منطقة القبرطاي في القرن السادس عشر |
| ١٠ | قبرص | غير معروف | يوجد في قبرص بقايا (٢٠٠) أسرة استوطنت فيها عام ١٨٧٨ من الشراكسة الذين اعيد تهجيرهم من دول البلقان |
| | المجموع | ١٥٨٠٠-١٨٠٠٠ | |

(٤) عدد الشراكسة الذين يعيشون في دول امريكا وكندا واستراليا

| الرقم | الدولة | عدد الشراكسة تقديرا | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| ١ | الولايات المتحدة الامريكية | ٥٠٠٠-٨٠٠٠ | وهم الشراكسة الذين هاجروا من سوريا والأردن وتركيا والقفقاس ابتداء من منتصف القرن الماضي |
| ٢ | كندا | غير معروف | يوجد في كندا عدد من العائلات الشركسية الذين هاجروا من الأردن وسوريا |
| ٣ | استراليا | غير معروف | يوجد في استراليا عدد محدود من العائلات التي هاجرت من سوريا والأردن |

**خلاصة تعداد سكان الشراكسة في العالم حسب آخر التقديرات الاحصائية:**

**توصلنا من دراسة وتحليل الدراسات والاحصاءات المتوفرة حتى عام ٢٠٠٧ بأن اعداد الشراكسة في العالم على النحو التالي:**

| | الدول والجمهوريات | العدد التقديري |
|---|---|---|
| ١ | الشراكسة في الجمهوريات بالوطن في شمال القفقاس ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية | ٧٦٠٠٠٠-٦٢٠٠٠٠ |
| ٢ | الشراكسة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقا وروسيا الاتحادية | ١٧٤١٠-١٦٠٧٧ |
| ٣ | الشراكسة في الدول العربية | ٥٠٥٠٠٠-٤٢٨٠٠٠ |
| ٤ | الشراكسة في جمهورية تركيا | ٤,٥٠٠٠٠٠-٣,٧٥٠٠٠٠ |
| ٥ | الشراكسة في دول اوروبا والبلقان (سابقا) | ٦٠٠٠٠-٤٠٠٠٠ |
| ٦ | الشراكسة في دول امريكا وكندا واستراليا | ٨٠٠٠-٥٠٠٠ |
| | المجموع التقديري العام لسكان الشراكسة في العالم | ٥,٠٦٥٠٠٠-٤,٥٧٨٥٠٠٠ |

**(٧) احصائية بعدد الدول التي تواجدت وتتواجد فيها الأمة الشركسية في الوطن الأم وفي الشتات بدول المهجر في القارات الخمس.**

**بدراسة الدول التي تواجد فيها الشراكسة منذ القدم وحتى يومنا الحاضر توصلنا بأن عددها (٤٥) دولة موزعة على النحو التالي:**

| العدد | الدول والجمهوريات |
|---|---|
| (٤) | جمهوريات اتحادية في الوطن الام بشمال القفقاس ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية |
| (١٣) | جمهورية مستقلة وجمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية |
| (١) | الجمهورية التركية العلمانية، ويتواجد الشراكسة في ٦٠٠ مدينة وقرية وبلدة فيها. |
| (١٣) | دولة عربية في المشرق والمغرب العربي |
| (١١) | دولة أوروبية، ودول البلقان (سابقا) |
| (٣) | في شمال امريكا وكندا واستراليا |

# الفصل الثالث

## جرائم عمليات تهجير
## الأمة الشركسية

**تمهيد:**

**اتخذت السلطات القيصرية الروسية في السنوات الأخيرة من حرب الابادة والدمار الروسية العديد من الاجراءات العسكرية والادارية والاقتصادية والاجتماعية ضد من بقي حيا من الشراكسة في الوطن الام.**

**ووضعت خطوات عملية لتنفيذ تلك الاجراءات، حيث تشير الوثائق الروسية بأن اجراءات تعسفية، وأعمالاً لا انسانية، قد اتخذت من أجل تسريع عمليات التهجير والطرد والنفي والترحيل الجماعي، وأن أكثر تلك الإجراءات والأعمال التي تم تنفيذها وأقوال المؤرخين ورجال السياسة من الروس ومن الاوروبيين كانت على النحو التالي:**

١- طرد الشراكسة الذين احتلت مناطقهم ومنازلهم تاركين وراءهم قطعانهم ومحاصيلهم الزراعية، حتى البيادر لم يجر جمعها، وتم توطين القوزاق [٥٠].

٢- بث اشاعات وأقاويل بأن كل شركسي لا يهاجر سيعامل معاملة أسرى حرب وسيستخدمون في اعمال السخرة لشق الطرق وفي اعمال شاقة أخرى [٥١].

٣- انتزاع الأراضي الزراعية والمراعي وغيرها من الأراضي المملوكة للشراكسة في وطنهم الام تحت ذريعة بناء القلاع والحصون، والجسور والطرق حيث تم الاستيلاء على اكثر من ٨٠% من مجموع الأراضي الخاصة بالشراكسة في (الاديغة) في الوطن الام وذلك تطبيقا للقرار السياسي القيصري الذي اتخذ في عهد القيصر بطرس الاكبر وهو قرار احتلال القفقاس (ارضا بلا شعب) وهي حقيقة أكدها المؤرخ الروسي الشهير "فادييف" بقوله كانت روسيا بحاجة لأرض الشراكسة دون الشراكسة انفسهم. [٥٢]

٤- التهديد بارتكاب جرائم حرب في حق من بقي حيا بعد قتل واستشهاد أكثر من مليون خلال الحروب ضد روسيا القيصرية، وتتضح هذه السياسة من قول:

(بيرجيه) المؤرخ الرسمي للهجرة بأن "طرد (الجبليين) كان ناتجا عن (الزعرنة) الدائمة ولم يكن من الممكن تهدئتهم لو لم تقوم السلطات الروسية بـــ "قتلهم عن آخرهم" او تهجيرهم من الجبال إلى الأماكن المنبسطة، أو تهجيرهم إلى تركيا. (٥٣)

٥- جعل حياة الشراكسة الذين استسلموا، وقبلوا بالرحيل إلى الاماكن التي حددتها السلطات القيصرية حياة لا تطاق، حيث يقول الجنرال "يفدوكيموف" الذي كان المنفذ الرئيسي للخطة الرسمية بترحيل سكان شمال غرب القفقاس "بأنه لم يهتم كثيرا (بالاديغة) الذين رضوا بالرحيل إلى داخل روسيا. وكانت قناعته الشخصية أن افضل نتائج للحرب طويلة الامد التي كانت غالية الثمن على روسيا هي: (طرد كل الشراكسة إلى ما وراء البحر) ولذلك عمل كل ما يستطيع لتقليل عددهم وتصعيب ظروف معيشتهم (٥٤).

٦- خلق عداوة وكراهية عرقية بين الشراكسة الناجين من القتل في حرب الابادة والدمار الروسية، وبين القوزاق وعبر (أبراموف) عن هذه الكراهية بقوله: "تظهر هذه الكراهية في الشعور والنظرة، وفي آلاف الاصطدامات بينهما، وفيما يتعلق بالقوزاق فلا ينظرون إلى السكان الاصليين من الشراكسة بشرا، وإنما هم مخلوقات محنطة لا ضرورة لإيلائهم أية أهمية، وفي الوقت نفسه فإن السكان الاصليين "الشراكسة" يرون في القوزاقي **كلبا غير أمين**. وإن حوادث العنف والاصطدامات بين القوزاق والسكان الأصليين من الشراكسة كانت أكثر الأشياء إيلاما. وعندما يلتقي القوزاقي مجموعة من السكان الأصليين في منطقة ما، او تلتقي مجموعة من القوزاق احد السكان الاصليين، فقلما يمر مثل هذا اللقاء دون اصطدام بدءا بالضرب وانتهاءً بالقتل.

ولقد كثر القتل بحيث تعود الجميع عليه، ولم يعد يثير الدهشة. ويستطرد قائلا: والحقيقة تضطرني أن أقول أن القوزاق الذين لهم حقوق خاصة (مميزة) يحصلون على دعم السلطة المحلية وأنهم نصبوا رؤساء وسادة على السكان الاصليين جميعا، ويستخدمون القوة ظلما وعدوانا اكثر بكثير من الجبليين ضد الجبليين*، ويظهرون الوقاحة التي لا تحتمل نحوهم. ومن الطبيعي ان يثير هذا الأمر الجبليين، وهم الذين يثأرون لأنفسهم من القوزاق في الفرص المناسبة. وعدا الاصطدامات الصغيرة التي تحدث يوميا وفي كل مكان، فقد حدثت سلسلة من الاصطدامات الكبيرة في صيف عام ١٨٨٣ بين هاتين المجموعتين من السكان، هذه الاصطدامات التي سعرتها الكراهية المتبادلة. وإنني أقف عند بعض هذه الحقائق المؤلمة لإظهار العلاقات المتكونة بين القوزاق والشراكسة. (٥٦)

٧- نزع سلاح الشراكسة الذين احتلت اراضيهم في الحرب، وتتضح هذه السياسة من المقالة التي نشرها نائب القيصر في القفقاس (بوتكيفيتش) في ١٨٧٧/١١/٢٢ تحت عنوان (المسألة الاسلامية في القفقاس)، وكتب في نهايتها ما يلي: "الهدف من هذه المقالة هو الدعوة إلى حوار مفتوح حول ضرورة نزع سلاح مسلمي القفقاس وتهجيرهم إلى تركيا.(٥٦)

٨- السعي لإلغاء الوجود الاسلامي في القفقاس والقضية العرقية، ويتضح ذلك من (المقالة السابقة) التي نشرها نائب القيصر رفعها لأن مسألة نزع سلاح (مسلمي القفقاس) هي مسألة حكومية ويجب حلها على اوسع نطاق، واعتبر أن هذه المسألة تم حلها في منطقة الكوبان، ويدعو إلى إجراء أكثر فعالية

* المقصود بمصطلح الجبليين هم السكان الاصليين في القوقاز من الشراكسة .

وهو إلغاء مسألة الوجود الاسلامي في القفقاس بتهجير المسلمين على اوسع نطاق إلى تركيا". [٥٧]

٩- محاولة القضاء على المسألة القومية في القفقاس، ويتضح ذلك من الدراسة التي قدمها نائب القيصر المدعو (بوتكيفيتش) وملخصها هو ضرورة عدم ترك الشراكسة يعيشون معا في منطقة واحدة وأنه يجب إسكان قوميات أخرى معهم، وهذا ما تم فعلا، حيث تم إسكان البلقار والروس مع القبردي، والقراشي والروس وقوميات أخرى مع شراكسة البسلني في منطقة تشركسيا، كما تم إسكان روس وقوميات أخرى عديدة في منطقة (الأديغية)، وتركوا قبائل الشابسوغ أقلية في منطقة فيها أكثر من ٩٥% من الروس والقوميات الاخرى وهي السياسة التي نفذها الشيوعيون فيما بعد.

١٠- محاولة (ترويس) أي تحويل الشراكسة إلى (روس) بالقضاء على تراثهم وقوميتهم ولغتهم، ويتضح ذلك من إيعاز الحكومة الروسية إلى نائبها في القفقاس بتوجيه خطي" أن يجعل من شمال القفقاس "منطقة روسية بحتة"، واستنادا إلى هذا الامر قامت السلطات الروسية المحلية بكل المحاولات لترويس السكان المحليين الباقين، ومن الامثلة على ذلك ما قام به رئيس قوزاق منطقة (لابينسكي) العقيد "سافيتسكي" في تقرير له بتاريخ ١٨٨٩/٤/٥ موجه إلى رئيس منطقة الكوبان "بأنه سيقوم بكل جهده بترويس الجبليين عامة والشراكسة بالدرجة الأولى [٥٨].

١١- استخدام الضغط الاقتصادي والسياسي والديني والاجتماعي، كتب حاكم القفقاس يقول: "منذ عام ١٨٩٣ بدأنا نلاحظ ان لدى المسلمين الرغبة في ترك وطنهم والهجرة إلى تركيا المسلمة، وقد زادت هذه الحركة مع الوقت بحيث أحاطت بكل مناطق القفقاس، وذلك لأسباب اقتصادية أولا ثم لأسباب سياسية

ودينية". لقد كان الضغط الاقتصادي والسياسي والديني الروسي على السكان كبيرا جدا ومن أهم الضغوط كانت حركة الاستيطان الروسية.

١٢- اللجوء لاستخدام القوة لحمل الشراكسة على الهجرة، ويتضح ذلك من مطالبة العسكريين والقادة الروس ضرورة تهجير القبرطاي والشيشان الموجودين قرب الطرق الرئيسية المؤدية إلى ما وراء القفقاس، والذين يملكون أغنى الأراضي، واعتبر أنه لا يجب فقط إعطاء حرية الهجرة لهؤلاء بل دفعهم إليها بكل الوسائل حتى القوة، ويجب تهجير على الأقل (٢٠٠,٠٠٠) شخص من هذه المنطقة وثلاثين ألفا من الداغستان، وبالإجمال يجب السعي إلى تهجير (٨٥٠٠٠٠) مسلم.

وهكذا أصبحت المسألة التي أثارها أحد كبار المستعمرين الروس الشغل الشاغل للحكومة الروسية، واعترفت الحكومة الروسية أن الوضعية العسكرية لمسلمي القفقاس أصبحت العائق الأكبر أمام استتباب السلام في هذه المنطقة، لذلك أصبح موضوع طردهم بالقوة بعد نزع سلاحهم الأمر الأهم في السياسة الروسية.

١٣- بث الإشاعات بأن الشراكسة الذين لا يهاجرون، سيرحلون بالقوة إلى داخل روسيا وتوطينهم في المناطق الموبوءة بالأمراض.

١٤- استغلال ظاهرة انتشار وباء (الكوليرا) في منطقة نهر (تيرك) بأنها عقاب إلهي للشراكسة، لقبولهم العيش بين الكفار، وعدم الهجرة إلى تركيا بلاد المسلمين.

١٥- السماح لعملاء وجواسيس السلطات التركية العثمانية بث الدعايات الدينية التي صورت أرض الخلافة الاسلامية في تركيا بأنها الجنة المنتظرة في الدنيا، كما ساعدت السلطات التركية على تسهيل توزيع المنشورات الدينية، وسمحت للشيوخ ورجال الدين بث الدعايات المحرضة للهجرة، حيث أكد

"م. ج. جارول" بأن رجال الدين الاتراك كانوا يبثون بعض الافكار الدينية التي تحرض الشراكسة المسلمين على الهجرة نذكر منها:

- لا يمكن العيش والبقاء في بلد كافر وتحت إدارة الكفرة، لذا وجبت الحرب او الموت أو الهجرة إلى البلاد الإسلامية.
- الهجرة قدرنا ومكتوبة لنا فلا مناص إلا إطاعة أمر الخالق.
- الهجرة موجودة في الإسلام، فلقد هاجر أتباع محمد (ص) إلى الحبشة كما هاجر محمد (ص) إلى المدينة.
- سنذهب إلى البلاد الإسلامية فقط، ومن ثم نستعد ونعود لتحرير الوطن.
- من يموت في غير الديار الإسلامية يذهب إلى جهنم ومن يريد الجنة يجب أن يموت في ديار الخلافة الإسلامية.
- ما أوله بلاد الشام آخره بلاد الشام. (٦٠)

هذا بالإضافة إلى إجراء اتفاق سري بين وزراء الخارجية الروسية والانجليزية والفرنسية وبين السلطات التركية بعد معاهدة باريس في عام ١٨٥٦، نصت على السماح للسلطات التركية في اسطانبول بإصدار قانون التهجير لتنظيم شؤون تهجير الشراكسة. ولأنها لا تملك القوة العسكرية لإجبار الشراكسة، اضطرت إلى استعمال الطرق الملتوية والحيلة فاتفقت بشكل سري مع قيصر روسيا حول هذا الموضوع. كما أن قانون التهجير الجديد الذي صدر يوم ٩ اذار/ ١٨٥٧ احتوى على مواد جذابة بحيث لا يشعر المهجرون القوقازيون بأنهم مظلومون أو يراد بهم السوء، ومن هذه المواد هي:

١- ان كل شخص سيهاجر إلى الأراضي العثمانية يحصل على ضمانات كافية من السلطان للحفاظ على حقوقه وحريته وماله وروحه.

٢- توزع أراضي على المهاجرين معفاة من جميع أنواع الضريبة.

٣- كل من يسكن منطقة تركيا من المهاجرين يعفى من التجنيد مدة ست سنوات، ومن يسكن منطقة الاناضول يعفى لمدة اثني عشر عاما.

ولتطبيق هذا القانون أنشأت الدولة العثمانية عام ١٨٦٠ (المؤسسة العامة لإدارة المهاجرين) ومنحت هذه المؤسسة صلاحيات واسعة لتتمكن من تسيير أمور الاسكان والتهجير، وما تبع ذلك من أمور سياسية واقتصادية، ومن هنا يتضح ان الدولة العثمانية كانت قد خططت وبرمجت لعملية تهجير الشراكسة قبل البدء الفعلي بمدة طويلة [٦٠].

تلك هي الأساليب والأعمال والإجراءات غير الإنسانية التي عهدت لتهجير الأمة الشركسية ونفيهم وترحيلهم إلى خارج وطنهم الام.

**وأما بالنسبة للجرائم التي رافقت عمليات التهجير القسري والترحيل بالقوة، فهذا يتطلب التعرف على انواع الجرائم البشعة التي ارتكبت في حق أكثر من (٤) مليون شركسي (قبل وخلال وبعد) تهجيرهم إلى تركيا كان لا بد من الاستماع إلى شهادات، وشهود عيان من مسؤولين روس واتراك، وباحثين وكتّاب ومؤرخين، بالاضافة إلى شهادات دبلوماسيين روس وانجليز وفرنسيين واكبوا عمليات التهجير أو شاهدوها.**

واخترنا منها الشهادات التالية:

**الشهادة الاولى: شهادة الكاتب الروسي (ابراموف)[٢٩] الذي رأى بأم عينية عملية ترحيل القبرطاي عند محطة (ميني فودا) بقوله:**

"كان القطار يتوقف لمدة ثلاثين دقيقة عند محطة (مينيرالنيا فادا) وبدأت الفوضى: أحدهم يسرع لإنزال متاعه، وآخرون يهرعون للهبوط، متدافعين يصرخون ويتشاتمون، وبينما كنت أحدق في الحشد المتشابك، لفت نظري صدفة مجموعة من الأشخاص لا تشارك في هذه الفوضى العارمة، مع انه وحكما بوجود المتاع حولهم، كان عليهم الركوب في هذا القطار. كان هؤلاء من القبرطاي

(الشراكسة) يشكلون مجموعة من الشيوخ والنساء والاطفال والرجال، وكان الاطفال مميزين إلى حد ما، أما الرجال فقد كانوا في زيهم الوطني الشركسي ممتشقين اسلحتهم، ولكن اكثر ما لفت نظري شيوخهم حيث كان عددهم أكثر من العشرة بقليل، وكانت هيئتهم تعطيهم فعلا حق الاعتبار رمزا لقبائلهم، طوال القامة ممشوقو القوام، بغض النظر عن اعمارهم، مرتدين الزي الشركسي الجميل بتلك اللحى البيضاء الكثة الوقورة، والوجوه الذكية المعبرة. لقد كانوا فعلا مثار الإعجاب والاحترام والتوقير، وجوههم تشع عافية وتنبئ أنهم عارفون قيمتهم المميزة، ومن الواضح أن هؤلاء الناس قادرون على فرض احترامهم على الآخرين، وفي الوقت نفسه يقدرون في الآخرين هذه الاعتبارات. وفي هذا الحشد الحاوي على غالبية من الشباب، كانوا قادة تاريخيين حقيقيين، ورموزا واقعية لذلك الزمان الذي كان "القبرطاي" فيه يؤمنون بمفاهيمهم الذاتية وأعرافهم الخاصة عما هو حقيقي وعما هو زائف.

لقد ثبت حشد "القبرطاي" في مكانه بلا أدنى حركة وكأنهم من الحجارة، كانت وجوههم العابسة، وعيونهم المشعة، والشفاه المنطبقة بكل قسوة، تنبئ بوضوح أن مأساة مشتركة تثقل هذا الحشد، ولكنه ظل متماسكا دون أن يظهر ألمه الكامن أمام أعين "الكفار" والروس.

لقد أثار هؤلاء الناس اهتمامي إلى درجة كبيرة ووقفت غير بعيد عنهم أراقب ما سيكون. بعد دقائق وصل مفتش القطار إلى قرب الحشد وصاح: هيا أيها (التتار). عليكم أن تأخذوا اماكنكم في تلك العربة. بعد ذلك الهتاف حصل شيء ليس بإمكاني أن أعبر عنه" فالنسوة والأطفال بدؤوا بالعويل متلاحمين، بينما ساد بين الرجال البالغين نوع من البكاء الصامت، أما الشيوخ فقد انكبوا على الأرض يلثمونها راوين إياها بالدمع الجليل"، واستمر هذا المشهد المروع لعدة دقائق تحرك

بعدها الحشد نحو عربة القطار المشار إليها واختفى داخلها، ومن هناك بدأ يسمع صوت نحيب حزين بالكاد حاولوا كبته.

لقد خلق هذا المشهد الذي لم يكن مفهوما بالنسبة إلي في حينها مشاعر وانطباعات خاصة عميقة للغاية، ومع أني لم أكن أدرك معنى ما جرى فقد تأثرت حتى ترقرت "عيناي بالدموع" من هذا الأسى الفظيع الذي أبداه هذا الحشد من الناس، ورحت التفت حولي مشدوها لعلي أعثر على من يشرح لي ما جرى للتو.

**وقد لاحظ فلاح روسي وقف غير بعيد عني تساؤلي فتمتم قائلا: (... يرحلونهم إلى تركيا، هذا يعني انهم يسافرون مودعين وطنهم الأم، إن هذا محزن بغض النظر لمن يحدث.. وحينها فقط أصبح الأمر جليا).** [٢٩]

**الشهادة الثانية: للكاتبة الشركسية (ماميخغ)** نقلا عن شهود عيان شاهدوا عمليات الترحيل من موانئ البحر الأسود الذين قالوا بأن أسطول النقل لم يكن مجهزا، لترحيل مليون إنسان تقريبا، فإن أعدادا كبيرة من الشراكسة (الجبليين) كانوا يضطرون للانتظار نصف عام او عام احيانا وربما اكثر في العراء وبالقرب من شاطئ البحر وتحت سقف السماء فقط ودون ان تتوفر لهم ابسط متطلبات الحياة كما قالوا بأن الوصف ليعجز عن تصوير المعاناة التي قاساها (الجبليون) في تلك الفترة، حيث كان يموت الالاف جوعا صيفا ومن شدة البرد شتاء، حيث (تشبع شمال شرق ساحل البحر الأسود بالجثث التي ألقيناها فيها).

كما تضيف (مامخيغ) قائلة "شاهد روسي آخر شاهد "جثة أم لا يزال رضيعها يحاول الرضاعة من ثدي امه الميتة". كما شاهد ثالث "أما تحتضن جثتي طفليها، وترفض التخلي عنهما لدفنها"، وأما الشاهد الرابع فيقول بأن رأي مجموعة من الشراكسة الذين كانوا ينتظرون دورهم في الترحيل "التحموا وتراصوا... أملا في الحصول على الدفء .. وتجمدوا وهم على تلك الحالة [٣٠].

**الشهادة الثالثة: وهي شهادة (بيرجيه) المؤرخ الروسي الرسمي لأحداث عمليات التهجير الكبرى للأمة الشركسية في عام ١٨٦٤ ... حيث يقول:**

"إنني لن أنسى في حياتي الانطباع المرعب الذي تركه لدي المهاجرين في خليج (نوفورسيسك)، حيث كان على الشاطئ حوالي (١٧٠٠٠) شخص، كان وضعهم لا يطاق بسبب البرد والمطر وغياب وسائل المعيشة وتفشي مرضي التيفوس والحصبة بينهم، وفي الحقيقة كنت أسأل نفسي من منا لا يقطر قلبه دما عندما يرى مثلا شابة شركسية مستلقية على الأرض بقميص صيفي وتحت السماء المكشوفة ومعها رضيعين، كان أحدهما يرتجف وهو يصارع الموت وفي لحظات حياته الاخيرة، والثاني كان يبحث عن طريقه لإيقاف جوعه وهو يحاول الرضاعة من جثة أمه، مثل هذه المناظر لم تكن قليلة".[٣١]

**الشهادة الرابعة: وهي شهادة مؤلف كتاب "دوي الرعد" للكاتب الكبير ميخائيل لاخفينتسكي الذي قدم شهادته للتاريخ حول موت القفقاسيين عامة والشراكسة خاصة قبل رحيلهم إلى تركيا وبعد طردهم من بيوتهم واراضيهم بقوله:**

"عندما قررنا الرجوع لاحظت ان كل الجبليين كانوا مستلقين ووجوههم إلى الشمس، أي الى الشرق، إذن فهم لم يموتوا من مرض وإنما استلقوا قاصدين الشرق قبل موتهم".

مشى زاكورديف عبر الساحة، مارا فوق الجثث كما يمر فوق جذوع الاشجار وأشار لي بيده فاتجهت إليه محاولا تجاوز الجثث وعدم المرور فوقها، ورأيت إحدى الجثث التي لم أستطع أن أميز عمرها، حيث غطى وجهها قلبق قفقاسي، ووقف أمامها حصان دون سرج وقد أخفض رأسه، ولاحظت أن الحصان كان هزيلا جدا، حيث ظهرت عظام ظهره، وغار بطنه، وفهمت أنه يقف بصعوبة وقد قرر الموت إلى جانب صاحبه، مررت قرب الجثة ووقفت بجانب الحصان ومسحت بيدي على جبينه الندى، فسرت رجفة في جسده وسقطت دمعتان كبيرتان

من عينيه فوق قلبق صاحبه المسجى عند قوائمه، فابتعدت بسرعة ولحقت بزاكور دايف الذي كان واقفا في وسط المكان وعند قدميه رأيت أربعة اشخاص مسجين: شيخاً ذا لحية بيضاء وعلى رأسه قلبق، وأمرأة عجوز وجهها مغطى بمنديل صوفي، ظهر من تحته شعر رمادي طويل، وصبياً متقوقعاً على نفسه حتى أن ركبته قد وصلت إلى ذقنه، وامرأة شابة بثوب ذي صدر مفتوح ظهر منه صدرها الناصع المغطى بالندى، وكانت شفتاها المغلقتان بقوة قد ارتختا قليلا عند الجوانب فبدت وكأنها في شبه ابتسامة، ويدها ملقاة إلى جانبها وبين أصابعها قميص طفل صغير، بحثت عن الطفل بعيني ولكني لم أره، أمعنت النظر إلى العجوز وكدت أصرخ رعبا كالطفل حيث كان العجوز يشبه بشكل كبير صاحب "جوبغا" الذي باعني إياه، وذلك العجوز الذي رفعني عندما كنت طفلا وخفت منه، نفس الجبهة المجعدة والرقبة المحروقة بالشمس، واللحية البيضاء، حتى اليدين المعروقتين، ولاحظت أن سنا ينقصه من الأمام، فهل يعقل هذا التشابه الشديد؟

نظرت بعدها إلى المرأة الشابة، كم كانت جميلة، رموش طويلة كثيفة، فم صغير، أنف اقنى، كأنه محفور من العاج، وشعر كستنائي، كانت رائعة الجمال وهي جثة هامدة، فكيف لو بقيت مليئة بالحياة؟ وانتبهت إلى ملابسها، ثوب زهري اللون بأزرار معدنية وقميص ذو ياقة عالية، وحذاء أحمر لطيف في قدميها الصغيرتين، هل كانت دائما ترتدي هكذا، أم أنها لبست أجمل ما عندها لتقف أنيقة أمام الله؟

**وتابع شهادته: ناديت بصوت عال: أيها النقيب.**

التفت النقيب بعنف، وفي نفس الوقت تحركت جثة المرأة العجوز، انتابني الرعب من المفاجأة ولم أستطع الحركة، تحركت العجوز ورمت المنديل عن وجهها ونظرت إلينا بلا اهتمام، وكأننا ظلال أمامها، تمتمت ببضع كلمات ثم أعادت الغطاء إلى وجهها، قال زاكور دايف مترجما كلماتها: "دعونا نموت بسلام".

وشعرت بجفاف في حلقي، وأحسست أن على وجه العجوز الجبلية شعور التعب واليأس الذي لمحته على وجه أمي عند وفاة والدي. أدرت وجهي لكي لا أرى جسد العجوز النحيل الذي بدا لي خفيفا كالعشب فإذا بي أرى شخصا مفتوح العينين، مستلقيا عند قدمي من الجهة الأخرى، ولمعت عيناه البنيتان اللتان لم أر فيهما ألما وحقدا بل نظر إلي بتركيز دون أن تزف عيناه وكأني بالنسبة له رمز لشيء ما.

**ثم قال:** "تراءى لي أنه تنظر إلي عيون مفتوحة من كل الجهات، وفهمت بعد ذلك أن بعضهم نظر إلي، ولكن من جراء الخوف والاضطراب شعرت أن الجميع بدأوا بالنظر ولم أعرف إلى أين أهرب من نظراتهم، وشعرت بالدوار، واختلط كل شيء في رأسي ولم أعد اذكر بعدها أي شيء، وحتى الآن لا اعرف ما حصل لي واعتقد أني حاولت ان ابعد العجوز لكي أنقذها من الموت او أني صرخت داعيا لذلك، أو حملت المرأة الشابة وحاولت نقلها من بينهم ولكن زاكورديف امسكني، والارجح ان كل ذلك ترأى لي وصحوت من اغمائي.. انتفضت بشدة.. ورحلت واستندت على العمود.. ولم أع ما يدور حولي بسهولة.

**كما قال:** "منذ ولادتي تعلمت ان الناس تموت من الكبر او المرض او الاصابة برصاصة وغير ذلك، اما هنا فإنهم يموتون بسبب فقدان الامل نهائيا ومن اليأس البالغ ولم يموتوا فرادى، لقد ماتت أسر بكاملها بكل هدوء". (٣٢)

إن الأمثلة المشابهة لما سردته الرواية ليس قليلا فإن قسما كبيرا من الشراكسة قد فضل عذاب الموت فوق أرضه عن الجنة الموعودة في الغربة.

الشهادة أخرى لمؤلف كتاب (دوي الرعد) بقوله:

**واختتم شهادته قائلا:**

سأتحدث عن بعض المظالم والويلات التي حاقت بالشراكسة باختصار شديد، حسبما سمعته من أقوال الناس من عائلة شركسية كانت على طريق الهجرة،

حيث كان النقاش حادا بين معارض ومؤيد، إذ إن أحد أفرادها كان يفضل الموت في أرضه على أن يعيش ذليلا في أرض غيره، وبعد جدال طويل، حزموا أمرهم، واتجهوا بواسطة احد القوارب نحو السفينة القادمة من تركيا، أما الشاب الذي كان يعارضهم الرأي، فقد وقف قليلا مع حصانه على شاطئ البحر، وبعد تفكير وتردد قصيرين حزم امره هو الآخر وألقى بنفسه في البحر، حيث لا يمكنه العودة إلى وطنه، وصار يسبح، ثم لحقه حصانه وغابا عن مرأى البصر، وهكذا انهى حياته عزيز النفس.[٣٢]

**الشهادة الخامسة: هي شهادة (لينين) قائد الثورة البلشفية الروسية حيث قال:**

إن (الجبليين) الذين رفضوا العيش مع جزاري القياصرة، وأرادوا الحرية، هاجروا إلى تركيا هربا من الظلم الذي حاق بهم من كل جانب كما قال أحد مساعدي (لينين) واسمه (جنكيزه) في محاضرة له في عام ١٩٢١ " قال فيها: إذا رجعنا إلى الوراء ٥٠-٦٠ عاما، نجد أن حكومة القيصر قد طردت الجبليين الذين كانوا يعيشون في أرضهم منذ آلاف السنين بقوة الجنود. وزرعوا قراهم وأملاكهم وأراضيهم من القوزاق وأعوانهم".

كما كان (لينين): يقول: أراد الشركس أن يبرموا صلحا مع القياصرة في أوقات كثيرة، ولكن تعنتهم وجبروتهم فوتا الكثير من الفرص. [٣٣]

**الشهادة السادسة: وهي شهادة بعض الكتاب الروس الذين أوردوا بعض روايات شهود عيان كانوا حاضرين عمليات التهجير عن طريق موانئ بحر الأسود. نقتبس منها الرواية التالية: نقلا عن (ابراموف) ونصها:**

"**إن أكثرية المراكب المثقلة بالجبليين كان قعرها مثقوبا، فعندما دخلت عباب البحر غرقت بالمهاجرين**، أما النقود المخصصة لنقلهم فقد بقيت في جيوب الاشخاص المسؤولين، إن هذه الرواية التي تروي قوة السلطة الروسية في ذلك الحين، والحقائق عن المرحلة التي تلت الهجرة، تؤكد صحة مثل هذه الامور التي

سجلت رسميا كحوادث غرق المراكب مع ركابها الجبليين (بسبب العواصف)، ومع هذه الأهوال كلها فإن الأهوال التي لقيها الجبليون في البحر عند ركوب المراكب لم تكن أقل، فقد زحموهم في المراكب زحما شديدا لم يبق معه مجال للحركة أو لموضع قدم، أدى إلى اختناق المئات منهم [٣٤].

**الشهادة السابعة:وهي شهادة القائد (فون فيل) (الذي قاتل مع الشراكسة في السنة الاخيرة لحروب الشركس من أجل الاستقلال) والتي يمكن إيجازها في وصفه لما شاهده خلال مرافقته لأفواج المهجرين عن طريق البحر وعلى النحو التالي:**

*** المشهد الأول يقول:**

"كان وضع البلاد سيئا جدا، فالشراكسة يقيمون على الشاطئ منتظرين بفارغ الصبر دورهم في الرحيل، وكانوا في حالة صعبة، ويائسين إلى درجة أنهم لم يفكروا ببناء أكواخ تحميهم من الطقس السيّئ، فقد كانت تسيطر عليهم فكرة واحدة وهي الرحيل بسرعة إلى تركيا. وكل ما كانوا يفعلونه، هو أنهم يصعدون على قمة صخرية ويدعون السفن العابرة في البحر، كان الثلج قد بدأ بالذوبان مما زاد من نفاد صبرهم، وكانوا يعرفون ان الروس سيصلون إلى هنا بعد ذوبان الثلوج وهذه الفكرة أضعفت كثيرا من نشاطهم وقوتهم.

ما أن وطئت قدما (الكابتن) أرض الساحل، حتى سارع الشراكسة بالتجمع حوله، والسؤال عن الأجر الذي سيأخذه مقابل نقلهم مع أسرهم إلى تركيا، وكان هذا المركب سيقلع إلى عرض البحر مساء إذا كانت الرياح مؤاتية.

وأردت أن أراقب كل شيء حولي ولكن الجو كان غائما ثم أن حلول الظلام زاد من صعوبة الرؤية حولنا، أخذ الرجال يساعدون نساءهم وأطفالهم بالصعود إلى سطح السفينة، وعندما كانوا يطمئنون عليهم يصعدون بأنفسهم. وأنزل (يعقوب) النساء إلى عنابر أرضية وحشرهم هناك بحيث لم يبق أي مكان فارغاً، أما الرجال

فكانوا يجلسون على السطح محشورين بشكل يضطر منه البحارة لأن يدوسوا على رؤوسهم وهم ينفذون مهامهم. [٣٥]

*** المشهد الثاني:**

كان الاتراك من ناحيتهم في منتهى الطمع إلى الحد الذي قاموا فيه بحشر أكثر من ثلاثمائة أو اربعمائة شخص، على سطح المركب الذي يستوعب في الأحوال العادية خمسين إلى ستين شخصا، وكل ما قام الشراكسة بحمله من الزاد لم يكن يتعدى حفنات من القمح، وبراميل صغيرة من الماء. وكانت الرحلة تستغرق من خمسة إلى ستة أيام، وبهذا الوضع وهذا الزاد كان هؤلاء التعساء يقطعون رحلتهم الخطيرة بل المميتة.

كانوا يسقطون في البحر، ويغرقون كلما ارتفعت الامواج فوق حافة المركب المثقل بالناس. وحتى الذين كانوا بعيدين عن الحافة كانت تسحقهم هزات المركب الشديدة، وعندما كان الطقس يتحسن، كانت تنتظر الشراكسة مصائب جديدة، إذ إن سكون الرياح كان يمنع الابحار، وعندها كانوا يستسلمون لموت بطيء ومريع من الجوع والعطش، عند عودة البحارة الاتراك من رحلاتهم كانوا يروون لنا بشكل مفصل أحداثا مرعبة كانوا شاهدين عليها. فقد غرق عدد من السفن مع ركابها، ومات نصف المهاجرين على متن عدد آخر من السفن فرموهم في البحر قبل الدخول إلى ميناء (طرابزون) التركي [٣٦].

*** المشهد الثالث:**

ففي اليومين الاولين كان كل شيء موفقا، ولكن في مساء اليوم الثاني رمينا في البحر جثث امرأتين وطفل اختنقوا بسبب الازدحام في عنبر السفينة، وبعد يوم ماتت امرأة ورجلان، وفي اليوم الرابع مات خمسة عشر شخصا. وفي صباح اليوم الخامس رأينا الشاطئ بعد ان انهكنا السفر وقلة الطعام وبعد أن استهلكنا آخر الزاد

قبل يومين، ولو اضطررنا للبقاء في البحر يومين آخريين لمات نصف المسافرين قبل الوصول إلى طرابزون. (٣٧)

*** المشهد الرابع:**

عند وصولي إلى شاطئ آسيا الصغرى كانت موجة الهجرة على أشدها، فكان هناك أكثر من (٦٠) ألف من الشراكسة، وفي "آجي قالة" وحدها كان هناك (١٥) الفا من المهاجرين وبغض النظر عن سوء الطقس في ذلك الموسم، فإنهم كانوا يحتمون بأوراق أشجار الزيتون ويقتاتون بقليل من الزاد كانت ترسله لهم القيادة التركية، وقدّر لي أن أشاهد توزيع المؤونة، حيث اقتربت ثلاثة قوارب تحمل على متنها أرغفة الخبز، وعلى الشاطئ كان الجنود الأتراك المسلحون من رؤوسهم إلى أقدامهم، قد شكلوا صفا عند المكان الذي سيتم فيه توزيع الخبز.

كان الضابط مسؤولا عن استلام كل شخص لحصته، وهي رغيف واحد، ولكن هذا كان مستحيلا لأن الخبز كان قليلا بحيث ان نصف الموجودين لم يحصلوا على شيء، وكان عليهم انتظار وصول دفعة أخرى من الخبز، وهذا طبعا في يوم آخر.

لقد زرت كل الأماكن التي نزل بها الشراكسة، وأيقنت بأن هؤلاء كانوا يحاولون أن يخلقوا نوعا من النظام رغم الظروف والفوضى التي تحيط بهم. فقد توزعوا حسب قبائلهم، وحسب المناطق التي اتوا منها، حتى أن كل عائلة، اختارت لنفسها شجرة معينة ووضعت قربها امتعتها القليلة، وهي عدد من الصناديق الخشبية تحتوي على قليل من الثياب، وأكياس من الجلد فيها حفنات من القمح، وكان هذا كل ما لديهم، كان بعض الرجال منشغلين بتكسير الحطب لإيقاد النار، وآخرون ببناء أكواخ صغيرة من الأغصان، وجلبت النساء الشابات الماء وقمن بتجهيز أمكنة للنوم من قشور الأشجار وأوراقها، وارضعن الأطفال من صدورهن، وعيونهن الواسعة الجميلة كانت ممتلئة بالدموع، وضفائرهن الطويلة تظهر شحوب وجوههن

المائلة للطول والتي تركت المصاعب عليها آثارها أما العجائز فقد جلسن حول النار وكان عدد منهن يسلقن الذرة التي احتفظن بها معهن بأعجوبة، وأخيرا رقص الأطفال وغنوا مكملين تلك اللوحة الحزينة المبكية [٣٧].

*** الشهادة السابعة: للقائد (فيل) حيث قال:**

"فإن الذين وصلوا إلى تركيا في أوائل الشتاء كان عددهم يقارب (١٢) الفا ماتوا جميعا تقريبا. فهؤلاء الجائعون المتعبون من السفر ومن الأمراض حملوا معهم إلى (طرابزون) مرض الحمة التيفية والحصبة وغيرها من الامراض المعدية، وانتشرت هذه الأوبئة في المدينة بسبب الفقر والأوضاع السيئة [٣٨].

**الشهادة الثامنة: وهي شهادة القنصل الروسي "موشنين"**، حيث كتب من (طرابزون) بتاريخ ١٨٦٤/٦/١٠ إلى حكومته يقول: "منذ بدء التهجير وصل إلى (طرابزون) وضواحيها حوالي (٢٤٧) الف شخص، كان عدد الذين يموتون يوميا بين ١٨٠-٢٥٠ شخص وينتشر بينهم وباء التيفوس، ووصلت الوفيات إلى ارقام مذهلة حيث كان عدد القبور مع نهاية عام ١٨٦٤ حوالي (٥٠,٠٠٠) قبر شركسي.[٣٧]

**الشهادة التاسعة: هي شهادة أحد قبطان السفن الذي قال:**

"وكان قباطنة السفن التركية، يكدسون الشراكسة في السفن العتيقة والصغيرة أكواما أكواما من شدة أطماعهم، وبعد وصولهم إلى (اناتوليا) كانوا يرمون الأموات على الشاطئ، ولم يكن هناك من يدفنهم!!.[٣٨]

**الشهادة العاشرة: وهي شهادة شهود عيان من الجنود الاتراك الذين رافقوا قوافل المهجرين من الشراكس عن طريق البر بقولهم:**

"سلكنا طريق البر، عبر الاودية والثلوج، ومجاري السيول والانهر والصخور المسنونة، والأحذية الممزقة، والمخيمات المرتجلة، والأمطار والوحل، على الطرق عبر ارمينيا، وجبال آرارات، وكانوا عشرات الالوف يزحفون، وصل

أقل من النصف والباقون على الدروب والواقع كانوا يساقون سوقا، **لأن معظمهم كانوا يرغبون العودة ليموتوا على ترابهم الوطني**، ولكن كان الطريق أمامهم، وحده المفتوح، باتجاه واحد، وكل الطرق الأخرى كانت مغلقة، والنظرة إلى الوراء كانت محرمة عليهم. (٤٠)

**الشهادة الحادية عشرة: وهي:**

**شهادات الرواة من ابناء الشراكسة الذين هُجروا قسرا حيث يقول أحدهم:**

كان جدي صغيرا يوم أُخرج من دياره ولكنه إحتفظ منذ طفولته وفتوته بآلاف الصور المرعبة المبكية في ذاكرته عن وقائع وأحداث الهجرة، وقد تحدث إليّ أبي عن هجرته مع اهله، واصفا كيف مات بعضهم على الطرق جوعا، والبعض الآخر ماتوا خنقا في عنابر المراكب التي حَشر فيها عدة مئات، وسعتها لأقل من مائة راكب، كما مات فئة ثالثة من تفشي الأمراض السارية كالكوليرا والتيفوئيد ...الخ، وتخلص البحارة من جثثهم برميها في عرض البحر. وتقاذف الأمواج المراكب حتى انتهوا إلى البر... وأي بر كان..، فإنه عبارة عن شاطيء رملي مخصص للصيادين... وكانت خشيتهم انهم هبطوا على شاطئ اعدائهم قياصرة الروس.

واستطرد جدي قائلا "لقد نجو من بطش الروس لكن ما زال أمامهم مسيرة عشرة أيام، ليصلوا إلى المعمورة، لم يبق منهم خلال هذه المسيرة إلا خمسين فردا من أصل مئات صعدوا على المركب، لكنهم ظلوا يمشون على الاقدام، لا يعرفون إلى أين؟! –حيث كانوا يبحثون عن كسرة خبز لسد جوعهم – إنها غريزة البقاء فهي التي كانت تقود الخطى للحصول على ما يبقيهم على قيد الحياة".

**الشهادة الثانية عشرة:**

وهي لأحد المسؤولين الروس الذي كان يشرف على ترحيل الشراكسة عن طريق البحر واسمه (آب – برز) حيث قال: إنني لن أنسى ابدا، كيف كان (الشراكسة – الجبليون) الذين شاهدتهم في (نافاراسيسك)، عند الشاطئ – (تسه مز) – إنهم كانوا ما يقارب ١٧٠٠٠ تقريبا، تجمعوا هناك في أواخر عام ١٨٦٤، كان شتاء قاسيا باردا، وكانوا ينتظرون الموت بين لحظة وأخرى، وكان مرض الجدري والتيفوس يؤدي بهم إلى فقدان الأمل، وبالتالي إلى الهلاك المحقق، كيف لا ينكوي قلب الإنسان عندما يرى (تحت السماء العارية، على الأرض الرطبة) أما شركسية في مقتبل العمر ميتة في حالة غير مألوفة، وإلى جانبها أحد أطفالها ينازع روحها التي تكاد أن تنطلق، والثاني يبحث عن رزقه من شدة الجوع، في ثدي أمه البارد.[٤١]

**الشهادة الاخيرة وهي مقتبسة** عن بعض الصحف التركية التي كتبت في (استانبول) كثيرا عن المساعدات المقدمة للشراكسة من قبل الحكومة العثمانية ومن الأفراد، إلا أن كل ذلك لم يكن ليسكت الجوع وينهي الوفيات التي انتشرت بين المهجرين، وقد أظهرت الصحافة التركية والاوروبية أن المذنب الوحيد فيما جرى للشراكسة هم السلطات الروسية القيصرية [٤٧].

كما أن الحكومة التركية كانت توزع على المهجرين الطعام والثياب، وخافت الحكومة التركية من انتقال وبائي التيفوس والحصبة الى السكان، فأقامت مخيمات خاصة للمهجرين كانت في الحقيقة مخيمات موت، كالمخيم المقام في (آتشكا قلعة) قرب (طرابزون)، كان المهجرون يبقون الموتى في المخيم لعدة أيام على انهم أحياء أو يدفنونهم في الخيم حتى يستلموا خبزا عن الموتى يوميا. [٤٨]

**شهادات حول الجرائم التي ارتكبت على البواخر والمراكب التي نقلت المهجرين الشراكسة إلى تركيا ودول البلقان.**

**الشهادة الاولى:** حول رحلات الموت على البواخر التركية والروسية هي شهادة الكاتبة (مهاجرست) تركية الاصل والتي قالت في كتابها حول مآسي تهجير الشراكسة:

"إن مأساة ركاب سفينة (اجيوس بتروس) من المآسي المشهورة التي لا تنسى". لقد وصلت هذه السفينة والتي ترفع العلم الانكليزي إلى باطوم قادمة من تركيا وعلى ظهرها (الف ومائتا أباظي) عائدين إلى ابخازيا وكانوا مكدسين في داخلها لأن الحمولة المسموح بها لتلك السفينة لا تتجاوز المائتي شخص. لقد وصلت باطوم في ١٢ آب ١٨٨٠ وركابها من الأطفال والنساء والرجال ورغم وضع ركابها الصحي السيّئ ووفاة قسم منهم من جراء المرض والجوع فإن السلطات القيصرية في باطوم لم تسمح لركابها بالنزول إلى الشاطئ وقد تعاطف معهم قائد ميناء باطوم المدعو (جريغي) وأخبر المسؤولين بذلك ومع ذلك لم ينجح في مسعاه. وقد أرسل للركاب برقية إلى وزير خارجية القيصر وكذلك إلى حاكم القوقاز للتوسط لدى القيصر للسماح لهم بالعودة إلى وطنهم **وأكدوا أنهم من المسيحيين الراغبين في العودة إلى بيوتهم.** ومع ذلك رفض المسؤولون الاستجابة لطلبهم وأعيدت السفينة بركابها الذين كانوا يصرخون ويئنون من المرض والجوع إلى سواحل تركيا بتاريخ ٧ سبتمبر ١٨٨٠ تحت حراسة فرقاطة حربية روسية وكانت المآسي الأكبر عندما بدأت المدفعية التركية بإطلاق النار على هذه السفينة، ورفضت استقبالها وعادت السفينة مع الفرقاطة إلى "باطوم" ولكن تبين ان قبطان السفينة تمكن فيما بعد من التخلص من ركابها بإنزالهم على شاطئ رملي لا يوجد فيه لا ماء ولا غذاء حتى ولا أعشاب، وتمكن حوالي مائتين من الرجال من الهرب

ومات قسم آخر وتم نقل سبعمائة وخمسون من النساء والأطفال إلى "باطوم" تمهيدا لربطهم وإعادتهم بالقوة إلى تركيا. (٤٤)

**الشهادة الثانية:** حول المآسي التي ارتكبت على بواخر المهجرين وهي شهادة القنصل البريطاني في استانبول وبيروت بقوله: "إن عملية حرق السفن التي كانت تنقل المهجرين الشراكسة لم تكن حادثا عرضيا وانما كانت مؤامرة مدبرة، خاصة السفينتان اللتان أحرقتا أمام الأعين على شواطئ (لارنكة)" (٤٥).

**الشهادة الثالثة:** حول اغراق سفن ومركبات المهجرين الشراكسة؛ ففي عام ١٨٧٨ غرقت بعد حرقها على مقربة من الشواطئ القبرصية سفينتان محملتان بالمهجرين الشراكسة متجهتين إلى قبرص وبيروت وهو عمل مدبر حيث تزامن حرقهما مع مظاهرات الاحتجاج على قدوم المهجرين الشراكسة في كل من قبرص وبيروت.

وكتبت جريدة الغاماين تابنوغ انه من اصل ٢٧٠٠ شركسي حملتهم ثلاث سفن إلى (لارنكا) مات في الطريق ١٤٤٠ شخصا من الجوع والعطش، كما رفضه سكان لارنكا فكرة نزول الجبليين نصف الاحياء إلى الشاطئ. وتتابع الجريدة قولها: إن أحد القوارب الثلاثة كان يهتدي سبيل القوارب التي سبقته من الجثث الطافية على وجه الماء وتتابع الجريدة قولها: "لم يستقبل أحد الشراكسة الذين نزلوا على الشواطئ التركية، ولم تقدم لهم أي مساعدات مالية، بل لم يرشدوهم إلى طريق يتوجهون إليه، واقام العديد منهم معسكراتهم حيث تم إنزالهم، وعانوا البؤس لسنوات عديدة (٤٦).

**الشهادة الرابعة:** حول مآسي خرق وحرق وغرق البواخر المحملة بالمهجرين الشراكسة جاءت على لسان أحد شهود العيان من ميناء فارنا البلغارية حيث قال:

"احضرت الباخرة (٨٥٠) شخصا وباخرة أخرى (١٨٠) شخصا، وقد استقبلتهم السلطات التركية أولا بالترحاب، وعندما وصلت باخرة أخرى كان الاتراك قد أوقدوا نارا في المرفأ بسبب البرد إلا انه عندما رأوا الزوارق الآتية من

الباخرة تفرغ العرايا والضعاف والمرضى و (٤٦) جثة لأشخاص ماتوا تلك الليلة على الباخرة فزع الاتراك ورفضوا استقبالهم [٤٨].

**الشهادة الخامسة هي:** الشهادة الدامغة للجرائم التي ارتكبت في حق المهجرين الشراكسة عن طريق البحر هي شهادة المؤرخ الالماني "كانيتس" حيث يقول: "دخلت إلى ميناء (لارنكا) في قبرص ثلاث سفن صغيرة تحمل (٢١٠٠) شركسي، مات منهم أثناء الرحلة التي استغرقت (٣٢) يوما من الجوع والعطش أكثر مما مات من المرض، وبلغ عددهم (١٣٠٠) شخص (أي الموتى)، حاول المسؤولون في المرفأ والقنصل الفرنسي منع نزول الناس من السفن وهم أنصاف أموات ومرضى بالتيفوس والحصبة، وقد أفاد قبطان باخرة كانت تسير خلف تلك السفن الثلاث أنه كان يعرف طريقه من رؤية الجثث في البحر"، وعندما زار "كاينتس" (بلغاريا) عدة مرات لمشاهدة أحوال المهجرين بين اعوام ١٨٦٦-١٨٧٥ قال: "كانت هناك لطخة سوداء في ذاكرتي لا يمكن ان يمحيها الزمن ولم يستطع جمال الطبيعة ان يغطيها، كانت هذه اللطخة هي القبور الحديثة للشراكسة على طول الطرق التي سلكتها على يمين ويسار الطريق بين الاشجار، وهذه القبور التي كانت تنمو على جانبي الطريق بدلا من الزهور، وهي شاهدة على مآسي المسيرة الشركسية في رحلات الموت اثناء التهجير القسري والنفي الجماعي. [٤٨]

**شهادات الوثائق البريطانية حول مآسي التهجير القسري [٦٠]**

**الشهادة الاولى: شهادة السفير السير هــ. بولوار في برقيته الاولى المرسلة إلى الخارجية البريطانية في ١٨٦٤/٥/٢٠م ونصها:**

"تعلمون الهجرة الكبيرة المفاجئة للشراكسة إلى الأراضي العثمانية. استولت الحكومة الروسية على أراضي هذا العرق المخلص الشجاع الذي ناضل فقط من اجل شيء واحد اكثر من حرية الوطن، وهو حياة حرة خالية من سيطرة عدو أجنبي على الاقل. إنهم يفرون من شواطئهم وهم مخلدون بدفاعهم بحثا عن ملتجأ في الامبراطورية المجاورة. باختصار، ان بلاد الشركس قد

ضاعت وما بقي هو إنقاذ الشراكسة.

الحكومة العثمانية راغبة في منحهم المأوى الذي يريدونه، ولكن مواردها المالية لتنفيذ ذلك غير كافية. كما تعلمون يا سيادة اللورد، ان ما جرى تنفيذه حتى الآن قليل، وهذا القليل قد كلف (٢٠٠٠٠٠) جنيه.

احدى الوسائل لمنح الضيافة لهؤلاء "المنفيين" التعساء، هي عن طريق توزيعهم على القرى والمناطق التركية المختلفة، وجعل حصة كل اربع عائلات تركية، عائلة شركسية، هذه لا شك أقل الطرق كلفة ولكن أسوأ ما فيها، هي انها تضيف تعاسات إلى الحالة التعيسة للفلاحين الاتراك، ونتيجتها هي ان حظ اولئك الشراكسة المساكين في البقاء ضئيل، كما ان طاقة هؤلاء المقاتلين الذين يستحيل تقريبا قهرهم، تكون بهذه الحالة قد تمت تجزئتها والتبذير بها وضاعت.

ستكون سياسة حكيمة لصالح تركيا وأوروبا، توطين اولئك اللاجئين الشجعان، في الجزء الممتد من شواطئ البحر الاسود باتجاه ارضروم من الأراضي العثمانية، هذه المنطقة المحاذية للبلاد التي نزحوا منها وتشابهها إلى حد ما، وفيها ربما يرتاحون من محنتهم.

بالإضافة على ما تقدم، فإن تحويل المنطقة إلى مستوطنة عسكرية، ربما انهم (اللاجئون الشراكسة) يمدون الجيوش التركية بمصدر جديد، هذه الجيوش التي تشكل عبئا كبيرا على القطاع الزراعي للسكان الاتراك. علاوة على ذلك، فإن من الممكن الاستفادة من الشراكسة، في هذا الوقت وبالتحديد في تلك المنطقة لتحقيق هدف عظيم.

تعلمون جيدا يا سيادة اللورد، مدى الحاجة إلى طريق من طرابزون إلى ارضروم. واحداث الاسابيع الاخيرة تجعل (مشروع الطريق) امرا ملحا للتجارة التركية. ويمكن استخدام قسم من الشراكسة المهاجرين في بناء هذا الطريق، وان وجود مساكنهم في المنطقة يجعل استخدامهم اسهل بكثير.

هذه الاقتراحات مجتمعة تشكل: ثروة عظيمة مباشرة للجيوش التركية، وتخفيفا كبيرا مباشرا للقطاع الزراعي العثماني، وسيؤدي إلى اتمام عمل ذي أهمية كبيرة، ليس فقط بالنسبة للمصالح العثمانية، وانما للمصلحة العامة العالمية.

**ملاحظة:** (المقصود هنا، ان الحكومة التركية، كانت في تلك الفترة، مثقلة بالديون للبنوك والدول الاوروبية، وان دخلها لم يكن يساعدها على الاقتطاع من نفقاتها الضرورية لتسديد تلك الديون، حتى تتمكن من الاستدانة من جديد – المترجم).

وفي نفس الوقت، ان المبلغ المطلوب لتنفيذ مشروع الطريق ليس كبيرا إذ جرى تقسيمه

على الدخل السنوي، وتقديري للمبلغ هو مليون ونصف جنيه استرليني. استخدم قسم من الشراكسة في انشاء طرق ارضروم، واحتمال استخدام الجيش التركي، ربما يجعل المبلغ المطلوب اقل، فتكون الفائدة السنوية على المبلغ اقل من مئة الف جنيه استرليني.

مهما كانت الحاجة كبيرة لهذا المبلغ، ومهما كانت الغاية التي سيستخدم من اجلها مفيدة ونبيلة فإن تركها تبدو بوضعها المالي، غير مؤهلة لاستجداء المبلغ المطلوب، لذا فإنه يجب ان تقوم حركة او نشاط في اوروبا لمساعدتها.

لا ريب بأنها حكمة عملية، بأن تتقدم الانسانية، والاعجاب العالمي بالشجاعة التي لا مثيل لها (شجاعة الشراكسة في دفاعهم عن حريتهم – المترجم) وشفقة الجمهور للمصيبة التي لا مثيل لها (المصيبة التي تعرض لها الشراكسة – المترجم) ان تتضافر كل هذه العوامل للمساعدة في قضية، لا يمكن لكل من يعمل قلبا آمن بالمآثر الوطنية ان يتجاهلها.

اذا ما تم تشكيل لجنة في لندن وباريس لتأمين قرض للغاية التي ذكرتها، ربما أن تركيا ستضمن الفائدة، كما ان فكرة زيادة الرسوم في ميناء طرابزون، ستجعل ضمان تركيا للقرض سهلا. في هذه الحالة، يجب تشكيل لجنة هنا تضم شخصيات معروفة من الرعايا العثمانيين كما يمكن انضمام مندوبين اوروبيين اليها.

وجدت عدة ميزات مشتركة في برنامجي هذا، دون أية صعوبة كبيرة واضحة. وقد تزايد شعوري هذا نتيجة ردود الفعل. فقد تحدثت قبل يومين إلى علي وفؤاد باشا، اللذين ابديا بعد شيء من التفكير، استعدادهما القلبي للدخول في البرنامج، وبعد ذلك بحثت الموضوع مع م. موستيه (السفير الفرنسي) الذي قال بأنه كان قد فكر بشيء من هذا القبيل، واتفقنا معا بعد محادثة حول الموضوع، ان نعلم حكومتينا بذلك.

أظن يا سيادة اللورد، بأنني أعلم رأيكم وعاطفتكم إلى درجة بحيث لن يكون هناك فارق بين رأيكم ورأيي في الموضوع. اذا ما تجسدت اقتراحاتي في المستقبل، بأي شكل وإلى حد ما حسب المخطط الذي وضعته لها على عجل، سيكون ذلك مصدر سرور بالغ لي، لأن أكون قد ساهمت في تقديم أدنى درجات مشاعر التقدير والاجلال الفياض نحو شعب، جرى سحقه، بسبب ظروف مشؤومة مختلفة وسط اسف العالم وعطف اوروبا.

(انتهى نص البرقية)

**الشهادة الثانية من بولوار في برقيته الثانية إلى الخارجية البريطانية، وجاء فيها: سيدي اللورد،**

"لاحقا لرسالتي العاجلة المؤرخة في الثالث من الشهر الجاري، لاحظت بأنه لا يمكن لأي نشاط مؤيد لصالح الشراكسة، ان يؤدي إلى الحصول على النقد التركي (المساعدة المالية) بدون تأمين (ضمانات) ولكن اذا ما تم شرح الهدف المطلوب من أجله هذا المال، مع ابداء مشاعر التأييد، فإن تركيا ستقف موقفا ايجابيا اكثر من عملية التقدم في طلب المال".[٦٠]

التوقيع هنري بولوار

**الشهادة الثالثة: من إيرل كاولي في برقيته إلى الخارجية البريطانية، وجاء فيها سيدي اللورد؛**

بالإشارة إلى رسالة السير هنري بولوار المستعجلة المؤرخة في الثالث من الشهر الجاري، المرسلة إلى سيادتكم مع الرسول الحالي (مع حامله) التي عرض فيها سعادته على حكومة صاحبة الجلالة، مخططا لتوطين المهاجرين الشراكسة، في جزء من الأراضي التركية، هذا التخطيط الذي يذكر على انه حصل على موافقة زميله الفرنسي (السفير الفرنسي في استانبول)، يشرفني ان ابلغ سيادتكم بأن السفير يوافق على وجهة نظر السير هنري بولوار.

التوقيع كاولي

**الشهادة الرابعة: من اللورد نابيير في برقيته إلى الايرل روسل، وجاء فيها:**

"جرى استلام هذا التقرير من قبل الخارجية البريطانية في ١٨٦٤/٥/٢٣.

سانت بيتر سبورغ في ١٨٦٤/٥/١٧ "

**سيدي اللورد**

قمت البارحة بلفت نظر الأمير Gortchakoff إلى البيانات المؤلمة التي نشرت في الصحف البريطانية المتعلقة بالشدائد التي تعرض لها المهاجرون الشراكسة في طريقهم إلى تركيا، والعبء الذي يفرضه على الموازنة التركية استقبال واعالة مجموعة تقدر بـــ (٢٠٠٠٠٠) انسان.

أجاب نائب رئيس الوزراء، ان القبائل اصرت على ترك البلاد، وان حكومة الامبراطورية (الروسية) آسفة على ذلك، وأن ترحيل هؤلاء الناس في معاقلهم في الجبال كان ضروريا قطعا، حيث ان (عاداتهم في القتال) لا يمكن شفاؤهم منها، ومع ذلك فقد جرى تقديم عرض عادل لهم في ان يستقروا جميعا في الأراضي الواقعة في السهول وقد رفضوا هذا العرض.

وأضاف سعادته بأن رقم (عدد المهاجرين) التقديري الذي ذكرته له، مبالغ فيه جدا، وانه اذا كانت الحكومة التركية قد تعرضت إلى نفقات كبيرة من جهة، فإنها من جهة أخرى قد كسبت مجموعة اضافية إلى المحمديين (المسلمين) إلى سكان امبراطوريتها، والتي ستكون ذات اهمية كبيرة للجيش التركي" (٦٠).

**نستنتج من تحليل الشهادات سابقة الذكر بأن أهم الاسباب والعوامل التي أدت إلى استشهاد وقتل أكثر من مليون شخص مهجّر هي العوامل التالية:**

**العامل الاول:** انتشار الاوبئة والأمراض السارية مثل الملاريا والكوليرا والطاعون، والحصبة والجدري والتيفود بين الشراكسة المهجرين مع غياب الادوية او العلاج.

**العامل الثاني:** حدوث مجاعات بين عشرات الالاف من المهجرين الشراكسة بسبب النقص في الاغذية، حيث افاد بعض شهود العيان بأن رغيفاً كان يعطى لكل فرد في اليوم الواحد، واحيانا كانت الكميات من الخبز تنفد قبل حصول كل مهجر على نصيبه من الخبز .

**العامل الثالث:** التقلبات الجوية، من ثلج وجليد وامطار وعواصف، التي كان ينتج عنها تجمد الاطفال والشيوخ والضعاف من المرضى وهم احياء لاضطرارهم قضاء شهور في العراء، دون الحصول على مأوى يقيهم من قسوة العوامل الجوية او تقلباتها.

**العامل الرابع:** حدوث نقص في الماء خاصة لدى المهجرين عبر الطرق البرية والجبلية في كل من ارمينيا وجورجيا مما أدى إلى موت اعداد كبيرة من المهجرين الشراكسة على الطرق البرية من العطش.

**العامل الخامس:** حدوث حالات إغراق للعديد من البواخر التي كانت تنقل المهجرين حيث غرقت أو أغرقت اكثر من عشر بواخر كانت تقل المهجرين الشراكسة إلى شواطئ تركيا والبلقان.

**العامل السادس:** حدوث حالات اختناق في عنابر البواخر المخصصة أصلا لنقل المواشي او البضائع، ولم تكن بواخر نقل للركاب، هذا بالإضافة إلى حشد اكثر من (٣٠٠ إلى ٤٠٠) شخص على سطح مركب حمولته المقررة رسميا من (٥٠-٦٠) شخصاً، فأدت مثل هذه الاعمال إلى اختناق الالاف من الشراكسة المهجرين قبل وصولهم إلى الموانئ التركية أو البلغارية أو اليوغسلافية أو اليونانية أو القبرصية أو اللبنانية وغيرها.

**العامل السابع:** مات العديد من الشراكسة وخاصة الاطفال والنساء الضعيفات والشيوخ الكبار في السن والمرضى من الكبار نتيجة صعوبة الطرق البرية (الجبلية) التي سلكها الشراكسة المهجرين عبر جبال القفقاس وارمينيا وجورجيا، حيث هلك عشرات الاف منهم نتيجة الارهاق الجسدي الشديد لأنهم قطعوا الالاف من الكيلومترات داخل القفقاس وفي الأراضي التركية، خاصة الذين هجروا إلى بلاد الشام والاردن وفلسطين والعراق.

**العامل الثامن:** تجنيد رجال الشراكسة من المهجرين في الجيش التركي (علما بأن قانون التهجير ينص بأنه "لا يجوز تجنيدهم قبل مرور (١٢) عاما من استيطانهم في تركيا او بلاد الشام"، إلا أن السلطات التركية جندت مئات الاف من الشراكسة وزجوا في حرب البلقان عامي (١٨٧٧-١٨٧٨) فكانت النتيجة ان خسرت السلطات التركية الحرب وقتل أكثر من نصف الشراكسة على جبهات القتال حسب مصادر الوثائق التركية.

**العامل التاسع:** حدوث صدام مسلح ودموي بين الشراكسة المهجرين إلى كل من تركيا وبلاد الشام.. ففي تركيا مثلا حدث اكثر من صدام مسلح في المرحلة الاولى من استيطانهم مع الاقليات الكردية والارمنية والمسيحيين والقبائل التركية لأكثر من سبب ولأكثر من مرة ذهبت فيها أعداد كبيرة من شباب الشراكسة ورجالهم قتلى وجرحى.

وكذلك فإن صدامات مماثلة حدثت في كل من سوريا والاردن ففي سوريا مثلا فإن اكبر الصدامات التي حدثت هي نتيجة الاعتداءات التي نفذتها قبائل درزية على الشراكسة الذين استوطنوا منطقة الجولان، كما حدث مثلها في مناطق حمص وحماة وحلب، كما حدث في الأردن صدامات مسلحة مماثلة للشراكسة المهجرين إلى الأردن، وكان اكثرها عنفا ما يسمى بحرب (البلقاء) بين الشراكسة في عمان وبين العشائر البلقاوية التي تسكن بين القرى الشركسية وعمان، كما حدث حوادث مماثلة مع عشائر العبابيد والعجارمة وبني صخر وان كانت حوادث محدودة إلا انها ادت لاستشهاد العشرات من الشراكسة.

## مراجع ومصادر
## الفصول الاول والثاني والثالث من الجزء الخامس في المجلد الثالث

١- آبه زاو، جمال صادق، مصدر سابق، ص: ٨٠.
٢- سمكوغ، برزج، الشراكس في فجر التاريخ. ص: ٥٢-٥٣.
٣- المصدر نفسه، ص: ٦٦.
٤- رستم، راسم، مصر والشراكسة – صفحات من تاريخ مصر الحديث، القاهرة، ١٩٤٨، ص: ٣٤-٣٥.
٥- حسن، علي ابراهيم، تاريخ مصر في العصور الوسطى، ص: ٣٤.
٦- رستم، راسم، مصدر سابق، ص: ٣٦-٣٧.
٧- المصدر نفسه، ص: ٤٩.
٨- المصدر نفسه، ص: ١١٦-١١٩.
٩- قوندوقوف، موسى، مذكرات الجنرال موسى قندوقوف. ص: ١٢.
١٠- قاسوم علي، وحسن، ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١١٧.
١١- المصدر نفسه، ص: ١٢٧-١٢٨.
١٢- المصدر نفسه، ص: ١٣٠-١٣٢.
١٣- تاريخ العالم، المجلد الاول، ص: ٤٠ و ٤١ و ٤٩.
١٤- آبه زاو، محمد جمال صادق، مصدر سابق، ص: ٣٤٩-٣٥٠.
١٥- المصدر نفسه، ص: ٣٥٦-٣٥٧.
١٦- قاسوم ( علي وحسن)، الوثائق الروسية، مصدر سابق، ص: ٣٢.
17- Edmound. Specer. Traels-in- Circassia, London 1838.
١٨- مجلة صوت النارتيين، انقرة عام ١٩٨٠، شهر شباط العدد (١٦).

١٩- المجلة نفسها عام ١٩٨٠ عدد شهر شباط.

٢٠- المجلة نفسها عام ١٩٨٠ عدد شهر شباط.

٢١- برقوق، اسماعيل، القفقاس في التاريخ، ص ٥٢٩.

٢٢- لابيزيغ، يشنيش في كتابه Bulgarin and Ostrumelien المنشور عام ١٨٨٦ ص: ١٩، واشار إليه (نهاد برزج) في كتابه تهجير الشراكسة ص: ١١٦.

٢٣- قاسوم (علي وحسن) الوثائق الروسية، إبادة الشراكسة، ص: ١١٣.

٢٤- مخوص، ارسلان، تاريخ حرب القفقاس ونتائجها، مصدر سابق، ص: ٩٠-٩١.

٢٥- المصدر نفسه، ص: ١٣٢.

٢٦- المصدر نفسه، ص: ١٣٣.

٢٧- جريدة "غوازة" الشركسية، اسطانبول، عام ١٩١١، العدد الاول.

٢٨- يا. ابراموف، القوقازيون الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٥٢.

٢٩- يا. ابراموف، القوقازيون الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٨.

٣٠- ماميخيغ، رايا عادل، لمحات من العادات الشركسية، مصدر سابق، ص: ٥٤.

٣١- لجنة الاثار القوقازية، الوثائق الروسية، ونشرها علي وحسن (قاسوم) في كتابهما (ابادة الشراكسة) مصدر سابق، ص: ٢٢.

٣٢- لاخفينسكي، ميخائيل، دوي الرعد (رواية تاريخية شركسية، ترجمة دينا ديجن، دمشق عام ١٩٨٣، ص٤٣-٤٦.

٣٣- م. جنكيز، محاضرة حول طرد القياصرة للجبليين (الشراكسة) من اراضيهم، عام ١٩٢١.

٣٤- ابراموف، القوقازيون الشراكسة، مصدر سابق.

٣٥- فيل، فون، السنة الاخيرة لحروب الشراكسة – مصدر سابق، ص: ٧١.

٣٦- فيل، فون، المصدر نفسه. ص: ٧٣.
٣٧- المصدر نفسه، ص: ٧٥-٧٧.
٣٨- أ. ن. موفشينين، القنصل الروسي، تقرير مرسل إلى الخارجية الروسية في ١٨٦٤/٦/١٠، واوردت مامخيغ النص في كتابها (لمحات من العادات الشركسية) ص: ٥٥.
٣٩- المصدر نفسه، ص: ٥٦.
٤٠- مخوص، ارسلان، تاريخ حرب القفقاس، مصدر سابق، ص: ٧٣.
٤١- المصدر نفسه، ص: ٦٥.
٤٢- مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٥٤.
٤٣- م. ليفتش، واورد النص باتريك اوزبك في كتابه "أساطير النارتيين" ص:٣١.
٤٤- جرست، مها (كاتبة شركسية) مآسي تهجير الشراكسة، ص: ٣٨٨-٣٩١.
٤٥- القنصل البريطاني في استانبول – بيروت ، تقرير مرسل إلى الخارجية البريطانية عام ١٨٧٨.
٤٦- جريدة تايتونغ، لارنكا، ١٨٦٤، واوردت النص (مامخيغ) في كتابها (لمحات عن العادات الشراكسية)، ص: ٥٤.
٤٧- قاسوم (علي وحسن) ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٢٢.
٤٨- المصدر نفسه، ص: ١٢١.
٤٩- قاسوم (علي وحسن) ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٢٢.
٥٠- قاسوم (علي وحسن) ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١١٢.
٥١- ف. ف كانتيز Kantiz عملية استسلام قبائل الاديغة ١٨٦٤ ص: ٣٠٩.
٥٢- قاسوم، مصدر سابق.
٥٣- يا. ابراموف، القوقازيون الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٢٩.

٥٤- قاسوم، مصدر سابق، ص:

٥٥- يا. ابراموف، القوقازيين الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٣٦.

٥٦- قاسوم، مصدر سابق، ص: ١٢٦.

٥٧- المصدر نفسه. ص: ١٢٧.

٥٨- المصدر نفسه، ص: ١٢٥.

٥٩- م. ع. كارول/ Les Deuy Routes du caucase . باريس عام ١٨٩٩، ص: ٩٨.

٦٠- يحيى قازان، وثائق بريطانية، مجلة نارت، العدد (٤٠) شهر نيسان عمان عام ١٩٨٤، ص: ٢٥/٢٤.

# الفصل الرابع

## مواقف الرفض

## ومقاومة قادة وشعراء الأمة الشركسية

## لعمليات التهجير

**تمهيد:**

بالرغم من الاعمال الوحشية والبربرية الروسية التي ادت لاستشهاد اكثر من مليون شركسي إبان حرب الابادة والدمار الروسية.

وبالرغم من الاجراءات السياسية والاقتصادية والادارية التي جعلت من حياة الشراكسة الذين نجوا من الاستشهاد او الموت ابان الحرب الروسية حياة جحيم. وبالرغم من كل الاكاذيب والدعايات الدينية التي بثتها السلطات العثمانية التركية. فإن الامة الشركسية برمتها قاومت فكرة التهجير، وعملت للحيلولة دون ترك وطنهم والتخلي عن ارض الاجداد للاعداء الروس.

**وفيما يلي نماذج من المواقف التي تؤكد حقيقة رفض الشراكسة الهجرة ومقاومتها والتمسك بالوطن الام.**

**الموقف الاول،** ونستدل عليه من قول قائد القوات العاملة في منطقة الكوبان الجنرال الروسي "كوزمينسكي" في تقريره عام ١٨٦٥ جاء فيه "إنني أظن أنني سأستطيع حتى الخريف تطويق الشراكسة الذين لجأوا إلى المرتفعات الصعبة من جبال القفقاس، رافضين فكرة الهجرة أو الرحيل عن أرضهم وأظن أن عددهم يبلغ الثمانية الاف، وانهم لا يزالون يقاتلون، ويرفضون الاستسلام كما يقول: "إن القوات الروسية وهي تنظف المنطقة المفرغة من السكان من باقي العناصر الشركسية المعادية قامت بإرسال وحدات صغيرة للبحث عن الشراكسة المقاتلين المختبئين في المناطق الوعرة الصعب الوصول إليها والذين "**لا يرغبون بترك أراضيهم، فإن ارتباط هذا الشعب بأرضه قوي لدرجة أنهم يهربون أحيانا إلى مناطق ليس فيها طعام أو مأوى، ويموتون من البرد والجوع والبنادق في أيديهم لإطلاق آخر رصاصة على أي روسي يرونه لأنه يطردهم من أرضهم،** أما الأحياء المتبقون خصوصا النساء والاطفال، فكانت الوحدات الروسية تجمعهم وترسلهم إلى أقرب مستوطنة روسية، ويستطرد قائلا: "أرسلت وحدات خاصة لطرد الشراكسة

الرافضين مغادرة وطنهم والمختبئين في الأدغال الجبلية الكثيفة" حيث كانوا يستعدون للموت بهدوء، وفي إحدى المرات وجدت وحدة روسية بقيادة "فيدوسيف" أثناء تنظيف ادغال في أعالي نهر (بسه قوبس) حوالي (٣٠) جبليا كانوا يجلسون بشكل إفرادي في اماكن لا يمكن ملاحظتهم فيها ومن الصعب إخراجهم منها، اضطر الأمر إلى تقسيم الوحدات إلى أجزاء صغيرة والدوران حول المخابئ واصطيادهم وأسرهم. **وإن "مثل هؤلاء الجبليين الجوالين كان الكثير منهم في جبال القفقاس يجهزون قبورهم بأنفسهم استعدادا للموت رفضا للهجرة".** [١]

**الموقف الثاني:** ويتمثل في مواقف كل من القيادات والمثقفين والشعراء الشراكسة امثال ((كوليا، ماميت، خاشة)) الذين استطاعوا ايقاف تهجير اعداد كبيرة من منطقة القبرطاي، وان مثل هذه المواقف الوطنية هي التي أدت إلى عدم تفريغ الوطن الام من سكانها كاملا، ولولاهم لما بقي شركسي واحد في الوطن الأم.[٢]

**الموقف الثالث:** ويتمثل في اعمال الشاعر الشركسي الكبير في الاديغي باشا بجميرزا (بكمرزا) وكان لقصائده التأثير الكبير على رفض الكثير من الشراكسة الهجرة. فأهم عمل قام به هذا الشاعر به هو جمع العديد من الرسائل التي أرسلت من المهاجرين الأوائل إلى الأهل في الوطن وجمع الناس في الميدان وبدأ يقرأ عليهم تلك الرسائل التي كانت مليئة بالدموع والحسرة على الوطن، ومآسي الجوع والمرض والموت. ولم يكتف العميل بذلك بل غادر عام ١٩٠١ إلى الدولة العثمانية، وبحث عن المهاجرين الذين لهم أقارب في الوطن، وطلب منهم كتابة رسائل إلى الأهل، وهي التي تحدثت عن المصائب والويلات التي أصابت المهاجرين من الشركس، وأخذها عائدا إلى القفقاس. ولم يكتف بذلك أيضا بل حاول أن ينشر فحوى تلك الرسائل على العالم وعلى كل مجتمع كان يذهب إليه ليطلعهم على ما لحق بالشراكسة المهاجرين من أذى ومصائب[١٣].

**الموقف الرابع:** ويتمثل في المهاجرين الذين عادوا إلى الوطن منهم عائلة الشاعر الوطني الاباظي المشهور (جوليا). وكانت عائلته من العائلات التي هجرها الاتراك بالقوة إلى تركيا بواسطة السفن الحربية، وذلك أثناء احتلالهم لأبخازيا، لقد حرقوا بيت والده عام ١٨٧٧ ونقلوه مع فلاحين آخرين من قريته (أورتشا) إلى طرابزون وفي عام ١٨٧٨ حيث دفن والده طفليه في أرض الغربة. وتمكن والده مع أفراد عائلته الوصول إلى باطوم على ظهر قارب صيد تركي. وكانت مدينة باطوم في ذلك الوقت مركز اتصال ما بين القوقاز وتركيا. وعاش والد جوليا المدعو (أوريا-يوسف) مدة سنتين في تلك المدينة ثم تسلل بسرية على متن قارب شراعي لأحد صيادي السمك إلى ابخازيا. غير ان السلطات القيصرية لم تسمح له بالعيش في قريته الأصلية والتي خصصت لتسكين المستوطنين من القوزاق والروس فيها ولجأ إلى قرية على الجهة اليسرى من نهر "كادور" ومقابل بيته القديم. والشاعر "جوليا" الذي عاش بكل احاسيسه في سنوات طفولته تلك المرارة التي عاناها المهجرون القوقازيون وحاول وصف المصير الدرامي للفلاحين الاباظيين في تركيا السلطانية في قصائده، وهذه ابيات من قصيدته بعنوان (الحنين) التي نظمها سنة ١٩٥٤ قال فيها:

ألقوا بهم على شاطئ البحر وتركوهم لمـــصيرهم
لقـــــد هلكـــــوا مـــــن الجـــــوع والبـــــرد
كـــانوا علـــى طـــول الـــشاطئ أحيـــاء وأمواتـــا
ملقـــــــــــى بهـــــــــــم عـــــــــــراة
الغربـــان الغربـــان تزعـــق فـــوق رؤوســـهم [٣]

**الموقف الخامس:** ويتمثل فيما كتبه مؤلف قصة "دوي الرعي" لمؤلفها لاخينفكس واصفا المشهد الذي حدث على شاطئ البحر الاسود.. قائلا:

"**عندما قررنا الرجوع لاحظت ان كل الجبليين كانوا مستلقين ووجوههم إلى الشمس، أي إلى الشرق، إذن فهم لم يموتوا من مرض وإنما استلقوا قاصدين الشرق قبل موتهم**".

**واستطرد قائلا:** مشى (زاكور دايف) عبر الساحة، مارا فوق الجثث كما يمر فوق جذوع الاشجار واشار لي بيده فاتجهت إليه محاولا تجاوز الجثث وعدم المرور فوقها، ورأيت إحدى الجثث التي لم استطع ان اميز عمرها، حيث غطى وجهها قلبق قفقاسي، ووقف امامها حصان دون سرج وقد اخفض رأسه، ولاحظت ان الحصان كان هزيلا جدا، حيث ظهرت عظام ظهره، وغار بطنه، وفهمت انه يقف بصعوبة وقد قرر الموت إلى جانب صاحبه. مررت قرب الجثة ووقفت بجانب الحصان ومسحت بيدي على جبينه الندى، فسرت رجفة في جسده وسقطت دمعتان كبيرتان من عينيه فوق قلبق صاحبه المسجى عند قدمي الحصان، فابتعدت بسرعة ولحقت (بزاكورداييف) الذي كان واقفا في وسط المكان، وعند قدميه رأيت أربعة أشخاص ممددين على الأرض؛ الأول: شيخ ذو لحية بيضاء وعلى رأسه قلبق، والثانية: أمرأة عجوز وجهها مغطى بمنديل صوفي، ظهر من تحته شعر رمادي طويل، والثالث صبي متقوقع على نفسه حتى ان ركبته قد وصلت إلى ذقنه ثم امرأة شابة بثوب ذي صدر مفتوح ظهر منه صدرها الناصع المغطى بالندى، وكانت شفتاها المغلقتان بقوة قد ارتختا قليلا عند الجوانب فبدت وكأنها في شبه ابتسامة، ويدها ملقاة إلى جانبها وبين اصابعها قميص طفل صغير.

**ويستطرد قائلا:** اعتقدت بأنهم أموات إلا أنني تفاجأت عندما تحولت المرأة العجوز واعادت المنديل إلى وجهها.. قائلة "**دعونا نموت بسلام**" **إشارة إلى تفضيل**

**هذه الجماعة من الشراكسة الموت على الاستسلام للروس أو ترك ارضهم والرحيل عنها** [٤].

**الموقف السادس: ويتمثل في الحقائق التي تؤكد بأن الشراكسة المهجرين قسرا، بعد أن أدركوا الاهداف الحقيقية من تهجيرهم، عملوا كل مستحيل للعودة إلى وطنهم وفيما يلي نماذج من محاولات العودة:**

**جاء في كتاب "سري" موجه من السفير الروسي في تركيا إلى وزير خارجيته مؤرخ في ١٨٧٢/٢/٢١ بأن ثمانية آلاف وخمسمائة عائلة شركسية كانت قد هاجرت إلى تركيا من القوقاز، اشتكوا من الوضع السيّئ الذي يعيشون فيه والذي لا يطاق وطلبوا السماح لهم بالعودة إلى القوقاز.** [١٤]

**وذكر البرفسور (دزدزاريا )** "ان الحاكم العسكري ليرفان الجنرال اسطفانيف ذكر في كتاب له بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٦٦٣ بأنه أثناء وجوده مدة أسبوعين في (الكسندر هربل) اقترب من الحدود مائة وثمانية وتسعون نسمة من المهجرين وطلبوا السماح لهم بالعودة إلى وطنهم حيث مساكنهم القديمة. وعندما علمت عن وضعهم المأساوي وبأن الحكومة التركية لم تساعدهم إطلاقا سمحت بدخول وفد منهم لمقابلتي للاستفسار. وقد أخبرني الوفد بأنهم لم يتركوا وطنهم لولا أن شخصيات لها نفوذ خدعتهم ولم تعطهم أية مساعدة عندما وصلوا إلى تركيا، مما جعلهم يعيشون في فقر مدقع في المناطق غير الصحية التي أسكنوا فيها. وأنهم الآن يفضلون النفي إلى سيبيريا أو حتى الموت على حدود بلادهم بدلا من العودة إلى تركيا". [١٥]

**ويقول "قاسوم":**

ومع ذلك فإن الشراكسة المهجرين لم يكونوا مدركين لهذه الواقعة فكانوا في سنوات الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر يتقدمون دائما بطلبات إلى السفارة الروسية في (استانبول) للعودة إلى القفقاس، وكان الجواب دائما يأتيهم: "لا

يمكن الكلام عن عودة إلى القفقاس"، وتم تهديدهم بأن من يحاول منهم العودة دون إذن فسيتم نفيه إلى داخل روسيا. وفي عام ١٨٦٥ حاول (١٢٠٠) شخص اختراق الحدود الروسية للعودة إلى وطنهم إلا أن الجنود الاتراك منعوهم من ذلك، ومع ذلك فإن عودة الشراكسة لم تنقطع بشكل إفرادي بحرا وبرا، إلا أنه حدثت عدة عمليات تهجير ثانية لهؤلاء إلى تركيا. (٥)

**الموقف السابع:**

يقول "أبو ذر آي دمير" في كتابه باسم الحرية على لسان أحد المهاجرين الذين عادوا من الهجرة:

(يذكر عائلات في صيف عام ١٨٦٥، ذهبوا إلى الحدود التركية سيرا على الاقدام، يرافقهم الجنود والضباط، ويذكر الستة اشهر التي قضتها خمسة آلاف عائلة تحت السماء في العراء، بالقرب من مدينتي موش وارزروم مقطوعين عن الرحمة. وكان الجوع يقتل من مئة إلى مئتي إنسان يوميا. كما يذكر انهم من فرط ضيقهم هاجموا مدينة موش مرتين في يوم واحد، ويذكر اليوم الذي كتبوا فيه طالبين السماح لهم بالعودة، وعندما رفض طلبهم تحرك في طريق العودة "الفين وستمائة" عائلة مع النساء والاطفال، بجلودهم المصفرة والهياكل العظمية التي يصعب على المرء ان يصدق بأن تتجسد فيها بالأرواح، وعند وصولهم للحدود الروسية قام الجيش التركي بضربهم بالمدفعية، وقتل شقيقه (ارزو) على يد ضابط تركي...(٦)

كما يقول (المفتي) في كتابه "اباطرة وابطال".

"ولما ظهر للمهاجرين التعساء ان حالتهم في البلقان تسير من سيّئ إلى أسوأ، وأنه لا يرجى لهم مخرج من الورطة التي وقعوا فيها، عزموا على الرجوع إلى بلادهم الاصلية، وفعلا رجع إليها الكثير منهم على الرغم من القيود الشديدة والشروط الصعبة التي وضعها الروس، اذ انهم كانوا قد اشترطوا على كل مهجر من القوقاس يريد الرجوع إلى بلاد روسيا أن "**يعتنق الديانة المسيحية**". وبالرغم

من ذلك فإن أعدادا كبيرة من المهجرين عادوا مفضلين ذلك على البقاء خارج الوطن[٧].

**الموقف الثامن:** ويتمثل في الوقفة الرافضة "للباشوات" الشراكسة في الدولة العثمانية، وهي المواقف التي تتمثل بمقاومة السياسة التركية لتهجير الشراكسة بالتآمر مع روسيا القيصرية نذكر منهم "حسن باشا برزج" من قبيلة الاوبيخ الشركسية، الذي قابل الصدر الاعظم التركي، وطلب منه ايقاف تهجير الشراكسة إلى تركيا، **إلا ان السلطات العثمانية بدأت في عام ١٨٦٦ عملية تصفية الشراكسة المثقفين الذين رفضوا وقاوموا عملية الهجرة وبدأت الدولة العثمانية بإعدامهم، ونفيهم إلى مناطق أخرى بعيدة عن اسطنبول بوظائف إسمية لا فعالية لها. وكان أول من أعدم هو حسين برزج** [٨].

**الموقف التاسع** ويتمثل في الجيش "الشركسي / التركي" الذي تشكل عام ١٩١٧ من ضباط وجنود شراكسة وتوجه إلى القفقاس لتحريره واعادة المهجرين الشراكسة، إلا أن انهزام تركيا في ذلك الوقت ونزول الحلفاء على الساحل التركي، أدى لتوقف "الجيش الشركسي" الذي كان ذاهبا لتحرير القفقاس والعودة لتركيا والقتال من أجل تحريره من جيوش الحلفاء لأراضيها أواخر حرب العلمية الأولى.

**الموقف العاشر** ويتمثل في القصائد الشعرية، واغاني رفض التهجير، والرغبة في العودة للوطن الام، وفيما يلي نماذج من هذه القصائد:

- **أغنية رثائية غناها الاديغة المهجرون إلى تركيا ونختار منها الأبيات التالية:**

**تحرك الغربان السوداء أجنحتها**
**وانزوروف الدنيء يسير الأمور**
**لن نرى الوطن ثانية**

دسوا علينا جوازات السفر خديعة
قهرونا ويمنع علينا النقاش

يطردوننا، يطردوننا من وطننا

**يتحرك القطار دون تأخير**

**ويصفر القطار بنحيب طويل**

**ولا تنسينا يا أرضنا الغالية**

حركت الرياح شالي

سنرى بعضنا يوما ما يا أخوتي

إنهم يطردوننا، يطردوننا من وطننا

**يبكي ويصرخ أكوردوين في مكان ما**

**قائلا لن نعود إلى أرض الوطن أبدا**

**لقد فرقوا وقطعوا بيننا وبين أرض الوطن**

نودع الأقارب ونقتل القلوب

القنصل التركي مستعجل

إنهم يطردوننا إلى البعيد البعيد [٩]

**وأغنية شعبية ثانية تقول بعض مقاطعها:**

كيف غادرنا بلادنا الغالية خلسة

كيف كان هجراننا لبلادنا الغالية

وكيف كان فراقنا لأمنا الحنون بلادي.

كيف حرمنا من دفء صدرها الحنون.

كيف ابتعدنا عن أهلنا وأصلنا الشراكسة

**عليكم أن تنشدوا العودة إلى أصلكم الشراكسة**

**أرجو الله ان يحقق لكم أحلاكم وآمالكم الحلوة، في العودة إلى الوطن يا أماه**

**أدعو الله بالرجوع وبالعيش بين أصولنا، في القفقاس يا أماه.**

**أدعو الله بالرجوع وبالعيش بين أصولنا في القفقاس يا أماه.** [١٠]

**وأما القصيدة الثالثة فإنها تعبر عن رفض ترك الوطن والرحيل عنه، وتقول ابياتها.**

أُسْ في غابة ابن ماريا
تهدر المدافع بدويها
وبقدر من الله
كتب علينا هجران الوطن
القيصر يطمع في القفقاس ناكرا للجيرة.
القياصرة يتنافسون في قتالنا على البطولة.
يا يوم الرحيل وفراق الوطن ما أشدك من مصيبة.
اكثر من مئة مليون شنوا علينا حربه
والشعب المغدور. شعب صغير لا يزيد عن حفنة.
أمنا الوطن نغادره ونظراتنا.
إلى الوراء ترنو إليه [١١]

**وقصيدة رابعة نقلها إلينا (برزج) وهي القصيدة عن وجود خونة بين الشراكسة، كما تبين خطأ الأئمة في وعظهم، وتقول كلماتها:**

لقد قاتل القياصرة الروس ضدنا لأخذ القفقاس
وكان زمن الهجرة مأساويا
فقد نهش عميقا في قلوبنا
أكثر من مائة مليون كان الروس
وكنا لا نزيد عن حفنة اليد
**وكان بيننا خونة**
**بسبب جشعهم إلى الذهب. باعونا للعدو**

**وإلى ذلك فإن الملأ (الائمة) غير المتعلمين تصرفوا وكأنهم مسلمين اتقياء**

فعلوا وكأنهم أنبياء
بل وعظوا بشكل خاطئ
وعندما نصحوا بالهجرة
أساؤوا
**لقد قالوا: عندما يأتي الروس سوف تحملون توابيتكم بأنفسكم**
**وهكذا زرع المُلاَّ في أنفسنا الخوف والفزع** [١٢]

**والقصيدة الاخيرة تبين كيف نُفي الشراكسة وسيقوا كالقطيع إلى اسطانبول نقتطف منها:**

طريقنا إلى اسطنبول، عبر دروب وعرة
ومخطوبتي الجميلة واقفة على العتبة...
تصرخ معولة علينا، فالنفي نصيبنا!
يا علم (الاديغة) القديمة المضطرب في الريح...
من سيحمل إليك أخبارنا؟
واأسفاه، إنهم يسوقوننا كالقطيع إلى اسطنبول!

## مراجع ومصادر الفصل الخامس من الجزء الخامس من المجلد الثالث

١- قاسوم، علي وحسن، ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٠٩.
٢- رسلان، مخوص، مصدر سابق، ص: ٥٧
٣- مها جرست ص: (٣٨٢-٣٨٣) ونقل عنه برزج، نهاد في كتابه تهجير الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٣٤-١٣٥.
٤- لاخفينسكي، اجوقوق، دوي الرعي، مصدر سابق، ص: ١١٨.
٥- قاسوم، علي وحسن، مصدر سابق، ص: ١٢٣.
٦- برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ١١٩.
٧- المفتي، شوكت، أباطرة وأباطل، مصدر سابق، ص: ٢٠٦.
٨- برقوق، اسماعيل، قفقاسيا في التاريخ، الاستانة، ١٩٥٨، (ونقل عنه محمد صادق آبه زاو) ص: ١٧.
٩- قاسوم، علي وحسن، ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ١١٤-١١٥.
١٠- روسلان، مخوص: تاريخ حرب القفقاس، مصدر سابق، ص: ٥٥.
١١- المصدر نفسه، ٣٣.
١٢- برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٣٠.
١٣- كتاب جمهورية كباردنيا بلقاريا، ص: ٤٨٤ ونقل عنه نهاد برزج في كتابه تهجير الشراكسة، ص: ١٣٤.
١٤- مها جرست، مصدر سابق، ص: ٢٩٤.
١٥- المصدر نفسه، ص: ٤٣٦.